(الطبعة الأولى)

المجلد الثالث

ملتزم الطبع والنشر
عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨
المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧

المستعد لضرب السيف قال الملك ومن الذى يصلح لذلك قال إبراهيم أخاف أن [illegible]
تفسد بى لغرض وأنا والله ما أتكلم إلا بشفقة على دين الإسلام قال تكلم ولك الأمان
الثانى فقال ارسل ياملك حضر خليل بن قلاوون يقابل ذلك الملعون فاذا انقلب ذلك
الملعون على يده فتكون انت وخدامك تصطفل إن شئت تعفى عنه وإن شئت أعدته
السجن ثانيا

قال الملك وخليل يلعب هذا الملعون قال إبراهيم نعم ياملك خليل بن قلاوون واحد
هذا الزمان فى ضرب السيف وطعن السنان وأنا ضامن له ياملك الزمان قال الملك
وحق الاله الحنان المنان إن كان خليل ابن قلاوون يغلب هذا الملعون اعفى عنه وعن
أبيه وأعيدهم إلى أماكنهم وأزيدهم مرتب ثم إن السلطان أمر باحضار خليل قال له
إبراهيم كيف يحضر هنا مقيدا

قال السلطان أنا حالف لا ينفك قيده إلا على دكة الفصل قال إبراهيم نجيب دكة
من حانوت ونوضعه عليها ونفك قيده قال الملك هاتوه أولا لما أشوفه فعندما حضر
خليل وهو مقيد فاعلمه السلطان قال يا مولانا وحياة رأسك ما ألاعبه إلا وأنا بالقيد
لأجل أبقى إذا لم انصر خصمى أكون كما كنت حتى لا يحنث مولانا السلطان فى يمينه
فعند ذلك أحضر الملك ذلك الكافر قال له الوزير اعلم أن مولانا السلطان حاكم على
بساط عدله وفى هذا اليوم يريد أن ينزل اليك واحد سياف فان الذين لاعبوك ماهم
أهلا لضرب السيف وهذا الذى نازل لك حقيقة سياف فان انت غلبت عليه ينعم
عليك السلطان ويردك إلى بلادك بأمان

قال المقدم غريب رضيت بذلك فامر الملك إلى خليل أن يلاعبه فنظر الملعون إلى
خليل وقال له إيش اسمك يا غندار قال له يا ملعون تسألنى عن اسمى هل أنا جاى
أناسبك أنا اسمى خليل بن قلاوون الالفى

قال يا غندار عود واترك الجدل فان أبوك فى مقدونية عندنا وأنا غلبت عليه قبلى
ما أجى هاهنا قال خليل دع عنك كثرة المقال ودونك وضرب السيف الفصال حتى
ترى منى العجب والأهوال قال البطرنى إذا كنت تلاعبنى فالدماء بيننا حلال وكل من
ظفر بخصمه يقتله وينزل به النكال

قال خليل كذلك لكن حتى أنظر ذلك السيف الذى معك قال له وما يخصك بسيفى خذ
انت أى سيف أردت قال له خليل لا بد من نظر السيف وانت كان إذا أردت خذ سيفى
وانظره قال السلطان احق ما تقول نعندها ادعى الملعون سيفه الى الامير [illegible]

فدرج عليه ونظر الى قبضته وتمعنه حتى عرف مافيه قال له ياملعون خذ اى سيف اردت ولا تعبني به الا هذا السيف فانه مجوف قال الملك مجوف بمعنى إيه قال الامير خليل اتأذن لي يامولانا حتى أوريك تجويفه قال الملك نعم لابد من ذلك فعندها كسر خليل السيف نصفين فوجد فيه شريط من البولاد بحدين قال الملك بق بق هيا نصراني هيا العب بغيره فعند ذلك أخذ سيف آخر وهجم على خليل وضربه الضربة وبطلها بمعرفته وكان في يد الامير خليل نمشه امضى من القضا والقدر فرفع بها ذراعه وفتح باعه وضربه بيت في الحزام وكانت ضربة مشمة بمام فقسمه نصفين وسار على وجه الارض دلوين فصاحت الامراء صل على النبي قال السلطان هاتوا الذين مع الكافر فكان معه اربعين فقال لهم الملك رأيتم الذى جرى فقال نعم رأينا فقال السلطان لابد ان تحكوا لى على سبب مجيء هذا الملعون وعمايل ذلك السيف وقدومه الى بلاد الاسلام فاحكوا له على القضية فقال خليل يامولانا السلطان اذا كان أبي في مقدونية فان الملعون مقدمين يقتله اذا علم بقتل ذلك الملعون قال السلطان اطلقوا خليل على دكة غسل حتى يهتدي يعني فقال خليل وعز رأسك يامولانا السلطان ما أطلع من السجن الا اذا حضر أبويا والتمس رضا أمير المؤمنين فأمر بتجهيز العساكر بعد ثلاثة أيام برز الى العادلية عمل مولد لسيد المرسلين وثالث يوم ضرب مدفع الختم واليوم الرابع ضرب مدفع المنبية وبعده ضرب مدفع ورحل بعساكر الاسلام حتى قرب من مقدونية هذا ماجرى قال البرتقش وأنت إيش عامل الدنيا فقال جوان ياسيف الروم أنا ربيتك أصنع معي جميل واطلع سوف متى يحضروا المسلمين وأنا أملكك تقبض على ملك المسلمين أو على أحد منهم او مكيدة تعملها فيهم قال البرتقش واذا فعلت ذلك ايش يكون لى عندك قال له خذ هذا عقد جوهر يساوى خمسة آلاف دينار ولك على جوان اى بنت أعجبتك من بنات ملوك الروم تعملها جناقات قال البرتقش بحد الظاهر نائم على قفاه يشاهد مولاه فالقى على وجهه المنديل مطلق بالبنج رائحه بعيد عن العرضى ولما قرب من الصور اعلم الملك ففتحوا له الباب واخبر الملك بقدوم البرتقش معه ملك المسلمين فركب وقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم

[قال الراوى] فقال مقدمين هذا ملك المسلمين عندى فدخل اليه ووضع يده على [illegible] وطقة واطلق [illegible] فقام [illegible] وقبض على [illegible] ياملعون [illegible] الا عمايلك [illegible]

[illegible] أعناق [illegible] حتى [illegible]

المدينة وجلس السلطان على تخت البلد وأما جوان فانه لما طلع فالتقاه محمد السابق نضربه برغيف رصاص من القلاع دقلجه عن الحاره ونادى يا برتقش اقبض على استاذك وكتفه والا وعزة الله أرميك جبينه قال البرتقش حاضر وكتف جوان وحمله على أكتافه ودخل به قدام السابق حتى أرماه قدام السلطان قال السلطان جوان قال مال جوان كم جلبت لكم الاموال وكم فتحتم على يدى بلاد نصارى عادت اسلام وكم بنات عملتوها جناقة بالحلال ولا تقروا لجوان بجميل الا عندكم يامسلمين مثل الشعير مأكول مذموم

قال له الملك ياملعون لابد من قطع راسك قال جوان راسي مايمكنش قطعها ياملك المسلمين وانما إذا كان تعمل معروف وتعتقني امضى الى حالي وان كان معروف ماعندكش اضرب الك علقة وخليني اروح أتسبب لكم فى حاجة ينتفعوا بها غير هذه لان هذه مقدونية بطالة فقام شيخة وعرى أبزازه وضربه بالسوط خمسمائة وقال هاتوا البرتقش قال ابراهيم قدم يابرتقش فقال البرتقش فى عرضك ياأبو خليل حط يدك فى عينى خذ عقد جوهر بألف دينار وأعطى الملقتين لجوان فأخذ إبراهيم العقد وقال ياحج شيحة البرتقش رجل خدام جوان اضرب علقته لاستاذه جوان وهو يتحاسب معه قال جوان ان لم يبقى وبينه حساب كل من هو يأخذ حقه فلم أحد يسمع كلامه وضربه شيحة علقة ثانية وبعدها أخذه البرتقش وقال القيام وأما مقدمين اراد السلطان يقتله فاشترى نفسه بخمس خزنات وتضاعف عليه الجزية سوى واطلقه السلطان لاجل يعمر بلاده ويقعد فى أدبه وبعد ذلك طلب السلطان السفر حتى وصل الى مصر أطلق الامير خليل بن قلاوون وأنعم على قلاوون وجعله وزير ميسرة والاغا شاهين وزير الميمنة وبعد أيام قلائل شكى خليل الى المقدم إبراهيم حب بنت الامير عليان الكردى الذى هو أصل ضربه بسببها فقال إبراهيم على أبوك يسأل السلطان يكلم أبوها فى شأن الزواج وأنا أساعدك فى ذلك ولما كان ثانى الايام وتكامل الديوان قام الامير قلاوون وقبل انك الملك وقال ياأميرانا ـ اتقى عليك الملك الصالح أيوب أنك تكلم لنا عليان الكردى أن يزوج ابنته لابنى عبدك [illegible] خدمك أحمد فان الامير عليان كان [illegible] حاصل له [illegible] لدى غيظ وانى ياملك [illegible] ولم الثامن يفك هذه الدعوة الا دولا [illegible] عبيدك [illegible] غير مولاه فقال ابراهيم ياأمير قلاوون ان مولانا السلطان يحب الخير لدولته لاسيما لدك خليل [illegible] أشراف السلطان [illegible] أميرا [illegible] فى [illegible] فقال السلطان يا ابراهيم خليل يناسب [illegible] فقال [illegible] الى [illegible] له

يستحق أمير على جيش ألف ومائة مقدم ونحن جميعا مترغدين فى حماية مولانا السلطان فعندها التفت السلطان إلى الأمير عز الدين الحلبي باشة الأكراد وقال له يا أمير عز الدين

ماإن شاء بيتا فى العلا متجددا ... إلا عليه الحكم المتقدم

وأنا ما أعلو عليك إلا بجلوسى على الكرسى فقط ولا أنسى فضل سيدى الملك الصالح ابن عمكم فالمراد أن تكون واسطة فى زواج خليل بتلك البنت قال عز الدين الحلبي الله يادايم العفو يا أمير المؤمنين المقدم من قدم الله تعالى وأنا وجميع أولاد عمى تحت طاعتك وأمرك مطاع وحق سيد العرب والعجم لم لنا شىء تحكم عليه حتى رؤوسنا بين يديك قوم يا عليان فقام عليان الكردى وختم ودعا الملك بدوام العز والنعم فأجاب بالسمع والطاعة فأمر الملك قاضى الديوان أن يكتب الكتاب وأخلع الملك على جميع الكراد والامراء وأمر الخزندار أن يعطى عليان الكردى خمسين ألف دينار مهر ابنته وشرع السلطان فى الفرح لخليل بن قلاوون شهرا كاملا وبعد ذلك دخل عليها وجدها درة مانقبت ومطية لغيره ماارتكبت فاغتنم الفرصة وافتض ذلك الغزل وتملى بالحسن والجمال وحظى بالوصال [قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه رأى فى منامه أن أمه فى غاية الألم تقول له يا ولدى ها أنا زرتك فى المنام فزورنى أنت فى اليقظة بغير احتلام من قبل ما يدركنى الموت وأشرب كأس الحمام فأفاق الملك وهو مشغول فلما كان عند الصباح وتكامل الديوان فأراد أن يقص ذلك المنام على قاضى الديوان فاستحى لكون أنه ملك ويذكروا والدته تبقى مضرة فى حقه فلما كان فى الليلة الثانية قص المنام على الملكة تاج بخت قالت له يا أمير المؤمنين إن الوالدة لها على الولد حق التربية لكون إنها حملت به وأرضعته حتى كبر ومشى وتزحزح وانتشى الصواب أنك تروح إلى بلاد أبيك وتزور أهلك وأبيك وتنظر أمك ونظرها حتى تنطفى نيران الفراق بحلاوة التلاقى فلما سمع السلطان ذلك الكلام صبر إلى ثانى الأيام وأحضر ولده محمد السعيد وأمره بالجلوس على الكرسى والحكم وقال له يا ولدى أنت خليفتى حتى اعود إلى مملكتى لكن يا ولدى احكم بالعدل والانصاف وإياك أن تتبع الجور والاسراف فالظلم إن دام دمر والعدل إن دام عمر

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... إن الظلوم على حد من النقم

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

ثم إن السلطان ركب وركب المقدم إبراهيم وقدامهم المقدم معلى [illegible] على [illegible] وركب هل ظهر هجين [illegible] وقدامهم فى المسير طالبا البلاد [illegible] [illegible] وإحدى

والحجر من يصلي على النبي يستفيد ويكسب ليس يختصر ولما تمادى بهم المسير فجعل الملك الظاهر يحدث المقدم إبراهيم بن حسن عن سبب خروجه من عند أبوه وأمه وكيف أن أعمامه سرقوه وكتفوه ووضعوه في مغار وسدوا عليه بالأحجار وأن محمود العجمي المسارع أتى إلى المغار فالتقاه فيه وأخذه وبعده ودعه إلى على بن الوراقة بعد ما علمه الصراع وأن على بن الوراقة ودعه والقصة التي جرت في منشأ ظهوره وجعلها الملك سيرة يحكي فيها طول مدة السفر حتى أنهم قربوا إلى بلاد خوارزم العجم فنظر السلطان إلى مغار خارج منه وحوش وداخل فيه وحوش قال يامقدم إبراهيم إن هذا المغار الذي وضعوني فيه أعمامي وأنا صغير وسدوه على بالحجارة سير بنا حتى ندخله وننظر خارجه وداخله قال إبراهيم الأمر أمرك ياملك الزمان فسار السلطان ودخل المغار فوجد أربعة عجم رفض يذبحوا اثنين عجم أخر فلما اقبل الظاهر رأى واحد إفرنجي انذبح وأما الثاني ضربوه بحربة في صدره نفذت من ظهره فتأمل الملك الاثنين المقتولين فرآهم أعمامه الذي أصل اخراجه من عند والديه وتقريبه وتربيته في بلاد العرب فتعجب الملك الظاهر وضرب واحد قتله وإبراهيم قتل الثاني وسعد قتل الثالث وعثمان قبض الرابع وقال له قف يامولانا لما نحكي للأشقر على الذي جرى على أهله احسن إن قلت له أنا فما يصدقنيش وانت على كل حال صاحب فهم عني ثم قال عثمان اسأله ياقلاوون وخليه بلا بقبقة لما نعرف الذي جرى أول وآخر قال السلطان للعجمي انت من أي الناس وإيش الذي أتى بك إلى ذلك المكان ومن هؤلاء الذي قتلوهم والذي استرجبوا عليه القتل ومن الذي امركم بقتلهم من الملوك قال له العجمي اعلم ان هذين المقتولين اخوات القان شاه جهك ملك خوارزم وهما أبو الملك الظاهر ملك العرب وسبب قتلهم في ذلك المكان وهو ان القان هلاوون ابن منكطمر صاحب ملك نور بز العجم توفت زوجته فغسلوها وكفنوها ووضعوها في بيوت النيران حرقوها فقالوا له أرباب دولته ياقان الزمان تزوج غيرها فسأل من الذي عنده من الملوك بنت حتى اعطيها فقولوا لي عنه قالوا إن القان جهك شاه له بنت اسمها الست آيق خاتون فان أردت ان تأخذها فاطلبها منه فانها بديعة حسن وجمال ومثلها لا يوجد في جميع المدن فأرسل له رسول وطلبها منه ما رضي وقطع مناخير الرسول ورده خايب وعاير القان هلاوون لكونه يعبد النار فأقسم القان هلاوون انه لا يأخذ هذه البنت إلا غصبا وينهبها نهبا ويقتل اباها ويخرب بلاده ويسبي حريمه واولاده وركب في عسكره وأجناده وأتى خوارزم العجم بالأرناض ودار الحرب اربعين يوم وانجرح القان جهك شاه وأراد القان هلاوون ان يكبس البلد بعد جرح القان جهك شاه فنصحه

وزير الميمنة رشيد وأما وزير الميسرة تقلون فانه أحضر أربعين طواشين عباق وأمرنا أن ندخل صيوان القان جلك شاه فاذا رأيناه نسرقه ونأتى به إلى ذلك المغار ونخنقه فعملنا كلما أمرنا ودخلنا فلم نر إلا هذين الاثنين فقبضناهم وأتينا بهم إلى ذلك المكان فسألناهم فقالوا لنا إنهم أخوات القان جلك شاه فقتلناهم وأردنا أن نأخذ رؤوسهم نعطيهم إلى تقلون وزير الميسرة فأتيتم أنتم وفعلتم معنا

فلما سمع إبراهيم وضع يده على شاكريته وضرب العجمى أرمى رقبته وقد سعد وفجر فى المغار قبرين وأحضر المياه وغسلوهم وكفنوهم ودفنوهم فى ذلك المغار وسدوه بالأحجار وركب الملك الظاهر وتبعه إبراهيم وسعد وما زالوا سائرين حتى نظروا إلى خوارزم العجم ورأوا على أبواب عروس المنايا شمرت على ذراعها ومدت الفرسان طول باعها قال السلطان سوق يا مقدم ابراهيم قال ابراهيم يا ملك خيلنا تعبانة من السفر ولا تقدر تحملنا إلا إذا قحمناها وريناها فى ذلك العسكر قال له سعد والله يا ابن خالتى ما أنت الا مثل الردى لا تستر ولا منك دفا اذا كان خوفك على حجرتك أنا أجيب لك حجرة والاحصان وكذلك مولانا السلطان أنا أجيب له حصان واعطوا خليكم الى هذا الاسطى عثمان وارموا أرواحكم وأنا معكم وفرجوا عن أهل الاسلام الأبرار ودوسوا فى هؤلاء الكفار عابدين النار قال السلطان صدقت ياسعد ياابن جبل فانطلق سعد كانه الغزال أوالظبى العربى بسرعة الى عرضى المجوس الملاعين وأتى بجوادين جيدين معددين مسرجين فركب السلطان واحد وركب المقدم ابراهيم على ظهر الآخر ونظر الى غبار الواقعة فقال السلطان والله ما هى الا فجعة وأى فجعة ثم أن الملك الظاهر حط يده على نمشة ابن الحاكم وصاح الله أكبر

اذا زحفت جيوش الكفر زحفا ... على الاسلام صفا بعد صفا
وثار غبارهم من كل فج ... وعاد النور عنهم مستكفا
حملت بهمتى من فوق مهر ... له فى محفل الهيجان الفا
وسيف حده سيل المنايا ... أفرّ به الجماجم والأكفا
وقنطارية بن أباديس ملكي ... بسن يخطف الأرواح خطفا
أنا بيبرس محمود الفعايل ... مفارق للجهاد كون وقفا
وابراهيم حقا عن يمينى ... يكر وينسف الأعداء نسفا
وسعد على يسارى مثل طير ... يسوق الرق حربا مستخفا
فى دولة الاسلام ملكا ... طراز الملك كالذهب المنصفا

واوعدنى الاله كل نصر ووعد الله لا يتبعه خلفا

ثم إن السلطان انفرد وفحم الغبار بقلب قد من جبال وحزم شديد لايفتر بكسل
ونظر ابراهيم بن حسن إلى فعاله فصرخ بملء رأسه صوت يفلق الحجر وقال حاسى
الله اكبر

إذا هاجت الفرسان والنقع اسودا ... وبحر المنايا زاد موجا وأزبدا
وقامت عروس الحرب ترقص بكأسها ... وفيه حمام كل من شاء أوردا
ودارت رحاة الحرب فوق رؤوسنا ... وكان سنان الرمح للحرب شاهدا
وغنا اليمانى تحت مسحر القنا ... وفرق ما بين النفوس واسعدا
دعونى أوفى الشاكرية حقها ... أخوض المنايا فدا بعد فدا
وانى أنا ابراهيم حوران موطنى ... واصبحت للهيجاء والحرب مفردا
تعودت خوض الحرب مذكنت يافعا ... وكل أمرى جار على ما تعودا
وصلى الهى بكرة وعشية ... على المصطفى من جاء بالنور والهدى

[يا ساده] وانفرد المقدم إبراهيم خلف أمير المؤمنين وطلب ميمنة الصفوف
وترك السلطان للقلب كالاسد الموصوف ونظر سعد إلى فعلهم فاستحلى القتاله
واستلذبه وبقى عنده كالماء الزلال يروم أن يشربه فصاح الله اكبر

أنا الذى زاد سعدى ... على الفرسان من قتلى وبعدى
أخوض من يهوى بحر المنايا ... واقتحم المنايا بكل جهدى
أكر على بنى الكفار كرا ... بسيف ماضى الحدين هندى
ولا أخشى الحمام إذا اتانى ... وارضى باحتكام الله وعدى
وكم ليل قطعت دجاها سيرا ... على قدمى وبالساقين أجدى
بنو الانذال دونكم قتالا ... لكى ما تنظروا هزلى وجدى
خدمت الظاهر المنصور حقا ... نعم لا خيب الرحمن قصدى
وعندى شاكريات ثقال ... تقد العظم قدا أى قدى
سافنى الكافرون ولا ابالى ... واوفى فى حقوق الله عهدى

[قال الراوى] وكلا من هؤلاء الثلاثة أبطال اقتحم الحرب وأجاد فى الطعن
والضرب وكانت هجمتهم من خلف الاعداء عباد النار فصاروا يرموا رؤوسا كالاكر
وكفوف كاوراق الشجر وهبروا الكفار هبرا وجزروهم جزرا ونثروا جماجمهم
خمسة خمسة وعشرة عشرة ونظروا عساكر القان جمك شاه إلى فعالهم فاستظهروا
على اعدائهم وايقنوا بالنصر من مولاهم وتلاغوا على بعضهم اضربوا أعداءكم

بالحسام ولا تبقوا على شيخ ولا غلام وابشروا بالنصر من الملك العلام
ونظروا الرفض إلى ما جرى فرأوا أكثرهم تبدد وملقى على الثرى وتشتتوا
فى الصحراء ونظر ثلاون إلى ما جرى وقال النار غضبت على أبناء العجم وأكابر
الديلم فصار يصيح على العساكر ويردهم إلى القتال فنظره المقدم إبراهيم وهو
يفعل ذلك الفعال فعارض وميل نحوه وصرخ فيه أذهله ومد له يد كأنها رقبة
الأسد وطوق فى جلباب درعه والزرد وصاح يا سيدى غرث يا ساكن حلب
وجذبه من على ظهر الجواد إلى الأرض والمهاد فصاح رشيد الدولة عليه وحمل
على المقدم إبراهيم وأراد أن يحاربه فرأى أن الموت من طعناته فلوى عنان
الجواد وطلب البر والمهاد وأما الملك الظاهر فانه خاض فى الصفوف وطير
الجماجم والقحوف وبرى بسيفه الاعناق والكفوف وما زال حتى أنه وصل
إلى الموكب الكبير وساق الارفاض بين يديه سوق الحمير حتى وصل هلاوون
ذلك وضرب حامل العلم بالسيف على وريده أطاح راسه من على كتفيه فمال
العلم ووقع وعاين هلاوون ذلك الحال فأيقن بخيبة المآل ونظر على وجه الملك
الظاهر وهو معبس مغضب ورأى السبع جدريات ظاهرة على وجهه والسبع
اللحم بين عينيه فانذهل وحار فى أمره وتخبل فألفت عنان جواده وانهزم وتبعته
أكابر الأعجام والديلم وتفرقوا فى البرارى والآكام وتبعتهم عساكر القان جمك
شاه حتى تفرقوا فى أقطار الفلاة وعادوا من خلفهم آخر النهار وهم فى غاية
الفرح والسرور وعاد الملك الظاهر فتلقوه أكابر دولة القان جمك شاه وسألوه
النزول عنهم حتى أنه يأخذ الراحة فأعلمهم أن محمود بن القان جمك شاه وقد
أتيت إلى زيارة والدى ووالدتى فرأيت ما أحاط بكم من جيوش الاعداء فقاتلت
معكم. فلما علموا الوزراء به وارباب الدولة أنه ابن القان فتقدموا اليه ورسموا فى
الخدمة بين يديه وارسلوا أعلموا القان جمك شاه بقدوم ولده فانسر سرورا
عظيما وكان مجروح أشرف على الهلاك فلم يعبأ بذلك الجرح وقام إلى ملتقى
ولده وما دام سائر حتى وقعت عينه عليه هنالك ترجل الملك الظاهر من على
جواده وتقدم إلى أبوه فاعتنقه وضمه إلى صدره وقبله فى عارضه ونحره
ووضعوا أيديهم فى أيادى بعضهم البعض ودخلوا إلى المدينة حتى وصلوا إلى
الديوان ولم يطلق السلطان الظاهر الصبر بل أنه قال لأبوه يا أبى انا قصدى أن
أرى والدتى وأسلم عليها فالمراد أنك تدخل معى حتى أنظرها فقال [illegible] كذلك
فقال [illegible] أنا كان أسلم على الملكة حتى يصير [illegible]

المقدم سعد وأنا يامولانا قال عثمان وسر المبرقعة ما يدخل أحداً منكم إلا وأنا معكم
ثم إن الملك الظاهر وضع يده في يد أبوه اليمنى واليد اليسرى في يد المقدم إبراهيم
ويد الملك الظاهر الثانية في يد عثمان ويد القان جمك شاه الثانية في يد المقدم وساروا
حتى بقوا من داخل السراية ولما بقوا داخل السراية أعلمهم القان جمك شاه أن الملكة
حاصل عندها سقام من مدة أيام فدخل الملك الظاهر إلى أمه وحده وقعد إبراهيم
وسعد من وراء الحجاب ولما نظرت الملكة آيبق إلى وجه ولدها فاستيقظت من عياها
وسلمت عليه فقال لها يا أماه كيف حالك فقالت له ياولدي أنا طيبة بخير وإنما يعتريني
مرض في بعض الأوقات فسمع إبراهيم وسأل من كبير الطواشية وقال العادة أنه إذا
كانت ملكة مثل هذه الملكة يأتي لها ولدها من بعيد البلاد فيبقى عندها همة الأفراح
وهذه الملكة لم حصل لها شيء من ذلك فقال له الطواشي اعلم يا هذا أن الملكة عياته
وما هذا سيدي محمود كلامنا فرح بقدومه وهو ابن ملكنا وأحسن من هذا اليوم لم
ير لنا فسأل المقدم إبراهيم هات أثرها وأنا أقرأ عليه وهي تطيب فدخل الطواشي
وأعلم الملكة فأعطت له الشرويش الجوهر من على رأسها فأتى به إلى المقدم إبراهيم
فقرأ عليه الفاتحة سبع مرات وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة وأعطى الأثر للطواشي
فطلعه للست فلما وضعت الشرويش ثانيا على رأسها فحست بالعافية فأمرت له بالف
دينار فأتى الطواشي اليه وقال له يا شيخ ان الست أمرت لك برشوة ألف دينار فقال
إبراهيم الحمد لله لان الست إذا نزلت بالسلامة يحصل السرور قال له هذه رشوتك
الصغيرة ولكن الرشوة الكبيرة لما تنزل قال إبراهيم هاتوا الكبيرة بالمرة لما انزل يبقى
كل من هو ياخذ حقه ولا يطالب بشيء كل هذا يجرى والملك الظاهر قاعد قدام أمه
حتى أفاقت وقالت للطواشي إن هذا الحكيم مبروك قال السلطان انده عليه فطلع
الطواشي وطلب إبراهيم حتى يراه ابن الملكة فقام إبراهيم ودخل ونظره السلطان
قال له متى عملت حكيم انت يا إبراهيم قال إبراهيم أمي كلها عيشة فضحك عليه السلطان
وقال أنت يا إبراهيم دائما متولع بحب الدرهم

قال المقدم إبراهيم يا سيدي أنت تعلم أن النفع مقدم ويجب على الانسان أنه يجتهد
في كل ما فيه النفع وبعد ذلك رأيت الملكة وسلمت على الملك الظاهر باشتياق وقالت
الملكة يا ولدي والله أنا من حين جرى على وعد الله وعدمت طلعتك فلم تهنيت
بمنام ولا تلذذت بطعام والحمد لله يا ولدي الذي رأيتك سالم وأقام الملك الظاهر مدة
ثلاثين يوم فاخبره أبوه بما جرى بينه وبين هلاوون فكتب السلطان كتاب وسلمه

لسعد وقال له سلم هذا إلى هلاوون فى الطريق وهات لى منه رد الجواب فقال سمعاً وطاعة وطلع المقدم سعد طالب عرضى هلاوون حتى أدركه وكان بينه وبين توريز مسافة يومين فسلمه المقدم سعد الكتاب ففرده فرآه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالمبد والعلم إلى بين أيادى القان هلاوون بلغ من مقامك يا ملعون أنك تغتنم الفرصة وتركب على بلاد أبى وتروم تاخذ أختى بدون حق مع أن الارفاض لايجوزأن يدخلوا بالبنات السنية هذا فى ملة الاسلام حرام وها أنا حضرت فى ملك أبى وعرفت أصل العداوة ولو كنت أعلم قبل ذلك ما كنت إلا أتيت بقوم عندهم الحياة مندم والموت مغنم وكنت أهدم أبوابك وأزلزل مكانك فحال وصول هذا الجواب تجمع كل أكابر دولتك وبعد ذلك تسأل منهم إن كان عندك أسير سنى ترسله لنا حالا بدون تاخير ولا أعذار فان فعلت ذلك كان وإن لم تفعل ذلك وتظن أن مكر الرفض ينفعك فها أنا أمرت العساكر أن يفتشوا فى القتلى على من عدم منهم فاذا ظهر بعد ذلك أن عندك أسير وأنكرته قسما بمن مرج البحرين وأنار الكونين اركب عليك بالعساكر الذى تعرفهم . لم أعود عنك حتى أهدم ابوابك على راسك وأقطع كل من حواليك وأخيرا انشرك من رجليك بعد ما ألعن والديك والحمد على الختم حجة فيه والسلام على نبى ظللت على راسه الغمام

[ياسادة] فاعاد الجواب على مفلون جاز قال له إن الراى عندى انك تصل إلى بلاد وتتقوى بعساكرك وتعود اليه فترك كلامه والتفت الى رشيد الدولة قال له ياقان انا عندى القان بهرمان اخو القان جك شاه الصواب ان ترسله هدية منا اليه وتعتذر الى قان العرب وتدعه يرحل من هذه البلاد فان اهراق الدم حرام فى جميع الاديان .

قال القان هلاوون يا رشيد الدولة أنت من أين وصل اليك بهرمان شاه

قال له سعادتك أمرت العيارين الاربعة وقلت لهم طوفوا بالعرضى وخذوا أكابر دولة السنية فطافوا ودخلوا صيوان القان جك شاه واتونى باخوته الاثنين وانت امرتهم ان يأخذوهم الى بعيد ويقتلوهم فكان عندى اسير سنى فاعطيته لهم واردت ان أجعل هذا بهرمان قربان للنار فابقيته عندى الى الآن واما العيارين فانهم اخذوا حسن شاه اخوه قتلوه وأدركهم قان العرب فقتلهم وكانوا قتلوا الاسير الذى صحبة حسن شاه واما بهرمان شاه فهو عندى الى هذا الوقت باقى .

فقال هلاوون احضره فلما حضر سلمه الى بعض العيارين وقال له سير مع المقدم

سعد العرب إلى قان العرب حتى تسلم اليه القان بهرمان واتقيني برد الجواب بتسليمه ثم قال له سر إذا بقيت فى الطريق وأمكنك الفرصة اقتل بهرمان واقتل سعد فأجاب بالسمع والطاعة ولما سار بالمقدم سعد أول يوم حتى أمسى عليه المسا ونزلوا على عين أخرى أرادوا البيات نظر سعد إلى عين العجمى فرأى أنه غدار فأعرض عليه الاسلام فأبى فقتله وأخذ بهرمان وتوجه به إلى الملك الظاهر وسلمه كتاب القان هلاوون وأعاد عليه العبارة ففرح بحضور عمه بهرمان شاه وأما عمه فانه اعتذر اليه وسلم فعفى عنه وأقام الملك الظاهر بعد ذلك ثلاثة أيام واستأذن أبوه فى العودة إلى مصر لأن مملكة العرب واسعة ويجب على الملك أن يدارى حكمه على رعيته ويخشى العواقب فقام أبوه وأحضر له من أصناف الهدايات التى خفت أحمالها وغليت أثمانها شىء كثير وتوجه مع القان جلك شاه يوم كامل والقان بهرمان شاه وبعده حلف عليهم وردهم وتوجه الملك الظاهر فرحان مسرور بمقابلة أهله واجتماع شملهم بشمله ولكنه عنده اشتغال على مملكته وما زال يجد المسير وقد المشيئة والتدبير حتى وصل إلى أرض العادلية أرسل بطاقة إلى مصر زينت بغير مداد وثانى الأيام انعقد للملك الظاهر الموكب مثل العادة وكان إبراهيم على اليمين وسعد على اليسار حتى وصل إلى قلعة الجبل وضربت المدافع شنك لقدوم السلطان وبات فى أمان ولما كان عند الصباح ظهر الملك وجلس على تخت الحكومة يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبي جد الأشراف إلى ليلة من الليالى رأى السلطان منام وهو كانه فى بلاد الروم ودخل مدينة وتفرج فى شوارعها رآها مدينة عامرة كاملة البنيان عامرة السكان وفى دورانه فيها رأى كان البحر محتاط بها ولها على البحر مينتين مينة عامرة ومينة خراب فلما طال عليه الحال اعتراه العطش فالتقى فى هذه المدينة مكان من جملة الأماكن فدخله فرأى بير فنظر فيه لعله يجد ما يشرب فوجد إنسان جالس على سرج من الرخام وهو قد اعتراه البلا والسقام وهو ينشد قصيده بأحلى كلام كانه اللؤلؤ فى الانتظام فحفظ منها بيتين وانتبه من المنام وهو يقول كما سمع وتأمل القائل المسجون وإذا به معروف بن جمر أخوه الذى كان ملكا وسلطانا على القلاع والحصون

ولم أجد من بنو إسماعيل يدركنى ... ولا كان حكمت فيهم مدى عمرى

وأين عينيك يا ابن الأخت يا عدقم ... يا فارس الملتقى يا غ ه النظر

ولما رأى الملك الظاهر ذلك المنام فاق فى غاية من الضنك والآلام وتذكر

صداقته مع المقدم معروف بن حجر وكيف أنه تصادق معه وبينهم عهد الله انهم اخوة على الصداقة والوفا ولما طلع إلى الديوان التفت إلى إبراهيم بن حسن وقال له يا ابراهيم أنا رأيت معروف بن حجر مناما فى هذه الليلة وتذكرت محبته ووداده القديم وهو على قيد الحياة ولكنه مسجون فعند ذلك بكى المقدم ابراهيم وقال يا ملكنا لو اعلم أنه هو فى أى البلاد كنت سرت اليه ولا أعود إلا به ولو كان آخر يوم من عمرى وها أنت يا ملكنا تخبر أنك رأيته مناما وأنت معصوم من الشيطان لانك لا تنام إلا وأنت طاهر فياهل ترى رأيت صورة البلد التى هو فيها قال السلطان نعم فقال ابراهيم أما البلاد التى على البر فما تخفى علينا وأما الذى على البحر فما يعلم بها إلا القبطان الذى يورد عليها قال السلطان قبطان الاسلام أبو بكر البطرنى وهو الذى عنده كتاب البحر ويعرف المدائن والقرى والسواحل والمدن لا بد من حضوره ثم انه كتب كتاب إلى أبو بكر البطرنى يأمره بالحضور وقال لا تقرأ هذا الكتاب إلا وأنت قادم على مصر دون عايق يبقيك وأرسله مع المقدم سعد إلى الاسكندرية فخرج مثل الطير الطائر ووصل إلى الاسكندرية ودخل على أبو بكر البطرنى وأعلمه بان السلطان طالبه فقال سمعا وطاعة وتوجه من وقته وساعته على البر وطلع إلى قدام المؤمنين وخدم وترجم وفصح ما به تكلم فرفع السلطان رأسه وقال له أى مدينة لها مينتين مينة عمار ومينة خراب اعلمنى عنها فصار يكرر عليه البلاد السواحل فتضايق السلطان وقال له اين كتاب الفهرست الذى فيه صور البلاد التى على المالح بلد بلد فقال يا مولاى موجود وغاب وعاد ومعه كتاب كبير فيه جميع ما حول المالح من البلاد عرب وعجم وافرنج وروم وغيرهم فقال له اقرأ لى بلد بلد فصار البطرنى يقرأ حتى يأتى على حد القيطلان فقال السلطان لم رأيتها فى هذه المدن فعاد الكتاب ثانيا وثالثا وهو يخفى مدينة القيطلان فاغتاظ السلطان وأخذ منه الكتاب وقرأ ورقة ورقة حتى أتى إلى مدينة القيطلان وقال يا قبطان الاسلام هذه المدينة التى رأيتها فى المنام ورأيت المقدم معروف بن حجر فيها مسجون فقال أبو بكر البطرنى يا مولانا هذه مدينة القيطلان وأنا يا ملك الاسلام لا أقدر على دخولها الآن لى فيها خصم وغريم وهم أولاد الزير القيطلانى والسبب فى ذلك يا مولانا السلطان أن الزير القيطلانى أنا قاتله ولى حديث عجيب والسبب فى ذلك أن الزير القيطلانى كان جبارا وكان لمولاى أبو بكر البطرنى خصما للزير القيطلانى حتى انه أحرمه أن ينزل البحر وضاقت عليه الدنيا حتى تربت له على قلبه علة كبيرة وأقام ملازم الوسادة مدة طويلة وكان أبو بكر

صغير ولما راى ابوه انقطع عن البحر فشاوره ان يعمل له شوطية فى البحر لاجل انه يصطاد فيها سمك فقال له يا ولدى اخاف عليك من الزير القيطلانى فقال له يا ابى يحمينى منه ربى واصطنع له شوطية وبقى يتصيد واجتمع عليه جماعة مثالة من اولاد المغاربة حتى بقوا ثلاثين نفر وصاروا يتصيدوا فمدة ايام الى يوم هم فى البحر يتصيدون وإذا بغليون الزير القيطلانى اخذهم اسارى واخذوا مراكبهم واروهم فى العنبر لانهم اطفال وعادوا طالبين القيطلانى فانتبه ابو بكر ليلة من الليالى فراى النصارى نايمين سكارى فعاد إلى اصحابه وقال لهم يا اولاد عيشة بعتوا روحكم فى الجهاد فقالوا بعنا يا سيدى فأمرهم يطلعوا من عنبر الغليون وكلا منهم اخذ له سيف من سيوف الكفار واول ما فعل ابو بكر ذبح الزير القيطلانى وذبحوا بعده كلما كان فى الغليون وعادوا فرحانين إلى بطرنه وقدم الراس ابو بكر لابوه خطاب فشفى من علته وكسر الغليون وصنعة غراب وسماه الغراب المنصور وجرى ما جرى وإلى الآن ابو بكر البطرنى يتوقف من سفره على القيطلانى وهذا سبب عدم سفرى يا مولانى إلى تلك المدينة فلما سمع الملك الظاهر ذلك الكلام قال له يا خاين إذا كان هذا عذرك لاى شىء لم اعلمتنى به حتى كنت اقاله وادب فيه غيرك ومن حيث انك والست على وتنكر معرفة البلد ونافقت ولولا انا عرفت البلد وإلا كنت دايما تنكرها عنى هذا يدل على انك منافق وانا وحق من اولانى رقاب العباد إذا لم تسير إلى القيطلان وتكشف لى اخبار المقدم معروف بن حجر فى هذه البلد حتى اننى اتسبب فى خلاصه وإلا اقطع راسك قال البطرنى يا مولانا اسافر على الراس والعين مطيعا لامرك

إذا ما اتتنا المنية بلادنا سعينا ورحنا للمنية بلادها

ثم ان البطرنى خرج من قدام السلطان وتوجه إلى الاسكندرية واصلح شأن الغراب المنصور ولقب المراسى وطلب مأوات البحر العجاج ايام طويلة حتى وصل إلى جزيرة المرانص فخرج عليه ريح اسمه قاسم جون فكسر عرنوص من بعض عرانيص الغراب فمال على تلك الجزيرة لاجل ان يأخذ له منها عرنوص ولاجل القضاء والقدر ان كبير القيطلان كان فى تلك الجزيرة رابط بأربع غلايين حربية فاحتاطوا به من يمين وشمال وخلف وامام حتى ان الغليون منهم يضرب جله واحده وابو بكر يضرب اربعة ولا يمكنه الخلاص منهم لكون الغراب ناقص عرنوص وفرغت منه الجبخانة وأطبقوا عليه وشكروا فى الغراب الكلاليب فقاتل ابو بكر والمغاربة حتى اثخن بالجراح اخذوه اسير واخذوا الغراب المنصور وجميع من فيه المغاربة اسارى وسفروهم إلى القيطلان ووضع ابو بكر فى مطموره وسجن باقى المغاربة فى سجن

وحدهم لما علم انه قاتل ابوه فأراد ان يجمع اخوته كنوبر وعبد الصليب يحضرهم ويذبح ابو بكر بين ايديهم فى ثار ابيه وفضل البطرنى فى المطمورة على راى الذى قال :

يامن غره جهله وزود فى الدجى نوحه   كان خالص صبح حواك اشتكى روحه

سيقع له كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[قال الراوى] واعجب ما وقع ان الملك الظاهر يوم من الايام بالديوان واذا بنجاب طالع من باب الديوان يقول نعم يا ملك الاسلام الله حافظك الله ناصرك الله يأخذ بيدك الى جنات النعيم قال المقدم ابراهيم من اين يا نجاب قال :

عرج ركابك عن دمشق فانها   بلد تذل لها الاسود وتخضع

ما بين جبهتها رباب يريدها   قمر يغيب والف شمس تطلع

انا من دمشق ومعى كتاب الى ملك الاسلام والكتاب يغنى عن الكلام فاخذ ابراهيم الكتاب وقدمه للسلطان فامر بقراءته فاخذه مقرىء الديوان وفرده وقراه واذا فيه :

مهد القلب حبكم   واشتها دوم قربكم   لو رايتم مكانكم

فى فؤادى لسركم   قصروا مدة الجفا   طول الله عمركم

من حضرة العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب الى ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالبند والعلم اعلم يا ملك الاسلام أنا عبدك عيسى شرف الدين الناصر باشة الشام من أمس تاريخ هذا الكتاب حضر لنا واحد تاجر يذهب معاملة خلاف معاملة السلطان وسكة مختلفة فسألت عنه من أين ذلك فعرفنى أن واحد فداوى أرسل اثنين بشلك الذهب فنزلت بنفسى صحبة الخواجة الى السوق وهجمت على الاثنين قبضت واحد والثانى هرب ووضعت الذى قبضته فى السجن وفى الليل أتانى واحد ضربنى الف سوط وأخذ منى الف دينار وأمرنى أن أطلق تابعه فى الصباح بعد ما أخلع عليه وان خالفت حلف انه يأتى الليلة القابلة ويذبحنى فاطلقت تبعه خوفا منه وكتبت هذا الكتاب لحضرة مولانا أدركنا بسيفك المسنون وامرك المكنون وجوادك الميمون أدركنا والا فارسل لنا من يدركنا الامر أمرك أطال الله عمرك والسلام فلما سمع الجواب امتزج بالغضب وقال هكذا يجرى فى بلاد الاسلام فى زمن دولتى ولكن ان شاء الله الرحمن الرحيم لابد لى أن أروح الشام وانظر ذلك الفداوى كيف يتجارى على تلك الفعال واجازيه بما يستحق باذن

الملك المتعال ثم انه أحضر السعيد ولده وأجلسه على تخت مصر واوصاه ان يحكم بالعدل والانصاف وأخذ ابراهيم وسعد فقط وركب فى عصارى ذلك النهار هذا جرى للملك الظاهر وأما النجاب فان السلطان أمره أن يعود إلى من أرسله ويعلمه أن الملك قائم عن قريب وكانه السبب فى ذلك شيء عجيب وأمر مطرب بديع غريب وهو انه لما حكم شيحة الحيل على رجاله كتب حجة وبعد ما أطاعته الرجال ظهر فداوى من اللجج مقدم على الخير يقدم فارس غشمشم بحرمدان مهندم معه الابرة والمرهم لتقطب الجرح المعظم فداوى كالأسد يفاوى كم جد تقاوى صدر من صدور بنو اسماعيل الملك الأفخر اسمه عماد الدين علقم وهو ابن أخت معروف بن حجر وابن خالة المقدم ابراهيم بن حسن والمقدم سعد ولما وصل إلى حصن صهيون ونظر إلى القلعه وشاف أثر المقدم جمال الدين شيحة فسأل من رجال الحصن عن خاله فاعلموه أنه لم ظهر وسأل عن السلطنة فأخبروه بالمقدم جمال الدين وأوصافه قال معزول ومن لم يقول معزول ادعور قرعته

فقالوا جميعا معزول يا خوند قال والظاهر كان معزول لكونه يولى على القلاع مثل هذا الرجل ثم انه أحضر جانب ذهب وأمر الحدادين صنعوا له سكة لأجل المعاملة وبعد ذلك دق جانب ذهب من مصاغ وأرسل اثنين اتباع وأمرهم أن يشتروا بضائع من الشام وأن يدفعوا ذلك الدنانير للتجار فراحوا إلى الشام والتجار أعلموا الباشا فركب بنفسه وقبض واحد والثانى ركب وهرب ووصل صهيون وأعلم المقدم عماد فأتى إلى الشام ودخل ليلا وطلع على الباشا من خلف سرايته على المفرد وقبض عليه وضربه الف كرباج على ظهره وقال له بعد ذلك هات الف دينار وأنا أنزل وأتركك بلا موت ولكن بشرط انك تصبح تنعم على تبعى وتطلقه بامان وان ما اطلقته والاسم الأعظم اجيبك الليلة الآتية اذبحك ولو تكون فى حصن حريمك يا [illegible] تركه ونزل فقام الباشا الصبح احضر التبع وانعم عليه واطلقه وكتب للسلطان كما ذكرنا وسافر السلطان قاصد الشام معه ابراهيم وسعد حتى وصل إلى خانة سى على ابن علم ونزل لأجل الراحة فى تلك الغابة [illegible] القيلة فى ظلها [illegible] نظر السلطان إذا برجل فى قلب الغابة يقلع الأشجار الناشفة [illegible] يأتى إلى الشجرة البالغة الجسيمة ويهزها بهمته يمينا ويسار ويرفعها برجله [illegible] من [illegible] إلى الأرض قال السلطان ماشاء الله انظر يا مقدم ابراهيم فى عزم [illegible] [illegible] ابراهيم [illegible] يا ملك [illegible] الذى نحن قاصدين اليه هذا المقدم عماد [illegible] قال [illegible] هذا الظاهر [illegible] شيحة [illegible] أرخص [illegible] يقرى [illegible] مكتب [illegible] الأسد الغشمشم المقدم

عماد الدين علقم فقال السلطان إذا خرج علينا ونحن واقفين نهرب يعني منه ونهرب أنت وسعد وأنا اتلقاه واصبر إلى ملتقاه فقال المقدم إبراهيم يا ملك كيف نهرب أنا وسعد ونترك خادم الحرم يلتقى كلب مثل عماد الدين علقم والله ما يقدر يصل اليك ما دام فينا خافقة تخفق فقال السلطان أنت ما خفت منه قال إبراهيم فشر والله لو اجتمع هو والف من أمثاله أنا لهم كفيل وحق رب البريه مع أنه ابن خالتي ولكن ما دام عاصى على مولانا السلطان والحاج شيحة فانا خصمه ولا أعرفه والقرابه تدخل فى العداوة وأما أنا عبدك يا ملكنا اضرب بين يديك ولم اتاخر ولم أبخل بروحي عليك بينما هم كذلك وإذا بالفداوى نظر اليهم فلما رآهم تقدم إلى ناحيتهم وابداهم بالسلام فردوا سلامه عليه فقال للملك الظاهر بالسلامة يا دولتلى قال الملك الله يسلمك فقال له شرفت ارض الشام ثم تقدم وسلم على ابراهيم وسعد وقال ياملك الدولة إلى أين العزم قال السلطان إلى حضرتك لانه بلغنى عنك انك اغراك جهلك يا عماد وعملت مسكة معاملة واردت أن تمشيها فى الشام وتجاريت على باشة الشام فلما علمت ذلك قلت اطلع اتسلى أنا وأولاد خالتك وإذا قابلتك امنعك عن فعل القبيح لانى أعلم انك عاقل وثانيا يجب على اكرامك لانك فيك روايح خالك المقدم معروف ابن جمر هذا كان سبب قدومى إلى هذا المكان فقال المقدم عماد الدين ياملك إذا كان قدومك لاجلى أنا بقى سير معى إلى حصن صهيون حتى استأنس برؤيتك واتسلى بمنادمتك واتشرف بخدمتك ولا تؤاخذنى ياملك فى ذلك فان المثل يقال لا يعاد ولا ندم سعى الموالى إلى الخدم وربنا يحب جبر الخواطر فقال الملك وهو كذلك سير قدامنا فسار عماد الدين والسلطان وابراهيم وسعد حتى قربوا من حصن صهيون وطرد عماد حجرته حتى وصل إلى حصن صهيون ودخل القلعة وأمر الطبجى أن يضرب مدافع شنك لقدوم ملك الاسلام بقا هنا القول يختلف على شرحين قول أن المقدم عماد أمر الطبجى ضرب ثلاث مدافع على الثلاثه القادمين وقول أن الطبجى ادرعى وفعل ذلك بغير أمر المقدم عماد واخذ نيشان على الثلاثة وضرب المدافع سوى فكان ابراهيم باله من الصوز فجذب السلطان وقال انزل يا ملك فنزلوا الاثنين الى الارض كان ذلك سببا لنجاتهم واما الجلتين اخذوا السرجين من على ظهور الخيل هذا جرى للسلطان وابراهيم واما المقدم سعد فقفز قدام الجله واخلى لها طريق وتبعها فى البر حتى لحقها وصبر حتى بردت وحملها واتى بها ولما افاق السلطان على نفسه نظر الى ابراهيم وقال له أين المقدم سعد فقال ابراهيم تعيش يا ملكنا أن الجلة الثالثة أخذته واظن انه ماعاد له كفنة فقال السلطان لاحول ولا قوة الا بالله

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهم كذلك وسعد مقبل والجلة فى يده باردة قال إبراهيم بالسلامة يا سعد قال سعد الله يسلمك هذه ضيافة ابن خالتنا الله لا يرحم خالتنا ولا اللى خلفت خالتنا فقال السلطان دعونا من هذا الكلام وأنا مرادى أتوجه إلى الشام ولا بقيت أجى على هذا الخائن إلا بالعساكر والرجال حتى أوريه عقب بغيه فقال المقدم إبراهيم ياملكنا كيف نروح الشام وليس لى مقدرة على ركوب حجرتى من غير سرج قال السلطان وأنا كذلك لكن يا إبراهيم روح دور لنا على سرج تركب عليه واحد لى وواحد لك قال إبراهيم ياملك اين يكون سوق السروجية من حصن صهيون ولكن لأجل الضروريات أنا أسير لانى أعرف أن هنا قريب نجع عرب لعلى أرى أحدا عنده سرجين حتى نشتريهم منه بالثمن ثم سار إبراهيم حتى بعد عن السلطان فاعترضه بدوى راكب على ناقة ومعه سرجين مثل الذين عدموا منهم فقال إبراهيم كأنهم سروجنا ثم أنه نظر الى البدوى وصاح عليه فأقبل وهو راكب على الناقة وقال له يا شيخ غلامك فقال ابراهيم اعطينى هذين السرجين فقال البدوى اشترى وأنا أبيع لك فقال إبراهيم سير معى إلى المشترى وأنا سمسار فاذا سألك المشترى عن ثمنهم فقل له بألف دينار يعطيك ألف دينار اعطينى النصف وخذ أنت النصف خمسمائة فقال البدوى طيب ياشيخ فقال له إبراهيم أنت ظاهر عليك أنك رجل صالح يكفيك ربعمائة وأنا ستمائة فقال البدوى طيب فقال إبراهيم يكفيك مائتان وأنا ثمانمائة فقل لى طيب قال إبراهيم أنت خذ مائة وأنا تسعمائة فقال البدوى طيب ومادام إبراهيم ينقص حتى انتهى الحال على دينار واحد للبدوى وتسعمائة وتسعين للمقدم إبراهيم هذا والبدوى يقول طيب يا شيخ حتى بقى قدام السلطان فوضع سرج على حصان السلطان حكم قدره لا زاد ولا نقص والثانى على حجرة إبراهيم كذلك على قدرها فقال السلطان اطلب الثمن يا بدوى حتى اعطى لك كلما طلبت فقال البدوى اطلب ألف كرباج فقال السلطان لاى شيء فقال هذا نذر على لا أبيعهم إلا بألف كرباج فلا تبطل نذرى والا أعطينى سروجى فقال السلطان وهو كذلك أمسكه يا سعد حتى اضربه ألف كرباج فقال البدوى أنا لى واحد والباقى لشريكى فقال ابراهيم فسخت الشركة ياشيخ اقبض أنت حقك ما بقيت أشاركك فقال البدوى ياعجب شاركتنى على طبرية فقال ابراهيم اسم الله على العرب اللى أنت منها ياحاج شيحة من أين جبت السروج ومتى وصلت إلى ذلك المكان فقال المقدم جمال الدين وإيش الذى جاب مولانا السلطان الى هنا فأحكى له على عماد وأفعاله بالشام ولما أتيت عرضى أن أدخل معه الى قلعته

وضربني بالمدافع فقال شيحة يا ملك الخصم لا يؤتمن وانما عود يا ملك الى الشام وارسل هات عسكرك وحط على حصن صهيون فان عماد ما هو طالبني وحدي بل طالبني وطالبك لانه طالب خدمة الحرمين وسلطنة الحصونين فقال السلطان وهو كذلك وكتب كتاب واعطاه لسعد وامره أن يوصله للوزير يأتيه بالعساكر على قلعة صهيون فأجاب بالسمع والطاعة ورجع الملك الى الشام وأقام حتى أتى له المقدم سعد وأعلمه ان العرضي قدم من مصر فركب السلطان وأخذ المقدم ابراهيم وسعد وسار قاصد العرضي وركب وسار حتى حط على حصن صهيون ونظر المقدم عماد الدين عرضي السلطان قادم عليه فصبر حتى نصبت الخيام وأركزت الاعلام وفتح باب القلعة وخرج وهو غايص في لامته ومقفل في عدته ومتقلد بشاكريته ودفع حجرته حتى سار قدام العرضي وصال وجال ولعب على ظهر حجرته يمينا وشمالا ونادى وقال ميدان يا ظاهر ميدان يا امارة ظاهرية ميدان يا مقادم اسماعيلية وأدرعية ميدان يا أكراد أيوبية ميدان يا دولة الظاهرية يا محاذرين أديانكم بكمياتكم فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس الف لفارس وان أردتم الجور والاسراف وتركتم الانصاف احملوا جميعكم فرد حمله حتى القاكم صفا صفا وافنيكم الفا الفا من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فاني خفي أنا المقدم عماد الدين علقم الحرب يا طلابة قال الملك قم يا أمير أيدمر فقال الوزير يا ملك أين يروح أيدمر مع هذا الفداوي الجبار تريد تقاتل السبع بالغنم هذا غير واجب هذا لا يقاومه الا أمثاله فقال له الملك يا دوادار وزيرا ما تعلم ان الحرب غالب ومغلوب قال الوزير صدقت يا ملك ولكن ايش الفائدة تبهدل عسكرك مع هذا الجبار فقال السلطان وإيش تريد أنت ان أعمل فقال هذا لا يقاومه الا بنو إسماعيل قال السلطان أنا أقول أن بنوا اسماعيل يخشوا بأسه لكونه ابن عمهم وكذلك ابراهيم يقول هذا ابن خالتي فقال ابراهيم لا يا ملك الاسلام أنا ما أقول ان لي ابن خالة [illegible] في دولتك [illegible] الحاج شيحة والاسم الاعظم ان أمرتني فما ينزل اليه أولا الا أنا فقال السلطان [illegible] الحرب حتى يبان لي صدق قولك قال ابراهيم سمعا وطاعة [illegible] حجرتي يا ابن الشباح فقدم له الحجرة فركب على ظهرها بعد ان البس عدته وتقلد بشاكريته وخرج [illegible] الميدان [illegible] كأنه جلة من الجلال وقطعة من جبل أو قضاء الله اذا انحدر وقال [illegible] الميدان [illegible] له [illegible] اذا به ابن خالته فقال [illegible] وأنت يا [illegible] تريد تحاربني [illegible] كأن [illegible] عليك [illegible] في الخلا [illegible] غلك [illegible] بلقى [illegible]

بشيء من الفروسية ولكن أين الثرى من الثريا هذا أمل بعيد فقال ابراهيم بطل كثرة الكلام والله مالم تطيع الحاج شيحة ماأعرفك ولاأعرف خالات ولا أعمام ولا لك عندى الا الحرب والصدام وضرب الحسام فقال عماد الدين والله يا ابن حوران لقد لعب العجب بطفيك فى هذا النهار لابدلى ان أخرج هذا العجب من رأسك وأفصل بهذا الحسام رأسك وأهدم أساسك ذلك انطبق المقدم إبراهيم على المقدم عماد انطباق وتساووا فى الحرب والصدام وبطل العتب والملام وقل بينهم الكلام واشتد بينهم الخصام ونهروا كأنهم أسود الآكام وزادت نيران الحرب بينهم وقود واضرام وتماسكوا السيوف وضربوا بعضهم بلا رعب ولاخوف وشخصت لفاعلهما الصفوف وبقى على أشداقهم كالقطن المندوف وجاءت منهم الخين وزعق على رؤوسهم غراب البين وتجاذبوا بالزندين وزاد بينهم الطلق وجرى على أجسادهم العرق وتمنا كلا منهم انه لا يخلق وطال بينهما المطال ويقنوا لاعمارهم بالزوال ونظرا عماد الدين علقم الى المقدم ابراهيم ابن حسن فوجده نار لاتصطلى وجبلا كلما قاربه شمخ وعلى فعلم أنه مخاطر بنفسه معاه ولولا أنه ابن خالته والا كان المقدم ابراهيم قتله وأعدم مهجته فعندها أخفى المقدم عماد الكمد وأظهر الصبر والجلد ووقف فى ركابه وضرب ابراهيم بالشاكرية ضربة مشبعة تمام فضيعها سبع الاسلام ووقف فى ركابه وقفة الاسد الغضبان ومد الى عماد زند ملان تقوى وايمان وقبض على خناقه كما يقبض الجارح أضعف الحمام وصرخ ياسيدى رسلان ياغفير الشام وتمطى بعزمه والاجتهاد وأراد ان يأسر المقدم عماد واذا بالمقدم جمال الدين جنب ركابه وهو يقول له لاتفعل ذلك ياأبو خليل وتكسر حرمة هذا الفارس بين الابطال المسميه وان كان صدك فاتركه لى مثل الهدية فرفع ابراهيم يده من خناق عماد الدين وانحنى على قربوص حجرته وصاح هى طاعة الخوند لك حتى تقوم الجبال فى مأوات البحار أنا عدو لمن تمادى وصديق لمن تصادق أى والاسم الاعظم فقال له عماد الدين مرحبا بك مرحبا وأهلا وسهلا حيث أنك أطلعتنى وضربت الاطاعة لى فما بقى يصيبك الا السلامة فقال المقدم ابرهيم اصحى من عقلك أنا ماضربت الاطاعة لك أنا بطيع الذى فى هذه الليلة يسلخك ويحشى جلدك ساس ويعلقه على حصن صهيول اعقل يامجنون قال له المقدم عماد من الذى يسلخنى قال إبراهيم الذى سلخ من قبلك كل أدرعى جبار قال عماد مين هذا قال الذى ضربه النسر بن عجبور سبع علق رمات وأراد ان يدفنه سرق الكفن ومرق وعاد عليه أخذه بقى على أكتافه سور القيقيول عماد مين هو قال ابراهيم الذى ضيعته أنا فى حوران وأخذ رأسه لصقه على جثته وعاد كأنه جنى أو شيطان قال عماد حيرتنى ايش اسمه قال ابراهيم لا تكثر حكيك

كم ضيغم خاف بأسي صارم من خيلي   وصوروني النصارى في كنايسهم

اسمي المقدم جمال الدين أبا الحيل

قال المقدم عماد أنت شيحة الذي يقولوا عنك قال له نعم قال عماد يا حاج شيحة أنا ما كنت أظن فيك إلا أنك شيء كبير ومن حيث أن هذا فعالك بقيت كلا شيء بحتى أتيت مثل كنخين ودققت الحيلة وأنا عنك غفلان وأما لو كنت حاذر منك لم كان يمكنك تقبضني ولو كان تلحق ماتلحق وإنما إن كان فيك همة أقبضني ثانيا وأنا مستيقظ منك وافتخر بقبضتي قدام بنو إسماعيل وأما أول أنا لم كنت عارفك ولا مستيقظ منك فقال المقدم جمال الدين يامقدم عماد أنا أقدر أقبضك في ليلة واحدة ثلاث مرات

فقال عماد اشرط فقال شيحة يا ملك الساعة قدر إيش قال الملك أول الثالثة قال شيحة أنا أقبضك ياعماد سبع مرات في سبع ساعات ولا تفرغ هذه الليلة إلا وأنا ماسكك سبع مرات فقال عماد إذا فعلت ذلك أطيعك قال شيحة وأنا إن لم أقبضك سبع مرات أبقى أنا معزول وانت تكون سلطان القلاع فقال عماد أول أطلقني فأطلقه وقام عماد الدين من قدام السلطان يتعجب من فعل شيحة وما دام سائر حتى وصل باب القلعة فطرق الباب .

فقال البواب من الطارق في جنح الليل الغاسق فقال ماهو المقدم عماد ففتح الباب وقال له قبضته قال من هو قال البواب الذي كان على الباب في هذا الوقت دخل رجل وقال افتح لي أنا شيحة ومرامي أدخل القلعة والعب مع المقدم عماد ملعوب فقال عماد وأين مرق قال له على جهة البستان فقال إلى حيث ألقت رحلها ام قشعم أنا هنا أقعد حتى يطلع النهار ثم انه قعد وإذا بالبواب طلع جربنديته وأخرج منها دجاجتين محمرتين ورغيفين خاص وقعد ووضعهم بين يديه وأراد أن يأكل فقال عماد إيش هذا ياشيخ

فقال البواب يا خوند هذا عشايه

فقال عماد هات منه أنا كان لهذا الوقت ما أكلت .

فقال البواب احنا أكلنا أكل فقرا مايصلح للملوك وأنت ملك .

فقال عماد لاتكثر الكلام يا قرن ومد يده أخذ الدجاجة ورغيف وكسر لقمة وقطع قطعة من الدجاجة وأكل قال وانقلب فكتفه البواب وأخذه وسار به إلى عرضي السلطان قال إبراهيم من عندك يا بواب قال على رسلك ودخل إلى قدام السلطان وفيق عماد فنظر إلى شيحة وقال أنت كنت البواب وأين رديت البواب قال له نايم ورا البوابة فقال هي واحدة اطلقني فاطلقه عماد وسارا إلى باب القلعة فرآه مفتوح فدخل رأى البواب مبنج خلف البوابة فتقدم اليه فيقه وقال له يا قرن ينجك شيحة وقعد لي

فى صفتك حتى أوقعنى بسببك فقال البواب والله ياخوند أناشيحة مايتخيب على ولكن ما كنت واخد بالى وأما من الآن إذا أراد الدخول فى القلعة لا بد من قبضه .

فقال عماد وما أنا قاعدمعك فقام البواب وأحضر منقدحار وولع فيه نارا وأراد أن يتدفا فقال عماد النار فاكهة الشتا وتقدم إلى النار وإذا بالدخان طلع عليه فتبنج وقبض عليه وعاده إلى المرضى وفيقه وقال له هذه الثانية وأطلقه فصار إلى باب القلعة فوجده مفتوح فدخل ولم يسال البواب وسار إلى ان دخل حريمه وطلب الابريق ايزيل ضرورة فطلعت الجارية وناولته الابريق وقالت ياسيدى مارايت الابريق تكلم إلا فى هذه الساعة .

فقال لها إيش يقول قالت يقول امسكينى طيب اناسلطان القلاع فقال عماد معزول يا قرن وطرق الابريق فى الأرض كسره فخرجت منه رائحة زكية فشمها عماد انقلب كتفته الجارية وحملته إلى مرضى السلطان قال إبراهيم من عندك يا جارية .

قالت على رسلك وقدمه قدام السلطان قال عماد بقوا ثلاثة فاطلقه فعاد إلى القلعة رأى القلعة مقفولة فجاء من خلف القلعة وارى المفرد وطلع راى بعض الفقرا نايمه والبعض قايم فسال كبير الفقرا وقال له كيف طلعت انا وما منعتنى

فقال يا خوند انا اعرف المفرد بتاعك فكيف امنع سلطاننا من طلوع اسوارنا وانت لاى شيء جئت من الصور قال عماد اما دخولى من الصور فانه من هذا القصير الذى كلما اتى إلى الباب ارى شيحة قاعد فيه وهو البواب وهذا مضايق حطيرق

قال له يا خوند وهذا شيحة يعيقك وانت سلطان الدنيا قال عماد لا بد من قبضه قال له ماقال لك انا شيحة عند ماقابلك قال عماد قال ولكنى انا مابفتكر فى كلامه وأراد عماد يجلس قال له الفقير يا خوند إن كان تريد تغلب شيحة اقعد معى حتى يطلع النهار ويكون شيحة ما قبضك تاخذ السلطنة منه فقعد المقدم عماد قدام الفقير يكبي النوم وميل فخذه وسيب ريح لكن بصنعة ورائحته منتنة قال عماد فكتفه الفقير ووضعه قدام السلطان فلما افاق عماد وراى شيحة قال له حتى من جيبك تطلع البنج ياشيحة قال شيحة اى م اغلب به العب به وانت ياأخى قلب دماغك إلا ذلك الجبص الذى اوقعك بقوا كام قال عماد أربعة فأطلقه فترك عماد القلعة وقال هذه كلها شرح ما أدخلها ثم انه سـار إلى بستان جنب القلعة ودخل البستان رأى البستانى معه ثور يعلقه ليحرث به الأرض قال عماد يا شيخ حتى يطلع النهار وابقى احرث قال يا خوند هذه الأرض التى أريد أحرثها البقلة وان ايام الحراث

قرب فراغها وأنا قصدى اتمام هذه القصبة قال عماد رايت أحدا جاز على البستان في هذه الليلة قال ياخوند لم مر على إلا رجل مرق قاصد نحو القلعة ويقول انا شيحة وهو عماد ولا بد من قبضه على أى حال كان قال عماد ليش ما قبضته قال ياخوند إذا أردت اقبضه ما الحقه لأنه مرق بالجرى قال عماد انا الحقه وجرى عماد قاصد القلعة فسمع صوت البستانى مكتف ومضروب في رأسه ضربا قاسيا والدم سائل على بدنه قال من ضربك قال ياخوند ذاك الذى قال أنا شيحة اسقينى دخيلك قال عماد سقاك البلاء يا قرن انت وشيحة سوى ثم تقدم عماد ليقطع له رأسه وإذ بالجرح يخرج دما سائلا غابر والبستانى مد يده على وجهه بتمفينة بنج أرماه وكتفه وأخذه للسلطان وفوقه وقال له بقوا خمسة قال عماد الدين خمسة وعاد عماد ودخل حريمه فالتقى أمه اللبوة والكاسرة فقال لها يالبوة انت والدتى ولا احتفلتى فقالت له أمه كأنك جنيت ياعماد حتى ما بقى لك عقل أيش هذا الكلام فقال يالبوة شيحة قبضنى فى هذه الليلة خمس مرات فقالت يا ولدى أنا شيحة لا أرضى لك أن تعارضه فانه طاعته الرجال قهرا عنهم وإن عارضته تتعب أدخل انعس فى هذا الفراش حتى يطلع النهار أنا شيحة أنده عليه وأصالحك معه على أى حال قال عماد فشر والله ما أطيعه ولا أقبل كلام أحد ما دمت أملك شاكريتى بيدى اسقينى يا لبوة فأعطته القلة فشرب وقع كتفته وأخذته للسلطان وفوقه نطر عماد إلى شيحة وقال له كان الحريم ياقرن فقال شيحة أنا أدخل بين اللحم والعظم بقوا كام نوبة قال ستة فأطلقه وسار حتى دخل قاعة الحريم فرأى الحريمات كلهم نائمين فنزل على زوجته وقال الصواب أنى أجامع زوجتى فان كانت شيحة يكون لها ذكر ثم جامعها فلم يجد إلا هى فقام من على صدرها ودخل الحمام فالتفت فرأى جارية واقفة بين يديه فقال لها انت شيحة قالت له يا سيدى أنا جاريتك خداع كيف تجعلنى أنا شيحة فقال عماد أما من جهة اسمك خداع صحيح ولكن أنا ما يدخل على وإنما أنا لم أقدر أتلفظ وأنا عرفتك ياقرن فكبت الجارية الماء على وجهه فساح على رأسه وفمه فانقلب أزال عنه ما كان به من الحدث الأكبر وأخذه القدام السلطان ولما أفاق قال يا شيحة لولا عذرى كنت حلفتك وقبضت عليك قال شيحة هذه السابعة يكفى هذيان والساعة التاسعة قال لا وحق من مرج البحرين وأنار القمرين ما أطيعك قط يا شيحة إلا اذا لاح بك ملعوب من الغيب يظهر فان افترست بى أطيعك وان افترست بك أخذت السلطنة

منك وتبقى انت من رجالى فقال المقدم جمال الدين رضيت بذلك ان كنت أنت تصدق فقال السلطان يامقدم عماد إذا كان الشرط يصير عليك وعلى المقدم جمال الدين فالرأى عندى أن تزيلوا من بينكم الأحقاد وتصفوا الوداد وتسير أنت معى إلى مصر تقيم عندى حتى يأتى من الغيب منصف وتبقى أنت والمقدم جمال الدين تلعبوا مع بعضكم وكل من افترس كانت السلطنة له والثانى يصير تبعا له فقال عماد يامليكنا أنا ايش بينى وبين شيحة من العداوة حتى أحقد عليه غير السلطنة

كل العداوة يرجى بها ظنك إلا عداوة من عاداك فى فنك

فقال السلطان يا مقدم جمال الدين أنا ضامن لك المقدم عماد الدين من الخيانة والغدر وانت كان لا تغدر به ولا تؤذيه فقال شيحة نعوذ بالله من المكر السيء والله لم أتسبب له بضرر أبداً ولا أغدر ولا أخون والله على ما أقول وكيل فقال عماد وأنا والاسم الأعظم لم أخون أحدا من دولة الاسلام لا شيحة ولا غيره فاصطلحوا على يد السلطان فقال عماد سيروا معى إلى القلعة حتى تأكلوا ضيافتى قال السلطان ضيافتك أكلناها سابقا مدافع قال عماد والاسم الأعظم لم كان ذلك إلا من الطبجى وأنا قطعت رأسه عندها سار الملك الظاهر معروف بأكابر دولته ودخلوا حصن صهيول وتذكر الملك الظاهر معروف بن جمر فبكى على فقده من هذه القلعة ثم ان عماد فتح له قاعة خاله معروف بن جمر ودخل السلطان والوزير وقلاوون الألفى وأيدمر البهلوان والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وكل من كان مع السلطان وجلس كلا فى مرتبته من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس ثم إن المقدم عماد الدين أمر باحضار الطعام أكل منه الخاص والعام ودار الحديث والكلام حتى اظلم الظلام طلبوا راحة الأجسام واتوضع الفراشات للمنام فكلا نام فى محله وأما الملك فكان فى قاعة معروف بن جمر ونام دونه الوزير وحولهم الامارة وبنى اسماعيل وأما عماد الدين فانه نام ما بين المقدم إبراهيم والمقدم سعد ولما نامت كل عين يقظانة ودنى الديجور وظهرت النجوم واطلع على عباده الحى القيوم وصاح الديك فى القاعة يا نائما مستغرقا فى المنام قم وانتبه ووحد الحى الذى لا ينام وهو الدائم على الدوام يدعوك لطاعته وأنت مشغول بطيب المنام وإذا بالمقدم عماد علقم قائما على قدميه وصاح جيتك يا خال معروف إيش بالخلاص أنا ابن أختك عماد الدين علقم فلما سمع صوت عماد الدين دويت القاعة أو كادت أن تتزلزل وقام كل من كان

نايم من الامراء وكذلك السلطان والوزير وأما بنو اسماعيل البعض أفاق والبعض نايم فقالت الاماريه ده فلاح خاين صل على النبي يافداوى عماد الدين على شان ايه تزعق كده هذا ونظر إبراهيم إلى عماد وقال يا ملكنا أما وهو باكى العين ودموعه على خدوده مثل حب اللجين

فقال السلطان يامقدام إيش الخبر فقال عماد يا ملك الاسلام من كان نايم وافق عماد الدين وهو باكى العين ودموعه على خدوده مثل حب اللجين

فقال السلطان يا مقدم ايش الخبر فقال عماد يا ملك الاسلام إيش اقول أنا فى هذه الليلة رأيت خالى المقدم معروف بن جمر وهو مسجون فى سجن مظلم تحت قاع البحر المالح فى بلد كبيره واسعة وبها ثلاث ملوك وهى على البحر ولها مينتين واحدة خراب والثانية عمار وفى مورانى فى اماكنها رأيت مطبخ وفيه حاق بير مظلم فنظرت فى ذلك البير خالى معروف وهو ينشد قصيدة كلها اللؤلؤ المنظوم فما حفظت منها إلا بيتين أو ثلاثة وهم

والليل عندى تساوى ولا انظر بعينى ضياء شمس ولا قمر
ولم أحد من بنو اسماعيل يدركنى ولا كانى حكمت فيهم مدى عمرى
وأين عينيك يا ابن الاخت ياعلقم يا فارس الملتقى يا قرة النظر

فلما سمعت ذلك ناديته جئت يا خال فانتبهت كما ترانى وأنا فى أسوأ حاله فقال السلطان آه

يا حسرتى بعد أحبابى ويا ندمى صابت فؤادى سهامات المنايا فرمى
وأصبح الحى خالى بعد فرقة من لى كان ركننا فعاد الركن منهدمى
يا دار هل تجمعنا بعد فرقتنا وهل أرى فيك جيران بذى سلم
أسألك يا خالق الدنيا باجمعها يا من يدوم وغير الله لم يدم
إنى دعوتك مضطرا ومبتهلا بجنح ليل شديد الداج والظلم
بحق أحمد رسول الله سيدنا خير الخلائق من عرب ومن عجم
تنعم على بوجه الاخ انظره معروف يامن هو معروف بالكرم
وأطلقه يا رب من أعدائه كرما وأعتقه من شدة الاسقام والالم
واجعله فى نصرة الاسلام مجتهدا مجاهدا فى سبيل الله مقتحمى
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا من جاءنا بالهدى والعلم والحكم

ثم ان السلطان قال يامقدم عماد ان المنام هذا أنا رأيت منام مثله وأنا فى مصر فارسلت

أبو بكر البطرنى يكشف أخباره وإلى الآن ما عاد وأنا والله مشغول على أبو بكر البطرنى وإنما الرأى عندى ان تسير معى إلى مصر حتى أننا نرسل خلف البطرنى من يقتفى أثره لعل الله سبحانه وتعالى يخلق الفرج من كبد الضيق فان الله على كل شيء قدير ثم انهم قضوا باقى ليلتهم بالحديث بمثل ذلك ولما أصبح الصباح أمر الملك العساكر بالرحيل وسافر وهو مشغول القلب على أبو بكر البطرنى فركب عماد الدين علقم صحبة السلطان حتى وصلوا إلى مصر ودخل السلطان فالتقاه الملك السعيد وقبل يده وجلس الملك على تخت المملكة إلى آخر النهار وكان ليلة جمعة وعاد إبراهيم وسعد يباتوا فى القاعة فاختشى إبراهيم أن يعزم عماد الدين قدام السلطان وعماد الدين نفسه عزيزة فلم ينزل مع إبراهيم فدخل السلطان قاعة الجلوس ودخل عماد معه

فلما حضر الطعام أكل عماد والسلطان سوى وبعد صلاة العشا كان السلطان قصده ان يطلع حريمه فقال يامقدم عماد انبسطت هاهنا فأنا قصدى دخول قال عماد يا ملكنا خذنى معك الحمام قال الملك سر فسار معه حتى بقوا الاثنين فى الحمام عادة السلطان ان تأتيه الجوار يخدموه ولكن مع حضور عماد فما أمكن نزول الجوار من الحريم فأخذ الحجر الخفاف بيده واراد ان يحك رجليه فتقدم عماد واخذ الخفاف ليحك رجلين الملك فاراد ان يمنعه فقال عماد والاسم الأعظم ما يحك رجليك إلا أنا فسلمه السلطان فحك له لكن حك جبر ومع الحك وهز عماد رجل السلطان ارتخت المحرمة من على صدر السلطان فنظر عماد سبع حصرات على قلب السلطان كل حصرة قدر الريال بلون الجمرات فصاح يا سيدى غوث يا ساكن حلب ايش هذا يا ملك الاسلام فنظر الملك إلى عماد وصرخ فيه صرخة جبار فقفز عماد الدين فدخلوا الطواشية اخرجوا عماد من قدام السلطان لبس ثيابه وطلع إلى برا السراية وأما الملك نزلوا الجوار خدموه حتى استحمى وطلع إلى محل نومه وقضى ليلته ولما كان عند الصباح احضر عماد الدين

فلما حضر قبل الأرض بادب فامر له الملك بالجلوس جلس وبعدما جلس مازجه السلطان لكون انه غريب وفات قلعته وقام عنده فلما علم عماد الدين ان السلطان يمازحه قال يا دولتلى سالتك بالله العظيم الذى خصك بالملك وصورك من ماء مهين ان تعفنى عن هذه الحصرات ما السبب فى تريتهم على بدنك وأنت ملك الاسلام وخادم البيت الحرام وفرس قبر سيدنا محمد المظلل بالغمام

فقال السلطان يامقدم عماد الدين لأى شيء تعافنى فقال عماد يجب على يا دولتلى كون انى بقيت خدامك ولا بد ما اسعى فى إزالتهم ولا ابقى لهم اثر فقال السلطان

واالله يا مقدم عماد ان كان تقدر على ذلك لم يبق لك نظير أبدا وانا أعلمك أول حصرة قربت لى لما اخذونى أعمامى من عند أبى وأمى فقربت لى حصرة والثانى لما أخفض محمود المسارع العجمى وباعنى إلى على بن الوراقة تربعت لى حصرة وعلمت أنى بعد الملك صرت مملوك والثالثة من على الدين لما رفصنى برجله وأنا ضعيف فى حمام برصة والرابعة اذا كنت أنا وحريمى فى الفراش أصبح أرى ورقة مكتوب فيها مما فعلناه أنا والملكة ولا اعلم من كتبها والخامسة هو أن منكطمر ملك العجم يقول ان قان العرب الظاهرى لعب قدامى فى الصراع وأخذ البقشيش منى والسادسة إذا كنت فى الشام وصليت فى جامع الامراء اطلع اركب الحصان أرى فردة ركابى مطبقة وفيها تذكرة يا ظاهر اليوم طبقت ركابك وغدا أطبق أضلاعك وأهلك جيوشك وانصر باعك وأما السابعة منك يا مقدم لما ضربتنى بالمدافع من حصن صهيول بلا ذنب فعلته معك وأنت مؤمن لم يكن لى يد تمتد عليك بسبب إسلامك وأما لو كنت كافر كنت حاربتك وجازيتك على ما فعلت وها أنا أعلمتك بسبب هؤلاء الحصرات

فقال عماد الدين يا ملك إذا طيبت لك هؤلاء تعطينى سلطنة الحصون فقال السلطان كلما تريد ولو تطلب خدمة الحرمين فقال عماد يا دولتلى اين أعمامك

قال أحدهم مات وأنا قتلت الذى قتله والثانى سامحته بعدما اعتذر واعترف بذنبه ومحمود المسارع قتلته وأخذت الصرة التى كان أخذها من على بن الوراقة ورديتها إلى مولاى الملك الصالح

فقال له وها أنا بين يديك إن قتلتنى فان دمى لك حلال وأنت برىء حرايما فعلت معك وإن عفوت عنى كانت الحصرة الثالثة زالت فقال الملك عفوت عنك فقال عماد أتمنى يا دولتلى أن تعطينى الحكم يوم واحد نصفه فى الديوان ونصفه فى سرايتك فقال السلطان لك ذلك ثم قام الملك وثانى الايام يوم السبت أجلس عماد

فقال عماد يا دولة الملك الظاهر رضيتونى أن أكون ملكا عليكم فقالوا له نعم إذا ملكتنا رضيك احنا كان رضيناك

فقال عماد الدين أول حكمى أعزل علاء الدين البيسرى وأحطه سايس طوالة حتى يتأدب ويكون عاقل فقال علاء الدين انت فلاح تعزل وتولى قال عماد امسكوا هذا الرجل يا بنو إسماعيل فجذبه إبراهيم قال عماد اقطع راسه يا حوارتى قال إبراهيم حاضر وحط يده على شاكريته وجذبها وقال دستور قال علاء الدين أنا فى عرض مولاى السلطان الملك الظاهر فقال عماد انت تعرف الظاهر يا قرن وانت الذى تعديت عليه وهو مريض فى حمام برصة فقال عماد الدين توبا يا بعض شاه فأمر السلطان

الوزير أن يقوم يشفع فيه فقام الوزير تشفع فيه وفكه وأخذه وقدمه للملك الظاهر فقبل رجله وبكى فعفى عنه السلطان

فقال عماد الدين مضى حكم الديوان وبقى حكم السراية يامولانا السلطان فجس السلطان على صدره فرأى زال أربع حصوات عن قلبه فقال أحسنت يا مقدم عماد ثم أخذه وطلع السراية أجاسه فامر عماد جميع النساء التى فى السراية تفوت من قدامه ففاتوا جميع وبعدهم فاتت جارية عليها بدلة جوهر وهى بديعة فى الجمال والجوار يحادوها فتطمع المقدم عماد وضربها بالشاكرية قسمها نصفين قال السلطان ليش يا مقدم عماد هذه بنت الملكة فقال عماد يا دولتلى انت خلفت بنات قال لا فقال الملك تزوجت غيرك قال لا فقال عماد وكيف هذه تكون بنت الملكة على أى وجه فقال الملك هذه أصلها هدية من عند القان هلاوون فنظرتها الملكة صغيرة وجميلة فادخلتها من تحت ذيلها وجعلتها بنتها فقال عماد أين محلها ومتاعها فأدخلوه إلى أوضتها وإذا ما ينوف عن ثلاثين كتات من عند هلاوون وبالجملة حق ملان سم خارق

فقال عماد يا ملكنا هذه بنت الملكة قال السلطان أعوذ بالله وأمر أن يحرقها وبعد ذلك قال عماد يا ملكنا اركب حتى أروح معك إلى الشام حتى أمسكك الذى يطبق ركابك وأجيب لك هلاوون يلعب قدامك وتعطيه انت الصدقة فقال إبراهيم أنا معك أروح حتى أتفرج قال سعد وأنا فأخذ السلطان الثلاثة عماد وابراهيم وسعد وتبعهم الاسطى عثمان وساروا حتى وصلوا إلى الشام وضربت المدافع لقدوم السلطان وأقام إلى يوم الجمعة وراح على الجامع الاموى وتبعه عماد الدين ودخل السلطان وعماد وقف ملازم باب الجامع ومنتظر حتى نظر الذى طبق الركاب وتبعه فرأى هذا فارس جبار طويل القامة إذا وقف إبراهيم بن حسن جنبه يحصل حزامه فقال المقدم عماد يا ماخلق ربنا جبابرة ثم تبعه فرآه طلع إلى باب الشام وحمل حزمة حطب كبيرة وقدم بها إلى منزل واحد حطاب أدخلها البيت فاعطاه الحطاب أربعين درهم فضه فسار عماد يتبعه حتى وصل إلى دكان طباخ أعطى له عشر دراهم فاحضر له قصعة ملانة ثريد وفوقها نصف خاروف فقعد على ركبتيه وصار يأكل حتى مسحها وقام تمشى وعاد إلى الطباخ فكشف له طابق فى الارض فحط يده على حلقه وتقايا كلما أكله وبعده قدم له الطباخ نصف خاروف محمر فى السمن قطع فاكله وسار فى طريقه جهة الخلا فعاد عماد الدين وقال يا دولتلى ها أنا عرفت خصمك فى غداة غد يفعل الله مايريد وبات عماد وأصبح طلع الخلا احتطب حزمة حطب بقدر مايشيل الفداوى ثلاث مرات ووضعها فنظر الفداوى إلى عماد وقال له من أين أنت يا صبى .

فقال يا خوند أنا رجل فقير وقصدى أتعيش من الحطب فقال هذه الشغلة لم أحد اختص
بها غيرى وأنت ايش الذى أقدمك لها أما أحد خوفك من المقدم نصير النمر فقال
يا خوند أنا أكون غلامك فقال مرحبا بك السوق كبير ثم قال له شيل حزمتك وتعال
معى حتى أنفعك فشال عماد حزمته وشال الفداوى حزمته ودخلوا الى بيت الحطاب
فأعطى الفداوى ثمن حزمته أربعة درهم وأعطى عماد عشر دراهم فقال الفداوى
اعطيه مال عشرة فقال حاضر يا خوند وأعطاه عشرة ثانية فقال الحطاب يا خوند
اذا كان فى غداة غد تعال بدرى لاجل أن تكسر لى الحطب الذى عندى حتى
أبيعه وروح الفداوى وعماد جاء الى السلطان وأعلمه بالخبر فأرسل باشة الشام
احضر الرجل الحطاب وأمره أن يأخذ السلطان وابراهيم وسعد ويخفيهم فى بيته
ولما كان ثانى الايام أدخل الفداوى بعد ما اجتمع مع المقدم عماد ومسك كل واحد
فاس وارادوا تكسير الخشب فوقف عماد الدين خلف ذلك الجبار ورفع يده بالفاس
وضربه ضربة صادقة وظن أنها تكون بعمره قاضية فلم يعبأ بها ولا التفت اليه
بل قال له صبي أعدل يدك لان الفاس وقعت من يدك فوق قال طيب يا خوند وصبر
برهة وضربه ضربة مثل الاولى فلم يلتفت له ولا عول عليه وفى الثالثة التفت وقال له
كانك عامد باقران وهذا ماهو فعل غلط وضربه بالفاس على صدره فأرماه وأراد
أن يثنى عليه فأدركه المقدم ابراهيم والمقدم سعد والسلطان وصاحوا عليه الثلاثة
فقال لهم اغبر اليوم يا قرون والتقاهم بالفاس الذى فى يده ضرب ابراهيم فزاغ عن
الضربة فأقدده لسلطان بالملت الدمشقى وأخذه على الفاس وضربه ابراهيم بالشاكرية
فأخذها على الفاس وساح الفداوى كالهيج فحول الجدل وما دام يأخذ معهم
ويعطى تمكن من باب الدار وضربه بالفاس فانكسر وطلع منه على حمية فتبعه
السلطان وعماد الدين والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وهم يطاردوه وهو يطاردهم
حتى طلع من الشام وطلب [illegible] والآن [illegible] يطاله سعد و [illegible] فرأى شخص
الموت فى مضربه [illegible] السلطان [illegible] له [illegible] لا فا [illegible] جل [illegible] الجماعة
[illegible] ى أثره [illegible] رجل [illegible] يش [illegible] سعب [illegible] طيره [illegible] المقدم
عماد يا [illegible] رجل [illegible] طريق [illegible] و أحضارى
[illegible] الشد [illegible] فتح لى [illegible] الارض [illegible] الدرب [illegible] جب [illegible]
[illegible] الدبر ايش [illegible] حتى [illegible]
[illegible] الفداوى [illegible]
[illegible] الدرويش ايش [illegible] أنا

شريكك على طبرية فقال ابراهيم بايش وقعت هذا الجبار حتى هكذا صار فقال أنا عارضته وهو مقبل وبيدى قدح الماء فقال لى اسقينى فأسقيته فوقع فلا تطالوا الخطاب دونكم شيلوه حتى إلى محل ما أطلب بوضوء فعندها دخل بهم شيحة إلى الشام وشبح الفداوى من يديه ورجليه فى أربع جهات المكان وفيقه وعرض عليه الاسلام والطاعة فلم يقبل منه كلام قام شيحة وخلع عدة ذلك الطاحون الذى فى هذا المكان ثم أخرج المامود الحديد الذى يدور عليه الحجر ووضعه على زر المقدم نصير النمر بين الحق والسكرجه وأمر إبراهيم أن يدق بالفاس على المامود بعزمه فدق إبراهيم ثلاث دقات فانخلع زر الفداوى وغشى عليه وتركه مرمى فى ذلك المكان على ما قيل إنه يقعد سنة يداوى فى فخذه ويظهر له كلام وأما عماد الدين قال للسلطان يا دولتلى ما بقى غير واحد وهو هذا المقدم هلاوون الذى افتخر بانك لعبت قدامه مسارع وأنا والاسم الاعظم ما العبه قدامك الا لعب الدب ولا أخليك تعرفه إن كان دب أو بنوا ادم وتبقى تقول أنا سارعت قدام هلاوون قم المسارعين وهو لعب دب قدامى وبين أكابر دولتى اجمعين ثم أن عماد ركب على ظهر حجرته وطلع من عند الملك الظاهر قاصد البدارى والمحاجر وصار يدور على الاجم والغابات حتى انه اصطاد دبه كبيرة من ديب البر وذبحها وسلخ جلدها ودبغه وأخذه معه وسار حتى دخل إلى ملك توريز العجم واختلط بالناس حتى عرف من أين يدخل ومن أين يخرج وصبر إلى الليل حتى تمكن من ظهر القصر بتاع هلاوون وأرمى مفرده وطلع ملك الصور ونزل على هلاوون وهو نايم وضع الاكرة فى فمه وكتفه بعد ما بنجه وخذه وطلع من محل ما نزل وطاب البر وهو رادفه حتفه على ظهر الحجرة ثلاث أيام فقال له القان هلاوون يافتى ايش الذى تريد منى حتى فعلت هذا الفعال معى فقال له عماد اعلم ياهذا انى رجل سواح اصطاد الدب وأدور بـ م على الناس أشحت عليهم وكان معى دبه وماتت فدورت على غيرها فلم أجد فنزلت عليك سرقتك ومرادى أن أعلمك لعب الدب واشحت عليك فان تعلمت كان بـ وان لم تتعلم أقتلك وأسرق غيرك واعلمه فقال القان هلاوون أنا أعطيك ثقلى عشر مرات ذهب وأغنيك عن الشحاتة بلعب الدب فقال عماد أنا ما أستغنى عن كارى ولو تعطينى ملك توريز وغيرها راعما إذا ما كنت تتعلم عرفنى من هذا الوقت حتى أقتلك وأسرق غيرك فقال هلاوون علمنى يافتى وأنا افعل كلما تقول لى عليه فصار عماد علمه مثل مايتعلم القرد حتى بقى القان هلاوون

ما هو الا كانه دب معلم كل هذا وهو ساير به يوم بعد يوم حتى دخل به الشام ولبسه جلد الدب وقال له هذا اليوم آخر لعبك وهذه شاكريتى فى يدى فان قلت لك انقلب على رجليك ويديك أو قلت لك امشى مشى الحرامى أو حيات أسيادك فين وخالفتنى واهملت فى شىء من ذلك فما لك عندى جواب غير الضرب بالشاكرية على وريدك ارمى رقبتك من على كتفك ثم أخذه ودخل به على السلطان فى القصر الا بلق وعماد ضارب اللثام على وجهه وماسك سلسلة الدب فى يده وصار يلعبه اقداب واضراب حتى تحيرت منه الشيوخ والشباب وبعدها رفع لثامه وتقدم باس أنك السلطان ثم قال يا ملك الدولة اعلم أن هذا لم هو دب هذا بنو آدم وهو ملك العجم القان هلاوون بن منكطمر الذى يفتخر فى تحته ويقول كما قال فعند ذلك قام السلطان على حيله وأخذ هلاوون من وسط الديوان وأمر بدخوله الحمام والبسه بدلة ملوكية وانعم عليه فقال له يا قان هلاوون لا تغتر بالزمار فان الله سبحانه وتعالى يختبر بالامتحان وما هو رجل فلاح قد احتال عليك وأخذك من بين عسكرك ورجالك وفعل بك هذه الفعال وقال هلاوون وحق النار ومن أوقدها ومن سجد لها وعبدها عمر هلاوون كله لم حكم عليه بالذل قدر ما جرى له مع هذا الرجل كانى قاتل أبيه وأنا فى عرضك يا قان العرب سامحنى فيما جرى منى فقال له سامحك الله .

ثم انه أكرمه فى أرض الشام ثلاثة أيام وبعد ذلك جهزه وسفره إلى بلاده هذا جرى لهلاوون وأما عماد الدين عاد فانه بات وأصبح دخل على الملك الظاهر وقال يا ملك الدولة أوعدتنى بوعد جميل والعين منتظرة اليك عجل بوعدك يا أبى الراية البيضا عليك فقال السلطان ايش تطلب يا مقدم عماد فقال يا دى انا طالب سلطنة القلاعين والحصونين فقال السلطان والله انك تستاهل ولكن هذا الجميل الذى عملته كان لى أنا وأما يا مقدم سلطنة القلاعين بمناصب وملاعب وشيحة ما هو حاضر فالعب أنت وياه أن غلبته خذ السلطنة وان هو غلبك يبقى انا أو تعامه أى أنا امنع عنك لاجل ما صنعت معى من الجميل فقال عماد فى أى شى تلعب فقال السلطان يا مقدم جمال الدين ايش تريد تلعب مع عماد الدين فقال شيحة حتى فتح الله باب و نلعب فيه سوى اما يكون له والا لى أنا بينما هم كذلك وإذا باثنين أتباع مقبلين قدام السلطان وقالوا يا ملك الاسلام اننا مرينا على مدينة القيطلان فرأينا الغراب المصور مكمسر على المينة الغراب وأبو بكر البطرنى مسجون هو ورجاله عند كبار القيطلان فاتينا واخبرنا

مقدمنا موسى بن حسن القصاص فقال لنا سيروا إلى الملك الظاهر فى الشام وأعلموه بهذا الكلام وها نحن قدمنا إلى ما بين يديك وأخبرناك والسلام فأمر لهم الملك كل واحد بدلة والف دينار وانصرفوا إلى حال سبيلهم فقال شيحة يا مقدم عماد الدين هذا مطلوب ظهر لك فيه الحظ الأوفر إذا سافرت إلى القيطلان وخلصت الغراب المنصور وأبو بكر البطرنى قبطان السلطان فتكون تستحق السلطنة ولذلك إذا لقيت خالك معروف وخاصته كان فيكون ذلك افتخار على كل انسان فقال عماد راحت السلطنة منك ياشيحة أنا أسافر إلى القيطلان ولا أعود إلا بالغراب المنصور والبطرنى وان وجدت خالى معروف أخلصه وإذا خلص خالى فما هى محتاجة إلى شىء بل تبقى السلطنة له وأنا وأنت معزولين فقال شيحة يا مقدم عماد إذا كان بالحرب مولانا السلطان سيفه طال بل ولاهو محتاج لك ولا لى أبدا وانما المقصود خلاص الغراب والمنصور والبطرنى وخالك المقدم معروف إن كان هناك ولكن لا أحدا يضرب سيف ولا رمح وإذا كان طلب لك نهب أموال القيطلان تهبه عن ملك الشرط من غير حرب ولا قتال فاذا قتلت ذلك تأخذ السلطنة وان عجزت عن ذلك أفعله أنا باذن الله وسير أنت قدام وتوكل على الملك العلام وأنا ما أسافر إلا بعد ثلاثة أيام فقال عماد ولكن بشرط انك لا تمكر بى وتسلط على أهل الكفر من خوفك منى تروم بذلك تهلكنى فقال شيحة لا وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم عدد الرمال ما أتسبب لكم باذية أبدا وإنما إذا وقعت فى ضيق ولم تقدر على خلاص نفسك يا بطل الزمان انده على أرأنا أجيك وأخلصك ولكن تعدها لى نتيجة وان كنت ما أخلصك ما تبقى لطنة القلاعين على حرام فقال والله يا حاج شيحة ان كلامك هذا مقدرة لما أحتاج اليك فيها فرج ثم ان عماد تودع من السلطان وركب حجرته وسافر قاصد أرض القيطلان وأما شيحة أقام مع الملك ثلاثة أيام وقال له يا ملك الاسلام توجه إلى مصر فان البلاد لم يمكن أبقاها خالية على قدر ذلك فقال السلطان صدقت وتوجه الملك إلى مصر يقيم فى قلعة الجبل هذا ما جرى .

[قال الراوى] وأما المقدم جمال الدين شيحة فانه طلب الدعاء من السلطان وتودع منه وطلب السفر إلى مدينة القيطلان فاسمع ما جرى للمقدم عماد الدين علقم فانه توجه قاصد مدينة القيطلان فسافر ثلاثة أيام واليوم الرابع على التمام وهو يقطع الربا حتى قطع أرض الشام وقابل على مدينة انطاكية فقال فى نفسه يا عماد يعنى شيحة ترى يمكنه الوصول الى هنا فهذا أمل بعيد ثم انه وجد ميقات بطيخ فنزل بجانبها وأخذ

بطيخة منها وقسمها نصفين ووضع نصف قدام حجرته والنصف الآخر وضعه قدامه حتى انه يبرد ويأكل منه واذا بعجوزة افرنجية أقبلت ونظرت إلى عماد وفرحت وضحكت وقالت أهلا وسهلا ووضعت يدها فوق أفخاذها وهرشت باظفارها وقالت ياغندار أنا جئتك قوم فى هذه الساعة اعملها جناقة والميقات يبقى بتاعك وكل ما كان فيه بتاعك فقال عماد الله لا يرحم أبوكى يا ملعونة وضربها بالشاكرية فقسمها قسمين وجعلها على الارض دلوين فتصايحت عليه خدامين الميقات ووصل الخبر الى الفرتماكوس ملك انطاكية فارسل من ساعته الى قتال عماد عسكر وأى عسكر ضرب طبلها ونفر ونظر المقدم عماد فرأى عروس المنايا شرعت ذراعها ومدت الفرسان الرماح الطوال باعها فصاح عماد الدين حاس الله أكبر :

إذا قرب جيوش الكفر منى	نهار الحرب سوف يرون فنى
أكر بشاكريتى فى يمينى	تقد الهام والزرد المثنى
إذا ناديتم الله أكبر	وشاع الذكر فى الهيجان عنى
عكم من فارس أضحى قتيلا	بدم جراحه أضحى محنى
وكم قرم تركت الطير يهوى	على أعضائه وقد عدم المتنى
أنا اسمى عماد الدين علقم	عروس الخيل ضرب السيف فنى
أنا وحدى أعد بالف فارس	ولم أخشى ألوف من يتمدنى
وسيفى يقطع الهامات عمدا	ويخرق فى صدور الكفار سنى
وكل عجاجه اطفى لظاها	وأرجع بالمسرة والتهنى
أصلى على النبى فى كل وقت	وأمدح فضله عند التجنى

ثم انه تكبكب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كال المشركين بمراود العمى قرآ عليهم آيات الله العظما ابلاهم بالويل حقا والنكال وتكرر عليه دست الخيل فى المجال فصار يعطى الضرب حقه ويطعم الوحش من لحم القتلى رزقه وكان المقدم عماد من الابطال المعدودة فداوم القتال الى آخر النهار وقصرت حجرته فنزل عنها وقاتل وهو راجل حتى كل ومل ووهى جلده واضمحل وداس فى بطون القتلى فجاءت رجله على جمجمة قتيل نزلقت فوقع فاطبقوا عليه الكفار وشدوه كتاف بعد ما اشرف على التلاف فقادوه بين ايديهم الى قدام ملك انطاكيه فصار يتعجب من طول قامته وكبر جثته وقال للذين اتوا به علقوه على باب البلد من طاطه واضربوه بالسهام حتى يموت فقال له البيباظ ايش عمل هذا من الاعمال حتى تفعل به تلك الفعال فقال الفرتماكوس ياابونا كان عندنا عجوزة اسمها سمكرينة مرتبة صدقات للفقراء فجاء هذا المسلم منترها

فقال البيباظ إيش كانت عاملة من الصدقات فقال الفرتماكوس كانت بانية خمارتين جاعلة فى واحدة عشرين بشنينة والثانية عشرين فليون فكانوا فقراء البلد العراب يروحوا يسكروا عندها ويعملوا خناقة فى بشنينه أو فى فليون فلماقتلهاهذا المسلم ياطول عذاب البلد ما يباتوا بذكورهم ينقروا عليهم لا يلاقوا فليون ولا بشنينة إلا ان كانوا أعطوا دواقيت فقال البيباظ هذا تفحت له فى الارض على قدر نصفه وتملوا النقرة شخاخ وتوقفوه فيها وتضربوه بالنبل فى عينيه فان امتثل للنيلة نفذت من قفاه آ تمتطار وان غطس برأسه غرق فى الخرى قال عماد والله يا خنزير ما قلت إلا بالمحال لعن الله لحيتك ما أرذل فتوتك فمنذ ذلك دوروا البحث فى تلك الارض ونظر عماد نفسه عادم فقال أنت فين ياسلطان القلاع والحصون أدركنى ياحاج شيحة كما أوعدتنى وإذا تذكرة وقعت فى حجر الفرتماكوس فرآها وإذا فيها من حضرة المقدم جمال الدين إلى الملعون الفرتماكوس ملك انطاكية اعلم يا ملعون ان هذا عماد الدين من طرفى اطلقه واعطى له عدته وحجرته والف دينار وجهزه يسافر بسلام وان كنت تفعل غير ذلك والله ياملعون أسلخ جلدك على باب بلدك وهاأنا أعلمتك فلما نظر الفرتماكوس من ذلك قام على حيله وجرى حتى لحق الذين ماسكين عماد الدين وأطلقه من يدهم وامر بحضور حجرته وسلاحه وعدته وبعد ذلك أعطاه كيس فيه الف دينار وقال له ياغندار أنت لم أعلمتنا أنك من توابع شيحة حتى كنا نكرمك قال عماد انتو اتعرفوا شيحة قال الفرتماكوس نعرفه ياسيدى فاخذ عماد نفسه وصار يتعجب وقال ياهل ترى شيحة أدركنى صحيح أو حكمت صدفه لكن إيش جاب شيحة انطاكية لاشافنى ولاشفته ومازال سائر حتى قطع المفازات وخرج منها وقدم على بحر الفرات الذى بين العرب والروم فرآه متسع ولم يجد محل يعدى منه ولا فيه مراكب فوقف عماد محتار وإذا بقارب صغير وفيه اثنين واحد اختيار هرم والثانى غلام أمرد وهم يقدفون بالمقاديف ويغنوا بالرومى صاح عماد يا ملعون فقال الغلام مالك ياراجل فقال عدونى إلى البر الثانى وخذوا خزنة فقال له الغلام اصبر لما اسأل الرئيس ثم انه قال له ياغندار المركب لم تحملك بفرسك فاذا اردت أن تعدى اما أن تخلى فرسك فى البر وتعدى أنت واما تعدى الفرس أولا وتعود تأخذك قال عماد طيب فأقبلوا عليه بعد ما قطعوا الاجرة مائة دينار وحلفوه أنه لا يغدرهم ولا يخونهم فنزل الحجره معهم ووقف حتى عدوها للبر الثانى ووقف بها الغلام وعاد الرجل اليه فنزل فى المركب وسار يقدف حتى وصل به الى البر طلع عماد إلى البر وأراد أن يصل إلى حجرته فرأى الغلام ركب ظهرها وطردها فى البر فتبعه عماد فمال بها إلى جهة البحر وقفزت به وهو فى ظهرها حتى بلغت إلى البر الاول فاخرج من تحت باطه سوط وضربها على

أجنابها فطارت به الى ناحية بلاد الشام ونظر عماد الدين الى ذلك الحال فايقن بالحبال وعاد إلى المراكبي وهو ملهوف فرآه عدا إلى البر الثاني فصاح عماد يا معلم يامعلم فقال له مالك ياراجل فقال له هذا الصبي الذي كان معك ماتعرفه فقال كان عندي عملوا جناقة وراح فقال له أخذ حجرتي فقال له حجرتك عادت إلى حصن صهيون فالرأى أنك تروح القيطلان ماشي فقال عماد ليش هذا فقال له أدركتك في أنطاكية وأدركتك على البحر عديتك يبقوا إثنين ورديت حجرتك إلى قلعتك يبقوا ثلاثة أنا صاحبك الذي تعرفني وأما اذا راحت حجرتك للقيطلان تلخمك قال عماد صدقت ياشيحة ثم إنه سار يدق الكعب على أحجار الطريق حتى دخل الليل فاحتاج إلى المبيت وجاع وعطش فصاح أنت فين ياسلطان القلاع فنظر إلى صومعة على رأس جبل فطلع فرأى راهب قاعد وقدامه نار موقدة وغزال مربوطة جنب النار فقال له يا غندار إذبح لى هذه الغزالة قال عماد طيب وتقدم ذبح الغزالة فقال له أسلخها وركبها على النار ونأكلها سوى قال عماد ومن أين نشرب فقال هاهي قدامك القربة إشرب إن عطشان فنظر عماد الى قربة الماء فشرب حتى ارتوى وبعد ذلك سلخ الغزالة ووضعها على النار وقلبها حتى أستوت وأكل منها والراهب ينظر اليه وبعد ذلك بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح قام عماد فرأى نفسه وحده والراهب ماهو عنده فقال مرق وفتش فى الصومعة فلم يجد فيها غير طاجن فخار ملآن شخاخ فقال عماد الله يلعن دقنه ثم انه سار حتى أمسى المسا فدخل على دير فيه رجل بترك أكرمه وعشاه وبات عنده إلى الصباح وسافر من ذلك الدير وما دام كذلك حتى وصل الى القيطلان وكان دخوله فى ضحى نهار وسار الى خان من الخانات فالقاه الخانجي وسلم عليه وترحب به فقال له أريد محل أقيم فيه ففتح له محل وقال له هذا محلك أخذ مفتاحه وطلع الى السوق فرأى رجل كبابجي فدخل الدكان وقال يامعلم هات كباب ولبن وعيش فأتاه بكل ما يريد يأكل حتى اكتفى وقام وغسل يديه ووضع يده فى جيبه ليخرج كيس المصروف فلم يجده فقال له الكبابجي ياغندار أنا عارفك انك سفلاق لكن إذا أردت أنك تأكل تعال عندي كل بلاش وقول أنا سفلاق ومرحبا بك فقال عماد نسرت والله ما أنا سفلاق فقال له الكبابجي هات حق الذي أكلته إذا كنت غير سفلاق فقال عماد ما أنا لاقى كيس المصروف قال له روح ياسيدى فخرج عماد ومشى فالتقى الكيس فعاد للكبابجي وقال انت سفلاق وأنا سلطان ياقرنان ووضع يده ليطلع الكيس فلم يجده وعاد راجعا والكبابجي يضحك عليه

فالتقى الكيس فلم يرجع ثانية لأنه لا يأمنه فسار عماد حتى دخل شارع البلد فرأى الحمام

فدخل لاجل إزالة غبار السفر فقلع ثيابه ودخل استحمى حتى نظف بدنه وطلع خدموه الحامية ومد يده ليلبس ثيابه فلم يجد إلا بدلة واحد افرنجى أصله طباخ وهى لباس ممزوج بالدهان وعنترى مثله والقلنسوة مغموسة بالزيت والدهانات وقلت اللباس ملان دم ورائحته كريهة فاراد عماد أن ياخذ غير هذه البدلة فلم يمكنه من الحامى بل تهاجمت عليه الحامية وسحبوا عليه الفوط المبلولة فما كان منه إلا انه خلع دريزين الليوان ومال به عليهم حتى اضعف عزمهم وبعده استنظف بدلة طيبة واخذها لبسها وطلع من الحمام فلم يجد فيها معاملة فاحتار لعدم المصروف وضاقت به الدنيا وتاه عن الخان الذى فيه باقى متاعه وما دام سائرا حتى وصل إلى سوق البسيسة فنظر بياعين السمن والعسل يورد عليهم الناس ياخذوا العيش سخن ويبسوه فى السمن ويضيفوا عليه العسل وياكلوا وعماد لم يكن معه شىء حتى يشترى مثلهم وإذا بواحد مكسح مقبل برغيف على يديه ويبكى فقالوا له الناس مالك يا بونا بواص فقال يقطع أبوكم واللى خلفه أبوكم يموت فى الدير ولم أحد يقدم له شىء ياكله فقالوا مرحبا بك ثم تقدم كبير السوق واحضر قصعة كبيرة ووضع فيها ماينوف عن العشرين رغيف والق عليهم سمن وعسل حتى غطاهم وقال يا ابونا يكفى هذا قال يكفى والتفت إلى المقدم عماد وقال له يا غندار شيل هذه معى إلى الدير ولك فيها قسم قال عماد طيب ورفع تلك القصعة على راسه وقال سير قدامى فسار المكسح قدامه ولما خرج من السوق مد عماد يده فى قلب القصعه وكبب لقمة وأراد أن يرفعها فالتفت اليه المكسح وقال له يا غندار ما تاكلش لما تروح الدير فحصل لعماد خجل ومشى ساكت حتى وصل إلى الدير فدخل المكسح بعده عماد ووضع القصعة بين يديه

فقال له كل يا غندار لانى أنا شبعان وما فعلت ذلك إلا من اجلك لانى رايتك جيعان فقال له يا معلم والله ما انت إلا مكاشف ثم ان المقدم عماد اكل جميع مافى القصعة وقال الحمد لله

فقال له المكسح قوم خذ القصعة رجعها لاصحابها فاخذ عماد القصعة وعاد إلى السوق فاحتاطوا به الناس وقالوا له اين البترك المكسح فقال فى الدير فقالوا له ولاى شىء ماجاء معك انت قتلته فقال على اى شىء اقتله ايش ذنبه معى فقالوا له ماشاش معك سير معنا حتى نراه طيب مثل ما كان فسار معهم إلى الدير فرأى المكسح جسد بلا روح فقالوا على عماد قبضوه لانه من غير سلاح ولما قبضوه نزل لهم البترك الكبير وقال ياخسارة يابولص يا غدار اربطوا الغندار فى عمود السموم بظهره فربطوه وكان هذا العامود رخام مرصود إذا ربط عليه انسان يخرج منه نقيع مسموم يهلك المربوط عليه فلما ربطوا عماد قفلوا باب الدير وتركوه فاستحس عماد بنقيع خرج من العامود فعلم المقصود

وعرف أن هذا مهلك وان سكت صار مفقود فصاح من قلب مجروح أنت فين يا سلطان القلاع والحصونين أدركنى فانفتح باب الدير ودخلت العجوزة وهى تتوكا على عصاة وقالت له أنت الذى منترت بولص فقال عماد لاتكثر كلام عرفتك فكنى واكتبها على شيحة قال له بس دى قال عماد هل خلصتنى من شىء غير هذه قال له المقدم جمال الدين شيحة لا يا مقدم عماد

كم من جميل زرعناه راح فى بحور التهاوى
والمبتـــلى حين يبرا ينسى جميـــل المداوى

يا عماد فى أنطاكية أنا البيباظ الذى حكمت عليك بالقتل وأنا الذى حكمت على الفرتما كوس يطلقك ويعطيك ألف دينار وسلاحك وحجرتك

قال عماد فكنى من هنا يبقوا اثنين قال شيحة وانا الخانجى الذى مسكته فى القيطلان فقال عماد يبقوا ثلاثة قال له وانا الراهب الذى كنت فى الصومعة قال عماد يبقوا أربعة فقال له وأنا الكبابجى قال عماد يستر على حريمك خلصنى يبقوا خمسة قال له وانا الحمامى قال عماد هذه ماتحسب فانك سرقت ملابسى قال شيحة وانا الراهب الكسيح صديتك قال عماد يبقوا ستة خلصنى قال شيحة وخلاصك من هنا قال عماد الدين حسبنا فكنى يا شيحة فحط يده على كشافيه امضى من القضا والقدر وقال يا عماد الدين اهو مفتوح اطلع وشك الكتافية بالكشافية فا قطع وغاب شيحة عن عيونه فخرج عماد وهو يقول آه يا قصير هذه أفعال تعجز عن مثلها أبو مرة يعنى [ابليس] وصار حتى دخل البلد هذا ما جرى للمقدم عماد

[قال الراوى] وأما ما كان من المقدم جمال الدين شيحة فانه دخل القيطلان فرأى أفرورى البلد مكتف واحد ودائر يقول جزاه وأقل من جزاه يأكل اموال الملوك ويدعى الفلس فسأل من بعض الناس فأخبروه ان هذا حمار الملوك كنيار وكنوبر وعبد الصليب ملوك القيطلان وعنده ثلاثة آلاف دينار ولم يكن عنده شىء فأمروا بقتله ومرامهم ينتخبوا حمار عوضا عنه فتقدم شيحة للافرورى وقال هذا ابن عمى وكلما كان مطلوب منه انا ورده عنه فالتفت الافرورى الى الحمار وقال له يا كاوبركو هذا ابن عمك فقال شيحة يا كاوبركو انا ابن عمك دمليكا

فقال الحمار صحيح ابن عمى لكن على ثلاثة آلاف دوقاته فقال دمليكوا أنا ادفعهم فعاد الافرورى بهم الى قدام الملوك واحكى لهم فقالوا اين دمليكوا

فقال شيحة انا دمليكو فقالوا الملوك يا دميلكو كل واحد منا له عند ابن عمك الف دوقاته فوضع يده دميلكو فى عبه وطلع عقد ثمنه عشرة آلاف دينار وقدمه بين ايديهم

وقال الثلاثة آلاف حقكم خدوهم والسبعة آلاف من أجرة الخمارة كل سنة ألف دوقاته وأنا أورد للثلاث ملوك كل واحد سنويته ألف دينار ولا أقبض إلا بعد تمام السنة

فقالوا الملوك للافروري بعد ما أخذوا من دميلكوا العقد اقول معه سلمه الخمارة بما فيها وابن عمه سلمه له إن أراد يمنتره يمنتره على باب الخمارة وإن عفى عنه بخاطره هو وإياه نزل الافروري سلم دميلكوا وقال له أنت ابن عمى من أين

فقال له أنا من مدينة البرتقان وكنت خمار البيب مغاوين وزمان بطلت ولم بقى معى دواقيت كثير ومريت على القيطلان فرأيتك فإمان على أن خماراك مثلى ويحصل ذلك الاهانة على ثلاثة آلاف دينار ففعلت ذلك رغبة منى فى دين المسيح الدين الصحيح وأنا متعجب كون انك خدام ملوك القيطلان ويبقى عليك ثلاثة آلاف دوقاته فقال كوركو لا تخاف أنا عندى أموال كثيرة لكن ما ارضاش أورد للملوك وكل سنة أفعل مثل ذلك ثم قام وفتح له عن مطمورة فيها أربع صناديق أموال فقال له دميلكو أيوه كده فرحتنى على كل حال ثم قام دميلكو فرح وقال له ملك محفوظ عليك والدواقيت بتوعى أسامحك فيهم وانت لا يصعب عليك شيء وخمارتك لك وأنا أبقى تبعك فقال كاركو مرحبابك وأما دميلكو غاب وعاد ومعه قزازة بالخمر وكاس ملآن من الماء الصافى وشربه قدام كاوركو وملا الكاس من القزازة وأعطاه له فشربه فمال إلى الارض قبل باب الخمارة وأوثقه كتاف قوى منه السواعد والاطراف وشبحه وسط الخمارة وأعطاه ضد البنج فأفاق يعوى ونظر إلى دميلكو وهو واقف بصورة غير الاولى وهو يتباهى بنور الاسلام على وجهه وأما كاوركو على رأى من قال

كم ذا تبرطع يا خنزير وسط الهجير ولا أحد خافك بادى
ورؤيتك أقبح من زير واقع بيسير وصار شقافة جرادى
واليوم قد هان العسير وبقى يسير وعارضك سبع الوادى
إيش لك كلام أو لك ملام لما يقع فيه الضرغام
لا بد ما راسك يقطع
وإن جزت فى دين الاسلام نلت المرام وفى الحياة حقا تطمع

فقال كاركو أنت يا دميلكو عملت إيه وماسكنى مكتفنى على ايه قال دميلكو يا أخى أنا عاوزك تسلم واحكى له على شيحة انه وقال له ان أسلمت نجيت من الضرر وان أبيت الاسلام فما لك الا القتل والضرر فقال ما يسلمشى فقتله وارماه فى البحر وقام دميلكو نقش الخمارة وأصلح شأنها واقام بها وتكلف بمطاليبه

الثلاث ملوك من الخمر يومى وأقام على ذلك الحال إلى يوم دميلكوا مقيم بالخمارة وعماد الدين مقبل فرأى هذه الخمارة مليحة الزينة والنقش فدخل ليشرب فعرفه دميلكوا فتقدم اليه وقال له أهلا وسهلا ووضع له كرسى وأجلسه وقدم له سفرة طعام سمك مقلى فى الزيت ودجاج محمر فى السمن وقدم له صحبة المدام فأكل عماد حتى اكتفى

وبعد ذلك قعد يتسلى فى أوانى الخمر هذا ودميلكوا أقبل عليه وقال له أظن أنك خايف لا تسكر من البيبار أجيب لك شراب قرفة قال عماد هات فجاب دميلكوا شرابات مختلفة وصار يمازح عماد طول النهار حتى دخل الليل فقال له كانك ياغندار غريب من هذه البلاد فقال عماد نعم فصار يحكى له على أبواب الغربة والمشقة وقال فى آخر كلامه وأنا كنت فى مدائن البرتقان خمار الملك مغلوبن فتعبت منه لما كثر مالى وأتيت أخذت ذلك الخمارة وأقمت فيها أتفرج على حكم القيطلان وانجسس على ذلك البلدان وأبيت فى كل بلد ليلتين أو ثلاثة اعرف أهوية البلاد وأنت إيش الذى غربك وأتى بك إلى ذلك الوديان فقال عماد يامعلم أنا لى حديث عجيب قال له انا حكيت لك على حالى أحكى لى أنت الآخر وهى كلها تسالى فقال عماد لو كنت ممن يكتم السر يا معلم كنت أحكى لك فقال له يا سيدى السر عندى مكتوم غير معلوم فقال له احلف لى فحلف له بيمين النصارى فقال يقيل عماد وقال له احلف لى بالاسم الاعظم فحلف له فأحكى له على قصته من أولها والشرط الذى جرى بينه وبين شيحة والسلطان وسفره إلى القيطلان فقال دميلكوا يا سيدى اذا كان مرادك الدخول إلى سراية القيطلان هذه الليلة يأتينى أربعين أسير لاجل شيل الخمر للسراية مشروب الملوك فان أردت أشيلك برميل معهم وسير ولما تبقى فى السراية تعرف شغلك قال عماد الدين اسم الله عليك والله يا معلم دميلكوا ان فعلت معى ذلك الجميل تكون زرعته فى أجود الارض فقال له مرحبا اصبر الى الليل

فلما أقبل الليل أتت الاسارى الذين يحملون الخمر وكانوا أربعين يحملون أربعين برميل فأخذ دميلكوا وأدخله مخدع واعطى له مفراق وقال له انقل البيبار من محل إلى محل وتركه وطلع محل باقى الاسارى كل واحد برميل وعماد الدين فى الجملة

ولما شال المقدم عماد البرميل مشى مع الاسارى حتى طلع إلى مكان الشربدار فسلموا البراميل الى الوكيل واما الاسارى فانهم دخلوهم جميعا على الزنزانة وعماد معهم. ولما بقى فى الزنزانة ونظر ما ينيف عن خمسمائة اسير فى ذلك المكان

وانقفل الباب على الجميع قال عماد وقعه فشرت يازعر بوجهله وزود فى الدجى نوحه
كان خالص صبح مشبوك حواط اشتكى روحه انا كنت خالص وانحشرت فى هذا
المكان بقى انده ياعماد على شيحة انت فين يا سلطان الحصون والقلاعين واذا باب
الزنزانة فتح والوكيل قال للاسارى قوموا للحطب فطلع عماد فى الاول ومادام سائر
حتى بقى فى الجبل اخذ حطب مع الاسارى وعاد الى المطبخ فالتقاه اجير الطباخ اخذ
منه الحزمة وقال هذه صغيرة فقال عماد انت اعطينى حقها صغيرة والا كبيرة ودخلوا
باقى الناس بالحطب واما عماد زاغ ودخل على الطريق النافذ الى اود الخدامين
ومادام سائر حتى رأى مخدع مهجور فاختفى فيه حتى اظلم الظلام وطلع عماد وهو
يقول يامن سميت الستار لا تكشف الاستار فهو كذلك فرأى جارية مقبلة تسب
الزمان على ماحكم عليها وتقول ضاقت حيلتى من خدمة هذين الاسيرين وهم الاسير
القديم والاسير الجديد فتقدم عماد قبض على رقبتها وقال لها الاسير الجديد مين
والقديم مين وانتى مين فقالت له وانت من الذى مسكتنى فى هذا الليل فقال لها أنا
حورى ارسلنى الراهب زرارة اطرف البلاد باجازة واذا رأيت مظلوم اخلصه من
ظالومته وسمعتك بتقولى هذا الكلام فسألتك فقالت دستور ياجورى أما أنا جارية من
جوار كنيار القبطان واما الاسارى فالجديد واحد مغربى اسمه أبو بكر البطرنى
البب كنيار انه قال ابوه ومراده انه إذا قدم عيد الشعانين يذبحه هو وجميع من معه
من المسلمين معه مركب كبيرة اسمها الغراب المنصور مرمية فى المينة الخراب وباقى
المغاربة اتباع البطرنى اسارى فى الحبس فى حال الكلاب فقال عماد هذا الاسير سيرى
معى حتى انى اتفرج عليه فصارت الجارية وفتحت مكان فنظر عماد فرأى ابو بكر
البطرنى وهو مغلول فى السلاسل يديه وعنقه ورجليه فقال عماد ابشر بالسلامة
ياقبطان الاسلام فقال البطرنى انت ايش فقال انا عماد الدين علقم اتيت خلصتك
واحكى له على ماجرى بينه وبين شيحة من الشروط وقال فى آخر كلامه ولما اخلصك
ابقى انا سلطان الحصونين واعزل شيحة فقال البطرنى فاذهب الى حالك ان كان خلاصى
عليه اعزل جمال الدين من منصبه انا ما اريد اخلص فقال عماد يا قبطان خلاصك
ماهو احسن من سجنك فقال البطرنى اغدوا فى دربك ولا اصبح عليك تنقبض وتبقى
مثلى قال عماد الله لا يحملك تخلص يا قران وتركه حتى اعطته الجارية قرص ناشف
وقليل من الماء بل ريقه وقال الحمد لله على كل حال ثم اشار يقول هذه الابيات
صلوا على كثير المعجزات

اقول إذا ليل الدجى سبل الحجى ولا راحما اشكو اليه سوى ربى
والمنى قد الكتاف وغلى وقيد حديد ثقله يجرح الكبى
اذا فتح السجان قلت بغيتى وان قفل السجان اقول قضى ربى

واما الجارية خرجت من عند البطرنى فتبعها عمادالدين حتى بقت فى وسط الطاريق وقال لها هذا الأسير الجديد قالت نعم فقال لها ومن هو الأسير القديم فقالت الأسير القديم واحد مسجون من زمان اسمه معروف بن حجر لكنه نشف جلده وهو مضمر على سريج من الرخام فى سجن الحسرات ولم احد سأل عنه لا يموت ولا يخلص فلما سمع عماد الدين ذلك الكلام كاد ان يغشى عليه ولكنه صبر نفسه ومشى خلف الجارية حتى اقبل الى مكان فيه كوانين حديد مثل المطابخ ردورت لوالب فاجتمعوا الكوانين فى بعضهم فرفعت من تحتهم لوح رخام فانكشف عن طابق بخرزة رخام ونزلت تلك الجارية وغابت قليل وعادت ردت اللوح كما كان وقد سارت من محل ما اتت فتقدم بعدها المقدم عماد الدين علقم ردور اللوالب فاجتمعت الكوانين فكشف الطابق ونظر فيه وسمى باسم الله تعالى ونزل فوجد سلالم مثل البير فصار يدل عليهم حتى انتهى الى قاع ذلك المكان والمحل ظلام فبقى عماد حاير ولم يعلم اى جهة يسير فان الغريب اعمى ولو كان بصير فوقف عماد وقال الهى وسيدى ورجائى انى دعوتك فأجب دعائى ولا تخيب قصدى يامولاى اللهم ساعدنى فى هذه الليلة فانى عبدك عماد قليل الحيلة ثم ان المقدم عماد وقف يتصنت هدا ماجرى له واعجب ماوقع ان المقدم معروف بن حجر فى هذه الساعة تفكر فى احكام الله عز وجل وتقلبات الايام وتغيير الدهر كيف أنه بعد الملك والسلطنة جرى عليه القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر فجعل يذكر الله ويحمده ويشكره ويتردد بكلمات متفعت على خاطره فقال

سبحان مزين الروض بالشجر وزين النخل والاشجار بالثمر
سبحان ربى تعالى جل خالقنا منشى الخلائق من جن ومن بشر
واحمد الله مولانا على نعم وفضل مولاى لم أحصى له حصر
قاى هداه الى الاسلام معترفا بلطفه ووقانى ظلمة الكفر
وكم ذنوب جرت منى على جهلى واغتررت بما قد خان من دهر
فغاثنى خالقى من لطفه كرما بما يكفر من ما كان من وزرى
وقد رمتنى يد الاقدار فى خطر والدهر ليس بمأمون من الخطر
وصرت فى قلب سجن مظلم عمق وسريج راكب منحوت من الحجر

وطال سجنى وحك القل ألمنى ... وقاذ سقمى وطال البؤس والضرر
والليل عندى تساوى بالنهار ولا ... أنظر بعينى ضيا شمس ولا قمر
من بعد ما كنت ملكا حائزا ملكا ... أصبحت مملكا فى شدة الاسرى
ولم أحد من بنى اسماعيل يدركنى ... ولا كانى حكمت بهم مدى عمرى
كذاك بيبرس حقا كان لى ركنا ... فصار لا يعترف حالى ولا عذرى
هل ذا أرى من بعد شدتى فرجا ... وبعد عسر يأتى الله باليسرى
وهل لكم يا بنى الاعمام معرفة ... بما أقاسيه من أيدى بنو الكفرى
وأين عينيك يا ابن الاخت يا علقم ... يا فارس الملتق يا قرة النظرى
يا علقم الحرب يامن لا نظير له ... بين الرجال فانت السمع والبصر
يا علقم الحرب أدرك خالك اطلقه ... من الوثاق ولا تخشى من المطر
يا رب ذكر عماد الدين واجعله ... يأتى بقدرة جبار ومقتدرى
واعلمه يا رب فى أى البلاد أنا ... لعله يقتفى بين الورى خبرى
فانت تقدر يا مولاى تنقذنى ... مما أنا فيه من سجنى ومن عسرى
انى دعوتك مضطرا فخذ بيدى ... واحسن خلاصى فقد قل مصطبرى
ثم الصلاة على أزكى الورى شرفا ... محمد الهاشمى الطاهر الطهرى

ثم ان معروف ينشد هذه الابيات وعماد الدين علقم واقف وسامع ما قاله معروف ابن حجر خاله فصاح من شدة فرحه جيتك يا خال معروف وكان معروف مع طولة السجن ثقل سمعه وأظلم بصره وداب جلده ولم يبق فيه غير اللسان فقط يحركه لذكر الله تعالى فلما صاح عماد فلم يسمعه فصاح ثانى وثالث فتصور المعروف أن الصايح من عمار السجن فقال معروف يا عمار هذا المكان انا عند نزولى عليكم عاهدتكم على عظم الاذية ولأى شىء بعد هذه المدة تصيحون صيحات كانها الرعود أتريدون أن تنقضوا العهود أما تخافون أن ينتقم الله منكم ويفعل بكم كما فعل بقوم عاد وثمود اذهب عنى بسلام بحق دين الاسلام فقال عماد لاحول ولاقوة إلا بالله ثم صاح بملء رأسه وقال يا خال معروف أنا ابن أختك عماد الدين علقم فقال له إذا كنت كما تقول إنك عماد الدين فاتينى وكن لى قرين فقال له من أين آتيك يا خال فقال له طريق الخير عن اليمين فاخذ عماد على يمينه ومازال سائراحتى وصل إلى خاله ووقف بجانبه وقال له ياخال الدنيا ظلمة فقال له خذ شاكريتى من قربوص السرج وجردها فانها نور المكان فمد يده عماد أخذ الشاكرية وأراد أن يجردها فلم يمكنه فقال معروف اوضع يدى على

قبضتها فوضعها عليها فانجذب منها مقدار شبر فاضاء السجن ونظر عماد خاله وهو على السرج فرفعه من عليه وأراد أن يخرج فقال له معروف ياعماد قتلت الجارية فقال لا ياخال فقال معروف ابقيني فانى حالف لا أخرج حتى تموت الجارية فما تم كلامه حتى أنقفل باب السجن فقال عماد ياخال باب السجن انقفل علينا سوى فقال معروف ليش انت ما فتحت مدينة القيطلان قبل ما تدخل الى عندي وكيف وصلت الى ذلك المكان فاحكى له عماد على اصل ظهوره واجتماعه على السلطان وما جرى بينه وبين شيحة وكيف كان سفره الى ذلك المكان وقال فى آخر كلامه ان شيحة من كثرته على الفضول قال لى قدام الظاهر اذا وقعت فى ضيق انده على وانا أحضر إلى عندك وأخاصك فقال معروف إذا كان كذلك انده عليه ياعماد هل يا ترى جربت نجداته سابقا فقال عماد يا خال عيب إذا كنت أنده عليه وأطلب منه الخلاص فقال معروف أنده عليه يا عماد لعل الله سبحانه وتعالى يجعل لنا الفرج على يده وإذا حصل منه نجدة والاسم الأعظم أطيعه وأكون من جملة رجاله فقال معروف انده عليه لأجل خاطرى فقال عماد يا خال ان كان لأجل خاطرك انا انده عليه قال المقدم معروف ياعماد انده على شيحة الذى تذكرعنه لعل ان يكون لنا على يديه فرج فقال عماد الدين يا خال أنا لاجل خاطرك انده عليه ثم ان المقدم زعق انت فين يا قصير فقال معروف هو اسمه قصير فقال يا خال هو قصير فقال معروف انده باسمه فصاح انت فين يا قصير وهكذا يا مقطى فلم ياتيه شيحة واخيرا لما ضاق به الحال فقال معروف والله يا عماد ان ما جاءنا ذلك الرجل الذى ذكرته لابد من قعادك معى فى السجن إلى ان يشاء الله فصاح انت فين يا سلطان القلاعين والحصونين يا من انا عبدك وخدامك فانفتح باب السجن ووقعت راس الجارية على عماد فقال عماد يا خال باب السجن انفتح احذك اطلعك فقال معروف يا عم ردنى على السراج الرخام فانا حالف ما اطلع من هذا المكان إلا ادوس فى دماء عباد الصلبان فقال عماد ياخال ايش هذا الكلام فقال معروف لا يمكن ان احنث فى يمينى ابدا فسمع القايل يقول يا مقدم عماد قابل القادمين عليك واضرب رقابهم وخضب رجلين خالك من دمائهم فقام عماد فرأى نورا ظهر وطاقة فتحت فى ارض السجن وداخل منها نحو عن عشرين كافر فحط يده على شاكريته وانفرد على الجميع قطع رؤوسهم وأوقف رجلين خاله فى دمائهم ورفعه بعد ذلك على أكتافه وطلع من تلك الطاقة التى فتحت فرأى نفسه من مكانه تحت سراية كنيار فقال معروف احنا

قين ياعماد فقال ياخال تحت سراية كنيار فقال معروف هل قادت فى السراية النار قال له عماد لا ياخال قال معروف رجعنى الى السجن فأنا حالف ماأطلع حتى تقاد النار فى سراية كنيار واذا بحريقة ثارت فى السراية فقال عماد ياخال نفذ يمينك وهاهى النار قادت فى السراية بينماهم كذلك واذا بجماعة من الكفرة عارضوا عماد فى الطريق وكان هذا أفروري البلد دائر يطوف فلما نظروا عماد فى الطريق مالوا عليه وجذبوا سيوفهم وطلبوه فوضع معروف على مصطبة وتلقاهم بقلب أقوى من الحجر وجنان مثل البحر اذا زخر وقطع الرؤوس كالاكر والكفوف كاوراق الشجر فافنى منهم عدد فذاقوا العذاب ونفروا من بين يديه كلهم الكلاب وعاد المقدم عماد الدين كأنه أسد الغاب وهو يمسح شاكريته من الدماء ولما وصل الى محل ماوضع خاله لاجل أن يحمله ويعود به فلما وصل يجد كما قال القائل

سارُوا وسار الربع يندبه الثرى ان قلت بانوا أين مثلك بانوا
فاسأل منارا لهم تجيبك يافتى كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فلما وصل ولم يجد خاله لحس بأن الدنيا قد انطبقت عليه ولم بقى لك همة ولا جلد فما كان منه الا أنه عاد الى الخمارة ثم دخل على دميلكو الخمار وهو باكى العين فقال له دميلكوا مالك ياغندار فحكى له على ماجرى وكيف أنه خلص خاله وعارضوه النصارى فى الطريق فوضع خاله على المصطبة وقاتلهم حتى ردهم على اعقابهم وعاد الى خاله فلم يجده وراح تعبى بلا فائدة فقال له دميلكوا الخمار يعنى خالك بيجو كبير ضعيف قال عماد نعم فقال هذه الساعة واحد جاب رجل ضعيف بيجوا لقاه مرامى فى الطريق وقال لى يا معلم دميلكوا خليه عندك حتى يطيب او يموت ادخل انظره ان كان خالك اقعد عنده فدخل عماد الدين الى داخل الخمارة فوجد أبو بكر البطرنى جالس وخاله مطروح على ظهره فلما نظر عماد ذلك فقال للبطرنى من الذى أتى بك الى ذلك المكان فقال له لما ثارت النار فى سراية كنيار فدخل السجان فكنى وقال لى قدم لاتتحرق فخرجت هائما على وجهى فى الليل فرأيت ذلك الخمارة مفتوحة فدخلت فيها فرأيت هذا الاختيار مطروح كما ترى فقال عماد هذا خالى بقى بدنا الخلاص والسفر به من تلك البلاد فقال البطرنى وايش يكون السفر اذا كان فخالك هكذا مريض فقال عماد أحمله من محل الى محل على أكتافى حتى أدخل به الى الحصون وأدخله يقيم بحصن صهيول ثم ان عماد أتى الى عند خاله وصاح به ياخال احنا خلصنا عن السجن وبقينا فى البلد وهانحن مقيمين فى خمارة دميلكوا الذى ذكرت لك عنه انه رجل فقال معروف ياعماد أنا أشتهى منك ان تسأل

صاحبك هذا الحمار هل حكيم يكون شاطر يداوى عيونى ابقى على كل حال أشوف الدنيا قبل موتى فان النظر هو غاية الانسان فقال عماد ياخال إن هذا غريب لم اعرف أحد ولكن انا أسأل المعلم دميلكو صاحبى ثم ان المقدم عماد قام واقبل على دميلكو وقال يا معلم دميلكو تعرف واحد حكيم يكون يعرف يداوى النظر ثم اشار له على عينه بيده فقال ادخل وأنا ارسل لك حكيم فدخل عماد وقعد ساعة وإذا بحكيم قادم له عين عمشة والثانية عليها زر فقال له عماد لما انت حكيم داوى عيونك فلم يلتفت لكلامه فقال البطرنى ياعماد سلم الأمر لصاحب الأمر ولا تتعرض لمن له الامر والنهى فتقدم الحكيم ونظر لمعروف وقال إيش تعطينى اجرة حتى أطيب عينيك فصاح عماد على خاله وأعلمه بما قال الحكيم فقال معروف وإيش معى اعطيه النظر غالى ولا أقدر أجازيه ولكن إذا كان يطلع من يده أن يفتح لى عيونى وأشوف بهم اكتب له الثلث فى سلطنة القلاع والحصون فاخبر الحكيم عماد بذلك فقال الحكيم أنا لم أعرف القلاع ولا الحصون ولا أدرى إلا بمال فقال عماد يا معلم اقبل هذه الاجرة وأنا أشتريها منك بكل ما طلبت من المال فطاوعه الحكيم فقال له عماد قبل كل شيء خليه يكتب لك حجة بشهادتى وشهادة أبو بكر البطرنى وختمه وكلا منا يختم بعد ختمه فقال الحكيم اعمل زى ما تعرف وأنا أرضى فكتب عماد حجة وختمها بختم خاله معروف بالثلث فى سلطنة القلاع والحصون للحكيم نظير ما يداوى عيون المقدم معروف بن حجر فأخذ الحكيم الحجة وعماد فرحان ويقول له يا حكيم أنا أشترى منك هذه الحجة بكل ما طلبت من الاموال وتقدم الحكيم ومسح عينين معروف بماء يعرفها حتى قطفت ووضع له كحل لحس معروف ان السماء انطبقت على الارض ولكنه تجلد حتى بردت عينيه فسغلهم له وكحله ثانيا وثالثا وكان هذا فى ثلاثة أيام واليوم الرابع رفع الرباط عن عينيه فنظر ابن اخته عماد الدين واقف بين يديه فسلم عليه باشتياق وقال له يا عماد أما هذا الحكيم لا نظير له فى الحكماء ليتك يا عماد سألته على دواء الاذان ربما كان عنده فهم بذلك فقال عماد ياخال أنا أسأل المعلم دميلكو ما هو صدقى ثم ان عماد الدين قام إلى الخمارة وقال له يا معلم دميلكو مرادنا حكيم يطيب الآذان فقال له إيش الآذان فأشار له على أذنه فقال له ادخل وأنا أرسل له حكيم فدخل عماد وقعد وإذا بحكيم مقبل ونظر إلى معروف وقال كم تعطونى أجرة حتى اطيبه فسأل عماد خاله معروف فقال أعطيه الثلث فى السلطنة وكتب له حجة مثل الاولى فاشتغل الحكيم بالعدد والادوية والمراهم حتى طابت آذان معروف وقال يا عماد إذا تكلمت بشفقة فقال

عماد نهار مبروك يا خال فقال معروف ياعماد اسأل على حكيم يعرف يداوى العظم من الوهن ويشد الركب ويصحح البدن فطلع عماد وأخبر دميلكوا فأرسل له حكيم ولكنه ماشى على خشب وله فردتان لم يخرجهم نبات فقال عماد الدين أعوذ بالله الرحيم الرحمن يا حكيم داوى عظمك وداوى بيضاتك فلم يلتفت إلى كلامه فقال له البطرنى ياعماد اسكت ان الله يوضع سره فيمن يشاء من خلقه ثم نظر الحكيم إلى معروف وطلب له الأجرة فكتب له معروف الثلث فى السلطنة حجة وختمها فقام الحكيم غاب وعاد ومعه أربعة رجال ينقلوا قزان نحاس فصنع كانون عالى ووضع ذلك القزان فوقه وقاد تحته بالخشب حتى صفى على ثلثيه وأمر بوضع المقدم معروف فيه فقال عماد تريد نطخه يا حكيم فقال انا اعرف شغلى فوضع عماد فى القزان مقدار ساعة وبعدها تحركت أعضاء معروف وقال إن المية المرية دافية وما دام كذلك حتى لانت أعضاؤه وقد انسلخ الجلد الميت من على بدنه وطلعه الحكيم ولفه فى صوف ناعم ولفه فى لوح لباد كبير وغطاه وبات معه ولما كان فى الصباح فكه ودهن جسمه بدهان ولفه ثانيا وهكذا سبعة أيام حتى إن معروف وقف على قدميه وقال له يالك من حكيم شاطر لكن يا عماد اسأله أن يدخلنى الحمام حتى البس بدلتى فقال عماد ياخال بدلتك هنا ولكن عليها صديد كثير لما أطلع إلى دميلكوا والخامورجى واسأله على ذلك ولما وصل إلى دميلكوا فقال له طاب خالك يا غدار فقال طاب ولكن يا معلم مرادنا واحد غسال يغسل له بدلته ويدخل الحمام فقال دميلكوا بدلته أنا أغسلها له وأدخله الحمام ثم قلم وأتى مع عماد إلى داخل الخزانة وأوقد نارا تحت القزان ووضع البدلة وأرمى عليها شيئا من عنـــده وهزها فى الماء وطلعها فطلع جميع الزرد مغموس بالذهب البندقى وكذلك فعل بقبضـــة الشاكرية والجراب وأحضر قماش وأخذ معروف ودخل به إلى الحمام وصحبته عماد والبطرنى فاستحموا جميعا وأما المقدم معروف فانه لما استحمى قدم له دميلكوا بدله من أحسن القماش فلما لبسها قدم له بدلة فلبس البشت الزرد والتبان ووضع الخودة على رأسه وألبسه على بدنه درع دوادى وقلد بشاكريته ذوى الحياة وعقد المنطقة على وسطه ووضع فيها خناجر اثنا عشر على اليمين واثنا عشر على اليسار ثم انه نظر الى نفسه نظر الفرح واتسع صدره وانشرح وقال معروف أين شيحة الذى تقول عنه يا عماد حتى أتفرج على حيله فقال عماد ياخال الحمد لله الذى ربنا سلمك ولما يقع شيحة نذوقه دق الكبة فى الهاون فقال لهم دميلكوا ياغادرة انتوانا تاكلوا لحم الخنزير والا لحم ايش فقال معروف لايادميلكو ماناكل إلا لحم غنم وأذبحه أنا بيدى فأتاهم دميلكوا بكبشين غنم سمان

وذبحهم معروف بيده وسلخهم عماد والبطرني غسل القزان لهم ووضعوا فيه اللحم أوقدوا عليه حتى استوى وأتاهم دميلكوا بقرصين خبز بدائرة قعدة الطاحون وكسرهم فى المنصف فتذكر معروف أكل المنصف فى القلاع والحصون فاكل ذلك اليوم حتى أكتفى وقام وتمشى فى قلب الخارة فنظر الى عامودين حاملين سقف فقال يا عماد ياهل ترى حدثات الحياة على أهله ماضى أم يكون اختلاف ثم انه جذب الشاكرية فى يمينه وضرب العامود الاول فانقسم كالخيارة وأراد ان يضرب الثانى فقال له دميلكوا تهد الخارة ياغندار فقال معروف لاتخاف يامعلم دميلكوا هل عندك شراب قرفة فقال عندى ثم انه غاب وعاد ومعه ابريق ملآن من شراب القرفة فشرب معروف وعماد والبطرنى سوى مع بعضهم فانقلبوا مبنجين فانفرد عليهم وكتفهم وفيقهم فاول ما أفاق معروف فنظر الى نفسه والى ابن اخته والبطرنى مكتفين فتذكر يوم بنجه كنيار القيطلانى مدة ماسجنه فضاقت عليه الارض وقال آه

مايبلغ الامال كل مؤمل	صبرا على من القضا بتحمل
واصبر فان الصبر أعذب منهل	قلوب ليل فى الهموم كمدمل
عالجته حتى أوصلت لفجره	واصبر لما فاتك وماهو قد أتى
مثلا كحر مصيف أو برد الشتا	واحذر تحذرها تحت أومتى
ولقد تمر الحادثات على الفتى	وتعود حتى لاتزول بفكرتى

[يا سادة] يا كرام وقال معروف يامعلم دميلكوا أنت لاى شىء غدرت بنا وبنجتنا وفيضتنا بعد جميلك الذى فعلته معنا كان الواجب تمام الجميل فان الجميل لا يضيع الاعند مفقود النسب واحنا ناس أشراف نعرف حق الجميل طيب فقال دميلكوا لما علمت انكم مسلمين وأنا مابقى يمكننى أن أوالس عليكم حتى أعلم لكم البب كنيار القيطلانى يبقى ان منطركم بخاطره وان اطلقكم بخاطره وتركهم بعد ساعة قبل كنيار القطلانى فنظر البطرنى وقال لاحول ولاقوة الا بالله والتفت كتفنا الى أبو بكر البطرنى قال تمطر أبونا الوزير القيطلانى وبعد ما أقبضك مرادك تخلص من عندى حتى تعود سالم الى بلاد المسلمين فقال أبو بكر ان شاء الله تعالى أعود سالم ياابن الكافرة هل كذاب لابد لك من المنظار وأنت يابيجوا معروف تروح بعد سبعة عشرة سنة أما لك تطلع من عندى سالم وتروح لبلاد المسلمين هذا أمر بعيد فقال معروف اذا اراد الله لى بالسلامة يا لمدبر فانه على كل شىء قدير فقال كنيار أما انتم مالكم ذنب بل الذنب الذى أتى من بلاده وقصده يخلصكم وما اعلم أن كنيار يقبضكم ثانى مرة فقال عماد فشرت والله ياقرن لولا أنى اخشى

الملاعة لكنت انده الحاج شيحة يحرق بيتك ويخلصنا منك فقال كنيار فشرت فى دقنك ودقنه فصاح عماد أنت ياسلطان المجاهدين ويامقدم بنو اسماعيل ياسلطان سلاطين الحصون يامن هو على القلاع كالجوهر المكنون ادركنا ياصاحب الحايل يامن أنا أعبدك وخادمك ن خلصتنا قبلت مواطى أقدامك فضحك كنيار القيطلانى ورفع من على وجهه الغطا فبانت صورته الاصلية فقال عماد أقعد ياقصير بهذه القلمة تريدان تجعل الك على جميل وتكتبنى مقالو لك أنا ولا أنك صاحبى وعامل هذه الحيلة ودخلت فى صفة الخمار ديلكو اما كنت تقدر تقبضنا لكن اخبرنى فين ديلكو افقال ياعماد ديلكو أنا والحكيم الاول أنا والثانى أنا والثالث أنا والحامى أنا والافروري الذى جابك أنا والذى حرق سراية كنيار انا والذى خلص البطرنى أنا والذى أتى بمعروف انا وقتلت الجارية وفتحت الطابق هذا كله فعلى وأنتم هل تعرفون حق الجميل فقال معروف ياشيخ شيحة وحق من حكم على بالسجن هذه المدة وجعل خلاصى على يديك لو كنت أخذت الاموال والارواح ناليل فيما فعلت فى حقى ياأخى من الجميل فتقدم شيحة فك معروف وبعدها فك البطرنى فقال معروف هى طاعة الخوند لك حتى تقوم الجبال والرمال فى مارات البحار هدو لمن تعادى صديق لمن تصادق أى والاسم الاعظم وكل من كان يعصى عليك يكون ممرص وزوجته يفعل بها الناس على حسه ثم التفت الى المقدم عماد الدين عاقم وقال له ياابن الاخت اعلم ان المقدم من قدمه الله وها أنا أطعت شيحة بقى أنت تريد تعصاه وتكون سلطان على أنا والاعلى شيحة والاسم الاعظم ان طلبت السلطنة لاقتلك فقال عماد ياخال لا أطلب سلطنة ولكن ما أطيع هذا القصير فقال شيحة يامقدم معروف اتركه حتى العب أنا واياك رتم الملعوب ونطلع من القيطلان حكم ما اشترط اقدام السلطان وبعده كل من بلغ مقصوده أخذ السلطنة والاطاعة ما تكون الا بالرضى وانما ياجماعة اعلموا ان التفتيش دا ير فى البلد عليكم وانا قصدى اقبض على الثلاث ملوك وأحكمكم أنتم على ملوك القيطلان حتى تنهبوا أموالها وجميع دخائرها وناخذ ملوكها معنا الى بلاد الاسلام فقال معروف ياحج شيحة ياأخى اما أنا فما أخالفك فى جميع ما تامرنى به افعله وهذا عماد والاسم الاعظم ان أخالفك اقتله وأما قبطان الاسلام فهو وشانه أخبر فقال البطرنى أنا خدام المقدم جمال الدين ولو كنت اعدم مهجتى ومالى وأنا لى ألف وستمائة مغربى مسجونين فى سجن القيطلان عند هذا الملعون ابن الكافرة كنيار القيطلانى وكما تعلموا ان الغراب المنصور امام مراكب أمير المؤمنين الملك الظاهر ها هنا مكسور مربوط على مينة القيطلان الخراب وانا لم يمكنى حتى اذا حصلت التوجه الى بلاد الاسلام الا اذا كنت فى الغراب المنصور ويكون آلاته كاملة وتمام رجالى

صحبتى وإلا لاحاجة لى بسفرى بلاد الاسلام وموتى تحت سيوف الكفار والا اتوجه إلى أمير المؤمنين من غير الغراب المنصور وها أنا يا مقدم جمال الدين بين يديك وكلما تأمرنى به أفعله ولا أبخل بروحى عليك فقال المقدم جمال الدين يا قبطان الاسلام ان الشرط الذى وقع بينى وبين عماد علقم على خلاص الغراب المنصور وخلاصك وخلاص المقدم معروف بن حجر واقبض ملوك القيطلان الثلاث ونهب القيطلانية جميعهم وقدومنا بالجميع إلى بين أيادى السلطان بشرط لا ينضرب سيف ولا تثور فتنة والحمد لله أنتم خلصتم وما بقى الا قبض الثلاث ملوك ونهب مال القيطلان وسفرنا من ذلك المكان والراى عندى أن تقيموا انتم ها هنا ثم ان المقدم جمال الدين أدخلهم فى مكان وأجلسهم فيه وطلع وقفل الخمارة وسار الى سراية القيطلان فوجد الملوك الثلاثة قاعدين فتقدم ووضع المنسرة فى يده فقال كنياو القيلانى ما لك يا دميلكوا فقال ياأب أنا اتيت لما القيت الافرورى والكندار وكل أرباب الولايات يفتشوا فى أماكن الناس فسألته على سبب هذه الفعال فقالوا ان الملوك ضاع لهم ضايع فى البلد وهذا التفتيش من أجله فلما سمعت ذلك أتيت اليكم أسأل منكم ان كان هذا صحيح اطلب منكم انكم انتم تنزلوا على البلد خلف المفتشين وتدخلوا خمارتى تفتشوها بانفسكم على اسم انكم معزومين وبعد التفتيش عندى اذا كان فى البلد أحد من العاصيين لابد أن يحضر عندى وأنا إذا رأيته اقبض عليه واحضره الى عندكم فقالوا الملوك يا دميلكوا انت عندنا عزيز ولا أحد يفتش خمارتك لانها خمارتنا فقال دميلكوا أنا فى عرضكم لاجل ينكشف عنى الوهم وتبقى الناس تدخل عندى بامان وبعده انا أعلمكم على مسك الغريم عند ذلك ركبوا الثلاثة ملوك مع دميلكوا وصاروا صحبته الى الخمارة فاجلسهم على الفراش وأرادوا الوراء أن يدخلوا ويهجموا على الخمارة فقال لهم دميلكو ادخلوا فتشوا واطلعوا فان الملوك لهم عندى عزومة فقالوا الملوك لا أحد يدخل خمارة دميلكو أبدا غيرنا فامتنعوا الناس جميعا ولم يبق فى الخمارة سوى الملوك فقط ودميلكو نديمهم فلما جلسوا غاب وعاد لهم وصحبته ولد جميل الصورة على راسه طربوش من الجوهر يساوى خراج القيلان وملك البردقان فلما نظروا الملوك الى صورة ذلك الغلام ووجهه الذى كانه البدر التمام وملبوسه الذى كانه كنز مرصود من عالم الاقلام فانبهروا من حسن طلعته وكلا من الملوك تولع بمحبته فامره دميلكوا أن يمسك الكاس ويملا ويناول الملوك وقف الغلام على راى من قال

ومهفهف يسعى الى الندما بعقيقة فى درة بيضاء
والشمس مالت للغروب كانها دينا يلمع فى قرار الماء

ومذ يدها عقد الشراب اسانه | وحديث بالرمز والايماء
حركته شجنا وقلت له انتبه | يا فرحة الجلساء بالندماء
فاجابني والخمر يخفض صوته | يتلجلج كتلجلج الهيفاء
انى لا أفهم ما تقول وإنما | غلبت على سلاقة الصهباء
والبدر فى أفق السماء كرمهم | ملق على ديباجة زرقاء
لما رأيت مسامرى قمر السما | ومنادمى قمر بغير سماء
فحمدت ربى ساعة الانس التى | جمعت لنا القمرين فى الخضراء

وكان هذا الغلام محمد الساقى بن شيحة فدار عليهم قدر الخمرة وغنى لهم بالرومى حتى زادهم هياما وحسرة وأسكرهم سكرة واى سكرة وأدخل لهم البنج فشرف كلا منهم وانطرح فقام دميلكوا وأحضر ثلاث براميل ووضع كل واحد منهم فى برميل ووضعهم فى محل وأحضر معروف والبسه بدله كنوبر وجمله و صفته بدهان من حكمته ومعرفته والبس البطرنى بدلة كنيار القيطلانى وأطعمه ذبيبة فغارت عينه الشمال كما كان كنيار أعور بعينه الذى قلعها عر نوص فقال البطرنى يامقدم جمال الدين أنا فى عرضك أين راحت عينى فقال لا تخاف عليها عيبك عندى أنا لما أتم شغلى وخدها منى فسكت وكذلك عماد الدين علقم لبسه شيحة ملابس عبد الصليب وأطعمه عشب فاخرج له صندوق على صدره وحذفه على ظهره فسكت ولم يتكلم خوفا من خاله معروف فقال شيحة قوموا واخرجوا واركبوا الخيول بتوع الملوك أما عماد فانه يطرد الحصان إلى حد السراية وأما كنوبر يعنى المقدم معروف فانه عندما يركب يقطع رأس السايس وأما البطرنى محل كنوبر فانه يمشى يتعجب بنفسه على مهله حتى يصل إلى الديوان ومتى جلستم فى الديوان ارسلوا لى طالب حتى أحضر إلى عندكم وأدبركم على نهب أموال البلد وخلاص الغراب المصرى والمغاربة والسفر من هذه البلاد فعند ذلك خرجوا أول ماركب عماد الدين على حصان عبد الصليب وطلع رامح إلى السراية وأما معروف فركب على جواد كنوبر وجرد ذوى الحياة وضرب فى النصارى الذى بين يديه إلى حد السراية فقالوا النصارى يادميلكوا انت عملت إية فى الملوك اسكرتهم سكرة غامضة فلم يلتفت الكلامهم وأما البطرنى فانه ركب على حصان كنيار القيطلانى وصار يتعجب فى مشيته حتى وصل إلى السراية فقالوا جمع الوزراء أجلسوه فلما جلس قال هاتوا دميلكو الخمار فتجارت الخدم إلى دميلكو وقالوا له كلم الملوك

فقال انهم هذا الوقت كانوا عندى فقالوا مانعرفش قوم وأخذوه إلى السراية فلما بقى بين أيديهم قال له كنيار القيطلانى يا دميلكو مرادنا منك تحضر لنا الغريم الذى سرق

أبو بكر البطرنى ومعروف بن جمر والا خربت بلادنا فقال لهم تطاوعون على ما أقول
وأنا أظهر لكم الغريم وان جرى بتاع ملك على البلاد ضرر منظرونى قال له قول واحنا
نطاوعك فقال لهم قبل كل شيء الغراب المنصور المسلمين تخرجوه من المينة الخراب الى
المينة العمار ويتولى أمره البب كنيار حتى يصلح آلاته وعدده وتخرجوا المغاربة من بعد
ما تشدوا السلسله على فم البغاز وتقفلوا أقفالها فى الابراج على الدقة فان نزلوا المغاربة
اليسرى فى الغراب لم يبقى لهم مسلك الى الهروب والذى يتولى أمرهم البب كنيار وبعد
ذلك لما يتم تنظيم الغراب المنصور تنزلوا فيه جميع ذخائركم وأموالكم الذى تخافون عليها
ثم تأمر وانجار البلاد كل من كان له أموال يخاف عليها ينزلها فى الغراب المنصور فاذا فعلتوا
ذلك تبقى البلاد خالية من الاموال فالغريم لم يلاقى شيء يسرقه فلابد أنه يريد ان يتحايل على
وصوله الى الغراب المنصور يسرق منه فتكون ناظرة له الغفر فيقع ويكون منظاره على
المينة فقالوا له الملوك صدقت وفى الحال نزل كنيار القيطلانى الذى هو أبو بكر البطرنى أمر
بحفظ أطراف السلسلة وتحصين أبراجها وفتح الحبوس واخرج المغاربة ورتب لهم المأكول
من لحم الغنم والسمن البقرى والرز الابيض ودرروا الملوك فى نقل خزنهم وأموالهم وذخائرهم
مع ذخائر حريماتهم ونادوا على التجار كل من له أموال يخاف عليها ينزلها فى الغراب المنصور
والوكيل دميلكو الخار والضامن له دميلكو البب كنيار فصاروا الوزراء ينقلوا أموالهم
والملوك حتى نزلوا البلاد فى الغراب المنصور وواحد تاجر اتى دميلكو وقال انا عندى عشرة
آلاف دوقانو اخذهم تسليمك ولا ألزمهم الا منك انك نظير غفرهم مائة دوقانو فقال له
دميلكو أنا لم آخذ شيئا الا منك ولا غيرك أنا مالى كثير وأطلب من المسيح مال ولا أريد غيره
من أموال الناس والعشرة آلاف دوقانو [illegible] ما تسلمهم لى تستلمهم منى فشاع بذلك
الخبر ان دميلكو لم يقبل من أحد اجرة ولا رشوة والنصاب [illegible] بيت الطماع حتى امتلا
الغليون الاموال وبعد ذلك أمر الملوك باحضار دميلكو وقالوا له الاموال قلناها مثل
ما قلت لنا والغريم لم يقع فقال بحيث ان الاموال فى الغراب المنصور والغراب [illegible] كانوا
على بلادكم [illegible] عكم قدر [illegible] قال بلاد
القدس [illegible] أموالكم [illegible] مريم [illegible]
فقالوا صدقت [illegible] دميلكو
[illegible] حتى [illegible] الملوك
الثلاثة [illegible] فى وسط الغراب [illegible] أنا
[illegible] فقال

قصدى اكشف على هذه البرامبل فقال له انت مجنون الملوك اثنين وهذا يبا رهم فقال له لابد عن كشفه فان الملوك يحكموا على بلاد هم الذى انت اخربتها وانا احكم على الجرك والا اخليك تخرب المينة فعلم شيحة ان هذا يريد يكشف ستره فقال ادركنى ياسابق فقال ها انا السابق وانت عجزت عن ملعوبك يا أيها الجركشى على المينة فها انا قتلته ووقفت مطرحه فقال له لكن قطعت ولدى فى هذه الساعة فقال السابق يا أبى القائل يقول

قبل ان تفصل قيس واقطع   واحسب حساب القطيعة
اصح تكون جوال صنعه   تقطع ذراع تتلف ميه

فقال له أبوه صدقت ياولدى وبعد حياتى السلطنة ما تصلح الا لك فقال السابق نزلوا البراميل فى الغراب المنصور كل هذا يجرى وأبو بكر البطرنى يقول والله لو خلق ربنا اربعين قصير مثلك لاخربوا جميع الممالك ولم يخلوا فيها لاحد عمار هذا ما جرى وأما الملك كنيار القيطلانى فانه أمر المنادى أن ينادى فى كنيار القيطلانى كل من اراد أن يزور القمامة العتيقة القدسية فلينزل مع ناقى الغراب المنصور فاجتمع من اكابر القيطلان مقدار مائتين نفس وأمروا الذين فى أبراج السلسلة ان يرخوها روقف البطرنى بالصارى بعدما أعلم المغاربة وصاح عليهم فكل من كان له رتبة تولى عليها ورفعوا المراسى وفردوا الشراعات وطاب لهم الهوى ومسكوا مارات البحر العجاج الواسع الفجاج وساعدهم المولى باليسر والافراج من غير مشقة ولا تنغيص وثالث يوم نزلوا الى جزيرة العرانيص فميل أبو بكر البطرنى بالغراب المنصور على الجزيرة وأمر الناس بالطلوع فيها فقال معروف ياحج شيحة انا تضايقت من لبس ملابس أهل الكفر ومن القليطة هذه التى جعلتها تحتى خذها وريحنى منها فقال شيحة خذ هذه الملبسة كلها فاكلها وتكرع فراحت كلها فقال البطرنى هات عيى ياجمال الدين على له كل هذه الملبسة ما أكلها فماعت عينه كما كانت فقال عماد وهذه الصناديق ما بقيت ما تأخذهم ياشيحة فقال شيحة يامقدم عماد ان هؤلاء الصناديق لك فيهم منافع كثيرة اولا اظهرك بسرك يقولوا بهم عاليين وثانيا تفتخر بهم قدام بنو اسماعيل تأخذ احد منهم له صناديق الا انحر أنا انا لا آخذ ولا أحط لك عليهم اما اذا كانوا اصفقا يريد ان يكبروا انا املك على دو يكبروا عليه واما ان اردت انك ترتاح منهم فهذا غير ممكن ما دمت انك عاصى عن طاعتى فقال له معروف ياعماد اعلم ان الحاج شيحة مطيع الله عز وجل أما تنظر يا عماد كيف ان عظمك خرج وتعوجت اضلاعك من شىء اكلته من يده ياعماد طيع شيحة واترك اللجاج والا ثم الاعظم والا قتلتك او ابيح له دمك يفعل كلما اراد ويحرسك فى الحصون والقلاع بهذه الصناديق وكلما دنى يريدون حتى يبقى

كل واحد مثل البرج وهذا شيم الأشيا عند الرجال فقال أبو بكر البطرنى طيع شيحة يا أبو صناديق الله يكسر صناديقك فقال عماد أنا أطيع لكن بعدما يطيب لى شيحة هذه الصناديق فقال شيحة يا عماد هذه أقل حاجة حيرت فكرك فكيف تعادينى على السلطنة وتطلبها مع انى والله لو يكونوا كل الرجال لهم مثل هذه الأشياء لابد لى أن أخيبهم فى أقرب وقت فقال عماد الله ملا قلبك أيدالله سيادتك الملكية وهى طاعة الخوند الله حتى تقوم الجبال فى مأوات البحار عدو لمن تعادى صديق لمن تصادق أى والاسم الأعظم فقال له شيحة اقلع شوا كرك حتى أكتب اسمى عليهم فقال معروف والاسم الأعظم الا تكتب شاكريتى قبل شاكرية عماد فعندها طلع المقدم جمال الدين البودقة وسبك الذهب وحر شاكرية معروف وكتب على وجهها طبع هذا السلاح بنية الغزى والجهاد لسلطان القلاع والحصون المقدم معروف بن حجر المتنزه عن السلطنة لأخوه المقدم جمال الدين شيحة عز نصره وكتب على شاكرية عماد طبع على ذلك السلاح المبارك لنية الغزو والجهاد فى طاعة رب العباد للمقدم جمال الدين شيحة عز نصره وأعطى كل شاكرية لأهلها فقال معروف لماذا ما كتبت انى أنا تابعك فقال المقدم جمال الدين شيحة القائل يقول :

ما شان بيت فى الملا متجددا ... إلا عليه الحكر المتقدم

والعين يا مقدم معروف ما تعلو عن الحاجب

تم الجزء الحادى والعشرون ويليه الجزء الثانى والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثانى والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ثم ان عماد الدين قال له ايش تقول فى تلك الصناديق عايز منى شىء غير الاطاعة وها أنا اطعتك فاطعمه المقدم جمال الدين أعشاب فاجتمع صدره وظهره كما كان وبعد ذلك فتح شيحة الصناديق وطلع الملوك أطعمهم وأسقاهم، ومسح البراميل ونظروا النصارى الذين معهم فرأوا الذين موجودين غير ملوكهم فسألوا بعضهم عن الخبر ونظروا إلى دميلكوا فرأوه على حاله فقالوا له يا دميلكوا ايش الخبر فقال لهم اعلموا أن هؤلاء معروف بن جمر الذى كان عندكم فى سجن كنيار القيطلانى وهذا أبو بكر البطرنى وأما هذا عماد الدين علقم الذى سعى فى خلاص خاله معروف بن حجر وأما سلطان القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحة فقالوا له وأين ملوكنا فقال ملوككم فى قلب ثلاث براميل قصدى أوصلهم الملك الظاهر ملك الاسلام فقالوا له واحنا لأى شىء أخذتنا فقال لهم انتم كان طالب منكم الاسلام فان اسلم نجيتم وإن لم تسلموا قتلتكم عن آخركم فقالوا لم نسلم أبدا فاخبر شيحة معروف فقال ياحاج شيحة هم كام فقال له مائتين فطلع معروف للجزيرة وجردوا ذو الحيات ضربها يمين قتل مائة وضربها يسار قتل مائة وعاد وهو كانه شقيقة الارجوان يفتخر بدماء الغزاة على درعه فقال له شيحة قبل الله منك الغزاة ياخوند فقال والله يا شيحة من زمان ما هريت شاكريتى ولكن ان طال عمرى حملت بقيته جهاد فى طاعة رب العباد ثم انهم ارموا جثة القتلى إلى البحر وطبخوا فى تلك الجزيرة وأكلوا وبعد ثلاثة أيام فكوا مراسى الغليون ومسكوا اماوات البحار طالبين الاسكندرية وتلك الديار فنظر شيحة إلى جهة البر فرأى واحد واقف ورافع منديل على الجبل وهو ينادى مينا ياقبطان فدخل إلى البر وأرمى الغراب وطلع شيحة غاب وعاد وطالب من الطرى السفر فقال معروف ياحاج شيحة إيش هذا الصبي قال له ولد اسمه محمد السابق فقال معروف ايش قال لك بالاسم الاعظم

فقال قال لى أن ظهر غلام من بلاد البرتقان وصحبته أربعين ملك أولاد ملوك البرتقان وهو قائم إلى بلاد الاسلام يريد الحرب والصدام فقلت له امض إلى مصر اعلم الملك الظاهر قال معروف إيش اسم هذا الصبي ياحاج شيحة الذى تقول عليه وليدك فقال شيحه اسمه عرقوص بن مغلوين وصحبته أبطال بدر وعهر وخود وهم أولاد ملوك البرتقان وهم أربعون ملك أعيان فقال له وهذا الصبي ابن مين من الفرسان فقال شيحة بن مغلوين ملك ملوك البرتقان قال معروف اقعد ياشيحة هذا وليدى أنا وهو وهو الذى سبب خروجي من القلاع والحصون وأقاموني فى القيطلان سبعة عشر سنة ونصف وأنا مسجون وأنا والاسم الاعظم ما بقيت أسافر معكم ولا أروح القلاع من بعد ما سمعت خبر وليدى يا حاج شيحة فقال له المقدم جمال الدين ياأخى وإيش مرادك أن تفعل فقال معروف مرادي أطلع من هنا إلى البر وأفتش على وليدى ولا أدخل القلاع إلا وهو معى وأما إذا لم تطلعونى إلى البر والاسم الأعظم أرمى بنفسى فى البحر ولا أسير من هنا أبدا فقال شيحة لا حول ولا قوة إلا بالله ثم انه أمر البطرنى أن يدخل البر وقال لمعروف قوم إخو نداطلع وكتب شيحة جواب وسلمه لابى بكر البطرنى وألزمه بالملوك وهم الثلاثة ملوك القيطلان ومال القيطلان نسلمه إلى الملك الظاهر وماهو معك عماد الدين محافظا فقال عماد الدين أنا ما أروح للظاهر ولا لغيره أنا لابد لى من رواح القلاع وأخبر بنو إسماعيل بظهور خالى وإنما أنا مع البطرنى إلى عند الاتقية فقال شيحة طيب وأنت يا بطرنى كل هذا تسليمك فقال البطرنى على الرأس والعين وتسلم البطرنى من شيحة الاموال والملوك وأما شيحة فانه طلع يراعى لمقدم معروف ابن جمر خوفا عليه هذا جرى . وأما المقدم معروف بن جمر فانه لما طلع من البحر قعد طول ذلك اليوم وطول الليل حتى أصبح الله بالصباح ومع تولعه بولده لم فتكر لا فى تعب ولا فى جوع فنظر معروف فى البرارى فرأى راكب على حمارة ولما أتى فى وسط الطريق نظر يمينا ويسارا فلم يرى أحد فنزل من على الحمارة ورفع ذيلها وحل لباسه وأتى بها فلما نظره معروف من بعيد تقدم إليه وقال له يا ملعون إيش الذى تفعله فقال له حمارتى وأنا أعمل فيها ما شاء احسن ما يعملها حمار فضربه معروف بالشاكرية قسمه نصفين وركب تلك الحمارة فسارت به الحمارة وهو راكبها فدخل عليه النوم فسارت بيه الحمارة وأدخلته دير صاحبها فلما أفاق على نفسه إلا وهو فى وسط الدير فرأى راهب لكنه مكسح وجالس ولم يقدر يقوم فقال معروف ياملعون هل عندك شىء تأكله فقال له عندى ولكن أين الراهب صاحب هذه الحمارة فقال معروف قتلته فقال أى شىء

قتلته فقال رأيته يحشك هذه الجرة وهذا حرام فى دينكم فقال له صدقت أنت على دين المسيح الدين الصحيح قال معروف نعم فقال له ما أقدر وإن كان قصدك أن تأكل فعندك الدقيق والعسل والسمن واللحم اعمل فطير بمعرفتك وكل قال معروف وهو كذلك ثم انه وجد دقيق وعجنه وطرحه على الفحم حتى استوى وأضاف عليه السمن والعسل وأكل حتى اكتفى فثقل عليه النوم فقام ذلك الكسيح كانه الذئب الامعط ووضع على وجهه البنج وهو نائم وبعده كتفه وفيقه فقال أشهد ولا أجحد أنا فين فقال له أنت مسلم ومنظرت الراهب العوعو بن جرير وركبت الحمارة وأتيت بصدغك التخين تتغدى من عندى تبقى تقتل أخويا وتجى أطعمك فقال معروف يا ملعون اطلقنى خلينى أمضى الى وليدى فأنا مستعجل حتى الحقه والا انده لأخى المقدم جمال الدين يحرق اجلك ويقصر عمرك انت فين يا اخى ياحاج شيحة وإذا بالراهب لما سمع هذا الكلام حط يده على خنجر امضى من القضاء والقدر واراد ان يقتل المقدم معروف وإذا بلطش على منبت شعره وانقمت رأسه فنظر معروف للضارب وإذا به صاحب الهمم

فان قاتات الحصون وعزها شيحة جمال الدين يعنى الظاهرى

سلطان من شد الشوا كرفى الوغا يوم الغزاة وللاعادى قاهر

فقال معروف يا اخى خلصنى فأطلقه وقال له لاى شىء دخلت هذا الدير وأمنت لذلك الملعون قال معروف حل على تعب المسير لما ركبت تلك الحمارة فدخلت ذلك الدير فقال شيحة إذا جعت أو عطشت انده على ولكن أقف حتى آتيك بجواد تركبه ثم غاب ومعه جواد أدغم كانه الغراب الاسحم فركبه معروف وسار طالب وادى الزهور ومنبع النهور ومرتع الغزلان فأتى على قلعتين على جبلين وتلك القلعتين ساكنهم رجل كافر جبار يقال له عبد الصليب وذلك الملعون مادد سلسلة من القلعة اليمين الى القلعة اليسار ومعلق ناسومه فى تلك السلسلة لأجل العابر مايفوت إلا من تحت ناسومته فلما نظر معروف ذلك ضرب السلسلة قصها بذى الحيات وبلغ الخبر الى الملعون عبد الصليب فطلع عليه وهو راكب على حجرة من أفخر الخيول الاصائل فأطبق على معروف بلا سلام ولا كلام فالتقاه معروف بقلب غير ملهوف قد تعود خوض المعامع والصفوف وتقاتلا ساعة من النهار وبعدها قام معروف فى ركابه وضربه بذى الحياة على وريديه اطاح رأسه من بين كتفيه واخذ حجرته فخرجت عليه النصارى من القلعتين فتلقاهم كما تتلقى الأرض العطشانة اوائل المطر ومال عليهم بالحسام وسقاهم شراب الحمام فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وسار معروف قاصد وادى الزهور ومنبع النهور

طالب أن يرى ولده ليطفي برؤيته نيران كبده هذا ما جرى ها هنا اسمع ما جرى من أمر عرنوص الذي قاصده المقدم معروف فانه كان مقيم في وادي الزهور مدة أيام وسبب ركوبه على بلاد الاسلام انه كان خطب بنت مغلوبن ملك البرتقان فحكم عليه جوان انه لا يتزوج بها إلا إذا احضر رأس ملك المسلمين مهرها فركب وأخذ معه اربعين ملك أولاد ملوك البرتقان وقسم لهم بلاد الاسلام إذا أخذ تخت مصر فيكونوا ملوك في الشام وحلب واسكندرية ورشيد وساروا معه على ذلك الترتيب فلما وصلوا إلى وادي الزهور أقام فيها مدة مستطيلة إلى تلك الايام فكتب له مغلوبن يقول له يا ولدي إن كنت عجزت عن حرب المسلمين فارجع واكتفي وأنا أجوزك ابنتي بلا مهر معدود فاغتاظ عرنوص من ذلك الكلام وحلف بدين النصارى انه لايعود حتى يخرب بلاد المسلمين ويأخذ ملكهم برقبته ويعود إلى البب مغلوبن وينول الملكة شموس ابنته [قال الراوي] وكان سبب مجيء عرنوص إلى تلك البلاد كما ذكرنا في كلامنا الاول لما كنيار القيطلاني سجن معروف في سجن الحصرات فكان عرنوص صغير فليوم من الايام اجلسه على حجره فنظر عرنوص عينين كنيار فرفع يده واتكى على عين كنيار قلعها فاراد الوزراء أن يقتلوه فقال لهم لا احد يكلمه فان كنيار لم له أولاد واشترى ذلك الولد بعينه فلا أحد يعارضني فيه وبعد وفاة الشريفة التي ربته في ايام والده كنيار واخذه قسيس يعلمه قراءة الانجيل فصار مدة أيام فتعلم وصار له من العمر اثنى عشر سنة منهم ثلاثة قبل سجن ابوه وتسعة بعد سجنه فاتفق أن القسيس الذي يعلم عرنوص نظر إلى بنت البترك وهي ماشية فعشقها وهي بنت وكلمها كلام يوجب قلة الادب فحكت لابوها وابوها حكى لكنيار وكنيار حكى لعرنوص على القسيس بقلة الادب فاتى عرنوص وقبض على القسيس وضربه خمسين سوط وقال له بعد ماضربه إذا كان عندك عقل كنت أخذت وجوجها كنت على كل حال أنا ارد عنك من يطالبك فصبر القسيس في سره لما كان بايام نظر البنت داخلة الكنيسة فدخل خلفها وازال بكارتها وعاد إلى عرنوص واعلمه فقال عرنوص لاتخف من شيء وكل من عارضك أنا اقتله فارسلوا الملوك طلبوه فوقف عرنوص وحماه سبعة أيام فقامت القيطلان على قدم وعيطوا على كنيار وطلبوا منه عرنوص فاراد كنيار أن يمانع فلم يقدر ولا بقى الا يسلمه والايقتلوه وفي تلك الايام اقبل جوان دخل على القيطلان ،تعلق في اذياله كنيار وقال يا أبونا لم أقدر على موت ولدي فقال له أنا أخلصه لك ولاتخاف عليه ودخل واحضر جواب بخط مغلوبن ملك ملوك البرتقال يذكر

فيه انه كان عنده جارية حملت من البب مغلوين فلما هربت مسكها وسألها عن ابنه فقالت انه وضعته فى الحون والدير المسكون ولما بلغنا أن كنيار والقيطلانى عنده ولده اتاه به من الحون فعلم أن هذا ابن البب مغلوين مقادم لكم البركة جوان عالم ملة الروم تسلموه اليه فلما قرأوا ملوك القيطلانى ذلك الجواب خافوا من البب مغلوين لا نه يحكم على ملوك القيطلان وله عليهم الجزية فاستشاروا وبعضهم وقالوا لكنيار اكفينا شره وارسله لابوه فاخذه جوان وعاد به إلى مغلوين واعلمه أن المسيح الحى اتى من السماء وعرفه أن مغلوين جامع جارية والجارية بعد ما حملت منه هربت وأخذوها السواحين ودخلوا بها جزيرة العرانيص فوضعت غلام فى قلب الجون والدير المسكون ولما علمت أن الديابر وعرنوس ولذا كتبت عنك جواب ورحت القيطلان وأتيت به اليك وقدم عرنوص إلى مغلوين فنظر إلى حسنه والى حاله فابهر مغلوين وقال هذا اتى يا أبونا جوان فقال جوان نعم ابنك وكان أخذه كنيار القيطلانى ورباه وعمله ابنه ففرح به وكان يحكم على أربعين مدينة وكل مدينة لها ملك وكل ملك له ولد فأمر البب مغلوين أن الاربعين ملك الذى تحت حكمه أن يأتى اولادهم ويكون من تحت يد ولده الديابر وعرنوص فارسلوا أولاده تعلموا معه الخط والحساب وبعدها تعلموا الصيد والقنص ففاق عرنوس عليه وظهر فيه روايح أبوه فصار يكبس الاجات والغابات ويعاقر السباع الضاريات وأخيرا نظر إلى بنت البب مغلوين فأراد زواجها وكان مغلوين يريدها لنفسه هو فلما طلبها عرنوص فخاف أن يمنعه يصعب عليه ورأى بنته راغبة عرنوس لحسنه وجماله وباغضة لا بوها لكن انه كبير عليها وعرنوس خده ناعم وأ وماخذه هشن فلما علم ذلك أرسل خلف جوان وقال له دبرنى تدبير فقال له جوان أنا اريحك ودخل على عرنوس وقال له يا عرنوس إذا أردت زواج الملكة شموش أختك فلا يجوز لك الا إذا غازيت بلاد المسلمين وملكتها وراس رين المسلمين مهرها فرضى عرنوس بذلك الشرط وأمر أولاد ملوك البرتقان يكونوا معه فأحضر له البب مغلوين أربعين ألف من عسكره وأما ملوك البرتقان كلا منهم جهز ولده بألف عسكرى من عنده فكمل عرضى عرنوس أربعين الف عسكره وأربعين ألف عسكر توابعه بقوا ثمانين الف مقاتل غير توابعهم من خدامين وفراشين وخيمه وسياس ومثل ذلك وتوجه إلى وادى الزهور ومنبع النهور ومرتع الغزلان وأقام معه هناك أيام حتى عبر عليه ابراهيم بن حسن وهو قادم من رومة المدائن ومعه ابراهيم وسعد وجرى ما جرى وأقام عرنوس مدة ومما وقع من الاتفاق انه هجم على غابة فاصطاد منها لبوة بالحياة فأمر الحدادين اصطنعوا لها قفص حديد ووضعها

فيه وجعل يتفرج عليها وكل ما يسافر يأخذها معه إلى يوم أمر أولاده لوك البرتقان أن يكونوا خلفه وأكابر العساكر من خلفهم وقال أنا مرادى أن أطلق هذه اللبوة وكل من هربت من ناحيته أمنطره فه ذروا على أنفسكم ثم اطلق تلك اللبوة فما يكون لها مسلك إلا من تحت جواد الملك عرنوص فقالوا له الملوك يا بب لو كانت خرجت من عند أحد منا كنت منطرته وهاهى راحت من عندك بق منطر روحك فقال لهم ان رجعت لكم من غيرها ابقوا اعدلوا خلاصكم فيا ثم ان الاشكال كل سبع شعرات لون صنعة مدبر مكون

فلما طرد خلف تلك اللبوة فدخلت منه فى أجمة ودخل خلفها فصاحت بصوت مزعج فوقف الجواد ونشر ناصيته وشخر فلم يصبر عرنوص بل نزل عن ظهره ودخل خلف اللبوة فصاحت فاجتمعت سباع الأجمة على صوتها وارادوا أن يفترسوا بعرنوص وإذا بصوت مزعج من خلف ظهره كانه الرعد القاصف يقول شد حيلك يا ولدى روحى فداك ولا أرى فيك يوم مكروه ثم جرد ذات الحياة ونزل عن حجرته وضرب أول سبع بين عينيه أخرج السيف من بين فخذيه وضرب الثانى على ظهره قسمه نصفين والثالث أطاح رقبته والرابع شق جبهته فنظر الملك عرنوص الى أفعاله فاحتار من اعماله وقال فى نفسه ان كان هذا رجل كبير ويفعل هذا الفعل المنكر فلابد انه صبور على الحرب والقتال ثم انه جرد قاسم الحديد سيفه وصرب مثل ماضرب المقدم معروف وقد اجهد نفسه بلا جزع ولا خوف مقدار ساعتين فأهلكوا جميع السباع وتركوهم امم على وجه الأرض والبقاع ولما هدت تلك النيران نظر الملك عرنوص إلى المقدم معروف وقال له انت من اين يا بياجو فقال له معروف اعلم ياولدى انى انا ابوك وانت ابنى ولما كنت فى سجن الكتلان وقد كان خلاصى على يد عمك المقدم شيحة جمال الدين وابن عمتك المقدم عماد الدين علقم بن فخر الأهبل ولما خلصت علمت انك فى هذا المكان فلم تقدر على بعدك ياولدى لأن فراق الأولاد نار لا تطاق ولهيب لا يخفى وها انا ياولدى اعلمك لأنك تنسب للامام الذى كسر الأصنام وحمى البيت الحرام وزمزم والمقام وامك الملكة مريم الزنارية بنت الرين حنا صاحب مدينة جنوى فان طاوعتنى يا ولدى اترك هذا الجنون وسر معى إلى القلاع والحصون وانظر إلى اولاد عمك فهم كل مقدام كانه اسد الآجام واترك معاشرة اللئام فقال له عرنوص يا بياجوا انا لى مدة ايام كثيرة لم سمعت هذا القول إلا منك واما انا ابن مقلوبتى واولا كان ابى كنيار الكتلانى ما هاانت تقول انى ابوك وهذا شىء عجيب وإنما هذا عالم ملة الروم جوان

إذا كان يصدقك فى كلامك فأنا اصدقك وان كان يقول ابن مغلوبين كيف تقول يا بياجرا
قال اقول كذاب قال عرنوص إذا قلت كذاب كذلك هو يكذبك ولكن لما توصلوا
إلى العرضى وتشوفوا ما يقرله حوان ثم انهم ساروا حتى وصلوا الى العرضى ونظر
البرتقش إلى وجه معروف بن حجر قال آه يا خوان هات البشارة فقد اجتمع السيف
مع غمده والحق إلى اصحابه وظهرت الامارة وقد بانت الدلايل والاشارة واجتمع
الملك عرنوص بأبيه المقدم معروف ونال المكسب من بعد الخسارة ولابد فى هذا
العام من خراب بلاد النصرانية فطاوعنى خلينى اجيب لك الحجارة من قبل ما تلحقك
الخسارة وتروح تحت سنابك الخيل والمهارة ولا ينفعك المارى حنا ولا المعمدان
ولا الراهب زرارة فقال جوان إيش هذا الكلام يابرتقش يبقى جوان يهرب ويخلى
معروف يأخذ عرنوص منى فان هذا الامر لا يتم ابدا فقال له البرتقش دونك وما
تريد فقال له جوان قم على حيلك وتلقى عرنوص وقل له بالرومى متى اجتمع عليك
هذا الرجل ازرق العيون اصحى منه يادبار وهذا كل ما يشوف فليون جميل يدعى انه
ابنه ويجيب له دلايل وبراهين بالكذب وما قال لك فقام البرتقش وتلقى عرنوص
وبلغ له ذلك الكلام بالرومى فقال له عرنوص انه يقول ابى وانا ابنه فقال له كذاب
ولكن اين اللبوة التى طلعت خلفها فقال ماتت مع جملة من مات من السباع فى الغابة
بعد ما كانوا رايحين يقتلونى ولا ينفعنى إلا هذا الرجل ولكنه يقول انه ابى وانا
محتار من كلامه وكلامك فقال جوان ان قفص اللبوة الآن خالى وان سألوك اولاد
الملوك تقول لهم ما قدرتش اجيب اللبوة وانما أامر هذا الرجل يدخل القفص محل
اللبوة وإذا سألوك قل لهم ضاعت اللبوة وها انا اتيت بهذا الرجل من البر عوضا عنها
قال عرنوص صدقت ثم التفت إلى معروف وقال له ان كنت انا ابنك صحيح كما تقول
فادخل فى هذا القفص وانا اعلم انك ابى صحيح فقال له ياولدى إذا دخلت انى ابوك
قال نعم تبقى ابويا لا كلام فتقدم المقدم معروف ونزل من على ظهر حجرته وقال
بسم الله ودخل ولكن لسانه لم يغفل عن ذكر الله فقام جوان وقفل القفص وقال
وقعت يا بيجوا هذا قبرك ولا بقى لك منه خلاص فقال معروف يا قرن هذا يعنى
بما تل سجن القيطلان هذا فى محبة ولدى اما قال مجنون ليلى فى شعره :

عذبونى فى هواكم واهجرونى واستحلوا من دمى مالا يحل

وانا يا ملعون إذا كان ولدى قدامى وانا فى ذلك القفص احسن ما يكون بعيدا
عنى واتجرع لفراقه كاس الغصص واما عرنوص فانه جلس فى ميدانه وجعل القفص

قدام عينيه وعصارى النهار أتاه نجاب ومعه كتاب وتقدم إلى بين يدى الملك عرنوص بالسلامة يا زرارة إيش عندك من الاخبار فقال له أبوك يسلم عليك وأرسل اليك هذا الكتاب فاخذ عرنوص الكتاب فرأى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحد الملك القريب المجيب أما بعد من حضرة اليب مغلوين ملك ملوك البرتقان إلى بين أيادى ولدى الديابر وعرنوص طال مقامك فى وادى الزهور ولا سافرت ولا رجعت وهذا كان برأى جوان مع انى أنا عندى إقامتك عندى أحسن من كل بلاد المسلمين وما فيهما فاذا قرأت هذا الكتاب يكون رجلك فى الركاب تأتى إلى ها هنا اجلس على مملكتى وأنا أحارب ملك المسلمين وآخذ بلاده وأملك عساكره وأجناده وها أنا أعلمتك وانت ورأيك وارسل لى رد الجواب فتعجب الملك عرنوص وقال شوف يا جوان كيف يكاتبنى أبويا مغلوين وشوف كلامه قال جوان أحسن ما تقول أبويا معروف وتكذب جوان فقال النجاب هات لى رد الجواب قال عرنوص اصبر بقية هذه الليلة عندنا وبكره أعطيك رد الجواب وسافر فقال وأنا أبات فين وأنا تعبان من الطريق فقال جوان نام على هذا القفص فحط النجاب حرابه وعصاه فوق القفص وقعد فوقه كل هذا ومعروف صابر على حكم الله ولما أمسى المساء ونامت العيون تحرك ذلك النجاب وقال يا فلى أنا رايح اتمنظر وكشف نفسه وقعد على قرافيصه فقال معروف قوم انزل تحت وبول فقال أنا ما نيش قادر فقال معروف دى ميته فقال ما هى نجسة قوم بعيد وإذا بالنجاب سيب بالوصه فنزل الماء فتلقاها معروف فى يديه فامتلأت كفوفه فرآه شربات سكر ممزوج بالعنبر فقال معروف كان يا شيخ قال له افتح كفك ففتح كفوفه فملأها له شربها وثانيا وثالثا وبعدها قال كان فقال معروف لا تغير المعدة فلم يرد عليه بل حكم نفسه بين سناول القفص وأرخى حاجة تجى أقتين فتلقاها معروف بيديه وإذا بها حلاوة عجمية من السكر اليابس فأكلها معروف وقال لهذه ما هى صفة نجاب لا شك انك أخى الحاج شيحة فقال له قم على حيلك اركب حجرتك واطلع الحلا فطلع معروف وركب حجرته وأما شيحة فانه كتب تذكرة وحطها على رأس عرنوص وراح ولما طلع النهار أفاق عرنوص وطلب القفص ورآه خالى من معروف ونظر التذكرة فرأى فيها إلى حضرة الملك عرنوص أنت اسجنت أبوك فى القفص وأنا خلصته والذى أغراك على دخوله القفص جوان فالمراد منك أن تضرب جوان علقة الف كرباج وان ما ضربتوش أضربك أنا بدله الف كرباج وها أنا أعلمتك تكون على حذر السلام فلما قرأ التذكرة الملك عرنوص قال هاتوا جوان فلما حضر قال له عرنوص يا جوان

معروف خلصه شويحات وأنت مكرك ماتقع حد اقرأ هذه التذكرة قال جوان ياابنى دا شيحة مسلم وأنت إذا ضربتنى أغضب عليك فقال عرنوص إذا غضبت على إيش ينفع غضبك فقال جوان يمكن أقدف قدفة اجعل الدنيا كلها بحر والناس سمك وأنت تصير كلب تعوى على شط البحر فقال عرنوص أزرق لما أشوف قال جوان لم يهون على أن أتلف النصارى وهم أولادى قال عرنوص كذاب هاتوا العده إضربوا جوان الف قال المرتقش تفضل كلها يا أبونا ارتمى جوان أكل الف كرباج وبعد العلقة قال عرنوص ياجوان أنا عاين معروف البيجو قال أقف يا ولدى من خارج المرضى وقول يا أبونا معروف يجى قال عرنوص إن ماجاش أضربك الف ثمانية كرباج ثم إن عرنوص خرج إلى الخلا قال إتنافين ياأبونا معروف رد عليه معروف قال ها أنا ياولدى حاضر ولا أقدر أغيب عنك قط فقال من أطلقك فقال أطلقنى أخويه الحاج شيحة فقال عرنوص أقعد عندى ولا تفارقنى أبدا ثم انه أمر باحضار الطعام فلما حضر قال معروف ياولدى أنا ماأقدر آكل من ذلك الطعام فإنه نجس وذبح الكافر عندنا حرام فقال عرنوص يابيجوا وحق رب المسيح أنا أعلم أنه إذا تفرقت المال علمت ان الرب واحد فان الآكل الذى يحضر قدامى لم فيه لحم خنزير ولا يطبخه الا أسارى المسلمين فكل معى ولا تخاف من شىء فقال معروف يا ولدى إذا أردت أن آكل معك فلا آكل إلا فطير بالسمن فقط وخلاف هذا لم آكل فأمر باحضار سمن بقرى ودقيق وعسل نحل يتصنع قدام معروف فأكل منه وأكل معه عرنوص هذا وجوان قاعد ينظر وفؤاده يتمزق وخايف أن الأعضاء تحس بعضها فقال جوان ياديار أنا قلق عليك قال عرنوص لأى شىء قال قل للبيجوا يدخل القفص فى عرضك ياابنى خايف يسرقك ويتفكر فى عكرسته ومكايده وأما إذا كان فى القفص يبقى محبوس فقال عرنوص يخلصه شيحة إذا حبسناه فقال جوان أنا أكون غفيرا عليه ولا تلزمه إلا منى وان خلصه شيحة أضرب جوان ألف كرباج قال عرنوص يابيجوا ان كنت أبويا وأنا ابنك أدخل فى قلب القفص قال معروف إيش يجرى إذا دخلت فى القفص ثم دخل معروف القفص فقفل جوان باب القفص وقال أنا غفرك وفى تلك الساعة أقبل الناس الى عرنوص وقالوا ياب ارذات النور يعرج برجله ليمين فلما سمع عرنوص ذلك طار عقله لأن الحصان لم له مثيل فى الخيول وعرنوص لم يركب غيره أبدا فقال عرنوص ان كان فيك بركة طيب لى رجل الحصان فقال جوان ياولدى هذه صنعة البيطار فقال عرنوص وأين البيطار فقال جوان أنا أعرف فى دير الظهور رجل بيطار لكنه صاحب معرفة وفى هذه الساعة أحضره بين يديك

قال عرنوص قوم هاته فانفرد جوان وأخذ البرتقش وسار الى الدير وطرق الباب فقال البيطار مين قال له جوان فقال له إيش الخبر فقال الحقنا حصان الديابر بيعرج تعال ياأبي طبه فقال البيطار ياأ ونا ما أقدرش أروح معك لأني [illegible] شارب شربة فقال جوان طب إفتح فتتح له الباب وقال ياإبي أنا الا أقدر أعود الابك فان كنت عيان أنا أحملك وأراد جوان أن يحمله درأى له قليطة كبيرة فجعل أخذ ذمها كتفه وحط القليطة على رأسه وخرج به من الدير وكان البرتقش أخذ مقدف العدة وسار معهم وفى نصف الطريق انخرقت القليطة وخرج منها دم أسود منتن ونزل على وجه جوان ولحيته وسبغ جميع جثته ومادام سائراحى وصل العرضى ونزله كان بطانه ماشية عليه فكمل شغله على جوان ونظر عرنوص هذه العبارة فضحك وضحكت على جوان جميع النصارى ثم قدموا الحصان للبيطار فكشف [illegible] له قائمه [illegible] فشو الحصان سالم فقال عرنوص مالك من بيطار وحكيم أطباء عنية فقال يا [illegible] ما اقدرش أروح خلى جوان يروحنى مثل ماجابني فقال جوان بات هنا وأنا في الصباح أروحك فقال وأين أبات قال جوان بات فوق هذا القفص ثم رفعه ووضعه على القفص وقال فى باله يفعل بمعروف كما بي ولما أمسى المساء كان هذا البيطار المعدم جعل [illegible] يحركه وفعل كما فعل فى الليلة الاولى ولما أصبح الصباح قرأ التذكرة عرنوص وطلب جوان قال البرتقش قوم كل الملقة البيطار كان الراجل الذى مابيساشرع [illegible] عرنوص ألف وطلب منه معروف فقال اقدم عليه [illegible] عليه [illegible] ووضع يده [illegible] ودخل الديوان ووضع الطعام أكل عرنوص ومعروف ودار الحديث بينهما [illegible] لعرنوص خلى معروف ياديا روا يدخل القفص وان خلاص [illegible] فقال جوان عرنوص يا ابى معروف أدخل القفص فدخل معروف [illegible] فقال جوان وقفل القفص فقال معروف أنت قفلت القفص [illegible] وأنا انت ياملعون ماينهك الا ضرب الكرابيج فقال جوان [illegible] الدرة حتى تترك المعرك لفلان فان ذلك المترك [illegible] فى الد [illegible] الا ان كان جوان فعند ذلك قال له عرنوص اذا حنا [illegible] معنا أو نتركه لما يحضر شيحة مخاصه فقال [illegible] عرنوص وضع القفص على أخشاب عدوح مثل الجلوق [illegible] جواده ذات النور وركبت معه جماعه [illegible] سائرين حتى دخلوا إلى ذلك الدير [illegible] الانجيل [illegible] ثلاثة [illegible] ولما جن الليل نزل ابترونك على القفص وقال يا معروف انت [illegible] مايقنعيش انك تدخل فى قفص يضحك الكافر عليك [illegible] القفص ولا تدرج [illegible] عرنوص من غير [illegible]

واحرمنك منه فقال معروف ياأخي لم اروح اليه إلا إذا استأجرتك ولكن ساعدني سأقعد محاذي العرضي فقال شيحة بخاطرك اطلع معروف ووقف قدام العرضي يستنشق اخبار ابنه عرنوس ولما طلع النهار نزل عرنوس اوجد القفص خالي وضاق صدره فأتى ضربه الف وقال له اين معروف قال له اندهه عليه فنده لم يحضر معروف فرجع وضرب جواد الف ثانية ولما اعياه الحيل في حضور معروف قال سأنتقم من جواد هذا ما جرى هاهنا أسمع ماجرى من امر الريس ابو بكر البطارني صاحب الفخر والتني فانه لما وصل إلى الاتقيا طلع عماد الدين علقم يعلم اهل الحصون بظهور خاله معروف بن جمر فلما سمعت المقادم ان معروف بن جمر ظهر شاشة الوجوه اما المقدم الكبار مثل المقدم حسن الحوراني ودبل البيسان والمقدم دجور والمقدم جبل والمقدم حسن بن موسى القصاص فانهم راسخين على ماهم عليه واما الصغار مثل صوان بن الافعى وسيف الساعي وخالد وامثالهم تحركوا من اماكنهم ولكن خايفين يكون معروف مع شيحة صحبة سوى فما ينوبنا إلا سواد الوجه وبعضهم قام بجهله واما ابو بكر للبطارني وصل الى الاسكندرية ضرب المدافع من القراب المنصور فجاوبته المدافع من المينة ودام الشك ساعة كاملة وطلع باشة اسكندرية فاقى سلطان الاسلام وسلم عليه فأمر بنقل مافي القراب المنصور على ظهر الخيل والجمال إلى البحر الحلو ففعل كما امر القيطلاني وتقدمت مراكب في البحر الحلو وسافر إلى بولاق وامر رجاله ان تحفظ الأموال والملوك وطلع البطارني الى ملك الاسلام قبل الارض واعطاه كتاب المقدم جمال الدين واعلمه بكل ماجرى فما كان عند السلطان احسن من ظهور معروف فراح وامر بشنك ومهرجان وقال لابد لي ان اسير اقابل معروف وكيف خليته يطلع من من الفليور فقال البطارني طلع غصب عني وطلع وراءه المقدم جمال الدين وها انا جئت اعلم امير المؤمنين فقال السلطان وفي اي موضع كان طلوعه قال البطارني طلع قبال جبال الرهان ومن خلفه وادي الزهور ومن هناك يدل على عرضي فقال ابراهيم يامليكنا اما عرنوس الذي تذكر فنا اعرف محل ماهو نازل فقال السلطان صار من الواجب علينا انا فروح قبله ثم ان السلطان امر عثمان ان يحضر له الحصان وامر ابراهيم ان يحضر للسفر وسعد يكون معه ومن الغد ركب السلطان وابراهيم وسعد وطلعوا يقطعون الأودية الخوال اياما وليالي حتى اشرفوا على ذلك الوادي الذي هم طالبينه فنظر ابراهيم على بعد فرأى المقدم معروف قاعد تحت شجرة جوز وهو يتولول من فراقه في لولده ويقول آه واحسرتاه

امر ما القاه من ألم الجوى   قرب الحبيب وماالبه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

فصاح إبراهيم إيش الزول فى ظلام الليل ويلك اسرع قول فصاحة عمادى كل فصاحة برجال من جاء سالم راح فقال له معروف ياقرن أنا قاعد استنشق أرياح ولدى ولو كنت أنا احسب حساب قرن مثلك يزعق على فى الليل فما كنت أقعد فى هذا المكان وأجاور الوحوش فى البرارى والقفار ثم انه قفز بقى على حجرته وقال له جيتك قال له إبراهيم وأنا تلقيتك انطبقوا الاثنين على بعض دون أصواتهم مثل الرعد خرجوا من الهزل إلى الجسد وسعوا المجال طولا وعرض ساعة من الزمان وقف إبراهيم فى ظهر حجرته وضرب خصمه ثلاث ضربات بشاكريته فضيعها المقدم معروف وحط يده على شاكريته ذو الحيات وضرب إبراهيم صفحا فحس إبراهيم بأن الدنيا انطبقت عليه ولم يمكنه الثبات فصاح أدركنى يا سعد قال سعد جيتك وأطبق على معروفه فضربه معروفه فزاغ سعد عن ضربته بخفة عصبته فقال له أنت طيار ياقرن وحذفه بالترس فى أقصابه فوقع على وجهه فقال سعد أدركنا ياملك الدولة قال الملك حاس عن رجالى وصدم معروف صدمة تتزعزع منها الجبال وهمهموا الاثنين كهمهمة أسود الدجال وأوسعوا فى المجال وتضاربوا بكل حسام فصال فعندها وقف الملك الظاهر فى ركابه وضرب معروف سبع لطوشات بآلات الدمشقى فالتقاهم معروف بعزمه الموصوف وحط يده على ذو الحيات وضرب الملك الظاهر سبع ضربات والملك الظاهر يتلقى ضرباته ويبصر لحلاته فقال معروف الله أكبر والله أكبر لم أعرف أحدا يتحمل منى سبع لطوشات الا الملك الظاهر وكان فى شبوبيته للملك الظاهر فقال السلطان وانا لم أعرف أحدا تحمل منى سبع ضربات إلا معروف بن جمر لعله أنت فعند ذلك قبضوا الاثنين فى أيادى بعضهم ووقفوا على الارض وما أحسن الملتقى بعد البؤس والشقاو بعد السلام قال السلطان يا أخى أنت قاعد لأى شىء فى ذلك المكان قال معروف أنا قاعد أنتظر وليدى فقال السلطان يا أخى وكل من له ولد يقعد فى الخلا هكذا وهذا ابنك كافر ملعون قال معروف يا ملك لم يكن تحت قبة السما أجمل ولا أفصح ولا أفهم من وليدى هذا أبدا قال السلطان ادخل بنا عليه حتى نستخبره فى الحكم ان كان عنده فهم وإدراك أو يكون خالى من ذلك قال معروف هيا ياملكنا ياحاج شيحة عن اذنك أنا رايح لولدى مع السلطان ثم انهم ساروا الاربعة ودخل السلطان قابض معروف بعد ما ساروا فى الكلام مع بعضهم فقال الملك الظاهر مظلوم يابا قال عرنوس إيش ظالمتك فقال أنا اشتريت فرس من هذا الرجل على أنها حبلة فطلعت فارغ ومرادى أردها عليه فلم يقبلها فقال لمعروف لم لا تقبلها فقال أنا بعت بغير خيار وقبضت حقى ورحت لحالى فلا أرجع ولا أرجع فقال غرنوس للسلطان انت عندك شاهدين يشهدوا لك بشرط الحمل قال نعم وأحضر إبراهيم وسعد فقال لمعروف تقبل شهادة دول قال معروف

ان كان تصح شهادتهم عندك اقبلها قال عرنوس طيب وقام على حيله وقف واحد على يمين الصوان بمائة خطوة ومسك سعد وقال لا تسيبه حتى أجى اناوآخذه وكذلك فعل بابراهيم وأخذ السلطان ودخل محل الحكم وقال للسلطان الفرس الذى اشتريتها بكام دينار فقال بمائة دينار فقال له دفعت الثمن قال له نعم قال له ولون الفرس ايش قال شهبة فقال له فيها عيوب قال لا وانما عجوزة وفشلانة اللحم وقام السلطان وأخذه وسار به إلى محل سعد وأوثقه وأخذ سعد وعاد به إلى الديوان وقال له الفرس الذى تشهد عليها ثمنها كام دينار فقال سعد ثمنها عشر دنانير فقال له ولونها ايش فقال شقرة فقال هل تعلم لها عيوب قال سعد عرجه وعوره وملعونه ولا تنفع الا للطاحون فأخذه وقام ووداه محل إبراهيم وجاب إبراهيم وقال الفرس الذى تشهد عليها ثمنها كام دينار فقال إبراهيم ألف دينار فقال وايش لونها فقال فرس دهمه كالليلة الظلمة فقال له هل تعلم لها عيوب قال يا إبراهيم ايش العيوب كحيلة كاملة الوصف صادقة فى حملاتها تفوق الطرف وتكر على العدا صفا بعد صف فعند ذلك قام عرنوس وجمع الاربعة السلطان ومعروف وإبراهيم وسعد وقال إن دعواكم بغير حق فتستاهلوا عليه الأدب ولكن أنتم تكرموا لكونكم من ذوى الرتب أولكم هذا ملك المسلمين الذى وصفه لى جران وهذا ابراهيم وهذا سعد أعرفهم من مدة ما فاتوا على وهم قادمين من رومة المدائن وهذا معروف بن جمر له أيام مقيم لا باع فرس ولا عنده خيل فقال معروف اسم الله عليك ياوليدى لقد نظرت موضع النظر وانما يا وليدى قوم على حيلك أدب اقدام ملك الدولة عمك الملك الظاهر بيبرس سيد ملوك الاسلام وخادم الحرم وترس قبر النبى المظلل بالغمام فقام عرنوس بحيا وأدب وقبل يدين السلطان وسلم على المقدمين إبراهيم وسعد وأدخلهم فى قلب الصيوان وطلب عرنوس الطعام فحضروه الخدام والغلمان واذا بالاسطى عثمان أقبل وقال يا أشقر إذا جاءتك عزومة تأكلها وحدك وتركت عثمان عن قلبك ونسيت العهد الذى بين ايادى أم البيت ولكن ياجلالى إذا فتنى أنا ما افوتك فقال الملك الظاهر أهلا يا عثمان وفى تلك الساعة تقدم بين ايديهم السماط فشمر الملك عرنوس عن ساعديه ومراده أن يأخذ شيئاً من الطعام فقال عثمان ارجع يا جدع هذا الطعام كل من أكل منه يتفقع فقال عرنوس ايش هذا الكلام فقال عثمان قلت لك لا تقدم نفسك فعند ذلك طلع الملك الخنجر ومسكه وقطع لحمه ومسح ذباب الخنجر بلقمة عيش وأعطاها الكلب فأكلها الكلب وصوخ ووقع وتفرقت أعضاؤه وانصرع فقال الملك كذا يا عرنوس فقال عرنوس يا ملك الاسلام وحق الذى يعلم الغيب وأحصى كل شىء عددا أن هذا السم فى الطعام لا أعلم به ولا أمرت به ولا وكلت من يفعله ثم أمر الطباخين وقال لهم لاى شىء سميتوا الطعام فقالوا له احنا لم سميناه

وانما جوان هو الذى دخل علينا وبقى يكشف الحال ويقرأ قداس البركة فقال عرنوس قداس البركة كان مراده أن يبركنا جميعا ومن الذى أمركم أن تدخلوا جوان مطبخى مع انه كان قصده قتلى وقتل الناس ثم انه ضربهم ضربا بالعا ولولا منعه السلطان كان قتلهم وجوان طلبه فلم يجده فأمر باحضاره وقال ابراهيم يا سعد أدركنا بجوان فقال سعد سمعا وطاعة وطلع سعد على قارعة عالية تكشف الطرقات فرأى جوان طالع من العرض قاصد الدير فانفرد عليه سعد قبضه

وقال للبرتقش سير معه فقال البرتقش حاضر فلما أوقفه قدامه عرنوس قال له يا ملعون ايش أغراك على قتل الناس وقتلى معهم فقال جوان أنا ما كان مرادي إلا موت المسلمين فقط فأمر عرنوس بضرب جوان الف والبرتقش الف فقال ابراهيم أنا أتولى ضرب الاثنين ثم ان ابراهيم بن حسن قدم جوان اعطى له الف وبعد طاب البرتقش فقال البرتقش يا ابو خليل أنا فى عرضك معى عقد جوهر بألف دينار خذه [illegible] من هذه العلقة فأخذ المقدم ابراهيم وقال يا ملك عرنوس ان البرتقش [illegible] جوان وضرب الحمام لم يمع وانما علقة البرتقش [illegible] جوان [illegible] بعض ويأخذ كل منهم حقه وقال عرنوس صدقت يا مقدم ابراهيم فانصرف جوان الف كرباج ثانية فقال له عرنوس اطلع من [illegible] يا جوان [illegible] وطلع من الدير وبعدها أمر عرنوس بحال [illegible] الاثنين [illegible] الطبيخ غير ذلك الطبيخ ووضع الطعام [illegible] الاثنين قابضين فى اطراف [illegible]

اعلم يا [illegible] ان هذه كيمجى [illegible] عسكرى [illegible]

وقال له اعطنى ربع الدوقا [illegible]

وهو لم [illegible] الكتاب فعلت [illegible]

فقال لى انت اكلت [illegible]

[illegible]

زوجتي قال البيباظ ما يصحش فاخذوا المرأة وأعطوها للخمار غصبا عن زوجها فقال
السلطان إيش هذا الحكم الفاسد يا بيباظ فقال له البيباظ هذا حكم دين الكرسقبان وقد
أشر السلطان انه شيحة فقال السلطان حكم عرنوس مع انه لم يعلم الشرع الشرعي وحكمك
أنت يا أخي قد جاز عن الحد فقال شيحة هذا حكمهم في ملتهم فقال معروف يا ولدي
يا عرنوس قم على حيلك [illegible] على عمك شيحة فقام عرنوس وسلم عليه وقال له أنت الذي
كلما أحبس معروف تطلقه مني فقال شيحة يا ولدي تخلد يدك في النار ان كنت تمدها
على أبيك [illegible] ذلك قعدوا يتحدثون فطلب عرنوس المدام فقال له أبيه يا ولدي استحي
تشرب [illegible] ام السلطان بل الزم الادب لأن الخمر في دين الاسلام حرام فاختلا عرنوس
في الخمر [illegible] ابراهيم ولد طاب لابراهيم الخمر ونظر إلى النصارى وهم واقفين
قدام [illegible] في الجرد فوضع يده على شاكريته وضرب الساقي أرمى رقبته وبعد
ذلك [illegible] واتى آخر [illegible] اغتاظ الملك عرنوس وقال يا ابن الحوراني أنا ما أقدر
على أذيتك [illegible] أين الشهامة وهذه الشجاعة أيام ما قابلتني وانت
[illegible] رأ طيتك [illegible] ومنديل ليغمروك إلى حد بلادك فلما سمع ابراهيم
[illegible] ل [illegible] البيساني هيا يا علق هات المندل

[illegible] قال ابراهيم يا [illegible] عرنوس لو كان [illegible] ومندملك
[illegible] إلى [illegible] الكفار ولا [illegible] على جسر
[illegible] المنديل شرمطو وقال [illegible] ابراهيم
[illegible] الله شهرة تحقق [illegible] وعدت أجتمع
[illegible] كلامك كلام غيرك فعند ذلك
[illegible] دينار وعطاها [illegible] ابراهيم
[illegible] رجه
[illegible] وقال يا لك [illegible]
[illegible] تنزل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هذ [illegible]

فلما سمع عرنوس قال صدق جوان قال السلطان فى أى شىء صدق جوان قال عرنوس لان جوان يقول ان المسلمين إذا رأوا غليون جميل يقولوا ابننا أو مكان مليح يقول ملكنا وانت ملك البرواش حكمك فى البحر فنادى السلطان على سعد فقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال له السلطان أوصل إلى جهة البحر وناد ليأتى بالريس أبو بكر على غراب المنصور فسار سعد يجرى حتى وصل إلى شاطىء البحر وزعق مينة يا بطرنى

[قال الراوى] وإن الهوى حمل هذه الكلمة فى أذن أبى بكر البطرنى فقال يا أولاد عيشة قالوا نعم يا سيدى فقال هل سمعتم نداء المقدم سعد وهو يقول مينة وأظن أن مولانا السلطان فى هذا المكان هيا دوروا الغليون وندخل إلى المينة ثم انه أدار وجه الغراب المنصور إلى جهة المينة ودخل إلى جهة القلعة العالية وطلع أبو بكر البطرنى إلى قدام السلطان وقبل له الأرض بين يديه فقال له السلطان يا قطاس الاسلام هذا الغراب لمن قال لسيادتك وأنا ومن يتمنى لك من جملة العبيد رقتنا تحت قبضة سيفك فقال السلطان سمعت يا عرنوس فقال ملك المسلمين يا عرنوس تفضل عندنا فقام عرنوس ومعروف والملك الظاهر والمقدم إبراهيم وسعد وركبوا الجميع خيولهم فقال لهم السلطان لابد من مسيرنا إلى الغراب لنتفرج عليه وساروا حتى وصلوا ومادام السلطان راكب حتى نزل فى الغليون ورقى على باب المقعد ونزل الملك عرنوس وبقى الجماعة يتفرجوا وأما المقدم معروف فانه أقبل على البطرنى وقال له أنا فى عرضك يا أمير افرد القماش وسافر فان السلطان فى الغليون ولم له فى البر حاجة وأنا لم أجد فرصة فى أخذ ولدى غير هذه الساعة اعمل معى جميل وسافر فقلقف المراسى وافرد القماش وسافر كل هذا وعرنوس يتفرج مع السلطان حتى خلصوا من الفرجة أراد عرنوس أن يطلع إلى البر فرأى الغراب مسافر والبر بعيد فقال يا ملك المسلمين أما تخشى من العار عوض ما تسفرنى من قلب العرضى بتاعى بهذه الحيلة خدنى من بحر سرجى الحرب والقتال يبقى لك الفخر على كل حال فامتزج السلطان بالغضب ثم أحضر البطرنى وقال له من الذى أمرك تسافر بنا قال أمرنى المقدم معروف فقال يا أخينا انت خدامى والا خدام معروف عود بالغراب محل ما كنت فعاد بالغراب ثانيا لحد المينة فقال عرنوس اطلع هات عسكرك وتعال قابلنى على حلب وإن كنت ما تجىء جئتك أنا وأخذتك بالسيف قهرا وأتى ما فى خيولك اركب واحص ما فى طعامك اشرب والتفت إلى معروف وقال له يا اخوان كان ابنك مسلم يدخل دين الاسلام وان كان كافرا فما له إلا الضرب بالحسام سر معنا إلى مصر حتى يفعل الله ما يريد فعند ذلك ترك ولده وسافر مع السلطان حتى وصل إلى اسكندرية وطلع من البحر وركب إلى مصر انعقد له موكب مثل عادته اذا حضر من السفر وجلس على قلعته اطلق ما فى

الجموس وبطل المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ حقوق الرعية وعدم الاذية وأما عرنوص فانه لما عاد الى العرضى فوجد العساكر فى ضجة وهم هايفين فلما رأوه تباشروا بالافراح وسلموا عليه فسأل عن جوان فأحضروه من الدير فحكى له على ماجرى فقال جوان أنا نصحتك وكان قصدى قتلهم بالسم وأريحك من حربهم فكان التدبير فاسد ونجاهم المسيح وهذا الوقت ما بقى الا الانجاز قال عرنوص ما بقى الا السفر الى حلب حتى أعرف ملك المسلمين مقامه قال جوان وأنا معك فأمر عرنوص بالرحيل بعد ثلاثة أيام ولما كان فى اليوم الرابع حملت العراضى واعترت تلك العساكر كأنها السيل اذا سال والطل اذا مال ومادام العسكر مسافر حتى بان لعرنوص أصوار حلب ومواذن حلب فسأل جوان عنها فأخبره ان هذا حلب وان أخذتها تاخذ بعدها وبعد الشام تزحف على غزة العريش وتملك مصر وأقطارها وتسقى خيلك من الروضة والمقياس ودير النحاس فأمر عرنوص بنزول العساكر فنزلت ونصبوا الخيام فلما نظر عماد الدين أبو الجيش باشة حلب الى تلك العساكر حصن أبراج البلد بالمدافع وقفل الابواب ونظر ذلك عرنوص الى ذلك فكتب كتاب وأرسله الى باشة حلب مع نجاب فسار النجاب الى تحت الصور ونادى بالغفرة وقال لهم أنا نجاب رحال كتاب من عند البب الديابروا عرنوص فقام أحد الغفراء واستأذن الباشا فأمر باحضاره بين يديه فلما حضر أعطاه الكتاب فقرأه فوجد فيه من عند البب الديابروا عرنوص الى باشة حلب اعلم أننى أنا قاصد حرب ملك المسلمين فان أخذت منه الكتاب كنت انت على ما أنت عليه من قبل وان أسرنى ملك المسلمين أبقى أنا مثلك تحت حكمه فلاى شىء تقفل البلد فالرأى عندى ان تفتح البلد وتخلى الناس تبيع وتشترى على عساكرى بالامان وان أعدم لاحد خيط فى ابره أنا الملزوم فامر باشة حلب بفتح الباب والبيع على العرضى وبعدها كتب للسلطان كتاب وارسله مع نجاب الملك فكان الملك جالس فى الديوان واذا بالنجاب يقبل الارض قال الملك من اين والى اين قال النجاب يامولانا

حلب الشهبة قالت   سائر المدن عبيدى

وانا على تخت عزى   بين سعد وسعيدى

فعلم الملك انه من حلب اخذ ابراهيم الكتاب اعطاه لمن يقرأه واذا فيه

ان الذى كتب الكتاب بيده   يقرى السلام على الذى يقراه

وعلى الذى يقرأه الف تحية   ممزوجة بالمسك حين يراه

أما بعد فمن حضره الاخ الاحقر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب عماد

الدين أبو الجيش الى بين أيادى ملك الاسلام وترس قبر النبي عليه السلام اعلمك لا أعلمك الله بسوء ان يوم تاريخ الكتاب كنا مقيمين واذا بالغبار غبر وعلا وتكدر وانكشف عن عسكرى واى عسكر ضرب طبلها وتقرقمنا الحصار وضربنا بحلل النار ومنعناهم عن الاصرار واقمنا تحت الحصار وكل محاصر مأخوذ أدركنا بسيفك المذون وجوادك الميمون فأنا فى ريب المنون وأرسلنا جاسوس فاتانا وأعلمنا أن صاحب هذه الركبة اسمه عرنوس بن البب مغلون ملك ملوك البرتقان وصحبته أربعين غلام أولاد ملوك البرتقان فكان الحذر يوافق عن ثمانين الف مقاتل وصحبهم جوان والبرتقش أدركنا والا أرسل لنا من يدركنا الامر امرك الله يطيل لنا عمرك والعمد على الختم فيه حجة والسلام فلما سمع الملك ذلك الكلام قال يا مقدم معروف اسمع قول القائل

فى ذا النهار يا ناقى اشتدى فات النهار ولم بقى الا الجد

هذا عرنوس تسافر معنا أو تر تاح هنا لما أجيبه لك أسير قال معروف أروح معك يا ملك الاسلام هذا عين مرادى فبرز الملك بعرضه الى العادلية أقام ثلاثة ايام حتى تم العرضى بعد ما أجلس السعيد على تخت مصر وأوصاه بحفظ الرعية وعدم الاذية وسافر أمير المؤمنين أياما حتى وصل الى حلب ورأى عرضى الكفار فجعله ميسرة وجعل الملك عرضيه ميمنة وبعد ما انتصب عرضى السلطان كتب الملك كتاب وأعطاه لابراهيم وقال روح به لعرنوس هيا رعود لى برد الجواب فاخذ ابراهيم الكتاب وركب حجرته وسار حتى وصل الى عرضى الكفار وترجل ونزل من على ظهر الحجرة وحط يده على شاكريته وجردها سطعت ولمعت وصاح طريق يا كلاب الكفر

كلاب الشرك لاتقفوا قبالى فانى من لقاكم لا أبالى
واخلوا الى الطريق أسير فيها أسلم ماحملت من المقال
وان خالفتمونى رأيتم لفتح الطرق دونكموا قتالى
أنا ابن حسن وآبراهيم اسمى وحوران اصل نسبى باتصالى
فاخلوا وترون اليوم ضربا يقلقل وقعه صم الجبال

ومال على اليمين أرمى نحو عشرة من الكفرة ومثلهم من اليسرة فتجارت الفرسان [illegible] عرنوس وجوان قاعد فقالوا الطريق يا ب الديابرو طريق يا أبو فاجوان فقال عرنوس [illegible] فاعلموا بقدوم ابراهيم فدخل ابراهيم خالفهم [illegible] قاصد [illegible] الواج [illegible] القبيل وسيف الله المسلول الامام على بن أبى طالب ظاهر العجائب كرم الله وجهه ورضى عنه [illegible] نفس الاصنام حمى البيت الحرام لا ابع من هزم و[illegible] [illegible] بسيفه

فى الأرض كبرت ملائكة السماء مع الندا من العلا لا سيف إلا ذو الفقار القسطلى ولا أمير إلا الامام على ياعزيز ياقوى يامذل كل جبار والقرة الامام أخرب خيبر وقاتل من كفر وابن عم النبى محمد القمر فقال الملك عرنوس هات كتابك وخذ رد جوابك فقال لما تنور على خيلك وتأخذ كتاب السلطان بأدب وتقرأه بأدب وتعطينى رد الجواب بأدب وحق الطريق بأدب أطلع أنا الآخر بأدب وإن فعلت قلة أدب وكان السلطان كاتب المكتوب فى ساعة غضب تلاقى كلمة تعكر مزاجك تمتزج بالغضب يفرك الشيطان أو عقلك الفاسد تقطع الكتاب والاسم الأعظم ماانقطع قطعة ورقة من الكتاب فى الأرض وراس جوان تكون قبلها قال جوان يا ب الدبابر واصحى تمزق الكتاب عيب فى حقك لأن الشطارة فى الميدان لم هى فى الديوان فضحك عرنوس على خرف جوان وقام على حيله أخذ الكتاب فضه وقرأه يجد طالعه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الملك العلى الأعلى ولعنة الله على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم المحفوف بالبند والعلم من كتب على بيرقه لاظالم إلى بين أيادى الملك عرنوس اعلم ياولدى أن العاقل من اعتبر بغيره ولا بد ما بلغك مافعلت بملوك الروم والافرنج حتى رتبت عليهم الخراج والعداد فى كل عام وأنت ياعرنوس لم أنت كافر بل على الحقيقة أنت ابن المقدم معروف بن جمر سلطان الحصون وصاحب قلعة صهيون فاترك هذه اللجاجة الذى مالك بها حاجة واقبض على جوان وتعال عندى وهو معك اسلم وأحسن إسلامك وهذه العساكر الذى معك من أسلم منهم سلمناه ومن عاند قتلناه وأنت تبقى عندنا فى أعز مكان ويظهر عليك نور الايمان فإن فعلت ذلك فهو الحظ الأوفر وإن خالفت فمادونى إلا ضرب الحسام والحرب والصدام والسيف أصدق أنباء من الكتب وحامل الأحرف كفاية كل خبر والعمد على الختم فيه حجة والسلام على فى ظللت على رأسه الغمام فالتفت إلى جوان وقال له تقرأ الكتاب قال جوان اكتب بالحرب وأنا أقرأه لأى شىء فأعطى الكتاب إلى إبراهيم وكتب له رد الجواب قال إبراهيم هات حق الطريق قال عرنوس لك قدر إيش حق الطريق قال إبراهيم لى على كل ملك من ملوك الروم ألفا قبرصى فقال عرنوس وأنا قدركم ملك قال إبراهيم أنت قدر عشر ملوك فقال عرنوس اعطوا ابن الكورانى عشرة آلاف دقاقة قال انت قدر مائة ملك قال عرنوس ما بقاش ينفع لو كنت أول كنت أعطيتك قدر مائة ملك ولكن كل ملك من أولاد ملوك ابرنقان يعطى ابن الكورانى السدقاقة فقبض إبراهيم خمسين ألف دينار عشرة من عرنوس وأربعين من الملوك الذى صحبته وعاد سمع الاسلام وهو يرقص حجرته طرب ويتمايل على ظهرها عجب حتى بقى قدام صيوان السلطان ترجل ونزل وأعطى الحجرة لعلى بن

الشباح ثم تقدم إلى السلطان وباس الكتاب الاول وقال يا ملك هذا كتابك سالم وهذا رد الجواب فأخذ الملك رد الجواب فقرأه وإذا هو بالحرب فمزقه وأرماه وقال شعر

ما يفيق الكوز إلا من تأمله   يشكر له الماء قاما من النار
لو كل ب كما هوى ألقمته حجرا   لأصبح الصخر مثقالا بدينار

ثم أمر بدق الطبل حربى فجاوبته طرنبيطات الافرنج وبات الطبل يدق حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت الشمس من على رؤوس الروابى والبطاح وسلمت على فم لثنى زين الملاح اصطفت العساكر قبل بعضها بعض تريد الحرب والطفاح قرعت الطبول من سائر النواح خرج من عرضى الكفرة فارس فى الحديد غاطس وهو بطريق عزقه الكفر تمزيق راكب على حصان عتيق أشقر ومتقلد بسيف أبتر وعلى كتفه رمح أسمر يتخطف الارواح ويفرى الارض ألواح صال وجال فى أربع جنبات المجال ومد واستطال ونادى بصوته وقال هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم المزاهز من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فمابى خفى ما فى حومة الميدان ومحل الحرب والطعان إلا البطريق العوعو بن جربوع باطلابه قال الملك قم يا أمير ايدمر فركب ايدمر وأطبق على ذلك الملعون وحاربه وأكربه وزعق فيه أرعبه وضربه بالحسام فى وسط جبهته شقه إلى حد صرته فوقع قتيل وكبرت الاسلام نزل الثانى ماخلاه والثالث دحاه والرابع أرماه والخامس ألحقه برفقاه والسادس والسابع كانوا لما قبلهم توابع والثامن والتاسع والعاشر جعل طان الميدان لهم مقابر والحادى عشر والثانى عشر جعلهم عبرة لمن اعتبر وموعظة للبشر ودام الامر إلى آخر النهار قتل خمسين فارس كرار ورجع على ذلك العيار قبل الأرض قدام السلطان وجلس محله فقال له الملك قبل الله منك اقراءة يا أمير ايدمر فقال تقبل ورضوان يا ملك الاسلام وإذا بالخمسين حصان مقابيز محملين أمتعة وملبوس وأسلحة والذى أقربهم جماعة نصارى ومعهم كتاب أخذ السلطان الكتاب رأى فيه أن ايدمر البهلوان قتل خمسين فأرسلنا له متاعهم وإذا نزل واحد منكم تبقوا تعطونا سلبه فقال السلطان خذهم يا أمير ايدمر فأمر الامير ايدمر سياسه تسلموا الخيل وما عليها ونظر إبراهيم اليهم فتحسر وقال يا سيدى أنا أكره أنزل إلى الميدان وأقتل ألف كافر وآخذ ما معهم من المال ولا أعود الا بما يغنى الرجال ثم انه بات تلك الليلة ولما كان عند الصباح تقدم ابراهيم وقبل الارض قدام السلطان فقال السلطان وقد عرف قصده مالك يا ابراهيم فقال ابراهيم يا ملكنا أنا قصدى تأمرنى ان انزل الجهاد فى طاعة رب العباد فقال الملك يا مقدم إبراهيم هذا ما هو مقامك انك تنزل فى هذا الميدان فقال ابراهيم يا ملكنا المقامات فى الجنة فلما سمع السلطان كلامه ورده من مرامه وقال له هيب عليك إذا نزلت إلى اوباش العسكر ونزل المقدم حسن النسر بن عجور فعل فعال فى

الحرب والقتال تعجز عنها صناديد الرجال وعاد فرأى خلفه من الخيل ما تزيد عن ثمانين وكل حصان عليه سلب صاحبه ونظر إبراهيم إلى ذلك فزاد به الجنون ودخل على الملك وقال له أنا سايق عليك الملك الصالح فى قبره لم تحرمنى من كسب الجهاد فقال له فى غداة غد انزل إلى القتال حتى تبلغ الآمال فبات إبراهيم يحلم حتى طلع النهار ولما طلع النهار دخل فى عدته وركب حجرته وقفز إلى الميدان ونظر جوان الى فمرق المقصود فأرسل له واحد قتله وبعد ساعة أرسل له ثانى فقتله وبعد ساعة أرسل له الثالث فقتله وبعد ثلاث ساعات أرسل له الرابع فقتله وبعد أربع ساعات أرسل له الخامس فقتله ودق طبل الانفصال فصاح إبراهيم ابرزوا يا معشر الكفرة فرد عليه جوان وقال له روح لبكره فعاد إبراهيم وهو فى أشد الكرب الاليم وقعد فى مرتبته وإذا بثلاثة حمير شايلين قربتين مخطوطين والحمير عليهم مشاعل مكسرين وكتاب من عرنوس مضمونه أن إبراهيم ابن حسن نزل فى هذا اليوم قتل اثنين سقايين وثلاثة ضوية فقادم لكم سلبهم يعطوه له

قال سعد تقبل الله منك الغزاة يا مقدم إبراهيم فقال الملك هذا طيب يا إبراهيم قال إلا انه يلعب دقن جوان وباتوا تلك الليلة ودام حرب البراز مدة عشرين يوم بين الكفار والاسلام يقتلوا ويأسروا منهم حتى ضجت الافرنج وشكوا للملك عرنوس وقالوا كل من نزل انتظروا احنا لم جئنا للنطار فقال جوان يا بب هذا شىء يطول شرحه آمر العساكر تحمل حملة واحدة حتى تبلغ الارب فقال عرنوس حتى انزل أنا وأبارز المسلمين وألتقط فرسانهم وبعدها آمر العساكر يحملوا عليهم ثم انه بات تلك الليلة وهو يصلح فى عدته ويجتهد فى نفسه ولما كان عند الصباح أرسل اعلم الملوك أن لا أحد يبرز إلى الميدان فى ذلك اليوم حتى ينزل الديابر وعرنوس يلتقط من المسلمين فرسانهم فامتنعت العساكر عن الخروج وبعدها خرج عرنوس وهو راكب على جواده ذات النور وعلى بدلة من الجوهر تأخذ بالبصر ولما توسط الميدان صال وجال فى أربع جنبات المجال وقال ميدان يا مسلمين ميدان يا مسرجلين ميدان يا ميرانه ميدان يا ملك المسلمين اليوم ولا كل يوم دونكم والقتال ومعاناة حرب الابطال فارس لفارس اثنين لفارس عشرة لفارس مائة لفارس ألف لفارس كلكم على بعضكم لفارس من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا من تعرفونه الديابر وعرنوس بن مغلوبن ملك ملوك البرتقال دونكم القتال والطعن والنزال قال السلطان قم يا أمير أيدمر فقام أيدمر البهلوان وبرز إلى الميدان وقال له جيتك يا علق يا تباع الدشت انت تقول على فرقع ابتاع اللوز دونك والقتال انطبقوا الاثنين على بعض دوت أصواتهم مثل الرعد وسعوا المجال طولا وعرض وما كان إلا قدر نصف ساعة حتى أن عرنوس أتعب أيدمر البهلوان وأكربه ومال عليه بالطعن حتى ألهبه وأوعده بالطاش فوقانى فستر على رأسه حايث المنطقة فطبق يده فى منطقته وصرخ

فيه تمتمه وزغمت على زنده وأرماه إلى الأرض وقال له أنا ماقلت لك أنك فرقع لوزوه مرغ
على البطارقة شدوه كتاف [ياسادة] وسبب ذلك تبقى العداوة دائما بين ايدمر البهلوان
وعرنوس فصرخ عرنوس غيره قال السلطان ينزل غيره قال علاء الدين غيره يا ناس
قال السلطان وأنت قاعد تعمل إيه قال علاء الدين ياملك أنا ضعيف قال الملك قم على
حيلك قال حاضر يا بعض شاه هات يا جعباص الحصان طبق ركب وساق الحصان
لقدام عرنوس مد يده الملك عرنوس أخذه من فوق الحصان سلمه للخدامين كتفوه
وبعده الامير بشتك وبعده الامير سنقر والجاولي خمس أمارة في يوم واحد أسرهم الملك
عرنوس وفي ثاني الأيام كان الحرب على بني إسماعيل نزل المقدم حسن النسر ابن مجبور
وتقاتل مع عرنوس ساعة فعرفه أنه بطال شجاع وقرم مناع فاستلب من تحته فخذه
حربة ماضية أمضى من القدر وزرقه بها حكمت في صدره والتقاها الفداوي في الدرقة
وهي جلد حيتان فخرقتها وساقت في صدره قدر متر فتمتع الفداوي فقال له عرنوس
عود داوي جرحك وابقى تعال حارب فعاد حسن النسر خاطره مكسور ونظر
معروف إلى فعال ولده ففرح فرحا شديدا وبعده نزل سنقر اللوالي وسنقر الحجار جرحهم
وأسرهم عرنوس وكذلك المقدم سيف السباعي وخالد البزاغي وفرغ النهار ودق طبل
الانفصال فاغتاظ السلطان وأحضر إبراهيم وقال له أنت راحات الحرب انزل بكرة
هات عرنوس فقال المقدم إبراهيم سمعا وطاعة فسمع المقدم معروف بذلك فخاف على
ولده من إبراهيم فادعى به إلى عنده وقال له ياابن أختي أنت كسرت ومديت وولدي لساع
ما كسر ولا مد وأخاف أنك تفترس بعرنوس اني في الميدان وتكسر نفسه قدام المسلمين
والنصارى يبقى عيب عليك وهو ابن خالك على كل حال فقال إبراهيم ياخوندا الحرب
لم يكن فيه رحمة كما قيل فيه

جئنا بحرب وقالوا اليوم نكرمكم لقربكم كي نحاربكم برحمة
لما سمعت كلام الزور قلت لهم انتم كذبتم فما في الحرب مكرمة

والله ياخال ان الميدان ماينفع فيه إلا الضرب بالسيف اليماني واما إيش ولد مثل هذا
نصراني يعادي السلطان ونحن بين يدي الملك ولنا جماكي وديوان أقول للملك ما أقدر
أجيبه إليك وعجزت عنه في الميدان حتما إذا هو قدر علي وقهرني يبقى عذري مقبول فقال
معروف صدقت وأخرج له من عبه جوهرتين يتام وقال ياأبو خليل خذ دول هدية

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة تهدي اليه جرادا كان فيها
قالت له يا نبي الله اقبلها ان الهدية على مقدار هاديها
لو كان يهدى إلى الانسان قيمة لكان تهدى لك الدنيا بما فيها

يا ابن أختي افعل بأصلك مع ولدي في الحرب فاني ان رأيته أسير قلبي يذوب فقال

إبراهيم ياخوند ابنك من يقدر على أسره ابنك فارس لايطاق وفى الحرب علقم لايذاق ثم ان إبراهيم برز إلى عرنوس وصار يحاربه طول النهار ويكشف عن صدره وعن علات فى جثته لاجل أن يطعنه ومن فهم عرنوس وذكاوة عقله يظن أن هذا جدال وخداع ولايرضى يطعنه لمايعلم منه أنه فارس جبار ولما علم منه إبراهيم هذا فخاف أن يرجع من قدامه بلا فائدة رفع يده بالخنجر وضرب عرنوس على الخودة وزحلق يده عمدا فنزل ذلك الخنجر بذبابه على فخذ إبراهيم فصاح آه جرحتنى ياملك عرنوس قال عرنوس كذاب انت الذى جرحت نفسك فعاد إبراهيم مجروح فامتزج السلطان بالغضب وقال لعثمان حضر الحصان وأراد الملك أن يركب وإذا بباب الديوان قد استدو المقدم جمال الدين مقبل فالتقاه الملك وأحكى له على عرنوس فقال وأبوه لم ينزل يأسره فقال الملك أبوه أظن مايبزلش له فالتفت شيحة إلى معروف وقال له ما أنت من جملة المجاهدين قال له نعم فقال له قدم انزل الميدان مثل غيرك ياأما يأسرك أو يجرحك أو تنصر عليه فقال معروف ياحاج شيحة هذا ولد جاهل وجبار وأخاف أن يأسرنى فقال شيحة أنت تخاف من جرح ياخوند أما أنت مثل غيرها فعندها ركب معروف حجرته وخرج فقام شيحة يامقدم معروف والاسم الأعظم إن جاء وقت الظهر ولم تأتينى به أسير لم أبيته هذه الليلة إلا جلده مسلوخ ومحشى شش وأحرمك منه وأريح الناس من قتاله فامتزج معروف بالغضب وقال ياحاج شيحة وإذا ماقدرتش عليه فكيف العمل فقال شيحة وبطلت الاسباب والحيل فسار معروف لما بقى قدام عرنوس وقال له سلامات ياولدى فقال عرنوس انت يا بياجور تعرف تحارب فقال معروف أنا جيت أعلمك الحرب افعل كذا وافعل كذا لما ركبت الشمس فى قبة الملك تذكر معروف اليمين الذى حلفه شيحة فصاح فى وجه ولده أرعبه ومد له زند ملآن تقوى وإيمان وقبض على منطقة عرنوس وهزه واقلعه من سرجه وصرح على سعد ما أقبل فقال له خذ حصانه وسار معروف لقدام السلطان بولده وقال ياملك الاسلام هذا ولدى أشفق عليه ثان الذى تفعله معه من الجميل كانك تفعله معى أنا فقال له السلطان أن أسلم قبلناه وإن كان كافرا قتلناه اعلم يا معروف ن دين الاسلام حلو ولا يمتنع عنه الا الجاحد المطرود من رحمة الله اقعد والله يفعل مايشاء هذا جرى وأما جوان لما راى عرنوس أسر أراد أن يأمر العساكر بالحملة فقالوا له اولاد ملوك الرتقان كيف نحمل ومليكنا مأسور مع المسلمين ما نشوف يجرى له ايش وصبروا وأما إبراهيم فانه تسلم عرنوس ووضعه فى محل الاهانة قدام السلطان فتسبلت عيناه وغشى عليه ساعة فقال إبراهيم يا مقدم معروف عليك البشارة ان ولدك يسلم فى هذه الساعة فقال معروف كما طلبته فقال ياخوند أريد بعد عمر طويل

إذا سبقتني إلى الجنة تعطيني ذات الحيات قال معروف وعشرة آلاف دينار فقال الملك ومني عشرة آلاف دينار وكل من كان حاضر التزم بانعام للمقدم إبراهيم قال إبراهيم الذي قال على شيء يحضره وتقدم ووضع يده على جبهة الملك عرنوس فافاق يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال معروف إيش علمك الاسلام يا ولدي فقال أنا رأيت شجاع بيده سيف يزيد عن باع وذراع وقال اعلم يا هذا أن أباك معروف من أولادنا وانت ولده فاسلم فقلت له وأنت من يا زين الاطايب فقال أنا علي بن أبي طالب فاسلمت على يديه وهو سبب اسلامي فقال له الملك تمنى فقال لا يمكني أتمنى حتى أسير إلى العرضي الذي معي وأقبض على جوان وأعلمه اني أسلمت وبعد ذلك لا بد لي أن اعرض على الذين معي جميعا الاسلام فان اسلموا فقد اهتدوا وإن خالفوا وضعت السيف فيهم وتلحقني انت بعساكر الاسلام فقال له السلطان افعل ما تريد عندها خرج عرنوس على ظهر جواده فالتقاه جوان فقال له البرتقش يا جوان أجيب لك الحارة اعلم ان عرنوس اسلم وهاهو قادم ونور الاسلام على جبينه يتلألأ كتلألىء الشمس في قبة السما فما أتم كلامه إلا وعرنوس قدامه فقال له جوان ياسيدي نهار مبارك الذي وجهت لأصلك فقال عرنوس يا جوان ادخل عند السلطان فقال جوان أنا في عرضك تعتقني من العلقة فقال أعتقك لكن اصدقني ارقلت الصحيح اطلقك وأما ان خالفت انت وشأنك فقال جوان ياسيدي فقال عرنوس انا ابن مين قل جوان ابن معروف فقال والكلام الذي كنت تقوله قال جوان كله كذب مني وأما معروف فهو أبوك وأمك مريم الزنارية بنت الربن حنا صاحب جنوى وحكى جوان لعرنوس على أخذ مريم القدس وإسلامها وجوازها وسرقتها وسفر معروف وكل ما جرى إلى هذا الحد فتعجب عرنوس من هذه العبارة وقال له روح لحال سبيلك ومشى حتى دخل العرضي فوجد الاربعين ملك واقفين له في الانتظار فلما أقبل نظر اليهم فقالوا له لا تسألنا عن شيء فان المنام الذي رأيته أنت نحن رأيناه فان كنت اسلمت اليوم نحن أسلمنا قبلك بخمسة أشهر فقام الندا في العرضي بالاسلام فاسلموا عن كرة أبيهم وعاد عرنوس إلى السلطان فقال السلطان تمنى يا ملك عرنوس فقال عرنوس أتمنى أن يكون لي كلمة لا ترد ومجلس لا يعلوه غيري أحد ويد لجمع الطالب تمتد ولم يكن فرقها بد . . . يف طارق ورفعة إلى فوق ولم يحكمني مخارق فقال السلطان إيش عني ما تقول فقال كلمة إذا سألت مولانا في شفاعة لا يرد كلمتي ويد تمتد إذا حضر لي لا كتاب وكنت حاضرا قرأته بلا . . فاظ ومولا السلطان مجلس لا يعلوه غير كرسي في الديوان مخصوص فان شئت طالع فداوي

أو أميرا لامانع وسيف مطلوق إذا مسكت مستحق القتل اقتله وإذا أخذت بلد بالسيف وفتحتها وأعجبتني أسكنها فقال الملك دستور مكرم كلما قلته لك فتقدم شيحة اليه وأخذ في محل وطهره وقال له هذه طهارة الاسلام فلما نظر ذلك قال وأولاد الملوك الذين معي فقام شيحة وأخذ ولده السابق وأمر عرنوس بحضورهم فلما حضروا طهرهم شيحة وطلع شيحة والسابق واجتهدوا في المرضى مابنوف عن شهر كامل طهروهم جميعا ودخل الملك حلب أقام فيها ثلاثة أشهر وهو يأمر لكل ملك من الملوك الذين تابعين لعرنوس أن يلعب اقدام الأمراء في الميدان حتى عرف مافيهم وقال ماشاء الله هؤلاء يكونوا مجاهدين في سبيل الله رب العالمين ثم انه أمرهم بالرحيل مع عساكرهم بصحبة الملك عرنوس وأبوه المقدم معروف فقال المقدم معروف يا دولتلي احنا كلنا أتباعك لكن اعطيني أجازة قبل توجهي في خدمة ركابك آخذ ولدي وأسير به إلى جنوى أفرجه على والدته التي لها ثمانية عشر سنة لم نظرته وقاعدة بحسرة قال صدقت فعند ذلك ركب الملك الظاهر بالمرضى وتبعه أولاد ملوك البرتقان وسافروا صحبة السلطان أمر لهم السلطان أن ينزلوا في قلعة الكبش بعساكرهم وأخلى للملك عرنوس بيت ابن ابا ديس السبكي وانتهى حالهم وأما المقدم معروف فانه ركب على حجرته الحمامة القطشة وركب الملك عرنوس حجرته وساروا من حلب وصحبتهم الخدم وآلة ما يحتاجون للسفر حتى دخلوا مدينة جنوى فبلغ الخبر إلى الرين حنا بقدوم الملك معروف فركب إلى ملتقاه ولما وقعت عينه عليه ترجل من على الحصان إجلالا لقدره ونظر إلى الملك عرنوس وإلى حسن صورته فتعجب من رؤيته وضرب المدافع وزينت جنوى لقدوم معروف ابن جمر والملك عرنوس ولم يقدر على الجلوس بل قال ياحنا أين زوجتي الملكة مريم فقال له والله ياسيدي إن زوجتك لم طلعت من قاعة الاحزان طول هذه المدة فسار معروف وابنه في صحبته إلى قاعة الحسرات وصاح معروف فين انت يامريم فقالت من أنت قال أنا معروف وهذا ولدي الملك عرنوس فقالت له ياسيدي يامقدم معروف أنا قلبي ذاب من فراق الاحباب وعميت من البكا والانتحاب وأظن انك اتيتني بولد من أولاد الناس وتقول انه ولدي مع ان لي فيه علامة وهي في وسط خدوده كل حد شامة وأنا ما ما ناظرة اليه حتى أحقق البرهان ثم انها قامت تجري فرحانة باللقاء فكان باب القاعة موارب وهي مقبلة فخبطت الباب فبالقضاء والقدر لايحكم الخبط إلا في عرق الغشاوة فسالت الدماء ففتحت عيناها ونظرت إلى ولدها الملك عرنوس وهو متكامل بالجمال على رأي من قال

وتركى تباهى بالجمال وضوء جبينه فاق الهلال
سباتا بالمحاسن والدلال بفم كخاتم وثنا لآلى
وخال أخضر فى خد احمر سطا على العاشقين برمح قد
وأبذل بالهوى هزل وجد يبارى بالتجا فى كل حد
له خال على تفاح خد كنقطة عنبر فى صحن مرمر
الا يا ليته يحفظ ودادى ويصفنى على كيد الاعادى
غزالا صادنى وأسر فؤادى بالحاظ كاسياف تنادى
على عاصى الهوى الله اكبر .

[يا سادة] فلما نظرت الملكة مريم الزنارية إلى الملك عرنوس ولدها ضمته إلى صدرها وباست خدوده وفرحت بالملتقى وزال عنها لم البؤس والفرق وخرجت من قاعة الاحزان إلى قاعة مملكتها وجلست واحتاطوا بها خدمها الذين لها وانفرشت الفراشات وانوضعت الطعامات والشرابات وما أمسى المسا حتى انجلت الملكة مريم وانبلت فى خلع البها والجمال وانقلبت من حال إلى حال واحضرت إلى ولدها الملك عرنوس خمسة جوار نهد ابكار وأدخلته فى مقصورة معهم ودخلت هى وزوجها وتذكروا ما كان لهم ايام الصفا والوفا وظهروا من بعد الاختفا وباتوا أحسن مبيت ولما كان عند الصباح طلب المقدم معروف من الزين حنا مايليق لزوجته من الملبوسات والمصوغات والحلى الفاخر واللؤلؤ والجواهر والفرش والاوانى وأموال زائدة فاحضر الزين حنا كل ماطلبه المقدم معروف فى الحال ونزلت الملكة مريم فى التخت واحتاطت بها الخدم وسار بها المقدم معروف بعد ماقدم له الزين حنا هدايات من أفخر الجواهر ومايليق له من الخيول فلم يقبل معروف شيء من هذا وودعه وسار إلى حصن صهيون فوجد بنو إسماعيل مقيمين فى انتظاره فلما أقبل سلموا عليه وقالوا له الحمد لله ياخوند على سلامتك فقال معروف يا بنو إسماعيل الذى طابع شيحة يسلم على والذى يكون ماطاع شيحة لايدخل حصن صهيون ولا يعرفنى أبدا فانقطع عزم الرجال عما كانوا عازمين عليه ودخلت الملكة مريم حصن صهيون وبات معروف وعرنوس ليلته وثانى الايام عمل فرح ومهرجان لهجت فيه الرجال فرحا وطربا باجتماع شمله بولده وخلاصه مما كان فيه وبعد عشرة أيام أخذ ولده وتوجه إلى مصر لخدمة أمير المؤمنين الملك الظاهر والاقامة عنده ولما وصل إلى مصر أمره الملك بالنزول فى بيت ابن اباديس السبكى وأرسل له فيه الهدايات الغليات ولما كان ثانى الايام طلع الملك عرنوس الديوان فأمر الملك بقفطان وأخلعه على

عرنوس وقال له أنت ملك من تحت ملك وأولاد الملوك الذين معك كل واحد منهم يستحق سلطان أمير مائة مقدم على جيش ألف من تحت يدك وأنت الملك عليهم وأقام عرنوس يطلع الديوان مع أبوه وأما أيدمر البهلوان كلما رأى عرنوس يتغاظ منه ولم يقدر أن يراه فكتب استدعى العلماء يقول ما قولكم ياسادتنا العلماء فى رجل أسلم بعد الكفر ولم يقلع ثياب النصارى فقالوا العلماء يقلعهم قهرا وإلا إن ارتد ثانيا يحرق وثانى الأيام اجتمعت العلماء قدم الافتا بين أيديهم لحكموا على عرنوس بقلع بدلته لكون أنها طقم أهل الكفر فانغاظ السلطان من أيدمر البهلوان وعلم أنها عداوة من زمان فأحضر إلى عرنوش بدلة من افخر ملبوسه وأخذ بخاطره وقضى نهاره مع السلطان ولما كان تلك الليلة بات عرنوس وهو يشكى من الأسقام وأبوه واقف معه على حيله حتى النهار فلم يطلع الديوان فسأل الملك عن معروف وولده وارسل يستخبر عن عدم حضورهم الديوان فعاد الرسول وأعلمه بما جرى على عرنوس فبينما هو كذلك وإذا بالمقدم قطب الدين أقبل فأعلم السلطان فنزل صحبته إلى بيتان أبادبس السبكى ودخل على عرنوس ونرظه شيحة وقال له لأى شىء قلعت بدلتك فأخبره بالفتنة التى حصلت من ايدمر البهلوان فقال شيحة لا تلبس الاخيار غما عن انفه هات البدلة والشربوش فأحضرهم فلعب فوق لوالب هلال الشربوش فدار انقلب تاج كسرى لبس ملوك العجم ولعب فيه ثانيا فصار تاج مثل تاجات ملوك الاسلام ثم لعب فيه فانقلب شربوش وكذلك الشايات بالمثل ونظر الملك عرنوس إلى ذلك ففرح وقلع ملابس الملك الظاهر ولبس بدلة على هيئة ملوك الاسلام وانزاح عنه الأسقام وقد ودعوا شيحة والسلطان أخذه وركبه معه للديوان ونظر ايدمر البهلوان فانكمد وقام عرنوس وهو يطلع الديوان أيام فداوى وأيام أمير مدة أيام وليالى إلى يوم تكامل الديوان بالملك ودولته فطلع نجاب يقبل الأرض مقبل من ناحية حلب وقدم كتاب من باشة حلب يذكر فيه ان يوم تاريخ الكتاب وردعلينا ملكين احدهم يقال له سطرون والثانى ترس النصرانية ولهم عسكرين مقدار عشرين الف فارس يعبدون الصليب دون الملك القريب المجيب وان هذين الملكين ارسلهم مغلوبين ملك ملوك البرتقان أراد الملك أن يركب فقام عرنوس قبل يد السلطان قال الملك ماتريد يا ملك عرنوس فقال يا ملك الاسلام أوعدتنى وعد جميل والعين منتظرة اليك انجز بوعدك سيدى الراية البيضاء عليك وأنا يا ملك الاسلام طالب منك ومن فضلك انى أسير إلى هذين الملعونين وهم سطرون وترس النصرانية وأمحقهم بالكلية وأجعلهم عبرة لكل البرية فقال الملك يا عرنوس با فى أنا راكب سائر وانتا فقال ياملكنا أنا انوب عنك هذه النوبة فقال معروف اعطى وليدى طلبه وأنا اروح معه وإذا كنت أنا معه بنفسك

يادولتى فلا يحصل إلا كل خير فالمولى ينصر الاسلام على أى حال كان فعندها خلع الملك على عرنوس وقال له أنت صارى عسكر الركبة على أولاد ملوك الجزائر ونزل الملك عرنوس أهبته وتوجه أبوه بصحبته وما زال سائر يقطع البرارى والقفار حتى أشرف على حلب وقد وجد عرضى الكفرة فجعله ميسرة ونصب عرضته فى الميمنة وكتب كتاب إلى ملوك النصارى سطرون وأخيه سيف النصرانية وأراد أنه يرسله مع اولاد ملوك البرتقان فقال معروف أنا آخذ كتابك وأكون نجابك وأخذ الكتاب وتوجه إلى عرضى الافرنج فنظره جوان وكان جالس مع الملوك فقال يا بيات هذا الذى أغرى الديابرو عرنوس على إسلامه وإسلام أولاد الملوك معه قان قتلتموه يخاف الديابروا وأولاد ملوك الرتقان يعودوا إلى دين النصارى فصاحوا الملكين على معروف ومى فقال معروف إلى اليوم يا كلاب الروم الله اكبر ثم انه انشد يقول

إذا دارت بنا جمع الأعادى وقد جذبوا المهندة الحدادى
واموا مسرعين وأنا فريدا وحيدا فى فعال الخير بادى
ومنهم بان لى كل التعادى فان الله يلطف بالعبادى
تعالوا يا كلاب الكفر نحوى لكى ما تنظروا فعل الأيادى
أنا معروف جرأنى حقيقا صبور فى اللقا عند الجهادى
سأمحق جمعكم وأصول فيكم بقلب قد من صخر الجمادى
لحرب الكافرين على فرضاً فان الكافرين لنا أعادى
وصلى ذو الجلال على محمد نبينا الهاشمى زين العبادى

وجرد شاكريته ذات الحياة فى يمينه وترسه فى شماله ومال على الافرنج كل الميل ونزل عليهم نزول السيل وكالهم كيل وأى كيل وساقهم من الصيوان وأخرجهم إلى بر الخلا والوديان وضرب فيهم بحد اليمان حتى بقوا القتلى حواليه كيمان ونظر عرنوس إلى ما جرى على أبيه فركب وصاح على أولاد ملوك البرتقان والتقى الجمعان وانطبقت اهل الايمان على عباد الصلبان وغنى السيف الهندوان على نواعم الابدان ودام الامر على ذلك الحال حتى أذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال لكن كانت ليلة مقمرة فلم يدقوا طبول الانفصال بل انفاظ الملعون جوان وخلع القلنسوة وقال قاتلوا يا نصارى وأحموا ملككم فى هذه الغارة واطلبوا النصر من مارى حنا المعمدان والبطرق زرارة فقاتلوا الملاعين وأرموا ارواحهم إلى الهلاك والعذاب المهين من تلك الليلة قاتلت أولاد ملوك البرتقان وطعنوا بكل سنان وكم ضربوا بكل سيف هندوان وقطعوا الجماجم من على الابدان وكلا منهم هاج فى الكفرة كانه السبع الغضبان أو النمر

الخردان وجعلوا القتلى حولهم كيمان ودام الامر كذلك حتى انتصف الليل وقد كلت الخيل وذاقوا الكفرة الحرب والويل ولولا ضرب النبال من الكفار الانذال لما كانوا خطروا المسلمين على بال فانصاب ذات النور حصان الملك عرنوس بنبلة حكمت فى فخذه فشال بركابه وطلب البرارى والكثبان والملك عرنوس يحوشه فما ينحاش حتى خرج من براة الصفوف ونظره المقدم معروف فتبعه حتى لحقه وقال له ياولدى حرام على المؤمنين إذا ولوا الأدبار من حرب الكفار فقال معروف والله يابنى أنا ما أولى من الميدان وتطرد حصانك فقال عرنوس حاشاه أن أولى الأدبار وانما جوادى أصابه سهم فثار فى البرارى والقفار وهذا الذى أخرجنى من قدام حرب الكفار فعند ذلك وقف المقدم فى عروض الحصان وقبض على رقبته حتى انه أوقفه ونظر السهم الذى أصابه فقال ياولدى حصانك معذور ونزل المقدم معروف ونشف دم الحصان ودهن الجراح بدهن استقطاب ومرام حتى قطبت جراحاته وقال له اركب بنا ياولدى حتى نلحق عساكرنا التى قدام أعداهم فركب عرنوس ومعروف على ظهر الخيل وكان آخر النهار فعادوا طالبين مدينة حلب ليساعدوا عسكر الاسلام فبينماهم سائرين وإذاهم نظروا إلى رجل شيخ واقف وعلى كتفه ابريق مليان بالماء فقال عرنوس أناعطشان فلما سمع المقدم معروف من ولده ذلك تقدم إلى الشيخ وأخذ منه الابريق وشرب منه عرنوص ومعروف فتبنجوا الاثنين فى ذلك المكان وكان ذلك الشيخ الملعون جوان وصاح بعدها فأتى اليه البرتقش الخوان ولما أتى له البرتقش فشدوا معروف على حجرته وشدوا عرنوس على جواده وسار بهم ليلا

ولما طلع النهار دخل بهم إلى مغار فى الطريق وفيقوهم وأطعموهم وسقوهم وسافروا بهم وهكذا أيام حتى دخلوا بهم إلى ملك الافلاق فلما نظرهم الانجرت قال لجوان ياابونا إيش مرامك ان تفعل فيهم فقال جوان تنظرهم وتكسب ثواب قتلهم فى دين المسيح والبترك زراره لأجل ان يرتاحوا منهم النصارة الانجرت فقال لهم وإيش مرامكم منا يا ملاعين فقال جوان غير القتل لم يصبكم شىء من الدنيا فقال معروف يا ملاعين إذا كان سجن القيطلان سبعة عشرة سنة ونصف لم قتلت فيه تقتلوني انتم وولدى معى فقال البرتقش للانجرت يا اب لا تغتر بجوان وكلامه واعلم ان دولة اركان المسلمين وان قتلتهم تخرب بلدك والرأى انك تسجنهم فان خفى خبرهم موتهم يبقى قريب وان جاهم احد من المسلمين يطلبهم فادى بلدك بهم فقال هذا صواب ثم انه وضعهم فى السجن يقع لهم كلام واما اولاد ملوك البراقار وعساكرهم فانهم قاتلوا فى عساكر سطارون وترس الصرانية إلى آخر النهار وعند المساء افترقوا عن القتال وانتظروا

وأبوه صحبته وكلما جن الليل يقعد يسلي نفسه ويغني بالروم وتارة بالعرب لكن لسانه مالك في القوة الرومية أكثر من العربية فما يشعر إلا وجوان داخل عليه وقال له أبشرك أنا جبت لك واحد مسلم يقعد معك يسليك اسمه قار اصلان المغربي من برصة وقدمه له وقال لهم آنسوا بعضكم وكان البرتقش لما دخل على جوان أخذه ودخل به على الانجبرت يا ابو نافي هذه الأيام قرب عيد الصليب نبقيهم في السجن إلى يوم عيد الصليب ان دري بهم رين المسلمين وجاء يحاربنا على شانهم ورأينا الغلبة فديت بلادي بهم وإن جاء أيام عيد الصليب ولم يعلم ملك المسلمين قتلتهم فقال البرتقش كذا طيب يا جوان فقام جوان دخل قار أصلان السجن كما ذكرنا وقام طول يومه إلى الليل فقام تيمم بالتراب وصلى فرضه يتلو القرآن بصوت كصوت الكبروان فحصل للملك عرنوس حماسة بالقرآن وقال يا أخي إيش هذا فقال له هذا كلام الله القديم فقال علمني يا أخي يحصل لك ثواب فصار الملك قار اصلان يعلم عرنوس القرآن فما سمع سورة إلا حفظها مدة أيام حتى حفظ عرنوس تلك الختمة إلى يوم مر جوان على السجن فرأى قار أصلان يقرىء عرنوس فخرج عقله وتمطى في دقنه مزقها وقال يبق جوان ما جاء بكم إلا في مصلحة نفوسكم ثم انه أخرج الملك قار اصلان إلى محل بعيد عنه وافرق بينهم فأما قار اصلان لما رأى نفسه بعد عن عرنوس فاجتهد في العبادة وحده بنفسه وأما الملك عرنوس فأعد ليلة يدندن وكان له صوت حسن يشجي كل من يسمعه وكان للبب الانجبرت بنت جميلة الصورة يقال لها الملكة تحفة الروم فكانت يوم من الأيام فاتتة تتنقل في وسيع السراية فرت على السجن فسمعت صوت الملك عرنوس فوقفت واضطربت وامرت السجان أن يفتح باب السجن حتى ترى ذلك الذي يغني ففتح لها السجان ونظرت إلى عرنوس وهو على رأى من قال

ما احسن محبوبي وما أجمله   ما أرشق قده وما أعدله

لا يسمح بالوصال إلا غلطا   في النادر والنادر لا حكم له

فلما نظرته نظرة أعقبتها النظرة ألف حسرة فقامت من عنده وقلبها مشغول بمحبته فلما طلعت إلى محلها اشتغل الحب بها فصبرت إلى الليل ونزلت إلى السجن ومعها جواريها وأخذت عرنوس من قلب السجن وطلعته معها إلى مكانها وأجلسته إلى أحسن الفراش ووقفت في خدمته وقالت له يا غندار انت اسمك إيه فقال لها لأي شيء تسأليني عن اسمي وابوكي هو الذي يعلم بي وأنا الملك عرنوس واخبرها بقصته فقالت له وما قولك أن تكون عندي دائما ولا تفارقني أبدا فقال لها وأبوكي إذا رآني خرجت من السجن وماذا يفعل إذا كنت عندك ثم انها قامت واحضرت الطعام قدام

الملك عرنوس فأكل معها من خاص المربات وبعده أحضرت صحبة المدام فناولت الملكة بعد ما شربت على وجهه ولما دارت الخمرة في رأسها وتأملت في وجه الملك عرنوس وإذا به في غاية الجمال الفتان على رأى من قال

يا لحظ هذا الريم وقد الرشيق	أما كفاكم هاتف من قيس رشاق
جردتموا الهندى وصحتم طريق	وها أنا واقف وناصب طراق
يشهد لكم دمى بروض الشقيق	كفوا لهيب وجدى وقلوا الشقاق
إن تنتهوا يغفر لكم عن يقين	فاصغوا لقول الله ان تنتهون
قالوا سمعنا فى الكتاب المبين	دعهم فى خوضهم يلعبون
ذلوا لمن تهوونه يا رجال	وإن بدا صده فصبر جميل
ما حيلة العاشق سوى ذى الجلال	حسبه المولى ونعم الوكيل
وارضوا بما يرضى مليك الجمال	لا ترشدوا الأعدا طريق السبيل
وإن بدا يحضر بيته الدلال	كفوا مدامعكم واحلوا العيون
واحلوا درر صبركم وصيغوا الكمال	تحظوا بما كنتم به توعدون

ولما رأت الملكة تحفة الروم إلى الملك عرنوس وهو بذلك الجمال مالت بكليتها عليه وأرادت أن تقبله بين عينيه فلم يمكنها الملك عرنوس من ذلك وغالطها وأخذ القبلة بكفه من فمها فزاد غمها وقالت له لأى شىء لم تخليني أبوسك فقال لها فمك ينجس خدى لأنك على غير دين الاسلام قالت له إن كنت ماتحبش إلا المسلمين علمنى وأنا أسلم فعلمها طريق الشهادتين فأسلمت على يده وأعطاها خنجرا قبضة من جوهر كان فى حزامه مقدم صداقها وزال بكارتها فحملت منه بغلام له فى ظهوره حديث عجيب إذا اتصلنا إليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يصلى عليه اسمع ماجرى من أمر الملك مسعود بك فانه لما طلع النهار وافتقدوا على الملك قار أصلان فلم يجدوه الخدام ورأوا فى محله كتابة التذكرة التى وضعها البرتقش فاخذوها الخدام ومضوا إلى الملك مسعود بك ووضعوها بين يديه وأعلموه بفقد قار أصلان المغربى ولما علم بذلك كتب كتاب إلى أمير المؤمنين ووضع التذكرة فى قلب الكتاب وأرسل به نجاب فسار النجاب حتى وصل إلى حلب ودخل على الملك الظاهر وقدم الكتاب فاخذه الملك وسلمه لافندى الديوان قرأه وسمع الملك الظاهر بان معروف وعرنوس وقار أصلان المغربى الثلاثة بقوا عند الانكبيرت مسجونين فارسل العساكر بالرحيل على ملك الافلاق فسافر العرضى هذا ماجرى أما ما كان من الانكبيرت ملك الافلاق فان الأيام طالت وأقبلت أيام عيدهم كما أوعدوا جوان بقتل معروف وعرنوس وقار أصلان فدخل جوان على الانكبيرت وقال له قدم هات المسلمين الثلاثة الذين عندك أقتلهم هذا وقت العيد فان دم المسلمين فى العيد فيه

جواب فعندها أحضرهم إلى بين يديه وأمر بقتلهم فعند ذلك قال معروف اصبروا يا كفار لما أطلب الفرج ورفع قامته الى السماء وقال الهي سيدي ومولاي أنت سامع دعائي

الله لنا عونا وروجا وعيانا اذا ضاق الحرجا
يا خالقنـــا يا رازقنا يا من لجميع الخلق رجا
قد قلت ادعوني فدعونا ك بكل فؤاد ملتهجا
وقلوب تشهد أنك حق بصدق مثبوت الحججا
يا رب أجرنا من ضيق وافتح لنا ربي فرجا

فما تم دعواه المقدم معروف بن جمر الا وقد ظهرت حول مدينة الافلاق بيارق اسلامية وعساكر محمدية وهم مقبلين على عجل ولهم ضجيج وقد زعزعوا السهل والجبل ودخلوا البطارقة على الانكبيرت وأعلموه بذلك الجيش المقبل فتخبل فى نفسه وقال لجوان يا ابونا ايش الخبر فقال جوان لا تخاف النهاية ملك المسلمين قادم عليك يطلب منك هؤلاء الثلاثة الذين عندك وان طاوعتني أقتلهم وأرتاح من نزاعهم فقال البرتقش ان قتلتهم ترتاح من رأسك ومالك وعيالك وملك الافلاق فقال الانكبيرت صدقت يا برتقش ثم انه أمر بنزول الملك عرنوس فى قلب السجن وكذلك معروف وقار أصلان فنزلوا فى السجن وأرسل الانجبيرت من يكشف الخبر فغاب المرسال وعاد وقال ان ملك المسلمين قد أتى فى عساكر لا تحصى بعدد الرمل والحصى فالتفت الانجبيرت الى جوان وقال له هذا منك لأني لا كنت أعرف معروف ولا أعرف عرنوس ولا قار أصلان وانت الذى جلبت لى هذه المحنة فقال جوان لا تخاف وأنا أسال المسيح أن ينصرك على المسلمين هذا ماجرى هاهنا وأما ملك المسلمين فانه كتب كتاب وسلمه لابراهيم أتى به الى ملك الافلاق بالتهديد والوعد والوعيد فاتى ابراهيم وأعطى الكتاب بعدما فعل من عاداته وأخذ رد الجواب وحق الطريق وعاد الى السلطان فقرأ السلطان رد الجواب فرآه بالحرب شرمطه وأمر بدق الطبل حربى وثانى الايام دار الحرب بينهم وثالث يوم أتت الملكة تحفة الروم الى السجن وأطلقت الملك عرنوس ومعروف وقار أصلان ولما طلعوا من السجن فرأوا بطريق واقف على باب السجن ماسك ذات النور وحجرة معروف وحصان من أفخر الخيل الجياد للملك قار أصلان فركبوا الثلاثة ووضعوا السيف حتى أنهم خرجوا من البلد وجاءوا من خلف الكفرة اللئام وأسقوهم كاس الحمام ومادام الملك عرنوس يضرب بسيفه حتى وصل الى الشنيار الكبير وكان الانجبيرت تحته فضرب حامل الشنيار قتله والمقدم معروف قبض على خناق الانجبيرت ورفعه على قائم زنده ودفع حجرته حتى سلمه لعساكر الاسلام وعاد يكر على الملحدين ويضرب فى أعناق أعداء الدين وكذلك أبطال الاسلام وأمراء المجاهدين حتى أن أهل الكفر

المارقين طلبوا الأمان فرفع السيف عنهم السلطان وقعد الملك على تخت مدينة الافلاق فقدموا بين يديه الانجبيرت وكان الملعون جوان هرب فادركه المقدم جمال الدين وحضره قدام السلطان فاراد الملك أن يقطع رأسه فقال الملك عرنوس ياملك الاسلام اصبر على قتله حتى أسأله ثم ان الملك عرنوس قال للانجبيرت اعلم ياملعون ان ابنتك اسلمت على يدى وهى التى تكون سببا لنجاتك من يدى فان كنت تمثل ذلك لا بأس وإن كان صعب عليك ذلك فلابد الك من المخالفة لأمير المؤمنين وبهذا تخرب بلادك فقال الانجبيرت ياسيدى إذا كانت بنتى اسلمت وانتم أخذتموها فلاجل ذلك أكون أنا تحت ظل سيفك فى أمان من سيف ملك المسلمين وبنتى أسلمت بخاطرها إن أردت أن تبقيها عندى فتكون معززة مكرمة وإن اردت اخذها فانا أجهزها بكل ما أمتلك عن أعلى المتاع ولكن إذا كانت بنتى بقيت زوجتك فأكون أنا معتوق سيفك لأجل بنتى فقال الملك قار أصلان والله ياابن الكافرة ما يمكن اطلاقك حتى تزن كلفة الركبة للملك ملك الاسلام أو يقطع رأسك بالحسام وكذلك قال المقدم معروف فقال الملك الظاهر ياملك عرنوس لما بقى نسيبك الانجبيرت أنا أسامحه فى جميع مافعل وإن عاد لمثل ذلك خربت بلاده قال يا رب المسلمين أنا ما كنت لا أحاوب ولا أضارب وهذه من جوان وأنا ياملك تبت ولا أعود أبدا فعندها أطلقه الملك الظاهر وحد عليه الجزية سوى وأما عرنوس طلب زوجته فأحضر لها تختة وركبت فيه وسلمها عرنوس إلى ابن عمته عماد الدين علقم يوصلها حصن صهيون تقيم هناك يقع لها كلام وكان الذى أحضر الخيل لمعروف وقار اصلان وعرنوس المقدم جمال الدين وتبع أثر جوان فما عاد إلا وهو معه ضربه ثمانين سوط بالقضبان وأخذه البرتقش وتوجه به يقع له كلام وطلب السلطان أن يأخذ الملك عرنوس والمقدم معروف وقار اصلان المغربى لحكى له عرنوس على عداوته مع أيدمر البهلوان وكذلك قار اصلان فقال السلطان سيروا بنا إلى برصة فسافر الملك من على الافلاق حتى وصل إلى برصة فتلقاه الملك مسعود بك وضربت المدافع لقدوم السلطان وعمل الملك مسعود عزومة لأمير المؤمنين وأقام على برصة ثلاثة أيام وبعدها تقدم الملك عرنوس للسلطان وقال له يا ملك الاسلام أنا ما أقدر أسافر إلى مصر فاسمح لى بالاقامة فى برصة وكذلك قار اصلان فاقاموا فى برصة وأما الملك الظاهر فانه توجه إلى مصر يقع له كلام وأقام معروف وعرنوس وقار اصلان فى مدينة برصة مدة أيام إلى يوم من بعض الايام ومعروف جالس وإذا بفداوى مقبل عليه وقبل يده فتأمله المقدم معروف عرفه وكان هذا يقال له المقدم خالدى ويكنى بالقادرى فاستقبله المقدم معروف وقال له ياخالد قبل أن تعطينى باطناطيع شيحة فقال ياخوند والاسم الاعظم أنا لم أخاصم شيحة ابدا ومتى ما وقعت عليه أطيعه وأنا ياخوند قاصد اليك فانى لما أقمت فى

اللجج هذه الايام كسبت مالا بكثرة ولما عدت الى القلاع حكمت عودتى فى البحر فغرق الغليون الذى كنت فيه فطلعت على لوح وجميع ما اكتسبته فانه غرق منى ولم يبق شىء ابدا معى وانا خايف ان ادخل القلعة بتاعتى وعلى جماكى رجال ومصاريف ولما ضاقت بى الحيل وعلمت أنك فى برصة اتيتك ياخوند وجعلت اعتمادى على الله وعليك واما من جهة طاعة سلطان الحصون اشهد على أنى طايعه ولم أخالف له امرا وان خالفت فانت تفعل بى مهما اردت وان أردت القلاع اسأل الرجال المساعدة فقالوا الى جميعا عليك بساحة سلطاننا المقدم معروف وها أنا أتيتك فقال معروف مرحبا بك ايش قدر ما كان معك من المال فقال له كان معى خزنتين فقال معروف جمال لك منى خزنة قال مسعود بك وانا فإن أعطيك خزنة فقال هرنوس وأنا أعطيك خزنة وقار اصلان قال له ومنى أنا الآخر خزنة ففرح المقدم بذلك وأقام عندهم ثلاثة أيام حتى أنهم اعطوا له جميع ما قالوا عليه وفى ليلة من ذات الليالى تحدث الملك هرنوس مع الفداوى وقال له ايش رأيت فى غيبتك هذه من العجائب فحكى له على ما لاقى فى غربته وقال فى آخر كلامه انى مريت على بلاد الانجبرت ورأيت بها ملكا يقال له البب ذو الجواهر وأقمت فى البلد مدة أيام حتى اننى اكتسب شيئا منها فنزلت ليلا على على سرايته لاجل ان آخذ مكسبى منها فرأيت له بنت اسمها الملكة كرمة ولكنها ذات حسن وجمال وقد وبهاء واعتدال والله ياملك هرنوس لما رأيتها لم قدرت امد يدى على شىء من مال أبيها كرامة لها لان لها فى الشمس لون وفى الظل لون صنعة مدبر الكون الذى يقول للشىء كن فيكون والله ياملك لو يبلغها احد من ابطال الاسلام ويحظى بذلك الغصن المعتدل القوام وما زال ذلك الفداوى يوصف للملك هرنوس فى هذه البنت وحسنها وجمالها حتى تعلق آمال الملك هرنوس بحبها فاغتاظ المقدم معروف من المقدم خالد وقال له يا خالد اما تخاف الله حتى انك اشغلت قلب ولدى بوصف هذه البنت بين يديه والله يا قرن لولا أنك قاعد بجانب وليدى ويلزمنى أن أكرمه من أجله لاضربك بالشاكرية أدعور قرعتك ثم انه صاح فيه اسكت فسكت وبعد ذلك أخذ الاموال من المقدم معروف بن جمر وقار اصلان ومسعود بك وشكرهم على أحسانهم اليه وتوجه الى قلعته وفرق الاموال على رجاله وسالهم عن السلطنة فاخبروه بالمقدم جمال الدين شيحة فلما سمع منهم هذا الكلام قام وركب حجرته وسافر الى مصر وسال عن المقدم جمال الدين شيحة فارشدوه عليه فلما وصل اليه أخبره بما قال له المقدم معروف بن جمر ففرح جمال الدين وطلب منه الاطاعة فطاع وكتب اسمه على سلاحه وكتبه فى دفتر الفداوية وأمره بالتوجه الى قلعته والاقامة فيها تحت طلبه للجهاد فاجابه بالامتثال وراح الى قلعته يقع له كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال

النبي يكثر من الصلاة عليه [وأما] الملك عرنوس فانه لعب به الهوى والغرام فما كان منه الا انه استغفل أبوه وصبر الى الليل وشد على ظهر جراده ذات النور وركب عليه وطلع قاصد مدينة الانجرس وهو يقطع الاودية والقفار ويسال عن الطريق من السفار حتى وصل الى الانجرس وكان وصول عرنوس ضحى نهار فدخل الى بستان بجانب البلد وسار الى الفسقية وجلس بجانبها وطلع بعض ماكول وأكل وترك ذات النور واقف يلوك فى لجامه ولما جلس عرنوس أدركه النوم فانضجع على ظهره وجعل وجهه الى السماء وأعجب ماوقع ان بنت البب ذو الجواير التى أتى بسببها كانت اعتراها التولع باللعب والطرب فاخذت جوارها وهم جوار بيض روميات وسارت الى البستان من قبل وصول الملك عرنوس فى قصرلها مخصوص ولما كانت وقت الظهر أكلت الطعام وشالوا السفرة الخدام فاقبلت جارية تنفض السفرة من طاقة القصر فوجدت الملك عرنوس ووجهه مقابل الطاقة فوقفت باهتة اليه ساعة من النهار فقالت لها ستها مالك يابنت طولتى بالنظر الى البستان فقالت لها ياستى تعال انفرجى على الذى ظهر فى هذا المكان فقامت الملكة كرمة ونظرت الى الملك عرنوس فوجدته فتنة للناظرين على رأى من قال

يامن تركنى فى هيام	وراح الى فرشه ونام
قتلتنى ياابن الكرام	ولم أرى لى راحما
دمعى على خدى يسيل	ونار قلبى فى شعيل
والجسم منى عليل	يشكوا الجوى والالما
يامفرد الحسن الحسن	أحرمتنى طيب الوسن
ألبستنى ثوب الحزن	شوقا الى رشف اللما
جل الذى صور صفاك	وبالمحاسن قــد كساك
وما أريد أبدا سواك	اسمح وكن لى منعما

[ياسادة] فلما نظرت الملكة كرمة الى الملك عرنوس تولع قلبها بالمحبة ولعب الهوى فى أعطافها واحتوى الحب على جميع أعصابها ولبها فوقفت منتظرة اليه حتى أفاق من منامه فلما فتح عينيه الملك عرنوس حكم جهه فى وجهها فتعلق آماله برؤيتها واعتدل وهو ناظر الى رؤيتها فقالت له ياغندار أنت من أين وايش آتى بك الى ذلك المكان ودخلت فى قلب البستان فقال لها أنا حورى من الحور العين فقالت له وايش اسمك فى الحواريون الطيارون فقال لها ان اسمى الحوارى الكاعات فقالت له ياحورى الكاعات اطلع عندى فى قصرى اقعد عندى ثلاث ساعات فقال عرنوص طيب افتحى لى الباب فنزلت وفتحت

له الباب وقد أدخلته البستان ووضعت بين يديه آلة المدام فسارت تملا وتسقيه وهو يملا ويسقيها حتى لعبت الخمرة بعقولهم وطاب لهم الحظ فمالت تيوسه فمنعها وأعلمها بالدين فبالانتصار أسلمت وأعطى لها عقد جوهر مقدم صداقها واسترضاها على مذهب أبي حنيفة وأزال بكارتها وبلغ قصده منها وأقام عندها مدة أيام الى يوم من بعض الايام كان البب ذو الجواهر في الصيد والقنص ولما عاد فات على قصر بنته ودخل القصر فوجد بنته نائمة في فرشها والملك عرنوس بجانبها وطابقين الزندين على بعض والفم على الفم كمثل الذي قال في حقهم

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا	من عاشقين على فراش واحد
متلفلفين عليهم حال الرضا	متعانقين بمعصم وساعد
واذا صفا لك من زمانك واحد	نعم الصديق وعش بذاك الواحد
واذا تألفت القلوب مع الهوى	فالناس تقطع في حديد بارد

فلما نظر البب ذو الجواهر ذلك فنيق بنته فافاق الملك عرنوس فقال له البب ذو الجواهر أنت ومن أمرك بالدخول هنا ونومك مع بنتي من غير اكليل فقال له أنا ما أتيت الى هاهنا الا بامر المسيح فانه أمرني أن أنزل على بنتك وأحط جبادي في ما كودها الاجل أنها تحمل ياتي فليون منها يصير نائب على ملك المسيح فقال البب دستور والتفت الى بنته وقال يا بنتي هنا شيء مامنه مضرة طاوعي الحواري لكاعات على ما أراد وتركها ونزل الى مملكته مدة أيام وبعد ذلك أتى كتاب للبب ذو الجواهر من عند ملك في مدينة يقال لها مدينة السمرقند وملكها يقال له اسرافيل فبلغه خبر الملكة كرمة وحسنها وجمالها فكتب الى أبيها يطلبها فقال البب ذو الجواهر يهودي وبنتي نصرانية فلا يجوز أن أجوزها له ثم أنه رد الرسول بلا فائدة فعاد الرسول الى الملك اسرافيل وأعلمه بذلك فجمع من طائفة اليهود عشرة آلاف يهودي ولما جمعهم سار بهم الى مدينة النجريس وضيق على البب ذو الجواهر فخرج اليه وحاربه وطال الحنك بينهم مدة عشرة أيام حتى أفنى من عسكر ذو الجواهر خلق كثير وبعد ذلك أراد البب ذو الجواهر أن يفدي نفسه وبلده ببنته ويعطيها لذاك الجبار فما يشعر ثاني الايام الا والملك عرنوس أقبل من البر الاقفر وخاض في عساكر اليهود بجواده ذات النور وضرب فيهم بالحسام حتى أورثهم البلا والاعدام ومازال يضرب بالسيف في اليهود حتى وصل الى تخت البنود وضرب حامل العلم على وريده أطاح رأسه من بين كتفيه ومال على من تحته من اليهود ففروا من بين يديه فهجم على ملكهم وقبض على خناقه

وعصره على أزياقه ورفعه على زنده وجلد به الارض أدخل طوله فى العرض وبسطه نصفين بقاسم الحديد ونظر اليهود إلى ملكهم قتيل وحامل العلم قتل ومال فتفرقوا فى البرارى والتلال ونظر البب ذو الجوابر إلى فعال الحوارى الذى اسمه لكاعات فزادت به الافراح والمسرات وسأله الوزير عنه قال له هذا حوارى أرسله المسيح ليقى يعملها جناقه وهو قد أحمى بلادى من اليهود ولم بقى منهم أحد الينا يعود ثم انه سار الى القصر فرأى الملك عرنوس جالس مع ابنته فقال له ياحورى لكاعات أريدك أن تكون عندى فى ديوانى كل الاوقات ولا تقطعش قيامك من عندى فقال له سمعا وطاعة وأنا أبقى عندك كل ساعة وتودع وسار الى قصر زوجته هذا ماجرى

وأما ما كان من المقدم معروف بن جمر فانه لما أفاق يوما من الايام فلم يجد ولده عرنوس فضاق صدره وهيل صدره فتذكر أن ابنه لم يكن توجه الا الى التجرس عند ذلك ركب على ظهر حجرته وطلب عرضى البر ومادام سائر حتى وصل الى الانجرس واستقص خبره فلم أحد يعلمه به فصار يدور حول البلد لعله أن يعلم حال ولده ولما كان فى الليل وسار الى البستان وأراد أن يدخله لاجل البيات وإذا بواحد طالع من البستان وحامل على كتفه جدان وهو خارج ينفخ كما ينفخ الثعبان فتأمله المقدم معروف وأمعنه بالنظر فرأى صورته تدل على أنه عايق وسارق والذى هو حامله مسروق لان المقدم معروف على عياق الاسلام ولا يخفى عليه هذا المرام فصاح فيه صيحة تفلق الحجر وقال له أنف مكانك فلما سمع صوته عرفه أنه من الابطال المشهورة والفرسان المذكورة فأراد أن يخدعه فقال له يا سيدى أنا رجل بستانى وأخذت أثمار من هذا البستان وقصدى أن أدخل المدينة قبل طلوع النهار حتى أبيع التمر وأعود إلى خدمة البستان أول النهار وحط يده طلع له سباطة موز وقشر منها واحدة وقال له آدى سيى وإن كنت تشترى دونك وما تريد فظن معروف أن هذا عايق صحيح سراق وان الذى معاه سارقه من ثمر البستان فأخذ المرزة المقشرة وأكلها ثقلت دماغه برم وارتمى فتقدم اليه كتفه وشمه ضد البنج فتأمل معروف يجد نفسه كمثل من قال

لاتعتب الدهر بعد النطق إن أسكتك ولا الليالى الذى أعتك عن سكتك

وإن شكتك الليالى فهى ما شكتك قد أضحكتك فلا تعجب إذا بكتك

فقال معروف أشهد ولا أجحد فقال إيش الذى تشهد ضربة تأكل قلبك مالك ومال الرايح والجاى أنت مسلم وداير تعربد فى بنى إسرائيل اليهود فقال له المقدم معروف أنت يهودى قال نعم يهودى وأتيت إلى هذا النصرانى الذى

فقتل ملكنا اسرافيل صاحب السمرقند وبنجته من عند بنت البب ذوالجوابر وأخذته وخرجت طالب السمرقند ولما رايتك عارضتنى بنجتك وأنت واياه على فرسك واسوقكم بين يدى البب شوميل بن البب اسرافيل الذى قتل أبوه هذا النصرانى يقتلكم فى ثأر أبيه وها أنا قضيت حاجتى وبلغت منيتى عند ذلك اتذكر المقدم معروف أن بنت ذو الجوابر هى الذى سبب خروج ابنه وقدومه إلى هذا المكان فقال معروف فى نفسه والله إن هذه الساعة إذا أراد الله بنجاتى أنا وابنى من هذا الكافر فما يكون الاعلى يدين أخى الحاج شيحة وها أنا تذكرته فما تم معروف هذه الكلمة الا ورجل خاخان مقبل من داخل البستان وهو على أكتافه مرشحة صوفة بيضة يتلو فى التوراة ويروى كلام بنى اسرائيل فكلمه ذلك الملعون بلغة اليهود المغاربة فجاوبه وتساير معه ساعة زمانية وقال له يا ولدى هذا مسلم فما مرادى منك أن تشاركنى معك فى الثواب وتاخذنى معك احضر قتلهم لاجل ما آخذ لى قطرة من دم هذا المسلم أمزج بها فطير العيد وادعى لك بالنصر على اعدائك فقال له العايق وكان اسمه مردخ العيد فحمل معروف وعرنوس على حجرة معروف وبعدما أراد مردخ أن يسير فقال له ذلك الخاخان أنت تعرف طريق ملك السمرقند فسار معه حتى انى الظهر فوردوا على غابة ودخلوا فيها فقال العايق مردخ للخاخانات القوا نظركم يا خاخانات حتى انام قليل ثم انه انضجع فتقدم الخاخانات والقى على وجهه منديل مبنج فالقى النوم على النوم وتقدم خلص معروف وعرنوس وكتف ذلك الملعون وساله عن سبب مجيئه إلى هذا المكان بعد ما عرفه بنفسه فاحكى له أن الملك عرنوس قاتل اسرافيل ملك السمرقند وله ولد اسمه شوميل الجاش على ابيه وارسلنى اسرق هذا الفارس لياخذ ثار ابيه منه فاتيت واقمت اراقبه فى البستان حتى ملكت الفرصة وأخذته وقابلنى هذا الاختيار فاخذته وبعده أنت قبضتنى وهذا الذى جرى فقال له شيحة ما قولك فى دين الاسلام فامتنع فقتله والتفت إلى عرنوس وقال ايش هذا اللعب وايش الذى اوقعك فى يد ذلك الكافر فاحكى له على القصة التى جرت ولما كسرت اليهود جعلنى ومرامى ياعم أنا أقيم معه حتى أرى لى بلد اسلام أنا بسيفى واقيم بها أنا بعسكرى فقال معروف يا أخى يا حاج شحية خليه على عقله وأنا كان اقعد معاه ولا أفارق ولدى أبدا فقال شيحة وإذ دخلت أنت وأبوك فقال عرنوس دا أمر سهل أقول عليه هذا عزم المسبح ويقم معى على الرحب والسعة فودعهم المقدم جمال الدين وسار عرنوس وأبوه صحبته ودخلوا مدينة الانجرس فقام ذو الجوابر وسلم على عرنوس واجلسه إلى جانبه فى مرتبه وسأله عن أبوه فقال هذا شريكى كان فى

السياحه واسمه عزم المسيح القاطع فقال أهلا وسهلا حصلت البركه يا حوارى الكاعات بقدومك وقدوم عزم المسيح معك وأقام الملك عرنوس على هذا الحال مدة أيام فصار المقدم معروف يتسلى كل يوم فى الخلوات ويعود آخر النهار للبيات وأما عرنوس فى النهار يقيم بالديوان والليل عند زوجته الملكة كرمة إلى يوم من الايام كان الملك عرنوس عند زوجته وذو الجوابر فى الديوان وإذا بضجة ارتفعت سأل ذو الجوابر عن الخبر فقالوا له أقبل عالم الملة جوان فقام اليه وسلم عليه واجلسه وفرح بقدومه وأحكى له على الحوارى الكاعات وعلى عزم المسيح القاطع وأعطى له وصفه فقال جوان هذا الديابروا عرنوس مسلم وأما الثانى أبوه معروف ولكن اخفينى عندك حتى أقبض عليهم وصبر حتى اقبل معروف ودخل فى مكانه وكذلك عرنوس نزل وأقام قليل وراح إلى زوجته وصبر الملعون جوان حتى أقبل الليل دخل على معروف الذى فى مكانه المعدله فوجده واقف محرم للصلاة بين أيادى مولاه فأطلق بخور علبه بنجه وتقدم اليه كتفه ووضعه فى السجن وطلع إلى قصر الملكة كرمة فوجد عرنوس نائم معها فى الفراش فبنجه وأخذه ونزل بالليل وضعه بجنب أبيه وفوق الاثنين فأفاقوا وكلا منهم يقول أشهد أن لا اله الا الله وبالاقرار أن محمدا رسول الله فقال جوان هكذا يا مسلمين تدخلوا فى صفة نصارى وتتلطموا وتأخذوا ابنات الملوك ما أسرع ياديابروا ما عملت بذنب الرين حنا فقال الملك عرنوس يا ملعون وايش تريد أن تفعل فقال جوان يا ب ذو الجوابر منظرهم فأمر ذو الجوابر السياف أن يقطع رؤسهم فانتدب السياف على رؤوس الاثنين فنظر عرنوس إلى الب ذو الجوابر وقال له يا ملعون أنا أتجازى منك وأنا أتيت اليك وخلصتك من اليهود وأهلكتهم ورديتهم عنك ولكن لم يكن ذنب أقبح من ذنب الكفر فقال جوان أنت عمالك تعاتبه مقصودك انه يطلقك وهذا لا يكون أبدا فقال ذو الجوابر امابق الا المنظار أما لو كنت ما انتاش مسلم كنت أحفظ جميلك فقال معروف يا قرن فى هذا الوقت لا بد من حضور الحاج شيحة يخلصنا يا ملعون ولا ينوبك الاسوداد وجهك فارتعد جوان عند ما سمع بذكر شيحة وأما البرتقش قال للب ذو الجوابر يا بب إذا قتلتهم تخرب بلادك وانما أسجنهم حتى تنظر عاقبة مسكهم أنا أقول إن قتلتهم فعندك لابد من علم رين المسلمين وشيحة بهم فقال جوان منظرهم أصوب فقال ذو الجوابر تبقهم الليلة وغداة غد يكون قتلهم على اى وجه كان ثم انهم وضعوهم فى السجن وسلموهم للسجان ووضع القيود فى ارجلهم وأقاموا فى السجن حتى امسى المسا ولما كان فى الثلث الثانى فى الليل تذكر معروف فى نفسه وقال الله يا اخى يا حاج شيحة

أين الحبيب الذى أرجو عوايده فى شدتى ورجايا منه متصل
ماعودونى احبائى مقاطعة بل عودونى إذا قاطعتهم وصلوا

أنت فين يا سلطان القلاعين والحصونين ياحاج شيحة أدركني يا أخي على عوايدك خلصني وخلص وليدى حتى تتم جميلك علينا فقال له السجان مرحبا بك يا خوند آغا ما افوتك ولا اقترعنك أبدا ثم انه دخل فكه وفك الملك عرنوس واحضر لهم خيلهم فقال عرنوس وزوجتى فقال له زوجتك تقعد عند أبوها في الهنا والامان غصبا عن الملعون جوان على رؤوس الاشهاد وانما استنوني لما أجيب لكم ذوالجوابر والملعون جوان وانفرد المقدم جمال الدين وطلع إلى السرايه فوجد البب ذو الجوابر وجوان والبرتقش قاعدين على آنية المدام فأرمى عليهم دخنه بنجهم ورفع ذو الجوابر سلمه إلى عرنوس وعاد أخذ جوان سلمة لعرنوس ورجع جاب البرتقش ودخلوا بالجميع قصر الملكة كرمه وفيقوهم ونظر البب ذو الجوابر إلى ابنته وقال لها اش الخبر يا بنتى فقالت له لا اعلم الخبر فقال له المقدم جمال الدين اصبر حتى اريك الخبر وطرح جوان على وجهه ومال عليه بسوط العذاب حتى مزق جلده وبعد ذلك دمنه بدهن الاستقطاب قطب جراحه ومد البرتقش فقال البرتقش أنا فى عرضك وفى عرض سيدى الديابروا عرنوص وفى عرض ستى كرمه فقال الملك عرنوص يا عمى شفعنى فى البرتقش حيث انه وقع فى عرض زوجتى فقال له شيحة أنا لا افوت علقتى أبدا فقال معروف يا أخى إذا كنت لا تفوت علقتك أعطيها للشيخ جوان واما البرتقش اكرمه لاجل ولدى وزجته فقال له شيحة وهو كذلك ثم انه حضر جوان ثانيا ومال عليه حتى انه بالوغيط على نفسه وسال من دمه سائر جسده وكتف البرتقش وقال أنا اقسم بالله الذى مرج البحرين وانار القمرين ان رأيتك مع جوان فى مدينة الانجرس فى هذا العام لا بد ان اسلخك واجعل جلدك محشى بالتبن واعلقك على باب مدينة لانجوس فقال البرتقش وانا والاسم الاعظم إذا كان جوان يدخل مدينة الانجرس فى هذا العام كما ذكرت لاقتله بالخنجر واقول الكلمة التى يعرفها وهى كلمة المسلمين فقال له شيحة خذه واخرج فيما أنا طاقته من اجلك من السلخ واما البب الانجيريت لا بد أن اجعله شهرة على باب مدينة الانجرس ادبا للغير ثم ان المقدم جمال الدين غاب وعاد وهو لابس كسوة المسلخ فقال البرتقش الجوان قم يا أبونا قبل أن يمسنا نصيب من المقدم شيحة فقام جوان وطلع فى ظلمة شنيعة والبرتقش على اعقابه واما شيحة فانه كتف ذو الجوابر وسن الكشافية على المسن فسقط منها شرر النار فقال ذو الجوابر أنا عرضك ياسيدى الدمار وعرنوس لم تفوتنى وانت ياسيدى بقيت سيدى وأنا بقيت من رجالك واتوب وعلى يدك وعلى يد سيدى معروف ابن جمر وادفع الجزية سنوية مثل ملوك الروم الذين يدفعون الخراج لملك المسلمين ولم اخرج من تحت طاعتك أبدا وان حصل منى ادنى خلل تكون انت فى حل ودمى لك حلال فقال له الملك عرنوس يا كلب إنا نعرف حقيقة العفو اعفوا عليك فقال له

ياسيدى انافى عرضك وضامنى المقدم شيحة فعند ذلك أطلقه المقدم جمال الدين وقال ياملك كرمة اذا حصل لك من أبوك مايكدر خاطرك اندهى على فى الليل أوفى النهار وأنا آتى اليه واحرمه ان يشم نسيم الهوى ثم ان المقدم جمال الدين سلم له ابنته فى يده وقال له هذه زوجة الملك سيف الدين عرنوس فقال له على رأسى وعينى وبعد ذلك ركب عرنوس والمقدم معروف وسار الى مدينة برصة ومكث عرنوس هناك وكان دابه الصيد والقنص واغتنام اللهو والفرص الى يوم من بعض الايام طلع الملك عرنوس والمقدم معروف ومعه بعض الرجال فلم يجدوا صيد فى ذلك النهار حتى حمى الجو فنظر عرنوس الى غزالة مكسية بثوب حرير وعليها حلية مرصعة بحجارة الياقوت الاحمر وفوق رأسها فص من الجوهر وقرونها مكسية بالذهب وهى سائرة فى البر ومعها غلام فطلب الملك عرنوس ان ياخذ تلك الغزالة فصاح عليه الغلام وقال له ارجع عنها يا كناس فاغتاظ عرنوس وهجم على الغلام وضربه كاد ان يعدمه مهجته واخذ منه الغزالة وعاد الى ابيه ومن معه فهذا ما كان منه [قال الراوى] واما ما كان أمر الغلام فانه عاد يبكى على غزالته وقد سار الى محله ودخل على امه وقال لها ان المسلمين أخذوا غزالتى وضربونى وكانت أم هذا الغلام عجوزة كهينة ساحرة لعينة يقال لها الكهينة مشمشينة وكان مسكنها فى مدينة تسمى مدينة الرخام فلما شكى لها ولدها من أخذ غزالته فدخلت الى محل سحرها وطلبت ارهاط الجان فحضروا بين يديها فسالتهم عن الذى أخذ غزالة ولدها من المسلمين فقالوا لها أخذها الديابروا عرنوس فامرتهم ان ياتوا به حالا الى بين يديها وكان فى تلك الوقت عرنوس ومعروف قاصدين مدينة برصة واذا بيدين رفعوهم وصعدوهم قدام تلك الكهينة فنظرت الى عرنوس وبداعة جماله فهرشت فى نفسها وقالت أنت الديابروا عرنوس قال لها نعم أنا هو عرنوس فقالت له انا كنت ناوية على قتلك ولكن لما رأيت هذا الجمال موتك خسارة ولكن تعمل جناقة للكهينة وتقيم عندى أحسن من موتك وانا أحسن نفسى اليك بباب من السحر فقال لها انا عرنوس الله يلعنك ويلعن أبوكى والله ان الموت احسن من النظر الى وجهك الميشوم فاغتاظت منه وصنعت له دولاب من السحر وعلقت عرنوس واخوه معروف فى ذلك الدولاب يقع ثم كلام [قال الراوى] واما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه كان يوم جمعة فصلى الجمعة مع الامام وعدوا ما ابراهيم وسعد فانهم مشوا من القرامة حتى طلعوا الى قلعة الجبل فنظر ابراهيم من أبراج القلعة واذا به يرى مرضى من الاعجام حاطت فى ركاب الحاج فقال لسعد انظر ياسعد انا متيقن مرضى أعجام لكنهم اسلام فى الظاهر وأرفاض فى الباطن وهم قادمين من بلادهم وقصدهم ان يعملوا مكيدة فى بلاد الاسلام والله تعالى يرمى كيدهم فى نحرهم ولكن سير بنا ياسعد الى عندهم فقال له سعد وايش

الفائدة انا منهم فقال له سوف ترى ياسعد من الفائدة ومن الفتنة ثم انهم ساروا الاثنين حتى دخلوا إلى العرضى فرأوهم أعجام ومعهم ملك عليه هيبة الملوك فتقدم المقدم إبراهيم اليه فقام له على قدميه ورفع قدره وأكرمه إكراما زائدا وقال له يا أخى انت من تكون من سادات العرب فقال له أنا إبراهيم بن حسن ساعى يمين السلطان وهذا أخى سعد ساعى الميسرة فقال لهم أهلا وسهلا ومرحبا بكم ثم انه قام على حيله وطلع صندوق وفتحه وطلع منه عقدين يساو واحد مائة الف دينار وأعطى واحدا إلى المقدم إبراهيم والثانى إلى المقدم سعد وسألهم قبولهم فقبلوهم وسألوه عن سبب مجيئه فقال لهم انا أخو الملكة تاج بخت زوجة السلطان فقال له إبراهيم أهلا وسهلا وقام من عنده وأتى إلى الديوان وقد اخبر السلطان فلما سمع السلطان ذلك الكلام قال لوالده محمد السعيد اطلع إلى السراية واسأل والدتك هل عندها أخ أم لا وبعد ذلك انزل قابله وهاته معك فقال سمعا وطاعة وطلع محمد السعيد واخبر امه فقالت له أنا ليس لى أخوات مطلقا فعاد محمد السعيد وأعلم ابوه فلما سمع منه ذلك الكلام وطلع إلى السراية بنفسه وسأل الملكة عن ذلك فقالت له يا ملك انا مطلقا لم اعلم لى اخوات وإنما كان القان هلاوون أهدى إلى والدى جارية فاحتضى بها وبقت فى السراية بعد موت أمى وأنا كنت صغيرة فرأيتها تحضر المماليك وتقعد معهم وتقول لهم إن الحمل الذى فى بطنى من الملك بركان فأعلمت أبى بذلك فأتى لها ونظرها على ذلك الحال فأرسلها إلى هلاوون ثانيا وتوجهنا على جهة الحجاز فكان النصيب أنك تزوجتنى وإلى الآن لم اعلم ما كان من تلك الجارية وما جرى لها فظن السلطان ان الملكة خائفة من أخيها ان يطلبها فى تركة أبيها فأمر السعيد ان يركب ويلاقى خاله فركب محمد السعيد وطلع إلى ملاقاته وكان اسمه شهر شاه الهلاوى ولما وصل إلى مصر طلع وقبل يد السلطان فأمر له بالنزول فى دار الوزير احمد بن اباديس السبكى فنزل هناك هو وجماعته وأنعم عليه وأراد أن ياخذ إذن ويدخل يسلم على اخته فقالت الملكة لم ينظرنى ولا أنظره مطلقا فليس هو اخويا ولا أعرفه وأقام تمرشاه فى منزله وكل يوم يطلع إلى الديوان فلما رآه الملك مواظب الديوان فأراد السلطان أن يلبسه امير مائة مقدم على جيش الف فقال له المقدم إبراهيم أعوذ بالله يا ملكنا إن هذا لم يصلح لانه رفضى فقال تمرشاه صدقت والحق معك فانى ماعرفت مقامك فقال له إبراهيم والله لو تعطينى ملك الدنيا ما أقول الا كافر تعبد النار من دون الملك الجبار فانحمق السلطان وقال له لما كنت رأيته فى بركة الحاج وأنت أعلمتنى لأى شىء ما قلتليش عنه انه كافر فقال له ابراهيم وها أنا قلت فى هذا الوقت فقال السلطان لا يخصك به شيئا ابدا فقال ابراهيم اذا كان الخديم ماله دعوة بمحل خدمته فكيف يقيم فى مرتبته فلا حاجة ابراهيم اذا كان الخديم ماله دعوة بمحل خدمته فكيف يقيم فى مرتبته فلا حاجة بخدمته

فقال السلطان مانيش عايزك فقال إبراهيم وهو كذلك ثم أخذ نفسه ونزل فقال سعد إيش الخدمة دي ماهو الحق بيد إبراهيم وأنا من غيره لا أقيم فقال له الملك وأنت ايضا الحقه كان فنزل سعد وهو في غاية الغيظ حتى لحق بالمقدم إبراهيم فقال له جيت ياسعد فقال له سعد وانا اقعد من غيرك هذا لايكون أبدا فراح سعد وإبراهيم إلى قاعة الحوارنة وقال المقدم ابراهيم ياسعد لا يمكن اطلع انا من مصر واترك هذا الملعون يشمت في الملك الظاهر او في اولاده فهذا لايكون ابدا وفي تلك المدة اتى الملك الظاهر من مدينة برصة من عند الملك مسعود بك جواب يقول فيه بعد البسملة الشريفة والسلام على النبي زين الحنيفة ان المقدم معروف بن جمر وابنه الملك عرنوس اسارى في مدينة الرخام عند الكهينة مشمشينة الساحرة معلقين في دولاب في الهوى من داخل مدينة الرخام فأدركنا ياملك الاسلام والسلام فعند ذلك امر الملك تمرشاه الهلاوى ان يكون وكيله على تخت مصر ومعه محمد السعيد وتجهز الملك وبرز بالعرضي الى العادلية وبعد ثلاثة ايام سافر طالب مدينة الرخام ولا زال سائر حتى حط على البلد فبلغ الخبر إلى الكهينة فقالت لرجالها لايتحرك احد من مكانه وانا انفصل مع السلطان وعساكره واما الملك الظاهر لما نزل بالعرضي كان المقدم ابراهيم قال لسعد ياسعد لابد لك انت تتبع السلطان وانا انتظر هذا الملعون هنا في مصر ولما حط السلطان على مدينة الرخام تقدم اليه المقدم سعد فقال له السلطان جيت يا سعد قال سعد نعم ياامير المؤمنين جيت طالب الجهاد فقال له والمقدم ابراهيم قال سعد لابل انه في مصر فقال له السلطان مرادى أكتب لك كتاب وتدخل به على هذه الكهينة قال سعد اكتب فكتب السلطان كتاب وأخذه سعد وسار به الى مدينة الرخام ودخل على الكهينة واعطاها الكتاب فأخذته وجعلت تقرى فيه وسعد امامها واقف فقال سعد في عقله هذه ملعونة ساحرة والصواب نطع راسها ونريح الاسلام منها ومن شرها ثم انه وضع يده على شاكريته وضربها ضربة ارمى رقبتها واخذ راسها واراد ان يخرج فلم يجد باب يخرج منه ونظر الدم خارج من رقبتها كأفواه القرب وملأ المكان حتى وصل الى السقف فنظر سعد الى حلقة في السقف فقبضه بيده واذا بالدم نزل يهوى واجتمع الرأس كما كان ورأى الملعونة قامت وقالت له انت سعد قال سعد لعن الله وجهك يا ملعونة فقالت روح سعد مع معروف وعرنوس فما يشعر سعد بنفسه الا وهو في دولاب الهوى واما الكهينة احضرت وزيرها وقالت ياوزير انا ضربت رمل ورأيت في علوم الاقلام انى لم ابلغ مرادى من هؤلاء المسلمين فقال لها انت علومك سفلية فان اردت ان تبلغي المراد منهم فاحضرى جوان فأمرت دوزاني لها بجوان فلما حضر اخبرته بالحال فقال لها ان ملك المسلمين فرحا ولا تلزميه الا منى انا وكتب لها اسماهم فأحضرتهم جميعا بأعوان الجان وقعدت تهددهم بالقتل

من تحته موكب إسلام وكان هذا الغبار غبار مسعود بك فرأى عرضى السلطان كالغنم
بلا راعى فقعد ينظر وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل فقال له مسعود بك ادخل يا أخى انظر
لنا حيلة فى هذه الملعونة فدخل المقدم جمال الدين على صفة بترك يونانى وكان جوان جالس
بجانب الملعونة فأعلمها انه شيحة فقالت له اصبر فتقدم اليها فقالت يا أبونا أنا مرادى أن
تكون عندى حتى تساعدنى لأجل أن أنال النصر على المسلمين فصدق شيحة هذه الحيلة
وقعد بجانبها حتى هود الليل ونامت وزاد شخيرها فضربها على صدرها بخنجر ففارق
وجهه دما كأفواه القرب فأراد أن يهرب وإذا بالباب استد وعلى الدم حتى صار مثل البحر
العجاج فتعلق شيحة فى السقف وندهت على جوان وقالت يا أبونا تعال تفرج على
شويحات فطلع جوان ونظر إلى شيحة وقال له قلبى عندك وكان المقدم جمال الدين تعبت
يداه والأرض بعيدة عنه ونظر إلى نخلة من البولاد تحته كلها سكاكين فقال
يا جوان اعمل معى معروف وقل للملعونة تنزلنى إلى السجن أحسن لأنى ما بقيت فى أيادى
لاشدها وخذلت سواعدى فقال له جوان وعلى إيش أنت ماسك فى السقف مع أن
الارض تحتك مثل الحرير ارمى نفسك وان جرى لك شيء ضمانك على جوان فقال له
شيحة الحق بيدك وأنا قليل الأدب الذى أطلب منك الراحة ولكن إن شاء الله تعالى
يأتى الفرج من مولاى ثم ان شيحة بقى هناك إلى ان جن الليل وقد تذكر تغاليب الزمان
فقصد باب الرحيم الرحمن وأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا	وبت أشكو الى مولاى ما أجد
وقلت يا أملى فى كل نائبة	يامن عليه لكشف الضر نعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها	مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد بسطت يدى بالذل خاضعة	اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة	فبحر جودك يروى كل من يرد

يارب الارباب يا مسبب الاسباب يا معتق الرقاب يا من خلقت آدم من تراب
تجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا يارب العالمين فاتم دعاءه المقدم جمال الدين
هذا والملعونة راقدة على فراشها وإذا هو يرى شخص مقبل من باب المكان وداخل
قاصد إلى تلك اللعينة فنظر شيحة اليه وإذا به ابنه محمد السابق فقال له بالاشارة امتنع الا
تصير مثلى فلم التفت إلى كلامه دون أن تقدم إلى الملعونة وضربها بالخنجر فى صرتها أنفذه
من ظهرها فتصارخت عليه جوان الجان لا شلت يداك ولا شمتت فيك أعداك
[illegible] من خدمة هذه الملعونة فعند ذلك [illegible] السابق من على
[illegible] على مراتب [illegible] قال له
[illegible] شيحة وخرجا إلى السجن ففتحا بابه وأخرجا

السلطان ومن معه وقبضوا على جوان والبرتقش وملكوا مدينة الرخام وجلس الملك على التخت وكان هذا كله فى الليل فلما طلع النهار وفتح شيحة باب البلد وكتب تذكرة لعساكر الاسلام فقدموا وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ودام السيف يعمل حتى تضاحى النهار فصاحت أهل الكفر الأمان فرفع عنهم السيف فلما فرغ الحرب وإذا بالوزير الأغاشاهين الافرم مقبل وهو قابض على غلام صغير جميل الصورة وتقدم به إلى قدام السلطان وقال يامولانا هذا الولد أتعبنى فى القتال وما أخذته الا بالجهد فقال الملك عرنوس هذا أصل كل بلية وموته خير من حياته فقال السلطان اقطعوا رأسه وإذا بامرأة مقبلة وقالت أنا مظلومة ياملك الاسلام والذى ظلمنى وزيرك هذا فقال له الملك لأى شىء ظلمتها يادولتلى وزير فقال الوزير ياملك أنا ما رأيتها إلا فى هذه الساعة فقالت له ياوزير أنا الملكة اسكندرونة الذى تزوجتنى وأنت مهاجر من أبيك التركمانى وإلى الآن ما رأيتك وتركتنى وأنا حامل وأعطيتنى هذا التعويذ ونسبك مكتوب فيه وهذا الولد هو ابنك وأنا سميته اسكندرون خوفا عليه من النصارى وناولته ذلك التعويذ ففرح الوزير بذلك وأطلق ولده وأعلمه بأنه مسلم وأمه مسلمة فأسلم وطهره المقدم شيحة وأراد السلطان أن يخرب مدينة الرخام ويهد أسوارها بالمدافع فقال له الملك عرنوس ياملك الاسلام أتمنى على الله ثم عن مولانا السلطان أن يعطينى هذه البلاد واعمرها اسلام وأقيم بها فقال له خذها وهى منى اليك ففرح الملك عرنوس بذلك وأما أموال البلد كلها ان تاخذها الوزير اكراما لابنه احمد سكندرون وزوجته الملكة سكندرونة وبعد ذلك امر الملك بالرحيل إلى مصر وإذا بنجاب من مدينة مصر ومعه كتاب فقدمه إلى السلطان فأخذ الملك الكتاب وإذا من الأمير تمرشاه الهلاوى الى بين ايادى مولانا السلطان اعلم يا امير المؤمنين ان الملك محمد السعيد ابنك ضاع من مصر ولم نعلم من هو الغريم فأرسلت اعلمتك بالسلام فاغتاظ السلطان على ولده وامر العساكر بالرحيل ومن حرقة قلب السلطان على ولده سبق العرضى ورحل الى مصر ودخل من غير موضع وطلع الديوان فتلقاه تمرشاه الهلاوى وهو يبكى ويشتكى على فقد ابن اخته محمد السعيد فبكى السلطان على ولده وقعد فى الديوان وهو ملآن بالغيظ وامر المقدم سعد ان يأتيه بالمقدم ابراهيم حالا فنزل سعد واحضر ابراهيم فدخل وقبل الارض قدام السلطان وسلم عليه فقال له السلطان يامقدم ابراهيم انت سرقت محمد السعيد فقال لا والاسم الاعظم انا ياملك اسرق ابن ملك الاسلام يبقى عيشك على حرام وأما السعيد ما سرقه إلا تمرشاه الهلاوى ولا تجارى عليه غيره فقال له ياشيخ استحى من هذا الكلام [ياسادة] كان نظر ابراهيم فى محله لان تمرشاه كان بعد مسير السلطان إلى مدينة الرخام جالس مع السعيد وهو يوادده ويوديه وقال له ياابن اختى ابقى تعال اسلى

عندى فى بيتى فسار السعيد فى الليل وصحبته جماعة من الخدم فقعد عنده فتقدم له آلة المدام وحلف على السعيد حتى شرب وأقام عنده إلى الليل وسار الى السراية فشمت عليه الملكة رائحة الخمر فقالت له أنت كنت عند تمرشاه الهلاوى ثم انها تمكنت من خناقه وصاحت بالجوارى فساعدوها وأرمته على الأرض وأعطته الحد الشرعى وقالت له ان عدت الى مثلها يباح دمك فصار السعيد يروح الى عند تمرشاه خفية الى ليلة من الليالى وضع له البنج فى الميدان وبنجه وسلمه الى عشرة من رجاله وطلعوا به الى الخلا حتى وصلوا به الى تررين العجم وسلموه الى القان هلاوون فتهدد عليه وقال له لم اقتلك الامع أبوك ووضعه فى قلب السجن وأخذ جواب تمر شاه وقرأه فرأى فيه ان القادم لك السعيد تبقيه فى السجن وعن قريب أرسل لك السلطان ولكن جهز ركبتك وتعال الى مدينة حلب أيضا وأكون أنا من داخل وأنت من خارج وأنا أملكك ملك العرب والسلام من النار عليك فلما قرأ الكتاب جهز عساكره ورحل طالب حلب فهذا ما كان من أمر هؤلاء [قال الراوى] وأما ما كان من الملك الظاهر لما قال له المقدم ابراهيم ما غريمك فى ابنك الا تمرشاه الهلاوى حصل عنده اشتغال فصبر حتى صلى العشا وتنكر ونزل وسار ولا زال سائر حتى وصل الى محل تمرشاه وهو على صفة درويش عجمى حتى وصل الى القاعة التى فيها تمرشاه وتأمل فرأى تمرشاه واقفا على محراب الصلاة يصلى فوقف الملك ينظر اليه حتى صلى أربعين ركعة وبعد الصلاة بسط يديه وقال اللهم أنت تعلم بحالى وانى رجل غريب والتجأت الى هذا الملك وأكرمنى وصادفت الامور بفقد ولده الملك محمد السعيد وهو ابن أختى وأنا غريب اللهم أكشف خبره واظهره لوالده لاجل تبريتى من ذلك انك على كل شىء قدير فلما سمع الملك الظاهر منه هذا الكلام قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم دخل عليه وقال له السلام عليكم ورفع عن وجهه اللثام فقام تمرشاه وقال عليك السلام ورحمة الله وتقدم الى السلطان وقبل يده فقال السلطان يا تمرشاه أنت رجل صالح فقال يا ملك الله ورسوله اعلم ثم ان تمرشاه وقف فى خدمة السلطان فأمره بالجلوس فباس الارض قدامه وقعد بعد ذلك ثم قام وأتى بالطعام وطلب من الملك ان يجبر خاطره ويأكل معه الزاد فمد يده السلطان وأكل أول لقمة والثانية فثقل رأسه ووقع بجانب الطعام فقام له تمرشاه وسقطه فى قلب السرير الذى يقعد عليه وكان ذلك السرير الصندوق موضوع فى قلبه فوضع السلطان فيه وعند الصباح شاع الخبر بفقد السلطان الظاهر وشاش الديوان فقال لهم ابراهيم لاأحد يتحرك فما غريمنا الا تمرشاه الهلاوى فبقت جماعة الدولة بين تصديق وتكذيب فبينما هم كذلك واذا بنجاب من حلب ومعه كتاب فأخذه تمرشاه الهلاوى وقراه واذا به من حضرة عماد الدين ابو الجيش المظفر باشة حلب الى بين

أيا دي أمير المؤمنين أما بعد اتنا يوم تاريخ الجواب مقيمين واذا ورد علينا القان هلاوون
ابن منكتم ملك توريز العجم بعساكر قد سدت البر والاكم فأقمنا الحصار وضربنا هم بكلل
النار فامتنع على قدرمى النار فارسلنا جاسوس يكشف الاخبار فسار وعاد وأخبر أن معه من
العساكر ما يزيد عن ثلاثين الف ارفاض يعبدون النار وها نحن الآن تحت الانحصار أدركنا
والا أرسل لنا من يدركنا والسلام على نبي ظللته الغمام فقال تمرشاه او هذا الكلب هلاوون
ابن ما أهرب منه يأتي خلفي وأنا لابد لي من الجهاد في طاعة رب العباد فقال المقدم ابراهيم
ما جابه الا انت يا تمرشاه ولكن الاسلام منصور ولله العاقبة فعند ذلك أمر تمرشاه بتبريز
العسكر فقال المقدم ابراهيم للفداوية يامقادم كل شيء الذي يطلع الى العرضي لا بد له من التفتيش
فقال له الفداوية صدقت وصار كلما خرج شيء يفتشوه وأمر تمرشاه فانه جعل نفسه مريض
وأمر خدامه أن يعلقوا سريره على جملين مثل التختروان وقعد فيه لاجل عدم تفتيشه فكل
شيء فتشوه الا ذلك السرير الذي جالس فيه تمرشاه وما دام العرضي مسافر وتمرشاه على سريره
كذلك حتى وصل الى حلب وفعل كفعل الملوك ونزل على اليمين وترك عرضي هلاوون على
الشمال وأقام حتى أخذ الراحة للعسكر والخيل ثلاثة أيام وبعد ذلك أراد ان يكتب الكتاب
واذا بعرضي العجم شخص وخرج منه طومان عجمي وطلب القتال فأراد أيدمر البهلوان
أن يخرج ويقاتله فقال تمرشاه الهلاوى لا ينزل أحد الى الميدان حتى استشهد وأنا في طاعة الملك
الديان ثم انه ركب على ظهر الحصان وخرج الى الميدان فاطبق على العجمي قتله ونزل اليه الثاني
قتله والثالث قتله وما دام على ذلك العيار حتى قتل من العجم خمسة أنفار واندق طبل
الانفصال وعاد تمرشاه الهلاوى من الميدان فقالت الامراء هكذا يكون الملك المحارب بنفسه
أما نادى شاه يقول قوموا يا أمراء حاربوا وكذلك في ثاني الايام ركب تمرشاه وحارب مثل
اليوم الاول ودام الامر على ذلك عشرة أيام وليلة الحادى عشر أتى له جواب فاخذه وقرأه
واذا مكتوب فيه من حضرة هلاوون الى تمرشاه أما بعد يا تمرشاه أنت من حين أرسلت
لي ولد قان العرب وعرفتني انك لا بد تقبض على أبيه وها أنا منتظر الى قضيته وفي هذه
الايام لما حضرت بالركبة أراك كل يوم تنزل الى الميدان وتحارب فنزلت اليك بعض الساقيين
والسياس تقتلهم حتى تتم حيلتك وها هو عشرة أيام وقان العرب الذي أنه مفقود فان كنت
قبضت عليه سلمه الى حامل الجواب لانه عايق من أكبر العياق حتى أنه يبلغه الى عندى وان
كنت لم قبضته عرفني كيف يكون العمل والسلام من النار عليك فقال النجاب اعلم أن
قان العرب عندى مقبوض واريد ان اسلمه اليك حتى توصله الى القان فقال على الرأس والعين
فاعطاه اياه فحمله على ظهره وكان السلطان مبنج فسار به واستقبل الطريق وكان المقدم
ابراهيم مقيم الحرس فما يشعروا الا وهذا الملعون خارج من عرضي المسلمين قاصدا الى

واراد الهروب فادركه المقدم ابراهيم وضربه بالشاكرية على وارديه أطاح رأسه من كتفيه ونزل ذلك إلى الجدان وهو يظن أن به مالا فوجدوه كما قال القائل هذه الابيات :

قال لى العذول المستهزىء بكره تواصل من تعشق
صادفت حبيبى واصلته جاء الفال مؤكد بالمنطق

ففتح الجدان وإذا فيه السلطان فاعطاه المقدم ابراهيم ضد البنج فعطس وقال اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ﷺ فقال له المقدم ابراهيم الحمد لله على السلامة ياملك الاسلام فقال له السلطان قتلت تمرشاه فقال المقدم ابراهيم أنا أقدر أقتل وكيل السلطان فعند ذلك قام الملك وسار مع المقدم ابراهيم حتى دخل إلى محل إقامته وتقدم إبراهيم وقبض على تمرشاه وأمر الحورانة والبياسنة فيضوا على توابعه وكانوا قدر ألفين ووقعت فى المسلمين الأفراح بقدوم السلطان وقد شاع الخبر بان تمرشاه رفضى وأمر الملك أن يحفروا حفرة بين عرضى الاسلام وعرضى الكفار ويرموا فيها ذلك القوم ووضعوا فوقهم أخشاب وأوقدوا فيهم النار ففعلوا امتثالا مأمر الملك وطلعت منه رائحة كريهة فنظر هلاوون إلى هذا الحال فخاف على نفسه من الهلاك وعلم أنه إذا وقع فى يد الملك الظاهر أسكنه المقابر ولا ينفعه أحد من تلك العساكر فما التقى له شىء أحسن من الهزيمة لأن طعم الموت مر لا يرضاه لاعبد ولاحر وأما الملك فانه أخذ المقدم ابراهيم والمقدم سعد وكذلك جماعة من أبناء اسماعيل مقدار أربعين مقدم وأمر العرضى بالتوجه إلى مدينة مصر وسار هو والمقادم إلى بلاد تورين العجم وكان قدامه المقدم جمال الدين هو دليله من طرقات يعرفها وفى أيام قلائل دخلوا إلى تورين العجم وقصدوا إلى دار تورين رشيد الدولة فترحب بهم وأكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن قدومهم فاخبره المقدم شيحة بسجن محمد السعيد فقال له ياسيدى انه مسجون فى قصر القان هلاوون فقال شيحة أنا أطلقه منه وقام المقدم جمال الدين قاصد السراية هذا ماجرى هنا [قال الراوى] وأما ما كان من الملك محمد السعيد فانه لما أخذه القان هلاوون خاف أن يسجنه فى سجن الديوان ويتسبب المقدم شيحة على خلاصه فما كان له إلا انه سجنه فى السراية بجانب حريمه وكان الملك محمد السعيد جميل الصورة فلما بقى فى السجن فما كان له فرج إلا تلاوة القرآن فصار يقرأ فى القرآن وقد كان صوته زكى حنين وكانت له نغمات جميلة وكان للقان هلاوون بنت اسمها جوهر غالى ذات حسن وجمال فسمعت قراءته فتعلقت بمحبته فصارت تتفرج عليه كل ساعة وتمر على الطريق الذى هو فيه ثم سألت بعض الخدام عنه فاعلموها انه ابن قان العرب فنزلت وأخذته من السجن وسارت به إلى قصرها ولما بقى عندها تحدثت معه وسألته عن سبب مجيئه إلى ذلك المكان فاعلمها بتمرشاة وما جرى له كيف أنه أسكره وبعد ذلك سجنه وهذا عن أب اشبانة فقالت له اعلم ياملك ان لك عندى حوائج ... ثم انها قامت وأتت له بالطعام واكلت معه وبعد ذلك

قالت له أريد أن تعلمني هذا الكلام الذى تقوله فقال لها هذا قرآن لا يقوله إلا أهل الايمان فان كنت تسلمي علمتك القرآن فمنذ ذلك أسلمت على يديه فأعطاها سبحة لؤلؤ مقدم صداقها وأزال بكارتها بعد أن عقد معها عقد النكاح وأقام عندها فى انشراح إلى وقت الصباح وبقى الليل والنهار عندها ما عدا الساعة التى يكون القان مار فيها يكون هو فى السجن وأما هلاوون كان غائب فى الركبة ودام الأمر كذلك أيام وليالى إلى ليلة الملك السعيد قاعد مع زوجته والكاس بينهما داير وإذا بالقصر امتلى بالسلطان والفداوية والمقدم جمال الدين والسبب فى ذلك أن شيحة لما قام من دار رشيد الدولة وطلع إلى السراية وفتح أبوابها ونزل أعلم السلطان بعدم العايق فطلعت الفداوية والمقدم جمال الدين أمامهم والملك الظاهر معهم فنظر إلى السعيد وهو قاعد مع بنت هلاوون وبينهما آلة الخمر فقال لولده هكذا ياسعيد فعل أولاد الملوك فقال له شيحة لما توصل إلى مدينة مصر عاتبه وأما هنا ما فى كلام فقال الملك وحق دين الاسلام لابد ما أحده الحد الشرعى ثم انه أخذه ونزل من سراية هلاوون وأخذ جميع ما هناك من الذخائر وكتب للسلطان تذكرة ووضع عليها طابع ملوكى وارماها على فراش هلاوون ونزل الملك ورجاله من السرايه وطلعوا من مدينة تورين العجم وسافر بهم المقدم جمال الدين شيحة من طرقات يعرفها حتى وصلوا إلى مدينة حلب ومن حلب إلى الشام ومن الشام إلى مصر فانعقد للسلطان الموكب ودخل إلى البلاد أعظم زينة وطلع إلى قلعة الجبل وأقام على تخت مصر وأطلق من فى الحبوس وأبطل المظالم والمكوس ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الأذية وقعد يتعاطى فى الأحكام مدة من الأيام ويحكم بالعدل والانصاف فهذا ما كان منه [قال الراوى] وأما ما كان من القان هلاوون فانه لما انهزم حكمت هزيمته على غير طريق ومازال سائر وهو يقول إذا كان قان العرب حرق ابن أخى فانا لابد لى إذا وصلت إلى بلادى احرق ولده محمد السعيد وأحرق عليه كبده ولازال سائر وهو ينفخ كما ينفخ الثعبان بالأرقم حتى دخل تورين العجم وقصد السجن الذى فيه محمد السعيد من شدة غيظه وما به من التنكيد فرأى كما قال القائل :

سارُوا وسار الريح يتبعه الثرى ... أن قلت باتوا أين مثلك باتوا

فاسأل منازلهم تجيبك يا فتى ... كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فازدا غيظا على غيظه ولطم على وجهه وانكمد ونظر إلى الأرض فوجد التذكرة فحلها وقرأها وإذا مكتوب فيها من حضرة ملك الاسلام إلى القان هلاوون ملك الأعجام أما بعد يا قان هلاوون اترك ما أنت فيه من هذا الضلال ما ينوبك منه إلا الوبال كيف أنك يا كلب تعمل هذه المكيدة وأردت أن تغدرنى بابن اخيك تمرشاه وترمله وتدعى انه خالى محمد السعيد ابنى بالزور والمحال حتى أن الله تعالى أظهر فيه عجائبه وأرمى كيده فى نحره وانحرق هو والذين رفضى أمثاله وهذه عاقبة أهل الكفر

والعناد ولو كنت ثبت قدامى كنت أوريك ما يحل بك أنت ومن يتبعك من الكافرين الملاعين وها أنا حضرت فى بلادى وأخذت ولدى من سرايتك وكنت أردت كنت ملكت بلادك ولكن أنا أريدلك العمل وأنت يا كلب ما تريد لنفسك إلا الخراب فان أردت أن تحقن دمك ودم عسكرك لحال وقوفك على هذه التذكرة يرسل خراج العام الماضى وعامنا هذا الآتى وفى كل عام أربعة خزاين من المال وكلفنى أنا ورجالى مدة وصولى من مصر إلى حلب عشرين إقامة كل خمسة إقامات بخزنة فيبقوا جملة الجميع عشرين خزنة فان أرسلتهم كان الذى كان وإذا تغافلت عن إرسالهم وحق الذى علا واقتدر أركب على بلادك وأهدم سرايتك وانشرك بمنشار وأجعلك شهرة تعتبر بك جميع الأقطار فالحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام فلما قرأ هلاوون تلك التذكره تمطى فى دقنه مزقها وقال النارغضبانة على أبناء العجم والتفت إلى الوزير ثقلون والوزير رشيد الدولة وقد شاورهم فى ذلك .

فقال له رشيد الدولة اعلم أيها القان أن العساكر الذى رأت تمرشاه ومن معه انكسرت قلوبهم فالصواب أنك تصالح قان العرب وترسل له كلما طلب وبعد ذلك تجتهد أنت فى تجهيز ركبة ثانية وأن الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وهذاماعندى من الكلام فقال يا وزير أنا ما أرتاح إلا إذا رأيت قان العرب قتيل .

فقال له الوزير النار تنصرك عليه يا قان الزمان فعند ذلك فتح الخزاين وأخرج المال وجمع العشرين خزنة ورتب لهم واحد طومان من طوامين العجم وأمره أن يتجهز فى مائة فارس وسلم له المال وقال له توجه بهذا المال إلى قان العرب الملك الظاهر وسلم له المال وهات لى منه ردالجواب بالتسليم وكان اسم هذا الطومان ضفور ابن راده فأخذ المال وسار إلى أن قطع بلاد العجم ودخل إلى عرب جستان وهو سائر أيام حتى بقى فى ارض الشام فمرفى طريقه على قلعة الكهف والقدموس وإذا بغبار غبر وبعد الصفا تكدر وانكشف الغبار عن حجرة دهمة كانه الليلة المظلمة وعلى ظهرها فارس جبار كانه اسد هدقر وهو غارق فى آلة حربه كانه قلة من القلال او قطعة فصلت من جبل ارقضاء الله إذا انحدر ونزل غائص فى الحديد والزرد النضيد وصاح على الطومار ضيفور وقال له انت إيش وإيش الدى معك يا عليش ومن اين أتيت ولأى شيء هؤلاء الناس الذين معك مزدقين وايش الدى معك فى هذه الصناديق قول واسرع فى الكلام والا ضربت رأسك بهذا الحسام .

فقال له الطومان هذه عشرين خزنة قادمين بها من بلاد القان هلاوون ملك ملوك

العجم الى قان العرب فلا تتعرض الى هذه الاموال وسر فى حالك ولا تطلب شيء فيه هلا كك ووبالك فما تم كلامه حتى ضربه ذلك الفارس بالحسام على وارديه اطاح راسه من بين كتفيه ومال على المائة عجمى كل الميل وكالهم كيل واى كيل واجرى دماءهم كالسيل وقتل منهم نحو اربعين وانهزموا الباقين ثم ان الفارس احتوى على ذلك المال وعاد ذلك الفارس الى قلعة الكهف والقدموس واما المنهزمين فانهم عادوا الى الملك ثوربن واعلموا القان هلاوون بما جرى على الاموال وانها لم وصلت الى السلطان فاغتاظ القان هلاوون .

فقال رشيد الدولة يا قان الزمان اعلم ان هذه الاموال ماانتهبت الافى بلاد الملك الظاهر واما انت فقد اوفيت له بما طلب منك وارسلت الاموال فما عليك فى ذلك ملام وانما اكتب كتاب الى قان العرب واعلمه بما جرى وهو يخلص ما بمعرفته

تم الجزء الثانى والعشرون ويليه الجزء الثالث والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثالث والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال القان هلاوون اكتب يا رشيد الدولة اليه بمعرفتك فعند ذلك كتب رشيد الدولة كتاب يقول فى أوله الذى نعلم به مولانا خديم الحرمين الشريفين ملك الاسلام وخديم قبر النبى المظلل بالغمام اعلم ان القآن هلاوون أرسل لك كما قلت عليه من الاموال فلما وصل المال إلى بلد الشام طلع عليه واحد فداوى قتل الطومان الذى أرسلنا معه المال وقتل لنا جماعة كثيرة من رجالنا وأخذ المال نهبا ودخل به إلى قلعة الكهف والقدموس وحيث ان المال خرج من بلاد العجم ولا أصابه ضرر وصار نهبه فى بلاد العرب وأنت ملك العرب فيلزمك أن ترد اللصوص وتخلص مالك منهم ولا تؤاخذنا بذنب غيرنا وهذا قول خديمك كاتب الجواب خادم الركاب رشيد الدولة يقبل الاقدام ويدعى للدولة الظاهرية بدوام العز والانعام ثم ختم الكتاب وسلمه إلى نجاب وتوجه به إلى بلاد الاسلام ودخل إلى ديوان أمير المؤمنين وقدم الكتاب فأخذه منه المقدم إبراهيم وسلمه إلى كاتب الدولة قرأه ولما سمعه السلطان امتزج بالغضب وقال يكون الخراج مقبل إلى بلاد الاسلام من بلاد العجم وينهب فى زمانى ثم انه أمر تجهيز العساكر وركب السلطان واجلس ابنه محمد السعيد على تخت مصر وأوصاه بالعدل وسار يطوى فى الارض ومن غيظ السلطان سبق العرضى ولا زال ولا زال سائر حتى قرب قلعة الكهف والقدموس وإذا به نظر إلى فارس مقبل من الطريق وتعرض اليه وقال له انت ملك الاسلام الملك الظاهر الذى عملت شيحة سلطان على القلاع والحصون أنا جيتك قال له الملك وأنا اتلقيتك ثم إنه تقاتل مع الملك ساعة فضربه السلطان بشمشة ابن الحاكم وكانت الضربة على بعد فحكمت على عنق الجواد برته فنزل الفداوى واقفا وحط يده على نبلة أدرها فى القوس وأراد ان يضرب بها السلطان فنزل السلطان إلى الارض من خوفه على الحصان وأخذ فى الدرقة فقمز الفداوى

وركب الحصان وطلب البر والصحصحان وبقى الملك على الارض فأقبل عليه إبراهيم وسعد فقال لهم السلطان الحقوا هذا الفداوى فاخذ الطريق خلفه إبراهيم وسعد حتى لحقه المقدم سعد فعرف الفداوى حق المعرفة فحط يده وأخرج المقلاع ووضع فيه رغيف رصاص وضرب به الفداوى وألحقه بالثانى والثالث حتى أدركه المقدم إبراهيم فتقاتل معه ساعة وبعدها تقابضوا على ظهور الخيل وكان سعد يعاون فى المقدم ابراهيم حتى أن ذلك الفداوى رأى الغلب وعلم ان سعد طيار والمقدم إبراهيم جبار فأراد أن ينزل ويرد مضارب سعد وهو على وجه الارض ولكن سعد نزل وأخذ حصان السلطان ولما علم إبراهيم أن حصان السلطان خلص تقاتل مع الفداوى ساعة زمانية ونظر الفداوى إلى المقدم إبراهيم فرآه جبار فانفرد فى البر كانه ذكر النعام وعاد إبراهيم من خلفه وهو تابع أثر سعد حتى أدرك السلطان وكان راكب على جواده ولحقهم العرضى وسار الملك معهم حتى أقبلوا على قلعة الكهف والقدموس فضربت عليهم المدافع فنصبوا الخيام على قدر رمى النار

[قال الراوى] وكان هذا الفداوى ظهر من اللجج وهو صاحب قلعة الكهف والقدموس وكان اسمه المقدم منصور العقاب بن كاسى وهو جبار من الجبابرة العظام وكان فى اللجج يفتش عن المقدم معروف فلما ظهر سار إلى قلعته ودارت به رجاله فسأل عن المقدم معروف يا هل ترى ظهر أم لا وعن السلطنة فاعلموه رجاله بأن السلطان على القلاع والحصون هو المقدم شيحة جمال الدين فقال لهم شيحة معزول ثم انه ركب وكان قصده أن يدور على المقدم شيحة ويتقاتل معه فالتقى بالمال القادم من العجم فنهبه وأدخله إلى قلعته وركب ثانيا وكان قصده أن يروح إلى مدينة مصر ويقتل المقدم شيحة فاجتمع مع السلطان وهو سائر بالعرضى وجرى له مع السلطان كما ذكرنا وبعد ذلك نظر إلى عرضى السلطان حط على قلعته فزاد غيظه وكمده وقال فى نفسه إذا ما أنت الملك الظاهر وإلا ما أكون أنا منصور العقاب بن كاسى ثم انه صبر إلى الليل ونزل من قلعته وقصد عرضى السلطان وجاء من خلف العرضى وخط الخيام حتى وصل إلى صيوان السلطان وجاء إلى ظهر الصيوان وقطع ودخل فوجد السلطان نائم على ظهره ووجهه إلى سقف الصيوان وهو مشاهد لحال السلطان فحط يده على شاكريته وهم أن يضرب بها السلطان فاستيقظ الملك ويده قابضة فى آلات العشرة الدمشقى فلقاه إلى الشاكرية فجاءت الضربة فى الآلات وصاح عليه السلطان فانتبه المقدم إبراهيم والمقدم سعد ودخلوا على السلطان من باب الصيوان فخرج الفداوى من محل دخوله فوجد جواد السلطان

الابيض القرطاسى مشدد ملجم فقبض على ظهره بعد أن كسر قيده وطلب البر قاصد قلعته ولما دخل إبراهيم وسعد على السلطان قال لهم أنتم الذين تزعمون انكم غفراء فى بيتى والله ما يحفظ الخلق إلا الخالق واغتاظ السلطان فبينما هو كذلك وإذا بعثمان دخل عليه وقال له يا مقدمى ان الرجل أخذ الجواد القرطاسى وركبه ولم قال لى خاطر فقال السلطان أى رجل يا اسطى عثمان فقال له عثمان الرجل الذى ناوى على قتلك وربنا قدر ولطف ولكن وافقت له الذى أكبر منه والولد ولدزنى منه فقال السلطان إبراهيم قال إبراهيم نعم قال له إن قابلتنى من غير حصانى والله أرمى رقبتك فقال المقدم إبراهيم الحق فى يدك يعنى هذا المعرص ما أراد يكايدنى إلا بسرقة الخيل سر بنا يا سعد ثم ساروا الاثنين تابعين الغريم حتى خرجوا من العرضى وبطنوا فى الطريق وكان الزما زمان شتاء فنزل عليهم المطر مثل أفواه القرب فقال سعد والله يا ابن الخالة ان هذا المطر لم نقدر نمشى فيه ولا لنا صبر على ذلك وإذا ابتلت حوايجنا فى هذه الليلة فان البرد يقتلنا والبرد أساس كل داهية فسر بنا ننظر مكان يأوينا من المطر ثم انهم دخلوا فى كهف تحت جبل يتداروا فيه والمطر شغال فقال إبراهيم يا سعد إذا قعدنا نخاف أن يدركنا النوم فيدخل وحش والا سبع يكسر واحد منا وهو نائم هل تعرف حكاية نتسلى بها على النوم

فقال سعد والله يا أخى جرت على عبارة مثل هذه العبارة فى أيام المقدم جمر أبو معروف وكان أبوك وأبى فى خدمته وكان المقدم أسد الدين دمى عليه ومن جملة ذلك انه تقاتل معه فى الليل وهو سائر فسرق حجرته فحكم عليهم المقدم جمر انهم لا يروه وجوههم إلا بحجرته مثل ما جرى لنا نحن فى هذه الليلة فخرجوا من قدامه ليلا فنزل عليهم المطر فدخلوا إلى كهف مثلنا فخرج عليهم عفريت من داخل الكهف

فقال المقدم ابراهيم بطل يا سعد أنا ما أريد هذه الحكاية لأنى أكره العفاريت فبينما هم كذلك وإذا بصائح صاح عليهم من داخل الكهف وقال يا انس انتم ايش الذى جاء بكم إلى هذا المكان وهو مسكن الجان فلجلج ابراهيم فقال سعد يا هذا نحن ما دخلنا إلا لما ضربنا المطر ونريد منك أن تسامحنا

فقال لهم وانتم من تكونوا فقال له أنا سعد وهذا المقدم ابراهيم خادمين الملك الظاهر

فقال لهم وايش الذى أخرجكم فى هذه الليلة فاحكوا له على ما جرى فقال لهم انتم طايعين شيحة أو عاصيين عليه فقال له سعد نحن طايعين فعند ذلك خرج عليهم

بوجه احمر وفم مشقوق الى فوق بانياب بارزين من فمه واسنان كالكلاليب خارجين من فمه وقرنين طوال ورجلين تدق على الحجر كدق الحديد على الزورة وبقى يجرى قدامهم ورجليه تدق فى الارض فقال ابراهيم ياسعد اما انت شايف هذه الداهية الذى ظهرت لنا فقال له سعد ياخى وايش قادرين تعملوا فقال ابراهيم غوث ياساكن حلب وانكب على وجهه فقال سعد يالطيف اللطف حديد قصدير سبعة معادن وقد ندموا على دخولهم الى ذلك الكهف فقال ابراهيم ما ينفعنا الندم يا سعد نسأل الله تعالى يسلمنا فى هذه الليلة الله أعلم ان هذا عدو شيحة واقت قلت له نحن طايعينه يريد ان ينتفع منا فقال سعد يا اخا الجان انت ايش قصدك تفعل معنا فقال له ما قصدى شىء لاتخافوا وإنما الملك الاحمر ضعيف ووصفوا له الحكماء اثنان من الانس يكون احدهم سمين والثانى رقيق وها انا رأيتكم نعم المقصود فقال له إبراهيم نحن الاثنين سوى فقال ان الملك كل ليلة يأخذ واحد يعمله مسلوقة فواحد منكم يقوم معى الآن والثانى يبقى هنا فى الليلة القابلة فقال إبراهيم يا سعد قوم أنت الليلة وأنا الليلة الثانية فقال له سعد قوم انت سمين حتى يتمرق عليك الملك الاحمر لانه ضعيف وانا فى غد فقال ابراهيم يا سعد نعمل قرعة بيننا فقال ذلك المارد لا أريد منكما الا السمين اولا فقال ابراهيم انا مستجير برسول الله ﷺ فى هذه الليلة فقال لهم المارد اتم ما سمعتم الذى هو سمين فيكم يقوم معى فبقوا الاثنين خايفين فعند ذلك ضحك ذلك المارد وقال لهم تكلموا قبل فراغ جوكم فقال له سعد يا ملك العفاريت الله يطيل عمرك احنا ما بقى فينا احد يقدر على الكلام واعلم لوان احدنا سمين والآخر هزيل لكن بقى بدننا مسموم لان الوهم هذا يسم البدن وتغيرت قوتنا فقال المارد إذا بحكم ورآكم ما تنفعوه يرميكم ويأمرنى انتش له على غيركم فقال ابراهيم لو فتشت هذا الوقت على غيرنا من قبل موتنا حتى تأتى باثنين ينفعوه احسن منا فاننا والله عادمين فقال لهم إذا كنتم ما تروحوا معى كلوا من هذا الرجيع وازل قدامهم ربع الجمل فقال إبراهيم ليلة ميشومة من اولها فقال فتقدم سعد واخذ على صباعه وشمها واذ بها رائحة زكية فأكل منها فوجدها حلوة ميمونية بالعسل النحل والسمن القرى فقال سعد هذا رجيع طيب الله يملك بيطانك ياشيخ العفاريت حتى تكون هكذا دائما تستنفع منك المسافرين وكان هذا العفريت هو المتقدم شيحة جمال الدين وهذه من جملة حيلته ونرجع بالكلام الى المقدم منصور العقاب لما ركب حصان وسار طالب قلعته فمطرت السماء فقال انا فى هذه الليلة اغتنم الفرصة من كل ما كان من دولة الملك الظاهر لان هذا المطر يملخهم وانا اذليهم ثم انه مال بالحصان الى ذلك الكهف كان قصده ان يترك دولة الملك

الحصان ويعود إلى مرضى السلطان فكان المقدم شيحة تابع أثره فى البر حتى دخل إلى ذلك الكهف وأرمى عليه دخنة بنج ولما حضر المقدم ابراهيم والمقدم سعد علم أنهم أتوفى طلبه فتمنيك عليهم كما ذكرنا وقال لهم فى آخر كلامه أنا مقيم هنا من طرف المقدم شيحة الذى يكون طايع له أساعده وأخدمه وأما من كان عاصى عليه أقبض عليه وأرسله له فقال سعد نحن طايعين ومنصور العقاب عاصى وقد أخذ حصان السلطان ونحن أتينا فى طلبه فقال لهم ها أنا أجيب لكم حصان السلطان ومنصور العقاب سلموهم إلى السلطان وإذا اجتمعتم بالمقدم شيحة سلمولى عليه وقولوا له إن مشدودك قشقش بن دمنش يسلم عليك وأنتم ادخلوا الغار تجدوا حصان السلطان والفداوى فدخلوا الاثنين فوجدوا الحصان ومنصور العقاب ممدود على الارض كانه النخلة السحوق فقال إبراهيم قيموا على الحصان ياسعد لكن هذين الاسمين انت خدواحد وأما الثانى فقال له سعد أنا أخذت قشقش وأنت خذ دمنش وصاروا حتى وصلوا قدام السلطان وكان قد طلع النهار فنظر السلطان للمقدم إبراهيم والمقدم سعد والحصان معهم فسألهم عن الخبر فاعلموه بالعفريت فأمر السلطان بقطع راس منصور العقاب لكونه انه تجارى على نهب خزائن السلطان أولا وثانيا وتعدى على السلطان وجذب فى وجهه السلاح وثالثا كبس فى الليل محل السلطان وأراد قتله فهذا يقتل فأرماه المقدم إبراهيم فى نطعة الدم وأخذ الاذن لكن بعد مافيقوه وهدده الملك الكلام فوجده عرق لايلين فقال له المقدم ابراهيم ياملك الزمان قلعة الكهف والقدموس من قدام المال كله فيها الذى أخذه منصور العقاب كان الملك اقطع راسه واترك الفضول وقال إبراهيم سمعا وطاعة ثم انه أقعد المقدم منصور العقاب من كامى، أخذ الاذن [illegible] فقال الملك اقطع رأسه يا إبراهيم فقال إبراهيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم [illegible] أنشد هذه الابيات

من لعب الثعبان فى كفه   علمت ما يأمن من لدغته
ومن عاشر الجاهل على جهله   هلبت ان يقع فى حفرته
من أعلم الناس على سره   قد [illegible] الناس [illegible]
من عاند السلطان فى حكمه   أضحى قتيل [illegible]

[قال الراوى] ثم المقدم ابراهيم اراد ان [illegible] على المقدم منصور لانه من اهله على كل حال فصار [illegible] صاحب [illegible] اذا بباب الديوان انفسد والمقدم شيحة قادم فصاح شاويش الديوان وارشاويش ارجال فقال

المقدم إبراهيم الحمد لله يامقدم جمال الدين يسلم عليك شيخ العفاريت قشقش بن دهنش فضحك المقدم شيحة من كلامه فقال السلطان ايش يكون دهنش فأحكى له المقدم إبراهيم على جميع ماجرى فقال شيحة يامقدم منصور أنت رجل وإذا كنت مرادك أن تمادى على اخذ السلطنة ايش الذى أغرك على أخذ مولانا السلطان وتعديت على [illegible] وأردت قتله قال له منصور أما مال السلطان موجود إذا كان نقص [illegible] شى فأنا الزم به وأما تعديتى على السلطان من جهلى فان هو قابل يكون [illegible] وأنى على [illegible] فيكون قد قدر وعفى ومثله من يعفو على الجانى فقال السلطان لا [illegible] من حضر المال الذى أخذه حالا قال شيحة صمانه على ونرجو من فضل مولانا السلطان أن يصفح عنه ولكن يامنصور ايش قولك فى الطاعة فقال منصور ياشيحة القلاع [illegible] منصور [illegible] إلا أنا وتريد أطيعك من وسط الدنيا وهذا لا يكون [illegible] أبدا حتى إذا ظاهر [illegible] وإياك وإن غلبتنى أطعتك ياشيحة [illegible] قال [illegible] كذلك فقال السلطان رضيت يامقدم جمال [illegible] رضيت قال السلطان [illegible] الذى نهبه فقال منصور أنا احضره حالا [illegible] طالع إلى قلعته وحضر جميع المال وسلمه إلى [illegible] شيرو خزندار [illegible] بعد ذلك العساكر بالرحيل إلى مصر [illegible] السلطان مرحبا بك [illegible] المقدم منصور [illegible] موكب السلطان ووصل [illegible] بالعدل [illegible] ومعه كتاب من أعيان مدينة حلب [illegible] السلطان ان [illegible] حلب [illegible] خاتمين من ملك سيس أن يهجم [illegible] وباشة حلب [illegible] باشة حلب تساوى مع بعض التجار [illegible] التجارة فطلعت [illegible] وأعلمه [illegible] الظاهر فاغتاظ ملك سيس [illegible] ويتحايل على سرقة الباشة [illegible] السلوك وصبر [illegible] طاح [illegible]

وحضر بين يديه هدده بالقتل وقال له أنا لا أخاف من ملك الاسلام ولا من غيره وأقام بندبرة العصيان وكذلك المدينة كانت فى تلك المدة بها أتباع من اتباع المقدم موسى بن حسن القصاص فلما نظروا الى ذلك الامر فعادوا الى حلب واعلموا أهلها بذلك فكتبوا كتاب الى السلطان ولما سمع السلطان اغتاظ وكان المقدم جمال الدين مقيم عنده فقال ياملك الاسلام لاى شىء تغتاظ وانا والمقدم منصور العقاب كل منا يسعى فى أخذ سيس والقبض على ملكها وكل من قبض على ملكها فى سيس واحضره بين يديك فتكون السلطنة له والآخر يتبعه ويكون من رجاله فقال له منصور الآن خرجت منك السلطنة يامعرص انا اذا أوسلت جزمتى تفتح سيس وتأتى معى فقال له شيحة روح الله ينصرك فقال له ياشيحة أنا منصور كما اسمى منصور ثم ان المقدم منصور العقاب سار من قدام السلطان وطلب مدينة سيس وأما الملك فانه أمر برحيل العساكر فأخذت هيئتها للرحيل وبرز السلطان العدلية وعمل مولد سيد المرسلين وثالث يوم ضرب مدفع الى الجبل فساروا ولا زالوا سائرين بالعرضى يقطعون البرارى والقفار والسهول والاوعار حتى أنه قدم على مدينة سيس فخرجت عليه المدافع من الابراج والاصوار فنصب الملك العرضى على بعد مقدار رمى النار ولما جلس الملك بالعرضى أراد ان يكتب جواب الى ملك سيس ويرسله مع المقدم ابراهيم مثل العادة هذا ما كان من السلطان [قال الراوى] وأما ما كان من المقدم منصور العقاب فانه وصل الى مدينة سيس ليلا وأراد ان يدخل فى الليل بالمفرد فرأى السور عالى فدار حولها حتى أتى الى برج من خلف البلد وسار تحت الليل طالب محل الملك فى سيس ولما وصل اليه رأى راهب مقبل حامل طبق وفوق ذلك الطبق فطيرة بالسمن والعسل النحلى وهو سائر قاصد الى محل مبيته فتبعه منصور حتى دخل محله ووضع ذلك الطبق بين يديه واراد ان يأكل واذا بالمقدم منصور العقاب دخل عليه فقال له البترك أنت من أين فقال له منصور أنا شيطان نزلت هذا الوقت من الهوى فقال الراهب الشىء لله دستور ياعزازيل هذا أكل وأنت أخبرتنى أنك ابو مرة اللعين والشياطين لا يأكلون الا من أناخ الطعام فاركنت تأكل قدم كل فتقدم المقدم منصور وقال الشياطين مالهم رزق وطبق الفطيرة بيده وفتح حنكه ورصع فمال الى الارض فكتفه وطلع الى البب فى سيس وقال له ياب انه جاءنى رجل يدعى انه شيطان فقبضته وهو مسلم مراق فقال له لبب دانه الى بين يدى فقدمه بين يدى فاراد ان يقتله فقال له الراهب ياب اسجنه حتى يطلع النهار فأمر بسجنه هذا ماجرى لمنصور العقاب وأما ما كان من السلطان لما حط على سيس التفت الى ابراهيم وقال له يامقدم ابراهيم هذه

البلاد أنت الذى ملكتها أول مرة بالسيف وأريدك فى هذه النوبة تجتهد فى فتحها بين يدى حتى أشهد لك بها فقال إبراهيم سمعا وطاعة وأخذ سعد وقام وإذا بالمقدم معروف ابن جمر مقبل وهو مذهول ودخل على السلطان ففرح به وقام له وأجلسه وسأله عن سبب قدومه فقال له أنا دابر على ولدى عرنوس ولم أعلم كيف حاله فقال السلطان لا تخاف عليه وإنما يا أخى لما افتح هذه البلد سيس ولما يكون دخولها وإن شاء الله يدبر الفرج ويجعل لنا من كل ضيق مخرج فبينما هم فى الكلام وإذا بالطعام قد حضر فأكل الملك وأكل معه المقدم معرف وبعد ما أكلوا واصلوا افريضتهم ثم ان المقدم معروف سأل السلطان عن سبب عصيان فرسيس مع انه كان طائع فحكى له السلطان على باشة حلب والتاجر وطال بينهما الحديث والكلام وأما إبراهيم وسعد لما وصلوا إلى سيس فنظروا بالبعد منها دخان فقال إبراهيم ياسعد هنا واحد طباخ فى الليل سر بنا حتى نشوف ايش هذا الدخان ثم انهم صاروا حتى قربوا منه فنظر المقدم إبراهيم إلى رجل مغربى طالق البخور على فحم وقاعد وهو يقرأ على العزيمة ويقول أقسمت عليكم أيها العمار الساكنين فى الأراضى والاقطار أن تجمعوا كل درهم ودينار وتأتوا به إلى هذا المكان والقرار والا وحق الملك الجبار احرق اسماكم بالنار وأسلط عليكم عذاب الملك القهار هيا هيا يا عمار اجمعوا مافى الكنوز والمطامير هيا اسرعوا فى قدومكم إلى عندى بحق الملك الكبير فنظر إبراهيم وقال ياسعد انظر هذا المغربى الذى قصده أن يأكل مال الدنيا وحده والله إن كان مايشاركنى اعلم به الملك الظاهر ثم تقدم اليه وقال له السلام عليكم يامغربى فقال له الله يغرب عينك ويشرف الثانية ماتقول ياحاج لانى أنا حاج بيت الله فقال له إبراهيم ياحاج إيش عمال تعمل هنا قال له المغربى أريد أن افتح كنزا فقال إبراهيم ايش فيه قال المغربى فيه الأموال قال إبراهيم وإن طلعتها على ايش تحملها فقال له الله تعالى يرزقنى بالرفيق الذى يساعدنى فى حملها فقال ابراهيم أنا أساعدك وأكون شريكك فقال له المغربى اقعد اشعل النار وإياك فقال ابراهيم اقعد ياسعد فقال له المغربى واحد ينفخ على النار وواحد يرمى البخور وإذا بالاثنين ينحوا وخلع الملك فراسيس والاله قبضت على الاثنين سراقين ونزل معهم باب السرفرآهم عرفهم فقال هذا ابن الحورانى ورفيقه فادخلوهم الى السجن وفيهم رتركهم فنظر المقدم ابراهيم فرأى المقدم منصور العقاب فقال له يامنصور اتيت تأخذ السلطنة والله ماأسعه الا فعال اذا كان الظاهر بن جرا وشيحة من برة ايش تكرب لك سلطنة فاغتاظ المقدم منصور ومن عظم غيظه عافر فى قيده كسره ونظر فى السجن فرأى شباك فاتكا عليه خلعه وخرج منه ورى

روحه الى الارض وبالقضاء والقدر حكم بزوله الا فى هارب البلد وكان ذلك الهارب نافذ الى برا البلد فنظر منصور العقاب فرأى نور تبه حتى طلع فى آخر الهارب لكن بعد جهد جهيد وحكم طلوعه قدام عرضى السلطان فنظروه الرجال وضحكوا عليه وأخذوه الى قدام السلطان فضحك عليه وقال له انت قلت تفتح سيس والا تفقح هاربها فقال يا مولانا القضا أرمانى بما رأيت فقال له روح غير ثيابك فاندار ليغير ثيابه فرأى تذكرة بخط المقدم شيحة جمال الدين يقول فيها يامقدم منصور انت هربت من السجن والاسم الاعظم ان لم ترجع للسجن ثانيا فما يكون لك عندى الاسلخك كاأسلخ الادعية فقال منصور ايش هذه البلية ودخل فى قلبه وهم وما كان منه الا انه عاد الى سيس وأراد أن يدخل مثل ماخرج فلم يجد له مدخل فضاق صدره فصاح يا مقدم شيحة دلنى من أين أدخل فسمع صوت يقول له اتبعنى فتأمل واذا بغلام سائر قدامه فى باب سرداب فسار خلفه حتى دخل منه فدخل المقدم منصور خلفه فما طلع الا من الشباك الذى نزل منه فدخل فرأى المقدم ابراهيم والمقدم سعد فقعد وهو ساكت على مضض وأما المقدم جمال الدين فانه طلع الى فرسيس وقال له يا بب انه بقى الآن عندك ثلاثة من كبار المسلمين وأنا مرادى ان ادخل الى قريسة واطلب من المسيح لعله يوقع فى يدك باقى اللصوص وبعد ذلك ادخل الى الكنيسة واقرأ لك شرح بولص وابخر الكنيسة لاجل نزول الحواريون لعله ينزل من جملتهم الحوارى مخطفون ويأتى لك ببقية لصوص المسلمين كما ذكرت لك فقال له فراسيس يا ابونا خذنى معك فقال له يا بب ايش المقصود فقال له أريد اتفرج على الحواريون فقال له الراهب اذا اردت ذلك تكون وحدك ولم يكن احد معك فقال له طيب فاخذه معه ودخل الكنيسة وصرف كل من فيها واطلق البخور فتبنج فرسيس وبعد ذلك كتفه وتركه وطلع الى الاصوار ففتح الطبجية وعطل المدافع وذبح الحراس وكتب تذكرة ورماها قدام صيوان السلطان فاخذها على ابن الشيام وقدمها الى السلطان فقرأها واذا فيها من حضرة المقدم شيحة الى ملك الاسلام

اعلم ان باب البلاد مفتوح [illegible] لاقدامك عايق يمنعك دونك والجهاد [illegible] فصاح [illegible] الخيل فحصفت متون السروج أربابها [illegible] حتى وصلوا الى الباب [illegible]

أنا ملك الاسلام من فاز بالذكر ... أنا الظاهر المنصور من شيم الغدر
أنا خادم قبر النبي [محمد] ... حقيقا قاطعا ملة الكفرى
أخوض لقاء الحروب بهمة ... واقتحم الهيجاء بالبيض والسمرى
أقاترس قبرا لمصطفى أشرف الورى ... نبيء أتى بالبينات وبالذكرى
وتحى جراد أدهم شاع ذكره صب ... ور على الأهوال فى موقف الكرى
ولباديس قنطرية قد ملكتها ... عليها سنان ماضيا يحرق الصدرى
ولى عشرة أرطال دمشق محكا ... ولى نمشة ابن الحاكم مقدمة الذكرى
وخدمت سباع الحصون لأنهم ... ابطال اللقا فى اللقا ذو اليثرى
وساهى يمينى سبع حوران ما به ادلا ... ت ملوك الكفر فى السهل والوعرى
كذا سعد ساعدنا وبالله نسعد ... واسعدنا الرحمن بالعز والنصرى
وشيحة جمال الدين لم انسى فضله ... بلغت به الآمال قد شد لى ازرى
فيارب تنصرنا بجاه [محمد] ... نبي الهدى من جاء بالفتح والنصرى

[قال الراوى] وتقدم السلطان وضرب بالسيف اليمانى وجاهد فى اهل الكفر والطغيان فعند ذلك برز المقدم إبراهيم ونادى الله أكبر فتح ونصر واخذل من كفر بالدين المصطفى سيد البشر وانشد يقول صلوا على الرسول :

وإذا ضاقت مجالات البقاع ... وحكم السيف فى يوم القراع
اجيكم فوق حجرة سلخطية ... كنمر نافر بين الضباع
ولى فى وسط كتفى شاكرية ... تشط الراس شطا والصباع
خدمة الظاهر المنصور حقا ... بهيبته علوت وطال باع
اذا ما اضرمت نيران حرب ... اخوض عجاجها وسط الشعاع
ولم أخشى إذا كثروا الأعادى ... واقتحم المداين والقلاع
وكم اهلكت جبارا عنيدا ... وكم ارديت فى حرب شجاع
كلاب الكفر دونكم وحربى ... فكم فرقت بعد الاجتماع
سيف حده سبل المنايا ... ورمح يلتوى لى الاتباع
انا ابراهيم عن حورن نسبى ... ابى مقدمها حسن الشجاع

وبعده صاح المقدم سعد بن دبر وقال الله أكبر وانشد يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم

انا سعد الذى رد الضياع ... اخوض الأرض بالاقدام ساع

واقتحم الهيجاء ولا ابالى وكم ارديت من بطل شجاع
بسيف كان من عهد ابن عاد يداوى الراس من ألم الصداعى
ورمح كل ما هزته كفى يلوح سنانه مثل الشعاع
خدمة الطاهر المنصور جهدى بقلب صادق حسن الطباع
كلاب الكفر هيا والتقونى فانى فى سبيل الله داع
انا ابن دبل وسعدى قد تناهى بعون الله عزنا وارتفاع
اكون فى محل الهيجاء شهيدا فهذا نعم قصدى وانتفاع

[قال الراوى] وزحفت هؤلاء الثلاثة ابطال وطلبوا الحرب والقتال وخاضوا فى بحر الاهوال فنظر المقدم معروف بن جمر إلى ذلك الحال فاشتاقت نفسه إلى سوق الحرب والمجال فقفز على ظهر حجرته كالاسد الريبال وجذب سيفه ذات الحيات فلمعت فى يده كنار الاشتعال وترسم وقال الله اكبر وانشد يقول صلوا على الرسول

طالب القتل ونار الحرب مستعر ولا يخبا بجنب المهر الامرا
يا عصبة الكفار دونكم وحملتنا تحت العجاج إذا الحسام جرا
انا الذى شاع ذكرى فى الحروب وقد اهلكت بالسيف من بالله قد كفر
اخوض بحر المنايا كلما حكمت وضارب بالهندى على الخودة والطير ا
ادعى بمعروف والابطال تعرفنى ووالدى جمر من فاق الورى قدرا
كم لى حروب ووقفات مؤرخة عند الملوك مع السادات والامرا
سيفى يسمى بذو الحيات شيمته قطع الجماجم والهامات والصدرا
اهزم جيوش العدا فى حمانى كلما ومن دماهم ادوى الصارم الذكرا
ثم الصلاة على ازكى الورى شرفا طه الذى جاء بالقرآن والبشرى

[قال الراوى] وزحفت عساكر الاسلام على ابواب سيس باهتمام وغنى الحسام وطال الخصام وفلق الهام وقل الكلام واشتد الزحام وزادت نار الحرب وقود واضطرام فلا بقيت للسيف إلا الرنين ومن الزحام الطنين ومن الرجال الانين ودماغ طاير ودماء فاير وجواد بصاحبه غاير وتفرقعت المرائر وكانت وقعة يالهامن وقعة تجلى عليها الملك القادر فبينما الملك يقاتل والاسلام خلفه تقاتل فى الاعداء وإذا به يسمع فى صوت المقدم جمال الدين وهو يقول ادركنى يا ملك الاسلام وكان الملك الظاهر فى هذه الساعة تمكن من البلاد وزاد عليه من الكفار المدد وهو يرمى الرؤوس كالكور

والا كف كاوراق الشجر فا أمكنه أن يلتفت وكان المقدم جمال الدين فى هذه الصورة وهو ينادى يا معشر الاسلام جودوا الضرب بالحسام فى اعناق الكفار اللئام من عاش عاش سعيد ومن مات مات شهيد وأما الملك الظاهر دام فى حملته إلى أن أهلك الكفار وذاقوا منه البلا والبوار وطلبوا الأمان فرفع عنهم سيف القتال وجلس الملك على تخت سيس وبدا منصوراً وكان ابراهيم وسعد ومنصور العقاب لما خلصوا أمرهم شيحة أن يختلوا على فرسيس .

فلما أوقفوه قدام السلطان قال له يا ملعون أين المقدم جمال الدين فقال فراسيس أنا كنت مسجون ولم نعلم بما جرى فأمر له السلطان بالسجن وأقام السلطان يتفكر فيما جرى على المقدم جمال الدين فقال فى نفسه أقول ما أخذه إلا منصور العقاب لأجل العداوة التى بينهم ثم انه صبر ولما جن الليل سأل المقدم ابراهيم بن حسن وقال اقول ان الذى أخذ شيحة هو منصور العقاب فقال ابراهيم ما يصحش انه يغدره والغدر عيب عند الرجال فقال السلطان لابد من مسكه واسأله عليه فقال ابراهيم يا ملكنا وأنت إذا أردت أن تأمر بمسك المقدم منصور العقاب فما يرضى يسلم نفسه وإنما ياملك إذا أمرت بمسكه فقريب فقال له السلطان صدقت

ولما كان عند الصباح واجتمع الديوان قدام السلطان فقال الملك يا مقدم ابراهيم يعنى سلاحك أثقل أم سلاح المقدم منصور أثقل قال ابراهيم سلاحى أنا اثقل قال له منصور كذبت ياابراهيم فقال له السلطان أنا أرزن سلاحكم هات ياابراهيم سلاحك فقلع ابراهيم سلاحه ووضعه قدام السلطان فعند ذلك قلع المقدم منصور سلاحه فقال هذا سلاحى وقلع جميع سلاحه ووضعه قدام السلطان وقال ياابراهيم أنت سلاحك بطال خذه واما سلاح المقدم منصور اثقل من سلاحك البس انت سلاحك حتى أنظر فى أولاد اسماعيل من له سلاح يضاهى سلاح المقدم منصور فلبس ابراهيم سلاحه فقال له السلطان امسك منصور فهجم ابراهيم وسعد وقبضوا على المقدم منصور وهو لا يعلم إيش الذى جرى فقال منصور على إيش هذا يا ملك الاسلام هى خونة فقال السلطان طالب منك المقدم جمال الدين أين هو

فقال وإيش الذى جرى بينى وبينه حتى تتهمنى به فقال له السلطان لا عندى غريم فيه إلا أنت ولا له عدو غيرك فقال المقدم منصور والاسم الاعظم أنا ما سرقته ولا قبضته ولا سلط عليه ولا أعلم بالذى أخذه منه ولا أعلم له مكان فقال له الملك لو تحلف بألف يمين ما أصدقك أبدا ولا لك خلاص من قدامى إلا بشيحة فقال المقدم معروف

السلطان يا ملك الاسلام صدق يمينه فان بنو إسماعيل لا يحلفون بالاسم الاعظم كذب وإن كان يحصل من واحد منهم فانه مهروق الدماء ويقتل ولا دية له وهذا حلف قدام بنو إسماعيل وسامعين كلنا يمينه وإنما يا ملك الدولة اطلقه يدور على المقدم شيحة وضمانه على أنا

فقال السلطان يامقدم معروف انت إذا ضمنته وكان خاين فما يكون العمل وإيش نعمل فيك أنا وأنت أعز المحبين عندى فقال له المقدم معروف يا ملكنا لا تأخذ البرىء بالسقيم والاسم الاعظم إذا كان يمينه كذب أول من يضربه بالسيف أنا وإنما يا ملك الدوله اطلقه ليدور على المقدم شيحة بضمانتى وأنا يامولاى ضمانى عليك ونحن كلنا رجالك وتحت حكمك

فقال السلطان وهو كذلك اطلقوا المقدم منصور النقاب فأطلقوه وأعطاه عدته وسلاحه فطلع المقدم منصور يطلب البر وهو يقول ياهل ترى أين راح شيحة فى هذه النوبة ولكن المولى إذا أراد يسعد شخصا نهيأ له من حيث لا يحتسب فبينما هو سائر وإذا به نظر إلى مراح غنم ورأى رجل سايق الغنم وهو يغزل فى الصوف فتأمله وإذا به واحد عايق يقال له شاجر البرمبل وهو من عياق بخاير يغره وله من الصياغة مكانا عظيما فلما رآه وكان يعرفه من قديم الزمان فقال له أنت فى أى مكان كنت يامقدم شاجر لى زمان ما رأيتك فقال له شاجر وهو يتأمله إنى كنت ياسيدى فى الأول عاتق كما تعلم وفى هذه الأيام بطلت الصياغة واشتريت هذه الأغنام أبيع صوفها وأقتات من لبنها حتى أقضى ما بقى من عمرى فقال له هل تعرف أين راح المقدم شيحة قال لا أعرفه ولا أعرف الذى سرقه فقال له ياملعون ومن الذى سرقك أنه سرق ومد يده قبض على حناقه وقال له والاسم الاعظم ما لك خلاص من يدى إلا إذا أعلمتنى بالمقدم شيحة ثم انه ضربه وكتفه ولا يزال يضربه فيه الضرب الذى لا مزيد فيه فلم يقر مطلقا فجابه إلى بير حنيان بالماء وكتف يديه وعراه من ملبوسه وربطه بسرباق من رجليه ودلاه فى قلب ذلك البير برأسه وصار يغطسه ويرفعه حتى أشرف على الهلاك ولما رآه على تلك الحالة قال له ياشاجر أنت تظن أن عمام إقرارك على شيحة يخلصك منى وهذا شىء [illegible] تأتينى بصحيح الخبر من المقدم جمال الدين وإلا ما أطلقك أبدا فقال له شاجر [illegible] منصور فقال [illegible] أخبرنى [illegible]

المقدم منصور والاسم الأعظم اذا حكيت لى بالصحيح أسيبك من يدى ولم افعل فيك شىء
ولا أضربك بسلاح فقال له اعلم ان شيحة محبوس فى بحيرة يغرة عند ابونا الراهب جوان
فقال له المقدم منصور ومن اوصله الى بحيرة يغرة مع انه كان على سور سيس فقال
انا الذى أخذته من على السور والسبب فى ذلك أنى خطبت بنت للبطرق لوقا فقال
لا يكال أكليلها الا جوان فأحضرت جوان فقال لى قبل ما أكال الك اكليل زهرة المسيح
اسرق لى شيحة المسلمين فاقبلت ورأيت شيحة على السور طامت قبضته وسلمته الى
جوان وكال لى اكليل زهرة المسيح وعملت لها جناقة وبعد ذلك امرنى جوان اسرق
رين المسلمين حتى يعتره مع شيحة فانى عملت مسلم حتى عرفتنى انت وقبضتنى وعن ما
كنت عزمت عليه عرفتنى فقال له منصور ياملعون وكأنك ما كفاك سرقة شيحة حتى
اتيت لتسرق السلطان فقال انا ياسيدى ما حلفت انى اقول لك بالصحيح تسيبنى قال
له منصور نعم وها أنا رايح أسيبك ثم انه ارخاه فى البير على رأسه وسيبه فى البير بعد
ما عرف انه قضى عليه ولبس ثيابه وغيرزيه وبقى فى صفة شاجر البرميلى وتم سائر الى
بحيرة يغرة ودخل على جوان فنظر اليه جوان وقال يابرتقش ان شاجر البرميلى تغير
وأما هذا منصور العقاب فقال له البرتقش صدقت ياجوان وايش مرادك ان تفعل وهذا
رجل جبار فقال جوان لا بد من القبض عليه وقتله مع شيحة سوى فى يوم واحد فلما
دخل المقدم منصور قال له جوان تعال يامقدم منصور شاجر انت رجعت بالعجلة من
غير الذى رحت من شانه فقال له ياابونا أنا مالى شغل مرادى أقبضه وبعد ذلك أروح
الى رين المسلمين وما أعود الا به فقال له جوان اقعد ارتاح فقال منصور ايش ارتاح
انا مرادى أشتفى من شيحة قبل ان اروح الى رين المسلمين فقال له جوان ادخل فدخل المقدم
منصور الى محل السجن فرأى المقدم جمال الدين فعرفه وعرفه بنفسه وأراد ان يفكه واذاهم
بدخنة بنج تبنج منصور العقاب وشيحة سوى وكان الذى ارماها هو جوان وأراد ان
يفيقهم حتى يشتفى منهم واذا بدخنة ثانية تبنج جوان والبرتقش وكان الذى أطلقها
محمد السابق وقبض على جوان وأطلق ابوه والمقدم منصور فطلع المقدم جمال
الدين الى بطرق بحيرة يغرة قبضه وعرض عليه الاسلام فأبى ان يسلم فذبحه وكذلك بنته
أخذها منصور العقاب وذهب كل ما كان عند البطرق لوقا وأخذ جوان والبرتقش
وطلع بهم من بحيرة يغرة ودخل به الى مغار وضربه بصوت الحذاء وتركه وتوجه شيحة
والمقدم منصور الى قلعة سيس ودخلوا على السلطان وفرح بقدوم مقدم جمال الدين
سالم وسأله عن ما جرى فأحكى له على شاجر وما فعل معه منصور العقاب ودخوله

إلى بحيرة يفره وقبضه وخلاصهم على يد السابق والذى جرى فقال السلطان والمقدم منصور طاعك فقال منصور يامالك الدولة أنا ما أعصى على شيحة فعندذلك قال المقدم معروف يا سلطان الحمد لله ان منصور العقاب طلع برىء من التهمة والمقدم شيحة خلص وأما بقي قصدى أدور على ولدى وأنا مالى بقي صبر أكثر مما جرى لى فقال المقدم معروف شيحة يا مقدم معروف ابنك لا تخاف عليه فانه فى حصن السنجق عند الراهب بتركين فقال المقدم معروف يامقدم شيحة وإيش الذى أوصل ولدى إلى حصن السنجق حتى أخذه ذلك الملعون وسجنه عنده [قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن الملك عرنوس ركب إلى الصيد والقنص وهو يدور فى البر والخلا حتى طلع عليه الحر وهو حر عليه البر فأقبل على دير السنجق وهو قريب من الحصن فنزل بجانب الدير وأراد أن يستظل بحيطانه وكان فى قلب الدير بنات ذلك الحصن يتبركون بالدير وكانت بنت البترك بتركين فى قلب الدير مع جملة البنات وخرجت من الدير فى تلك الساعة وقصدها الرواح إلى الحصن مع أترابها فرأت عرنوس وحسن صورته فتعجبت عند ما رأته وقالت له بكلام حنين ياغندار أنت من أين وإيش جابك إلى هذا المكان فقال لها أنا صياد أصطاد الغزلان من البر والوديان فقالت له وما اسمك فقال لها اسمى عزم المسيح القوى فقالت دستور يا عزم المسيح سر معى ادخل أنا وأنت إلى الدير نتبرك بك فقال لها عرنوس سيرى أنت قدامى أدخل أنا وراءك فدخلت ودخل الملك عرنوس معها فقال الراهب الذى يخدم فى الدير ياستى انت رايحه تقعدى وحدك والا مع البنات الذين كانوا فى صحبتك فقالت خليهم يروحوا وأنا أقعد مع عزم المسيح القوى فأمر البترك البنات أن يروحوا وأما الملكة نور المسيح أخذت عرنوس ودخلت به إلى قاع الدير ولما دخلوا طلعت به إلى قاعة عالية وأحضرت له الطعام والمدام وطلبت منه الوصل فأعلمها بالاسلام فأسلمت فأعطاها خنجره مقدم صداقها وافتضها هناك وأقام معها فى الدير وأما البنات الذين كانوا معها عادوا من غيرها فسألهم أبوها عنها فأخبروه بأنها رجعت إلى الدير ومعها عزم المسيح القوى ثم إنه ركب من وقته وساعته وسار إلى الدير فراجل بنته فطلع فى الليل فرآها نائمة وعرنوس بجنبها فنجع الاثنين وأخذهم وسار الى برج السنجق ودخل الى منزله وفيق عرنوس فلما أفاق قال أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا الفدايا بو عرنوس فقال له الملك أنت عرنوس وقد اخذت ابنتى بحوزتها وفتحت بين ساقيها طاقة يا كناس نجست كسوتها ولا بقيت اطلقك حتى انك تقفل الطاقة التى فتحتها ثم انه رماه فى السجن بعد ان اوعده بالقتل هذا ما كان

السبب فى فقد عرنوس وأما المقدم شيحة فانه قال يامقدم معروف أقم أنت هنا مع السلطان على مدينة سيس حتى أسير أنا وأخلص لك الملك عرنوس فقال معروف ياأخى شيحة لابد اسير معك فقال له شيحة أنا عوضا عنك ثم ان المقدم شيحة سار وحده إلى حصن السنجق ودخل فى جيفة بترك يونانى وقرأ قداس من الانجيل بصوت حنين فاضطربت الروم من سماع صوته فالتقاه المقدم بتركين واستقبله واجلسه بجانبه وقال له ياأبونا من أين العزم فقال ياابنى أنا أصلى من دير نجران ولكننى متعلق بالسياحة فى البلدان وفى هذه الايام أتانى حوارى من عند المسيح يقول له مخربون وأعلمنى بأن فى حصن السنجق رجل مسلم من الفاجرين له بلوص يدوربه على بنات الروم وأمرنى أن أدخل إلى هذا الحصن وأنظر إلى ذلك المسلم فأمره أن يدخل فى دين المسيح ويكون معاون لأهل الكرستيان لان فى هذه الايام تمام الملة المسيحية ويظهرها المسيح بعين الرضا فلما سمعت ذلك أتيت إلى حصن السنجق بأمر المسيح ولا أعلم إن كان كلام الحوارى صحيح أو كذب وتلويح فقال بتركين يا أبونا كلام الحوارى صحيح وان الديابرو عرنوس عندى فى السجن ومرادى أن أقتله فى نظير ماهو مسلم فقال له ياولدى إذا كان عندك احضره واضع الدينار قدامه واشرب حتى تسكر ومنظره وانت سكران فى حب المسيح ومارى حنه فعندها أمر المقدم بتركين باحضار عرنوس فأتوا به إلى بين يديه وامر باحضار الخمر لأجل أن يسكر كما أمره البترك فاتوا له بالمدام وأقبلت بنت من بنات الروم لأجل الغنا على المدام فنظرها المقدم شيحة وعمل على سرقتها فغنت تلك البنت بالرومى وسمع صوتها فعلم أنها محمد الساق ابنه فما كانت إلا ساعة حتى ارتمى للكلب بتركين البنج ولما بنج أطلق عرنوس وأحضر له عدته وجواده فدخل المقدم شيحة إلى سراية بتركين وأخذ منه زوجة الملك عرنوس وأخذ المقدم بتركين تحت الليل وطلعوا من الحصن وساروا ولم يزالوا سائرين من طرقات يعرفها المقدم جمال الدين حتى نزلوا فى اليوم الثالث على سيس وكان الملك والمقدم معروف مقيمين بالعرضى وإذا بشيحة وعرنوس وزوجته مقبلين ودخل عرنوس وسلم على السلطان وسلم على ابوه وشكر فضل المقدم جمال الدين فلما نظر السلطان إلى بتركين امر المقدم ابراهيم ان يقدم اليه فرسيس فلما حضر امر بضرب رقبته ورقبة بتركين صاحب حصن السنجق فضربت رقابهم واقام على سيس بعد ذلك ثلاثة ايام قصده ان ينوب ملكا عليها عوض عن الذى قتل فلما كان فى اليوم الرابع ركب الملك وسار يتفسح فى البر وحده من بداية آخر النهار وعاد إلى العرضى فسأله المقدم إبراهيم عن مسيره وحده فقال إبراهيم انا حاصل

عندي قبض فقال ابراهيم وهو كذلك ولما كان ثاني الايام مضى السلطان وهو يدور على البلد فرأى بستان فدخله ونزل من على ظهر الحصان وتوضأ من فسقية البستان وصلى صلاة الضحى وقعد يقرأ أوراده فغلب عليه النوم فأراد أن يقوم يركب فثقل عليه النوم فاضطجع بجانب الفسقيه فما أفاق الا وقد وجد نفسه مكتف اليدين ومعارض على ظهر الجواد ونظر الى رجل فداوى كأنه عون من أعوان الجان فقال الملك لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وجعل يقول

لا تعاتب الدهر ان نكايبه بالعرض تنزل الطير من كبد السماء الى الارض
اصغوا لقول ابن رومان ان قوله فرض نكايب الدهر أكثر من نبات الارض

والتفت السلطان الى ذلك الفداوى وقال له يا مقدم ايش الذي جرى لك مني حتى قبضتني وكتفتني فقال له المقدم أما أنت الظاهر قال نعم قال له أنت ما تعرف ذنبك قال له لا قال ذنبك كون أنك أخذت السلطنة وانا غائب وما كفاك ذلك حتى أنك قدمت رجل بدوى جعلته سلطان على رجال القلاع والحصون كل هذا وأنا كنت غائب فلما حضرت من الحج وسمعت بذلك فما هان علي كون أنك أنت سلطان وشيحة سلطان فاعتمدت انى أسرقك واوديك الى قلعتى وبعد ذلك أفتش على شيحة حتى أضيعه وكل من أطاعني صار تحت أمري ومن عصاني قتلته حتى تبقى الدنيا كلها ملكي فقال السلطان يا مقدم وايش اسمك وأين قلعتك فاني ما رأيتك الا في هذه النوبة فقال المقدم أنا اسمى المقدم دم بن شمر الحصون صاحب قلعة دموية وها أنا رايح الى قلعتي ثم انه سار طالب قلعته حتى وصل اليها ودخل في يوم عظيم ووضع السلطان في السجن بعد أن هدده بالقتل هذا ما كان منه [قال الراوي] واما المقدم ابراهيم فانه نظر السلطان ان يعود آخر النهار فما عاد فزاد قلق ابراهيم وسعد فقال ابراهيم يا سعد سر بنا نكشف خبر السلطان فساروا على جرة الحصان الى البستان ثم دخلوا فرأوا المحل ما كان نايم وعلى ما كان دخوله وعلى ما فعل به الغريم فقال المقدم ابراهيم يا سعد الملك أخذ من هذا المكان والذى أخذه ذهب به من هذا الطريق سر بنا يا سعد على الجرة لنكشف خبره فسار ابراهيم وسعد يقتفوا في أثر السلطان فلم يجدوا له مسير الا على قلعة دموية فبينما هم سائرين واذا بالمقدم دم عرضهم فقال له السلامة المقدم ابراهيم الله لا يسلمك يا مقدم دم اين الملك قال له عندي واصطلحت معه وها هو في قلعتي سيروا معي حتى تأكلوا من ضيافتي فسار معه الى باب القلعة فدخل ابراهيم وسعد من باب القلعة سوى واذا بالارض انخسفت تحت أرجلهم فنزلوا الى الارض ما يزيد عن خمسين قامة وقد

انطبقوا الأدعية عليهم فأخذوا إبراهيم وسعد قبضا باليد من ذلك الزوادب فالتفت المقدم إبراهيم وقال له هذه ضيافتك يا عرص فقال له يا حوراني ما تستحيش كون أنك على هذه الصفة [illegible] طيع رجل قصير وثانيا تخدم عند رجل أصله عملوك عجمي وتلومني إذا فعلت أنا هذه الفعال وإيش تكون الضيافة التي أضيفكم اياها والله مالكم عندي جواب إلا ضرب الرقاب ثم انه نزل الاثنين إلى السجن عند السلطان فلما نظر السلطان اليهم قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وبعد ذلك قام المقدم وأحضر أكابر كواخيه نظروا كف قبضت على الظاهر وإبراهيم وسعد وإيش بقي قدامي إلا شيحة وإن قطعت رؤوس هؤلاء يبقى شيحة مثل الطير الذي يغير ريشه أقل الشيء إذا أصابه أرقعه

فعند ذلك أشاروا [illegible] قالوا له يا خوند هل أن تفعل شيئا اقرأ عاقبته واعلم أن هذا الظاهر له عساكر [illegible] وأبطال تذب عنه في الحرب والقتال وكذلك المقدم ابراهيم [illegible] المقدم سعد [illegible] خاليين من الرجال حتى تكون [illegible] مهدور [illegible] قدر شيء [illegible] على قومهم بالرجال وحصن [illegible] من [illegible] الأبطال حتى [illegible] وحفت تلك الرجال تلقى بهم الحرب والقتال لان هذا ملك الاسلام [illegible] المقدم [illegible] فيما [illegible] وأما كان [illegible] المقدم عامر [illegible] المقدم [illegible] القضية [illegible] ذلك [illegible] مصر والشام وأنا أكون سلطان [illegible] قال [illegible] شرد من جردون [illegible] المقدم [illegible] في قلعة المرقب [illegible] وراكب على ناقة [illegible] له [illegible] هذا الطارق إلى أين قال له [illegible] قلعة المرقب فقال له البدوي [illegible] رايح [illegible] المقدم [illegible] إلى الطير [illegible] غزال مشوي [illegible] للنبع [illegible] كان هذا [illegible] شيحة [illegible] لم يسلم فدبحه ولبس ثيابه [illegible] شيحة [illegible] المراسلة [illegible] وجد الكتاب

فعرف المعنى وسار بالكتاب الى قلعة المرقب وتقدم قدام المقدم عاصى وسلم له الكتاب فلما قرأه وجد فيه من حضرة المقدم دم بن شر بن شر الحصون الى بين ايادى المقدم عاصى اما بعد يا خوند انى قبضت على الملك الظاهر وعلى ابراهيم وسعد وقصدى قتلهم واخذ السلطنة بعدهم فأرسلت الك هذا الكتاب لتكون مساعدنى وتأتى برجالك حتى نأخذ السلطنة أنا وانت وأكرن على مصر والشام وانت ملك على القلاع وها أنا أعلمتك لتبادر بالحضور الى عندنا أو تعلمنى حتى احضر الى عندك ونكون يدا واحدة والسلام فلما قرأ المقدم عاصى الكتاب وفهم مافيه فعند ذلك التفت الى الذى اتاه بالكتاب وقال له يا قرن هو انا مجنون يرسل لى المقدم شر هذا الكتاب اما يعلم ان سيف السلطان طويل ومن اين لهذا المعرص حتى يمد يده الى ملك الاسـلام ويريد ان يفعل فعل اولاد الحرام ثم امر بالقبض على الرسول

فقال له الرسول ياخوند انهذا الامر اذا كان صعب عليك كن حليم حتى انى اعلمك بما يسرك فقال عاصى ايش الذى يسرنى الا قتلك يا كلب وقتل هذا الكلب دم وقتل كل من معه فى قلعته فقال شيحة بسم الله ما شاء الله عليك يامقدم والله انك عاقل لبيب فقال له عاصى كيف يا شيخ ما اكون عاقل وانا بينى وبين المقدم شيحة ايمان وعهود لا تنقض واب وابعه ابى عاصى عليه فانا اقبضه واسلمه اليه فقال له شيحة صدقت يامقدم عاصى والله ماانت الا نعم الصاحب فقال له المقدم عاصى كان جاى عاملى تجاب يا مقدم شيحة لكن انا فى بالك اننى اغلط و حقك وانت غايب او حاضر والاسم الاعظم الذى ما يحلفوا به الادرعي لم اخونك ابدا الا اذا حصل منك بداية واما مادمت على العهد لم اغلط فى حقك ولا فى حق الملك الظاهر ابدا فقال له شيحة يا مقدم عاصى اختم لى فرخ ورق ابيض وارتاح انت فى قلعتك وانا انفصل مع هذا قليل الادب الذى ظهر فى هذا العام حتى اعرفه شؤم افعاله

فقال له المقدم عاصى هل تريد اروح معك واخرب قلعته على راسه واساعدك على قطع اساسه

فقال له شيحة شكر الله فضالك ولكن اختم لى على هذا الفرخ الورق وختم له المقدم عاصى واخذ الفرخ الورق وكتبه بمعرفته وسار قاصد الى قلعة دموته ودخل على المقدم شر دم واعطاه الكتاب ففضه وقرأه فوجد فيه من حضرة المقدم عاصى سلطان بنو الادرع الى بين ايادى محبنا المقدم دم بن شر بن شر الحصون اما بعد فقد حضر عندنا تابعكم ومعه

كتاب فأرسلنا إلى قلعة بنى الادرع نعلمهم بما فعت فى حق الملك الظاهر والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وأمرناهم أن يحضروا عندنا فى قلعة المرقب لانها أوسع القلاع فقال وحين وصول جوابنا هذا اليك تأتى صحبة حامله ويكون معكم الظاهر والاثنين أتباعه ابراهيم وسعد حتى يكون قتلهم قدام بنى الادرع على رؤوس الاشهاد وتكون قد بلغنا القصد والمراد وأنا الضامن لك القبض على شيحة كما أنت قبضت على الظاهر فلا تقرأ الجواب إلا ورجلك فى الركاب على سرع العجلة ويكون قدومك وحدك لاجل عدم التعب للرجال ولا تعطى توانى فى الحضور ولك السلام والامان من الجبل الجربان .

فلما قرأ المقدم ذلك الكتاب مال على قفاه من شدة الفرح وقال له يا شيخ إيش اسمك فقال يا خوند أنا اسمى داهية الغفلة فقال له إيش هذا الاسم وإيش اسم أبوك فقال اسم أبى داهية الوقت وإيش اسم أمك فقال اسمها أم الدواهى فقال له يا شيخ إذا ندهت عليك إيش أقول فقال له قول يا داهية الغفلة فانى أجيبك وأنزل عليك فقال له وهو كذلك وركب المقدم حجرته وأخذ السلطان على جواده بالعرض وكذلك المقدم ابراهيم على حجرته بالعرض وأما سعد رفعه على ناقة وسار والمقدم جمال الدين بجانبه سائر على أقدامه حتى تركبت الشمس فى قبة الفلك فاقبل إلى مغار وقال تعال يا داهية الغفلة فقال له جيتك يا خوند إيش تريد قال مرادى أنام فى هذا المغار حتى يبرد الهوى فخذ بالك من الاسارى حتى أنام أنا فقال له لا تخاف يا خوند اعلم انى انا داهية الغفلة محتاط بك فان نمت فانا فوق راسك وان قعدت فانا بين يديك فقال له اسقينى فناوله قدح ملان بالماء فشرب رج انقلب تحت قلايد البنج فاوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف واطلق السلطان والمقدم ابراهيم والمقدم سعد وشيح المقدم دم واعطاه ضد البنج ففاق على نفسه فالتفت إلى شيحة وقال له إيش هذا يا داهية الغفلة فقال له شيحة انا اعلمتك انى داهية الغفلة وها انا اتيت لك ولا بقى لك خلاص إلا بالاسلام والطاعة واما غير ذلك فما بقى لك إلا السلخ بهذه الكشافية كما فعلت بغيرك من الادرعية فقال له انت من حتى اعرفك فقال شيحة انا الذى قال فى حق القائل هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات :

انا الذى سائر الابطال تشهد لى ... بالجود والفضل والاحسان والعدل
سائر ملوك البرايا يختشوا منى ... وصوروني النصارى فى كنائسهم
اسمى المقدم جمال الدين انا الحيلى

وأنت يا مشئوم الناصية إيش أغراك على هذه الفعال التى فعلتها فقال المقدم ابراهيم الساعة يا مقدم شيحة تعاتبه بقلة عقله ضيعه فقال شيحة لما نوصل إلى عرضى الاسلام فصلبه هناك ثم ساروا وذلك الملعون مشدود على ظهر حجرته ولما وصلوا إلى العرضى ضربت المدافع لقدوم السلطان وفرحت الاسلام وباتوا ليلتهم وثانى الأيام أحضروا المقدم دم وأعرضوا عليه الاسلام فابى واستكبر فغاب المقدم شيحة وعاد فى صورة جزار لابس المتنان الجلد والمنطقة وعدة السلخ وركب على أكتاف المقدم دم وساير الرجال واقفين ينظرون اليه على رأى من قال فى المقر أبيات :

رأيت على صخرة عقربة وجملت ذيلها ديدنا

فقلت لها يا عقرب اقصرى فطبعك من طبعها الينا

فقالت صحيحا ولكننى أريد أعرفها من أنا

ثم انه طرق الكشافية على المستحد فتساقط منها شرار النار وشق الجبهة وعرى الراس والوجه والرقبة والأكتاف والصدر والظهر والأفخاذ والأقدام وجمع الجلد على السرة وقال له يا مقدم إذا أنت أسلمت أداويك ثانيا وأردجلدك كما كان وتكون من رجالى فقال له يا شيحة لو تكون الدنيا ملكى وأنت فيها فما أريدها فقال له شيحة بخاطرك وقطع سرته فخرجت روحه لحرق العظم ودفن اللحم ودبغ الجلد وأحشاه بالنخالة وكتب هذا جزاء من يتجارى على العصيان ويتبع البغى والعدوان وقال أنت فين يا سابق فأتاه حالا فقال له خذ هذا الجلد وامشى به إلى قلعة دموية وأعلقه على بابها تأديبا لأهلها فأخذه وسار وعلقه كما أمره أبوه هذا ما جرى هنا .

[قال الراوى] وأعجب ما وقع وأغرب ما اتفق ان الملك تبريز لذى قتله السلطان على سيس مع الملك فرديس كما ذكرنا فانه اتصل خبره إلى كهينة ساحرة يقال لها الكهينة شم قرين وكان هذا بيركين من جملة الذى تحت أمرها ولها قلعة حصينة فى أول بلاد الروم وجميع الملوك يخافوا منها ويحذروا سحرها وكان هذا بيركين من جملة الفاسقين بها .

فلما بلغها موته كان لها واحد يقال له الطن وردونش باش كواخيها فجمعت له خمسة آلاف كافر وقالت له سير إلى مدينة الرخام واملكها وأنا أملك اقى بلد الاسلام ولو أن مدينة الرخام مطلسم ما كنت أرسلتك اليها فسار الطن وردواش بالعسا كرحتى حط على مدينة الرخام وبلغ الملك عرنوس بتزوله فأرسل يستخبره من أين وكان الرسول الذى أرسله عرنوس هو أبيه المقدم معروف فقال له يا ولدى لا تتعب نفسك ولا عسا كرك

حتى أنزل أنا إلى ذلك الكلب وانظره وآتيك بالخبر اليقين ثم ان المقدم معروف ركب على ظهر حجرته وخرج من مدينة الرخام حتى دخل وسط عرضى الكفار وقال لهم أين ملككم فاعلموه به فسار حتى وصل إلى الملك الطن ورودونش ولما بقى بين يديه قال له وهو راكب على ظهر حجرته يا ملعون إيش الذى أغراك حتى أتيت بهذه الشرذمة كفار وحطيت على مدينة الرخام مع أن جميع ملوك الروم والافرنج يستعيذون من سيف ولدى وحربه فان كنت أتيت مضام من قوم ومرادك تستجير بولدى فان الله أجارك ولو كان حامك ملوك الروم جميعا وإن كنت محارب ابشر بالدمار وخراب الديار وقلع الآثار فقال الطن وردونش انت أتيت برسالة أو بغير رسالة

فقال ياملعون وإيش الرسالة أنا ذات الرسالة والذى أنا قلته لك وهو عين الصواب وإن كنت تريد تجرب ماسمعت من الخطاب آمر عسكرك الذين حولك أن يحاربونى حتى يبان لك طمعك الذى جئت فيه فقال له الطن وردونش أنا باش كواخى الملكة شمقيرن الساحرة وأتيت إلى حرب الدبابر وعرنوس والملكة ركبت على باقى بلاد الاسلام وفى هذا العام تأخذ أرضكم اما بالحرب أو بعلوم الاقلام ولا يمكننى أن أتخلى عن الحرب والصدام حتى أفتح مدينة الرخام وها أنا نزلت فى هذا اليوم وفى غداة غد يكون الحرب والصدام وكل من انتصر منا ينال القصد والمرام فقال له معروف ان الحرب بكرة قال نعم فعاد معروف وأعلم ولده بما سمع من الاخبار فقال عرنوس من هنا إلى غد يفعل الله ما يشاء وأمر بدق طبل الحرب فجاوبته طبول الكفار إلى أركان ثانى الايام اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف فخرج المقدم الطن وردونش إلى حومة الميدان ونادى بأعلى صوته وقال يا معاشر المسلمين اسمعوا ما أقول أننى أنا الطن وردونش صاحب هذه الجموع وها أنا خرجت إلى حومة الحرب والطعان وتريد الملك عرنوس أن ينزل الى الميدان فان أنا أسرته فذلك هو المقصود وإن هو أسرنى يبقى يفدى نفسه إذا أسرته الكهينة ثم فدعوه يبرز إلى الميدان وها أنا برزت إلى الميدان ومرامى أحقق قدام الفرسان من هو الفارس منا حتى يفتخر الغالب على المغلوب

[قال الراوى] كل هذا يجرى والعساكر وقوف فأرادوا ولاملوك البرتقان أن يخرجوا إلى حومة الميدان فلم يمكنهم من ذلك الملك عرنوس وقال لهم لا ينزل منكم حد وهذا الملعون طلبنى حتى أفتخر بحربى وقتالى فقال له معروف يا بنى دعنى آتى به إلى بين يديك

والا اقتله فى الميدان ورِيحْ أنت نفسك فقال له عرنوس لا يمكن ذلك أبدا ثم ان الملك عرنوس دفع جواده ذات النسور وسار به حتى وصل إلى حومة الميدان ونظر إلى الطن وردونش وقال له دونك والقتال ان كنت من الابطال ثم انطبقوا الاثنين على بعضهم بعض ودوت أصواتهم مثل الرعد ووسعوا فى المجال طولا وعرض تمايلوا واعتدلوا على السروج وتعلمت الفرسان منهم كيف الدخول والخروج ودام بينهما القتال حتى صمت منهم الاسماع وصرخوا صرختين سدت لها الخيل آذانها وارتعدت من الفرسان أبدانها وداموا على ذلك الحال وهما فى قتال ونزال حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك فعند ذلك بان للملك عرنوس من خصمه التقصير وعرف منه ذلك معرفة الخبير فانحط عليه انحطاط السيل وأبلاه بالذل والويل وضايقه ولاصقه وسد عليه جميع طرائقه ومد له زنده وقبض على خناقه حتى كاد ان يخرج أحداقه وطبق فى جلباب درعه وزرده وهزه واقلعه من سرجه فعند ذلك هجمت العساكر يريد خلاصه فصال المقدم معروف وحمل وتبعته أولاد ملوك البرتقان من كل بطل وغنى البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانبهار وأما النذل ولى وحار هنالك نظروا عساكر الملك الطن وردونش أن ليس لهم على عساكر الاسلام اطاقة ولا على حربهم استقامة فصاحوا الامان وكان الملك عرنوس سلم الطن وردونش إلى أحد أولاد ملوك البرتقان وعاد على أهل الطغيان وضرب فيهم بالسيف اليمان وملكت خيامهم وأثقالهم وجلس الملك عرنوس على سرير الطن وردونش وأحضره الى بين يديه وقال له يا قليل الأدب كيف رأيت حالك فقال له ياسيدى الدابر وأنا وقعت معك فى محذور وأنا أريد ان تأخذنى لك غلام وأكون لك من جملة الخدام فقال له الملك عرنوس يا أخى اذا اردت ذلك أدخل فى دين الاسلام فان الاسلام نور فاذا أسلمت كان لك مالنا وعليك ماعلينا وأما إذا كنت على ملة الكفر فأنا برىء منك ومن كل فاجر فقال له الطن وردونش وإذا أسلمت يجوز قتلى قال عرنوس كيف يجوز قتلك وأنت مؤمن فهذا لا يجوز فقال علمنى حتى أسلم فقال له عرنوس تقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صــــلى الله عليه وسلم * صابون القلب التوحيد * سعد من عليها ترقى * كلمة فى الميزان ترجح للانس عليها خنا * لولوا جميع الاعمال فى كفة وهى فى كفة والجبال وثقل الأرضين ما يقوم ومايرجح الا هى * وهى لا إله الا الله محمد رسول الله

[ياسادة] يا كرام لما سمع الطن وردونش هذا الكلام فانشرح صدره للاسلام فأسلم على يد الملك عرنوس وثبت اسلامه فافتكر عرنوس فى هذه الساعة المقدم

شيحة لاجل أن يطهره وقال له اثنى على الله وعلى كل ما تريد فقال قصدى أن يكون اسمى كاسم المسلمين فقال عرنوس اسمك محمد على اسمى أنا وتكون أخى ووزيرى مثل أبي شاهين عند عمى الملك الظاهر فقال له يا ملك عرنوس أريد أن أنادى فى عساكرى بالاسلام فن أسلم قبلناه ومن لم يسلم ابعدناه فقال له عرنوس افعل ما ما بدا لك فركب الطن وردونش ووقف قدام عرضيه ونادى فى عساكره يارجال اسمعوا ما أقول لكم اعلموا أنى اسلمت وبقيت مسلم ورأيت أن دين الاسلام حق فاتبعته فمن اراد منكم ان يتبعنى يسلم مرحبا به وأهلا ومن أراد الكفر على ماهو عليه فليتوجه إلى شمقرين يقيم عندها ولكم منى الامان فقالوا جميعا ونحن أيضا نسلم ونكون صحبتك ولا نفارقك ابدا فلما سمع الملك عرنوس ذلك فرح بهم وقال اهلا وسهلا بكتابتهم فى ديوانى ورتب لهم الجوامك والعلوفات وقال لابيه يا أبى لا بد من طهارتهم ونحتاج الآن إلى عمى المقدم شيحة يطهرهم وإذا برجل خرج من وسط العرضى وقال له ايش تريد ها انا عمك شيحة فقال له عرنوس اريد ياعمى تطهير الطن وردونش وعسكره لانهم صار والمسلمين فصاح شيحة أنت فين ياسابق فاتاه السابق فى الحال ودخل هو واياه للعرضى عصرية النهار فما اصبح الصباح الا والجميع مطهرين ودخل شيحة من العرضى والسابق مضى فى حاله ودخل شيحة على عرنوس وقال له ها قد طهرت لك الجميع فقال له عرنوس جزاك الله كل خير وإذا بيد انوضعت اعلى حزام شيحة ومنطقة عرنوس ورفعتهم إلى ان سمعوا تسبيح الاملاك فى مجارى الاملاك الافلاك وكان السبب فى ذلك الملعونة شمقرين لانها بعدما ارسلت الطن وردونش الى مدينة الرخام ودخلت الى بيت رصدها وضربت تخت فرأت ان المسلمين يغلبوها وان هى حاربتهم يقتلوها

فلما رأت ذلك التفتت الى وزيرها وقالت له يا وزيرى ان علوم الاقلام اورتنى انى لانبلغ من المسلمين مرام فقال لها الوزير ان علوم اقلامك سفلية وماتبلغى قصدك الا بالعلوم العلوية فقالت له ومن له علوم علوية فقال لها اذا اردت ذلك اطلبى عالم ملة الروم والامر المختوم البركى جوان فهو الذى يبلغك اربك وتنالى به طلبك ثم انها احضرت عونا من اعوان الجان يقال له برق الخاطف وامرته ان يأتيها بجوان من قلب الدير الذى بجوار بحيرة بقره راعجب ما وقع ان جوان فى ذلك النهار كان ركب على ظهر حمارته واخذ البرتقش وقصد السياحة فى البلاد فاشتاقت نفسه الى الفساد ولم يملك الا الحمارة فتسلمها والبرتقش ماسك راسها ورفع ديلها

وضرب فيها بزبوزه وإذا بالبرق الخاطف رفعه هو والحارة والبرتقش وهم على ما هم عليه ووضعه قدام الكهينة ولما رأت جوان على هذه الصفة قالت له يا أبونا الدامريات كثيرة ولاى شىء تفعل هكذا بالحارة فقال لها ابنى كانت رزية نازلة على النصارى اتقيتها على بزبوزى وأدخلتها فى بطن الحارة أحسن من نزولها على النصارى فقالت له دستور ثم انه حكت له على عزمها وكيف أن علوم الاقلام ما تساعدها لكن انها سفلية وإن الوزير عرفنى أنك أنت لك علوم علوية فاحضرتك فقال جوان مرحبا بك أنا ابلغك مقصودك فقالت له وانا قد ارسلت ياش كواخى قلعتى إلى مدينة الرخام لاجل قتال الديابروا عرنوس واخذها منه وانا افتح البلدان الذى دونها متاع الاسلام فقال لها الكلب جوان وهذا الكواخى الذى أرسلتيه إلى مدينة الرخام ايش يكون اسمه فقالت له يا أبونا هو اسمه الطن وردونيش وهو من الذى تعتمد عليه فى الشدايد والاهوال فقال لها يا حكيمة الزمان اسرة الديابروا عرنوس واسلم وخدمه عنده هو والرجال الذين كانوا معه وطهرهم المقدم شيحة فلما سمعت من جوان هذا الكلام صار الضيا بين عينيها ظلام وحلفت أنها لابد من أخذ عرنوس وشيحة فى ذاك الوقت فعند ذلك ارسلت البرق الخاطف وقالت هات عرنوس قبل دخوله إلى مدينة الرخام فقال لها جوان ياحكيمة الزمان إذا حضرتى عرنوس معه شيحة المسلمين لان اذا وقع شيحة وقتل ارتحنا من جميع المسلمين فانه هو رأس كل حيلة فسار العون وخطف عرنوس وشيحة وانى بهم الى الكهينة فنظرت الملعونة الى وجه عرنوس فوجدته على رأى من قال هذه الابيات

جابد من سنان لحظك جرحا ... وعيونا تبدد الدمع سفحا
وسنان بعارضيك ووجه ... يستمد منها وشرق اللحا
يا حبيبى افديك من كل سوء ... مهج فيك ليست تقبل نصحا
قم نجتلى المدامة بكرا ... حيث طاب الهوى وسكن الجراحا
مالامى فى هواك محب ... أنا فى وجد يا عزولى تنحا
سكر الكاس قد سكرت يقينا ... فكان المدام منى اصحا

[قال الراوى] فانبهرت الكهينة لما رأت تلك المحاسن وقالت بتركين يا بخاطر بخاطر صحة وعافية والطن وردونش راح بخاطره والتفتت الى عرنوس وقالت له يا سيدى الديابروا عرنوس أنا كنت قصدى قتلك ولما رأيتك فما هان على أن

اقابلك على فعلك لان لك خسارة فى الموت وانما انت تعمل للكهينة جناقة وحدها ولم تنكح غيرها أبدا ولاتظن أنها عجوزة بل أنها صغيرة عمرها قدر المائتين أو المائة وتسعين وتعرف أبوابا تصور بهم نفسا على مثل الذى هى عمرها أربعة عشر سنة وتقيم عندها دايم عمرك ولاعليك شغل الا الجناقة فقال لها الملك عرنوس ياملعونة ايش هذا الكلام الذى تقوليه مع أنى رايتك بهذه الصورة التى يخوف الله بها عباده وكيف الانسان يرضى ان يدخل جهنم بسببك والله لارضيت بذلك أبدا الله يلعنك عدد ما فى رأسك من الشعر فلما سمعت الملعونة هذا الكلام منه أمرت له بالتعليق فى التابوت والتابوت يدور فى الهواء كالدولاب واما المقدم جمال الدين قال لها ياكاهنة الزمان اعلمى ان دين الاسلام منصور فلا تجادلى فى اذى لاينفع فقال له جوان وايش التى تريد ياشيحة يعنى قصدك تنفذ وبقيت وبقيت تعيش فى الدنيا بعد هذا اليوم فقال له شيحة فرج الله قريب فعند ذلك رفعته الملعونة الى سقف المكان وجعلت يديه فى قيد من الحديد وقالت له خليك هكذا حتى تموت معلق ففرح جوان بذلك وقال يابرتقش اتفسد كتاب اليونان وشيحة يموت عند الكهينة فى هـــذه النوبة وجوان ما بقاش ينقطع على الصربية أبدا فقال له البرتقش حتى نشوف فهـــذا ما من هؤلاء

[قال الراوى] وأما ماكان من الملك محمد الطن وردونش فانه لما نظر الى عرنوس انخطف اقبل على المقدم معروف وقال له انا لااتخلى عن سيدى أبدا وهذه الملعونة شم قرين هى التى أخذت سيدى فعند ذلك أخذ معروف عشرين ملكا من أولادملوك البرتقان وأخذ الملك محمد الطن وردونش وطلب السفر حتى حط على قلعة الملعونة شمقرينة فلما رأت ذلك قالت ياجوان ان لى ولد فى الدير يقال له المقدم نورود وانا قصدى ان أحضره لاجل ان يساعدنى على المسلمين فلهم من يحفظ اسماء تمنع عنهم الاسحار ولا لهم الا الضرب بالسيف البتار فهو يساعدنى على حرب العدا وتكون يده على يدى بالمساعدة فقال لها جوان هذا رأى طيب وأنا على ما أرسل له كتاب من عندى وأخليه يأتى الى حرب المسلمين معنى

فقالت له اذا كان كذلك ارسل كتاب انت ياجوان فعند ذلك كتب جوان كتب يقول فيه الذى نعلم به المقدم نورد اين الدير حال وصول هذا الكتاب اليك تحضر تقابل المسلمين أعداءنا مع الكاهنة شمقرينة ويبقى لك الصواب من المسيح فالا حالا تحضر مع البرتقش ولاتتهاون فى ذلك والمسيح ينصرك ببركة جوان أخذ

الكتاب البرتقش وسار إلى دير المساوى جاص فرأى غلاماً جميل الصورة قصير القامة حلو الشمائل عليه من النظرة علائم ودلائل فقال البرتقش والله هذا الغلام ماهو إلا مسلم وقصرة الاسلام وموت هذه الملعونة ربما يكون على يده ثم انه تقدم إلى إعطائه كتاب جوان فلما قرأه قال يابرتقش المسلمين لاظلمونا ولاتعدوا علينا وانا لاى شيء أروح إلى عندهم وأحاربهم بلاذنب أى جرى لى منهم فقال البرتقش هذا أمر البركة جوان ويجب عليك إطاعته فقال نورد وطلع إلى والدته وقال لها ياأماه إن جوان أرسل البرتقش يطلبنى أحارب المسلمين مع أنى ما بينى وبينهم عداوة ياهل ترى أحاربهم على إيش فقالت له أمه ياولدى روح ولكن إذا حاربتهم لا تقتل منهم فانهم كثير لربما تقع فى أيديهم فاذا كنت ماقتلتش منهم فانهم يبقوك وإذاقتلت منهم فانهم يقتلوك فقال صدقت فقالت له وخذنى معك إلى قلعة الكهينة حتى أكون حاضرة الحرب والقتال فقال لها بين الدير والقلعة مسافة قريبة وأنا لا أبات إلا عندك إذا انفصل القتال وكلما جرى أعلمك به قالت له هذا الذى أريد منك فعند ذلك طلع المقدم نورد وسار مع البرتقش وهو سائر على قدميه ولكن يفوق الحصان العربى فى الجريان فقال له البرتقش على مهلك فقال له نورد امشى قدامى فما انتصف النهار إلا وهم على القلعة ودخل المقدم نورد على الملعونة شمقرينة وجوان قاعد بجانبها ونظرت الملعونة إلى نورد وهو قادم عليها فقامت له وأجلسته إلى جانبها وفرحت برؤيته وقالت له أنت ابن مريم الحاينة قال لها نعم فقالت له وأنت تقدر تحارب المسلمين ولم تخاف منهم فقال نعم فأحضرت الطعام وأطعمته وبعد ذلك المدام وأسقته وقالت له الحرب اليوم طال فان المسلمين شارين ولا تخشى بأسهم أبدا فأنا أقبض عليهم فأرهط الجاور فقال لها والحرب متى يكون قالت فى غداة غد فأقام نورد وأما جوان فانه التفت للبرتقش وقال ياسيف الروم أنا قلبى نافر من هذا الغلام ولم لى عين تنظره لأنه يشابه الراجل مايتسماش فى الذات وأنا خايف أن يكون هو فقال البرتقش الراجل عند الكهينة فى الحبس وأما هذا الغلام أظن أنه ابنه فقال جوان وكيف العمل يابرتقش فقال البرتقش ماأنت الذى أمرتنى بحضوره وهذه الكهينة عشقته وإذا قلنا للكهينة انه عدوك لم تسمع كلامنا فان هواها تمكن منه ولا بقى ينفع العذول وإن طاوعتنى أجيب لك الحجارة ونقوم بنا نرتاح من علقة شيحة قال جوان اصبر يابرتقش هذا ماجرى ماهنا

وأما المقدم نورد فانه قام إلى عصارى النهار وطلع من عند الكهينة وطلب البر فما أمسى المساء إلا وهو عند أمه فى قلب الدير وأخبرها بما جرى فقالت يا ولدى

اعلم أنى أنا لى عند المسلمين ثار فاذا قدرت أنك تأتينى بالذى عنده ثارى تكون أتممت بالغتى قصدى وحقيقة تبقى ولدى فقال لها ومن فى المسلمين غريمك فقالت له غريمى شويحات فقال نورد إيش عمل شويحات فيك اعلميني وأنا أحضره اليك

فقالت ياولدى أنا كنت دخلت فى قلب ذلك الدير فرآنى شيحة بفرخ نشاب وجرحها ولهذا الوقت الجرح لم يطيب وأتمنى أن آخذ ثارى ولو يكون آخر يوم من عمرى .

فقال شيحة عند الكهينة محبوس وأنا بكره آتى به اليك فقالت تمنعك الكهينة ولم تحضر به إلى عندى فقال نورد انا رأيت هذه الكهينة مرادها تطلب منى الجناقة وأنا ما ارضاش بذلك فقالت له وإن تماصيت عليها تقتلك وتعدمى حسك فان كنت تعجل لها قبل ذلك تكون بلغت الارب وإن جيت بشيحة أنا احكم عليه إذا لم يملك جميع المسلمين وإلا تقتله فبات المقدم نورد وهو يهتف بمثل هذه الأمور وعند الصباح من الفجر خرج من الدير فما طلعت الشمس إلا وهو عند الكهينة وكانت الكهينة تلك الليلة معانقة لجوان فلما دخل المقدم نورد جان جوان انخمد فى النوم ونظرت الكهينة إلى المقدم نورد فقامت اليه وأخذت بيده وأجلسته إلى جانبها وفرحت به وسألته عن غيابه فاعلمها انه كان مضى إلى الدير فقالت له لم بقيت تروح خليك دايما عندى حتى تخلص من حرب المسلمين فقال لها كذلك ثم انه قام وبرز إلى الميدان وطلب الحرب والطعان فنزل اليه الطن وردونش وتقاتل معاه وكان فارس كرار فلما علم نورد بفروسيته فتاخر إلى خلفه وقفز جاء على كفل حصانه وبيده خنجرين أمضى من القدر وقال له إذا لم تعود الى قلعة الكهينة والا نفذت هذين الخنجرين من منحرك ودار حصانه على القلعة وضربه بصوت على كفله فطار الحصان براكبه حتى أدخله القلعة ورأت الكاهنة فعاله فانشرح صدرها ولم بقت تملك عقلها ونادت على المقدم نورد وقالت له اقعد عندى وأنا آتيك بما فى المسلمين أسارى من غير تعب ثم إنها أحضرت جوان وقالت له اذكر لى أسماء أكابر المسلمين فاول ما ذكر لها المقدم معروف فأمرت البرق الخاطف فاتاها به فامرت بسجنه عند ولده فى دواليب الهوى وطلبت الأسماء وبعده طلبت الأسماء من جوان فصار يذكرها أولاد ملوك البرتقان واحد بعد واحد وهى ترسل تخطفهم حتى أخذت العشرين

كل هذا والمقدم نورد من فعلها فعلم أنه ان خالفها فى كل ما طلبته منه فانها تهلكه وعلم أنها فاجرة فصار يلاطفها حتى مضى ذلك ولما امسى المساء أمرت باحضار الطعام

بهو المدام وصارت تشرب على وجه المقدم نورد وتسقيه حتى ان السكر شيب وشدها
وتمكن الهوى منها فقالت له قم باعتدار اهل الكهينة جناقات فانت الليلة أنيسى
وأنا ربعنك من الحرب والقتال فقام المقدم نورد على حيله وحل ثيابه وسراويله
قامت الكهينة على ظهرها فركب على صدرها ورفعت رجليها لاجل ان يعلوها فكانت
يد نورد على خنجر أمضى من القضا وأحد من كل سلاح منتضى محكم دبابه فى نحرها
واتكى عليه فخرج يلمع من قفاها ونفذ فيها حكم الذى خلقها وسواها فتصارخت
أعوان الجان وقالوا له أراحك الله يامقدم نوردكما أرحتنا من خدمة هذه الملعونة فبطل
السحر عن الملك عرنوس وبطلت الدواليب فتقدم نورد إلى السجن وفك المقدم
جمال الدين وقال له أنت الذى عليك تار لوالدتى فقال له ومن هى والدتك فقال مريم
سر معى حتى انى اسلمك اليها تفعل معك ما تريد وإن عصيت عن المسير فانى أعذبك
العذاب الشديد فقال له شيحة أنا أسير طائع مختار ثم صاح المقدم جمال الدين وقال ياسابق
أدرك ياولدى الاسلام الابرار فهم فى سجن الكفار وسار المقدم جمال الدين وهو
مكتوف اليدين حتى دخل الدير وطلع فيه المقدم نورد إلى أمه فلما رأته قالت له اربطه
لى فى رجل السرير حتى أعذبه العذاب النكير وامض انت حضر لى باقى الاسارى
المسلمين فربطه كما أمرته وعاد نورد المقدم فرأى قلعة شمقرينة ملكوها الاسلام
والسبب فى ذلك أن المقدم محمد السابق كان اقبل قاصد جرة أبوه ونظر كلما جرى ولما
رأى الملعونة قتلت والمقدم نورد أخذ شيحة وعاد إلى الدير فعرف المقصود ودخل
على المقدم معروف وأطلقه وكذلك عرنوس والطن وردونش وأولاد ملوك البرتقان
وفتح أبواب البلد ليلا وأرسل أعلم العساكر مع الطن وردونش وقال لها كبس البلد
بعسكرى فكانت ليلة تعد بليالى غابت فيها الكواكب وهلكت الخيل والجنائب ولا
أبقى السيف لاماشى ولاراكب وعاد نورد فرأى عروس المنايا شرعت عن ذراعها فعاد
على اثره طالب الدير وكان جمال الدين لما ربطه نورد فى رجل السرير وإذا بالست مريم
أقبلت وهى فى ثياب الجمال وقالت يامقدم جمال الدين هكذا تقع الملوك الغوالى بالنار
وبات الحجال اعلم انى مريم بنت الخانجى الذى كنت تروجنى لما دخلت إلى تلك البلاد
فى فتح السواحل مع الملك الظاهر وأوعدتنى انك تعود على وتأخذنى إلى بلاد الاسلام
وكنت منك حامل ووضعت هذا الغلام وهاهو رين المسلمين يتيم ولا أحد يكفله إلى
الآن واحكت له على ربايته وتعانقا وسلما على بعضهما فى ذلك الوقت قدم المقدم نورد
فرأى أمه تعاتب المقدم جمال الدين فسألها فاعلمته بالخبر وانه مسلم وأبوه المقدم

جمال الدين وقالت له ياولدى وانا سبب انى لم أعلمك خوفا من النصارى أن يقتلوك *
والحمد لله الذى جمعك على أبوك وأهدى الله قلبه إلى الاسلام على يد أبيه وتبع الحق
وترك ماكان فيه وأخذ الملك عرنوس كلما كان فى قلعة شمقرينة وأرسله إلى السلطان
وكتب له كتاب يعلمه بجميع الامور والاسباب هذا ما جرى هنا وأما ما كان من
أمر الملك الظاهر فانه كان فى مصر مقيم وإذا بنجاب يقبل الارض قال إبراهيم من اين
قال النجاب

عرج ركابك عن دمشق لأنها بلد تذل لها الاسود وتخضع
ما بين جبهتها وباب بريدها قمر يغيب والف شمس تطلع

فأخذ إبراهيم الكتاب وسلمه للسلطان وإذا فيه من حضرة العبد الاصغر والمحب
الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب إلى بين أيادى ملك الاسلام وهو أن الذى ورد
علينا فى هذه الايام شىء يذهب العقول وهو أن أولاد الناس (١) ينعدم ولم
نعلم الغرايم فادركنا والا ارسل لنا من يدركنا الامر أمرك أطال الله فى عمرك والسلام
على البدر التمام

فقال السلطان لا حول ولا قوة إلا بالله ثم ان السلطان أحضر الملك محمد السعيد
وأجلسه على تخت مصر وأخذ إبراهيم وسعد وطلع قاصد أرض الشام وكان السبب
فى ذلك أن القان هلاوون ملك العجم عنده جارية عجمية لكن ذات حسن وجمال وقد
واعتدال وكانت ماهرة فى المكر والاحتيال إلى يوم من الايام أحضرها وكان اسمها
قمرستان فقال لها قصدى أرسلك إلى بلاد العرب وإن ملكتنى فان العرب جعلتك
زوجتى وفى الفراش ضجيعتى فقالت له ياقان الزمان أبلغك كل ما تريد واحكمك فى
قان العرب حكم المولى على العبيد فارفق معها اثنين عياق احدهم اسمه رمتح والثانى
اسمه شروين وامرهم ان يكونوا الى قرمسان على ما تأمرهم مطيعين وأعطاهم أموال
زيادة فساروا فى صفة تجار حتى دخلوا بلاد الشام لابسين ملابس اشراف ولما كان
بعد أيام صنعوا لهم مكان فى منزلهم وعمروا عمارات وجعل لهم أماكن ومكامن
حتى بلغوا قصدهم وسار يصبروا إلى الليل وتطلع قمرستان تتجنب الطريق مثل أهل
الزنا فيصبون عليها الشبان وأهل الشام غالبهم معاكس فتعبر بهم فى مكانها وتحضر
لهم الطعام المبنج حتى يا كلوا وينتخبوا فتمرضهم فى مطمورة ومصنوعة لاجل ذلك
ولما دار القنص فى أولاد الناس شكوا إلى الباشة فكتب ذلك الكتاب يعلم السلطان
هذا كان السبب وركب الملك الظاهر وركب معه إبراهيم وسعد كما ذكرنا قاصدين

---

(١) ومثل هذا اللفظ بنات الناس يعنى الضياع

الى الشام وأما باشة الشام فانه صار كل يوم يطلع له الناس تشتكى فقد أولادهم حتى ضاقت حضيرته وكان فى جملة من طلع الى باشة الشام نقيب الاشراف وقال له أنت حاكم فى هذه البلاد ومتى خرجت من الحمام رعدمت فى الطريق ما بين الحمام والبيت فكان قبرها فى السكة فقال له الباشا يانقيب الاشراف أنت وجميع أهل البلد تعرفوا الذى صاير من فقد أولاد الناس فكان الواجب عليك عدم خروج بنتك واما تطلقوا أولادكم للاخصام و لزموا سم الحكام فقال له اذا لم تأتينى ببنتى والا ارسل اعلم السلطان عند ذلك اغتاظ باشة الشام وقال له انا كان أرسلت الى مولانا السلطان وعن قريب يشرف ركابه وهو الذى يخلص الحق لاصحابه فقام نقيب الاشراف وهو مخنوق بعبرته , دموعه جارية على جهه ولزم بيته وهو فى اشد ما يكون من شدة رزيته لفقد ابنته وكان سبب ذلك أن قمرستان الملعونة دخلت حمام الشام ونظر الى ذلك البنت فتسايرت معها وأحسنت المودة حبتها البنت ولما طلعوا من الحمام فسارت معها إلى نصف الطريق وقالت لها يا أختى اريدك تسيرى معى تعرفى منزلى وانا اروح معك اعرف منزلك حتى لانفارق بعضنا فسارت مع قمرستان الى المنزل المعهود

فلما سارت عندها قبضت عليها ونظروها الاثنين العيارين فقالوا لها لم يكن فى الشام من مثلك لا فى الرجال ولا فى النساء فقالت لهم لم يمكن فى الشام أحسن منى الا ان كان حسن بن الامام فقالوا لها وأين هو واعلمتهم بمكانه فلما سمعوا منها ترقبوا له حتى قبضوه وآتوا به اليها فقالت لا حول ولا قوة الا بالله فعند ذلك نظرت البنت الى الغلام حسن ابن الامام فحبته محبة زائدة فقالت له يا اخى وكيف يكون العمل فيما يوصل الخبر الى اهلنا حتى يأتوا ويخلصونا من هذا المكان فقال الغلام يا اختى الامر بيد الله هــــذا والاثنين الباقى الذى مع قمرستان دائرا على سرقة العمل حتى تضايقت الناس وضجت اهل الشام واقبل الملك الظاهر فرأى اهل الشام فى شدة الضنك وصبر الى ان مضى الليل وسار هو وابراهيم وسعد يطوفوا ارض الشام فلا سمعوا خبر ولا وقعوا على اثر الى يوم فى عصارى النهار واذا بنقيب الاشراف طالع فاقبض على ولد ابن الامام فقال الملك ما الخبر فقال نقيب الاشراف مظلوم ياملك الاسلام فقال الملك ما ظلومتك قال ياملك ان بنتى عدمت بجملة اولاد الناس الذين عدموا وكانت لابسة هذه الجبه فما اشعر الا وهذا الغلام يصلى خلف ابيه فى الجامع وهذه الجبة عليه فقلت له يا ولدى ابن صاحبتها فلم

يعلمنى فعلمت أن الذى يفعل فى أهل الشام هذه الفعاله ويسرق أولادهم هو هذا الغلام فقال الملك يا ولد أنت ابن من فقال يا دولتلو أنا ابن الامام ولى حكاية عيجبة ولكن إذا حكيتها جهرا وشاع الخبر تندم أولاد الناس جميعا ويذهب الغريم وإنما أولا أرجو من مولانا السلطان ارسال من يثق به حتى أمسك الغريم

فقال السلطان قم يا إبراهيم وسعد وأنا وساروا حتى وصل الغلام إلى الخلا ودخل إلى كهف جبل نزل منه إلى سرداب أصله سكن الوحوش وما دام حتى دخل بهم من تحت الجدران وطلع بهم من داخل المكان فرأوا أولاد الناس وأموال الناس شيئا بكثرة وقبضوا على الملعونة قمرستان والاثنين العياق أحضرهم المقدم إبراهيم بن حسن من جامع الأموى وسأل السلطان الغلام عن سبب إطلاقه من يدى هؤلاء الكفار فقال وهو أنه لما احتالوا عليه وأدخلوه المنزل فأرادوا أن يغلوهم فى القيود فقالت بنت نقيب الأشراف لقمرستان يا ستى على إيش تغليى وأنا بنت مسكينة ثم وقعت فى عرضها فلم ترحمها وان الاثنين الذى مع قمرستان وهم رستم وشروين وأرادوا أن يفسقوا بها وبالولدين وأحضروا آنية المدام وقعدوا وسكروا فالتفت الولد الى البنت وكانت حبته محبة زائدة فقعدوا على ذلك الحال حتى ان الاعجام سكروا فسمع الغلام خرخشة فى قلب ذلك المطمورة الذى هم فيها وكان عريان أراد أن يلبس ثيابا من ثيابه فالبس الاجة تلك البنت وساررا وكانت هذه الخرخشة خرخشة ضبع ساكن فى وكر نافذ على ذلك المكان

فلما وصل الغلام اليه فرأى من داخله نور فتبع النور وإذا هو من الخلا فطلع من بعد ما وسعه وعلم عليه وطلع وكان يوم الجمعة فدخل الجامع لعلم أبيه فالتقى به نقيب الاشراف وعرف جبة ابنته فأخذه الى عند السلطان هذا كان الأصل والسبب فعند ذلك طلع السلطان العملة المسروقة وأعطاها لأصحابها وكذلك الأولاد أخذهم أهاليهم وقال الملك لنقيب الاشراف زوج بنتك إلى ابن الامام ومهرها الف دينار من عندى والف دينار أخرى تكلف بها الفرح وألف ثالثة تجهز بنتك وألف رابعة للغلام يستعين بها على معاشه فانعم نقيب الاشراف بالسمع والطاعة وتزوجت البنت بالغلام ودخل بها على رؤوس الاشهاد وأما قمرستان والاثنين الذى صحبتهما فأمر الملك بحرقهم وكان يوم حرقهم شهورا أدبا لأولاد الزنا وغيرهم وبعد ذلك توجه الملك الى مصر وأقام فى هناء واطمئنان مدة من الزمان الى يوم من بعض الأيام الملك جالس واذا بنجاب مقبل

من الشام ومعه كتاب يذكر فيه ان فى يوم تاريخ الكتاب وودعلينا من بلاد العجم واحد بهلوان مصارع يقال له الامير قارغلول ابن ملك الدشت وصحبته عساكر يزيدون عن خمسة آلاف خياله وقرابته فمنعناهم من الدخول بالمدافع وأرسلت استعلم عن مجيئه وسبب قدومه فارسل يقول إنه بهلوان فى بلاد العجم وسمع بان عند مولانا السلطان الامير أيدمر المصخرات ويريد أن يتحارب معاه لاجل اسخباره بفن المصخرة فقط ماهو على سبيل العداوة وأخبرنا أنه مؤمن ويقول اما ان أقهره ويبقى العجم فى التمصخير أنا وانه هو يقهرنى ويبقى الفخر له هو

فلما بلغنى ذلك كتبت هذا الكتاب الى دولة مولانا السلطان ليكون فى شريف علمك والامر أمرك أطال الله عمرك والسلام على نبى ظللت عليه الغمام

لما سمع السلطان ذلك قال يا أمير أيدمر سمعت هذا الكتاب قال ايدمر سمعته ياملك وأرجو من مولانا ان ينعم لى بالرحيل الى الشام حتى اتحارب معاه وأنظر حالى انا واياه ويعطى الله النصر لمن يشاء قال الملك هيا خذ عسكرك وخذ معك بشتك وسنقر والجاوى والخطيرى وأنت صاحب الامر عليهم وأنتم الخمسة بخمسة آلاف من الترك فى عدد الذى مع خصمك وتوكلوا على الله فقام الامير وتبعوه الاربعة الامراء كما أمر السلطان وبرز الامير أيدمر بعرضيه وسافر يقطع البرارى والآكام أيام وليالى تمام حتى وصل الى الشام ونصب عرضيه مع الخيام وأقام ثلاثة أيام

وفى اليوم الرابع أرسل الى خصمه قارغول يقول له أنا حضرت اليك حكم طلبك فان كنت طالب الاختبار اركب حصانك وانزل الميدان حتى يتبين لك الربح من الخسران فلما سمع قارغول هذا الكلام طلب حصانه وتزل وركب الى الميدان وقال يا معاشر الامراء من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى مابى خفى أنا قارغول ابن ملك الدشت واريد الامير ايدمر البهلوان فدعوه يبرز الى الميدان فما تم كلامه حتى خرج الامير ايدمر وسار قدامه وقال له دونك وما تريد فانطبقوا الاثنين وتماشقوا السيفين وحان عليهم الحين وزعق غراب البين حتى صار كل من نظرهم بالعين وهم يتجاذبون على السروج بالباع والذراع وتارة بالحرب والقراع حتى أبهروا بفعالهم كل بطل شجاع وتارة بالصراع حتى فحرت أقدامهم الارض والبقاع وتارة يتجاذبون كل حسام بتار وتارة يتراجمون بالاحجار وداموا على ذلك المعيار الى آخر النهار وانفصلوا على

سلامه ولم يبلغ أحدهم من الآخر مرامه وثانى الأيام فعلوا كذلك وثالث ورابع الى غاية عشره أيام وفى اليوم العاشر طلع من خلفهم غبار وعلا وثار وسد الأقطار وكشف عن عساكر اسلامية وبيارق محمدية يقدمهم ملك الاسلام وعلى رأسه بيرق المظلل بالغمام كان السبب فى قدوم السلطان وهوان بعد مسافر الأمير أيدمر البهلوان قال الوزير يا مولانا السلطان اعلم ان الزمان خوان لربما يكون هذا الذى ذكر عنه باشة الشام انه طالب أيدمر يكون جاسوس وإذا افترس بأيدمر البهلوان يبقى العار علينا فانه على كل حال من رجالك وضرب الدابة صفحا لراكبها فالصواب ادراك ايدمر البهلوان من قبل أن يبلغ منه عدوه قصده فقال الملك صدقت يادولتلى وزير ثم أن السلطان برز عرضيه وسافر حتى لحق ايدمر مع خصمه فى اليوم العاشر كما ذكرنا ونظر السلطان الى قارغول مع ايدمر وهم مع بعضهم ولم ينفصلوا لقدوم السلطان فدفع العجل الأدهم وخرج من تحت الأعلام وصرخ على الاثنين وقرع رؤوسهم فى الميدان ثم أنه قبض على ايدمر وقلعه من سرجه وأرماه الأرض وصاح على قارغول أدهشه وطبق فى خناقه كاد أن يخرج أحداقه وجذبه أخذه أسير وعاد به الى العرضى وهو على يده كالطفل الصغير وكان صيوان السلطان انتصب فنزل الملك وأمر إبراهيم أن يقطع رأس قارغول فقال قارغول يا ملك الاسلام أنا سمعت بك أنك ملك عادل ولا سبق عنك انك قتلت مؤمن سنى يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال السلطان إذا كنت مؤمن لاى شىء تأتى من بلادك وتطلب رجل مؤمن مثلك وتقاتله من غير جناية سبقت اليك منه ولا لك عنده دم ولا ثار تستوفيه يا قليل الادب ويا ناقص التربية فقال يا مولانا أنا لى حديث عجيب وأنا حكى لك بعد ما تطلقنى فان سمعت لى العذر وعفوت عنى من فضلك وان قتلتنى من عدالك لانى تجاريت على خدامك وأوجب الأمر إلى نقل أقدامك وقدوم ركابك الشريف الى أرض الشام فأمر الملك باطلاقه من وثاقه وخلع عليه وسأله عن سبب ذلك وكان السبب ان ملك الدشت له بلاد واسعة وهذا قارغول بن ملكها طلع فارس كرار وبطل مغوار وكان فى آخر مملكة الدشت مدينة يقال لها مدينة الحصار وبها ملك اسمه درويش شاه فقطع الخراج عن ملك الدشت فأرسل له ولده هذا قارغول فحاربه حتى اتبعه واكربه وأسره وأتى به لابوه وتشفع فيه وأطلقه ورتب عليه الخراج وقال له ان قطعته أتيت بك ثانيا ولا تبقى لك بعدها خلاص فقال دروش شاه يا أمير قارغول أنا بقيت رجل كبير وأما لو كنت فى صباى كنت افترست بك ولكن أنا بقيت طايع ومعتوق سيفك ولا يبقى يمكننى المخالفة فان العذر قبيح ولكننى أنا رأيت غلام اسمه ايدمر البهلوان

وهو الآن عند ملك العرب عالى الشان ولو كان عندى ما كنت أنت ولا غيرك تقدر
على أخذ بلادى فلما سمع قارغول أقسم أن يروح إلى بلاد العرب ويطلب أيدمر البهلوان
ويتقارع معه فى الميدان حتى يبان الربح من الخسران وهذا كان الأصل فلما سمع الملك
ذلك الكلام قال ياقارغول سير معى إلى مصر فقال سمعا وطاعة يا ملك الاسلام وأكون
عندك من جملة الخدام ورحل السلطان من على الشام وأمر إلى قارغول ببيت نزل فيه
ونزلت عسكره ورجاله وأقام إلى يوم دخل ابن الرزاز قدام السلطان وقال أوفى الله
وزاد فأمر السلطان بنصب عرضى على فم الخليج وكان يوم مشهور بجبر البحر كجرى
العادة فلعب قارغول وأيدمر البهلوان ذلك اليوم قدام السلطان وفعلوا فعال ابهلوا بها
النواظر وكل من رآهم صار حايروداموا إلى آخر النهار عند ذلك كان الملك راكب وقصده
المراوح ورأى هذين الاثنين لم لهم عن بعضهم براح فدخل بينهم وجذب أولا قارغول من
رجله وصرخ على أيدمر خبله وقال لهم أنتم الاثنين مقاومين بعضكم بالسواء ولا أحد
يزيد عن الآخر ثم انه طلب قفطانين وقال لهم البسوا سوى مع بعضكم مع انى انا أحق
بلبس القفطان منكم فانى قمت فى مصراع من قبلكم اصطلحوا مع بعضكم فاصطلحوا
وساروا تحت طاعة السلطان وزالت من بينهم العداوة والحسد كانه ما كان وبعد أيام
قلائل حضر كتاب من أكابر حمص وحماه بأرض الشام ان باشهم توفى ويريدون تنصيب
باشا عوضا عنه فعند ذلك أمر السلطان باحضار قارغول بن ملك الدشت وخلع عليه وقال
له أوليتك باشا على حمص وحماه فخذ عسكرك وسافر وعليك بالعدل والانصاف وحفظ
الرعية وقلة الاذية ففرح بذلك قارغول بن ملك الدشت وسافر وجلس فى سراية حماه
وأقام على حمص متسلم من طرفه فهذا ما جرى لقارغول

[قال الراوى] وأما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه يوم من الايام طلع إلى السراية
فوجد الملك محمد السعيد مع أحمد سكندرون ابن الوزير قابضين مع بعضهم يتسارعون
كما تسارعوا أيدمر البهلوان وقارغول السعيد يقول أنا أيدمر وأحمد اسكندرون يقول
أنا قارغول فاستكن السلطان مختفى عنهم لينفرج على فعلهم وهم عالقين مع بعضهم إذاهم
يتقاربون ويتلاكمون بالبديز وإذا تباعدوا يحذفون بعضهم بالمخدات عوض
الحجارة فبالأمر المحتم مع الملاكمة فجاءت رجل السعيد على مخدة فانبرمت من تحت
رجليه فوقع فركب أحمد اسكندرون على صدره ومسك يده فقال له السعيد قم عن
صدرى يا ابن الكلب فقال له ما الكلب إلا أنت وأبوك فصاح السلطان وقال سيبوا
بعضكم داهيا تاخذكم وتركهم وسار إلى محله ولم يلتفت اليهم وأما أحمد اسكندرون

فانه علم أن السلطان سمعه وهو يقول للولد الكلب أنت وأبوك فخاف ليقتله السلطان وان هرب إلى بيت أبوه ويمكن أن السلطان يطلبه فركب على فرس من قبيل أبوه وطلب البر وقال بلاد الله لخلق الله

ونفسك فز بها ان خفت ضيما وخلى الدار تنعى على من بناها
فانك واجد أرضا بأرض ونفسك لم تجد نفسا سواها
مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كتبت منيته بارض فليس يموت فى أرض سواها

[يا سادة] وصار يقطع الأرض والبلاد وكلما عبر على بلد يعلم أنها من تحت حكم الظاهر يخاف ان يرسل ياخذه منها وما دام كذلك حتى أرمته المقادير على مدينة برصة وحكم دخوله فيها بعصارى النهار فسار وهو ضارب على وجهه الاثام كلما ينزل فى أى مكان فقالوا له ان كنت درويش روح التكية فقال اين التكية فدلوه عليها فدخل فالتقاه العشى ونظر إلى صورته وحسن خلقته وهو كما قال القائل

وتركى له على الخد خال كمسك فوق كافور نقى
تعجب ناظرى لما رآه فقال الخال صلى على النبى
فقلت له ملكت نصاب حسن فزكى عن ضيا الخد المضى
فقال أبو حنيفة لى امام يرى أن لا زكاة على الصبى
كذاك الشافعى أتى بهـــذا بتصديق لقول المالكى
فقلت له أبالك من فقيه أما تجب الزكاة على الملى
وان لم تاتها طوعا وإلا أخذناها بقول الحنبلى

قال الناقل وكان ذلك العشى مفسود من الذين لهم شيحة على الأكل من الثنية فتقدم وسلم على الملك احمد وقال له اهلا وسهلا وادخله التكية فى اعز مكان وقد اتاه باحسن الطعام فاكل حتى اكتفى وفى هذه الساعة اتى شيخ التكية ودخل فرأى العشى ملخرم وكان ايضا شيخ التكية انجس من العشى وقيل انه كان فى الظاهر مسلم وفى الباطن رفضى فنظر إلى احمد سكندرون وقال للعشى انت لاى شىء اخذت هذا الغلام عندك وما اعلمتنى وانا شيخ التكية فقال غريب وانا آخذه عندى فتقاتل السدار مع العشى وكان مع العشى سكينة فاخرجها فى يده وهجم بها على السدار فحينئذ قام السدار عليه وشاله بيده وضربه فى الأرض واخذ السكينة من يده وضربه بها فى صدره قتله ونظر احمد إلى ذلك فخاف منه على نفسه وعلم انه لايفعل تلك الفعال إلا

أهل الضلال فانحمق وهجم على السدار وشاله من حزامه ورفعه إلى فوق وجلده على الأرض كسر عظامه وأسقاه كاس حمامه ونظروا أهل التكية إلى ذلك الحال فداروا باحمد من اليمين والشمال والبعض منهم طلع إلى الديوان واعلم الملك مسعود بك فركب واتى إلى التكية ونظر إلى الاثنين القتلى فسال عن الخبر فقالوا له ان هذا الدرويش جانا البارحة فاخذه المشى فتخاصم معه الصدار وقتله وهذا الدرويش قتل الصدار وهذا الذى جرى فالتفت الملك مسعود إلى احمد وقال له يا غلام لأى شيء قتلت شيخ التكية فقال له لأنه فعل شيء قبيح قتل الشيخ بلا ذنب ولا جناية وقاتل النفس يقتل وثانيا هذا الرجل خنا وفساد فكان جزاءه القتل هكذا أمر رب العباد فقال له وأنت من أى البلاد فقال من مصر فقال وانت من اهل العلم قال نعم فقال له اهل العلم يكونوا عاقلين وأنت غير عاقل فقال له إذا كان العلم موجودا فهو افضل من العقل لأن العلم مفضل كما قالوا الأفضلين فى هذا المعنى :

علم العليم وعقل العامل اختلفا كلاهما يطلبان المجد والشرفا
العلم قال انا لى كل مكرمة والعقل قال انا بالله قد عرفا
فانطلق العلم بحق العقل قال له فى أينا الله فى تنزيله اتصفا
بذا اتيت ان فضل العلم فى ثقة فقبل العقل راس العلم وانصرفا

[يا سادة يا كرام] فقال الملك مسعود بك يا غلام اى ليتك ان تكون صدرا على هذه التكية لم لك فيها معارض ولا مانع وانت حاكم عليها من قبلى فقال الامير احمد إذا كان كذلك فلا يقيم فيها عندى إلا كل من كان ومن طاهر [illegible] إذا كان رفضى فاسد فلا ابقى عليه بل اطرده وان تعاصى اقتله قال [illegible] افعل [illegible] في التكية بعدما انعم عليه فقعد احمد واصلح شان التكية [illegible] كان على غير طريق الرشاد ونظفت التكية من الفساد [illegible] قلب التكية ورتب لهم كل يوم من الظهر إلى العصر يقرى فى [illegible] إلى المغرب يدرس فى النحو ومن المغرب للعشاء يقرى [illegible] العشا يجمع الدراويش ويذكروا الله بطريقة النقشبندى والصبح قرى احاديث عن الرسول من البخارى ومسلم حتى ان جميع اهل [illegible] انه لم [illegible] اعلم من حضرة احمد افندى هذا الذى فى التكية هذا جرى لاحمد [illegible]

واما ما كان من امر السلطان فانه افتكر يوما [illegible] فظن انه فى بيت الوزير احمد ابنه لا [illegible] على ما يعلم انهم متصاحبين فلم [illegible] قال الملك

ياوزير قول السعيد طالت الضيافة وروح سراية ابوك بقى فقال الوزير يامالك الدوله وولدى له كام يوم مقيم عنه السعيد ولم يأتى فقالى الملك وأين السعيد فقال الوزير انه لاأعلم وانى ايضا معه فقال السلطان انا كنت رأيت الاثنين وجرى كذا وكذا ظن انهم خافوا منى وهربوا فقال الوزير يا ملك انا اظن ان ابى عندك مع السعيد فقال السلطان وانا اظن ان السعيد عندك مع ابنك ولكن إذا كانوا لم هم حاضرين كيف يكون العمل فقال الوزير انت عندك غير السعيد وأما انا لم لى خلاف ولدى فقال الملك والله العظيم انا لم اتش على ولدى السعيد إلا إذا رأيت ولدك احمد سكندرون ثم ان الملك ادعى بالامير حتى اجلسه على تخت مصر وأوصاه بالعدل والانصاف وأخذ الوزير ثم اخذ المقدم إبراهيم وسعد وطلعوا وهم ذاهلين العقل والسلطان والوزير وتموا سائرين إلى آخر النهار وثانى لأيام رحلوا وداموا كل بلد دخلوها يستنشقوا الاخبار فلم يقعوا على اثر حتى دخلوا برصة فساروا لها حتى دخلوها ولم علموا مسعود بك فقال إبراهيم أنا وسعد ندور فى البلد قال الملك وهو كذلك بينما سائرين فسمعوا رجل فى برصة يقول لرفيقه سيرحتى نصلى العصر ونسمع الدرس فقال له كذلك فقال السلطان انا ادخل التكية اصلى واسمع الدرس احسن من الديوان ودخل السلطان فرأى هذه التكية مليحة ورأى الناس قد احرموا لصلاة العصر فصلى هو والوزير وإبراهيم وسعد فقال الوزير والله ماهذا الشيخ إلا انه احمد ابنى فقال إبراهيم هو بذاته ثم تقدم اليه وقال له ياامير احمد بعد الوزارة وحكم ابوك قعدت فى هذه التكية فقال احمد ياابو خليل انا فى عرضك فقال ابراهيم السلطان طالبك منى يااحمد انت ماعندك اموال حتى أرد غيبتك فقال له انا حشت الف دينار خذهم واصلح لى امرى مع السلطان فقال إبراهيم ماعندك غيرهم لكن هاتهم ثم عاد إلى السلطان بعدما اخذ الالف دينار وجاء الملك وقال يادولتلى اعطيى امان لاحمد ابن الوزير فأعطاه المنديل وغاب إبراهيم وأتى ومعه احمد بن الوزير فقبل يدك السلطان قال الملك يااحمد انت ايش عامل فقال يامولانا اصلى هنا بالناس وأدرس لهم فى العلم فقال السلطان ما شاء الله وأين السعيد فقال يامولانا لم اعلم أنا لما كنت فى سراية مولانا السلطان وحصل منى ما علم به مولانا فخفت من نقمتك يا مولانا السلطان وهربت من مكان إلى مكان حتى نزلت فى هذا المكان وأما صاحب هذه المدينة اراد قتلى ولولا انه رآنى اهل علم وإلا كان قتلنى لأجل انى قتلت واحد رفضى كان مدار فى هذه التكية فقال الوزير ياولدى هذه كلها بلدك وهذا الملك الذى فيها عمك ثم انه اخذه من يده وطلع هو والسلطان وإبراهيم وسعد

حتى وصلوا الديوان فعلم الملك مسعود بك بقدوم السلطان فنزل إلى لقاه واستقبله وأتى يسلم على الوزير فقال له انت يا نيك ولدى تجعله يقيم فى الكنية كأنى مالى فى برصة لا أبيض ولا اسود فقال الملك مسعود بك يا أخى انا ما علمت به وأنا والله متعلق حبته محبة زائدة مع انه لم يحتاج إلى مراعية منى ولا من غيرى فقال الوزير ها هو عندك حتى أسير مع السلطان فقال السلطان يا دولتلى وزير خذ انت ولدك وتوجه إلى مصر فى امان وأما انا ما بقى يمكنى اعود حتى الاقى ولدك السعيد فقال له الوزير يا ملكنا لا يمكنى أسير إلا اذا اطمانيت على السعيد وأراه كما رأيت ولدى فقال له سير معنا ولما كان ثانى الأيام سار الملك وابراهيم وسعد والوزير ولم يزالوا الى ملك الافلاق فنظر ابراهيم فى الخلا فرأى رماة فى الخلا يرعوا خنازير ولهم واحد كبير يحكم عليه فتأمله المقدم ابراهيم من بعيد واذا به محمد السعيد فلما رأى ابراهيم ذلك قال يا ملك الاسلام هذا الذى أنت طالبه هذا ابنك والحمد لله الذى جمع به شملك فقال السلطان ابنى اسير ويرعى الخنازير قال المقدم ابراهيم يا مولانا لا تعتب على الزمان فانه لم له امان كم للدنيا نكبات وكم للدهر آفات وهذا ولد صغير وحدانى على كل حال وجارت عليه الايام والليالى كما قال القائل

ليش ياليالى الهنا والعز والليتى وليش عزلت الاصيل والنذل وليتى
وليش حكمتى بذلتنا وحليتى وليش جمعتى علينا السقم والامراض
وايش وسقتى الهنا مركب وحليتى

[يا سادة يا كرام] فقال السلطان يا ابراهيم بقى ابن الوزير يعمل شيخ تكية ويقرأ علوم ويدرس للناس مع انه تربى فى بلاد النصارى والسعيد الذى تربى فى بلاد الاسلام لما تغرب وحده صار يرعى الخنازير قال ابراهيم أحسن من الموت يعنى اذا كانوا النصارى قتلوه من كان يعلمنا بخبره وكان السبب فى ذلك وهو أن الملك محمد السعيد لما طلع من مصر طلع وحده ولا معه غير حصانه فسار الى الشام وفرغ منه المصروف فباع الحصان بمائة دينار وقبض ثمنه وخاف ان باشة الشام يعرفه ويرسل يعلم أبيه واستحى ايضا ان يشوفه وهو خالى فقير فخرج من الشام ورأى نفسه لم يقدر على مشى فسار الى السويدية فرأى مركب سائرة الى الافلاق فنزل فيها ولم يعلم من هو صاحبها وكانت مركب روم تجار فلما رأوه سكتوا عنه حتى نضف أتيخ لهم وطاب السفر فلما خرجوا من مدينة السويدية قبضوا على السعيد ووضعوا فى رجليه قيد حديد فسكت ولم يقول لهم أنا فلان ولا علموا أنه

السعيد كانوا قتلوه لأن الملك الظاهر حارق قلوب الكفرة وذالهم فكان السعيد يخاف أن يقتلوه وامتثل لهم حتى طلعوا على ملك الافلاق فباعوه بخمسين دينار والذى اشتراه وزير الانجبيرت وسلمه إلى كبير الاسارى فاعطاه مائة خنزير لأجل أن يرعاهم فسار بهم صحبة الرعاه وعاد آخر النهار فعدوهم وإذاهم ناقصين واحدة فقال لهم كبير الاسارى يا ولد ابن الواحدة فقال له بكره أدور عليها فانى لما رجعت لم أعلم انها ناقصة فقال له هذه النوبة اسامحك لأنى مسلم مثلك ولكن إذا علم بك الوزير يقطع عقله من صوابع يدك وهكذا كل خنزيره يقطع فيها عقله فقال له أنا أحاسب فلما كان ثانى يوم سرح وعاد ناقص خمسة فكلمه كلام فاحش وثالث يوم اعلم الوزير فارسل بطريق من عنده لعين وقال له خذ منه حق الذى ضاع منه فلما أقبل قال له هات الذى ضاع منك فقال له من أين أجيب لك خنازير فقال من أعضاك هات يدك حتى اقطعها ثم انه تقدم وطلع ساطور حديد وأراد قطع يد السعيد فقال فى الموت أحسن من قطع اليد وهجم على ذلك الملعون وضربه فى رأسه بعد الساطور فمات فقال له الاسارى إذا علم الوزير يقتلك ويقتلنا معك وبلغ الخبر إلى الوزير ماريق فاتى بنفسه ونظر إلى السعيد فعطف الله قلبه عليه وقال له يامسلم لاتخاف وانت تكون كبير على الاسارى الذين يرعوا الخنازير لكى تحاذر أن يروح منهم شيء فقال السعيد أنا ما اعرف فقال له أنت مع الاسارى فسار السعيد وهو فى غم زائد فانضجع بجانب مغار فأخذه النوم فلما أفاق لم يجد من الخنازير ولا واحدة فدخل المغار فرأى خنزيرة فجذبها وقال إن رحت بهذه يقتلنى لأن قلبه ملان على غيظ ثم انه ربط تلك الخنزيرة ونزل عليها بعصا كانت معه فصرخت فاجتمعت عليه خنازير بكثرة فساق منهم مائة وترك الباقى وجعل هذه الشغلة شغلته ولم يعلم بها أحد وفى كل يوم يضرب تلك الخنزيرة فيجتمعوا الخنازير فيقبل الرعاة كل من كان ناقص منه شيء يأخذ من تلك الخنازير فصاروا يفرحون بكلامه ودام على ذلك الحال حتى أقبل الملك والمقدم إبراهيم والمقدم سعد والوزير ونظر المقدم إبراهيم إلى السعيد وأخبر أن السلطان هذا كان الأصل والسبب ثم ان المقدم إبراهيم قال يامولانا اعطيه الامان حتى احضره بين يديك وإذا بالوزير مربن وزير الانجبيرت مقبل ونزل من على ظهر جواده وقبل يد السلطان وقال ياملك الاسلام وحق من أولاك على رقاب العباد لم أعلم أن هذا ولدك إلا فى هذه الساعة والسبب فى ذلك انى كنت نائم فرأيت رجلا لابس طليحية جلد وقال لى قم يا مغرور أولك النار وآخرك النار فان الله يهدى من يشاء ويضل من يشاء قم قابل ولدى الملك الظاهر وسلم عليه فان ولده عندك أسير فسلمه اليه واتبعه لعلك

تفوز بالاسلام إذا أراد الملك العلام وها أنا أقول على يديك اشهد أن لا إله الله وأشهد أن محمدا رسول الله

فقال له السلطان افلحت إن صدقت فقال يامولانا وأريد أن أكون تحت حكمك وفى خدمتك حتى أموت فقال السلطان مرحبا بك يا وزير مارين فقال يا مولانا أنا مرادى أن أجمع اموالى والكفار من هنا والحقك فى بلاد الاسلام

فقال السلطان افعل ماتريد وتسلم السلطان ابنه وقال له ياسعيد كيف حالك وايش الذى أغراك حتى تسافر إلى هذه الارض ويحكموا فيك الكفرة ولكن والله الذى تعالت اسماؤه لم تسافر معى إلا ماشى على الاقدام ولم تقلع ثياب اليسر أبدا إلا فى حمام مصر وركب الملك من الافلاق وسافر والسعيد يتجرع عذاب المشى حتى وصلوا إلى مدينة الرخام عند ذلك قال ابراهيم يا سعد اسبق وأعلم خالنا المقدم معروف حتى يطلع يلزم السلطان لاجل تأخذ السعيد الراحة قال سعد صدقت ثم ان سعد طار فى الهوى حتى دخل مدينة الرخام وأعلم المقدم معروف بالقصة والملك عرنوس فركبوا واطلعوا السلطان والوزير وضربت المدافع لقدومه وكان يوم عظيم هذا والملك الظاهر متغير على ولده الملك محمد السعيد فقال الملك عرنوس ياملك الاسلام أنا لى عليك من جملة انعامك كلمة لا ترد وأريد منك ان تبقى ابن عمى الملك محمد السعيد عندى حتى تروح إلى برصة وتأتى باحمد ابن الوزير

فقال السلطان اخليه عندك لكن بشرط انه لم يقلع ثياب الصوف التى لابسها ابدا فانى حالف عليه

فقال معروف يمينك تمشيه ولكن يا ملك انت لك اسباب وتريد تشمت الاعداء إذا رأوا ابنك بهذا الحال

فقال السلطان صدقت ولكن يا أخى كيف العمل فقال معروف يا ملك يمينك تمشيه ويلبس ثياب المملكة من فوقهم على كل حال

فقال السلطان كذلك ثم ان الملك ثانى الايام ركب وركب الوزير وابراهيم وسعد وأراد الملك عرنوس أن يروح معه فحلف عليه ورده وسار الملك إلى برصة فالتقاه الملك مسعود بك وأراد أن يعمل له الضيافة فلم يرض السلطان وعاد إلى مدينة الرخام وأخذ السعيد وسافر فسار معه الملك عرنوس إلى بر البلد فحلف السلطان عليه ورده وسافر حتى دخل الى مصر لكن احمد سكندرون راكب والسعيد ماشى حتى طلع قلعة الجبل وطلع السعيد الى القلعة ومن شدة كسوفه أقام فى السرايه لم ينزل ابدا مدة أيام الى يوم جلس الملك فى الديوان واذا بأ ز على الابراج يقول سبحان هادى

الطاير ومعه كتاب من اسكندرية قدمه للسلطان وإذا فيه من حضرة باشة اسكندرية
إلى بين أيادى ملك الاسلام ان يوم تاريخ الكتاب مقيمين فاقبل من البحر غليون
مستر بستار الروم فكشفنا خبره واذا به وزير ملك الافلاق اسمه مرين وهو يريد
القدوم الى مصر يقابل مولانا السلطان والتمس الامادة بما يوافق

فلما سمع السلطان قال أين فلما سمع حضر قال له اركب وروح الى اسكندرية قابل
سيدك الوزير مرين واحضره الى هنا ونزله فى بيت قرقطين الحاجب فنزل السعيه
عمتثل أمر السلطان وسافر اسكندرية وسلم على الوزير مرين ونقله من الى الخلو وسافر
الى برلاق وطلعه الى بيت قرقطين حكم أمر السلطان وثانى الايام طلع الديوان وقبل
افك السلطان فالتفت الملك الى ابراهيم وساله عن اسلام مرين فقال يا ملك اسلامه صحيح
فامر السلطان بقفطان اخلعه عليه وقال له انت أمير من جملة الأمراء وأقام كذلك
على هذا الحال وكان مرين هذا له زوجة اسمها مرينه وهى بنت خال الانجبيرت فلما
باع أملاكه قالت له إيش مرادك فقال لها قصدى أروح القدس فامتثلت ولم تعلم
أنه اسلم حتى بقى فى مصر وجرى ماجرى فاقامت معه وهى مغتاظة فقال لها إذا علم
ملك الاسلام انك نصرانية يقتلك فسكتت ولم تحرك ساكن إلى يوم من الايام كان
آخر النهار وروح مرين من الديوان قاصد بيته فرأى رجلا عالم راكب على بغلة ومعه
طالب فقال الشيخ أنت مرين الذى أسلمت قال نعم فقال له يا ملعون لا يصح اسلامك
حقا إلا إذا رضيت عنك علماء الاسلام فان القائل يقول

ان الاكابر يحكمون على الورى وعلى الا كابر تحكم العلماء

وانت قضيت عمرك لم اجتمعت على العلماء فكيف اسلامك يكون وانت ملعون
فقال مرين يا سيدى من فضلك أريد أن تشرفنى فقال له سر قدامى إلى منزلك فسار
به إلى البيت ونزله عن البغلة وأكرمه وأقام عنده ليلة وثانى الايام ركب
مرين إلى الديوان وعاد آخر النهار رأى الشيخ مقيم فى المندرة سلم عليه وقعد معه
وإذا بالشيخ أعمى عنيه

فقال مرين للطالب ماحال الشيخ يا أخى فقال هذا له مرض يعتريه فى بعض
الاوقات ولا يخلصه من ذلك الأمر إلا شرب الخمر هل عندك يا أمير فقال مرين أما أنا
فلم يكن عندى خمر وأما زوجتى فانه يوجد عندها لانها لم تكن اسلمت معه ثم قام وأتى
بشىء من الخمر وسقى الشيخ فافاق من غشوته وقعد وملا الكاس بيده وشرب
وقال يا مرين اشرب انت الآخر فقال له حرام يا شيخنا فقال له انت تريد أن تزود
المسلمين باسلامك يا مرين اعلم ان الذى يكلمك فهو جوان وان المسيح أتانى على الغمامة

القدسية وقال لى أنت عالم ملة الروم وكيف تخلى واحدمن أمتى ينتقل الى غيرها فامضى اليه ورده الى دين النصارى رأنا أملكك بلاد المسلمين واجعله هو ملك المسلمين جميعا وهاأنا مرين لما علمت فهان على واحد مثلك نصرانى بن نصرانى عمله كل مدة عمره يقربه الى أبواب سقر وتقول كلمة تردك الى غيرها وأنت من أهلها وقد أتيتك بأمر المسيح ومارى حنا المعمدان والمسيح اعلم جوان انه عملكك جميع بلاد المسلمين ومادام الملعون جوان يغره وأخيرا صاح على زوجته فحضرت وبكت فلان قلبه الجاحد وانتقل الى الضلال بعد الهدى وقال ياأبونا كيف يكون العمل فارمى له الصليب سجد له دون القريب المجيد نسأل الله العافية وقال له جوان بكره اطلع الديوان واطلب من ملك الاسلام ان يأخذمرينة عند الحريم عسى ان يلين قلبها للاسلام فاذا أخذها يقيم أيام قلائل وتسلم بالزور والبهتان فاذا قال لها الملك تمنى أكون شربدارة السلطان فاذا بلغنى ذلك خذى هذا الحق علقيه فى شعرك فاذا أمكنك تعطيه للسلطان فى الشراب فاذا مات الملك أكون أنا جمعت لك ملوك الروم يساعدوك حتى أملكك بلاد المسلمين وتبقى تحت يدك الدنيا كلها ولم يكن لك نظير فى جميع الملوك فأخذت مرينة حق السم وبات جوان تلك الليلة وعندالصباح قال يامرين افعل ماأمرتك وان وقعت فى محذور انده جوان يخلصك من عمرك نفرأوان ففرح مرين بكلامه وركب جوان بغلته وخرج الى حاله وأما مرين طلع الى الديوان ونظر اليه المقدم ابراهيم فصاح ياسيدى غوث ياسا كن حلب يامك الدولة الرين ارتدعن الاسلام وكفر بالملك العلام قال الملك أعوذ بالله صحيح يامرين أعوذ بالله من ذلك ولكن انا مالى مقدرة أكذب المقدم ابراهيم الله ينتقم من كل ظالم عمرك سمعت ان أحدا عرف حلاوة دين الاسلام وعاد الى الكفر ثانيا فقال الملك لا كفر بعد ايمان ولاضلال بعد هدى فقال ابراهيم الحق على والله مافى بدنه ولاشعره توحد الله نقال الملك والبارحة قال كان مسلم فقال الملك ليش تقولوا ياعلماء الاسلام فقالوا احنا لنا الظاهر والله متولى السراير

قال الملك ياابراهيم ليس لك به دعوة فقال ابراهيم هذا ارتد على مكيدة يعملها فى الاسلام اعطينى منك سند عليك اذا حصل منه شىء أكون خالص العلاقة وأعطى له السلطان حكم ماطلب وثانى الايام طلع مرين أخبر الملك عن زوجته أنها لم ترضى تسلم وأريد تحضر فى السراية لعل الحريم يهدوها فأمر السلطان بدخولها السراية وهذا مكر ومحال كما ذكرنا من مدبر جوان وأما الملعونة فانها أنا...ت شهرا كاملا وبعده

زغرطت فى السراية وهى تقول أشهد ان لا إله الا الله فسأل الملك عن الخبر فقيل له ان مارينة أسلمت فأحضرها بين يديه وسألها عن سبب اسلامها فاعلمته ان الملك الصالح أتاها فى المنام وأسلمت على يديه كما علمها جوان وقالت ما أنقذنى من قومى الا وأنا مسلمه وزغرطت من فرحتى ففرح الملك بها ويقول لها ولم يعلم ان هذا من مكايد جوان وتعليمه لها فقال لها تمنى قالت أتمنى أن أكون شربدارية الملك فاعطاها طلبها وصارت الحاكمة على المأكول والمشروب تعلق السلطان هذا ما جرى الى يوم من الايام اتى السلطان هدية من بلد يقال لها سوادة لما أتت الهدية وكان شيء كثير ففرقه الملك وبعضه طلع السراية ثم ان الملك أمر أن يقطعوا بطيخة وتكون ماوى ففعلت مارية ما طلب السلطان وقطعت بطيخة ماوى وصفت لبها ووضعت فيها قطعة بنفسج ووضعت الخرزة السم فى قلبها وغطتها وتركتها ومضت

[ياسادة] وبالبلا المقدر والامر المسطر عبر السعيد الى تلك الاودة التى فيها البطيخة فكشفها وأراد ان يشرب منها فاستحس بالملك مقبل فخاف السعيد من أبوه وغطاها كما كانت ومضى الى محله فجاس الملك وطلب البطيخة وسأل من الذى كان بالاودة فقالت له مارية ما كان غير السعيد وقدمت له البطيخة فملأ المعلقة وشربها فحس ان أمعاءه تقطعت فصرخ صرخة عالية فادركوه الدولة وقالوا ما الخبر فقالوا الاغوات الملك انسم وتمكن منه السم فطلع ابراهيم وسعد فقال المقدم ابراهيم ما غرضنا الامارين فقال الاغ شاهين اندهوا على شيحة فصاح ابراهيم وقال أنت فين ياسلطان الحصون وذا بشيحة قال له أنا حاضر وعاوز الخرزة من البترك كرسانون فى دير الطين فان معه خرزة بسبعة وجوه ولم يكن لها نظير الا الذى مع جوان ولكن الآن لم نلتقى جوان فهات لى هذا الملعون حتى تأخذ خرزته منه فاراد ابراهيم يركب ويسير واذا بسعد مقابله بالبترك كرسانون وقال له خذ هذا البترك الذى أنت طالبه وكان سعد لما سمع من شيحة ذكر كرسانون وعلم ان دواء السلطان معاه فلم صبر بل انطلق فى البر وأقبل على باب الدير وطرقه فانفتح فهجم على البترك وحمله على كاهله وسار به من غير ان يعلمه حتى اوقعه قدام المقدم ابراهيم فقدمه لشيحة شق ذراعه بالكشافية وطلع الخرزة بعد ما كان انكرها وأمر شيحة باحضار سبعة البان غنم وعنز وجاموس وبقر وغزال وجمال ولبن الخيل وجعل يسقى الملك حتى أسقاه سبع مرات وكل مرة يرخى دما ومرات قيح ومرات أصفر وأخير اللبن فما شربه لبن ونزل جميع السم الذى كان فى بدنه فافاق الملك وقال أشهد أن

لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله فعند ذلك غطس المقدم الدين فقال السلطان يا مقدم ابراهيم قال نعم قال من فعل معى هذه الفعال قال ما فعل ذلك إلا مرينة فقال الملك كذبت أنا رأيت بعينى الذى فعل فقال ابراهيم إذا كنت رأيته ياملك لا تسألنى فقال له أمرتك أن تأتى بالسعيد قال ابراهيم على الراس والعين لكن ياملك تقطع راس ولدك والاسم الأعظم ان ولدك برىء من هذا الذنب ولم يعلم بذلك وان قتلته فانه مظلوم فقال الملك اطلع هات السعيد يا ابراهيم قال ابراهيم حاضر ونزل الملك قعد على التخت وطلع ابراهيم إلى السراية وطلب السعيد فقالت الملكة ياأبوخليل يهون عليك قطع رأس السعيد فقال لها إذا كان هان على الملك إيش أعمل أنا فقالت له ان قعد ولدى أعطيك ثقله مال فقال لها والاسم الأعظم لم ينزل منه قطرة دم إلا بعد قطع رأسى أنا وروحى فداه ثم أخذه ووأقفه أمام السلطان قال الملك كاس قال ابراهيم يا ملك هذا مظلوم ولم فعل معك شىء فقال أنا رأيته بعينى اقطع رأسه فقال ياملك ان كنت تأمرنى بقتل ولدك وأنا أعلم انه مظلوم وأنت لم تصدقنى أريد منك حجة شرعية انى نصحتك ولم تقبل نصحى فأمر الملك أن لا يكتب له حجة فأخذها ابراهيم وقال يا ملك الولد قطعة من الكبد وأخاف بعد موته تطالبنى اكتب أنت لى بخطك واختم لى بختمك أنك أمرتنى بقتل ابنك السعيد محمد غصبا وأنا برىء من دمه .

فكتب له السلطان بيده تذكرة وختم عليها بختمه فقال ابراهيم يا ملك إذا كنت أنت رأيته بعينك وهذا أكبر شاهد عليه فالواجب أن تلف به البلد وينادى المنادى هذا جزاء من يتجارى على اتلاف السلطان قال الملك افعل لامانع قال المقدم ابراهيم خذه يا سعد دوره فى البلد ونادى عليه كالعادة واضربه كف لخبطه فى بدضه اقطع رأسه قدام أبوه فأخذه سعد وغاب ساعتين وأقبل وهو يقول هذا جزاء كل خاين فقال السلطان هاته بظهره وضربه المقدم إبراهيم على ورديه أطاح رأسه من على كتفيه فقال الملك لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن قال ابراهيم مثل ما تعرف افعل هنالك حزنت السراية وأهل الديوان هذا ما جرى هنا وأما الملعون مرين فانه نزل آخر النهار من الديوان واعلم جوان بما جرى وان السعيد قتله أبوه فقال جوان فى داهية اكتب لى كتاب إلى خالك الانجبيرت ملك الافلاق أن يركب على بلاد المسلمين فكتب له مرين كتاب بانه ارتد إلى دين النصارى ثانيا وهاهو تمكن من بلاد المسلمين اركب فأخذ جوان الكتاب وسار من مصر قاصد ملك الافلاق يا عجب ما وقع أن الملك

عرنوص قال لأبوه يا أبي عمي الملك الظاهر من يوم توجه وهو متغاظ على ابنه الملك محمد السعيد فالحمد الآن لم نعلم بالذي جرى عليه ومرادي أن أسير إلى مصر وأنظر الذي جرى فانا والله ياأبي قلبي مشغول فقال معروف هيابنا ياولدي ننظر ماجرى فركب معروف وعرنوص وأجلسوا محمد الطن ودرويش على مدينة الرخام وسافروا الاثنين طالبين مصر حتى أتوا على مفرق الطرقات بين برصة والأفلاق وإذا بجوان والبرتقش قادمين عليهم فصاح الملك عرنوص يا برتقش اقبض على جوان وقدمه إلى عندي وان هرب والله أقتلك وأقتله فقال البرتقش ياابونا تفضل كلم الدابر وعرنوص فقال جوان اهرب بنا قال البرتقش كيف اهرب وانا سامعه لما حلف كيف أسيبك قدم استوفى منه وعدك ولما بقوا بين يدى عرنوص قال الملك يابرتقش عرنوس جاى من اين قال جوان من الروم فقال البرتقش من مصر فقال عرنوس ياجوان وحق الذي تعالى فاقتدر إذلم تخبرني بما فعلت في مصر أنت والبرتقش بالصحيح إلا جعلتكم أنتم الاثنين اربعة بهذا الحسام قال البرتقش إذا انكر جوان احكي انا فقال جوان اعطيني الأمان وانا والله احكي لك بكل ما جرى فقال عرنوس لك الأمان الشافي والزمان الوافي امان من يامن ولا يخون فاحكي جوان لعرنوس من ابتداء دخوله مصر واجتماعه بعرين إلى عند سم السلطان وموت السعيد فعض الملك عرنوس على يده وقال له والسعيد قتله السلطان قال نعم قال لا حول ولا قوة إلا بالله وانت كنت رايح فين قال كنت رايح بكتاب إلى الانجبيرت وآمره بالركوب على بلاد الاسلام فقال له هات الكتاب فاعطاه الكتاب فاخذه منه وقال يا برتقش انا اعطيكم الأمان ولا بقيت اخون اماني وانما ان دخلتم الافلاق جعلتكم شهرة فيها قال البرتقش هي الدنيا ضاقت ما نرحش إلا الافلاق فتركه عرنوس وسار حتى دخل إلى مصر وسار إلى قلعة الجبل وطلع فوجد الملك جالس فتقدم قبل يده وكذلك المقدم معروف سلم على السلطان وجلس الملك عرنوس وبعد ساعة سأل عن السعيد فاحكي له السلطان بما جرى فقال عرنوس قول من خاف لكن هذا جزاه من يخون والده ولكن يا ملك الاسلام هذه الافعال فعل من يكون من غير حلال واما السعيد من ظهر طاهر وماعونه طاهر فقال السلطان تلبس الشيطان

فقال عرنوس ياعم لما كنت اتيت من بلاد النصارى ومنيتني سبع تمنيات وكان من ضمنهم كلمة لا ترد هل ترى نسيت ام فاكر والا رجعت في حقك وتقول ما اعطيش ان كنت رجعت لا مانع قال السلطان لا يا ملك عرنوس اتمنى كلما تريد فقال اريد احكم على

تخت مصر يوم كامل ولم أحد يعارضني في حكمي فقال السلطان هذا اليوم تفضل وقام الملك وأخذه بيده وأجلسه على التخت وطلع السلطان إلى كشك يكدف على الديوان وقعد وأما الملك عرنوس فانه أمر بتكميل الديوان من أمراء وغداوية وعلماء وشيخ الاسلام ومفتي وقاضي وكل ما يكون فتكامل الديوان بوقته وقال عرنوس يا مقدم إبراهيم الديوان تكامل قال نعم فقال وأنت إيش صنعتك في الديوان هذا .

فقال أنا يا دولتلي صيرفي الديوان فقال عرنوس الصيرفي عادته النقد وهنا لم يكن معاملة حتى تنقدها فقال أنا صيرفي رجال فقال عرنوس وهل تعلم أن هذا الديوان كل ما فيه منقود وفيه زغل فقال فيه الزغل فقال طلع الزغل وفرجني عليه فوضع يده في خناق مرين وجذبه وأوقفه قدام الملك عرنوس وقال ياملك هذا الزغل الذي في الديوان ولم يكن فيه غيره قط فقال عرنوس ولأي شيء تاركه فقال بموجب أمر السلطان المتنزه وها أنا أحضرته بأمر السلطان المتولي

فقال عرنوس يا مرين من الذي سم السلطان وألقى هذه الفتنة بينه وبين ولده حتى قتله فقال مرين لا أدري فقال عرنوس وجوان ما كان عندك ودبرك على قتل ملك الاسلام ولما مات الملك محمد السعيد كتبت كتاب الانجبره تامره أن ياتي بركبة على بلاد الاسلام وأنت من داخل وهو من بره وهذا الكتاب خطك خذوا يا علماء الاسلام انظروا ما فعل هذا الملعون فقالوا العلماء لا حول ولا قوة إلا بالله ثم انهم أخذوا الكتاب وإذا به من الوزير مرين اعلم أني أوصيت مرينة زوجتي بحيلة وأعطيتها حق سم فاسقت الملك في بطيخة ولكن طيبة شيحة وتهم في ابنه السعيد وقتله والسلطان الآن مريض فهات عساكرك واملأ بلاد الاسلام وها أنا مساعدك على بلوغ المرام حتى نقتل ملك المسلمين ، ناخذ بلاده ونهلك عساكره وأجناده وشكرا يارب المسيح

فلما سمع عرنوس ذلك قال يا مقدم إبراهيم هات مرينه طلع إبراهيم طلع مرينه كانت الملكة والجوار جملوها قطع فنزلها ولم فيها روح

فقال عرنوس اربطها مع زوجها واحفر لهم حفرة على قدرهم واضرموا فيها نار واحرقوهم فانهم كفار عند ذلك نزلهم إبراهيم وفعل ما أمره الملك عرنوس وعاد اليه وقال ياملك عرنوس يكونوا أعداءك مثلهم فقام عرنوس من على الكرسي وقال ياملك الاسلام تسلم محلك فانه ما كان للموالي يحرم على الخدام فاننا جميعا عبيدك وأنت المولى والامام ومني عليك السلام فجلس السلطان على تخت مصر ودارت به الاحزان وأدركته الهموم والغموم وعلم أن ولده محمد السعيد قتل غلطا وهو في

هذه الفتنة مظلوم وراح ابنه بسبب الظلم مع أنه برىء من هذه الدعوة فلا حول ولاقوة إلا بالله ثم انه سكت على غيظ حتى فرغ النهار وطلع إلى السراية فوجد الملكة تاج بخت وقعت بين يديه باكية العين وقالت يا ملك الاسلام هان عليك السعيد أكبر أولادك حتى يضربه إبراهيم بن حسن بالشاكرية وأنت تنظر اليه يبقى ابنك وتترك دمه هدر

فقال السلطان لا حول ولا قوة إلا بالله ثم ان السلطان قعد يتفكر فى قول إبراهيم قدمه بظهره ياسعد وضربه أطاح راسه فقال والله ماتطفى هذه النار إلا إذا كنت أرى إبراهيم بن حسن مثله مقتول فانه هو الذى قتله وبات يتفكر بهتف بمثل ذلك ولما كان عند الصباح وتكامل الديوان التفت السلطان إلى ابراهيم وقال له اين السعيد يا ابراهيم قال ابراهيم انا لله وانا اليه راجعون قال السلطان هات السعيد يا راجل بلا هلس فارغ

قال ابراهيم الله يصبر قلبك ياملكنا قال السلطان السعيد عاوزه منك وقام على حيله ومسك خناق المقدم ابراهيم وقدمه الى بين يديه وقال اطلع وانزل بالسعيد ولا لك خلاص منه فقال ابراهيم أنا معى حجة شرعية من علماء الاسلام والقاضى والمفتى وشيخ الاسلام فقال له أين هى لما أشرفها فطلعها ابراهيم فلما رآها الملك قال هل بقى معك غيرها قال ابراهيم معى خطك وختمك قال السلطان اذا كان معك خطى وختمى هاته فاطلع ابراهيم التذكرة بالأمر انه بقتل السعيد وهو برىء من دمه فقال السلطان دول بطالين وانما طالب منك السعيد حالا ولا أتعلق الا بك ولا أطلبه الا منك ثم انه شرمط السندات والحجة وقال له هل بقى معك شىء تمانعنى به عن دم ابنى فقال ابراهيم هكذا تفعل الأقوياء بالضعفاء كما قيل

بحك يا باشــــا قتلتنى فقلت مظلوم ومسكين
حاكم على ســـائر الناس والخلق له طايعين
الحكم بيدك وظالم ولم أجد لى عليك معين
لما انت حاكم وظالم اللى يتظلم يشكى لمين

[ياسادة] فقال السلطان لا تكثر كلام توت بواضم هياكاس والله ما تخلصك الا رجوع السعيد بالخيال فقال ابراهيم كانى أنا سيدنا عيسى الثانى حتى أحيى المرتى ولكن يا ملكنا الأمر بيد الله فقال سعد قلت لك بلا موتة قلت لى قدمه وضربته بالشاكرية قدام أبوه رميت رقبته موت بقى فيه ثم ان المقدم سعد تقدم وساعد السلطان وكتف ابراهيم قال ابراهيم كذا يا سعد قال ابراهيم قال سعد يا ابن خالتى

إطاعة السلطان فرض على كل مؤمن وأنت تعلم ذلك ومن جملة كلامك ان طلب الملك الظاهر بن حسن الحوراني أقدمه بين يديه قال إبراهيم ما علينا قال سعد انت راجع الدنيا تعاتبني خذ لك موتة وفارقنا تقتل الملك محمد السعيد وتعيش حرام علينا فبينما هم على ذلك الحال وإذا بباب الديوان استد وستة وثلاثين كيخية واتباع مقبلين وطبلة تقرع وجاويش يزعق أكثر من الصلاة إلى العربي محمد قال السلطان الصلاة على أسعد الانبياء سيدنا محمد إمام المتقين وكان السلطان ممتزج بالغضب ولكن قام ومشى المقدم جمال الدين وأفرد السجادة وأجلسه بجانبه ونظر المقدم جمال الدين إلى إبراهيم فأمر سعد أن يفكه وقال له يا أبو خليل الذي غير مزاج السلطان منك وانت أعز الناس عنده وكم مرة وأنت تغير على السلطان وتود أن تفديه بروحك ولاشيء حصل هذا الغيظ منك اليه حتى تغير خاطره وأراد قتلك فقال إبراهيم ياحاج شيحة ها أنت حضرت وعينك كلها نظر اسأله وهو يحكي لك واحكم بما ترى فيه الصواب فقال شيحة إيش أصل الدعوى ياملك الاسلام أنا قلت لك ألف مرة أن المقدم إبراهيم رجلي أنا وأنا الحاكم عليه وإذا حصل منه أدنى خلل فأنا المطالب بخلله فقال الملك إذا كنت أنت المطالب هات السعيد ابني فانه قتله فقال المقدم جمال الدين يامقدم إبراهيم انت هان عليك السعيد قتلته حقا ولا بقي لك وسيلة لرجوعه إلى دار الدنيا فقال إبراهيم ياحاج شيحة وإيش الوسيلة إذا كان الملك أمر بقتله من الذي يمنعه قال شيحة طيب والسعيد في هذا الوقت فين أصدق في الكلام قال إبراهيم والاسم الأعظم السعيد ماهو إلا عند ناكر ونكير فقال شيحة وناكر ونكير ما بقاش يمكن يعيدوه لنا ثانيا وانت لك طريقة معهم قال إبراهيم بقي رأيك وعينك كلها تنظر حقاش بحيب فقها وتأمرهم بقراءة القرآن وتخرج صدقات بكثرة لعل الله أن يسير الأمور فاذا كان كذلك لا بأس فما تم المقدم إبراهيم هذا الكلام حتى أتى الأغا ريحان وقال يا مقدم جمال الدين ان المقدم إبراهيم إذا كان له وسيلة في رجوع السعيد حي فله من المملكة خزنة مال وألف ومائتين كيس كل كيس ألف دينار

قال شيحة سمعت يا أبو خليل قال إبراهيم وأبوه الذي أمر بقتله

قال الملك وأنا خزنة عندها قال الوزير وأنا خزنة فهاج الديوان وبرز كل من كان حاضر وقال المقدم جمال الدين وأنا خزنة قال إبراهيم هاتوا الفلوس وأنا أتكلم مع ناكر ونكير كما أعرف عندها كل من قال على شيء دفعه ونزل المقدم ابراهيم والضامن المقدم جمال الدين بعد مضي عشرة أيام يحضر السعيد وشاع الخبر بأن ابراهيم يحي السعيد بعد ما قطع رأسه فتكلمت أولاد البلد وقالوا هذا ابن ملك الاسلام مايموت ولا يموت الا أولاد الفقراء والبعض يقول ما سمعنا أن واحد مات ورجع استحيا ثانيا هذا كذب ولما مضت المدة طلب المقدم إبراهيم بدلة للسعيد وموكب فقدم له السلطان كلما طلب وطلع

ابراهيم بالموكب الى مقام السيدة نفيسة وعثمان يقول انسبكت العبارة بأم البيته عليك بأشقر ودخل المقدم جمال الدين وطلع السعيد من جنب مقام السيدة بعد ما قرأوا الفاتحة وركب السعيد وانعقد الموكب وكان له يوم مشهور طلعت البنت من خباها والشيخ من خلوته يتفرجون على السعيد كيف عاش بعد قطع رأسه

[ياسادة] وطلع السعيد الى قلعة الجبل وقال ابراهيم والاسم الأعظم ما ينزل الا اذا أخذت عليه النقوط فصار كمن كان حاضر يقول خذ يا أبو خليل حتى ملا طرف المعتبرية ذهب . قال الامير علاء الدين اشتا ربع ريال يا أبو خليل حلاوة السعيد وبعد ذلك طلع السراية ياما نزل على المقدم ابراهيم كساوى وأموال اكرامًا لحضور السعيد بالحياة ثانيا وأعجب ما وقع ان أهل مصر كما كان من النساء لها ولد تزوج بالحورانية ويعرضوا مصاغهم على المقدم ابراهيم وهو يرد الناس ولم يرتدوا حتى شاع ذلك الخبر فأرسل السلطان ليلا وأحضر ابراهيم عنده بقاعة الجلوس وسأله عن حقيقة الحال وقال أنا بعيني رأيتك ضربته أطحت رأسه فهل أنت لك كرامة باحياء الموتى فقال ابراهيم يا ملك الدولة هذه شغلة اشتغلها سعد ابن خالتى وكان فى سجن العرقانة ولد بدوى من لصوص العرب مستحق القتل فأخذه سعد وألبسه لبس السعيد بعد ما أبطل لسانه وأتى به الى الديوان فقتلته لانه مستحق القتل وأما السعيد أرسلته قاعة الحورانية فقال الملك وكيف حامت انه عند ناكر ونكير قال ابراهيم سميت أتباعى بهذين الاسمين قال السلطان نعم ما فعلت ومثلك من يخدم الملوك وأقام الملك مدة فى أرغد عيش الى أيام وفاء البحر فحضر الملك عرنوس يتفرج على جبر البحر مثل عادته فى كل عام وبعد مضى جبر البحر أراد الملك عرنوس أن يتودع من السلطان ويسير الى محله بمدينة الرخام فأتى الملك كتاب من الاسكندرية يذكر فيه أنه ظهر عندنا لصوص يسرقون عمله ولم نعلم بالغريم رضاق صدر الباشا فكتب هذا الكتاب وأرسله للسلطان وأراد الملك أن يرسل أحدا من طرفه أو يسافر فقام عرنوس وقال يا ملك الاسلام أنا أروح الى هذه الخدمة وأقبض على الغريم وأحضره الى بين يديك أراد الملك أن يمنعه فقال عرنوس يا دولتلى اعطيه طلبه ملاة د ولدى وأنا أسير معه فخلع الملك على عرنوس ان يكون باشة الاسكندرية وتكون له قطاع بلا خراج فركب الملك عرنوس وسار معه ابوه حتى دخل على الاسكندرية فطلع الباشا وتلقاه وصار فى خدمته حتى وصل الديوان وحضرت الناس ان يشتكوا فأوعدهم الملك عرنوس برجوع اموالهم واقام ثلاثة ايام

فلما كان رابعا يوم دخل ليصلى الجمعة الملك عرنوس ومعه أبوه فلما صلوا السنن قعدوا الناس يسمعون الخطيب فنظر عرنوس إلى رجل شريف قاعد بجانب المنبر فمد يده قبض على خناقه وجره طلعه برا الجامع فقال معروف ياولدى ايش ذنب هذا الرجل المسكين فقال يا أبى هذا ما تعرفه هو الذى سجنك فى القيطلان وربانى بجبراب فقال معروف كنيار يا قرن تقدم معروف وكتف يد مع رجليه وأبقوه حتى صلوا الجمعه ولكن أخذ علقة صرم أهل الاسكندرية لا نظير لها وبعدها قال عرنوس أين أموال الناس يا كلب فقال له ما معى شىء وانما أنا اتيت وحدى وما طلعت الاسكندرية الا فى هذه الايام فقال عرنوس وأين المركب الذى جيت فيها فقال كانت مركب تجار وسافرت لحالها وإذا برجل واقف بجانبه وكلمه بالرومى وقال له على ايش تنكر فقال اطلب منه الامان على نفسك وسلمه أموال الناس الذى سرقتهم والا اسلمه أنا فقال له عرنوس سلمنى أنت فقال له سير معه فسار عرنوس إلى كنيسة الروم وقال يا عرنوس هؤلاء رفقاء كنيار فى ذلك المكان فوضع عرنوس يده على قاسم على الحديد ووضع معروف يده على ذ الحياة ودخلوا من باب الكنيسة فلم يجدوا فيها احد ابيض ولا أسود فاحتار عرنوس ودخل الى داخلها فلم يرى ولا شخص فضاقت حضيرته وسار وهو يفتش فى جميع المخادع والاماكن فبينما هو كذلك وإذا هو به يرى طابق خشب مغلوق ولكن من غير قفل عليه فرفعه وإذا تحته سرداب أراد أن ينزل منه فقال له معروف يا ولدى تأنى حتى نرى ايش فيه لربما يكون هذا مهلك واذا بدخنة ظهرت من ذلك المكان وشمها عرنوس ومعروف انقلبوا وطلع لهم أربعين كافر حلوهم وطلعوهم الى الى حوش الكنيسة واوقفوهم ونظر معروف الى ولده مكترف وهو كذلك مشدود بالكتاف فقال لهم انتم ايه فقالوا اله يا كناسة ل كلمنك ما نقى لك خلاص عن أربعين عايق من القيطلان ومن حيث انك قبضت على البب كنيار فما نطلقك الا اذا اطلقته واذا بنار نجمه نحاس وقعت فى وسط الجميع وفيها نار وشرار ودخان فشمها جميعا وانقلبوا وكان الذى أرماها المقدم جمال الدين فاندك على الجميع ذبحهم واطلق عرنس ومعروف وأخذوا كلما كان فى الكنيسة ووجدوا جميع العمله الذى سرقت فى هذا السرادب فظالهم وعاد الملك عرنوس وكنيار القيطلانى معه واعطى كل ذى حق حقه وبعد أيام قلائل قطع رأس كنيار القيطلانى فقال يادبار وخافى أربعماية مليون قادمة من القيطلان وفيهم أخراق كنوير وعبد الصليب ملوك القيطلان وصحبتهم جوان والمرتقش سيف الروم قادمين الى حرب الاسلام

فلما سمع الملك عرنوس ذلك الكلام فصار الضيا فى وجهه ظلام وقد احتار كيف يكون الحال فما كان منه إلا شاور أبيه فيما يفعل فقال له يا ولدى الرأى عندى أنك ترسل إلى عمك الملك الظاهر فاستحسن رأيه وأرسل كتاب يعلم السلطان فأرسل يأمره بحضور كنيار إلى بين اياديه فأخذه وسار به إلى مصر ودخل على السلطان فلما رقف كنيار إلى بين يديه أمر السلطان بقتله فقال يا ملك المسلمين أنا قصدى أسلم قال الملك إن أسلمت حرم دمك علينا فعندها أسلم قال الملك أتمنى قال أكون مع البطرنى فى الغراب المنصور خادم السلطنة قال البطرنى والله يا ابن الكافرة ما تخطى الغراب مطلقا ولا تحط قدمك فيه فقال عرنوس إذا كان كذلك أنا اعمل لك غليون وتقيم عندى فى مدينة الرخام قال الملك روح يا كنيار الاسكندرية وعندك الأخشاب أعمل غليون بمعرفتك وسميه بمعرفتك فقال كذلك وكان المقدم إبراهيم ذلك اليوم غائب فاغتنم الملعون الفرصة وتسبب بذلك الحيلة وكتب له السلطان كتاب إلى باشة الاسكندرية يأمره أن يعطيه كلما احتاج من أخشاب ويكلفت له غليون على طرف السلطان وأقام فى الاسكندرية وهو يتزايا بالنفاق حتى ملك رشده واستدل وحضر له مركب سافر فيها وفرد القلاع وقد طاب له الهوى وصاح يا أهل الاسكندرية كنيار نصرانى خرج من المينة على حية رأى حية فأرسل باشة الاسكندرية أعلم السلطان وكان أبو بكر البطرنى فى مصر فبلغه الخبر إلى الديوان فلما رآه الملك قال له يا قبطان الاسلام أريد منك تلج بالغراب المنصور فى البحر وتأتى بهذا الملعون قال البطرنى على راسى يا مولانا ثم أنه سار إلى الاسكندرية ونزل فى الغراب المنصور وأورد القماش وتبع كنيار القيطلانى يقع له كلام [يا سادة] اسمعوا ما جرى من أمر الملعون كنيار القيطلانى فانه لما وصل إلى بلده دخل على اخوته وأعلمهم بما جرى وقال لهم لابد لى من حرب المسلمين وأنشىء عمارة فى البحر ولا ارجع حتى آخذ بلاد المسلمين وسار يجمع المراكب والعساكر على القيطلان ولزم أنه يحضر صوارى من جزيرة العرانيص فأخذ غليون وسار إلى جزيرة العرانيص وكانت قريبة من القيطلان ولأجل أمر يريده الله دخلها ليلا فرأى الغراب المنصور وأبو بكر البطرنى بالمغارة راسيين فأمعن النظر وحقق ذلك طيب وأخذ كلما يحتاجه من عياقه ونزل فى البحر وغطس وطلع من جنب الغراب المنصور وصار يجهد نفسه فى الليل حتى طلع على الدكة وسبح بمكره حتى بقى فى قلب الغراب ورمى دخنة بنج فبنج الجميع وفرد قماش الغليون بعد ما كتف الجميع هو وجماعته وطاد الى القيطلان وسجن الجميع هو وجماعته وكسر الغراب المنصور

وتركه على المينة الخراب واحضر البطرنى وقال له غليون رين المسلمين تكسر وانت لم تبق عليك شطارة روح لحالك معتوق كنيار القيطلانى أخبر ملك المسلمين بما فعل كنيار وتكسير غليونه خليه يركب أ لى ما فى خيله ويشرب احمض ما فى طعامه فقال البطرنى يا ابن الكافرة إيش أروح إلى مولاى الظاهر وإيش أقول له إذا وحت بلاد الاسلام من غليون السلطان ما كان يخلينى أعيش ساعة واحدة فقال كنيار بخاطرك الذى يخلصك اعمله روح عند غليون رين المسلمين المكسر واقعد عنده شاهده قال البطرنى الامر بيد الله ثم ان أبو بكر البطرنى لما أطلقه كنيار قال له ما تطلق باقى المغاربة فقال له دول أسارى أبيعهم بدو قيت للروم فقال البطرنى أسلمت أمرى وأمرهم للحى القيوم وأقام البطرنى فى المينة الخراب حزين على ما جرى له من تكسير الغراب المنصور يقع له كلام وأما كنيار القيطلانى فانه أقام يعمر مركب ويجمع عساكر مدة تسعة أشهر واذا بضجة ارتفعت سأل عن الخبر فأعلموه بقدوم جوان فطلع اليه وتلقاه وأكرمه وحياه وأخبره بالذى جرى قال جوان فى هذه النوبة نأخذ بلاد المسلمين وجوان الضامن لك وان مات من عسكرك أحد يبقى الحق على ولكن أنت نسيت حاجة فقال كنيار إيش الحاجة ياأبونا قال جوان لما كسرت غراب رين المسلمين كنت تعمل غراب احسن منه وتخدم البطرنى فيه ويبقى من تحت أمرك انت وان تماصى عليك اقتله ولا يبقى على ظهر البحر ملوك إلا أنت فقط فقال كنيار صدقت لكن ياأبونا البطرنى يرضى يخدمنى قال جوان ان مارضيش منشاره فعند ذلك حضر أبو بكر البطرنى وكان فى هذه المدة يصطاد سمك من البحر ويشويه على المينة الخراب ويأكله ومقيم على صلاته وعبادته ويطلب من الله الفرج له ولرفاقه فلما طلبه الملعون كنيار قال اريد منك أن تنشى غراب مثل غراب رين المسلمين الذى كسرته فقال له أبو بكر البطرنى إذا اردت ذلك أنا أنشى لك طلبك لكن برجال رأما وحدى ما اقدرشى فقال له أنا أحضر لك رجالك فقال جوان كيف يا بن تحضر له رجاله ربما أن يأخذهم ويهرب فقاله كنيار يا أبونا من أين يهرب إذا كانت السلسلة مشدودة فى الابراج وكان بوغاز القيطلانية ما كان صحيح وفى كل بر قلعة ذات اليمين وذات اليسار ومعمول المينة سلسلة حديد مربوط طرفها بالبرج اليسار والطرف الثانى فى البرج اليمين ملفوف على عامود نحاس أصفر إذا أرادوا حصار المينة ومنع الداخل والخارج يدوروا العامود فتلف عليه السلسلة وتشد على وجه البحر فتمنع المراكب من الدخول

والخروج ولما تكلم البطرني مع كنيار القيطلاني وطلب رجاله فارسل كنيار شد السد
من البروج واطلق المغاربة وأمر البطرني أن يشتغل غليون كما ذكرنا وأعجب ماذكر
في هذه السيرة أن الغراب المنصور كان أصله غليون الوزير القيطلاني وكسره أبو بكر
البطرني وصنعه الغراب المنصور وكان طوله ثمانين ذراعا استنبولي وعرضه أربعين
فلما كان ذلك اليوم فانشا أبو بكر غليون طوله مائة وعشرون ذراع وعرضه ثمانين
واجتهدوا المغاربة في تجارة الأخشاب مدة ستين يوم حتى تكامل تسميره على اصطلاح
أهل مصر وبعد ذلك قلفطوه ودهنوه فلما تم ثلاثة أشهر حتى تكامل وأرادوا نزوله
في البحر فقال كنيار القيطلاني يامسلمين أعماركم على نزول هذا الغليون في البحر وكان
قصد الملعون بذلك يتعالى على أبو بكر البطرني وإذا ماقدرش على نزول الغليون يقتله
وهذا من تدبير جوان فلما كان عصر النهار وكان أبو بكر صافف المغاربة صفوف
ويرومون أن يجتهدوا في الفلك فقط ومقبل المغاوري من البر وهو يذكر الله تعالى
[قال الراوي] ثم انه قال يا أبو بكر عوض الله ملككم يعني ملك الاسلام ودبر
الكفرة اللئام ولكن التدبير لله الملك العلام وتدبيره أعظم هذاك المنصور وهذا هو
العظمى والعظمة لله ياصاحب الحي العظيم قوم معنا ودفع الغراب فصار الغليون يجري
على الأرض كأنه الجواد العربي حتى بقي في البحر ففرح كنيار القيطلاني وعمل شنك
عظيم وقدم له صواري وقرايا بمعرفة أبو بكر البطرني حتى تكاملت آلاته ونزلت فيه
ثلاثمائة وستة وستون مدفع من النحاس ونزل جبخانه تقوم بمقامه شهر كامل في الحرب
ونزل فيه فروشات وعلوفات حتى لم بقي يحتاج إلى شيء ونزل هو وجوان والبرتقش
يتفرجون عليه فانبسط جوان وقال يا برتقش ان هذا الغليون لم أحد حاز مثله إلا
كنيار القيطلاني فقال له البرتقش والله ياجوان عمرك ماعملت جميلة للمسلمين إلا عمارة
هذا الغليون ولاشك أن هذا من سعادة ملك الاسلام الملك الظاهر حتى أوصله على
عمارة هذا ويروح له بلا تعب وأنت لم ينوبك إلا علقة أنا كلها وإلا تهرب والليل أمسى

تم الجزء الثالث والعشرون ويليه الجزء الرابع والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الرابع والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وقال البرتقش لجوان هذا الغليون لابد أن يأخذه ملك المسلمين وانت تأكل علقة وتهرب ويضيق عليك فى وجهك كل مذهب فقال لجوان متى قال إن جوان قال لكنيار القيطلانى إذا كان الغليون تكامل بقى ايش مرادك بالبطريق عده إلى السجن كما كان فقال كنيار يا أبانا أما البطريق لابد من قتله فانه قتل أبانا الوزير القيطلانى ولكن يا أبانا قبل كل شىء اريد آمر أن يمشى الغليون من حد المينة إلى حد السلسلة حتى نعلم منه سفر ذلك الغراب وبعده اقتله قال جوان صدقت ولكن لما تريد تمشى الغليون على البحر خذنى معك حتى يحصل للغليون بركة جوان قال كنيار فى هذه الليلة ويكون نزولنا بكرة من أول النهار ولما كان ثانى الايام قدم كنيار القيطلانى راكبا على حصانه وصحبته مائة من أكابر أعوانه وجوان والبرتقش ونزلوا فى قلب الغليون وأمر البطريق أن يرفع المراسى وأن يمشى الغليون فى بحر البغاز من حد المينة إلى حد السلسلة وكانت مسافة ست ساعات فرفع البطريق المراسى طائعا ممتثلا لكنيار القيطلانى وقعد على دفة الغراب وصاح على المعلمين من المغاربة كل من هو فى مرتبته وفرد القماش وسار بالغليون حتى وصل إلى السلسلة آخر النهار فقال كنيار عد إلى المينة قال البطريق حاضر يا سيد ودار القماش وسافر به حتى وصل المينا وكان فات ربع الليل وكنيار وجوان والبرتقش ومن معهم قاعدين وبينهم صحبة المدام فمازجت الخمرة رؤسهم فقال كنيار يامسلم عد إلى السلسلة فقال مرحبا وعاد طالب السلسلة فرأى السلسلة غطست فى البحر والسبب فى ذلك ان البحر المالح يزيد مع الفلك ولما رأى البطريق أن السلسلة غطست تذكر زيادة البحر فطمع أن يفوت الغراب من جوفها وقال

لعل الذى نجى من الجب يوسف ... ومن على يعقوب إذ مسه الضر
وأنقذ ابراهيم من نار قومه ... وصبر موسى حين فارقه الخضر

يمن على ضعفى ويرحم ذلى فقد ضاقت الاوقات وانقطع الصبر

ثم ان القبطان ابا بكر صاح على المغاربة وقال ياأولاد عيشة كلكم روحوا الى مز-
الغليون فراحوا جميعا وراءه فارتفع مقدم الغراب ثلثية على السلسلة فصاح كلكم
عودوا قدام بسرعة فجاءوا بسرعة فانكبس المقدم وارتفع المؤخر فخرج الغراب
من فوق السلسلة وكان قماشه ملآن بالهواء فطار كما يطير الجارح على وجه البحر
وساعده المولى بالريح الطيب المعتدل [يا سادة] كل هذا والملعون كنيار قاعد يتعاطى
الخمرة مع جوان والبرتقش هذا والبطرنى يقول هذه ليلتك ياسيدى عبدالله يامغاورى
أدركنى ياأبا جابر ومادام الغليون طائرا حتى قرب الفجر فقال البطريق يامغاربة
قالوا له نعم ياسيدى قال اهجموا على أولاد الكفرة واقبضوا على جوان والبرتقش
ومابقى ارموه فى البحر بعد ماتنحوا رأسه وفى ذلك الوقت قال كنيار للقيطلانى هيا
يامسلم بنا الى المينة لما أطلع فقال البطريق خليك اطلع على مينة الاسكندرية والله
ياابن الكافر ان خليتك تنظر القيطلانى فما أكون من ظهر أبى باطحان ياابن الطحان
والتفت البرتقش وقال ياأبانا هات البشارة اعلم اننا بيننا وبين القيطلانى بعد السماء
عن الارض وطبقت عليهم المغاربة فذبحوا جميع النصارى الذى فى الغليون وأرموهم
فى البحر هذا وكنيار سكران يقول يا بطريق خش المينة فقال البطريق ايش المينة
خش الزندلة ياابن الكافر وهجم عليه فشد كتفيه وقوى منه السواعد والاطراف
ووضعوه فى قلب العنبر وسافر البطريق حتى وصل الى الاسكندرية فضرب المدافع
من الغراب المنصور العظيمى رقام بيرق الاسلام ونظر باشة الاسكندرية الى ذلك
الغليون فمسك النظارة ونظر فوجد قبطان الاسلام أبابكر البطريق فطلع اليه وتلقاه
وفرح بملتقاه وكتب البطريق كتابا وسلمه للبراج بالاسكندرية فوضعه تحت جناح
طير يوصله الى مصر [الملك جالس] وأبو على البراج طالع يقول سبحان هادى
الطير وقدم الكتاب الى السلطان واذا فيه من قبطان الاسلام الى بكر البطريق الى بين
أيادى ملك الاسلام الذى نعلم به مولانا انى لما سافرت خلف الملعون كنيار تغلب على
وقبضنى وكسر الغراب المنصور بعده عملت له مكيدة كبيرة فأحضرته الى الاسكندرية
ومعه جوان والبرتقش ويكون فى شريف علمك أن على ملك القيطلان عساكر لاتعد
قادمة فى البحر على بلادنا فالحذر ياملك الاسلام وهاأنا فى الاسكندرية منتظر قدوم ملك
والسلام على النبى بدر التمام فلما سمع السلطان ذلك الكلام أمر بالتبرز الى جهة
الاسكندرية فقال علاء الدين كل يوم حارب كل يوم سافر اقه يقطع سنجق مصر والذى

يتجاوزون عليها والله ان بيع الفجل والليمون أحسن من كل سنجق وأما الملك سافر الى الاسكندرية [باسادة] وأما البطريق فانه سلم كنيار القيطلان لباشة الاسكندرية وأبق جوان والبرتقش فى الغليون عنده الى ليلة من بعض الليالى لعب جوان بعقل البرتقش وقال ياسيف الروم يمكنك أن تقرض هذا الحبل الذى فى يدى فاذا حيلتنى أحلك ونعمل طريقة تتخلص بها من هذا المركب قبل مانقع فى يد كبير المسلمين يشتفى منا فقال البرتقش أنت مرادك تنفذ من العلقة فقال جوان يابرتقش الناس مشغولون عنا وهذه ليلة مباركة نفذ فيها فتقدم البرتقش وقرض أكتاف جوان وفك الحبل باسنانه ولما خلص جوان فك البرتقش ونظر بعينه فرأى مركب تجار روم لاغاهم وهو من داخل الزندانة وعرفهم أنه جوان فجاء له القبطان وانزله ليلا وأراد ان يهرب به فقال جوان اصبر لما تأتى بالبب كنيار فصبر دور الملعون جوان فلم يلق كنيارا وكان القبطان الذى مع جوان أصله من القيطلان فقال لجوان ياأبانا سفرك معى الى القيطلان من غير البب كنيار يصعب على اخوته فقال جوان أنا قصدى أسرق البطريق وبالامر المقدر ان البطريق فى هذه الساعة قام وأراد النزول فى البر والدنيا ليل فظن ان ذلك الوورق متاع المراكبية فنزل وقال طلعونى البر ولم يعلم ما كتب له الغيب فكان الملعون جوان ملاحظه وادخر له البنج فبنجه ورفعوه الى غليونهم وسافروا الى القيطلان هذا ما جرى وأما ما كان من كندروز وعبدالصليب فانهم باتوا واصبحوا فلم يجدوا الغراب العظيمى ولا جوان ولا البطريق ولا كنيار فعلموا ان المكيدة دخلت على كنيار وأخذ هو وجوان فنزلوا الملكين فى المراكب وكانت ثلاثمائة مركب وسافروا قاصدين بلاد الاسلام فالتقاهم القبطان قريبة ومعه جوان والبرتقش وطلع جوان الى كنيار وعبدالصليب وأعلمهما ان البطريق عمل حيلة وهاأنا عملت حيلة ونظير ما سرقنى وسرق كنيار أسرقته وأتيت به اليكم فقال كندروز اقتلوه وارموا رأسه وجثته فى البحر فقال البرتقش نخاف ان المسلمين يقتلوا كنيار وانما لما نصلوا بلادهم ونحاربوهم وتخلصوا كنيار منهم نبقى نقتلوا البطريق فقالوا الملوك كذا طيب ثم انهم ساروا طالبين الاسكندرية هذا ما جرى [وأما] الملك الظاهر فانه اقبل الى الاسكندرية وهو فرحان وتلقاه الباشا وسلم عليه وقدم كنيار الى بين يديه واعلمه ان جوان والبرتقش مع القيطلان أبو بكر البطريق فسأل السلطان عن البطريق واذا بجماعة من المغاربة طلعوا وأعلموا السلطان بهروب جوان والبرتقش وفقد قبطان الاسلام فقال الملك وماهذه الا أعمال جوان [قال الراوى] وكان الملك عرنوس لما بلغه ان كنيار هرب فسار الى مدينة الرخام ووضع له غليونا سماه السحاب

السيار وأنزل فيه كلما يحتاج وأتى إلى اسكندرية وحكم حضوره يوم قدوم السلطان فطلع إلى الملك وسلم عليه فأخبره السلطان بفقد البطريق وأن ملوك القيطلان قادمون فقال الملك عرنوس يا مولانا انزل عساكرك أنت فى البحر وأنا بنفسك املك القيطلان فعند ذلك أمر السلطان العساكر بنزول المراكب وفرد القماش على وجه البحر وسافروا اياما فلا نال إلى يوم طلع الملك عرنوس فرأى مراكب القيطلان لهم اجنحة كالطيور وقلوعهم كأجنحة النسور فال بغليونه إلى جانب الغراب العظيم وطلع إلى السلطان وقبل يده وقال يا ملك الاسلام قد اشرفنا على اعدتنا الكفار اللئام ثم ان الملك عرنوس مسك النفير بيده وصاح فيه بكلام البحارة فاجتمع المراكب اليه فصفهم صفوفا ثمانية كل صف خمسة وعشرين مركبا وامرهم أن يكونوا حذو كل قلعة اربع صفوف وجعل الغراب العظيم بينهم والملك الظاهر فيه وأما بقية المراكب جعل فى كل منها اميرا والمقدم فداوى وما فرغ من الترتيب حتى اقبلت مراكب الأعداء ونظروا إلى صفوف الاسلام فقال جوان يا برتقش على الحساب إن المسلمين ما يعرفون شيئا من حروب البحر وأنا رأيت ترتيبهم ترتيبا مليحا والقبطان الذى يعرف حرب البحر البطريق عندنا مسجون فقال البرتقش يا جوان المسلمون مثل موج البحر لا يفرغ عددهم ولكن انا اقول ان الذى رتب لهم ذلك الترتيب الديابلو عرنوس فعند ذلك صف كنوير مراكبه وكذا عبد الصليب صف مراكبه وكانوا أربعمائة مركب فصفهم ثمان صفوف وكل صف خمسين مركبا وكتب الملك كتابا وأعطاه إلى المقدم إبراهيم بن حسن فنزل فى غرقوط وسار إلى الغليون الذى فيه كنوير القيطلانى وكان جوان والبرتقش فى الصف الثامن مع عبد الصليب رأسا كنوير كان فى أول صف فأعطاه الكتاب ولكن بغير تهديد لأن المقدم إبراهيم يخاف من البحر فأخذه كنوير وقرأه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الأعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام إلى بين أيادى ملوك القيطلان بلغ من قدركم يا ملاعين التجرى إلى هذا الحد حتى انكم كسرتم الغراب المنصور وفعلتم ما فعلتم والذى حصل إلى هذا الحد فان اردتم السلامة تقبضوا على جوان وغلامه البرتقش وتطلعوا قبطان الاسلام البطريق وأحاسبكم على ما تكلفت ركبتى إلى حد الآن وآخذ عليكم الجزية والخراج فى كل عام وأطأ رؤوسكم بقدمى فان فعلتم ذلك اطلقت لكم كنيار القيطلانى وإن خالفتم خربت بلادكم وأرملت نساكم وأيتمت أولادكم واهدم اطلالكم على رؤوسكم والسيف أصدق انباء من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والسلام

على نبي ظالت على رأسه الغمام فأعطى الكتاب لابراهيم وأعطى له رد الجواب بالحرب وعاد إبراهيم وما صدق أن يبقى عند السلطان فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقرأ الملك الكتاب ورآه بالحرب فمزقه ورماه وقال

ما يقبق الكوز إلا من تألمـــه   يشكو إلى الماء ما قاسى من النار

لو كل كاب عوى القمته حجرا   لاصبح الصخر مثقالا بدينار

وأمر بدق الطبل الحربي فقال علاء الدين اليسير الله يا بشتك إذا نزل نصراني وطلب حربنا واحنا كم احنا قادرين نقعد في المراكب من غير حرب وبطنك تقول بقبق وإذا أكلنا لقمة تنزل من حلقنا والله العظيم ضرر قليل إن كنا بقينا نشوف وجه ستي جلسن [وأما] عمارة القيطلان فانها ماجت وخرج منها غليون وأراد أن يوصل فخرج الملك عرنوس بمركبه السحاب السيار وصاح على مراكب الاسلام لا أحد يتحرك من مكانه ولطم ذلك الغليون وقفريقا على شاطىء مركبه فصاح يا كلاب الروم ترون الملك عرنوس الديابلو فقال النصارى هو الديابلو وهنا البحر وصار العزيز فيهم يطلب البحر بثيابه وأما عرنوس فانه شك الكلاليب في ذلك المركب وقفريقا في قلبها وتبعه من أولاد ملوك البرتقان جماعة وكان معه ابوه المقدم معروف فما كانت إلا ساعة حتى أهلك كل من في المركب وأسر نحو مائتي نفر والباقي راحوا على براشق السيوف وان الذى كان في المركب الف نفر فأسر مائتين وقتل خمسمائة وغرق ثلاثمائة ولا فرغ النهار حتى جاء بالمركب فارغة والأسرى في الحبال وثانى الأيام كذلك وثالث الايام أخذ مركبين فان الملعون جوان خلاه ملهى في مركب وأرسل الثانية فما لحقت تصل حتى كان عرنوس مسك الاولى هو وأبيه والتقوا بالثانية أهلكوا من فيها وعادوا آخر النهار والمركبين مقادين معهم ومعهم ثلاثمائة أسير وعاد عرنوس وطلع آخر النهار قبل يد السلطان ففرح به وقال والله يا ملك عرنوس لولاك وإلا كانوا افترسونا هؤلاء الكفار لأن عسكرى كلهم ما يعلموا حرب البحر فقال عرنوس يا ملك الدولة ما أنا إلا عبدك وخادمك ومملوك دولتك فشكره السلطان على ذلك ودام الحرب كذلك مدة أربعين يوما حتى إن الملك عرنوس هدم نصف مراكب من مراكب الكفار فضجوا النصارى وراحوا لجوان وقالوا له يا أبانا من الذى يقدر منا ثبت قدام الديابلو عرنوس وإن دام بحربه أفنانا ولا يبقى منا أحد فقال جوان أقول لكم على رأى صواب وهو أن الذى علم الديابلو عرنوسا الحرب في البحر كنيار القيطلانى فكاتبوا ملك المسلمين يطلق لكم كنيارا وتطلقوا له أبا بكر البطريق وهو الذى قتل الديابلو فاذا

قتل الديابلوا واسر فان المسلمين بعده فشار فقالوا له صدقت فعند ذلك كتب كنوين وعبد الصليب كتابا إلى ملك الاسلام يقول فيه اعلم ياملك المسلمين ان الحرب بيننا وبينك اتصل ولا بقى انفصال إلا ببلوغ الآمال ولكن انت عندك كنيار القيطلانى محبوس ونحن عندنا ابو بكر البطريق فرسل لنا كنيارا ونحن نرسل ابا بكر البطريق والحرب بيننا حتى ينتهى القتال .

[ولما] وصل الكتاب إلى السلطان عرف مكر جوان وعرف ان قصده هلاك الملك عرنوس فاحضر عرنوسا وقرا عليه الكتاب فقال عرنوس انا عندى الشعرة فى بدن القبطان تساوى كل اهل الشرك جميعا اطلبه يا ملك منهم واعطيهم كنيارا وان نزل كنيار وحارب أنا بعون الله ما أخليه يعود والحقه بقوم عاد وثمود ففرح الملك بكلامه ورد الجواب بالرضا والاجابة فاحضر جوان البطريق وحلفه أن يخلى السلطان مطلق كنيارا لخلف وما فرغ النهار إلا وأبو بكر البطريق عند السلطان ففرح به السلطان وأطلق كنيارا فلما كان ثانى الأيام قال البطريق يامولانا إيش بدك بالأسارى اربطهم على المدافع واضربهم بالنار حتى تتكسر قلوب الكفار فامر الملك بربط الأسارى على المدافع وضربهم بالجلل ونظرت النصارى ذلك فدخلوا على جوان وقالوا يا أبانا المسلمون يضربون النصارى بالجلل على المدافع قال جوان افعلوا مثلهم قالوا ما عندنا شيء من المسلمين فقال لهم خذوا من النصارى الضعفاء الذين أضعفهم البحر واضربوهم بالمدافع بعدما تلبسوهم لبس المسلمين ففعلوا ذلك ونظر السلطان فاحضر البطريق وقال لهم عندى أسارى من المسلمين فقال يا ملك ما عندهم أحد ونزل البطريق ليلا وأحضر من القتلى جماعة فرآهم نصارى لابسين لباس اسلام فاطمأن السلطان

[وأما] كنيار القيطلانى فانه لما انطلق من عند السلطان نزل فى زورق وسار حتى وصل إلى عمارة الكفرة وطلع على اخوته فتلقوه وفرحوا بقدومه وشكوا له من حرب المسلمين فقال لهم أنا الذى علمت الديابلو عرنوسا الحرب فى البحر حتى انه بلغ فى عساكرنا إلى هذا الحد وأنا أنزل بكرة وأطلبه فى القرفوط ولا يكون إلا أنا وإياه ولا أرجع عنه حتى أجعله طعاما للسمك فقال جوان يابى وأنا كان أساعدك وأقرأ لك شرح التوسة على قلة النصفة ولما كان عند الصباح أحضر قرفوطا من الخشب الهندى مصفحا بالحديد الصينى ووضع ثلاث مدافع وعباهم بالبارود وأخذ معه قبطان شاطر ولبس على بدنه بدلة من جلد السمك الأسود وأخذ قارورة ملآنة من زيت النفط ونزل فى قلب ذلك القرفوط وسار حتى قارب عمارة الاسلام ونادى يامسلمين الذى مضى كان وانقضى وهاهو خرج كنيار القيطلانى فى وسيع الفضاء فدونكم والانصاف ان كان فيكم أحد له خبرة

بالحرب على وجه البحر فليخرج لمقام التلاقي فأراد الملك عرنوس أن يخرج اليه فقال
القبطان أبو بكر البطريق يا ملك عرنوس يكفي ما فعلت وأنا محبوس عند أولاد
الكفرة وحياة رأس هذا الملك الظاهر ما عدت تخرج للحرب إلا إذا قتلت أنا هذا
ابن الطحان وانحى راسه واهدم من الدنيا اساسه وأما إذا هو قتلني فدونك وماتريد
فقال الملك عرنوس يا قبطان الاسلام ماأنا إلا من بعض غلمانك وكنا طالبين الجهاد
فى طاعة رب العباد وإنما على لأنك معذور لكونك كنت فى الحبس ولسمك ثعبان
فقال البطريق ياملك عرنوس شكر الله فضلك وكذلك هذا الملعون كان مثلي محبوسا
وإن شاء الله يكون هذا النهار آخر أيامه من الدنيا ثم ان الرئيس أبا بكر خرج فرقوطا
من خشب البلوط مصفحا بصفائح النحاس الاصفر وأنزل فيه مدفعا واحدا وعبأ فيه
ما يكفيه من البارود ووضع قلة مفلوقة فلقتين وبينهما سلسلة بولاد نصف باع اثنى
كلاب ولبس على بدنه بدلة من جلد السمك الابيض وأخذ قارورة ملآنة روح الزيت
المغربي فضرب الماء ونزل فى قلب الفرقوط وخرج إلى كنيار القيطلاني وقال له ها أنا
جئتك يا ابن الكافرة وتصالحا الاثنان وتقابلا على ظهر البحر ساعة زمانية فعند ذلك
اعتدل كنيار القيطلاني إلى أبي بكر وضربه بأول مدفع فبرم دفة الزورق فداربه كما
يدور الحصان فى الميدان وراحت القلة خائبة بعدما كانت صائبة فضربه بالمدفع الثاني
فدار الزورق وسار المقدم محل المؤخر وخابت الحلة الثانية فضربه بالمدفع الثالث
فابطله كذلك وقال له إيش الآخر يا ابن الكافرة ووزن بينه وبينه على قدر عزم المدفع
وضربه إلى العالي فنظر كنيار وقال البطريق ضرب الشماء فما تم تلك الكلمة حتى نزل القصاص
قص الفرقوط فطب كنيار فى البحر قال البطريق وراءك يا ابن القحبة وطب خلفه
وغاب الاثنان وبعدها ظهر على وجه البحر بقعة دم قدر الرغيف واتسعت حتى بقت
قدر الغربال وبعدها سالت على وجه البحر ثم ظهر واحد لابس جلد السمك الاسود
وكان قريبا من مراكب النصارى فنطنطوا وفرحوا وأيقنوا انه كنيار القيطلاني فاغتاظ
السلطان وقال لعرنوس انظر الخبر ماهو فقال إبراهيم ياملك الدولة أما الدم دم كافر
وهذا الذى ظهر من البحر كانه قبطان الاسلام وهاهو غطس فى البحر ثانيا وسوف يأتى
من عندنا قريبا فما تم المقدم إبراهيم كلامه إلا والبطريق تحت الغراب العظيم ظهر
وصاح ياأولاد عيشه فأتوه المغاربة ورموا له حبلا وجذبوه حتى صار فى الغراب العظيم
وراس كنيار القيطلاني بيده فعندها اشتغل ضرب النار بالمدافع بين الاسلام والكفار
إلى آخر النهار

[را] امسى المسا تقدم البطريق قبل ايادى السلطان وكان ذلك اليوم النصر للاسلام لأن

البطريق والملك عرنوس أخذا خمس غلاين من الأسارى خلاف الذى تكسر هذا والمقدم ابراهيم يتقبض من خوف البحر ويقول والله ماحرب البحر الانقمة فسأل السلطان وقال ياقبطان الاسلام إيش جرى بينك وبين كنيار القيطلانى فقال الرئيس أبو بكر يا مولاى عجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فقال الملك بايش قتلته ولم يكن معك سيف ولا خنجر فقال أبو بكر البطريق يامولانا لم أنزل البحر ونزلت وراءه أنا فحكم نزولى إلى قاع البحر من تحته فلما علم الملعون بى فانحنى على ومسك رقبتى وأراد خنقى بيديه فقبضته من بيضه وعصرت عليه حتى علمت أنه غمى عليه وساعدنى دخول المياه وقدرة الله فقبضت عليه ولم أجد سلاحا أقطع رأسه فقطعتها باسنانى وطلعت من البحر فرأيت نفسى تحت عمارة الكفرة فخفت أن يعلموا بى فيضربونى بالنبال فاخذت نفسى ونزلت أدركت الكافر ثانيا وقلعت بدلته السوداء ولبستها لأجل إذا رأونى الكفرة يظنونى كنيار فلم يؤذونى وكان الأمر كذلك وطلعت قريبا منهم ولم يعرفونى بموجب لبس كنيار وبعدها صحت على رجالى وأخذونى فقال السلطان ما شاء الله عليك من قبطان وعلى وجه البحر سلطان ونعم سلطان ولكن كان إبن أخى الملك عرنوس تعب أيام بكثرة وأنت يادوب قتلت كنيار القيطلانى فقال البطريق يامولاى فى الليلة هذه ترى العجب ثم أن القبطان قام على حيله وأخذ الملوينة البولاد ولبس بدلة البحر ورمى نفسه فى وسط الأمواج وسار حتى أنه وصل إلى عمارة الكفرة فتقدم إلى مركب وركب الملوينة تحت عنبرها ودورها وقرص عليها فاخلع منها لوحا ودخلت المياه فهاجت النصارى وقالوا غرقنا ياقريبة غرقنا يابواص ونزلت المركب بهم إلى قاع البحر فتركهم ومضى إلى غيرهم مركب بعد مركب حتى غرق خمسين مركبا وطلع النهار فنظروا أهل الصف الذى وراءهم فظنوا أنهم تأخروا وتركوا الحرب عليهم فتسارعوا وأرسلوا يعلمو البب عبد الصليب بذلك وسألوه عن كنوبر وكان كنوبر قتل مع جملة من كان فى المراكب الذى غرقهم أبو بكر البطريق وبطل الحرب ذلك اليوم وفى الليلة الثانية نزل القبطان أبو بكر البطريق وقال نويت الجهاد واشتغل بالملوينة مثل الليلة الماضية فاتلفت خمسين عليونا وغرق أصحابها وثالت ليلة كذلك سبع ليالى هلك سبع صفوف ولم يبق الاصف واحد وفيه البب عبد الصليب فقال له جوان ياولدى اهرب بنا إلى مدينة القيطلان وأنا أدبر على هلاك المسلمين فعندها القفوا المرسى وفردوا القلوع فلما نظر السلطان قال يا بطريق قال البطريق وراءهم يامولاى والله ماأرجع عن هذه البلدة حتى نخربها ونهلك كل من فيها من أولاد الكفار

ولفقوا المراسى وساروا على وجه البحر حتى وصلوا القيطلار فكان الملعون عبد الصليب دخل إلى المينا وشد السلسلة فمنع عمارة السلطان عن الدخول للقيطلار فقال السلطان ادخل يا بطريق قال يا مولانا من أين ندخل البغاز متمسك بسلسلة حديد قال السلطان اقطعها بالمدفع فقال البطريق لا يمكن قطعها فقفز اليه رجل وقال له أى شىء يمنعك عن الدخول فقال لو أجد من يرخى السلسلة فى البحر قدر ثلاثة أذرع كنت أدخل المينة فقال أنا أفك لك السلسلة كلها وأخذ له جراب ونزل البحر وكان هذا سلطان الحصون المقدم جمال الدين شيحة ودخل إلى البر على البرج الذى فيه ملف السلسلة فنظر إلى إلى رجل فداوى واقفا فظن أنه كافر فلاغاه بكلام الافرنج ونزل عليه حتى بقيا فى وسط البرج وإذا بهذا الفداوى جذب شاكريته وهجم على شيحة وقال شيحة قاقرن وضربه بالشاكرية فقفز شيحة وطلع على العمود فقال الفداوى أنا أدقك دق الكبيبة وأعصرك عصر الحلفا وحط كتفه فى الناف ليحل السلسلة وقصده بعد حلها يرجع يلفها ثانيا فارمى عليه دخنة بنجه وارمى نبلة بتذكرة فى الغراب العظيم أخدها سعد اعطاها للملك يذكر فيها إلى ملك الاسلام ادخل مينة القيطلان فان السلسلة نزلت فى البحر فكبست مراكب الاسلام وملكوا مينة القيطلان وطلعت العساكر إلى البر ونصبوا الخيام وحط السلطان على مدينة القيطلان فعند ذلك قفل عبد الصليب البلد وحصن الاسوار فالتفت اليه جوان وقال له لا تخاف من المسلمين فانهم جميعا تعبانين من البحر وضعفاء اركب واخرج إلى الميدان واطلب ملك المسلمين وهو تعبان من البحر قبل أن يتعافى ولا تطلب إلا هو فاذا قتلته تكون عساكره بعده فشارين وندور فيهم البتار

فقال له أمان يا أبانا بخرنى فقال البرتقش بخره يا ابانا جوان فبخره وخرج إلى الميدان وقال لا يبرز لى إلا ملك الاسلام قال السلطان من دعى فلجب هات يا عثمان الحصان فانزل إلى ذلك الملعون فركب السلطان الحصان وبارز الملعون وضايقه وضربه بالنمشة على وريديه فاطار رأسه من بين كتفيه وسارع إلى أبواب البلد وتبعه عرنوس ومعروف وإبراهيم وسعد ومنصور العقاب وحسن القسر وباقى بنو اسماعيل وهجموا على القيطلان فزلزلوها ودام الملك يضرب بسيفه حتى طلع إلى أعلى الديوان وجعل الدنيا كلها رمام وأما المقدم معروف فكم أبرى بسيفه أعناقا واكتافا وابنه الملك عرنوس كم أخرق صدورا وقطع رؤساء لافرغ النهار إلا والقيطلان بيد الملك الظاهر وصار يدور فى أماكنها وإذا بغلام مقبل فأخذ بذيل السلطان ووضعه على رأسه فقال الملك

أنت ابن من فقال ياملك أنا ابن عبد الصليب ثم قال يا دين المسلمين اعلم ان اباه وأعمامه هلكوا وأريد أن أقيم تحت حكمك وأورد الجزية مثل ملوك الروم فى كل عام وإن حصل منى أدنى خلل فسيفك ياملك طويل فعفى عنه السلطان وأمره بالاقامة بمدينة القيطلان وأخذ عليه الشروط المعتادة ويكون تحت أمر أبى بكر البطريق وان اختلف يجرى له مثل ابيه وأعمامه فطالع الملك إلى عرضيه وجلس وإذا بشيحة مقبل عليه شايل حجران فقال السلطان أى شىء معك يا أخى

فقال شيحة هذا الذى أرخى لنا السلسلة

[قال الراوى] وكان هذا الفداوى يقال له المقدم سمعان المر وهو من بنى إسماعيل وكان عارس اللجج فورد على تلك المدينة وهى القيطلان فاما جلس فى القيطلان اقام يتلصص على مال يأخذه حتى انه يبلغ مقصده فاتى فى ليلة من الليالى وارمى مفرده على سراية كنيار القيطلانى فوجد بنتا نائمة فترلع امله بحبها فدخل على كنيار ومن عشقه لها قال له يا معلم كنيار تزوجنى بنتك والاقتلتك وكان كنيار مشغولا بحرب المسلمين فعاهده انه بعدما يخلص من حرب المسلمين يزوجه بها على شرط أن يكون غفيرا على برج السلسلة وضامنا عدم انفكاكها فاقام بها حتى حضر المقدم جمال الدين وقبضه من ذلك المكان وأتى به قدام السلطان واعرض عليه الاطاعة فقال لا أطيع إلا إذا أعطيتنى نور المسيح بنت كنيار القيطلانى وأكون عبدك وخادمك فطلبها من عبد المسيح ابن عمها بوقته فاحضرها وكانت هى أيضا عشقت المقدم سمعان المر وكتب شيحة اسمه على شوا كره وبعده قال المقدم معروف يا دولتلى سألتك بالله ما ترحل من هذه المدينة حتى تهدم سجن القيطلان الذى اقمت أنا فيه سبعة عشر سنة ونصف فان فى قلبى منه حسرة فقام الملك بنفسه ونظره وأمر أن يهدم فقال المقدم جمال الدين يا مولانا هذا قطع فى الحجر ولا يمكن هدمه وإنما نهدم تلك الاماكن التى فوقه بالمدافع وأيضا فيه عامود إذا انخلع تهدم البلد والسراية فأمر السلطان بكسر ذلك العامود وضرب المدافع حتى جعلوه قاعا صفصفا وبعد ذلك فرح المقدم معروف بخرابه وبعده أمر السلطان بنزول العساكر فى المراكب بعدما أخذ أموال الثلاثة ملوك وفردوا القلوع وطلبوا بلاد الاسلام وسافروا مدة أيام حتى قاربوا بلاد الاسلام فطلع عليهم ريح عاصف ففرق العمارات يوم وليلة وبعده انكشف ذلك الريح فاما الملك الظاهر فدخل الاسكندرية بجميع رجاله وانتظر العمارة حتى أقبلت ولم تأخر إلا الغليون الذى فيه الملك عرنوس فاقام السلطان فى الاسكندرية مدة ثلاثين يوما ينتظر قدوم

عرنوس فلم يحضر فارسل أبا بكر البطريق فعاد البطريق الى حد الاتقية ولم يسمع له خبرا فطلع الاتقية وسلم على أهلها وأما السلطان لما طال غياب عرنوس رحل إلى مصر وقلبه مشغول بغياب عرنوس [وكان السبب] فى غياب الملك عرنوس وهو انه لما لما يغير عليه الهواء عبر على جزيرة فى جانب البحر المالح قريبة من رومة المدائن فطلع يتفرج عليها لاجل أن يريح نفسه من تعب البحر فسار حتى وصل إلى بستان ذا أشجار وأنهار وأطيار توحد العزيز الغفار فدخل إلى هذا البستان فنظر إلى قصر فجلس بجانبه وكان القصر فيه الملكة شموس بنت البب رومان ملك رومة المدائن فلما نظرت من الطاقة ورأت عرنوسا كمثل من قال

أيا من سبا عقلى ولم آك ذا ذنب ... ومن حبه فى داخل الحشا والقلب

هل الينا نرتوى من وصالكم ... ونحظى بساعة من الوصل والقرب

فما نظرته نظرة حتى أعقبها الف حسرة فنزلت عنده وهى مسبية ووقفت بين يديه وقالت له أهلا بك وسهلا انت من أين أتيت فقال لها أنا حورى سواح فى البر الواسع واسمى عزم المسيح القاطع قالت له دستور يا عزم المسيح اطلع معى إلى قصرى لاجل أتبرك برؤيتها فطلع معها الى قصرها فأحضرت الخمرة وشرب وشربت على وجهه حتى ان المدام تمكن منها وحبه ملك جميع بدنها فارادت أن تبوسه فمنعها وأعرض عليها دين الاســـلام فأسلمت فأعطاها فصا بجوهرا مقدم صداقها وزال بكارتها وأقام عندها وترك أباه فى الجزيرة بجانب البحر وطال على معروف غيابه فاتى إلى ذلك البستان على أثره وطلع القصر فرآه ورأى زوجته معه فقال له يا ولدى إلى وأنا طول عمرى ما تزوجت غير أمك وانت كيف كل يوم تاخذ بنتا يعنى ايرك هذا من حديد فصعب على عرنوس ولكنه كتم غيظه وقال له يا ابت سافر انت الى مدينة الرخام وكن وكيلى على البلد فقال معروف كيف اسافر وأفوتك فقال عرنوس ان قعدت عندى قتلت نفسى فعاد المقدم معروف الى الغليون وأقام وقلبه مشغول على الملك عرنوس ولده هذا ما جرى [واما] الملك عرنوس فانه اقام عند زوجته وفى بعض الايام ركب البب رومان وسار الى بستانه ودخل ليزور بنته وكان وقت الظهر فنظر الى الملك عرنوس قاعدا عندها فقال له من اين انت يا غدار فقال له انا حوارى من الحواريين السياحين فى البرارى والوديان فقال له وما اسمك بين الحواريين اهل الديور والصوامع فقال اسمى عزم المسيح القاطع فقال له مرحبا بك واهلا وسهلا سر معى الى ديوانى لتعم بركاتك مكانى فسار عرنوس معه للديوان وآخر النهار عاد الى

البستان وثانى يوم كذلك وثالث يوم أقبل معروف فقال رومان من هذا ياعزم المسيح فقال هذا شريكى فى السياحة يدور البلاد ويعود على فقال رومان مرحبا بك وبشريكك معك فقال معروف ياولدى سر بنا إلى بلادنا فالملك الظاهر قلبه مشغول علينا قال عرنوس أى شيء لنا عند الظاهر حتى نروح له ولما كان ثانى يوم راح معروف إلى القليون ونزل وسافر طالبا مدينة الرخام ، وأما رومان بقى فرحانا بالملك عرنوس وإذا بضجة ارتفعت فسأل رومان عن الخبر فأعلموه بقدوم جوان فقام اليه وتلقاه ولما جلس عنده أخبره بعزم المسيح القاطع ووصفه له فقال هذا الدبابرو عرنوس حكى له على أصله فاشتغل قلب البب رومان على بنته فقال جوان أنا أقبض لك عليه ثم أمره أن يخفيه ووضع له البنج فى الخزة فلما قدم الملك عرنوس أمر له بكاس فشرب عرنوس على غفلة فتبنج وظهر جوان فقال له يادبابرو أتهجم على بنات الملوك كانك أخذت الدنيا كلها وحدك وأمر رومان بقتله فقال البرتقش إذا قتلته وأبوه يعلم أنه عند البب رومان يأتيكم رب المسلمين بحرب رومة المدائن والرأى عندى حبسه حتى تنظر على أى حالة يكون الأمر فوضعوه فى السجن وكان بالقرب من رومة المدائن دير دير السراريب وفيه من بترك اسمه البترك موسى النصارى مقامه مشهور وعند الاسلام فداوى شريف واسمه المقدم موسى بن حسن القصاص وله كوان وأتباع يطوفون على بلاد الروم فيأتون منها بالغنائم ومن جملة تلامذة المقدم إبراهيم بن حسن وهو مقيم بذلك الدير فبلغه ما جرى للملك عرنوس فى رومة المدائن فاقتضى نظره أنه يرسل للملك الظاهر ويعلمه بالخبر فبينما هو كذلك وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل عليه فلما رآه قام له وتلقاه وفرح به غاية الفرح وقال له يامقدم جمال الدين الملك عرنوس مسجون عند الملعون رومان والذى دبر على سجنه الملعون جوان فقال له يا مقدم موسى أنا مرادى هذه النوبة امسك جوان قدام النصارى وأعرفهم أنه لا يدرى فى علوم النصرانية شيئا واكسفه ولكن لا يكمل شغلى إلا اذا أنت ساعدتنى فقال المقدم موسى أنا أساعدك روحى ومالى أعطنى بكل ما تريد وأنا أكون لك أطوع من العبد فقال له أريد أن تكتب الى البب رومان وتعلمه أن فى هذه المدة يحضر حورى من الحواريين ويأمرنا باقامة شريعة المسيح كما يجب لأمر السيد المسيح فالصواب حضورك يا بب رومان لترى ما يأمرنا به المسيح عيانا وباقى الشغل على أنا فعندها كتب جوابا المقدم موسى بخطه يقول فيه من حضرة البترك موسى صاحب دير الشراريب الى كافة ملوك

الروم اعلموا أن هذه الايام يحضر حورى من الحواريين من طرف المسيح ابن مريم ويأمر أهل ملته أن يقيموا شريعته كما يجب فمن أراد أن يراه فليحضر ليلة الاحد ليقابله فى هذه الجمعة وقد اعلمتكم وشكر الرب المسيح وسلمه إلى واحد من اتباعه الذين يدورون ببلاد الروم فدخل به على البب رومان وكان الملعون جوان قاعدا بجانبه وكان البب رومان يعتقد فى البترك موسى اعتقادا زائدا فلما قرأ الكتاب التفت الى جوان وقال له يا ابانا جوان أنت تدعى انك عالم الملة ولكن المسيح لا يعلمك بشىء أبدا واما البترك موسى فانه محبوب المسيح اكثر منك وليلة الاحد يرسل له حورى يعلمه كيف يقيم شريعته كما يجب على النصارى ثم ان رومان كتب على الجواب بالاطاعة وانه يحضر ليلة الاحد واعطى الرسول مائة دينار فقال يا بب انا لم أقبل ولا أستقل احدا ثم تركه وخرج من عنده وعاد الى المقدم موسى واعلمه [واما البب] رومان فانه اعلم وزراءه مرين ومحتون انهما يكونان معه ليلة الاحد حتى يحضروا الحورى القادم من طرف المسيح فقال جوان يا بب رومان وأنا أكون معك حتى انفرج على هذا الحورى فقال البرتقش يا أبانا يغنيك المسيح عن حضورك قدام ذلك الحورى لانه من طرف المسيح والمسيح يعلم انك رجل كذاب تكذب على النصارى فى قوم يعكس الحورى فقال جوان يا برتقش أنا عقلى يقول لى أن هذا الحورى شيحة واخاف أن تكون حيلة على خلاص الدبابر وعرنوس من عند رومان فقال البرتقش إذا كان نترك فى محله اى شى يطلع من يدك وإن رحت ما ينوبك الاخيبة الامل قال جوان لابد لى من الرواح [فلما] كان فى الليلة المعلومة فرش البترك موسى الدير باطيب الفرش وبخر المخادع ببخور العنبر الخام وقد اقام ينتظر ما يجرى واحضر جميع اتباعه والبسهم وصفهم فى الدير صفة بتاركة ورهبان وعند المساء قدم البب رومان ووزراؤه مرين ومحتون وارباب دولته مقدار مائة انسان ومن جملتهم جوان والبرتقش فلما دخلوا جلسوا على الكراسى وتقدمت لهم فطائر القربان فاكلوا منها تبركا وقام البترك موسى فقرا اقداس من الانجيل وهو ينشد واتباعه يردون عليه حتى اضطرب رومان وجماعته وصار وقت الثلث الاول من الليل فعنده تقدم إلى جوان وقال له قم يا عالم الملة وهات ما عندك واقرا قداسا حتى يسمعوا نهيقك الناس فقال جوان طيب واراد أن يقوم ويفتح حلقه وإذا بصوت من فوق سطح الدير يقول اسكت فتامل الحاضرون وإذا شخص فوق السور قد طلع من فمه نار وشرار فقام من على السور وطار بعده نزل على حائط الدير وصاح يا ترك موسى أنت

كنت تقرأ قداسا واى شيء ابطلك وانت بترك الدير كان قصدك أن تبطل ليلة الاحد من غير تسبيح ولا تقديس فى ديرك من دون الديور تقدم إلى عندى وكلمنى والا أنا اتقدم اليك فقام البترك موسى ووقف قدام شرقف ذلك المكان وقال ها أنا يا حورى حضرت بين يديك فقال له أنت تستحق الادب لكونك بطلت التسبيح فى هذه الليلة اقف مكانك حتى امثل المسيح على ادبك ثم انه علا حتى بقى بينه وبين الحائط مسافة فنفخ فخرج شرار ونار حتى تصور الناس انه يريد حرقهم وبعده عاد ونزل على حائط الدير وقال يا موسى المسيح امرنى بضربك عشرين عصا وقام من على الحائط كانه طائر ونزل حتى بقى مقابلا رأس المقدم موسى واطلع مقرعة جريد وضرب البترك ثلاث مقارع على رأسه وطار وعاد الى عله وقال يا بترك موسى عد إلى مكانك وارسل إلى البب رومان فقال سمعا وطاعة فقال البترك للبب رومان قم يا البب كلم الحورى فعنده قام البب رومان ووقف الحورى يا رومان أنت ملك واكبر ملوك الروم فلاى شيء لم لا تجاهد فى دين المسيح فقال جوان كم أقول له انه يجاهد وهو لا يرضى بذلك فقال الحورى من المتكلم فقال البرتقش هذا جوان فقال الحورى واى شيء هو جوان قال هذا عالم الملة فقال الحورى أى ملة الذى هو عالمها فقال البرتقش ملة الروم فقال جوان كأنى أنا أسمع كلامك مع انى اعرفك حق المعرفة ولا اخشاك أبدا فما تم كلامه حتى نزل الحورى عليه كالطائر فوقف قدامه ونفح فى وجهه فخرج شرار ونار فحرقت شيبته ووجهه فصاح فى عرضك يا حورى أنا فى عرضك فتأخر وطلع إلى السور وقال يا رومان فقال رومان نعم فقال له اعلم أن المسيح أراد عرنوسا الديابر على دينه الصحيح فاطلبه إلى بين يديك فى هذه الساعة وجهزه بعسا كرحتى انه يقيم شريعة المسيح ويجعل الملة كلها مسيحية والكنيسة مريمية والا إن خالفت أنزل عليك غضبا من غضب المسيح فقال رومان حتى احضره بين يديك فقال الحورى قم يا بترك موسى احضره فارسل البترك موسى جماعة من اتباعه مع الوزير مرين وغابوا ساعة وأتوا ومعهم عرنوس فلما رآه قال الحورى فكوه من القيد والكتاف ففكوه فقال الحورى ياديابر وعرنوس أنت على دين المسيح الطيب الصحيح فقال له ولاى شيء مقصر فى المسلمين ولم تقاتل عن ملة المسيح فقال عرنوس من عدم اتباع ملوك الروم لى والمساعدة منهم حتى كنت أفتح ... م البلاد فقال الحوارى يا رومان كن معه على ما يريد وأرسل معه ولديرمن أولادك بالفى عسكرى ... ملوك الروم جميعا كل واحد ... يرسل ... يقدم بالفى

عسكرى حتى يملكوا بلاد المسلمين ولم نبق إلا ملة المسيح على الدين القويم الصحيح وكل من خالف فمات به هكذا ثم ان الحورى نفخ فى قلب الدير فخرج شرار و نار على المقيمين فصاحوا جميعا فى عرضك فقال لهم ادفعو جوانا وطردوه ولا يقبله منكم أحد أبدا وكل من قبله وأدخله بلدا أحرقته بالنار كما أمر المسيح صاحب الانوار ثم انه صعد إلى صور الدير وقعد قال اطردوا جوانا

فقال الوزير مرين قم اطلع يا جوان

قال البرتقش تفضل يا أبانا قبل ما يقول غير هذه الكلمة

فقال جوان تطردنى لأى شىء فنزل اليه ونفخ فى وجهه وقال اطلع يا ملعون ثم انه نفخ بصوت مزعج فخرج نار زائدة الشرار تصور للناس أن الدير احترق فصاحوا فى عرضك يا أبانا وما زالوا على جوان فطردوه هو والبرتقش فما طلع من الدير حتى أدركه أربعة من أتباع المقدم موسى ابن حسن القصاص ومعهم محمد السابق فقبضوه وكتفوه وأخفوه فى قلب الغار ثم أمر الحورى رومان بان يهىء هذه الساعة التى عسكرى ويجهز الديابرو عرنوس حتى يفتح بلاد المسلمين ولكن كمال اكليله على يديك ويكون وزيرا تحتك فقال رومان يا حورى ها أنت حاضر كمل اكليله بمعرفتك فامر تكليل اكليل المملكة شموس وان البترك موسى هو الذى يكلله فكمل البترك موسى الاكليل وقال له الحورى لا يدخل عليها إلا بعد فتح بلاد المسلمين وكان حاضرا مع البب رومان اثنان من أولاده وهما فرتين ومرتين فقالا لأبيهما نحن نروح من جملة من يسافر مع الديابرو عرنوس حتى نكتسب الفوز فى دين المسيح

فعند ذلك قال لهم رومان إذا كان هذا غرضكم أنا أمددكم بالعساكر

فقال الحورى أنتم الذين تكونوا عماد الممالك وكل ما جاء من الروم يكونوا أتباعا لكم فجهزهم ما رومان فى الوقت والساعة أحضر لهم العساكر وصارت الروم يتقاتلون على السفر مع الملك عرنوس فقال رومان لا أزيد على الفين كما أمرنى الحورى وما طلع النهار حتى تكاملت الفين من العساكر مسلحة ومعها آلة الحرب والكفاح وركب الملك عرنوس على ظهر ذات القسور وطلع فى مقدم الركبة كانه الأسد الجسور وكان ذلك الحورى هو المقدم جمال الدين شيحة وهذه البدلة كان أعطاها له سيدى عبد الله المغاورى وهى تبان وكبوط ثعبان مخيط بالكبوط يلبسه من صدره وله ستة وثلاثون زرا نحاس مرصدة إذا زرر أحدا تكون الخدام قد رفعوه قدر ذراع حتى يتم الزرار فيرتفع ستة وثلاثين ذراع وان أراد النزول يفك التزرير كلما فك زرار ينزل ذراعا حتى يصل إلى محله وان أراد أن يمشى طرا فيكون النصف مزرر والنصف بلا تزرير ويمشى برجليه بين ... وهو ... كما يسير الطير وكذلك أعطاه بوقا من النحاس إذا نفخ

فيه يتساقط منه شرار ونار كما ذكرنا وهذا كله ببركة سيدى عبد الله المغاورى ففعل مافعل [ولما] علم أن الملك عرنوسا خرج من رومة المدائن أمر رومان بالانصراف هو ومن معه إلى محل ملكه وودع المقدم موسى بن حسن وسافر المقدم جمال الدين وكان المقدم معروف وصل إلى مدينة الرخام وأراد أن يكاتب الملك الظاهر ويعلمه بما جرى وإذا بالمقدم جمال الدين عارضه فى الطريق وأعلمه بالذى جرى وقال له لابد من حضورك إلى قدوم ولدك وأنك تأخذ هذين الولدين رهنا حتى تأتى زوجته فعند ذلك فرح المقدم معروف وقعد منتظرا قدوم ولده ومن معه فما كان إلا أياما قلائل حتى أقبل الملك عرنوس ونادى يا معشر النصارى اعلموا أن هذه حيلة تمت عليكم من شيحة وأنا مسلم وهذا أبى معروف وهذه مدينة الرخام بلدى فمن أراد الاسلام فليسلم ومن أراد أن يعود فليعد وأما فرتين ومرتين أولاد البب رومان فما بقى لهم رجوع إلى أبيهم إلا إذا جاءتنى زوجتى الملكة شموس فصاح فرتين ومرتين فيمن معهم وقالوا لهم دونكم وهذا المسلم فأرادوا أن يطبقوا على عرنوس وإذا بالمقدم معروف وأولاد ملوك البرتقان أخذوه مواسطة واحتاطوا بالالفين كافر كما يحتاط السواد بالبياض أو النيل بالبلاد أو الخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم وفى أقل من ساعة أهلكوا أكثرهم وانهزم القليل وقبض الملك عرنوس على فرتين ومرتين أولاد رومان ودخل مدينة الرخام مؤيدا منصورا

فقال له أبوه يا ولدى كيف رميت نفسك

فقال كان الذى كان وهذه حيلة عملها لى عمى شيحة حتى ملكت أولاد رومان رهنا على زوجتى هذا ما جرى

[وأما] جوان فانه لما قبضه محمد السابق وأخفاه فى الغار فدخل عليه شيحة وأعطاه علقة مائة سوط وقال له يا ملعون وقعت عندى فى الشبكة وسار حتى أشرف على رومة المدائن فرأى الدنيا منقلبة برجوع المنهزمين وأخبروا بأخذ أولاد البب رومان فدخل عليه وتوجع له

فقال جوان أما قلت لك ان اخورى شيحة لم تعمل فقال له يا أبانا أنا عمرى ماسمعت أن شيحة يطير ولكن كيف التدبير فقال جوان اسكت ولا تحرك ساكنا حتى أنى أدبر لك على خلاصهم وآخذ لك بثارهم من قتل من النصارى فسكت البب رومان واتكل على تدبير جوان هذا ما جرى

[وأما] الملك الظاهر فانه جالس يوما من الايام وإذا بالمقدم نور الدين بن المقدم جمال الدين شيحة مقبل وسلم على السلطان فرحب به وأجلسه وسأله عن أبيه فأخبره بالقصة التى جرت بين عرنوس ورومان وأن أباه جمال الدين أحضره لاجل خلاص الملك عرنوس

فقال السلطان الملك يهلك رومان اسجنه للملك عرنوس لابد من المسير اليه واضرب رومة المدائن على راسه ثم ان السلطان برز العساكر وطلب السفر وقلبه يغلى على الملك عرنوس حتى وصل إلى الشام فتلقاه المقدم جمال الدين شيحة واعلمه بالقصة التى جرت وان عرنوسا راح إلى مدينة الرخام

فقال السلطان الصواب نقيم بالشام حتى نستريح وأمر العساكر بالعودة إلى مصر وان السلطان يقيم بالشام ويعمر القصر الابلق وياخذ الراحة فيه مدة أيام وأحضر المهندسين وارباب الصنائع فاصلحوا شان القصر الابلق فى مدة قليلة وقال السلطان لا أسافر من هنا حتى أتنزه على بساتين الشام فقال المقدم ابراهيم يا ملكنا إذا كنت أمرت العساكر بالرحيل اسمح لى أنا كمان أروح قلعة حوران أستودع أهلى واعود اليك عن قريب فقال السلطان روح قال سعد وأنا يا ملك فقال الملك روحوا سواء وتعالوا سواء ثم انه أمر العساكر كلا من الفداوية يروح قلعة يستريح فيها وقصد الملك وأمر الامراء بالرحيل إلى مصر واما الوزير فانه أقام فى خدمته حتى يقفل معه واقام السلطان فى القصر الابلق مدة عشرة أيام فلما كان فى اليوم الحادى عشرة وإذا برجل مقبل فوقف تحت القصر وقال مظلوم يا ملك الاسلام :

أيظلمنى الزمان وأنت فيه وتاكلنى الذئاب وأنت ليث
ويروى من جنابك كل مظمى وأظمى فى حماك وأنت غيث

قال السلطان يا دولتلى هات الرجل الذى يقول انه مظلوم فقال الوزير لخادمه هات الرجل فاحضر الخادم وأوقفه قدام السلطان فقال له الملك ياشيخ كيف تقول مظلوم وأنا كاتب على بيرقى لا ظلم اليوم ولا افلح من ظلم خبرنى أى شىء هو ظلمك وما الذى جرى عليك حتى بقيت مظلوما فقال الرجل يا ملك الاسلام أنا اسمى حسن السكرى أصلى من الشام تاجر أشترى التجارة من مصر وأبيعها بالشام وأشترى بضاعة وابيعها بمصر وانا مشارك الخواجة شمس الدين السحرتى وفى هذا العام سافرت من الشام ولى ولد صغير عمره عشر سنين تعلق بى وقت السفر فقالت زوجتى خذه معك فاخذته فلما وصلت قلعة صيدة خرج على المقدم يعقوب الصيداوى فقال لى هات غفر الطريق فقلت له هذا مال السلطان وانا فى غفره فنهب جميع مالى فبكى ولدى فقلت هكذا يكون فى حكم الملك الظاهر النهب فى الطريق فعندها مسك ولدى وذبحه وقال لى لو اعلم من يوصل خبرك لدى المسلمين لكنت قتلتك وهذا دين المسلمين قدامك فى القصر الابلق روح واعلمه بحاله غنى ما فى خيله يركبه واحضر ماى اكله يشربه فاخذت راس ولدى وسألت على

القصر الأبلق حتى دلنى الناس عليه ، وأتيت اليك ، وهذا ما وقع لى يا ملك والسلام

وهذا حطة فى حقك وأنت ملك الاسلام فقال الملك صدقت وهذا أكبر عيب وقع فى الزمان ولكن ان شاء ربى مدبر الكائنات اعطيتك المال الذى نهب منك عوضا عن مالك واقطع رأسه واسلمه الك فى نظير رأس ولدك اقعد أنت هنا ومالك وولدك تلزمه منى أنا فدعى له الرجل وأما السلطان لم يقدر على السكوت بل أخذته الحمية فطلب الحصان فقال عثمان اصبر لما يجى أبو حورتنى وأبورد بلتنى فقال السلطان هات الحصان يا رجل فركب السلطان وطلع قاصدا قلعة صيدا وأما يعقوب الصيداوى فانه لما فعل ذلك كان سكرانا فلما أفاق من سكره ونظر إلى مال التاجر سأل الرجال الذين معه فأخبروه بالتاجر ونهب ماله وقتل ولده وانه توجه للسلطان فقال كنتم قتلتم الرجل أحسن من علمه لملك المسلمين فيأتى ويعاقبنى على ما فعلت فقالوا له أنت الذى حكمت باطلاقه ومنعتنا من قتله فعند ذلك نظر إلى عسكره وكانوا أربعمائة وجعل كل مائتين على جبل لأن القلعة بين جبلين وأقام على باب القلعة بعد ما أوصى الأربعمائة الذين على الجبلين وقال لهم إذا أتانى أحد وتحاربت معه فان غلبته أخذته أسيرا واقتله وان غلبنى أنا اطلعوا على القلعة واضربوهم بالنبال من على الجبل فقالوا سمعا وطاعة وقاموا على هذا الترتيب حتى أقبل الملك الظاهر فوقعت عينه على الملعون يعقوب الصيداوى فأراد السلطان أن يتقدم ويسأله عن هذا الحال فما ترك له الملعون سؤالا فعند ذلك أطلق يعقوب على السلطان وتضاربوا بكل سيف ورمح حتى طلعت على رؤسهم الغبار ونظر الملعون إلى نفسه فعرف أنه ما هو من رجال السلطان ولا وجد له ثباتا بين يديه فى ميدان الجولان فطلب الهرب وحل به سوء المنقلب فنظر السلطان إلى هروبه وقال له يا ملعون أنا لا أتبع من انهزم ولا أهتك الحرم ولكن ان شاء الله بارىء النسم لابد من قتلك واخراب بلدك وأراد السلطان أن يعود وإذا به نزل عليه رشق النبال من على الجبل كالسيل السيال عن اليمين والشمال فنظر عين الهلاك والبلوى فرفع طرفه لعالم السر والنجوى وقال الفرج يا رب الأرباب :

يا رب يا خالق الدنيا بأجمعها ما أنت فى خلقها يارب محتاجا
يا رب انت الغنى عمن سواك وقد صورت فى الخلق أفرادا وأزواجا
ولست تعبأ بهم فى خلقهم أبدا ولا بأرزاقهم كم بائس راجا

وها أنا ضمن من قد حلت به وقد … وقعت فى خطر والقلب قد هاجا
انى دهوتك فى خوف وفى وجل … والعقل منذهلا وجدا وازعاجا
يا فارج الهم فرج ما بليت به … ما لى سواك لهذا الهم فراجا

فما تم الملك الظاهر كلامه وارتشم هو وجواده بالنبال والسهام فبينما هو كذلك واذا بالغبار ثار وعلا الى السماء وتكدر وانكشف وبان عن حجرة وهى كأنها ليلة ظلما مكسية بجلد النمورة وعلى ظهرها فارس شديد كأنه برج مشيد فصرخ صرخة أذهل الكفار ورمح على الكفار على حد المشوار فأفناهم جميعا بالبتار ولم يبق منهم ولا ديار فنظر الماتتان الذين على الجبل الثانى الى رفاقهم عادمين وبقوا جميعا على الغبرا ملحقين فولوا على أعقابهم هاربين والى القلعة قاصدين فدخلوا وقفلوا الأبواب وأيقنوا جميعا بالفناء والذهاب وأما ذلك الفارس فأتى الى السلطان فرأى درعه مثل جلد القنفذ مرشق بالنبال فصار يقلع النبلة ويدهن محلها بدهن الاستقطاب حتى قطب جميع الجوارح وقلع الدرع وقلع السلطان ثيابه بعدما بنجه ودهن كل بدنه بالمرهم البارد حتى بقى كأنه ما رأى جراحا قط والبسه ثيابه ومسح درعه وأفرغه عليه والتفت إلى الحصان وخلص النبل منه ودهنه حتى طاب وأسرجه وألجمه كما كان وبعده أيقظ السلطان فنظر اليه السلطان وتعجب من طول قامته فقال والله يا مقدم هذه الجميلة ما أنساها أبدا ولا زرعت الصنيعة التى فعلتها معى الا فى محلها فقال له من أنت الذى [illegible] فيك هذه الصنيعة يا شيخ

فقال له أنا الفقير إلى الله الملك الظاهر فصرخ فى وجهه الفداوى وقال له اخرس والله يا ظاهر لو أعلم أنك أنت الظاهر ما كنت الا جعلتك أربع قطع بالشاكرية ولكن بعدما [illegible] يمكن اعمل القبيح ولكن نوبة غير هذه النوبة أقسمك بالحسام نصفين واتركك على الأرض قطعتين فقال السلطان لأى شىء [illegible] فقال له [illegible] تسلط شيحة وترك مثلى بلا سلطنة فإن [illegible] السلطنة [illegible] هذا الجبل الذى [illegible] وخاصتك من أعدائك بعد ما أشرفت على [illegible] يا فتى انت تستحق السلطنة ولكن بعد [illegible] هذه القلعة واقطع رأس صاحبها أعطيك السلطنة فعند ذلك ضحك الفداوى وقال [illegible] ولا [illegible] الا فى أوان فركب حجرته [illegible] وأما الملك الظاهر [illegible] فأتاه الوزير شاهين [illegible] جرى له [illegible] الآخرة وقال له [illegible] رجل [illegible] حمل من شدة [illegible] الشجاعة [illegible]

السلطان فقال له يا ملك الدولة إذا مدحت شخصا فخل للهجو مطرحا فما يستحق الذى ذكرته هذا المدح كله فقال السلطان لا يا مقدم إبراهيم هذا فارس شديد وبطل صنديد فقال إبراهيم صدقت يا ملك وإنما هو يأكل القط والكلاب ويعبد النجوم دون الملك الحى القيوم وهذا أكبر عيب فى الانسان أن يكفر بالملك الديان فقال له السلطان ومن أين عرفته فقال كيف لا أعرفه وأنا وسعد وعماد والحاج شيحة كسرنا زره فى الطاحون أيام طهور عماد قال الملك من هو قال إبراهيم هذا المقدم بصير النمر بن أسد الدين البويهى يا ملك كيف لا أدريه وأنا أعرف أباه فقال السلطان هذا وعدنى أن يفتح لى قلعة صيدا وأنه يقبض لى على يعقوب الصيداوى فقال إبراهيم لا تعتمد على كلامه هذا رجل ما فيه شعرة تقبل دين الاسلام أرسل يا ملك واطلب العسكر وحط على قلعة صيد حتى تأخذها بحرب ولا تعتمد على هؤلاء الغشاش فعند ذلك جمع السلطان رجاله ورحل من الشام وسار حتى نزل على القلعة فرأى أبوابها مغلوقات فظن أن المقدم نصير النمر داخلها فأقام على حصارها ثلاثين يوما لا حرب ولا قتال وبعده التفت إلى المقدم إبراهيم وقال له أريدك أن تملكنى القلعة هذه فقال إبراهيم سمعا وطاعة سر يا سعد حتى نفتحها فسار إبراهيم وسعد ليلا حتى وصلوا تحت الاسوار فرأوها عالية لم تطل

فقال إبراهيم كيف يكون العمل يا سعد فقال سعد ارجع بنا نقول ما عرفنا شيئا

فقال إبراهيم عيب علينا فبينما هم كذلك وإذا بخيل مقبلة من الجبلين اليسار واليمين وعدتهم ألفان ويقدمهم ملكا على رؤوسهم شنفيارين وهما أولاد أخت يعقوب الصيداوى مقبلين من قلعة الشقيق نجدة لخالهم يعقوب الصيداوى فلما أقبلوا نادوا على الغفرا ففتحوا لهم الباب فاختلط إبراهيم وسعد بعساكرهم ودخلوا معهم إلى داخل القلعة فلما دخلوا الاثنان اطود [illegible] العرقد طلع معهم كبراء عساكرهم للسراية وخفراء العساكر بحرس القلعة فكان إبراهيم وسعد من أكابر العساكر فطلعوا [illegible] على المكان وجلسوا مع الجالسين وقد دارت خمرة [illegible] سعد بجانب إبراهيم وكز [illegible] كاس لسعد أعطاه لإبراهيم يشربه [illegible] حتى أن إبراهيم سكر [illegible] سقاة غلمان [illegible] من [illegible] أصحاب جمال [illegible] والذى [illegible] الرجال [illegible] قيل فيه

[illegible]

[illegible]

أمسك الكاس إبراهيم آخرا وتصور له من السكر [illegible] الغلام ميتا ل[illegible] ضربه الكاس وكان قدحا من جوهر فقفز الغلام كالغزال [illegible] الضرب بطال فقال يعقوب

الصيداوى السكر وصاح اعطوه كاسا غيره فأعطاه الساقى كاسا غيره فقال فى نفسه الأول خاب والثانى يصيب وضرب الغلام بالكاس الثانى فزاغ عنه فحكم الكاس فى الحائط فانكسر فبقى الكاسان مكسورين فأمر يعقوب الصيداوى أن يعطى له ثالثا فضرب به فانكسر فقال يعقوب يا طود يا ابن أختى علم عسكرك الأدب فقال هذا ماهو من عسكرى ولا عندى أحد قليل الأدب هذا من عسكر الفرقد فقال الفرقد ماهو من عسكرى هذا ررفيقه من عسكرك يا خالى يعقوب فقال يعقوب انا ما رأيتهما الا فى هذه الليلة ثم قال لهم من أى عسكر أنتم قال المقدم ابراهيم من عسكر هذه الشاكرية ثم انه جذب شاكرية زهير فسطعت ولمعت وصاح

فى حسامى مكتوب الله أكبر   كلاب الكفر لا يغرنكم الطمع
فى قتالى كم تروا منى البدع   انى فى الملتقى لا أنخدع
الا اذا خليت أكابركم قطع

وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السما ورمى رؤوسا كالاكر وكفوفا كأوراق الشجر فقال يعقوب الصيداوى دالى باعنادره هذا ابن الحورانى فاطبقت الكفار على المقدم ابراهيم فصار يضرب ضربات قاطعات منها الهلاك والمهات وأما سعد لما رأى تلك الفعال فما كان منه الا أنه قفز مثل الطيور فوق السور وقفز من السور ملك البر فدخل على السلطان وأعلمه بما جرى وكان فقال السلطان فكانك جئت لى بالخبر وجئت والبلد مقفول فقال سعد لاأقدر على ثلاث ملوك بعساكرهم وحدى وابراهيم سكران ولا بد الا قبضوه فتضايق السلطان لما سمع هذا الكلام فبينما هم كذلك والمقدم ابراهيم مقبل والدم على دراعيه مثل الكبد المعقود .

قال سعد جئت يا مجنون .

قال ابراهيم وأنت على أى شىء هربت فقال الملك أى شىء جرى لك يا ابراهيم فقال يا ملكنا قاتلت وحدى فجاءت رجلى على رأس قتيل فوقعت فقبضونى ووضعونى فى السجن فكان السجان الحاج شحة أطلقنى وعاتب على لكونى تعرضت لفتح البلد قال لى روح اقعد فى أدبك ولا يخصك شىء ماهذا شغلك ففرح الملك بكون شيحة فى البلد وفرح بخلاص المقدم ابراهيم ولما أصبح الله بخير الصباح فتحت القلعة وخرجت العساكر الكفرة يريدون الحرب وكان السبب أن المقدم ابراهيم لما قاتل فى الليل ووقع قبضوه وأدخلوه قدام يعقوب الصيداوى فأراد قتله فقال وزيره اوضعه فى السجن يابيت حتى يطلع النهار وتقطع رأسه على السور حتى تنظرها المسلمين وتدهمهم بعساكرنا وتمحق عددهم فوضعه فى السجن فلما دخل السجن قال له السجان يا قليل

الادب أنت مرتبيتك الحرب والا الحيل فقال وأى شىء جرى لا بد من حضور صاحبه الجايل ويخلصنى فقال له حيث أنك علمت انه صاحب الجايل فاطلع وروح لحاله وفكه وأخذه الى السور واطلعه على سلم وانزله من ثانى ناحية على مفرد فسار ابراهيم الى السلطان ولما أصبح الله الصباح طلبه يعقوب فلم يجده فأحضر السجان وسأله عنه فقال أنا ما رأيت مسلما فقال له أنا سلمته لك بيدى وضربه بالسيف فأرمى رأسه وأمر بفتح البلد وطلع عسكره وصفهم قدام عرضى السلطان كما ذكرنا واندقت الطبول الحربية وخرج من وسط النصارى بطريق ومال وجال وطلب الحرب والقتال فركب أيدمر البهلوان وأراد الخروج الى الميدان واذا بغبرة انعقدت وعجاجة ارتفعت والمقدم النمر مقبل وصاح على الامير أيدمر وقال من عندك يا بيلرجى ارجع الحرب على انا ووضع يده على الشاكرية وطبق على البطريق وضربه فأرمى رأسه والثانى ألحقه بالاول وكذلك الثالث والرابع والخامس ومادام كذلك الى آخر النهار فقتل مقتلة عظيمة وعاد آخر النهار بعدما أهلك ما يزيد عن مائة بطريق وعاد الى البر آخر النهار فقال السلطان ماشاء الله من فارس

ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما كان ثانى الايام اصطفت الكفرة اللئام وخرج منهم فارس يريد الحرب والصدام وركب أيدمر البهلوان وأراد ان يلطم ذلك الملعون واذا بالمقدم نصير النمر اقبل من البر ومنع الكفار من الحرب ولطم ايدمر البهلوان فانقلب مثل السنديان ساعة زمانية ووقف فى ركابه وصرخ على أيدمر البهلوان فادهشه وقبضه من جلباب درعه واخذه أسيرا وغاب به فى البر وعاد وطلب القتال فخرج اليه الامير علاء الدين فقاتله ساعة واخذه أسيرا وبعده أخذ الامير بشتك والامير الخبير الجاولى والامير الخطيرى وانفصل القتال ولما كان عند المساء اقبل المقدم نصير النمر وهو حامل خمس مزاريق على كل مزراق رأس امير ورشقهم قدام صيوان السلطان وقال يا ظاهر هذه خمسة من الذين تحارب بهم الرجال وعاد بعد ذلك طالب البرارى والتلالى فقال السلطان لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ولما كان فى اليوم الثانى حضر وقاتل فى الكفار واليوم الرابع أخذ خمس امارة رجاء رؤوسهم آخر النهار على خمسة مزاريق وفى اليوم الخامس قاتل فى الكفار هكذا ثمانية أيام أربعة منهم ما يزيد عن أربعمائة كافر والاربعة أيام الثانية أخذ منهم عشرين امير أولهم ايدمر البهلوان وآخرهم فارس قطايا فضاق صدر السلطان وقال يا ابراهيم كيف العمل فقال المقدم ابراهيم يا دولتلى ما بقى ينفع الا حضور الحاج شيحة واذا بالامراء مقبلين على خيولهم والمقدم جمال الدين معهم

فتعجب السلطان من ذلك الشان وقام على حيله واستقبل المقدم جمال الدين وأجلسه فقال شيحة روح يا ابراهيم هات نصير الحر من دير صيدا فقال المقدم ابراهيم قبضته باسم الله عليك يا سلطان الدنيا

فقال الملك يا أخي هذه رؤوس من فقال رؤوس الامراء وها أنا صنعت لهم رؤوسا منهم وخيطتهم لهم أحسن ما كانوا انظر يا ملك الرؤوس الذي عليهم أحسن أو الذي على المزاريق فقال السلطان هذه أحسن ولكن اعلمني بالحق وكان السبب ان المقدم نصير الحر سكن في ذلك الدير بعدما قتل كل من كان فيه ولم يبق غير البترك فجعله خادما عنده وتكون الامارة معه المخالفة فاذا قال افتح الباب يقفله واذا قال جيعان يسقيه وان طلب الماء يأتيه بالاكل وهكذا وقال له اذا قعدت خذ اصبع يدي اليسرى ترضعه مثل ثديا امك وكان المقدم جمال الدين هو البترك وأقام على ذلك فلما حارب واتى بالخمسة الامارة قال يا بترك اقطع رؤوسهم واجعلهم على مزاريق فاخذهم وأخفاهم في مخدع وأتى بخمس رؤوس من الميدان على صفاتهم وثالث يوم كذلك وخامس يوم وسابع يوم الى ان كان ذلك اليوم فقعد ولم يتفكر ان يرضع اصبعه فقام المقدم نصير الحر وقبضه في خناقه وقال له تغيرت يا قران أنت شيحة فمد يده وقال له وحياة شيبتك هذه يا خوند ما تغيرت انا بذاتي وها أنا قادم على اصبعك أرضعه وأنا في عرضك وكانت أصابعه مدهونة بالبنج فشم المقدم نصير رائحة البنج فانقلب فكتفه المقدم جمال الدين وتركه في الدير واطلع الامراء واتى بهم الى السلطان وحكى له ماجرى فقرح السلطان وحكى له ماجرى له

ففرح السلطان وقام المقدم ابراهيم وسعد فراحا الى الدير فوجدا نصيرا مطروحا على وجهه فحملوه وأتيا به الى السلطان وكان آخر النهار فلما أوقفاه قدام السلطان ايقظه المقدم جمال الدين فصرخ بصوت مزعج ونظر الى شيحة وقال له انت يا نصير الذي قبضتني فقال له نعم فقال نصير وأي شيء قصدك فقال شيحة خليك لما افضى لك واوريك ما افعل بك فعندها امر السلطان بسجنه والتحفظ عليه حتى يخاص من القلعة وفتحها وغاب المقدم جمال الدين فدخل على قلعة صيدا وهو في صفة باش سكراجي بتاع الملعون يعقوب فقال له يا بدور على الاسوار حتى تنظر الفقراء الا انهم يطلون تامفتا واخذه ودار به على الحراس ووصل معه الى سرايته وكان ... جماعة يحرس لهم البنج في النار ونومهم وفي الاخير اشيع يعقوب ... ... و... ... الحاجة ... الى السلطان ... ... بالركب ونزل ففتح

الباب فركب الملك الظاهر وصاح بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وتبعته الأبطال من كل فداوى وأمير وعلا منهم الصياح وحمل وخاض الغبار وكتمل والمقدم جمال الدين يدله بهم حتى مكن السلطان من أعلى الديوان وجلس على كرسى قلعة صيدا ودار الذبح فيمن فيها وقبض المقدم جمال الدين شيحة على يعقوب الصيداوى وقدمه قدام السلطان فأحضر الرجل التاجر وقال له هذا الذى قتل ولدك قال نعم فضربه إبراهيم فرمى رأسه وأعطاها إلى ذلك الرجل وقال له السلطان عرفنى كم مالك الذى اخذه منك فعرفه ماله وما أخـــذه منه فأعطاه السلطان ماله بالتمام ولم يضيع له منه شيئا وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار زيادة على ماله يعطيها معها رأس قاتل ولده التطفى نيران كبدها فأخذ ذلك التاجر وسافر إلى بلده فقال السلطان هاتوا نصير النمر فدوروا عليه فلم يجدوه وكان الذى أطلقه الطود والفرقد أولاد أخت يعقوب الصيداوى فانهم لما رأوا البلد قد ملكت فطلعوا هاربين ودخلوا عرضى السلطان لينظروا لهم فرصة فما وجدوا أحسن لهم من خلاص المقدم نصير لأجل أنهم مايقعان فى عرضه ويحميهما من ملك الاسلام فقال لهما مرحبا بكما أنا لابدلى من قتل الظاهر وشيحة ولو تعلقا بالنجوم أو غاصا تحت التخوم ثم انه قال لهم هل تعرفا لنا قلعة أو حصنا تقيموا فيها حتى نبلغ رشدنا من الظاهر وشيحة فقالا له لنا خال يقال له عبد الصليب سر بنا تقيموا عنده فسار معهم حتى دخل فى قلب قلعة عبد الصليب الشقيق ودخل الطود والفرقد على خالهما عبد الصليب وكان ابن خالة الصيداوى فحكيا له ما جرى فاغتم غما شديدا على المقدم يعقوب وأكرم المقدم نصير النمر وأقاموا شراشى العصيان وتحالفوا أن الحرب يكون ثلاثة أيام يوم يتولاه المقدم نصير النمر وحده ويوم يتولاه البب عبد الصليب وعساكره ويوم على الطود والفرقد وأقاموا ينتظرون قدوم الملك الظاهر وكان قد أحاط بصيدة فأتاه رجل من القصاصين فأعلمه أن نصير النمر فى قلعة الشقيق ومعه الطود والفرقد عاصيين يريدون قطع الطرقات فعندها أمر الملك بالرحيل إلى قلعة الشقيق وسار بالعسكر حتى نزل على قلعة الشقيق ونصب العرضى وكتب كتابا وأرسله إلى عبد الصليب الشقيقى فأخذه إبراهيم ودخل القلعة وأراد أن يمضى إلى عبد الصليب الكذاب وإذا بلطشة خلف ظهره خلاه سقط على وجهه فالتفت وإذا الضارب المقدم نصير النمر فاتكا عليه وكتفه فقال المقدم إبراهيم ساعة من الأبطال يامقدم نصير أنت من مقادم المسلمين فقال له الذى غاب به الصب ... لاتكثر الكلام ثم انه

وضعه فى السجن وإذا ضجة ارتفعت فسأل عن الخبر فقيل له يا عبد الصليب قد قدم عالم ملة الروم البركة جوان فقال نصير النمر ضعوا الحورانى فى السجن أولا وبعده انظروا أى شيء يفعل البركة جوان فوضعوا المقدم إبراهيم فى السجن وبعده دخل الملعون جوان فقام عبد الصليب الشقيق وسلم على جوان وأخبره بما جرى بيعقوب الصيداوى وقدم الطود والفرقد .

فقال له جوان لا تخاف من المسلمين ولا من حربهم ولكن يا عبد الصليب أنا أعهد أن هذه القلعة كانت أصلها للمسلمين وأنت من أين ملكتها صارت ملكك

فقال يا أبونا إن هذه القلعة كانت لرجل لرجل مسلم اسمه المقدم فلك الدين الشقيقى وأنا كان لى خال اسمه المقدم رباح بن مكافح وكان عائقا من عياق الروم مقيما فى جبل والجبل فيه دير يقال له دير الشقيق وان المقدم فلك الدين تحارب مع خالى وطرده من الجبل فغاب مدة ثم عاد وأقام فى دير الشقيق لما مات وبعده دخلت أنا تحت حماية المقدم فلك وأقمت تحت ذمامه فقال بنو إسماعيل اطرده فلم يسمع منهم كلامهم وأدخلنى قلعته وأخذت معى جماعة حتى صارت عساكرى مقدار ألف عسكرى فأعطانى نصف القلعة وأقمت حتى مرض المقدم فلك الدين فصرت أتردد عليه فوضعت له السم فى الأكل حتى مات ولم يعلم أحد أنى قتلته وكان فى ذلك الزمان سلطان الحصون المقدم جمر أبو معروف من جملة من أمره بطردى فلم يقبل ولما مات طلعوا عياله وجماعته لدفنه فحاصرت أنا فى القلعة ومنعتهم من الدخول واحتويت عليها إلى الآن وهذا أصل أخذى القلعة فقال جوان أما أنت يا ولدى فقد اجتهدت اجتهادا ما سبقك اليه أحد لا من قبلك ولا من بعدك وفى هذا العام تأخذ جميع بلاد المسلمين وتحتوى على المدائن والقلاع أجمعين وها أنا قد أرسلنى المسيح اليك لأدبرك على أخذ البلاد كلها وأين المقدم نصير النمر

فقال هاهو قاعد وهذا الطود وهذا الفرقد فالتفت جوان إلى المقدم نصير النمر وقال له يجوز لك انك تبقى سلطان ابن سلطان وتنزل تحت يد شيحة من أجل أنه يعمل حيلا لا تنفع ولا تضر أما تعلم أن أصله كان صبيا لحمارتى وأنا الذى علمته جميع الحيل

فقال نصير النمر جتك داهية ما علمته إلا الحيل التى يملك بها شنبات الرجال يا قران والله انك ما تستحق إلا رمى رقبتك فقال جوان طول بالك فقد آن أوان عزله وأنا يا جدع أملكك مكانه ولا تنفعه حيلة ولا بهتان فقال المقدم نصير النمر إن ملكتنى سلطنة الحصون يا جوان أبقى أمدحك فى كل مكان فقال جوان اجتهد فى هلاك المسلمين ولا لزوم السلطنة إلا منى قال نصير النمر مرحبا بك يا جوان فعند ذلك

وركب المقدم نصير النمر على حجرته وقفز إلى الميدان وهو ضارب اللثام على وجهه فخرج اليه أيدمر البهلوان فتحاربا ثم انه غلبه وأخذه أسيرا ثم حاربه علاء الدين ثم فارس قطايا إلى آخر النهار أخذ عشرة من الأمراء وثانى الايام برزت الفداوية فأخذ منهم خمسة ودام الأمر كذلك عشرة أيام حتى انه شطب كراسى الأمراء الفداوية هذا وجوان فى غاية الفرح والسرور ويقول له طبت يا نمر ولما كان فى الليلة الحادى عشر نظر جوان إلى عبد الصليب وقال له المسلمون ما يفوترن بعضهم اقبض على نصير النمر لأجل أن نقتل الجميع ونرتاح من المسلمين

فقال عبد الصليب صدقت يا أبانا فلما حضر نصير آخر النهار فاستقبله عبد الصليب وقال له ما بقى لنا إلا رين المسلمين فاذا قبضت عليه كل ماتريد ثم انه ناوله كاس خمر كان جوان أعطاه إياه وقال له اشرب يا سيدى بالهنا والعافية فشرب الكاس فانقلب على وجهه فكتفه كتافا شديدا ووضعه فى السجن ولما كان ثانى الايام نزل الطود والفرقد فصاحوا فى الميدان فنزل الأغا شاهين فقاتل الطود إلى نصف النهار ثم أخذه أسيرا وسلمه للاسلام وعاد إلى الميدان فحارب الفرقد فأخذه أسيرا أيضا فاندق طبل الانفصال فعند ذلك اغتاظ عبد الصليب الشقيق من جوان لأنه هو الذى أمر بالقبض على نصير النمر فقال يا أبونا نحن كنا رابحين وأنت الذى أمرتنى بالقبض على ذلك الرجل بعد ما أسر أبطالا وأمراء على قدر ما أسر فقال جوان أنا ما فعلت ذلك إلا بأمر المسيح قم على حيلك فاقتل جميع المسلمين وأول ما تقتل ابن الحورانى فعند ذلك أمر عبد الصليب بحضور المقدم إبراهيم فلما حضر أمر بضرب رقبته فتسلمه السياف فالتفت جوان إلى السياف وقال له تعال إلى فتقدم اليه فمد يده وقبض على خناقه وقال له بالاسم الاعظم ما أنت شيحة المسلمين فقال له صدقت أنا شيحة امسكنى طيب شرط الطير الحر إذا وقع لم يتململ فقال جوان تقتل وتقتل فقال البرتقش يا عبد الصليب احسب حساب رين المسلمين اذا سمع بانك قتلت المسلمين حالا يقتل أولاد أختك الطرد والفرقد وإنما ضع شيحة فى السجن لما تخلص أولاد أختك وبعد خلاصهما اقتل جميع المسلمين فقال عبد الصليب صدقت ثم رفع إبراهيم وشيحة الى السجن الذى فيه الأمراء والفداوية فقال إبراهيم مرعاه ودنه محمود يا أبى الفرج يا حاج شيحة أنا كنت منتظر انك تقتلنى وتشفى قلبى من نصير النمر وها أنت معى وبقينا سواء

فقال شيحة فرج ربنا قريب هذا وعبد الصليب يقول يا جوان فى غداة غد من

الذى ينزل للميدان وإذا بموكب منعقد كله غلمان مرد ويقدمهم غلام أمرد جميل الصورة اسمه نوبرد

فلما أقبل قام اليه عبد الصليب الشقيق وتلقاه فقال له الغلام أى شىء هذه الزحمة وهذه الفتنة الجارية عندنا فى قلعتنا فأخبره عبد الصليب بالقصة التى جرت وما فعل نصير النمر وكيف قبض عليه بأمر جوان فقال له فاذا كان رجل يحارب معك فلأى شىء قبضت عليه فقال بامر جوان .

فقال له اعلم أن جوانا خراب الدبور العامرة وخائنا ما عنده أمان لانه خان نصير النمر بعدما أسر من المسلمين ما أسر وإنما أنا أحارب المسلمين وآخذ تارنا منهم وأخلص الطود والفرقد غصبا عنهم ثم انه بات تلك الليلة وجوان مارا فقال يابرتقش أنا قلبي نافر من هذا الغلام لانه يشبه شيحة وأنا منه فزعان فقال البرتقش نظرك صحيح ولاشك انه ابنه بيقين وانه فرع من المسلمين فقال جوان وكيف العمل فقال البرتقش أجىء لك بالحمارة فقال جوان أنا أطلع والقلعة عامرة من قبل خرابها هذا لا يمكن ولما جاء الصباح برز ذلك الغلام وكان اسمه المقدم نوبرد وهو ماشى على قدميه ولكن له همرات لم يهمزها غزال ومال وجال وطلب الحرب والقتال فخرج اليه الامير خليل بن قلاوون وتقاتل معه طول النهار ولما كان عند المساء أخرج من تحت باطه سوطا بسبعة ألسنة من البولاد وضرب خليلا فحكم فى فخذه فجرحه وعاد الامير خليل مجروحا وثانى الايام برز إلى الميدان فخرج له المقدم هدان بن الافعة وتقاتل معه فجرحه وثالث يوم نزل اليه أحمد بن أيبك التركمان فجرحه ونزل بعده الامير مندوه الكردى فقاتله لآخر النهار وعاد مجروحا وهكذا خمسة أيام وكان آخر من برز اليه المقدم سعد بن دبل فقال له يا ملعون لقد أعجبتك نفسك حتى انك تجاريت على عساكر الاسلام ولم تصادف رجلا يردك عن الصدام والقتال فنظر المقدم نوبرد إلى المقدم سعد وهو ماشى على قدميه فقال له يا مسلم وأنت من دون المسلمين تمشى على قدميك ولم لا تركب على حصان عند الحرب والطعان فقال سعد أنا كان عندى حصان فاحتجت إلى ثمنه فى الطريق فبعته واكلت ثمنه فى السفر فقال له يامسكين أنا أعطيك حصانا وغاب وعاد ومعه حجرة المقدم نصير النمر وقال له اركب وحاربنى حتى أفعل بك ما فعلت بغيرك فمسك الحجرة سعد ودار وجهها إلى عرضى الاسلام وضربها بكفه على ظهرها فخرجت من قدامه كما تخرج النبلة من القوس فلحق عليها كراخى المقدم سعد وأخذوها فقال المقدم نوبرد لاى شىء لم تركبها فقال انا شردت منى غصبا عنى

فقال آتيك بغيرها فأتاه بحصان الطود ففعل به مافعل بالحجرة وكذلك حجرة الفرقة وهكذا عشرة من الخيل كل واحد أحسن من أخيه فقال له المقدم نويرد أنت أتيت تحارب والا أتيت سارقا فقال المقدم وأنت جئت تحارب والا جئت تهادى بالخيل فقال له انا شفقت عليك فقال له اشفق على روحك واركب حصانا فقال له انامااركب خيلا أنا أحارب على أقدامى فقال سعد وانا مثلك فقال المقدم نويرد جئتك ياحرامى الخيل وانطبق الاثنان وزعقا زعقتين وتقابضا بالزندين وتهابرا كالاسدين وأوسعا فى القتال وتجارى فى المجال وتراشقها بالنبال وطال بينهما المطال وتراجعا بالخناجر حتى أذهلا التواطر وداما كذلك حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك وكل منهما كاد أن يهلك لكن المقدم سعد صبور على الاهوال جلود على الحرب والقتال وأما المقدم نويرد فانه كل ومل وبعد عزه ذل فرأى المقدم سعد منه ذلك وعرفه منه معرفة خبير فانقض عليه وضايقه ولاصقه ونظر المقدم نويرد ذلك فقال له يا مسلم انت عمال تستنجد على بالمسلمين

فقال له المقدم سعد انا الذى معك فى الميدان واين المسلمين فقال انظرهم قادمين من وراءك فالتفت المقدم سعد لينظر من خلفه واذا بالمقدم نويرد اعطى ظهره للميدان وطلب قلعة الشقيق وهو من فعل المقدم سعد حيران فقال المقدم سعد كيف تنجو بالهرب وانا خلفك فى الطلب فأخرج من جدانه مقلاعا من الحرير المجدول ووضع فى كفته رغيفا من الرصاص وزن خمسة ارطال وطوح المقلاع وضربه على المقدم نويرد فحكمت الضربة بين اكتافه فانكفأ على وجهه وقام يجرى من الخوف طالبا القلعة فأطلقه سعد برغيف ثانى فكفاه قدام القلعة وقام فأدركه ثالثا برغيف فأرقعه على عتبة القلعة فانطاحت جبهته فدخل القلعة ولم يروح الى عبد الصليب الشقيقى ولا لجوان بل دخل على امه وهو مندهش حيران وقال لها يا اماه اربطى لى راسى فقالت اى شيء جرى عليك فحكى لها ما فعل معه المقدم سعد فقالت له يا ولدى هذا الذى تذكره طال انت لا تخاف الا من رجل مثلك طوله وعرضه لا يختلف عندك نجوت منه فالمسلمون كلهم تشار لانه يا ولدى يأسر ويبهى على جميع المسلمين واسمه شيحة جمال الدين وانا اتمنى لو كان احد يأتينى به لاكلت من لحمه قطعة واشربت من دمه جرعة فقال لها شيحة الذى تقولى عنه هو عندنا مسجون فأنا أجره لك تفعلى به ما تريدى لكن اى شيء بينك وبينه هل كنت حاربتيه وغلبك فقالت له اعلم يا ولدى انى كنت قاعدة فى مكانى هذا مع بنات الروم واذا به مقبل فقلت يا بنات

هذا شيحة المسلمين فسمع كلامى فهجم على أمك وضربها بفرخ نشاب فجرحها فى محل ضيق وإلى الآن لم يطب ذلك الجرح وكل الجراح تطب إلا هذا الجرح لم يطب فقال نويرد أنا فى هذه الساعة أحضر به اليك تأخذى منه تارك ثم انه أقام من عندها وسار حتى انه وصل إلى السجن فدخل على المقدم جمال الدين ونظره المقدم إبراهيم فقال بسم الله ما شاء الله يا حاج شيحة أنظر إلى هذا الصبى فما هو إلا مسلم بن مسلم ولا شك أنه ولدك يا مقدم جمال الدين وكذلك المقدم جمال الدين حنت جوارحه اليه

وأما المقدم نويرد فانه تقدم الى المقدم جمال الدين وقال له أنت الذى جرحت أمى يا كناس قال إبراهيم هو بذاته خذه لها تستوفى منه ديتها لانه جرحها ولم يشفق عليها فأخذه وهو مكتوف وسار به إلى قدام أمه فقال لها هذا المقدم شيحة فقالت له ياقويرد ياولدى وكيف أتيتنى به مكتوف اليدين مع أنه يا ولدى أبوك فلا تمدد يدك فيه باضرار تخلد يدك فى النار لانك أنت ولده وقطعة من كتفه فقال لها أبى كان اسمه رباح بن مكافح ومات فقالت يا ... جدك أبى أنا وأما أبوك هذا المقدم جمال الدين وأنا أمك فعند ذلك ارتجفت أعضاؤه وهداه الله إلى الاسلام وقال لا ه حيث أنا مسلم لأى شىء ما أعلمتينى فقالت له اولدى من خوف عليك لان النصارى كانوا يقتلوك فكتمت السر حتى أتى ابوك فتقدم نويرد الى المقدم جمال الدين وحل وثاقه وقال له علمنى الاسلام فعلمه وأسلم على يديه وقال له يااب قم معى امرح لك المسلمين وأملكك قلعة الشقيق فقال شيحة ياولدى إذا جاء الليل انطلق واخرج المحبوسين إلا المقدم نصير النمر اقبض عليه فلما جاء الليل قام المقدم فدخل السجن وأخرج الرجال المحبوسين فقال ابراهيم نخرج من هذه القلعة من غير حرب ولا قتال فقال له المقدم جمال الدين أخرج أنت وأنا أقبض هذا الملعون جوان والبرتقش الخ... ان فتقدم جمال الدين حتى دخل إلى سراية عبد الصليب الشقيقى فلما رآه قام على حيله وأخذ معه جوان والبرتقش وقصد السجن ليقتلوا المحبوسين فرأوهم خالصين من الحديد فأرادوا أن يهجموا عليهم لكونهم بلا سلاح ولم يعرفوا الطريق حتى يخرجوا منها فصاح المقدم جمال الدين على ياسباع الاسـلام اطلبوا النصر من الملك العلام وسار قدامهم حتى أخرجهم من البلد سالمين وأوصلهم إلى عرضى الاسلام وطلع النهار ففرح الملك بقدوم رجاله وهم سالمين وشكر فضل الله المقدم جمال الدين ولما كان عند الصباح اصطفت الاسلام وأراد الملك الزحف

على قلعة الشقيق هذا ما جرى [وأما] عبد الصليب فانه لما طلع النهار التفت إلى جوان وقال له كيف يا عالم الملة فقال يا ولدى ان أردت أن تسمع كلامى [اركب على ظهر الحصان واطلب رين المسلمين فانه منصف فاذا خرج اليك أقتله فاذا قتلته انهزم المسلمون ولا يقدر أحد منهم يقف أمامك وأنا يا ابنى أساعدك بالتعسة وخيبة الأمل فقال يا أبانا بخرنى فبخره جوان فقصر أجله وخرج إلى الميدان وقال يا مسلمين بقى الا الانفصال الحروب الحرب فى هذا اليوم وأنا أريد رين المسلمين أقتتل أنا واياه فان أسرنى بايعته على نفسى بكل ما أراد وان أنا أسرته أطلقته ويأخذ عسكره ويسافر من بلادى بلا حرب ولا صدام فان اهراق الدماء فى جميع الاديان حرام .

فلما سمع السلطان ذلك الكلام منه منع عساكر الاسلام عن الحرب والصدام وأراد أن يبرز الى الميدان واذا بغبرة انعقدت وعجاجة ارتفعت وبانت خمسمائة خيال الكل راكبون على خيول أخف من الطيور ويقدمهم غلام أمرد جميل الصورة وترجل عن ظهر حجرته وتقدم فقبل ركاب السلطان وقال يا ملك الدولة اعلم أن هذا الملعون عبد الصليب الشقيقى قد قاتل أبى وأنا أريد من احسانك أن تنعم على بالخروج اليه حتى آخذ منه بالثار وأجلى عن نفسى العار

فقال السلطان من أنت وما اسمك بين الرجال فقال يا ملك الاسلام أنا اسمى نور الدين بن المقدم فلك وأبى قتله هذا الملعون لانه كان نزيلا عند أبى فقتله بالسم ووالدتى كانت حاملة بى فوضعتنى وربيت يتيما عند أخوالى فى قلعة رصافة عند المقدم سعد الرصافى وأحكى الغلام للسلطان كما حكى عبد الصليب لجوان ولا فى الاعادة افادة فقال السلطان اعلم يا ولدى ان هذا الملعون طالبنى فقف أنت مكانك حتى أقتله وأريح قلبك منه فقال يا ملك الاسلام ابقى بذلك عار تعايرنى بنو اسماعيل فأنا فى عرضك انعم لى بالخروج الى هذا الملعون حتى أسقيه كاس المنون فقال السلطان دونك وما تريد فعندها خرج الغلام الى ذلك الملعون وطبق عليه فاجاه وأخذ منه وأعطاه ربايعه وشراه وقام فى ركابه وعطى فى بدايه وضرب عبد الصليب بالهاكرية على وارديه فاطار رأسه من بين كتفيه ثم انه نزل وأخذ الرأس وغاص طرف عمامته من الدم من حلقوم الكافر ونادى يا بنى اسماعيل أنا نور الدين بن المقدم فلك رشيد الشقيقى فها أنا أخذت ثارى ومحوت عنى عارى فقالوا جميعا تستحق المقدمية على رجالك فانك مقدم بن مقدم . أما الملعون جوان لما رأى ذلك من الشنايع وقال دالى

يا ابناء النصرانية هلموا قاتلوا عن دين المسيح فانحدرت الكفار وطلبوا قتال المسلمين الابرار فطبقت الرجال الفداوية والامراء الظاهرية وغنى البتار وقل الانصار ولحق الجبان الانبهال والندل ولى وحار لاترى الادماع طائر ودماء فائر وجواد بصاحبه غائر تفرقعت المرائر كانت وقعة يالها من وقعة تجلى عليها الملك القادر القاهر

وأما المقدم نور الدين فانه كبس على أبواب البلد وملكها وأهلك كل من فيها وما فرغ النهار وأقبل الليل حتى اهلك الله الكافرين حين طغوا وكفى الله المؤمنين القتال وجلس الملك الظاهر على قلعة الشقيق ودخل المقدم جمال الدين حاملا نصير النمر على حصان والبرتقش قدامه شايل جوان فسأل الملك على الطود والفرقد فلم يقع لهم على خبر وكان سبب خلاصهم ان الفرقد قرض أكتاف أخاه باسنانه فلما انفك عاد اليه رفكه فقال السلطان الرحيل بعدما سلم قلعة الشقيق الى المقدم نور الدين بامر المقدم جمال الدين شيحة وكتب اسمه على سلاحه وفى دفتره ورحل السلطان طالبا الديار المصرية وسلم نصير النمر الى المقدم ابراهيم والمقدم سعد وطلبا الارتحال من أرض الى أرض حتى وصلا ليلة الى رأس الوادى وكان المقدم ابراهيم نائما وسعد قاعدا يحرس ويخفر المقدم نصير النمر فقال المقدم سعد يا مقدم نصير النمر أنت رجل كامل قدام عاقل لو كنت طائعا الشيحة لما كان يمكن ان تتكتف هذا الكتاف ولكن قلة عقلك أوصلتك الى هذا التلف يا مقدم نصير اذا كان الملك الظاهر ملك الجدار وشيحة ملك البرارى والقفار وابو بكر البطريق ملك البحار وخضعت لهم الاسلام والكفار أى شىء يدك فى السلطنة وعلى أى جهة تريد ان تتسلطن أنت يا غار والله يا مقدم نصير أنت الا مجنون فقال نصير يا مقدم سعد صدقت ولكن أنا وقعت فى المحذور هل ترى تعمل معروفا وتطلقنى حتى أهرب وأنا أعطيك الف قبرسى فقال سعد اخرس يا قرنان أنا أبيع دينى عند السلطان بألف قبرسى والاسم الاعظم ان قلت هذه الكلمة ثانيا اقطعت رقبتك فسكت المقدم نصير النمر وكان المقدم ابراهيم يسمع وجعل نفسه نائما فقام وقعد وقال يا سعد أنا قمت قم أنت فنام سعد فصار ابراهيم الحورانى ينظر من نصير النمر كلاما فلم يتكلم فقال له المقدم ابراهيم يا مقدم نصير أى شىء كان بينك وبين سعد ابن خالتى فقال المقدم نصير ولاى شىء فقال ابراهيم الالف دينار قليل يا مقدم نصير ماتجىء فى شخشة من شخشات الملك الظاهر ويقال على الرجال انهم نادقروا على الملك الظاهر بشىء قليل ماينفع اما لو كنت تعطى المال الكثير كان على كل حال يبقى الانسان اذا أخذ مايكفيه وحصلت له مشقة يبقى

على قدر ما أخذ وأما الف قبرسى فقليلات فالحق فى يد سعد فقال المقدم نصير النمروای شیء یکفیك يامقدم إبراهيم قال إبراهيم خمسة آلاف قبرصى فقال سعد والله ياأبو خليل تستاهل ولك على الجيل والاحسان غير أنه مامعى قبارصة فى هذا الوقت ياهل ترى تضمنى بالخمسة آلاف قبرسى ولك فى نظير ذلك ألف سادس فى نظير صبرك قال ابراهيم رضيت بذلك اكتب عليك تذكرة بالستة آلاف قبرسى فكتب له تذكرة طالب عليه بالستة آلاف دينار ذهب واطلقه تحت الليل ولما انطلق نصير طلب مصر فاجتمع بالطود والفرقد بقع كلام وأما إبراهيم فانه نام إلى جانب سعد وتحرك فرفصه برجله فافاق سعد فلقى إبراهيم نائما والمقدم نصير النمر غائبا لم يكن فقال سعد يارقعة قشرة فايقظ المقدم ابراهيم فلماقام قال اين نصير النمر ياسعد أطلقته وخليتنا نفتيج قدام السلطان وأخذت البرطيل منه فقال السلطان يعرف الذى يأخذ البرطيل فينا أنا والا أنت فقال ابراهيم ياسعد وعلى أى شيء نختصم أنا وأنت راح فى داهية هو كان سرق الخزنة التى مراده فيه يدور عليه ثم أنهم دخلوا على السلطان واعلماه بهروب المقدم نصير النمر فامتزج السلطان بالغضب وقال اتبقى اثنان من الرجال ومن المقدمين ولم يطلع من أيديكما تحفظاه قال ياإبراهيم ياملك الدولة من تعب السفر والعذر عند خيار الناس مقبول وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل

وقال يامقدم إبراهيم اين يروح نصير النمر أنا أقبضه فى أى مكان كان ولكن أنت بعته بغير قبض ولاتأخذ منه شيئا من الثمن وإنما على طول الايام انا أقبضه ثم أمر الملك بالرحيل إلى مصر ودخل السلطان إلى قلعة الجبل فاطلق من فى السجن وابطل المظالم ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الاذية وأما المقدم جمال الدين شيحة فانه من ضرره على المقدم نصير النمر اصطنع له فرسا حلوانى بدكان فى باب الخلق على ظهر القنطرة وكان هذا المكان موعودا باصناف الحلاوة الطيبة من أراد ان يأكل احسن الحلاويات واطيبها يأكل من باب الخلق فبينما شيحة قاعد والمقدم نصير النمر مقبل وقال أى شيء هذا ياشيخ فقال حلاوة يامقدم فقال هات ذوقنى فاعطاه لقمة أكلها فوقع تحت الدكان فقالت الناس هذا سمه ومالوا على شيحة بالطوب فناداهم يا أولاد مصر أناشيحة وهذا فداوى عاصى فامتنع الناس فدور على نصير فلم يجده وكان الذى أخذه الطود والفرقد فانغاظ شيحة وراح الى قاعته وغير ملابسه وسار ينتقل فى اسواق مصر يومين فرأى اثنين قاعدين فى دكان على باب حارة الروم فى صفة

تجار ولكن ما عندهم متاجر والدكان فارغة فتقدم المقدم جمال الدين قدامهما ورمى لهما السلام وسألهما احسانا فأعطيا له نصفين فضة فأطلع خرقة من حزامه وأراد أن يربطهما على طرفها فربط واحدا ووقع منه الثانى فلم يلتفت اليه ومشى فصاح عليه الفرقد وقال له يادرويش أنت وقع منك نصف فضة لم تأخذه فقال يا أفندم أنا لم يمكنى أن اطاطى إلى الأرض على شيء يسير لانى أعرف صناعة الكمية واشغلها ذهبا بندق صاغ وجميع مااشتغله ابنى به جوامع وافرقه على الفقراء وأنفق على نفسى الزائد وانما جاعل نفسى درويشا لاجل أخذ الصدقات وعدم تعلق الحكام فى وأما أنا يا سيدى ففى غناء زائدا ماأنا فقير فقال له الطور لما سمع كلامه يادرويش اعمل معروفا وخذنى درويشك وأكون خادمك أنا وأخى هذا ولا نفتر عن خدمتك ويحصل لك بذلك الصواب فقال يافندم هذا شيء لا يكون الا فى محل خالى من الناس وأنا لو كان لى محل خالى لكنت أخذتكما فيه وعلمتكما فاقبلا عذرى وأما لو كنت فى بلدى كنت أعلمكما ولم أقصر فيكما فلا تؤاخذانى لانى مقيم بالخان وعن قريب اسافر من هذه الأوطان فقال الفرقد ان كان على المكان فنحن عندنا المكان الخالى ولم يحضرنا فيه أحد وانما لنا صاحب تارة يحضر وتارة يغيب وحضوره عندنا قليل فسر معنا الى مكاننا فهو خالى واشتغل فيه ما تريد ونحن أطوع من العبيد ثم أنهما قاما وقفلا الدكان وأخذاه فسار معهما الى الوراقين فأخذوا معهم من العطارين زئبق وطرطير ورسخنة فقال لهما هذه هى المعادن الذى احتاجها فان الزئبق هذا اسمه العبد وقيل فيه

العبد اذ طرطر طيره وحطها فى راس اختة

يخرج ذهب صافى اكسير لكن اذا صادف بخته

هذا قول الشاعر فى حق الكمية فقال له صدقت أنت صاحب فهم وادراك وما زال حتى دخلوا بيتا فى سيف الدولة وطلع معهما شيحه فوجد الطيقان قريبين للأرض من جهة الحارة فقعد وجاؤا له فحم واطلع بودقة ووضع المنفد قدامه وأراد ان يشتغل واذا بالباب يدق فسمع شيحة الخبطة فعلم انه نصير النمر ففتحنا له الباب وعند ما قبله الطود قال له ياخوند جاءنا واحد يصنع لنا الذهب احسن من السلطنة ومن غيرها فطلع نصير النمر ونظر الى شيحة وصاح الى اقصير فقفز شيحة من الطاقة الى الارض وطلب الهرب فضرب نصير النمر الطاقة ورماها وأسرع خلف شيحة يصلا الى السكرية فرآى ازدحام جمالا وحميرا وحمالا حطب فخاف

أن يعيقه المقدم نصير فى ذلك المكان فما كان منه إلا أنه دخل فى ربع السكرية .
حتى طلع إلى آخر بيت فرآه مفتوحا فدخل وكانت فيه حرمة فقالت له أى شىء ا
خايف منه فقال لها الاختفاق وأخبرها بالمقدم نصير فقالت له لا بأس عليك وكانت الحرمة
تغسل ثيابها فجمعت ماء الغسل فى طشت ونظرت من الطاقة فوجدت المقدم نصير
واقفا على باب الربع فبكبت على الطشت فقال لها كذا يا قحبة فقالت له اخرس مرض
يقطع قلبك ولسانك فقالوا له أهل السكرية يا مقدم ابعد عن باب الربع فان الذى
من فوقك يكب المياه فتأخر ولكن جعل باله من الباب وأما المقدم جمال الدين كتب
تذكرة وقال لها أريد منك أن توصلى هذه إلى الملك الظاهر

فقالت له مرحبا وأخذت التذكرة وأحفتها ونزلت فقال نصير النمر أين رائحة
وكان ظنها أنه شيحة فلما رآها حرمة تركها فسارت حتى وصلت إلى الديوان وقالت
مظلومة فأمر السلطان باحضارها قدامه فلما حضرت أعطته التذكرة فقردها وإذا فيها
إلى حضرة أمير المؤمنين اعلم أنى عايقنى نصير النمر على باب ربع السكرية فأرسل لى
رجالى فقال السلطان اين ابراهيم الحورانى فقال لبيك ياسلطان فقال له خذ الفداوية
والحق شيحة فى السكرية فنزلت بنو إسماعيل كانهم أرهاط الجن جاذبين شواكرهم
كانهم النيران ونظروا أهل مصر إلى الفداوية وهم نازلون فى صورة الغضب فانزعجوا
فصاح المقدم إبراهيم لا أحد يتحرك ولكم الامان فسكت الناس وأما المقدم نصير
فلما نظر إلى بنو إسماعيل مقبلين فعرف المقصود فخط لهم على الارض خطا وقال
والاسم الاعظم الذى لم يحلفوا به إلا العارفون به كل من خط منكم هذا الخط أقطع رأسه
وأعطاهم ظهره ومشى إلى حال سبيله فكان المقدم جمال الدين مشرفا عليهم فعلم أن
المقدم نصير مشى إلى حاله فنزل وشكر فضل الرجال على مجيئهم اليه فقال إبراهيم من
القلعة إلى هنا ما قبضت ولا درهما واحدا فقال المقدم جمال الدين لك وقت آخر
يا إبراهيم هذا ما هو وقتك ارجع إلى محل شغلك فعاد إبراهيم للقلعة فقال الملك أين
نصير النمر قال إبراهيم مرق

قال السلطان والله لم تقابلنى إلا بنصير النمر وإن رأيتك قبل أن تحضره لا بد أن
أأدبك فقال إبراهيم اش ما ياسعد فقال سعد رأيا مالى أنا كنت شريكك فى الدين
الذى لك عليه فقال إبراهيم امش ياسعد وخذ بعضنا قطعا على أثر نصير النمر وأما المقدم
نصير النمر فانه أقبل إلى الغورية فوجد فرسا واقفة مسروجة فقفز على ظهرها وشك
جنبها فخرجت به مثل السحاب فكانت هذه الفرس لاحد شيوخ القليوبية يقال له
الشيخ إبراهيم شرارة وكان من كرام الناس فقال له خدامه ياشيخ العرب رجل فداوى

اخذ فرسك فقال بخاطره يسبقني بها على الدار لاجل ضيافتنا وأقام شيخ العرب لآخر النهار وسافر على قليوب وركب حمارا من السكة فوصل إلى بلده فرأى المقدم نصير فى ضيافته فقال أهلا وسهلا ومرحبا وكان السبب فى ذلك أن الفرس لما خرجت من مصر قصدت نحو قليوب فاراد المقدم نصير النمر أن يعدلها إلى طريق يسافر منها فما أمكنه أبدا حتى دخلت دار شيخ العرب فوصل شيخ العرب ولقاه فسلم عليه وطلب العشاء وفى تلك الليلة قدم إبراهيم وسعد إلى تلك المضيفة فالتقيا نصير النمر فقال إبراهيم يا سعد اسكت حتى ينام نصير فندخل ونتراما عليه وإن سألنا شيخ العرب عنه نقول مطلوب للسلطان وأقاما منتظرين لنومه وأما المقدم نصير النمر فقال يا شيخ العرب ماعندك احد يحكى لنا حكاية يسلينا بها فقال يامقدم هنا رجل شاعر احضره اليك يشعر لك قال نصير طيب فاحضر رجلا شاعرا وقال له اقعد سلى هذا الضيف

فقال أنا الساعة يا سيدى ماتعشيت فقال شيخ العرب احلبوا له شوية لبن يتعشى فاتوا له بقصعة ملآنة لبن ودشيش فقال المقدم نصير النمر الذى يرى اللبن ولم يأكل منه يتنكد وأنا لابد لى من أكل اللبن ثم انه قام إلى الفتيلة ليصلح نورها فاطفاها وعاد إلى القصعة ليأكل فقال شيخ العرب ولعوا الفتيلة فقام الخدم وأوقدوا الفتيلة ونظروا إلى القصعة وإذا بنصير النمر وإبراهيم وسعد نائمون جنب القصعة كانهم موتى فالتفت إلى الشاعر وقال له إيش الخبر فقال الشاعر اسجنهم فانهم مطلوبون للملك الظاهر وانا جمال الدين شيحة فعنده أوثق جمال الدين شيحة وثاقا شديدا نصير النمر وأوقفه حتى طلع النهار وطلب جملا وحط نصير النمر فى شق وإبراهيم قباله فى الشق الآخر وطرح سعدا على ظهر الجمل وسار بهم إلى مصر وكان دخولهم من باب الفتوح وقيل انه كان رجل خراز قربه فارسل صبيه وسق له تسقية لبن فلما وضعها قدامه نظر إلى الجمل الذى حامل نصير النمر وإبراهيم فى الاشناف فظن انهم قربا ملانة عسل فقال لصبيه خذ القصعة وخذ المخراز وشق القربة واعصر نصيبا من العسل فاخذ المخراز وسار إلى جنب الجمل فصار يشك تارة فى طيز نصير النمر وتارة فى طيز إبراهيم فينزل الدم فتلقاه القصعة فافاق الاثنان من شك المخراز فى قعورهما وصارا يرجفون حتى وصلا إلى النحاسين ورجع الخراز بالقصعة لمعلمه فاراد أن ياكل فرأى الدم فامتنع وأما المقدم جمال الدين فانه طلع الديوان ومعه إبراهيم وسعد ونصير النمر فقال يامولانا أما ابراهيم وسعد فانهما قد استحقا الادب فادبهما وأما نصير النمر فلابد من سلخه ثم ان شيحة لبس بدلة السلاخ وارادان يسلخ المقدم نصير النمر فقال المقدم نصير ياظاهر هذا جزائى فى نظير

ماأنجدتك وقمة قلعة صيدا وداويتك أنت وحصانك ووعدتني أنك تكافئني فهذه كفاءتي قدامك يسلخني شيحة وأنت تنظر ولم تقدر تمنعه عني

يا جيف جميلا زرعناه راح فى بحار المهاوى
والمبتلى حين يبرأ ينسى جميل المداوى

فقال السلطان يامقدم نصير النمر انت لوكنت مصام من أحد متعدى عليك لكنت أساعدك إلا انك مضاد للمقدم شيحة جمال الدين مع انه مؤمن والفداوية الذى من بنو إسماعيل كلهم تحت طوعه وهم على دين الاسلام وأنت أدرعى وعاصى فلو كنت مؤمنا كنت أمنعه عنك لأجل الاسلام فقال المقدم نصير النمر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله هاأنا يا ملك الظاهر أسلمت وصرت مطاعا اليك أنت فقط لا لشيحة القصير وأنا فى عرضك يا ملك الظاهر خلصنى من شيحة فقال السلطان يا مقدم جمال الدين اعلم أن نصير النمر أسلم وبقى على دين الاسلام وهاهو أطاعنى أنا وانا أطيعك انت عوضا عنه وتسامحنى فيه فقال شيحة يا ملك الاسلام انا ما أقدر اراجعك ولكن نصير النمر خائن فلا يؤمن مكره وغدره فقال السلطان أنا تعرضت له هذه النوبة وإن حصل منه خيانة فالجزاء قريب فعندذلك أطلقه المقدم جمال الدين فقام على قدميه وقبل يد السلطان فقال السلطان تمنى علي يانصير النمر تمنية فقال ياملك الاسلام أكون ساعيا مع المقدم إبراهيم فى الميمنة فقال السلطان هاتوا قفطانا البس يامقدم نصير انك ساعى الميمنة قال ابراهيم وأنا ياملك الاسلام فقال السلطان وأنت معه فقال ابراهيم عمرى مارأيت مركبا لها اثنين من الرياس إلا ووقع بها الخلف وأنا يادولتلي ما أرضى بأحد يشاركنى فى منصبي فان كنت أنت اتخذت المقدم نصير ساعى ميمنتك فأنا أكون معزولا وخدمه أنت فى جميع المناصب فقال السلطان روح جهنم فعنده طلع المقدم إبراهيم من قدام السلطان فقال سعد ياملك الاسلام لما جعلت نصير النمر ساعى الميمنة اجعل المقدم ابراهيم ساعى الميسرة فانه خادم جديد وكل جديد له أغراض فقال الملك ياسعد إذا لقيت ابراهيم كلمه على هذا لعله يرضى فقال سعد نعم وأنا اعين غير ابراهيم لم أخدم فقال السلطان حصله فى جهنم فنزل سعد ولحق بابراهيم فقال يا براهيم جئت قال نعم جئت أنا أقعد معك فسار إلى قاعة الحوارنة ينتظر ماجرى وأما نصير فأقام فى خدمة السلطان يدبر مكيدة أو فرصة يفترسها وكان فى الديوان باب سر ينفذ على سرداب من تحت الأرض إلى قاعة المقدم جمال الدين شيحة الذى بخط عابدين وكان شيحة لما يكون عند السلطان يقيم الى الليل وعند رواحه ينفذ من ذلك السرداب فكان المقدم نصير النمر

برصده حتى عرف ذلك المكان وحققه طيب إلى ليلة من الليالى أقام شيحة عند السلطان إلى الثلث الأول من الليل وانصرف شيحة ونزل السرداب على جرى عادته وكان له عشر رباطات فى كل رباط ثرية بعشرة قناديل فنظر لأول رباط فرأى موقودا تسعة قناديل والعاشر مطفى فقال هذا طماع من الفراشين ومشى إلى الرباط الثانى فوجد اثنين مطفيين وثمانية موقودات والثالث مطفى ثلاثة وهكذا إلى العاشرة وجدها مطفية كلها والدنيا ظلام فأراد ان يرجع وإذا بالمقدم نصير النمر مسكه من رقبته وقال له اين تروح ياقران تسلخنى انت يامعرص يا ابن العتيقة والاسم الأعظم ان تكلمت لم اخليك تشم الهواء ثم انه وضعه تحت ابطه وطلع به من السرداب إلى وسط القاعة وخرج من بيت شيحة على حية ورأى حية واحضر الطرد والفرقد وقال لهما أ اسائر قدامكما إلحقانى على قلعة الطير وجبل عكار فانى أخذت شيحة واريد شنقه هناك وتركهما وركب حجرته واخذ شيحة تحت فخذه وطلب البر الأقفر وسار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار حتى جاز على قلعة المعرة ضحى النهار فرأى بنو اسماعيل مجتمعين عند المقدم سليمان الجاموس فى وليمة وكانوا ذلك النهار فرسان العزيمة وقاصدين قلاعهم فنادى نصير النمر وقال يابنى اسماعيل هذا شيحة تحت فخذى الذى أنتم جماعته وسلطانا عليكم وها أنا اخذته وانجابه إلى قلعتى أصلبه على بابها فان كانت فيكم نخوة الرجال فدونكم والقتال وخاصمونى ان كنتم رجالا وأبطالا فعنده قامت الرجال وأرادوا ان يطبقوا عليه ويوصلوا الأذية اليه فصاح المقدم جمال الدين وقال يارجال لا أحد منكم يتحرك من مكانه وكل من عارضه فأكون خصمه فقال المقدم سليمان الجاموس كيف نتركك ياخوند مع هذا الجبار فقال له انا مقدر حزنى وفرحى وإذا تكاثرتم عليه وأبصر عين الغلبة فيتكى على فخذه ويقتلنى فلا تخاصمونى إلا وأنا مقتول فأى المنفعة فى ذلك فصدقوا كلامه وقالوا له يامقدم نصير منك له ام طفل فنحن لا نعارضك ولا نحاشرك فضحك المقدم نصير عليهم وتركهم وسار بهطالبا قلعة الطير وجبل عكار فلما وصل إلى قلعته احضر رجاله وقال لهم اشهدوا الى بانى لادرع هذا شيحة قبضته من وسط مصر وأتيت به إلى هنا واريد شنقه وبعد شيحة افعل بالظاهر كما فعلت بشيحة فقالوا له ياخوند إذا كان هذا شيحة قبضته كنت تقبض على اولاده وهما السابق ونوبرد على كل حال لاجل ان تنام فى امان واما إذا كنت قبضت على الحية وتركت ذنبها ورأسها فلا تأمن شرها واعلم ان شيحة بدون الثعبان والسابق رأسه ونوبرد ذنبه ونوردانيا به المسمومة فخذ الحذر على قدر ما تستطيع فقال المقدم نصير ان كان هذا حسابكم والاسم الأعظم لم أشنقه إلا ان قبضت على اولاده وأشنقهم فى يوم

واحد ثم انه وضع شيحة فى الحبس ورتب عليه الحرس وقعد منتظرا قدوم أولاد شيحة حتى يقبض عليهم اذا حضروا فى طلب خلاص أبيهم هذا ماجرى

وأما بنو اسماعيل لما فارقهم نصير فاتفق رأى المقدم سليمان الجاموس أنه يكتب كتابا يعلم الملك الظاهر بنصير النمر وأخذه شيحة وسفره به الى قلعته فكتب كتابا وأعطاه لتبع من أتباعه وأمره ان يسير الى مصر ويعطيه للملك الظاهر فسار التابع حتى وصل الى مصر هذا ماجرى

واما ما كان من الملك الظاهر فانه فى الليلة التى أخذ نصير النمر فيها شيحة لم يكن عند السلطان علم ولادراية الا أنه سأل عن شيحة فقيل له هو غائب وسأل عن المقدم نصير النمر فلم يجدوه فتعجب السلطان من غيبته وصبر ثلاثة أيام فلم يظهر له حتى المقدم نصير النمر فعلم أنه لابد من مكيدة عملها فى شيحة فأرسل الى بيت شيحة يسأل عنه فلم يعطوا عنه خبر فتعجب السلطان وأحضر المقدم ابراهيم وسأله عن نصير النمر فقال ابراهيم يادولتلى نصير النمر أنت وليته منصبي ورفقتى وهاأنت تلاقى مايجرى منه فقال الملك أقف فى مكانك أنت والمقدم سعد وجامكيتك كما كانت وفى نظير غيبتك لك ألف دينار فقال ابراهيم يا ملك الدولة ماأنا الا خادمك والملوك يغضبون ويرضون على خدامهم وأقام المقدم ابراهيم والمقدم سعد فى خدمة السلطان فهم كذلك والتابع مقبل حتى وقف بين يدى السلطان وقدم الكتاب من المقدم سليمان الجاموس وأخذه الملك وقرأه واذا فيه من العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب سليمان الجاموس الى بين أيادى ملك الاسلام نعلمك ان يوم تاريخ الكتاب عبر علينا نصير النمر ومعه المقدم جمال الدين شيحة فأردنا أن نقاتله فتخاف على نفسه عنه وأخذه وسار به الى قلعته وهانحن أعلمناك ومنتظرون قدوم دولتك حتى نسير فى صحبتك لاجل خلاص المقدم جمال الدين والامر امرك أطال المولى فى عمرك والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم والله وقع شيحة فى يد هذا الجبار وكنت أنا السبب فى هذا ثم انه أمر بتبريز العرضى وركب الى العادلية وعمل مولد سيد المرسلين وبعد ذلك الارتحال أرض بعد أرض حتى عبر على المعزة فوجد بنى اسماعيل منتظرين قدومه فسافروا مع السلطان أياما وليالى حتى وصلوا الى جبل عكار وقلعة الطير فخرجت المدافع من الاسوار منعت العساكر من الوصول فنصب الملك العرضى على قدر رمى النار وبعدما نصب العرضى أراد الملك ان يكتب كتابا ويرسله الى نصير النمر واذا بالمقدم محمد السابق مقبل ومعه جواد محمل عليه جدانين فانزل الجدانين قدام السلطان وفتحها واذا فيهما الطود

والفرقد فأمر السلطان بسجنهما وقال السابق من أين أتيت بهما فقال يامولانا كانا قادمين الى نصير النمر ليستعان بهما على حرب الاسلام وبعد ذلك خرج المقدم محمد السابق قاصدا الى جهة قلعة نصير النمر ومادام حتى وصل اليها واعجب ماوقع أن المقدم نصير النمر لما وصل الى قلعته وأقام كما ذكرنا ينتظر قدوم السلطان وبعد أيام قدم عليه الطود والفرقد وباسوا يده وقالوا له ياخوند اعلم اننا مابقى لنا محل فلتجىء اليه فان ملوك الروم اذا دخلنا عليهم يقبضوا علينا ويسلموا للملك المسلمين وخالنا يعقوب الصيداوى مات وعبد الصليب الشقيق مات أيضا فهل تقدر على حمايتنا ونكونوا خدامك حتى نموتوا فقال لهم المقدم نصير النمر مرحبا بكم فقالوا له ونقاتلوا بين يديك اما تنتصروا واما تموتوا وان كنت عاجزا عن حمايتنا فاعلمنا حتى نقعوا فى عرض أحد يحمينا فقال لهم المقدم نصير النمر اقعدوا عندى وأنا أقاتل حتى أملك جميع الدنيا وأسلطنكم كل واحد فى ناحية منها لكن اجعل عليكم حفظ شيحة فقط لان له أولادا شياطين وأخاف ان يستغفلونى وأنا فى القتال ويفكوه من الشد والاعتقال فاريد منكم ان تتكلفوا بحفظ شيحة فقط ولا يلزمكم لاحرب ولاقتال فقالوا له رضينا بذلك وان هرب منا فاقتلنا فاخذهم وأدخلهم الى سجن فى مطمورة تحت الارض فلما نظروه قالوا له اتركه لنا حتى اننا ندرى غفره فالتفت نصير النمر الى شيحة وقال له يانصير اتظن ان لك خلاصا بقى من هذا المكان لاوحق الجبل الجربان فعلم المقدم جمال الدين ان اسلامه باطل

ثم ان المقدم نصير النمر ترك الطود والفرقد عنده وكان هما المقدم نورد وأخوه نويزد واما المقدم نصير النمر فانه برز الى حومة الميدان وهو على ظهر حجرته غائص فى لامته محتفل فى عدته ونادى ميدان يامراء ظاهرية يامماليك بيلزبكية ميدان يا أكراد أيوبية ميدان يافداوية اسماعيلية فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس الف لفارس هلموا الى القتال ومعاناة الحرب والسجال وملتقى الابطال من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا المقدم نصير النمر بن أسد الدين البويضى بن داغر المنيد

فلما نظر اليه السلطان امتزج بالغضب والتفت الى ايدمر البهلوان وأمره بان ينزل الى الميدان فقال الوزير يا مولانا احلم أيدمر أى شىء يعمل مع هذا الجبـــار ماله الا الذى يكون من أمثاله يكون جبارا مثله وأما اذا نزل ايدمر فأين يروح ويحتمل ان يقتله فان قصر ان ولا يبقى على انسان فقال الملك صدقت

فالتفت إلى بنى اسماعيل فرآهم مطرقين رؤسهم جيما إلى الارض فعلم أنهم خايفين من المقدم نصير النمر

فقال يا عثمان احضر لى الحصان حتى أنزل إلى الميدان وأقتل هذا الشيطان فقال المقدم ابراهيم أى شىء هذا يا ملك أنت تنزل إلى الميدان ونحن واقفون لأى شىء يا ملك الدولة أنا أنزل إلى الميدان وان قتلنى النمر او اسرنى ينزل بعدى سعدا بن خالتى فان مات او اسر تبق تفعل بعدنا ما تشاء واما ما دمت انا واقف بين يديك كيف تنزل انت إلى الميدان فقال السلطان يا مقدم ابراهيم إذا نزلت انت إلى نصير النمر الك على ان جرحته فلك عندى خمسة آلاف دينار وان اسرته فلك عشرة آلاف وان قتلته فلك عندى عشرون الف دينار وحق الاله العزيز الغفار فقال ابراهيم يا ملك الاسلام توكلت على العزيز العلام

قلت للفار فى شيله وفى حطه   خذ لك شريفى وايرم شارب القطه
اجابنى الفار بكلمة قط ما اخطه   قال الكرا حلو لكن الطريق شطه

ولكن يا مولانا وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم هات حجرتى يا ابن الشباح وركب المقدم ابراهيم بن حسن على ظهر حجرته وتقلد بعدته واسبل درعا على جثته داوودى صنعة نبى الله داود عليه السلام وبرز إلى مقام القتال فتأمله نصير النمر وقال له نزلت لى يا حورانى قال ابراهيم والله يا مقدم نصير ان السلطان جعل لى على قطع راسك عشرين الف دينار فان كنت تعمل معروفا تمد قرعتك حتى اقطع راسك واعود إلى السلطان واقبضها منه فان مافى قبضها بعد إلا على قطع راسك وانت نصبت على لما اطلقتك بستة آلاف دينار وإلى الآن لم تعطنى إياها وانا عندى كل قبرصى واحد احسن من ابى حسن الحورانى فلا تكثر الفضول واعلم انك لاشك مقتولا فعند ذلك انطبق الاثنين بعضهم على بعض ودوت اصواتهم كدوى الرعد وجالوا فى الميدان طولا وعرضا وتجاذبوا باليدين وتماسكا وتناهلا كاسات الحتوف وطلع الزبد على اشداقهم كالقطن المندوف وتضاربا بالسيوف على الدرق وازور منهما الحرق وسال على اجسادهما العرق ولمع حسام المنايا بينهما وبرق وكانت بينهما ساعة تقشعر منها الجلود ويذوب لهولها الحجر الجلمود وانطبقا انطباق جبالى الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود وداما على ذلك الحال وهما فى حرب وقتال إلى ان كان وقت الزوال ونعوذ بالله من حقد الجبابرة فانهما ابطال معدودين ملاقات الاهوال ونظر ابراهيم بن حسن إلى المقدم نصير النمر فرآه فارسا شديدا ماعليه من مزيد والوصول اليه بعيد فتذكر ما قاله

أستاذه الخضر عليه السلام أنظر ما شئت نظرك صحيح وقاتل ماتشاء لا تخف إلا على فرسك قالت رواة هذه السيرة ان المقدم نصير النمر كان فى الأول فريد فى القرع عن المقدم ابراهيم ولكن لما خلع زره المقدم جمال الدين شيحة فصار من أرطاله وإنما المقدم ابراهيم يفوق على نصير النمر بعزم الاسلام ولما نظر ابراهيم أن النهار استحال نخاف لا ينقضى ولم يبلغ آماله وتفوته الأجرة التى جعلها له السلطان فى نظير جرح نصير أو أسره أو قتله فما كان منه إلا أنه مد يده إلى نصير بز ندملآن بتقوى وإيمان وقبض على أزياقه وتعلق بأطواقه وتجاذب معه فرآه كالحجر الجلمود وقوته كقوة الأسود فاخرج رجله من الركاب ورفص حجرة المقدم نصير فى جنبها فكسر ضلعها فوقعت من تحت نصير فعند ذلك قبض المقدم نصير النمر فى خناق ابراهيم وتعلق فوق الاثنين وكان ابراهيم فوق ونصير النمر تحت فنظر المقدم سعد إلى ذلك فقفز وأدرك ابراهيم فتعاونا الاثنان عليه وشدا على نصير النمر فأوهنا منه السواعد والاطراف وفى تلك الساعة ازحفت بنو الادرع يريدون خلاص مقدمهم فزحفت بنو اسماعيل الفلك الآخر وكل منهم قاتل وما قصر كانه الليث الغضنفر ووقع الضرب خطأ وصوابا وقطعت الكفوف والرقاب وتقنطرت الخيل بالركاب وشابت الشباب وزعق على القتلى البوم والغراب وفى تلك الساعة ظهر المقدم جمال الدين على أعلى السور ونادى قائلا يا معشر المسلمين وأدخلوا البلد ولا بأس عليكم فعنده ركب الملك الظاهر ودخل من باب القلعة وتبعته عساكر الاسلام وما فرغ النهار إلا وقلعة الطير فى يد السلطان ومع بنى اسماعيل مقدار ستمائة أسير وجلس الملك تحت القلعة وقدموا بين يديه نصير النمر والطود والفرقد والأسرى فقال الملك اعرضوا عليهم الاسلام فأسلم منهم أربعمائة وأما المائتان فامر الملك بقطع رؤسهم فتشفع فيهم شيحة وقال يا ملك الاسلام هؤلاء رعايتك وأنت أهل للعفو ومنك السماح فعفى السلطان عنهم وأمر باطلاقهم بشرط أن يكونوا تحت طاعة شيحة ولم يقيموا فى قلعة عكار فقالوا نمضى إلى قلعة المرقب ونقيموا تحت يد المقدم عاصى وبعده أمر الملك بالرحيل وطلب الديار المصرية والقاهرة المعزية فقال شيحة أى شىء نويت تفعله فقال يا أخى هذا نصير النمر أولا كان خصمك أنت فى السلطنة وما كان متعلق لى به شىء وأما هذه النوبة صار خصمى أنا ولا بدلى من حرقه على جمل هزاز فى مصر وأدوره فيها بالمشعل هو والطود والفرقد حتى لا يرجع مثله يتلاعب بالأديان ويكذب فى حضرة السلطان ثم انهم طلبوا الرحيل فقال السلطان يا ابراهيم تسليمك نصير النمر والطود والفرقد وساروا يقطعون القفار والسهول والأوعار حتى صاروا

فى الخانكة فأمر السلطان بأن يحضر والثلاثة جمال ويفرشوا عليهم انطعا ثم الجلود فوق اللباد ويركبوا نصير على جمل والطود والفرقد على جملين ويربطوا شعل الزفت والقطران على اجسامهم ويلفوا بهم البلد ويحرقوهم فى الرملية والذى يتولى ذلك المقدم ابراهيم وركب السلطان وانعقد الموكب ودخل السلطان إلى مصر وطلع إلى قصر يوسف صلاح الدين يشرف منه على الرملية وأما المقدم إبراهيم فأنه احضر الجمال وانطلقت الشعل ووضعوا الطود على جمل والفرقد على جمل ونظر المقدم نصير إلى ذلك الحال فقال يا مقدم إبراهيم أنا دخيل عليك لم تفتى هذه النوبة وفى عرضك يا مقدم إبراهيم وأن تحميني من الحرق فلك عندى عشرة الاف دينار فقال إبراهيم مرحبا بك أكتب لى تذكرة بعشرة الاف دينار وأنا أخلصك من الحرق بالنار ولم يجر ما يجرى مقدم نصير فكتب له تذكرة ووضعها فى جيب المنطقة وركبه على الجمل وأوقد عليه الشعل وجعله بعيدا لا يصيبه منه ضرر وسار الجمل من باب الفتوح من وسط البلد حتى وصلوا إلى الرميلة فكان الطود والفرقد قد انسلخوا من النيران ولما وصلوا إلى الرميلة كمل حرقهم فنظر السلطان من كشك القصر فرأى الاثنين ولا يرى نصير النمر فطلب ابراهيم بن حسن وسأله عن نصير النمر لاى شىء لم تحرقه مع الطود والفرقد فقال له يا ملك الاسلام نصير النمر رجل جبار وإذا امتحن بالنار يخشى منه على أماكن البلد فابقيته حتى يطلع النهار ونحرقه وحده فى الرميلة وبخر العالم السلطان طيب وبات تلك الليلة ولما كان ثانى الايام جلس الملك وتكامل الديوان وإذا بمساجن العرقانه طالعون على الديوان يخبرون أن نصير النمر انطلق وحديده تكسر فامتزج السلطان بالغضب وقال إبراهيم كذا يا ابن حسن فقال إبراهيم يا ملكنا إذا كان له فى الدنيا أجل رايح اقطعه أنا فقال السلطان أنت رجل منافق وقام السلطان وتمكن منه الغضب وقبض على إبراهيم ورماه فى نطعة الدم فساعده سعد وقال والله ما هو الا منافق ولا يستاهل الا القتل لو كنا حرقناه البارحة ماكان هرب منا . لا كان أحد خلصه حتى تعمل لنا شغله ثانية أهو هرب وأنت لم تسترف ما يريك من السلطان فعند ذلك وضع السلطان يده فى منطقة ابرهيم فاطلع منها تذكرتين بخط نصير النمر وختمه واحدة وهو قادم من الشقيق بستة آلاف دينار والثانية وهو قادم من جبل عكار بعشرة آلاف دينار فقال الملك كانك بعتنى لنصير النمر بهذه الاوراق قال سعد ما هو الا رجل منافق يا مولانا ولاقبض ولا صرف كل بيعه بالشكك والسلف فاذاهم كذلك وإذا

بالمقدم جمال الدين مقبل فقال ابراهيم الحقنى يا حاج شيحة ما الخبر فحكى له السلطان الحكايه فقال شيحة لا قبض ولا صرف وأى شىء نابك يابعيد فقال إبراهيم يعنى ان السلطان لما قال اعطيك عشرة قبرسى لما تاسر نصير النمر واسرته اعطانى شيئا امى كل الدعاوى نصبة وأما نصير النمر مسيره يقع واخلص حتى منه فقال شيحة يا ملك المقدم إبراهيم من رجالى أنا ونصير النمر عاصى على وهو الذى اسره وماهو اطلقه فجعل انه لا اسره ولا اطلقه ونصير هرب وأنا اجد خلفه الطلب حتى ابلغ منه الارب ولا ابيع خاطر ابراهيم وهو رجل مجاهد فى دين الاسلام بغلظة فان الصفح من شيم الكرام قال الملك ونصير النمر متى تأتى به فقال شيحة يا ملك الزمان أنا الحاوى وهو التعبان واقبضه من كل مكان [وكان السبب] فى خلاص نصير النمر جوان لانه عبر على رومة المدائن فلقاه البب رومان وحكى له ما فعل الملك عرنوس حتى أخذ أولاده فرتين ومرتين رهنا على زوجته الملكة شمرس بنت البب رومان فقال له وأنا يابانا خائف ارسل له زوجته الملكة شمرس يقتل اولادى وأنت كيف يكون الرأى عندك فقال له جوان أنا اخلص لك أولادك وبنتك عندك لا يأخذها عرنوس ولا تنتقل من محلها ثم انه سار قاصدا إلى مصر فحكم دخوله ساعة حرق الطود والفرقد ونظر نصير النمر لما سجن وصبر إلى الليل ونزل على العرقانة خلصه وأخذه وطلع به من العرقانة بعد ما بنج الحرس وكسر الحديد ونصر النمر ساكت حتى صار فى الخلا فقال من أنت الذى خلصتنى فقال جوان عالم ملة الروم فقال له نصير النمر ومن الذى طلب منك خلاصى فقال جوان وكيف ارضى أن واحدا مثلك سلطان يحكم عليه واحد بدوى زى شيحة وأنا أنظر بعينى مع أن شيحة كان صبى حارتى وأنا علمته المناصف والحيل كلها فقال نصير النمر أنظر ياشيخ جوان أما انك تمدلى قرعتك حتى اضيعك والا تعملنى حيلة وطريقة اضيع بها شيحة

فقال جوان أنا ما جئت لك الا بعد ما وصيت جميع ملوك الروم حتى يركبوا جميعا معك وتملك بلاد ملك الاسلام وتبقى السلطنة كلها لك إذا طاوعت جوانا فقال نصير قل لى على الذى تريد وأنا اطاوعك فقال له قبل كل شىء اولاد البب رومان ملك رومة المدائن مسجونين عند الديابرو عرنوس فرح معى اعلمك حيلة تخلصهم بها وتردهما لا بيهما ويركب البب رومان وتتبعه ملوك الروم وتزحف على حلب تأخذها وبعدها تأخذ مصر وتقتل زين المسلمين وتقتل شيحة وتبقى

الدنيا كلها لك قال نصير النمر طيب ياجوان فسار به الى مدينة الافلاق ودخل على الانجبيرات فقال لها هات الف دينار واعطيها المقدم نصير النمر على طرف البب رومان فأعطاه الف دينار فأخذها نصير النمر وقال لجوان أى شيء هذا فقال له تجعلها مصروفا هنا فى الافلاق وتقلع سلاحك وتعطيه للبرتقش يكتب لك عليه حتى تتم الحيلة بدخولك على الديابر وعرنوس

فعند ذلك قلع المقدم نصير النمر شواكره وسلمها للبرتقش فقال جوان خذها يا برتقش إلى دير الافلاق عند البترك سمعان واعطيه هذا الكتاب منى يعمل بما فيه فعنده أخذ البرتقش الشواكر وسار إلى دير سمعان فدخل عليه وأعطاه الشواكر وكتابا لجوان ففرده وقرأه وإذا به من حضرة عالم ملة الروم والآمر والمحتوم البركة جوان الى البترك سمعان حال وصول البرتقش اليك تأخذ السلاح الذى معه وتكتبه باسم المقدم نصير النمر تابع المقدم جمال الدين شيحة عز نصره

فعندذلك أخذ البترك سمعان الشواكر وأعطاه البرتقش خمسين دينارا وكان أعطاها له جوان فسبك منها خمسة وكان ذلك الملعون عنده فهم وإدراك فى هذه الصنعة ويعرف يقلد خط المقدم جمال الدين لحفر فى الشاكرية وكتب على الاوجه نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وعلى ثانى وجه لا أحمل هذا السلاح المبارك إلا للغزاة والجهاد فى طاعة رب العباد للمقدم نصير النمر طائع المقدم جمال الدين شيحة عز نصره وكذلك باقى الشواكر وأخذها البرتقش وعاد بها إلى جوان فسلمها اليه وأعطاها لنصير النمر فخرج عقله وقال أى شيء هذا ياجوان أنا أطيع شيحة فقال له جوان طول بالك واعلم أنك ما يمكنك الدخول على عرنوس إلا بهذه الحيلة حتى تخلص أولاد البب رومان وبعده كسر الشواكر هذه واشترى غيرها فقال نصير النمر صدقت ثم ان المقدم نصير النمر علمه جوان كل ما يفعل من الحيل وقعد جوان فى مدينة الافلاق وأما المقدم نصير النمر فانه سار حتى دخل إلى مدينة الرخام وقال السلام يا ملك عرنوس فقال معروف ارجع يا مقدم نصير لا ندس بساط ولدى وأنت عاصى على المقدم جمال شيحة فقال المقدم نصير النمر ما أنا عاصى أنا طائع هذه شواكرى فنظر المقدم معروف إلى شواكر نصير النمر فقال له أهلا بك وسهلا يا مقدم نصير فقال الملك عرنوس سبحان الله يا أبى تسبط لغاسول فقال معروف والله ياولدى هذا فارس مليح الهمة قوى العزمة قليل مثل فى الرجال معدود من الاخيار الابطال فقال عرنوص يا أبى أريد ان اجربه فقال له جربه ياولدى ثم التفت الى نصير النمر وقال له انزل يامقدم نصير والعب مع ولدى الملك عرنوص حتى يختبرك فى القتال فقال

نصير حاضر يا خوند فقدم له الملك عرنوس حصانا وركب الملك عرنوس على ظهر حصانه ذات القسور وانطبق الاثنان فرأى عرنوس ان المقدم نصير فارسا شديدا ووصول الضرب له بعيدا فنزل عن حصانه واعتنقه وقال له يامقدم نصير أقم عندى وتبقى مثل أنا فى الميمنة وأنت فى الميسرة .

فقال سمعا وطاعة وأقام عنده فى أمان مدة أيام حتى عرف محل سجن أولاد البب رومان وصبر إلى الليل بعد ماعرف له مسلكا يسلك منه ودخل على أولاد رومان ففكهما وأخذهما وطلع بهما من مدينة الرخام وطلب ملك الافلاق جوانا جالسا ونصير داخل عليه وقدم له أولاد رومان وقال له هذا مطلوبك قال جوان بكره ترحل إلى رومان وخليه يركب معك على ملك المسلمين ثم انه تسلم أولاد رومان منه فقال له البرتقش يا أبانا إذا وصلت أولاد رومان إلى أبيهم وقلت له اركب على ملك المسلمين فقال لك ما أركب لأن أولادى عندى على أى شىء بقيت أحارب فيسمع نصير النمر كلامه فيقتلك وإنما أبقى نصير هنا عند انجبيرت وخذ أولاد رومان وسلمهما وقل له يركب على المسلمين فان ركب فخذ نصير النمر معك وأنت فائت وإن لم يركب تنفذ أنت ولا تخل نصير النمر ينظر وجهك أحسن مايقتلك قال جوان صدقت وثانى الأيام دخل على الانجبيرات فقال له ياأبى ان اقروري البلد انكسر وأريد أن أجعله اقرورى على البلد ثم أحضر نصير النمر وقال له البس اقرورى على ملك الافلاق حتى أعود أنا بالركبة مع البب رومان وآخذك معنا قال نصير النمر مليح ولبس نصير النمر اقرورى يعنى والى البلد وسافر جوان إلى رومة المدائن ودخل على رومان وسلمه أولاده ففرح بهم وطلب جوان أن يركب معه على بلاد الاسلام فقال رومان أولادى جاءونى ولأى شىء أحارب المسلمين وطرد جوان فطلع جوان مغتاظ قال البرتقش ماقلت لك ياجوان . رومان عاقل ولو كان نصير النمر معك كان قتلك قال جوان صدقت وطلع جوان قاصدا جبيرة هذا ماجرى وأما الملك عرنوس لما تفكر نصير النمر فلم يجده وأخبره السجانة بأن أولاد رومان قد انسرقا فخرج عقله . قال لأبيه رأيت ياأبى زوجتى راحت ولا بقيت أراها أبدا وهذا ملك يا أبى فقال له أبوه يا ولدى أنا ما عرفت أنها حيلة ولكن يا ولدى أنا أكتب للملك الظاهر وأعلمه وهو يخلص زوجتك من عند رومان

فقال عرنوس أنا ما عجزت عن رومان حتى أستعين عليه بالملك الظاهر وإنما يا أبى يعنى وحدى وأنا لالى يد تمتد عليك ولالى لسان يعلو عليك وإن قعدت عندى أقتل روحى ثم ان عرنوسا حط يده على خنجره وأراد أن يضرب نفسه فقال معروف يا ولدى ها أنا خرجت من عندك ثم قام معروف وطلع من مدينة الرخام فلقى رجلا

درويشا فقال له لا تتفكر فان الله يدبر وله تدبير عظيم فقال معروف صدقت يادرويش ادع لابني ان الله تعالى يهديه لي ويحن قلبه على فانه جفاني وطردني ولا أطيق بعده عني ولا ساعة واحدة فضحك ذلك الدرويش وقال له يا مقدم معروف أنا أخوك شيحة وأي شيء جرى بينك وبين ولدك حتى انه طردك فحكى له ما فعل نصير النمر وكيف دخل بالحيلة وسرق أولاد رومان ولكن ما أطمعني يا أخي فيه إلا انا رأيت اسمك مكتوبا على شراكره فقال شيحة هذا الملعون هرب من سجن السلطان ولكن ما بلغ ذلك إلا بتدبير الملعون جوان ولا يعرف احد يكتب اسمي على السلاح الا البترك سمعان ولا بد لي من قتله حتى لا يبقى أحد غيره يفعل فعله قم بنا حتى أصالحك مع ولدك فانك لا صبر لك على فراقه ثم عاد به إلى مدينة الرحام ودخل الاثنان على عرنوس فحكى عرنوس لشيحة ما وقع من نصير النمر فقال شيحة حكى أبوك ياعرنوس وهذا شيء ماهو بعيد وان نصير النمر سرق فرتين ومرتين فانا أجيء لك بدوفش ودومار أولاد رومان الكبار وانما انت اصطلح مع أبيك يا ملك عرنوس واطلب رضاه واترك البغي واتبع قول الله تعالى وبالوالدين إحسانا فان رضا الوالدين من رضا الله تعالى ونزل المقدم جمال الدين من عند عرنوس قاصدا إلى دير الافلاق فلما وصل إلى الدير طلع من السور ليلا فرأى البترك سمعان نائما على وجهه نوم أهل النار في النار على راي من قال

أمنتم ونمتم واغتررتم بلذة وآمنتموا للدهر وهو خؤون
خذوا حذركم من نكبة الدهر انها إذا لم تكن كانت فسوف تكون

فبنجه وكتفه وفرقه وقال له يا ملعون أي شيء غرك حتى كتبت اسمي على السلاح وانت لا تعرف الاسلام والاانت ملزوم بذلك الشان فقال ياسيدي مافعلت ذلك إلا بأمر عالم الملة جوان فقال له وماقولك في دخولك في دين الاسلام فقال ياسيدي من أبوه وجـ ه نصارى فكيف يسلم هو من دون الجميع فقال له الاسلام غني عنك ثم انه صلبه على باب الدير وكتب تذكرة وعلقها في رقبته مكتوب فيها هذا جزاء من يقلد كتابة المقدم جمال الدين شيحة على السلاح وتركه ودخل مدينة الافلاق فرأى الافروري شاقق بالتوبة فتأمله وإذا هو المقدم نصير النمر فقال شيحة إذا كان هذا عمل الوالي فما ضد الوالي الا ان كان حرامي بقيت انا اعمل حرامي اما ان اغلبه والا يغلبني ثم انه توطن في قلب البلد وسرح خلف المقدم نصير النمر حتى عرف محله الذي هو مقيم فيه وصبر إلى الليل ونزل على سراية الملك الانجيبرت وأخذ صندوقا كله اصناف ذخائر وجواهر ومعادن ونزل بها ليلا وسار إلى بيت المقدم نصير النمر ودفن ذلك الصندوق

فيه ولما كان ثانى الايام أتى الخزندار واعلم الانجيبرت وقال ياب فى هذه الليلة انفتحت الخزنة وسرق منها صندوق الجواهر والمعادن فضاق صدر الانجيبرت من ذلك الخبر وقال هاتوا الافروري فلما حضر قال له الانجيبرت ياافروري أنت نائم فى الليل ولا تدور فى البلد فقال داير فى البلد فقال له ان صندوق الجواهر سرق من الخزنة فى هذه الليلة ولا الوم الا منك فقال المقدم نصير النمر تلزمه منى أى شىء انا عامل فى البلد أنا حرامى فقال له أنت افروري وتعرف الحرامية فقال نصير النمر أنا أطلب الذى سرق الصندوق فى الليلة القابلة واقبضه فقال الانجيبرت فتش وقام على ذلك الحال ولما ان كان فى الليلة الثانية اندك المعلم وسرق شكمجة من سراية الوزير كلها مصاغ وثانى الايام طلبوا نصير النمر وأعرضوا عليه الكلام فقال افتش واحضر الغريم وثالت ليلة سرق الوزير الثانى وبعدها أماكن التجار فضجت مدينة الافلاق وانزعجت الناس وقالوا الافروري مشترك مع الحرامية وأمرهم بنهب أموالنا وهو يدارى عليها وطال الحال هكذا الى ليلة من الليالى الانجيبرت فى مكانه واذا بحورى نازل من السقف عليه ووقف بين السقف والارض وكان هذا الحورى هو شيحة لابس البدلة التى أعطاها له المغاورى وقال له ياانجيبرت أنا حورى أرسلنى اليك المسيح أمرك ان تعطى الناس أموالهم التى سرقت منهم فقال الانجيبرت وهى فى أى محل حتى أعطيها فقال له دير الافلاق البترك أبو الدواهى اطلبه الى بين يديك واطلب منه أموال الناس فانه يطلعها ويسلمها الى أصحابها ويترتب الجزاء على الحرامى الذى سرقها فان فعلت ذلك وأعطيت الناس أموالهم والا أتيت اليك الليلة القابلة ونزلت عليك ونفخت عليك وهكذا ثم نفخ فى وجهه فطلع شرار فقال له ياسيدى فى عرضك ولما كان عند الصباح أحضر الافروري وقال له أين أموال الناس فقال نصير النمر من يعرف فقال الانجيبرت هاتوا البترك ابو أبو الدواهى من دير الافلاق فغابوا وعادوا برجل بترك هرم عاد الهمة حدار له شبه على طوله ولكن نا... له الكبر ولبسه كله قذر ورائحته شنيعة من كثرة برله ... غائطه على نفسه فنظروه الروم فوقفوا لجميعا اكراما له وقال الانجيبرت ياأبانا ان هؤلاء الناس ضاعت أموالهم كذلك الوزراء وأنا كان وأتانى حورى من عند السيد المسيح وقال لى لا يظهر ذلك الا البترك أبو الدواهى وها أنا احضرتك حتى تدلنى على أموال ... وال الناس فقال البترك هذه الفعال ... لم ... غريب وانما هذه فعال ناس كبار ... طايح وكل حاكم حتى اظهر لك الذى سرق الاموال وتعطيها الى اصحابها فأحضر الجميع ... نصير النمر فى الجملة فالتفت الى الانجيبرت وقال له هات لى دقيقا فاتاه بدقيق

فعجن منه قليلا وجعله فطيرة وخبزة بيده وقسمه على قدر الحاضرين واعطى كل واحد لقمة فأكل كل لقمته الا المقدم نصير التمر وقفت فى حلقه ولم يقدر على بلعها فنظر الى البترك وقال له أنت شيحة فقال له وقعت فى الشرك ياحرامى ابلع اللقمة فعند ذلك أراد نصير التمر ان يرمى اللقمة من فمه فانكفى على وجهه فقال ابو الدواهى ياأولادى اظن ان هذا هو الذى سرق أموالكم ولكن اصبروا على ثم انه طلع ورقة وكتب عليها بالقلم ونفخ عليها فطارت فقال اتبعوها فتبعوها فنزلت فى قلب بيت المقدم نصير التمر فقال ياأولادى هاتوا صاحب هذا البيت فجاؤا بالمقدم نصير فمسك طاسة ووضع فيها ماء بعد البنج وضربه على وجهه ففتح عينيه ولكن بعدما كتفه وقال ياافرورى اعط الناس أموالهم ولاتطمع فى أولاد الناس عيب عليك فقال ياقران أنا عارف أنك شيحة فقال شيحة أنا أبو الدواهى قم أعط الكرستيان ماله الذى سرقته أما لا تخشى من المسيح قل لنا على محل ماانت وضعتها فيه فقال لا أعلم بشىء من ذلك يامعرص فقال أبو الداوهى اضربوه حتى يقر فضربوه ضربا شديدا فلم ينطق الا بقوله أنت شيحة فعنده اطلع ورقة من كتاب فقرا عليها فمشت الورقة الى مكان فقال البترك احفروا هنا فحفروا واطلعوا صندوق الابجيريت وبعده أموال الناس وبعده أموال الوزراء هذا ونصير التمر باهت من فعاله ويقول ياناس هذا شيحة فلم يلتفت اليه أحد حتى أخذ كل ذى حق حقه وقال الابجيريت ياأبانا ماجزاء الذى فعل هذا الفعال فقال ياأولادى المسيح يأمركم ان تجددوا دير الافلاق فانه قديم تبنوا اسوار حول البلد ويكون هذا الرجل هو الذى ينقل الحجر والتراب على أكتافه وبصفد بالحديد فى عنقه ورجليه ويلبس بدلة من حديد فى النهار يخدم فى الطين والحجر وفى الليل يبيت فى السجن فوضعوه فى السجن وامروا باحضار الحدادين ففصل لهم صديرة تبان وسديرة من الورق وقطعتين بحمائل من الورق ومنطقة ورومانتين تضرب على الركب عند المشى وطاسة للرأس وجزمة للرجلين فصنع البترك أبو الدواهى هذه الامور من الورق وأهل الصناعة صنعوها من الحديد وبعد تمامها وزنها البترك فكانت تسع قناطير حديد تزيد على بدلة حسن القسر بن عجبور باثنين وبعده أمر باحضار المقدم نصير التمر وهو مكتوف فالبسه تلك البدلة وربطه فى سلسلة كالبهيم العاصى ودار المقدم جمال الدين فى الخمارات وهو مكفى على أكتاف الرهبان فوجد ثمانية بطارقة مقيمين فى خمارة عولة فقال لهم أنتم ماصنعتكم فقالوا اسقالقة لاحد فى الخمارة اذا أتى احد يأكل وفضلت عليه لقمة او عظمة نأكلها وان سكر ونضل عليه بيبار نشربه فلا يفرغ النهار الا ونكونوا شبعانين وسكرانين فقال لهم أنا قصدى أخدمكم

ولكم كل واحد اربع ارغفة خاص وتصف اقة لحم خنزير وربع اقة دهن جنيس ونصف أقة بيبار واشكروني ذهب وتقبضوا هذا المسلم الحرامي كل دور اربعة اثنان يجروه واثنان يسوقوه وان توانى في المشي تضربونه فقالوا له والاربعة الثانية فقال تتبدلوا عليه كل اربعة دور حتى لا تبقى له راحة أبدا فقلوا سمعا وطاعة ثم إن البترك أمر بهدم الدير وبناء السور على اكتاف وبنيان المقدم نصير النمر فكانوا يملاوا له القصعتين بالطين المعجون ويفرغها في عل البناء ويملأنهما له ترابا ويعود بهما إلى عل العجن وهكذا ذهابا شائل وايابا شائل هذا والبترك ابو الد واهى يعلم الصناع كيف يكون البناء والهندسة حتى انهم عرفوا مقصوده واجتهدوا في الاشتغال والمقدم نصير النمر يتجرع غصص العذاب بالشقاء والآلام ويقول وقعت في يد من لا يرحك وهذا كله من ذلك القصير جوان المعرص الذي راح يأتى إلى بالركية ماجاءني ولا رايته الله يلعن لحيته كيف ما ابلاني بهذه الداهية من مكره وخيانته فارقني في هذه البلية ومرق ولا بان كل هذا يجرى والمقدم جمال الدين يأمر الناس بالاجتهاد في البناء حتى يدوم العذاب على نصير النمر ثم انه دخل على الملك الاججبيرت وقال له ان الحورى الذى اتى اليك من عند المسيح وامرك باطاعة اتانى في هذه الليلة وامرنى ان أسير إلى القمامة المقدسية وادخل كنيسة الست مريم أم النور واقرب اليها القربانات والنذور فاجتهد أنت يا اب في بناية الدير والسور ولا تتوانى يا اب في البناء والتصحيح حكم ما أمر قابه السيد المسيح فقال له على الطاسة يا سيدى وبعد ذلك خرج المقدم جمال الدين من الافلاق وقصد إلى رومة المدائن ومادام حتى دخل اليها فنظر ازدحام العالم فتقدم وإذا بواحد شابردى يلعب والناس يتفرجون عليه فوقف حتى فرغ لعبه وطلب النقوط فقالوا له خذ يا عبد الصليب وصاروا يعطونه الدراهم الرجال والنساء والبنات وبعد ما أخذ النقوط بطل وقال بكره العب فانصرف الناس الا شيحة فانه رصده حتى عرف بيته وغير شحية لباسه وهيئته واتى في صفة ولد امرد وعمره خمسة عشرة سنة ولكن في الجمال الوائد الفنان وقعد قدام بيت عبد الصليب الشابردى وكان رآه داخلا بيته فجاه بطبق وطلع من البيت وسكه وأخذ مفتاحه فعلم انه بغير حريم فقعد شيحة يبكى فاجتمع الناس عليه وقالوا ما لك تبكى يا غندار فلم يلتفت إلى أحد منهم حتى اقبل عبد الصليب الشابردى فرآه نطار عليه فؤاد وقال له ما لك يا بنى فقال أنا من ملوك الافلاق وابى قدماه فى حرابة المسلمين وامى أخذها واحد غير ابى ولم يبق أحد يطعمنى ويسقينى ويكسونى فقلت لامى وأنا اقعد عند من قالت

لى روح إلى عمك فى رومة المدائن فأتيت رومة المدائن فلم اعرف طريق عمى و ...
ما اسأل واحدا يقول لى انا عمك ويأخذنى فيعلمنى جناقة وأنا محتار لا بقيت ا .
اعود إلى الافلاق ولا رأيت عمى فى رومة المدائن فقالوا له ومن عمك وما اسمه فقال
اسمه عبد الصليب الشابردى فقال عبد الصليب وتقدم اليه وقال له ما اسمك
فقال اسمى بولص فقال يابولص انا عبد الصليب الشابردى ثم التفت إلى الواقفين
عنده وقال انا اسمى أيه فقالوا اسمك عبد الصليب ففرح به الغلام وقال لما انت
عمى خذنى معك فقال مرحبا أدخل البيت فدخل معه إلى البيت وفرح به عبد الصليب
فعلم ان هذه حيلة لانظير لها وأحضر له الطعام فبكى وقال أنا حالف بدأبى لا آكل
لحم خنزير ولا أشرب بيبار فأتاه بسمن وعسل نحل فأكل منه وبعد ذلك قدم المدام
وقال له انت ماتشرب من هذا على خاطرك املأ لى واسقى فقال الغلام انا ما احبس
البيبار ثم انه أخذ الكاس بيده ومسك الابريق وصب منه فى الكاس وتناول
عبدالصليب فشرب من الكاس فلما وصل جوفه مال إلى الارض فايقظه بعدما كتفه
وقال له انا ابن اخيك متى كان لك أخ فى الافلاق اعلم أنى انا شيحة سلطان القلاع
والحصون فقال له يا سيدى وأى شىء تريد منى أنا رجل شحات شابردى فقال له
إذا أنت اسلمت تركتك ومضيت فى حالى ولالى عليك سلاطة فلما امتنع من الاسلام
قتله وقطعه قطعا ورماه فى الكنيف النافذ إلى البحر وقصد شيحة ووضع المرآة
وصار يتامل فيها ويتصور حتى بقى على صورة عبد الصليب الشابردى وبات تلك
الليلة ولما كان ثانى الايام نزل المقدم جمال الدين من البيت إلى محل اللعب ثم انه
لعب حتى أمال عقول الناس بلعبه واندهلت العالم مما رأوا وعاينوا وأين يكون لعب
عبدالصليب الشابردى من لعب شيحة فكان لعب شيحة خلاف لعب ذلك الملعون
لأنه أظهر للناس أطيب الفنون وافتخر فى الالعاب حتى حير الشيوخ والشباب ودام
كذلك إلى آخر النهار وقد أبهر النظار وقال حلاوة الفن النقوط فصاروا يعطونه
دراهم ودنانير شيئا كثيرا فبينما هو كذلك وإذا بموكب منعقد فقالت الناس يا عبد
الصليب أترك اللعب حتى يفوت البب دوفش فلما سمع ذلك الكلام حذف الطربوش
الذى على رأسه فى الهواء فنزل على رأس دوفش وتشقلب ودار حتى وصلت يده إلى كفل
حصان دوفش وانقلب فصارت يده على كفل الحصان ورجلاه خطفت الطربوش
ووضعه فوق رأسه ونادى فى عرضك ياببب دوفش وضحك عليه وانبسط منه وقال
لمن حوله من الروم هذا الرجل خفيف وأنا مرادى اخذه إلى عندى حتى يلعب قدام

دامريتى فخذوه معنا إلى سرايتى فأخذه الخدام وشيحة لم يعلم على أى شىء أخذوه فلما وصل إلى سرايته قال ياعبد الصليب أنا مرادى أن تلعب عندى انا وحدى ولا أحد يتفرج عليك إلا انا ودامريتى فقال على الطاسطة يا بب فقال له قم والعب فقام ولعب قدامه فانبسط دوفش من لعبه وبعده أمر باحضار الطعام فوقف الشابردى يخدم عليهم حتى أكلوا الطعام وبعده قدموا المدام فقال دوفش أقعد وكل يا عبد الصليب فقال يا بب أنا صائم نذر على المسيح فانه على ذنوب بكثرة ومن جملتها انى كنت فى البر واشتهيت الجناقات فما لقيت لا دامرية ولا فليون وكانت فى الخلا خنزير حائضة فمن شدة ما ثار على أنى قد علتها جناقات وأعلمت البترك درارة صاحب الدير والحارة فقال لى صم عن الخنزير والبيبار ستين يوما وها قد منها عشرون وبقى أربعون فقال دوفش المسيح يغفر لك وأى شىء تأكل قال سمن البقر ولحم الدجاج والغنم والعسل النحل فأمر البب دوفش الكلارجى أن يرتب له من تلك الأصناف لأكله ولما كان عند المساء قام البب دوفش وطلع سرايته وأعجب ماوقع أن دوفش لما تزوج بنت البب ميخائيل ملك القسطنطينية العظمى وكانت صغيرة عمرها تسع سنين فلما زفت على دوفش فى الفرح الذى لعب فيه أيدمر البهلوان وابو بكر البطريق والمقدم سعد والمقدم إبراهيم ومن بعد الفرح الذى حصل فى تشطيب إبراهيم جسر الانجبار وركوب الملك الظاهر فلهى دوفش عن الدخول بزوجته وبعده تمرضت مدة طويلة ولما شفيت اعتراها عارض فصارت تكره دوفش كراهة فاحشة وهو كلما رأى منها الكراهة يعرض عنها لانها بنت ملك كبير وصاحبة جمال باهر فكانت هيبة الجمال تمنعه أن يغصبها على الوصال فكان ذلك بقدرة الله الملك المتعال حتى تنفذ فيها المشيئة والارادة وتكون من أهل السعادة فلما كان فى تلك الايام وحضر الشابردى فى السراية وطلع دوفش إلى عندها فاعلمها بالشابردى ولعبه فقالت له يا بب هاته يلعب هنا قدامى فاحضره إلى بين يديها فنظر المقدم جمال الدين إلى تلك الصورة الجميلة فقال سبحان الله الذى خلقها من ماء مهين وجعلها فتنة للناظرين ثم قال اللهم يا رباه أسألك بحرمة النبى المنتسب سيد العرب والعجم صاحب الحوض واللواء المعقود أن تهدى هذه الصورة إلى دين الاسلام وعبادة الملك العلام ثم انه لعب قدامها وقدام بيرس حسن قرامها ودام كذلك إلى آخر النهار وأراد أن ينزل فقالت له نم عندنا ياشابردى وملأت الكاس وناولت دوفش حتى أسكرته وصارت تتحدث مع الشابردى طول ليلتها وتولعت بمحبته وكرهت

دوفش وتجنبته وثانى الأيام كذلك مدة عشرين يوما ودرفش يعتذر اليه بما هو فيه ويوم الحادى والعشرين قدم الملعون جوان فلقاه الببب رومان وسلم عليه وجلس إلى جنبه وساله عن دوفش فاخبره انه فى سرايته واحدشابردى ياصب قدامه وقدام دامرينه فقال جوان اطلبه يحضر عندنا ويلعب قدامنا فارسل الببب رومان إلى دوفش يامره بالحضور والشابردى معه فلما سمع الشابردى ذلك قال لزوجة دوفش وكانت اسمها الملكة مارية يا ملكة أنا إذا رحت إلى الديوان وأبونا جوان هناك فهما يرانى يقول لى أنت تشبه شيحة شيخ المسلمين فيصعب على أولا ينجس اسمى باسماء المسلمين وثانيا يخلى الملوك يتزاولوا منى وينقطع عيشى وأنا يا ملكة فى عرضك لاأروح إلى الديوان ولا أحضر قدام جوان فقالت الملكة مارية يابب دوفش أنت أتيت بالشابردى إلى أتسلى به ورجعت غدرت على وتريد أن تاخذه منى تعطيه لجوان يقول عليه هداشيحة حق المسلمين لأجل أن تطردوه من رومة المدائن ولا يبقى له عيش فيها وهذا آخر عهدى منه فانا ما أعطيه لك أبدا فقال دوفش وحق كاناميناميلا كيناوحق البترك مسراق الذى عاش مائتى سنة فى النفاق ونكح أمه وبنته فى ظلام الأغساق ولم يغسل وجهه إلا بالبصاق ان كان جوان يقول لعبد الصليب الشابردى هذا شيحات فلابد لى ان اقتل جوانا والبرتقش الحران ولو احتمى لهما ابى الببب رومان قم يا شبردى معى وانظر العجب فعنده قام شيحة مع دوفش إلى الديوان ونظر اليه جوان

فقال يا برتقش انظر فقال البرتقش انا انظر يا جوان ولكن عكم فان اردت ان تفسده فمابقى شىء يفسده هذا ملعوب متموم فقال جوان يابب دوفش هذا الذى معك من اى بلد هو قال دوفش انا عرفت الذى اردت ان تقول له ياجوان ولكن انا حلفت لدامرينى مارية باكبر ايمان الروم ان قلت يا جوان على الشابردى هذا شيحة لاقتلنك ولو تكن فى حجر ابى الببب رومان ولا اسئل عنك ولا عن كل من فى الديوان فقال رومان ياجوان اما ان تقعدسا كتا والاقم فارقنا من هذا المكان فقال البرتقش هذا الرجل الشابردى شيحة اى شىء جاءبه إلى هنا فقال له جوان اسكت يا مجنون وإلا آتى لك بالحمارة بلا غارة فسكت البرتقش ولعب الشابردى فى الديوان رمى طرطوره على راس جوان يتشقلب فاخذه وفمه على اذن جوان فقال له انا بذاتى وان تكلمت ياجوان تمت ومادام كذلك إلى آخر النهار وهو يتشقلب ويرتمى فى وسط الديوان فقال تمنتره الشابردى واحضر له حمارة ووضعه على ظهرها وادخله إلى بيته يا سادة

[ولما] وصل المقدم جمال الدين إلى السراية دخل على الملكة مارية وهو ضعيف

الرخام فقال ياملك عرنوس قادم عليك ثمانية آلاف خيال واربعة آلاف قراب فقال المقدم معروف يحرس دينك اين هم حتى اعرفهم قدرهم قال شيحة انت يا اخى قم معى وخذ معك جماعة من اولاد ملوك البرتقان واتبعونى حتى اكمن بكم خلف جبل الرخام فاذا جاء العساكر يلقاهم الملك عرنوس وتطلع انت من خلفهم وتأخذهم مراسطة فقال معروف صدقت يا حاج شيحه ولكن يا ملك عرنوس حاذر لاينفلت منك أحد من أولاد رومان وإذا نفد منك لا ينفذ منى فعند ذلك ترتبوا كما أمرهم المقدم جمال الدين شيحة وبعد مضى ثلاثة أيام أقبل دوفش ودومار وقلوبهما تغلى على النار فلقاهم الملك عرنوس بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر إذا زخر وتبعه الملك محمد الطن وروزدنش وانطبق العسكرين وحان بينهم الحين وغنى وزعق غراب البين فبيناهم كذلك وإذا بزعقات من خلف عساكر الكفار تفرقع وبريق السيوف من تحت الغبار يلمع والخيل فى المجال تقرم وتقع والفرسان تسرع وأعلام الاسلام تشمشع والمقدم معروف كانه الأسد الادرع والخيل من قدامه نافرة والجماجم من حد سيفه طائرة والجيوش جافلة فنظر إلى هذا الحال دوفش ودومار فلحقهما الانبهار وعقل كل منهما طار وزاغت منهما الابصار فأطبق الملك عرنوس على دوفش ومعروف على دومار فما ثبت غير قليل إلا وكل منهما أخذ خصمه أسيرا فى حبال الذل والتحقير وأخذوهم أولاد ملوك البرتقان فشدوهم كل واحد كتاف حتى أشرفوا على التلاف ومال معروف وعرنوس على الخيل فانزلوا بركابها الذل والويل وأجروا دماءهم مثل السيل كالوهم كيلا وأى كيل ودام القتال القتل إلى أن مالت الشمس إلى الزوال فتفرقت الاعداء يمينا وشمال وطلبوا البرارى الخالية والتلال وسيوف الاسلام من خلفهم حتى شتتوهم فى الأودية والجبال

وعاد الملك عرنوس مؤيدا منصورا وشكر فضل المقدم جمال الدين شيحة على هذه الامور فقال يا ملك عرنوس خلى الولدين عندك حتى تأتيك زوجتك

فقال عرنوس شكر الله فضلك ياعم والله ما يبقى لها خلاص إلا بالملكة شموس زوجتى وإن طال المطال ركبت على رومة المدائن وأخذت زوجتى بالحرب والقتال

فودعه المقدم جمال الدين وسافر إلى مصر حتى دخل على الملك الظاهر فقام له وسلم عليه واستقبله ولما جلس سأل عن الملكة مارية فقال من يوم حضرت عندنا عملت له الفرح على ولدك محمد السابق كما عرفتنى فى الكتاب ودخل عليها وبلغ منها أربه

فقال شيحة الكتاب الذى أرسلت به إلى سعادتك أنك تحفظها وتضعها فى سرايتك مع الحريم ولا تزوجها لأحد حتى آتيك والله إن هذا شىء عجيب

فقال السلطان يا أخى هذا الكتاب الذى وصلى من عندك ففتحه السلطان وإذا هو بخط محمد السابق والختم ملصوق عليه برغيف البوش

قال شيحة والسابق فى أى مكان هو ؟

فقال الملك انت تعرف طريق ولدك وانا ما فعلت من رأيى شيئا فهذا ولدك وهذا انت

فقال شيحة وإن كان ولدى فانا العب واتحيل واصطاد وهو ياخذها باردة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولكن نفذ الأمر ولا بقى فيه احتجاج صبر جميل والله المستعان

هذا ما جرى واما ما كان من البب رومان فكان جالسا وإذا بالمنهزمين مقبلين باكيين حافيين يعلنوا بالويل والثبور وعظائم الأمور

فقال البب رومان اى شىء الخبر فاعلموه بان اولاده درفش ودومار اسروهما الديابر وعرنوس وقتل من العساكر ما يزيد عن اربعة آلاف خيالة واما القرابة ما عاد منهم إلا القليل فان اولاد ملوك البرتقان طحنوهم على الأرض والكشبان فلطم على وجهه البب رومان واراد ان يركب بعسا كره ويقصد عرنوسا فى مدينة الرخام فقال له وزيره عجبتون يا بب إذا حاربت الملك عرنوسا ما يقعد عنك الملك الظاهر ولا شيحة بل ينفتح عليك باب ما تقدر على سده أبدا وأنت أخبر برين المسلمين وجربه وتبلى أبناء الكرسقيان بنا وتحرق الكبار والصغار وإن غلبت عرنوسا فربما يقتل اولادك وإن افترسك خرب بلادك والرأى عندى انك تكاتب رين المسلمين وتسأله ان يامر عرنوسا انه يطلق الك اولادك وانت ترسل له زوجته فانها بقيت مسلمة ولما أسلمت اى تنفع له بها فى مكثها عنده

واما ماربة فلا بد انها اسلمت واخذها شيحة ولا بقى ينفع التعب فيها فكتب البب رومان كتابا يقول فيه من حضرة البب رومان ملك السماسم بين أيادى مولانا العادل ملك المسلمين اعلم ان الملك عرنوس اتى بلادى من غير ما اعلم به ودخل على بنتى واسلمت وتزوج بها وحضر جوان فعرفه فادعى عرنوسا انه على ديننا واخذ اولادى مرتين ومرتين بحيلة وسجنهما عنده برهن فى زوجته فحضر جوان

وسرق لى اولادى وبعد جاءنا شيحة فى صفة شبردى وسرق زوجة دوفش فركب دوفش واخوه دومار لأجل خلاصهما فاسرهما الدايبرو عرنوس فكتبت هذا الكتاب اليك اطلب منك ان تامر الدايبر وعرنوسا يطلق لى اولادى وانا ارسل له زوجته معززة مكرمة وتكون انت الضامن لى عند الملك عرنوس وإن اطلق الملك عرنوسا اولادى وتاخرت انا عن إرسال زوجته اليه اكون انا خصمك وسيفك اولى بى وانت يا ملكنا سيفك طويل وشكر الرب المسيح وختم الكتاب بعد ذلك وسلمه إلى مخبتون وقال فى آخره ونقدم عليك خزنة من المال مقدارها الف كيس. كل كيس الف دينار فاخذ الكتاب الوزير مخبتون

تم الجزء الرابع والعشرون ويليه الجزء الخامس والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الخامس والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] ونزل الوزير مخبثون فى غليون فكان الهواء باردا فما تم ذلك اليوم إلا وهو نائم بالمينة فبينما هو مقيم وإذا بجوان مقبل عليه فاستقبله وبات عنده فى الغليون ولما نام الوزير مخبثون بنجه جوان وأخذ من جيبه الكتاب فقرأه وشرمطه وكتب كتابا بمعرفته ولصق الختم فيه ووضعه فى جيبه وأيقظه فى الصباح وتركه جوان ومضى فى حاله [وأما] مخبثون فانه سافر إلى الاسكندرية وأرسل باشة اسكندرية بانه قادم عليكم من عند رومان للملك الظاهر فانقله من المالح للحلو وسافر إلى مصر وطلع إلى الديوان وقدم الهدية للملك الظاهر والكتاب فاعطى السلطان الكتاب لمن يقرأه فنظر فيه وتميزه وقال يا مولانا هذا الكتاب لا يقرا إلا سرا فقال السلطان اقرأه جهرا على العالم فان رومان عاقل ولم تكن عنده قلة عقل فقال اقرأه ولكن اطلب من مولانا السلطان الأمان فقال الملك الظاهر عليك الأمان فقال فى أوله بالصليب وما صلب على الصليب ونحن وأنتم نرحدوا القريب المجيب أما بعد فمن حضرة بب البابات وقران القرانات البب رومان ملك رومة المدائن الحاكم على مماليك السماسم والسبعة عشر جنس من الروم وافرنك وارمل ودوبرة وفرنسة ونميسة وملكان ومسكوف وما أشبه ذلك صاحب الشنابير والبنادرة المفرودة على رؤس الملوك الكبار والصغار إلى رين المسلمين الذى أصله مملوك مشترى من محمود المسارع العجمى ونصبت بنت الأقواسى خادم حبظلم بظاظة اعلم ان اولادى عند عرنوس فى مدينة الرخام اسرهم بحيلة شيحة البدوى الذى أصله خادم حمارة جوان فحال وصول كتابى هذا اليك تحضر عرنوسا وتأخذ من عنده أولادى وهم دوفش ودومار وترسلهما الى فى عز وأمان وتحكم على عرنوس انه لا يتجرأ بعد ذلك على أولاد الملوك بمثل هذه الفعال وإن فعلت ذلك حقنت دمك ودم عسكر ومن يتبعك من المسلمين وإن خالفت ركبت بركبتى فى البر والبحر الركبة التى فى البر يكون أول العساكر فى حلب وآخرها فى رومة المدائن والركبة التى فى البحر

يكون أول العساكر فى المراكب على اسكندرية وآخرها مينة رومة المدائن واسد عليك البر والبحر بالعسكر وآخذ بلادك واهلك عساكرك وأجنادك ولا ينفعك عرنوس ولا خلافه وها أنا حذرتك والشكر للرب المسيح فلما سمع السلطان هذا الكلام امتزج بالغضب فقال الوزير يا ملك احلم الملك الذى يكتب هذا الكلام لا يتأتى منه أن يرسل هدية لأنه لا يهادى إلا المذلول وهذا قول غرور وزور ثم التفت الوزير وقال يا مختون فقال مخبتون يقطع محبتون والذى أرسل مخبتون يا سيدى أنا اعترفت والا لساع بالحية ثم قال الوزير يا محبتون هذا الكتاب كتبه رومان فقال لا الكتاب الذى كتب لى رومان فيه كل كلمة أحلى من الشهد وما فيه من هذا الكلام ولا كلمة واحدة فقال الوزير وما الذى غيره فقال جوان بات عندى لما كنت فى مينة اسكندرية وهو الذى فعل ذلك وقصده الفتنة وخراب البلاد وأنا ياسيدى فى عرضك انظر الختم فقال الوزير الختم أهو ملصوق بغرة ولكن خذ الكتاب الذى أتيت به وعد إلى من أرسلك يكتب كتابا غيره ومولانا السلطان نرجوه يسامحك فقال ياسيدى حاضر فأخذ الكتاب وخرج من قدام السلطان يحس على رقبته فسار إلى مينة اسكندرية ونزل فى المالح إلى رومة المدائن فدخل على رومان وأعلمه فضربه الف كرباج وقال له لاى شىء مكنت جوانا من الكتاب حتى تسببت هذه الاسباب اكتب انت كتابا بيدك وأنا أختمه فكتب مخبتون وختم رومان وسافر بالانتصار حتى وصل قدام السلطان فاعطاه الكتاب مع غاية الادب وإذا فيه انه يتشفع له عند الملك عرنوس فى خلاص أولاده وهو يرسل له زوجته فأمر له بالاقامة فى المستودع حتى يكاتب عرنوسا فكتب السلطان بيده كتابا إلى الملك عرنوس يقول فيه

مهد القلب حبكم بالتصابى لقربكم ... حبكم مازج الدماقى الاعضا عند ذكركم
لو رأيتم مكانكم فى فؤادى لسركم ... قصروا مدة الجفا طول الله عمركم

إلى حضرة ولدى وأعز من ولدى من عليه بعد الله تعالى فى الشدائد معتمدى الليث الضارى والبطل المانوس من حاز الشجاعة بين الفرسان وافخر من ركب على ظهر القربوس وضرب أعناق الاعداء بالسيف والدبوس والتقى من اعدائه المضارب على الدرقات والتروس الملك محمد سيف ابن عرنوس أما بعد لايخفاكم فان أولاد رومان عندك رهائن فى زوجتك الملكة شمس ورومان أرسل لى هدية خزنة من المال وهى قادمة عليك صحبة حامل هذا الكتاب فحال وصول كتابى هذا اليك اطلق أولاد رومان وأنا اضامن لك حضور زوجتك وان تأخر رومان فى إرسالها فلا تلزمها الا منى وأنا

واقه اركب عليه وأخرب بلاده وأملك عساكره وأجناده وأنا ضامنه لك فاقبل ضمانى واطلق أولاد رومان واطف هذه الفتن والسلام على النبى البدر التمام فاعطى الكتاب إلى المقدم سعد وقال له سر إلى عرنوس بهذا الكتاب وعدلى منه برد الجواب وسلمه هذه الخزنة فسار سعد أياما قلائل فدخل على الملك عرنوس وأعطاه الخزنة وسلمه الكتاب بعدما سلم عليه فقرأ الكتاب عرنوس والتفت إلى سعد وقال له وأنا محتاج إلى أموال يرسلها إلى رومان حتى أرسل له أولاده من السجن والا رومان معتمد وأنا فلانى حتى ان الملك الظاهر يضمنه وأنا مايضمنى بدل ما يضمن رومان لى ويأمرنى باطلاق أولاده كان يأمره هو بارسال زوجتى وبعد ذلك يأمرنى باطلاق أولاد رومان والا باع مثلى مؤمنا شريفا واشترى خاطر رومان لكونه أرسل له الهدايا ولكن الملك الظاهر لا يلام لكونه أصله مملوك مشترى درهم ويدخل عليه الغرور بالنعم [قال الشاعر]

في الناس من بالكرم وثماره ... تجنى وفيهم بالبخل يابس

وذا وذا الكل من فرد طينة ... إن أردت ذا وذا تقايس

كم غصن فى روض له ظل ممدود ... مورق ومعقود بالزهر يابس

وغصن تلقاه الازهار والاثمار ... ولا الخلائق تهوى عله

لا يفتخر غصن عن رفيقه ... إلا بشره وكثرة ظله

وهذا الملك الظاهر لاهو للسيف ولاهو للضيف واقامته على خدمة الحرمين حرام وحكم مثله ضرر على بلاد الاسلام الذى يقبل الرشوة والبرطيل من الكافر ويبيع مثلى مؤمنا شريفا طاهرا فقال المقدم معروف يا ولدى أى شيء هذا الكلام فى حق ملك الاسلام والله ياولدى مالنا على وجه الأرض صديق إلا الملك الظاهر فقال الملك عرنوس يا أبى انت كبرت ولا بقى لك عقل ثم انه شرمط الكتاب ورماه فى وجه المقدم سعد وكتب له رد الجواب فقال خذ رد الجواب وقل له يقعد فى أدبه لا يحسبنى انى ملك ملوك الروم يظن انى أذل تحت حكمه والا تحت ارادته ورسمه وكان مضمون الجواب الذى كتبه الملك عرنوس

علوتم بلا عز وجد ولا ولا ... والا ارتفاع فى مقام ولا ولا

وحزتم غرورا بالتكبر والعلا ... ولكنكم تجستمرا رتب العلا

وأورثتموها بعد عزتها ذلا

فتبا لدهر أنتم وساوه ... فكنتم أراضيه وصرتم سماوه

ولولا قضى من لم يرد قضاؤه ... لاصفعت دهرا أنتموه ولاؤه

بنعل ـ كى صفعه بكم أولا

اما بعد فمن حضرة محمد سيف الدين عرنوس بن المقدم معروف المنسوب إلى الامام على بن أبى طالب إلى بين أيادى الملك الظاهر بيبرس اعلم ياظاهر أنى است من ملوك النصارى حتى أذل لحكمك أو امتثل لامرك حتى تقبل البرطيل على من رومان ملك رومة المدائن وتأمرنى ان أخلص أولاددوفش ودومار مع أن هذا أمل بعيد عنك وعن رومان اقعد فى أدبك واعلم أنى أحق بخدمة الحرمين الشريفين منك فانى أنا سلطان وأبى سلطان وجدى سلطان قسما بمكون الأكوان الرحيم الرحمن خالق الانس والجان القديم الاحسان إذا لم تقعد فى أدبك وتقلع لباس التكبر عن بدنك والا عرفتك مقامك واعجل انتقامك تبيع مثلى مؤمنا شريفا بكافر ولم تخش من الملك العزيز القادر وتأمرنى أن أطلق أولاد رومان وهم رهائن عندى فى زوجتى كنت أنت تأمره ان يرسل إلى زوجتى وأنا أرسل اليه بعد ذلك أولاده وتقبل الرشوة واسمك الملك العادل والله ما أنت إلا ظالم وما أنا مطلقا لا أطلق أولاد هذا الكافر ولا بدلى من طلبه بالعساكر وإن أنت حاميت عنه فأنا كفء لك وله وأعلى ما فى خيلك اركبه واحمض ما فى طعامك اشربه والسلام فأخذ المقدم سعد رد الجواب وسار من مدينة الرخام الى مصر فدخل على ملك الاسلام وأعطاه الكتاب فأمره أن يعطيه لمقرى الديوان فلما نظره المقرى قال يادولتلى إئذن لى أن أقدم واقرأه سرا بينى وبينك وإلا اقرأه جهرا وأكون تحت الامان قال الملك اقرأه حتى اسمعه وعليك الامان فقرأه كما هو مكتوب ولا فى الاعادة افادة إلا فى التوحيد والعبادة فضحك السلطان من كيد الغيظ فقال سعد ما بعد حرق الزرع جيرة وهذا كتابك مشروط يا ملك الزمان فقال السلطان ما علينا اتركوا هذا الحديث وأنا انتقم من عرنوس أو أساعه ثم تركوا هذا الكلام وأرسل السلطان فأحضر أبا بكر البطريق وأعطى له الكتاب وقال له تسافر الى مدينة الرخام وتعطى هذا الكتاب إلى المقدم معروف بن جمر ولكن لا يعلم بذلك عرنوس ولا أحد من أولاد ملوك البر فقال أبو بكر على الراس والعين فسافر إلى الاسكندرية ونزل فى الغراب العظمى وسافر إلى مدينة الرخام وطلع فى عصر النهار فدخل على الملك عرنوس وسلم عليه فسأله من أين أقبل فقال من بلاد الروم وقاصد الاسكندرية فأحضر له الطعام وأكل معه وباسط وحكى له ما جرى وبان الملك الظاهر أخذ الرشوة من رومان على دقاق القبطان هذا يقبل البرطيل على ولده الذى من صلبه فقال معروف كذبت يا بطريق فقال عرنوس انظر يا قبطان الاسلام كلام أبى وطمعه فى محبة الملك الظاهر ودامرا على هذا الحال * هذا وقام الملك عرنوس إلى الحريم فاختلى البطريق بالمقدم معروف وقال له كتاب السلطان فقال له ولأى شىء كنت عمال تسخط

على الملك الظاهر مع ولدى عرنوس فقال له بهذا أمرنى مولانا السلطان فمسك منه الكتاب وقرأه وإذا فيه بعد السلام اعلم يامقدم معروف ان الكلام الذى كتبه ابنك فى الكتاب فيه قلة أدب وماهو قدرى حتى أقوم عليه واقاتله واركب عليه وأحاربه وقد أرسلت اليك هذا الكتاب مع قبطانى أبو بكر البطريق فتأتينى بعرنوس ان كنت باقى على محبتى حتى أطفى هذه الفتنة لأن الدولة يقولون لولاخوفه من عرنوس ماقعد عنه وهذا فيه أصغار مقام وهاأنا أعلمتك والسلام فقال المقدم معروف يارئيس أبو بكر هذا الوقت الغراب العظمى فى أى محل هو قال على المينة فقال احضره وقام المقدم معروف إلى ولده فوجده نائماً فبنجه وحمله ونزل به الى الغراب العظمى وقال سافر يابطريق فسافر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع خرج عليه مركب قرصان فحاربه وإذا بمركب ثانية وثالثة ورابعة فحاربهم البطريق يومين وفى اليوم الثالث فرغ منه الجلل والبارود فانه لم كان مستعد للحرب فدهمته المراكب واحتاطوا به من كل جانب وشكوا الكلاليب فى الغليون فقاتل المقدم معروف ولم تكن له معرفة بقتال البحر فالتفت الملك عرنوس الى البحارة وقال حلونى أحسن موتى فى قتال الكفار فحلوه فقام ويده على سيفه وقال الله أكبر يا كلاب الكفر انا عرنوس الدبابر فلما سمعوا الكفار كلامه أيقنوا بالحمام ورموا بأنفسهم فى البحر البعض منهم غرق والبعض عام فنزل الملك عرنوس فى مركب ويده على خناق صاحبها وقال هيا سر بى على مدينة الرخام ولك منى الامان والذمام فقال له على الطاسطة ياسيدى وسافر بالغليون وطاب له الهوى باذن فالق الحب والنوى فما أصبح إلا وهو على مدينة الرخام فدخل إلى الديوان فقابلوه أولاد ملوك البرتقال وسألوه أين كان فأخبرهم بما فعل به أبوه المقدم معروف وعاتبهم كيف أنهم ما سألوا عنه فقالوا والله ياملك لم يكن عندنا علم بهذا بل ظننا انك سرت مع أبيك فى جهة ولم تعلمنا وبعد ساعة أقبل المقدم معروف فنظر الى ولده فلم يجده فقال لأبى بكر البطريق ياقبطان الولد عاد إلى مدينة الرخام وأنا إذا رحت معك الى الملك الظاهر ما يكون كلامى معه وما عملى عنده ردنى الى مدينة الرخام حتى أرى ما يدبره الملك العلام فلا صاحب أبقيت ولا عليل داويت فعاد به البطريق الى المينة فطلع معروف

وأما البطريق فأخذ الثلاث مراكب واحتوى على ما فيهم من الذخائر وكان اثنان من جزائر القلق والثالثة من القيطلان وأما التى عادت بعرنوس فكانت من جزيرة أرواد فنفد بها صاحبها فى أمان الملك عرنوس ولما طلع عرنوس على مدينة الرخام سافر ذلك القبطان [وأما] المقدم معروف لما دخل على ولده فأراد أن يعتذر اليه فقال له عرنوس ياأبى أنا لا يدى تمتد عليك ولا لى لسان يعلو عليك فيا أبى اقعد

فى حصن صهيول ولاتمكن لى ولا على حتى أنظر حالى مع الملك الظاهر اذا أنا قتلت على يديه وأفوض أمرى الى الله وقم أنت تحت أمانه وان أنا قهرته فحينئذ اما ان تساعدنى أو تساعده او تصلح بينى وبينه واما انا ما بقيت آمن لك انك تقدم معى حتى أنك تقبضنى لعدوى والله ان اقمت عندى فلابد لى من قتل نفسى ولا أرضى ان الظاهر يتشفى فى ويقتلنى فقال المقدم معروف ياولدى الله يكفيك شر نفسك وتركه وخرج من عنده وطلع من مدينة الرخام ودموعه على خدوده سجام وقد سار الى جبل الرخام وقعد فى مغارة ودموعه جارية غزار فبينما هو قاعد واذا برجل درويش مقبل عليه من البر فقال له ياشيخ لاتخف فان الله خفى الالطاف ولله فى خلقه سر لايعلمه الا هو فقال معروف يادرويش والله أنك صادق ولكن ابن آدم ملوق فقال له والرب شفوق ثم ان الدرويش اطلع كتابا وقعد بجنب المقدم معروف يقرأه فقال المقدم معروف ياشيخ الدراويش اعمل لى استخارة فقال له الدرويش وأنت لاى شىء قاعد هنا قم بنا نروح لابنك أنا اخوك شيحة فقال له ياحاج شيحة الولد فجر على ولم يبق يقبلنى ولا يسمع لى كلاما اولا والله ضاقت حيلتى منه فقال شيحة قم معى وأنا أصالحك معه ثم انه أخذه وسار به الى مدينة الرخام فدخلا على عرنوس فقام له على الاقدام ونظر الى أبيه فقال له أنت جئت مرادك اقتل نفسى والا تأخذنى الى الملك الظاهر فقال شيحة أخبرنى عن هذا الامر فحكى الملك عرنوس لشيحة على ماجرى وما وقع فقال شيحة والادرومان ماهم عندك فقال له نعم عندى لكن السلطان أمرنى باطلاقهم لابيهم وأعاد له الذى جرى وبعد ذلك كان فى قصده انه يسلمنى الى الملك الظاهر يفعل بى مايشاء قال شيحة الملك الظاهر يعرض لرومان لكونه تحت أمره ويورد له الخارج سنوى ولو كان عنده عقل كانت الشعرة تلك تساوى جميع ملوك الروم قال معروف ياحاج شيحة والله ان الملك الظاهر عاقل وماهو عدو لنا أبدا فقال شيحة يامقدم معروف انا كم بلاد ملكتها له وكم رجال تقاتل معه وتحت يده ولكن لاحد ولاجميل لاداموا المقدم جمال يحدث مع عرنوس بمثل هذا الكلام الفشار الى آخر النهار فطلب جمال الدين الانصراف وقام على قدميه وقام الملك عرنوس وأبوه معروف لقياه الى باب الديوان [illegible] وفى عودتهما قال المقدم جمال الدين اجتمع عرنوس والاسم الاعظم اذا ما كنت [illegible] من هذه الليلة و[illegible] للملك الظاهر ونعتذر اليه [illegible] احشو جادك [illegible] على باب مدينة الرخام [illegible] [illegible] أراد ان يقبض [illegible]

وقع له على أثر فعاد عرنوس وهو ينفخ كأنه ثعبان ويهدر من فؤاده الى الآن الى ان فات من الليل ساعتين فقام معروف فصلى العشاء وقعد يقرأ في أوراده فقال الملك عرنوس يا أبى سمعت ما قال شيحة فقال معروف والله يا ولدى ان شيحة يقول ويطول هذا اليمين الذى حلفه ضيق فقال عرنوس بقيت أروح الى الملك الظاهر أنا فقال معروف ان رحت على خاطرك وان قعدت على خاطرك واعلم ان الشتاء قد أقبل والانسان يريد جلدا على جلده وشيحة يريد ان يسلخ الرجال ويخليهم غير جلود فقال عرنوس أنا أقوم راكب وأنت يا أبى تسير معى فقال معروف طيب يا ولدى أروح معك فركب الاثنان تحت الليل وما طلع النهار الا وقد أبعدا عن مدينة الرخام وقطعا البرارى والآكام ليالى وأيام حتى وصلا الى مصر اسمع ما جرى من أمر البطريق فانه أخذ الثلاث مراكب وعاد الى الاسكندرية فطلع من الغليون وسافر الى مصر ودخل على السلطان واعلمه بما جرى فقال السلطان بقى كانوا حضرين الك المراكب يحاربوك اظن ان هذا منك موالسة فقال القبطان لا وحق من أولادك رقاب العباد وحاشا يا مولانا ان خادمك ينافق فى خدمتك واذا بالمقدم جمال الدين مقبل فلقاه السلطان على حسب العادة ولما جلس قال يا ملك الاسلام البطريق ما قال الا الصحيح ولا فعل الا كل المليح وأما المقدم عرنوس فهو قادم عليك فى هذا النهار وودعه ونزل فقعد السلطان ينتظر عرنوسا الى العصر فأقبل المقدم معروف وهو قابض على خناق ولده وقال تفضل يا ملك الاسلام هذا عرنوس ولدى الذى شقك بالكلام فهاهو بين يديك اقل من العبيد افعل به كل ما تريد فقام السلطان واخذه من يد أبيه وفك كتاف يديه وأمره بالجلوس فقبل يد السلطان وجلس فى محله وباسطه فى الكلام حتى زال من قلب الملك عرنوس الغيظ فقال له السلطان يا ملك عرنوس انا لى عرض منك انك تترك الغيظ وتطلق أولاد رومان والذى مضى لا يعود وزوجتك لا تخليها الا فى فقال عرنوس يا عم أنا ما أنا خايف من رومان ان يحاربنى ولا أنا منى يهرك حريم لا أطلق أولاده حتى تأتى زوجتى وان لم يرسلها ركبت على رومة المدائن بفرسان عنده هم المارت منهم والحياة عندم فقال السلطان لاجل خاطرى فقال رنوس يا عم ودور ذاك لا يرسل الى زوجتى ما ارسلت له أولاده فقال خايف منك ان تقتل أولاده اذا أرسل زوجتك الى الكافر ... ذاب جسور فقال عرنوس يا ... كذلك اخاف ... يرسل ... اولاده ... تكون انها اسلمت كل هذا يجرى ... البطريق ... من ... عرنوس للسلطان لان العداوة فى قلبه قديما من أيام رومة ... يا ملك عرنوس انك يتحف

بخاطرك وأنت تراجعه يعنى البابا رومان ما كان يقدر على حربك ويأخذ أولاده منك لكن خايف من مسلطان فانفتحت اذن مخبتون لذلك الكلام وظن ان الملك عرنوس شيئا قليلا عند السلطان لما قال له ايدمر ما قال وعرنوس ما رد عليه سؤ الاقتام مخبتون على حيله ووقف قدام الملك عرنوس وقال له يا دياير البب رومان ماهو قليل وحق كانا مينا انه يقدر يخلص أولاده منك بالحرب والصدام ويكبس عليك فى مدينة الرخام ويضرب عنقك بالحسام فما تم مخبتون كلامه حتى انحمق عرنوس عليه فقام على قدميه ونفر عرق الغضب بين عينيه فجذب قاسم الحديد بين يديه وضرب مخبتون على وريديه فاطار رأسه من بين كتفيه وقال يا كلب الروم أنا لو كنت أحسب حساب رومان لما كنت أعيش فى هذا الزمان وبالقضاء والقدر وقعت رأس مخبتون فى صدر أيدمر البهلوان وصار الدم على صدره ووجهه فقال له أى شىء أقول لك ياعرنوس الكلام معك خسارة فما أنت إلا خلفة نصارة تربية خمارة فقال عرنوس أنا والله ما ربيت فى خمارة والذى ربيت عندهم ملوك وأما أنت فعديم الاصل مشترى درهم ولم تعلم أباك ولا الذى رباك بل انك أكلت فضلة قطور الياسرجى ودال عليك وقال حراج فاغتاظ ايدمر من ذلك الكلام فتقدم إلى عرنوس وأراد أن يمسك خناقه فمد يده عرنوس وقبض على اطواقه فخاف الملك عليهما فقام وفى يده قضيب خيزران فضرب أيدمر البهلوان وايدمر مصارع فزاغ عن الضربة فوقعت على عرنوس فرفع السلطان يده وأراد أن يضرب أيدمر مثل ما ضرب عرنوسا فزاغ ثانيا ووقعت الضربة الثانية على عرنوس فظن عرنوسا أن ذلك عمدا فقال له ياملك الاسلام أنت الذى اسمك عادل كان يجب عليك أن تنصر اميرك ولكن ياظاهر ما أبالى أنا ابن النصارة وتربية الخمارة حكم ما قال لى أيدمر البهلوان وأنت تضربنى فى الديوان ولكن ياملك سوف ترى ما أضربك بالسيف اليمان إذا ضمتنى أنا وأنت حومة الميدان مثل ما ضربتنى ياظاهر فى ديوانك بين وزرائك وأمرائك وفرسانك يا قليل المروءة والاحسان ونزل الملك عرنوس من قلب الديوان وهو على ما فعل بالملك الظاهر غضبان فعند ذلك التفت الملك الظاهر إلى أيدمر البهلوان وقال له ياقليل الادب أنت أى شىء الجاك أن تأخذ من عرنوس باهل ترى من أمثاله أنت حتى إنك تجادله وتحاججه امسكوا أيدمر اقطع رأسه يامقدم ابراهيم فقال معروف يادولتلى يعنى ما تحمق إلا على أيدمر ولو كنت تحمق على نفسك لما ضربت عرنوس ولدى قدامى ولكن هذه فتنة فبالله عليك ياملك الاسلام لا تجعل اتلاف هذا البيلربجى بسبب ولدى بل اطلقه لاجل خاطرى وأما أنا ما بقى لى إقامة لا فى مدينة الرخام ولا عندك لا فى القلاع والحصون ولا بقى لى مقام

فى محل مادام ولدى هاجرنى ومعتزل عنى اشهدوا على يابنى اسماعيل والاسم الاعظم
كل من قال لى ان ولدى عاصى وأتى بركبة كفار ليحارب الاسلام لاقطع رأسه بالحسام
وهاأنا قد أعلمتكم والسلام وأما أنت يامقدم إبراهيم أنت وسعد تكونا معى فان ولدى
قد فارقنى فأنتم تسليانى على فراقه فقال إبراهيم وسعد على الراس والعين فأخذهما وسار
وطلبوا البرارى والقفار وداموا سائرين الى الشام فدخل معروف الى جامع الاموى
والاثنان المقادم معه فاقاموا فيه يقع لهم كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال
النبى يكثر من الصلاة عليه . وأما الملك عرنوس فانه نزل من قدام الملك الظاهر غضبان
فركب على جواده والغيظ مالك جميع أعضائه فلما خرج من القلعة قصد الى جهة الخلا
من باب الوزير فالتقى برجل وقال له السلام عليك ياملك عرنوس السلام على أهل
السلام فقال آه يادولتلى انظر الزمان ومايفعل الذى أصله ملوك يقاوم الملوك والدهر
يا ولدى هكذا فقال عرنوس ياشيخ أنا كنت عند النصارى محفوظ المقام ولارأيت
المصيبة الا فى بلاد الاسلام فقال له ولاى شىء تهان أو تضام اعلم ان الذى قدامك
عالم ملة الروم جوان وكل الذى جرى لك أنا واقف انظر اليك ولكن وحياة راسك
ان طاوعتنى لاجعل ملوك الروم كلهم تحت ركابك وتورى لبيبرس وقرفه فى الديوان
ويضربك بالقضيب الخيزران فقال الملك عرنوس ياجوان تقيم العصيان فى أى مكان
فقال له عند البب رومان فقال عرنوس وأولاده عندى فقال جوان هاتهم معك وأنا
أصالحك معه وأول مايركب معك رومان وأخلى ملوك الروم على جوان فعنده سار
الملك عرنوس الى مدينة الرخام وأخذ أولاد رومان وأركبهم على الخيول العربية وأوصى
وزيره الملك محمد الطن وردواش على بلده وحريم الملك عرنوس فقال له واقه ياملك
ما يبلغ عدو من بلادك وفى جارحة تحقق فشكره وأخذ دوفش ودومار أولاد البب
رومان وطلع بهما الى جوان وساروا الى رومة المدائن فسبق أولاد رومان وأعلما
أباهما بقدوم الملك عرنوس فخرج الى لقائه ورحب به وحياه فقال جوان للبب رومان
اعلم أن قصدى ان ارد الديار الى ملة الكرستيان حتى تقيموا به دائرة النصارى
ففرح رومان بتلك العباره وبعد ذلك دخل الملك عرنوس عند زوجته الملكة شموس
بنت البب رومان واقام عندها واما جوان فانه قال لعرنوس انا اكتب وانت تختم
فقال عرنوس كذلك فكتب اربعا وخمسين كتابا اربعين منهم الى اربعين ملك
اولهم الفرنجيل ملك العريش وآخرهم اصطلود الغافى ملك جزائر الغافى
وسبعة كتب للسمعريات اولهم مقلوين ملك البرتقال وآخرهم دردون ... ك ملك السكسك

واراضى المرجان وسبعة كتب السبع قرانات اولهم ميخائيل ملك القسطنطينية
وآخرهم روم الاصم ملك اراضى الرها والاصبهان وقد اقتصرنا فى هذا الديوان
لان المراضى الذى تجتمع على رومة المدائن خلق لا تحصى بعدد الرمل والحصا فان
الملعون جوان يقول فى نسخة الكتاب الذى كتبها خطاباً من عالم ملة الروم والامر
المحترم البركة جوان إلى ملوك الروم فلان فلان إعلموا أن الديابرو عرنوس الذى
هو ابن البب مغلوبين ملك ملوك البرتقال كان أسلم واقام مع المسلمين والآن أراد
العود إلى ملة الكرستيان ويريد الجهاد فى طاعة المسيح واشهار الدين الصحيح ووعده
المسيح والمارحنا المتمدان النصر على يديه وقد كتب لكم هذا الكتاب فاجتهدوا
فى هذا العام وجاهدوا اعلال هذا الدهر والشهر فان المارى جملص وعدكم بالنصر
ومن أراد أن لا يكون من أهل السعير فليبادر للنفير ومن امتنع من هذه الغزوة الهنية
فليكن مبترى من دين النصرانية هكذا حكم عالم الملة جوان كما أمره البترك برسوم
العريان هنالك فزعوا أهل الكفر والضلال وبادروا إلى الحرب والقتال وكل
منهم طالب رومة المدائن حتى امتلاء السهل والجبال بخلائق لا تعد سبحان مفنى
العالم وبقى عرضى على رومة المداين فرسخا فى فرسخ فطلع الملك عرنوس ونظر
إلى ذلك الجمع الغزير فقال هكذا يكون الحرب والقتال حتى يرى الملك الظاهر
مقامه ويعلم أن هذه الايام آخر ايامه ثم ركب على ظهر جواده ذات النسور
وشق مع الملعون جوان على تلك الملوك وسلم عليهم وحياهم ورحب بهم
وامرهم بأخذ الاهبة للرحيل بعد ثلاثة أيام حتى انه يحارب ملك الاسلام
وفى اليوم الرابع ضرب مدفع الختم وقد تكاملت الناس وضرب مدفع الرحيل
من على رومة المدائن بعد ما ارسل الملكة شمس إلى مدينة الرخام فركب الملك
عرنوس وركبت معه القرانات السبعة وبعد ذلك ركبت البيات السبعة وركبت
الاربعين وانجرت الجيوش عسكر بعد عسكر وضرب طبلها و[illegible] وتزلزلت الارض
والجبال ونفرت وحوش التلال وامتلات البرارى بالامم بعدما كانت خوال وانفردت
على رءوس الملوك الشناير [illegible] وقد رفرفت البيارق ودقت الطرنبطات وصهلت
الجنائب العربيات ورقصت خيول الافرنجيات ودام المسير ولله المشيئة والتدبير
[illegible] ارض بعد ارض [illegible] غبارهم [illegible] حتى قربوا على حلب وانكشفت الغبائر
[illegible] ذلك انذار خفاق الارياب وحصن الاسوار وأقام
[illegible] الاخبار [illegible] وعادوا [illegible] هؤلاء

السبع بيات والقرانات السبعة وأربعون وملك من ملوك الافرنج والروم والمقدم
على ذلك الجمع الملك محمد سيف الدين عرنوس فكتب كتابا إلى مصر يعلم الملك الظاهر
فسافر النجاب إلى مصر ودخل على أمير المؤمنين فلما رآه سلمه الكتاب فطلب أيدمر
البهلوان وكان لما تشفع فيه المقدم معروف من القتل فأمر السلطان بسجنه إلى أن كان
ذلك اليوم فاحضره وقال له ياخائن يافضولى هذه الفتنة أصلها منك والسبب فيها انت
والله ماينزل له الاول الا أنت هياجهز نفسك للسفر وكتب السلطان الكتب إلى
بنى اسماعيل أصحاب القلاع ان يقابلوا السلطان على الشام وجهز الملك وبرز بعساكره
فى العادلية وأقام ثلاثة أيام وضرب مدفع الختم وبعده مدفع التحميل وركبت العساكر
وسافر بالامارة والفداوية الذين مقيمون بمصر بعدما أجلس السعيد على كرسى المملكة
وأوصاه بالعدل وسافر بقطع المراحل اياما وليالى تمام حتى وصل إلى أرض الشام
فاجتمعت عليه الفداوية مثل المقدم سليمان الجاسوس ومقدمو الرجال والفلك وسعد
الدين الرصافى وداود شاهين المسابطة وامثالهم من أهل القلاع والحصون وأعجب
ماوقع أن المقدم معروف بن جمر مقيم بجامع الاموى كما ذكرنا فاتفق ان تابعا من
أتباع بنى إسماعيل دخل يصلى الظهر فى جامع الاموى فنظره المقدم إبراهيم وهو
يصلى ولابس سلاحه فقال له أماهو حرام كيف تصلى يا شيخ وأنت حامل السلاح
فقال له لاابالى ياخوند لانى مكتوب فى الجهاد فقال ابراهيم أى الجهاد الذى أنت
مكتوب فيه فقال ان الملك عرنوسا جمع له جوان كفارا بكثرة وهم احاطوا بحلب
والملك الظاهر قام من الشام فى ذلك النهار ثم ان التابع سار فى حال سبيله فقال إبراهيم
ياسعد أدخل لخالى معروف واعلمه بان الملك عرنوسا راكب على بلاد الاسلام فقال له
سعد أدخل أنت قل له فقال إبراهيم اخاف أن يضيعنى فقال سعد وأنت معك راس
وأنا معى خيارة ماهى راس راجل فقال إبراهيم أنظر لنا واحدا يعلمه ويموت حتى
تخلص من هذه الكريهة فقال سعد أنا أدرر لك على واحد فخرج سعد من الجامع فلقى
يهوديا سارحا يتسوق الفضة والذهب القديم فقال سعد يامعلم هنا رجل عنده جانب
كسر فضة لكن بكره يلقى من يشتريها منه فقال اليهودى ياسيدى دلنى عليه وأنا أعطيك
شرب قهوتك فقال سعد [illegible] ذلك الجامع فسار معه اليهودى الى باب الجامع فاخذ
بيده المقدم سعد [illegible] فقال [illegible] هذا المطلوب ياسعد فقال إبراهيم يامعلم أدخل
إلى هذا المكان [illegible] ابنك أركب ركبتك على حسب وطلب حرب السلطان
فدخل اليهودى [illegible] المقدم إبراهيم فسمع المقدم معروف كلامه فخرج من

الخلوة التى هو مقيم بها وقبض على خناق اليهودى وجره إلى باب الجامع فضرب به بذى الحيات فارمى رأسه والتفت إلى المقدم ابراهيم وقال له سمعت يا ابن حسن ما سمعت أنا من هذا اليهودى فقال ابراهيم وأى شىء قاله اليهودى فقال معروف ولدى عرنوس عصى على السلطان وركب ركبه كفار على بلاد الاسلام فقال ابراهيم إذا كان الأمر كذلك فالواجب الجهاد يا خوند قال معروف صدقت ثم انه طلع من الجامع وهو لا يفتر عن ذكر الله تعالى فركب على ظهر حجرته وصار إلى حصن صهيون وأمر عماد الدين علقم بجمع الرجال فاجتمع أبطال صهيون كانهم العقبان وطلع إلى الملكة مريم وقال لها يا مريم ولدك عصى على الاسلام وركب ركبة ومراده يحارب الظاهر وهذا شىء ما فعله قبله أحد اللهم لا كفر بعد إيمان ولا ضلال بعد هدى قالت الملكة مريم يا خوند سألتك بالله العظيم إذا كنت مسافرا إلى الجهاد فخذنى معك لعل الولد إذا علم انى معك يحن قلبه إلى الوالدة ويكون من أهل الهدى

فقال معروف أنا كذلك أعرف هذا الرأى تحضرى يا مريم حتى أسافر أنا وأنت وباقى جاريتك تسافر معنا وتأنس بعضنا إذ ما أتتنا المنية بلادنا سعينا وروحنا للمنية بلادها ثم انه أمر باحضار تخت من الخشب وأركبه على بغلين فركبت فيه الملكة مريم وجاريتها وهى التى كانت تؤنسها مدة إقامتها فى حصن صهيون على بعد زوجها فلما كان الملك فى ذلك النهار سارت معها وما داموا سائرين إلى حلب وكان مسير المقدم معروف من صهيون بموكب سلطانى فتبعته الرجال الذى كانهم الأبطال الحيال وانفردت قدام حجرته شطفة من القصب المنسوج على الحرير المحشى بالذهب مكتوب عليها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وكانت هذه الشطفة مجعولة له تفرد قدامه فى أيام سلطنته ففردها فى هذا الوقت وفرد الرجال بجانبها شطفة المقدم جمال الدين شيحة [وأما] الملكة مريم وجاريتها فان الخدام سارت بهما مع الجملة قدام حتى وصلوا إلى حلب كما ذكرنا وانتصب الخيام فنزل المقدم معروف فى صيوانه المعد له وبعد ذلك قام إلى عند الملك الظاهر فسلم عليه فقام له السلطان وأخذ بخاطره وقال يا أخى لا تأخذ على خاطرك فقال معروف هذا يوم المنى الذى تنتظرونه طول أعمارنا فتعجب الملك من كلامه وجلس المقدم معروف بجانب السلطان فالتفت السلطان إلى الأمير أيدمر البهلوان وقال له أنت السبب فى ذلك يا خائن فقال معروف يا ملك الدولة أنت تريد تجعل خصمك هذا الرجل هذه إرادة الله تعالى وإنما يا ملكنا تكتب له كتابا مثل ما تكاتب الملوك ويفعل الله ما يشاء فكتب الملك كتابا وسلمه إلى

المقدم إبراهيم وقال له اعط هذا الكتاب إلى عرنوس وهات لى منه رد الجواب فأخذ الكتاب وسار إلى عرضى الكفار ودمس به الحجرة حتى صار قدام صيوان الملك عرنوس ونزل عن حجرته ووضع يده على شاكريته وقال قاصد ورسول بالزوج البتول وابن عم الرسول وسيف الله المسلول الامام على بن أبى طالب مظهر العجايب كرم الله وجهه ورضى عنه بالقوة امام نكس الأصنام وحمى البيت الحرام لاتبع من هزم ولاهتك حرم ضرب بسيفه فى الأرض كبرت ملائكة السماء فسمع النداء لاسيف إلا ذا الفقار القسطلى ولا أمير النحل إلا الامام على فقال الملك عرنوس هات الكتاب وخذ رد الجواب فقال له قوم على حيلك وخذ كتاب السلطان منى بأدب واعطنى رد الجواب بأدب واعلم أن السلطان كتبه فى ساعة غضب فتقوم تلاقى كلامه يعكر مزاجك فتشرمط الكتاب والله ثم والله ماتمرع الكتاب إلا وأمرع رقبتك بالشاكرية فقال له عرنوس واجب عليك لان الخادم يقول أكثر من ذلك الكتاب ماهو خصم اتشطر عليه ثم قام عرنوس وأخذ الكتاب وفرده وقراه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الأعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك القبلة وخادم الحرم إلى بين أيادى الملك عرنوس أغراك الشيطان وجمعت هذه الجموع ومرادك بذلك أن تفتخر بعصبة الكفار معان كبارهم وصغارهم ملوك وبيات وقرانات أنا قهرتهم ورتبت عليهم الخراج والعداد فى كل عام وهاانت جمعتهم وانا وأبطال الاسلام بقوة الله نفرقهم وسوف ترى ما يحل بهم الجميع ويصير كل منهم على التراب قتيلا وصريع فان أردت السلامة من الندم والوجود العدم فاقلع لباس الغرور وتأتى إلى عندى وتخزى هذا الشيطان وترد هذه الناس إلى إلى بلادها وإن خالفوا فأنا أردهم على أعقابهم ولا يغرك كثرة عدادهم فان السباع لاتبالى إذا كثرت قدامهم الغنم وماهم إلا طعام لسيوف أبطال الاسلام فان قبلت هذا الكلام كان هو الحظ الأوفر وإن خالفت سوف ترى من يكسب ومن يخسر والسيف أصدق انباء من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والعمد على الختم حجة فيه والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام

[فلما] قرا عرنوس الكتاب سلمه إلى المقدم إبراهيم وكتب له رد الجواب فقال إبراهيم هات حق الطريق فأمرله بخمسة آلاف دينار فأخذها الفداوى بن حسن وخرج من قدامه كما يخرج الأسد من الأجمة وعاد إلى السلطان وقال يا ملكنا هذا كتابك سالم وهذا رد جوابك سالم فاخذ رد الجواب وقراه وإذا فيه أيها الملك الطاغى

الذى يدعى المقدرة وتقول انك أسرت جميع ملوك الروم وقهرتهم وتقدر أن تفرق جمعهم اعلم انك انت وقفت فى وسط ديوانك بين عسكرك وجندك وأمرائك ولا اختشيت على مقامك وهذا ماهو افتخار فان كنت فى دعواك صادقا فلا تتكل فى الحرب على بنى إسماعيل لأنهم كما تعلم رجالنا وأهلونا فانزل انت واضربنى بالحسام حتى يرتفع قدرك والمقام كما ضربتنى بالخيزرانة قدام الخاص والعام وأنا وانت نكون اخصام وكل من قهر منا صاحبه كان له القدر والهيبة والاحتشام واحقن دماء عسكرك لا تتكل عليهم فى الحرب والصدام وأما أنا فلا اتكل على مدد الروم ولا البيات والقرانات ولا من يتبعهم من المواكب ولا القادات بل أنزل أنا اليك واثبت قدامك وأوريك يوم الحرب مقامك وتعرف هل كنت أنا ابن ملوك اصحاب قوة وجسارة أو ابن نصارى وتربية خمارة كما قال أميرك أيدمر البهلوان فى وسط الديوان والعمدة على الختم حجة فيه وشكرا يا رب المسيح

[فلما [قرأ الملك الكتاب مزقه ورماه وقال هذا ولد جاهل ولكن سوف يرى

ما يقبق الكوز إلا من تأمله   يشكو إلى الماء ماقاسى من النار

لو كل كلب عوى القمته حجرا   لأصبح الصخر مثقالا بدينار

ثم انه أمر بدق الطبول حربى فجاوبته طبول ملوك الروم حتى دوى البر وارتجت التخوم ولما كان عند الصباح اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف فعنده تمحضت عساكر الكفار عن الف عافر ماشين على الاقدام إجلالا لقدر الذى خارج للحرب والصدام فتأمل المقدم إبراهيم فقال هذا الملك عرنوس يا ملك الاسلام وإذا به قفز إلى الميدان ولعب كما تلعب الفرسان ونادى ميدان يا مسلمين ميدان يا سرجاين ميدان يا ميدانة مافى الميدان إلا الديابر وعرنوس ابن النصارى وتربية الخمارة فقال الملك اخرج يا أيدمر فقال حاضر ياسيدى فبرز إلى الميدان حتى بقى قدام الملك عرنوس وقال له جئتك فقال عرنوس ارجع أنا الملك لكل هذه الطوايف مابين روم وأرمل وأفرنك ونيمسة وكل من حضر من أجناس عباد المسيح وقد نزلت إلى الميدان طالبا هذا الملك الذى قائد هذه الجيوش الذين قدامى مجتمعة فان هو قهرنى فجميع من كان خلفى مالهم من بعدى ثبات وإن أنا قهرته يبقى كل من كان منكم له حمية فليخرج يأخذنى بعده إن قدر على ذلك لا مانع وأما انت [illegible] ولا وزير ولا قائد جيوش قال له أيدمر يا ملك عرنوس [illegible] الاسلام [illegible] [illegible] [illegible] ان اخرج اليك حتى [illegible] اذ شفيت غليلى

قلبك متى تعود إلى طاعته وينصلح حالك معه فقال عرنوس ارجع كما جئت وقل له هو ملك وانت ملك فان كان هو اتكل على أحد من جيوشه فانت الآخر انزل من تشاء فقال أيدمر بخاطرك ياسيدي وقد عاد من قدام الملك وهو يحسس على رقبته ولم يأمن على نفسه حتى بقي قدام السلطان فقال له الملك أي شيء الخبر فحكى له على ماقاله الملك عرنوس فقال السلطان من دعى فليجب هات ياعثمان الحصان فقدم عثمان الجواد القرطاسي فركب عليه وضربت المدافع اركوب السلطان ودقت النوب وخرج الملك إلى حومة الميدان وقال السلام عليكم ياملك عرنوس فقال عرنوس بان جورنه فقال له هذه كلمة يتبرأ منها كل مؤمن وحاشا ياعرنوس أن تكون أنت رجعت اليها فقال له الملك عرنوس ان كنت جئت ترعظني فانا عارف الوعظ وان كنت جئت تحارب فدونك والقتال فقال له السلطان صدقت جئتك قال وأنا تلقيتك فانطبقا الاثنان على بعضهما ودوت أصواتهما كدوى الرعد وخرجا مع بعضهما من الهزل إلى الجد وأوسع المجال طولا وعرضا وتمايلا واعتدلا على السروج فتعلمت الفرسان منهما كيف الدخول للحرب وكيف الخروج وتقابضا بالكفوف والزنود وتضاربا بكل حسام محدود وكان لهما يوم مشهود وتطاعنا بكل رمح كعوب املود وهموا على بعضهما همهمة الأسود وكل منهما أيقن أنه مفقود وانعقد على رؤسهما الغبار حتى بقي كانه السرادق الممدود وحفرت ارجل خيلهما في الأرض مقابر ولحود وتمكنت من قلوبهما الاضغان والحقود وقسا قلب كل منهما على الآخر كانه الحجر الجلمود ونعوذ بالله إذا تمكنت الاحقاد من القلب والكبد فعلا فعلا يشيب الأطفال في المهود لانهما انطبقا انطباق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادي زرود وما داما في ضرب الحسام البتار وطعن بالرمح الخطار حتى ولى النهار وأدركهما الليل بسواد الاعتكار فقال الملك ياعرنوس أتريد ان نبيتا تحت الليل على ظهور الخيل او تروح إلى عرضك وتأتيني عند الصباح حتى كلا منا ينال من خصمه براح فقال الملك عرنوس يادولتلي ان اردت ان تبايتني اباتيك وان اردت تعود فانا من يمنعك فقال السلطان ياعرنوس اما شجاعتك فانا اقر لك بها ولكن ما أنت من اهل البغي فابقى عليك لانك مسلم روح وتعالى في الصبح وان تأخرت اقول انك خفت مني

فقال عرنوس وان تأخرت [illegible] نزل خاف مني [illegible] إلى الخيام [illegible] الملك الظاهر فلاقاه معروف وهو بقاب [illegible] راسه [illegible] نزل في صيوانه وطلب الابريق [illegible] الطعام فاكل [illegible] ما جرى له فشال [illegible] معروف [illegible] يادولتلي

أتأذن لى فى غداة غد ان انزل إلى الميدان فقال السلطان لا وحق مكون الأكوان لم اتأخر عن الميدان ولا ينظرنى عرنوس ولدك بعين النقصان وهو لو كان كافر ولم يكن من أهل الايمان لكنت اكسيه من دمه حلة فانا أرجو ان لا اضيع ركنا من أركان الاسلام لاسيا مثل هذا الذى تمكن منه الشيطان وكل هذا بتقدير الملك الديان وبات الملك على هذا الحال [وأما] الملك عرنوس كان يظن ان الملك الظاهر شيئا قليلا وأنه إذا حاربه يأخذه أسيرا ويتركه على الأرض قتيلا فلما شهد ذلك اليوم حربه علم ان عياره ثقيل وأنه منى نفسه بالاباطيل ولكن اخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد ولما عاد من الميدان تلقوه السبع قراقات والسبع بيات فانهم ما كانوا يظنوا انه يعود سالما من قدام السلطان فلما عاد سالما أيقنوا انهم يأخذون به بلاد الاسلام ويملكون حلب وبعدها ياخذون الشام وأما جوان فانه سال الملك عرنوسا وقال له أى شىء رأيت حالك ياسيدى الدبابر مع دين المسلمين فقال ياجوان الحرب سجال يوم لك ويوم عليك وفى غداة غد يفعل الله ما يريد فقال له جوان تطاوعنى يادبر وتسجد للصليب فانه ينصرك فقال له اخرص ياجوان وإن عدت تبدأنى بهذه الكلمة أو بمثلها قطعت راسك بقاسم الحديد وبات إلى الصباح هذا ماجرى [وأما] المقدم معروف فانه بقى قلبه مشغول على ولده خوفا أن يكون أغراه الملعون جوان ويكون ارتد والعياذ بالله عن الاسلام فقال للمقدم إبرهيم يا ابن حسن انظر لى فى رؤية ولدى هل حصل فى قلبه اختلال عن دين الاسلام فقال ابراهيم ياخوند وحق من أرسى بقدرته شوامخ الجبال ويعلم عددها ووزنها وما فيها رمال وحبة وذرة ومثقال وهو الله لا إله إلا هو الكبير المتعال مقدر الأرزاق والآجال ان ولدك الملك عرنوسا برىء من الكفر والشرك والضلال ولا ضل عن دين الاسلام ولا مال وإنما ياخوند نفسه حامية وورطه الملعون جوان فى عز حماقته وتورط حتى اجتمعت حوله هذه الجموع ومابقى يعرف باى شىء يكون المرجوع فقال المقدم معروف اشهدوا يا بنى إسماعيل ويا من حضر فى هذا المحضر انى أوهبت إلى المقدم ابراهيم شاكريتى هذه ذى الحيات وهو الذى يرثهامى بعد المات فقال ابراهيم ياخوند الله لا يحرمنى طلعتك فانا عندى مشاهدتك قدام عينى أحسن لى من كل الدنيا ثم انهم باتوا على ماهم عليه

[ولما] كان عند الصباح برز الملك الظاهر إلى الميدان وتقاتل مع الملك عرنوس وكان بينهما يوم عبوس هفت منهما فيه النفوس وتضاربا بكل سيف وكل رمح ودبوس وداما على ذلك الحال إلى أن ولى النهار واستحال وأقبل الليل بالانسدال وثانى يوم وثالث

يوم كذلك ورابع وخامس وداما على هذه الاحوال مدة عشرين يوما بالتمام والكمال وليلة واحد وعشرين فرغت أبواب الحرب والقتال فقال السلطان يا عرنوس أنا أقول لك على الصحيح أن هذا اليوم الذى كنا فيه ومضى كل باب كان للحرب انقضى يا هل ترى فى غداة غد اذا أتينا الى الميدان نعيد الحرب والطعان الذى كنا فيه فقال الملك عرنوس أما إعادة الذى فات فهذا قط لايكون فان الماضى لايعود وأما أنا فأعرف بابين وهما فى أبواب القتال مذكورين فقال السلطان وماهما البابين الذى تعرفهما اذكرهما لى بابا بابا فقال له اضرب الانجرشيات وآخذها فى صفحات الركاب فقال الملك الظاهر ان هذين البابين أنا اعرفهما كذلك والذى علمهما لى وزيرى شاهين فقال عرنوس وأنا تعلمتهما من البب مغلوبين فقال السلطان بقى فى غداة غد إذا أراد الله لا يكون بيننا حربا إلا بهذين البابين وعاد السلطان إلى صيوانه فالتقاه أكابر دولته وأعوانه وعاد الملك عرنوس فالتقاه ملوك الروم أما السلطان فانه أمر باحضار خمس انجرشيات وركها بيده وسنها ومسحها وأركنها لوقت حاجته اليها أما عرنوس فانه كذلك أحضر خمس انجرشيات وركها بيده وسنها ومسحها وقد تركها وراح الى محل نومه فنظر الملعون جوان إلى ما فعل الملك عرنوس ففهم المقصود فالتفت إلى البرتقش وقال له ياسيف أنا فى عرضك تسرق هذه الانجرشيات التى مسحها الديابر وعرنوس فقال له البرتقش إذا أنا سرقتهما أى شىء تعطينى فقال جوان يبقى لك على جوان ليلة فى بحيرة يفرة ويقدم لك أى دامرية اردت من بنات الملوك فقام البرتقش ومشى إلى صيوان الملك عرنوس واختلط بالخدم وسرق الخمسة فردات الانجرش وأتى بها إلى جوان فوجد قدامه طشت فيه ماء أصفر وهو بول الحمير الاتانى ومنقد ملان فحم والع فاخذها منه وقلع أسنانها ووضعها فى النار حتى حماها وطفاها فى ذلك الطشت سبع مرات ثم انه ركبها كما كانت ومسحها وقال يابرتقش خذ ردها الى مكانها فقال البرتقش أى شىء عملت فيها فقال له سميتها فقال البرتقش وأى شىء تصدك ذلك فقال جوان يابرتقش ما بقى شىء من أبواب الحرب غير هذين البابين ربما يصطلحوا بعدها ولا ينوب جوان الاسواد الوجه وهذين البابين لابدما يصاب منهما أحد فاذا مات الديابر وعرنوس ترتاح من صداعه وان مات رين المسلمين كان الحظ الاوفر على أى حال يموت واحد والسلام فقال البرتقش حقيقة يا جوان انك بذرة نجسة خلقك ربنا بلوة للنصارى والمسلمين فقال جوان فى داهية وأخذ البرتقش الانجرشيات وعاد بها إلى مكانها . ولما كان عند الصباح ركب السلطان ونزل الملك عرنوس وتقابلا كما كانا بالامس وتقاتلا ساعة زمانية فعندها وضع السلطان

الانجرشيات فى كبد القوس وقال احترز يا ملك عرنوس وأطلق الانجرشية من يده كالشهاب الثاقب فرفع الملك عرنوس بالركاب رجله فوقع سنها فى وسط الركاب ووقعت بعدها على الأرض والتراب فقال السلطان حياك الله ياملك عرنوس وناوله الثانية والثالثة كذلك وقال اضرب ياعرنوس فاوترعرنوس الانجرشية فى كبدالقوس ثم قال احذر على نفسك يا ظاهر وضرب الانجرشية فخرجت كالصاعقة أو الشهاب فاخذها السلطان فى الركاب وكان ركاب السلطان من الذهب فخرقته تلك الانجرشية وخرقت الجزمة والخف واشتبكت فى كعب السلطان وكانت كما ذكرنا مزروجة بالسم الخارق القاتل فاشتبكت أضراس السلطان وتعنعته بعظم السم وكان إبراهيم وسعد بالهما من السلطان فصاح إبراهيم قتلت الملك يا عرنوس وخرج هو وسعد والوزير وأدركوا السلطان قبل أن يقع من على الحصان فاسندوه وعادوا به من الميدان وفى تلك الساعة ركب المقدم معروف وعماد الدين علقم ومنصور العقاب بن كاسر وحسن النسر بن عجبور واحموا الميدان وردوا جميع عباد الصلبان وأما الملك عرنوس فانه لما نظر إلى هذا الحال ما هانت عليه تلك الفعال ولم يعلم أن الانجرش مسموم فعاد وهو فى هموم وغموم وعلمت بما جرى ملوك الروم ففرحوا وعاطوا وأتوا إلى الملك عرنوس وقد سالوه أن يكبسوا على المسلمين فقال لهم لا أحد يتحرك منكم ثم انه طلع إلى صيوانه على جبل النحاس وأقام فيه وأما الوزير فانه أخذ السلطان وهو فى غاية الضنك وعاد به إلى الصيوان وقال يا ناس نادوا إلى شيحة وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل وقال يا وزير أى شيء تريد من شيحة إذا كان ذوروا السلطان مع عدوه جوان

فقال إبراهيم انا أجيء بجوان فاخذ سعدا ودخل من باب حلب وإذا بواحد حامل شايل أباريق وواحد حامل طاسات ويقول سبيل يا عطشان فتقدم إبراهيم وقبض على الاثنين بيديه وقال امسك يا سعد هذا جوان وهذا البرنقش فقبض سعد واحدا وإبراهيم قبض على الثانى وعادا بهما إلى صيوان السلطان فقال ابراهيم ياحاج شيحة هذا جوان فقال شيحة يا جوان هات الخرزة حتى أسقى بها السلطان لانه مسموم

فقال جوان ما هى معى بل هى مع البترك كرسانيوس بدير مصر العتيقة فأرسلوا اليه وخذوها منه فقام شيحة وضرب جوانا بما ينيف عن مائة سوط فلم يقر بالخرزة

فقال ابراهيم يا حاج شيحة اصبر وأنا أقرره فتقدم للبرنقش وضربه بالكف على وجهه وقال الخرزة يا برنقش فى أى مكان هى فقال هى فى ذراع جوان اليمين فتقدم شيحة وشق ذراعه وأطلع الخرزة وغسلها من الدم وأحضر السبعة البار وحطها

الخرزة وسق السلطان سبع مرار كما فعل به يوم مرينة فلما أفاق السلطان قال له أى شىء حالك فقال الملك ادخلونى حلب فانى أخاف على المرضى من كبسة الكفار وأنا فى هذا المرض فرفعوا السلطان إلى سراية حلب فلما رأت العساكر دخول السلطان حلب دخل جميع الأمراء وكذلك الفداوية وبقى جميع المرضى من داخل البلد وأقام شيحة ساعة عند السلطان يداويه وساعة عند عرضى عرنوس يدور به وينظر تدبير جوان فانه لا يأمن من مكره إلى ليلة من الليالى أتى المقدم جمال الدين فى آخر الليل إلى السلطان وهو بالغيظ ملآن وكان الملك انصلح حاله فقال لشيحة مالك يا أخى

فقال يا مولانا الملعون جوان لما علم أن مولانا حصل له ما حصل فجمع القرانات وقال لهم ان رين المسلمين مات وعساكره تحصنوا فى حلب خوفا منكم لا تكبسوهم فبادروا واكبسوهم فى حلب فقالوا له افعل ما تريد فرتب الملعون جوان الملوك وقال لهم كل خمسة من الملوك يأخذوا عساكرهم ويمسكوا بابا من أبواب حلب فقالوا رتبنا فرتب لباب الطوانى خمسة ملوك وخمسة وعشرين ألف عسكرى ورتب لباب القلعة مثلهم خمس ملوك وخمسة وعشرين ألف عسكرى وباب الشيخ بيرق مثالهم وباب النهر كذلك وباب البستان وباب الشام فهذه الستة أبواب كان المرتب عليهم مائة وخمسين ألف مقاتل بثلاثين ملك من ملوك الروم وأما باب القسرين الذى يقال عليه باب أنطاكية فسلمه الى عشر ملوك وتبعهم مائة وخمسون ألف مقاتل قدر الذين على الستة أبواب وكان الأمر كذلك وفى هذا النهار يكون الاستعداد والليلة القابلة يكون الحرب فقال الملك الظاهر يا شيحة وأنت أى شىء دبرته فقال ياملكنا قلبى على بلاد الاسلام لانا اذا أخذت حلب أخذت الشام فقال السلطان أين حسن النسر بن عجبور فقال نعم فقال خذ معك عشرة من مقادم بنى اسماعيل وكل مقدم تبعه ألفين مقاتل امسكوا باب الطوانى هيا حالا فقال حسن النسر على الرأس والعين

فقال الملك أين المقدم جبل بن راس الشيخ مشهد فقال نعم فقال خذ معك عشرة مقادم من امثالك وكل مقدم بألفى عسكرى تبقى العشرة بعشرين ألف امسكوا باب القلعة ومنصور [illegible] بن [illegible] وصحبته عشرة مقادم لباب الشيخ بيرق وعمران بن الأفعى ومعه عشرة لباب النهر وموسى بن حسن القصاص ومعه عشرة لباب البستان والمقدم سليمان الجاموس ومعه عشرة لباب الشام هيا امسكوا هذه الأبواب فقال المقدم معروف يادولتلى [illegible] انا فى باله لاكان حاضرة ذلك فقال السلطان يا أخى خليك عن آفسى فقال معروف يا ملك الاسلام أنت تريد تحرمنى من الجهاد

طاعة رب العباد فقال السلطان يامقدم أنا ما امنعك عن الجهاد وانما هو فاضل من الأبواب باب انطاكية اصبر لما ارتب له جماعة وانزلك صحبتهم فقال المقدم معروف ياملك الاسلام انه كان الفاضل باب انطاكية اكتبوه على حتى احميه انا فقال السلطان تحمى باب انطاكيه وحدك فقال احميه أنا وحجرتى وشاكريتى وهمتى اكتب باب انطاكية ياملك الدولة على وأنا بقدرة الله احميه ميت وحى والاسم الاعظم مايقف على باب انطاكية الا أنا وحدى ولايتبعنى أحد لا من جندك ولا من جندى ثم ان المقدم معروف قام على حيله ودخل على الملكة مريم الزنارية زوجته واعلمها بالذى جرى فقالت له خذنى معك ياخوند حتى أكون ناظرة اليك فقال لها وأنا على ذلك عولت حتى أنك تبقى تعملى لى الفطور والسحور ثم انه أمر باحضار النجارين فعملوا له مرقبا خشب على الباب فاطلع فيه الملكة مريم وجاريتها وصنعوا له دكة خشب ليقعد عليها وخولا لحجرة من الاخشاب وأرقفها على ذلك الخول بجانب الباب وأقام المقدم معروف ينتظر تلك الامور والاسباب فلما أمسى المساء صلى المغرب وكان صائم النهار قائم الليل فطلب الفطور فانزلته له الجارية فأكل بحسب الكفاية وقرأ اوراده وصلى العشاء هذا والملكة مريم تنظر الى جهة الخلا فرأت عساكر كانها السيل اذا سال والظل اذا مال فقالت له ياخوند ان الاعداء قد أقبلت هذا ما هو قسمى وبعده اقبلت خيل مثل الاول تسد السهل والجبل فقالت له مريم هاهى خيل غيرها فقال وهؤلاء ايضا ماهم لناوبعده تقاطرت المواكب حتى احتاطوا بالستة ابواب هذا والمقدم معروف جالس لم يفتكر فى هذا الحساب وبعده اقبلت خيل يدق بعضها بعضها وصهيلها أدوى فى جنبات الارض وعليها فرسان بملابس سود وقلوبهم سود مافيهم من يوحد الملك المعبود فتعجبتهم الملكة مريم واذاهم قدر الجميع وكل قاصدون الى باب انطاكية الذى وقع عليه المقدم معروف وكل منهم قلبه على القتال ملهوف فقالت الملكة مريم ياخوند انظر الى هؤلاء القادمين والى ناحيتنا واردين فقال المقدم معروف يامريم هذا قسمى الذى اردته بقوة الله وسوف احمى هذا الباب ولا اترك احدا يقرب حداه ثم انه تقدم الى حجرته ووضع فى رجله الركاب بلا خوف ولا ارتياب وقد تبسم للقاء الاعداء وضرب السيف كما يتبسم الكريم الى لقاء الضيف وصرخ صرخة أدوى لها السهل والجبل ونادى عند ما حمل حسبى الله اكبر

اذا حمل الكفار مع ليل حالك وجدت حدود الماضيات الفواتك
وثار غبار الحرب شرقا ومغربا وكان سواد الليل اعتم حالك

هلموا كلاب المشركين إلى اللقا لكى تنظرونى فى مقام التماحك
فلا تجهلونى عند مشتجر القنا فانى عروس الحرب عند التشابك
اجاهد فى الكفار حقا بهمة يقصر عن ادراكها كل فاتك
لعلى احظى بالشهادة والمنا وارقى فى يوم الحشر طرق المسالك
وها أنا معروف الذى شاع ذكره حكمت بنى اسماعيل خير الممالك
رجال تصد الكفر بالسيف عنوة وتجعل جماجما تمال السنابك

[قال الراوى] وتكبب وارتمى كصاعقة نزلت من السماء كحل الاعداء بمراود العمى قرأ عليهم آيات الله العظمى ابلاهم بالقيل والقال والذل والخبال فصار أن ضرب راسا شقه وإن طعن ضلعا دقة وفى ساعة واحده ازال الطمع من رؤسهم واعدمهم نفوسهم فما حمل على موكب الا وفرقه ولا جيش الا ومزقه وكلما مالت نحوه الخيل يصرخ فى وجوهها فيردها على اعقابها وترمى عن ظهورها ركابها ويطعن فى ظهورها ويضرب رؤوسها ونحورها ودام القتال على ذلك الحال حتى اتى نصف الليل وظهر نجم سهيل فكان معروف كالهم بحسامه كيلا واى كيل واجرى دماءهم كجريان السيل وابلاهم بالحرب والويل وكلما صاح الله اكبر يتصور إلى أهل الكفر أن الجبال والاحجار كلها عساكر فلما علموا أن ما لهم بمعروف طاقة ولا بحربه استطاقه ولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتشتتوا فى فلوات القفار ونظر معروف إلى هزيمتهم فضحك وقال لعن الله الكفار الذين مأواهم النار ونزل عن حجرته ثم باس غرتها ومشى قدامها وهى تتبعه حتى وقف قدام باب حلب واوقف الحجرة على مخولها وقال يا مريم أرسلى إلى الابريق حتى ازيل الضرورة فارسلته له مع الجارية فقضى حاجته ونزلت الملكة مريم وضأته وصلى تطوعا ركعتين ركعتين حتى قرب الوقت ونزل السحور فاكل وقام يصلى حتى وصل صلاة الليل بصلاة الصبح وقرأ اوراد الصبح واضطجع للمنام جل من لا ينام ولما اضحى النهار أقبل المقدم إبراهيم والمقدم سعد ونظروا إلى ما فعل المقدم معروف على باب انطاكية فكانت قدر الذين على الستة ابراب فقال المقدم إبراهيم انظر ياسعد فعل خالنا فى القتال والله ما بقى يسمح الزمان بمثله وان الحوامل لم تضع شكله وعند ذلك انتبه المقدم معروف فقال يا مقدم ابراهيم زحزحلى هذه الرمم من الطريق فان رائحتهم تذهل النفس لله يخيبهم فزحزح ابراهيم وسعد القتلى واخلوا الطريق قدامه سألوه هل يحتاج خدمه أو حاجة يقضوها فقال ما احتاج الا الدعاء وساموا لى على السلطان فدعوا له وساروا إلى الملك واعلموه بما لقى الابواب من المعركات وما فعل المقدم معروف فى الكفار من النكبات وما أنزل عليهم من البليات فقال السلطان اما هو

فارس الزمان وأوحد هذا العصر والأوان الله يكون بعونه ويساعده والله يا إبراهيم انى فى هذه الليلة رأيته شايلا بيرقا أخضر ويقول لى يا ظاهر أنت فى وديعة الله ادع لى فانى مسافر فقال إبراهيم يا ملكنا الله فى خلقه إرادة هذا ما جرى [وأما] المقدم معروف لما خلا باله فقال يا مريم أنا قصدى أن أروح للولد فانه قاعد على الجبل معتزل عن الناس واسأله أن يرجع عن هذا الحال ويبطل العداوة والفتنة حتى انى أصالحه مع السلطان ويترك فعل الشيطان ثم انه قام ومشى إلى ان وصل عند الملك عرنوس وكان عرنوس رآه وهو مقبل فانشرح له صدره واعتمد ان يقبل كلامه ويصطلح معه ويجيبه على قصده ومرامه فلما قدم عليه وقال السلام عليكم قال عرنوس بابجرنو فقال معروف أى شىء هذه الكلمة يا ولدى الذى رأيتها بدال السلام انت تعلم انى أكره هذه الكلمة وأكره كل من يقولها فقال عرنوس أنا ابن نصارى وتربية خمارة فقال المقدم معروف يعنى انكتبت هذه الكلمة التى قالها الباب لبجى فى اللوح المحفوظ اهتدى بالله يا ولدى وتوب على حيلك ودع هذا الكبر والخداع فقال عرنوس هذا لا يكون ولا بد من مقاومة الملك الظاهر حتى اعرفه قدره فنزل المقدم معروف وهو باكى العين [ولما] كان عند المساء فطر بعد صلاة المغرب وقرأ أوراده حتى صلى العشاء فأقبلت الكفار فالتقاهم بضرب الحسام البتار وأسقاهم من منهل الحيم شراب وحمل فيهم على ظهر حجرته وتلك فيهم بهمته فذاقوا منه كاس البوار فولوا الادبار وطلبوا الطرات القفار وعاد معروف وقد بدا منصور واعتراه الفرح والسرور فأكل السحور وصلى إلى الصباح فاقبل إبراهيم وسعد وأواما فعل فظنوا الأرض وكذلك الليلة الثالثة ولما كانت الليلة الرابعة ضجت الكرار فدخلوا لى جوار وقالوا يا أبانا هذا حال بطل ولم نبلغ المسلمين المأمول والطول هذا معروف منذ ماهو واقفه على باب القلعة كيف لم تنل النصارى مطلوبها فانبعث جوان إلى اثنين فداوية أفرنك وعلم أنهما جباران شباق كل واحد منهم كانه عملاق وهما من جزائر الروم اسم احدهما شائع والثانى شمع

وقال لهما لكما زمان فى كار الفياقة فقال شائع ثلاثين سنة فقال أى شىء حربتن فى صناعتك فقال احتويت هذا الشريط قال جوان وأى شىء فائدة هذا الشريط فقال هات رخامة عامود رخام امر جوان بعامود رخام واتى بالشريط فسمد نصفين ووضعهم جنب بعض وضربهما قسمهما أربعة أقسام يا أبانا هذا سلاح ماله نظير ولا حد مثله ملك الا زير فقال جوان صدقت وأنت يا مشيع فقال وأنا اربعين سنة مداومة بهذا المحمد فقال أرنى فعله فوقف اربع قطع العامود بجانب بعضهما

وتأخر بذلك العامود وزرقه فيها فنفذ منها فقال جوان اكثر من كذا ما يبق شيء وأنا اريد منكما أن تكمنوا المعروف بين القتلى ولا تسألوه عند القتال لما عاد عليكما وهو ماشي على رجليه فيضم به واحد بالشريط والآخر يطعنه بالعمد فلا بد ان يصاب باحد الضربتين والكاظير ذلك خمسون ا فداز في سقر وعشرون مصطبة في الهاوية تشطحوا فيها وكل واحد لها مائة سنة زيادة في عمره وأكتبكما مع الحوار بين الطائرين فدلاله كذلك وخرجا هؤلاء الملاعين وترتبا إلى ذلك التمكين هذا ما جرى [وأما] المقدم معروف فانه قال يا مريم أنا رائح لولدي أنصحه لعل الله يهديه ويرده عما هو فيه فقالت يا خوند احكي تحمق منه وتدعي عليه فقال يا مريم ما يهون علي كيف أحمق من ولدي أسأل الله العظيم ان انحمقت منه أو دعوت عليه لا تتم هذه الركبة علي إلا وأنا مقتول ثم انه سار إلى ولده وقال يا ولدي اهتدى وارجع وعد عن هذا الحال ولا تفعل فعل الجهال فقال عرنوس انا لا أسمع قولك ولا أنا ولدك بل انا ابن نصارى وتربية خمارة فقال له يا عرنوس انا أتيتك ثلاث مرات ولم تسمع كلامي ولا تختشي من شيبتي مع ان الله يستحي أن يعذبها بالنار وأنت تستهزأ بقدري ولالك نحوى التفاتة الله تعالى يبليك بالغربة والشتاتة وتشحت ولا تنفعك الشحاتة وتاخذ الصدقة ويكون فيها شقاك وينقطع من أملك رجاك وتشرف من الضعف على الهلاك وتقيم في بلاد أعداك ولا ينفعك إلا الذي خلقك وسواك ولكن الله يلطف بك فيما قدره عليك ويحن قلوب خلقه عليك لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وعاد المقدم معروف إلى باب حلب فقالت له الملكة مريم أي شيء عملت ياخوند فقال انحمقت ودعوت على الولد فقالت أنا وصيتك ياخوند فقال نفذ قضاء الله فيه لكن يامريم هو قضاء يتلاطف والله تعالى يفعل ما يريد فقالت له ياخوند وهان عليك ان تدعي عليه فقال يا مريم الكائن في علم الله يجري والله تعالى يجعل في قضاه رحمة ثم ان المقدم معروف توضأ وصلى صلاة الظهر والعصر وبعده قرأ اوراده ثم تم نهاره وصلى المغرب وأفطر وقرأ حتى صلى العشاء فاقبلت نحوه تلك الكتائب والمواكب فركب حجرته وخرج عليهم كما يخرج الأسـد من الأجمة وصاح الله أكبر

إذا طار العجاج بكل وادي	وازدحم الغبار على الجياد
تروني أقتحم كرب المنايا	بقلب اقسى من حجر جمادي
وعزم ثابت حقا وصدقا	يجيد الضرب في رؤوس الاعادي
فكم من فارس أضحى قتيلا	بسيف كل من عهد ابن عاد

هلموا معشر الكفار نحوى على خيل ممتقة جيادى
ساخطف منكم الارواح خطفا واجرى دماءكم فى كل وادى
انا ابن جمر معروف المسمى عروس الحرب فى يوم الجهادى
اجاهد فى سبيل الله جهدى الى ان ينتهى منى رشادى
ويشكو السيف من كفى ملالا ويشكو عاتقى حمل النجادى
وان نلت الشهادة فهو قصدى وموتى فى العزا أشهى مرادى
وصلى ذو الجلال على محمد نبى مرسل للخلق هادى

[قال الراوى] ان المقدم معروف بعدما قال هذه الاشعار تصور له ان أبواب الجنة قدامه مفتوحات وسمع نداء الحور العين وقائل يقول تقدم يامعروف فارى روحه بين تلك الصفوف وقد خاض فى المائة والالوف وأطار الجماجم والقحوف وطلع على أشداقه زبد كأنه القطن المندوف وهاج فى القتال كما يهيج الجمال وقطع العلائق والاوصال ورمى العدى يمينا وشمالا وجعل القتلى بطائح على الارض والرمال فنظرت الكفار الى فعاله فهالهم حربه وقتاله وتجنبوا الوقوف بين يديه ولم يبق أحد يقدر ان يتقدم عليه هذا والمقدم معروف يضرب ضربات قاطعات ويطعن طعنات نافذات فعلم الاعداء ان مالهم قدامه ثبات فتشتتوا فى الفلوات وطلبوا البرارى الخاليات فقال معروف ياقرون كل ليلة تجتمعون على أنكم تحاربون ولما أحمل عليكم تهربون لعنة الله عليكم وعلى كل من يتبع ملتكم ثم ان المقدم معروف نزل من على ظهر حجرته ولم يعلم ما كتب له فى الغيب وسار قاصدا أبواب حلب وهو يقول لعن الله الكفار فانهم مأواهم النار لما كفروا بالله الملك الجبار واذا بصيحة من وسط القتلى وقائل يقول ترى ياكناس فضربه بشريط كان فى يده فوقع الضرب فى فخذ المقدم معروف فانقطع الفخذ الى آخره فصاح المقدم معروف حسبى الله أكبر وكان له صوت جهورى فهرب الذى ضربه وكان هذا شائع صاحب الشريط واما مشيع أراد ان يطعنه فارتعق من صوته وهو صحبة أخيه وأما المقدم معروف اراد ان يمشى فسقط فخذه فقال اللهم لك الحمد اللهم اختم بالايمان ياحنان يامنان اللهم أنت تعلم انى عبد من عبيدك فلا تعاملنى بخطيئتى ولاتهتك بين الاعداء جثتى ولا تمكنهم يارب من رمتى ثم انه قعد على حيله وأخذ الفخذ بيده ووضع القطع على محله واطلع السرياق وربطه فى محله وقد علم أنه قتيل لامحالة فقال لحجرته ياقطشة أنت من أجود الخيل والجيد يكون له مروءة وان تركتينى هنا فى هذا المكان ينهكوا فى عباد الصلبان وأنا مابقى لى مقدرة على مسير

ولا يعلم بحالى الا اللطيف الخبير نقلت رواة هذه السيرة ان الحجرة لما سمعت كلامه
بركت كما يبرك الجمل فرفع الفخذ المقطوع بيديه حتى فوقه من على السرج ووضع رجله
فى الركاب واسند الفخذ المقطوع بيده وقال ياقشطة قومى لكن برفق لانى ما أقدر
استند على ظهرك الا قليلا فقامت بخفة وسارت به الى دكته التى يقعد عليها خلف الباب
ولسانه لم يفتر عن ذكر الله الملك الوهاب فاجتهد حتى نزل فى محله ولم يذكر شيئا مما
حصل له فأتت الجارية وكان اقبل وقت السحور فقدمت له الطعام فيمسك لقمة ونظر
اليها فقال إن النفس تركت زاد الدنيا واشتهت ان تأكل من ثمار الجنة ارفعى الطعام
يامريم فشالته فاضطجع المقدم معرف وقلبه مشتاق الى بنات الحور وطهوف فقال
اللهم آت سيدنا محمد الحوض المورود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد اللهم اسقنا
من يده شربة هنيئة مريئة لا نظما بعدها ابدا يوم الحشر والتناد ثم انه أحسن
الشهادتين وصار يكرر فيها حتى خرجت روحه كالنسيم ونقلت الى جنات النعيم رحمة
الله تعالى عليه وعلى أبويه وعلى من مضى من أموات المسلمين وعلينا اذا عدنا اليهم
يارب العالمين

ولما طلع النهار اقبل المقدم مشيع صاحب العمد فنظره وهو مطروح وكانت فارقته
الروح فظن انه نائم فطعنه بالعمد فى صدره فنفذ من ظهره فانشك فى الحجر مقدار
نصف ذراع لما قدمنا من صفة العمد والشريط ودخل الملعون مع أخيه البلد هذا
ماجرى وأما المقدم ابراهيم بن حسن فانه أقبل مثل العادة ليتفقد المقدم معروف
فنظر الى وجهه فاذا هو يتلألأ بالنور ونظر الى شيبته واذا بالهواء يلعب بها فقال
ياسعد خالنا مات انظر ياسعد كيف ختم الله بالسعادة ومات فى الجهاد ثم تقدم اليه
ابراهيم وضمه الى صدره وقبل شيبته وبكى وقال ياسعد روح اعلم السلطان فعاد سعد
واعلم الملك الظاهر فركب وهو حائر حتى وصل الى معروف فضمه الى صدره وبكى
وقال له هذا آخر التلاق والوداع ليوم الفراق يامقدم معروف لو كنت تفتدى كنت
افديك بروحى وما تملك يدى ولكن ياأخى هذا وعد الله يلحقنا بك على الايمان
وبعده أمر الملك باحضار الغسال ووضعوه على دكة الغسل ودخلوا به زاوية ابارد
فنظرته الملكة مريم الوفارية وهو محمول فانحدت من جانب المرتب الذى هى فيه
وصاحت ياويلاه وجاءت الجارية بجانبها صاحت فانزعجت الحشفة التى ارتكنا
عليها فوقع الاثنان على رقابهما ساعة ماتا هو [illegible] و [illegible] فأمر السلطان
بسترهما وتغسيلهما وتكفينهما [...] قدموا المقدم معروف للغسل أرادوا

أن يقلعوه شاكريته فوجدوه واضعا يده فتقدم عماد الدين علقم وأراد أن ياخذها عليها فما أمكنه أخذها وطبق المقدم معروف يده عليها ولم يسلمها له فتأخر وتقدم كل من كان فى ذاك المحضر فلم يسلمها لأحد وبعده تقدم اليه المقدم ابراهيم بن حسن وقال له :

وعدتنى وعدا جميل والعين ناظرة اليك
انجز بوعدك يا فتى الراية البيضاء عليك

فمد يده المقدم معروف وكان فى الحياة وناوله الشاكرية فصاح عماد الدين كيف تأخذها يا ابراهيم وأنا ابن أخته موجود فقال ابراهيم الحق بيدك أنت ابن أخته وأنا ابن جارية المطبخ وأنا ابن اخته مثلك فقال المقدم جمال الدين لا تتخاصما انا افصل بينكما كل من جردها ياخذها فتفرجت جميع الحاضرين اولهم الملك الظاهر وآخرهم عماد الدين فقال المقدم جمال الدين يا مقدم عماد الدين لو كان لك خبرة بتجريدها كنت جرتها فى سجن القيطلان فقال عماد الدين جردها يا ابراهيم فوضع ابراهيم يده عليها وجذبها فخرجت فى يده كانها الصاعقة المبرقة وانتثرت فاصاب حدها اثنين اتباع واقفين جنب المقدم عماد الدين فاقسما كل واحد نصفين فقال عماد الدين تقتل رجالى يا ابن جران حو ان فنظر المقدم ابراهيم الى الشاكرية وإذا هى مكتوبة بالدماء قال المقدم ابراهيم اقرأ هذه الكتابة يا ملك الدولة

فتامل السلطان وإذا هى يا ملك الاسلام ويا حاج شيحة ويا بنو اسماعيل انى اخذت بثارى وانا على دكة الغسل وان هذين الاثنين هما اللذان قتلانى وهما شابع ومشيع اصحاب الشريط والعمد فقال السلطان اكشفوا عليهما فكشفوا عليهما وإذا هما نصارى ووجدوا معهما الشريط والعمد حجة فقال ابراهيم اكشفوا على مقدمهما الذى يدعيان انهما من رجاله فقال شيحة بلا اشكال لا يرث السلطان المتوفى إلا السلطان المتولى وانا الذى ارث المقدم معروف وهذه الشاكرية لى فاخذها من الاثنين فسكت الجميع ولم يقدر احد ان يراجعه وإذا بفارس اقبل من البر وكان اختيارا فقال يا شيحة اعط الشاكرية لصاحبها وانا آخذها فتقدم شيحة ووضعها فى يده ثانيا وقال خذها يا مقدم فتقدم لياخذها فلم يسلم معروف فيها فقال له يا ابن والدى من حكم فى ماله ما ظلم فركب حجرته واخذ حجرة المقدم معروف جنبها فتقدم ابراهيم ثانيا واخذ الشاكرية من يد خاله بعد ما قرأوا له اربعين فاتحة وبعده احسنوا له وصلوا عليه وجاءت حرمة شريفة قالت لها الست ابارة صاحبة تلك الزاوية فقبلت يد ملك الاسلام وقالت يا سيدى انا اوهبت

هذه الزاوية إلى المقدم معروف فادفنوه فيها فدفنوه هو وزوجته وجاريته وواروهم فى التراب رحمة الله عليهم وعلى من مضى من أموات المسلمين ورتب الملك أربعين فقيها يقرأون القرآن فى تلك الزاوية [ولما] كان آخر النهار قال السلطان باب التدرين كان عليه المقدم معروف ولما توفى معروف ما بقى من يقف مكانه إلا أنا ثم ان الملك الزم الأمراء أن تستعد للحرب وأن تباشر الطعن والضرب ووقف السلطان الميعاد المعلوم وإذا بالعساكر أقبلت وكان جوان من حين أرسل العياق لم يعود له فاعلم بما جرى فأمر العساكر بالحملة على جرى العادة فنظر السلطان وأراد أن يحمل وإذا بفارس خرج من باب حلب فتأمله السلطان وإذا هو معروف بن جمر فصاح الله أكبر ويده على شاكريته ومال على الأعداء وصار يضرب فيهم ضربا يقصر الأعمار إلى الثلث الأخير من الليل فولوا الأدبار وغابوا فى لهوات القفار فتعجب السلطان من هذا الحال فقال ابراهيم يا ملك الدولة الشهيد حى الدارين وعاد السلطان وهو يتعجب وكذلك الليلة الثانية والليلة الثالثة [نقلت] الرواة ان المقدم معروف حى باب حلب سبعة أيام أربعة وهو على قيد الحياة وثلاثة بعد موته ولما كان فى اليوم الثامن شاع الخبر بان المقدم معروف مات وانقبر وبلغ جوانا ففرح غاية الفرح ودار على جميع البيات والقرانات وأمرهم أن يحملوا فرد عنان فحملوا كما أمرهم جوان فالتقتهم أبطال الايمان وغنى السيف اليمانى فى نواعم الأبدان وازدحمت الفريقان وقل الموت فى أعينهم وهان وعبست الوجوه الحسان وقطعت الرؤس مع الكفوف فى الميدان ونفذ السنان فى الأكباد والكلا والضلع والظهر والبطان وبكيت الأرواح على فراق الأبدان وظهر الربح فى الخسران وانباعت الأنفس بلا أثمان بيع الهوان وسلبت الأرواح وقل الفلاح وانمحقت الأبدان بالجرح وقل الصلاح وتثلمت الصفاح ونادى المنادى لا براح [قال الراوى] كل ذلك يجرى والملك عرنوس مقيم على جبل النحاس فى حفظ نفسه فلما طال الحال فى الحرب العوان فنظر رجل بطريق إلى عرنوس وهو قاعد فاراد أن يبشره لأجل أن يأخذ منه البشارة فطلع إلى الجبل وتقدم إلى الملك عرنوس وقال هات البشارة يا أب فقال على أى شىء تبشرنى فقال الرجل البيجو الذى كان كل يوم يأتى من عند المسلمين ويقول له أسلم وأنت ترده ولم ترضى أن تسلم فما هو تمنتر والذى منتره شايع وأخوه عشيع عامود وشريط من البر لاد والذى دبر هذا التدبير جوان فلما سمع الملك عرنوس ذلك الكلام تمطعت أوصاله وانذهل واحتار من ذلك العمل فقال له البيجو عامو واتقف راك يكذبك فالتفت الملعون ويد عرنوس على قاسم الحديد فضربه فى بيت الحرام نارماه نصفين وقام عرنوس من مكانه وهو باكى العين على

فقد أبيه وانحدر من على الجبل ورمى روحه في الغبار والقسطل وصار إن ضرب رأسا شقه وإن ضرب ضلعا قده ودام كذلك إلى عصر النهار وهو يضرب في الأعداء بالحسام البتار إلى آخر النهار فوقعت عين الملك الظاهر عليه فرآه وهو يقاتل في الأعداء ويسقي الكفار شراب الردى فساق الملك الحصان حتى حك الركاب بالركاب فقال له هذا رسالك الذي أعدمنا حسن أباك وكنت أنا عن ذلك أنهاك فاستحى الملك عرنوس من السلطان فما لقي فرجة إلا انه أطلق لجواده العنان وانهزم في البراري والقشبان فنظرت البيات والقرانات إلى هزيمته وكان ظنهم أنه كان يحارب معهم فلما انهزم تبعوه في الهزيمة وبقيت أحوال عساكرهم غير مستقيمة ولما انهزمت البيات تبعتهم القرانات وكذلك الملوك تشتتوا في الفلوات والبراري المقفرات وتمكنت ملوك الروم من أقفيتهم وطعنوا في خواصرهم وأجنابهم وظهورهم ودام الأمر كذلك طول النهار حتى أنزل الله على الكافرين الذل والويل وكان دم الاسلام كيلا وفي كيل ولما طلع النهار اجتمعوا البيات والقرانات بعد تشتيت عساكرهم في البراري المقفرات وقالوا نعود إلى ملك الاسلام ونصالحوه على ما أراد ونأخذوا الامان والذمام ثم انهم قبضوا على جوان وعادوا به إلى السلطان فاخذه منهم وباعوه أنفسهم بالاموال وأمرهم بالعود إلى بلادهم وأطلالهم وسألهم السلطان عن الملك عرنوس فقالوا لهم انهم لم يعلموا له خبرا ولا وقعوا له على جلية أثر وإنما يا ملك هذا جوان الذي كان حدنا عليه فقال جوان وأنتم بلا عقل فقال ميخائيل أنا أضمن القرانات ونصف الملوك ورومان ضمن البيات ونصف الملوك على دفع الجزية وعدم العصيان فقال [illegible] فقال مغاوين وأنا اشترى جوانا والبرتقش بخزنة فقال ابراهيم هاتها وخذه فلله يأمر لحيته وركبت الملوك وطلبوا بلادهم وركب الملك الظاهر ودخل حلب وأمر العساكر بالرحيل وقعد في عزاء المقدم معروف أربعين يوما وبعدها ركب وسافر إلى مصر ودخل بلا موكب ولا زينة حزنا على المقدم معروف بن جمر

[وأما] ما كان من أمر الملك عرنوس فانه سار من وقت ما فارق الملك الظاهر وانهزم فكانت هزيمته على وجوه عديدة الأول انه نادى الملك الظاهر وقاومه وأراد أن يسلم بلاد الاسلام للكفار وجمع تلك الجموع فانخذل وثانيا انه لما سمع بموت أبيه فضرب في وجوه الكفار بالسيف مع انهم ما أتوا إلا ليساعدوه [illegible] وثالثا أن ملوك البرتقال أكيد أن عرنوس [illegible] السلطان [illegible] [illegible] السلطان [illegible] أن أباه الذي كان السلطان [illegible]

وهو كان السبب فى موته فعلى ذلك الحال ضاق صدر الملك عرنوس وعلم أنه ما بقى له فى بلاد الاسلام خل ولا شفوق وكذلك ملوك الروم ما بقى يأخذ منهم رفيقا فهج على وجه الارض كما ذكرنا وطلب البرارى والقفار وترك الاهل والدير وصار يأكل هو وحصانه من نبات الارض ويشرب من محصلات الامطار حتى قطع بلادا بعيدة وسلك مسالك صعبة شديدة ووصل الى مفرق الطرقات ومجمع البحرين ولكن ضاقت حضيرته وعلت من طول سفره وهو يبكى على فقد أبيه وعلى ما أصابه فى نفسه وتشتيته وغربته ومفارقته لاهله وأحبته فمر على بستان شقيق ونعمان وزنبق وسوسان وفواكه من كل شىء زوجان وكان زمان الربيع والارض قد تبهرجت بحسنها البديع فدخل الملك عرنوس فى ذلك البستان وكان ذلك البستان لملك هذه الارض يقال له الملك الرقشوان وله بنت يقال لها الملكة الرقطة ولكنها حوت من كل ضرب فى المحاسن والبها والجمال وهى فتنة للناظرين ثم تعلمت ضرب آلات الطرب وضرب القانون وحوت جميع الفنون بقدرة الله الذى اذا أراد شىء يقول له كن فيكون ولاجل القضا الكائن فى علم الله ان الملكة الرقطة اعتراها ضيق صدر فأتت الى ذلك البستان وكان ابوها دائما يداريها خوفا من أحد يخطبها وكان قصده ان يصطفيها لنفسه ولم يرض أن يزوجها لاحد مما دخل فى قلبه من محبتها ولما كان فى ذلك اليوم وأتى الملك عرنوس ودخل البستان فنزل فيه وتفرج فى نواحيه فرأى فسقية قدام القصر وقد خيم عليها شجر الجوز فقعد تحتها على تلك الفسقية وترك جواده ذات النسور يرعى فى الخضرة وجلس هو يستريح من تعب السير والسفر فادركه النوم فاضطجع وكان وجهه مقابلا لطاقات القصر وكانت الملكة الرقطة قد حضر لها الطعام فأكلت وأكل جواريها بعدها ثم ان جارية من الجوارى أخذت الصنية وأتت الى الطاقة لتنفضها فى البستان فرأت الملك عرنوس وهو نائم ووجهه الى جهتها وهو كما قيل فيه

ووردى خد نرجسى لواحظ ... مشايخ علم السحر عن لحظه رووا
وواوات صدغيه حكين عذاره ... عليها رياض الجلنار قد انتورا
ووجنته الحمرا كأنها جمرة ... عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودى له باق راست بسامع ... لقول عذولى والحسود اذ عووا

فوقفت الجارية شاخصة اليه ولا تدرى من تنظر اليه وطال وقوفها فندهت عليها ستها ثم لم ترد عليها لانها مشغولة بالملك عرنوس فأخذت ستها شاحوطا من الخشب وضربتها به وقالت ما كانت دعوتى فى تلك الطاقة فقالت يا ستاه لو نظرت ما نظرته لم تضربينى

كان فى البستان غلاما جميل المنظر أبهى من الشمس والقمر فقامت الملكة الرقطة وجاءت إلى الطاقة فنظرت فتعلق آمالها بالملك عرنوس لما نظرت إلى جماله المأنوس فصبرت وهى ناظرة اليه حتى أفاق وفتح عينيه فنظرها وهى ناظرة اليه فكرر نظره منها
فقالت له من أى بلد أنت يا غندار

فقال لها أنا رجل سواح أدور فى المدائن والاماكن الفساح وأتيت لهذا المكان فأدركنى النوم فلما فقت من منامى بقيت أقوم وأسافر إلى الطريق التى أمامى .

فقالت له وما اسمك بين السواحين فقال اسمى عزم المسيح القاطع فقالت هذا اسم مبارك اطلع إلى عندى حتى أتبرك باسمك فقال لها من أين الباب فأعلمته بالباب فقال فى باله إلى متى الحزن على الذى فات وانقضى وفات فيه الفوات ثم انه قام وطلع إلى ذلك القصر فاستقبلته بأحسن استقبال وأجلسته فى صدر المكان وأحضرت الطعام من أصناف الطيور السمان فأكل معها وأحضرت المدام وصارت تباسطه فى الكلام ولما دارت الخمرة وانشغفت الملكة الرقطة بحب الملك عرنوس قالت لتبوس خده فأخذها فى كتفه فمتيت عليه وأعلمها بالاسلام وهو فيه فاهداها الله تعالى وأسلمت على يديه وبعد ذلك صافحها ولم يكن معه شىء يعطيها فاعطاها خاتما من أصبعه وعاقدها وماتم النهار حتى قضى منها الأوطار فاقام الملك عرنوس عندها أياما ونسى ماكان يجده من الهوى والآلام إلى يوم نظر فى البرارى فوجد الملعون جوانا راكبا حمارته والبرتقش فى صحبته ومعه حرمتان على بغلين وكل حرمة على حجرها غلام فامعن النظر وإذا هما زوجاته أحدهما شموس بنت البب مغلوين ملك ملوك البرتقال والثانية بنت البب رومان وكل واحدة معها جنين وهما مع جوان مسروقين فلما نظرهم الملك عرنوس بكى فقالت له الملكة الرقطة على أى شىء تبكى ياملك عرنوس فاعلمها بان هؤلاء الحريم التى مع جوان حريماتى وحكى لها على سبب سفره وكيف أنه أغراه حتى قاوم السلطان ودبر على قتل أبيه وأوجب الأمر إلى تشتيتى فى هذه الأقاليم ومضى إلى مدينتى فساق الحريم فلما سمعت الملكة بهذا الكلام قالت له من أعلمك هذين حريمك فقال عرنوس نعم حريمى وهذا الملعون خصمى وغريمى فقالت له أنا أحضر جوانا وأوقفه بين يديك مثل العبيد فافعل به كما تشتهى وتريد فقال عرنوس إن فعلت ذلك فتكونى أنقذتينى من المهالك فقعدت الملكة الرقطة فى الطاقة وصبرت حتى قدم الملعون جوان

فقالت يابرتقش أنت لك زمان غايب ولا بقيت تمر علينا ولا تجوز من نواحينا فقال البرتقش ياملكة ها نحن جينا إلى عندك فقالت له اطلع عندى حتى أتسلى معك ساعة

فقال جوان قل لها وجوان فقال البرتقش وجوان فقالت أنا ما أحب جوانا لأنه لايشرب إلا بقدر القلة فقام البرتقش وطلع إلى القصر وجوان يقول له يابنى اهدها على حتى اطلع أنا كان عندها فلما طلع البرتقش إلى أعلى المكان وقف يقلع جزمته ويد مسكته من رقبته فتأمل وإذا هو الليث الليث والبطل المانوس صاحب السيف المحلى بالذهب والدبوس الملك سيف الدين عرنوس فقال له البرتقش أنا فى عرضك ياسيدى فقال له يابرتقش أى شىء ملككم حريمى من مدينة الرخام وشمططوم فى البرارى والآكام ومعهم هذه الاطفال الصغار ياابن الزنا احكى لى بالصدق فقال البرتقش ان جوانا لما علم انك انهزمت من قدام المسلمين فاخذنى وسرنا إلى مدينة الرخام فقال لى نتجسس على ما يجرى فلما دخلنا فى البلد فقال لى يابرتقش أنا قصدى اسرق بنت البيبرومان لاجل أن أعود بها لابيها فدخلت أنا وهو وتمكننا من البستان حتى نزل الاثنتان فبنجهما وكان ظنى أن يردهما إلى رومة المداين فاخذ الاثنتين وأتى بهما إلى ذلك المكان ولكن احلف لى انك تطلقنى وأنا أسوقه اليك وأوقفه بين يديك فقال عرنوس والاسم الاعظم ان أرسلت لى جوانا فاسيبك وان حلفت انك توقع لى جوانا فاسيبك فحلف البرتقش بالاسم الاعظم حتى يرسل له جوانا فاطلقه ونزل البرتقش ينتفض حتى وصل إلى جوان وقال قم ياأبانا ماهى رضيت بدخولك عليها فقام جوان وطلع إلى أعلى المكان وهو فرحان حتى بقى فى داخل الديوان فنظر إلى عرنوس فلما نظره لوث ثيابه فقال الملك عرنوس أوحشتنا يا جوان فقال جوان قل عندك أنا ياسيدى أتيتك بزوجتيك الاثنتين وهاأنا دايرأدور عليك

فقال عرنوس انت كنت الوكيل لهما عند زواجى بهما وأنت الضامن أم شكيا لك عدم المؤنة حتى أخذتهما وأتيت بهما إلى ذلك المكان ثم انه قام اليه ورفعه على كاهله وخبطه فى الارض وجذب قاسم الحديد ومال به عليه حتى خلاه مشطب مثل تشطيب المقدم إبراهيم بن حسن على جسر الانكبار وفتحت له الملكة الرقطة طابقا فارماه فيه ودهن حيطانه بالزبد مع سقفه وسائر اركانه وقفله عليه وقعد مع الملكة الرقطة هذا ماجرى [وأما] البرتقش فانه لما انفلت من الملك عرنوس علم انه مايبقى جوانا فطلب البر والوديان إلى قلعة مجمع البحرين فدخل على الملك الرقشوان وقلع القلنسوة من على راسه وداسها برجليه وقال أى شىء يارقشوان خربت بلادك اعلم أن الدياب وعرنوس عند بنتك وأراد جوان ان يخرجه من عندها فقبض عليه وقتله والدنيا بقت بغير جوان ولابقيت تمطر مطرة ولا تنبت لكم زرعا وتموتون ياكرستيان إذا عدمتم جوانا فقال الرقشوان أى شىء الخبر ياأبانا البرتقش احكى يابرتقش فحكى

له البرتقش بالقصة من أولها إلى آخرها وقد قال إذا أردت المسيح يرضى عليكم قم اقبض على الديابرو و بنتك الرقطة واقتل الاثنين وسيب جوانا فانه عالم الملة فقام الرقشوان وأخذ معه أرباب دولته وراح إلى البستان وطلع إلى قصر بنته وكان بالليل فوجد الملك عرنوسا والملكة الرقطة فى حضن بعضهما نائمين وزندهما على أجناب بعضهما ملفوفين وهما متوسدين ومتعانقين كما قال القائل شعرا

مايخلق الرحمن أحسن منظرا	من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا	متوسدين بمعصم وبساعد
وإذا صفا لك من زمانك واحد	نعم الصديق وعش بذاك الواحد
واذا تآلفت القلوب مع الهوى	فالناس تضرب فى حديد بارد

[قال الراوى] فنظر الملك الرقشوان إلى ذلك فى الحال فاطلع منديلا معبقا بالبنج ووضعه على وجه الملك عرنوس فالقى النوم على النزل وحمله من جنب بنته ودخل إلى الطابق الذى فيه جوان وأطلعه فى أقبح رؤية من كثرة ماعليه من النجاسة والدماء وهو روام مثل الدن الكبير فلما أفاق على نفسه كان الرقشوان كتف الملك عرنوسا وتقدم البرتقش إلى جوان فاعطاه أدوية حتى طاب من ورمه وقطب له جراحاته وقال له ياأبانا هذا عرنوس خصمك فافعل به ماتريد فقال جوان وبنتك لى فقال أما بنتى فلا أعطيها لأحد فقال جوان اسلمت فقال الرقشوان ان سلمت بخاطرها ثم انهم أخذوا عرنوسا وساروا به إلى قلعة مجمع البحرين وقعد الرقشوان على تخته وأمر بقطع رأس الملك عرنوس فتقدم اليه السياف وبيده سيف ووقف على رأس الملك عرنوس فالتفت جوان الى السياف بعدما تميزه وقال له تقدم ياسياف حتى أكلمك فتقدم اليه وقال له نعم ياأبانا فمد يده جوان وقبض على خناق السياف وقال له بالاسم الأعظم ماأنت شيحة فقال نعم بذاتى ياملعون اسلك طيب أنا خصمك شرط طير الحر إذا وقع لم يتمامل فقام الملعون جوان على حيله ورتص صاح سيفا منتار منترهما يارقشوان فقال الرشوان ياأبانا أنا بلدى لم تتحمل دم هذين الاثنين قال البرتقش صدقت وحق بيرس وميرس وزرارة البردان ورسوم الرهبان والسبع رهبان الذين يسرحون فى البرارى والكثبان من شدة الجوع أكلوا بعضهم ان منترت يارقشوان لم تبق بينك وبين قطع رأسك إلا مقدار مايصل الخبر إلى ن المسلمين فياتيك برجال استباحوا الموت وجعلوه مغنما والحياة مندما وأما الرأى عندى أن تضعهما فى السجن ويروح جوان يأتيك بمن يقتلهما بيديه وأما أنت لا تقتلهما ولا تأمر بقتلهما فقال الرقشوان صدقت يابرتقش فقال جوان ابقيهما عندك فى السجن وأنا أجىء بمن

ممتزجا بيده ولا يخاف من رب المسلمين ولا من جنده ثم أن الملعون جوان من قلعة مجمع البحرين وسار إلى مدينة الأفلاق ودخل ليلا على الحبس الذى فيه المقدم نصير النمر فرآه كسر القيد والبدلة ذابت من كثرة السباخ والصديد فدخل عليه جوان وبنج الحرس الذى عنده وفكه من شباحاته وأخذه واطلعه من الحبس حتى بقى به خارج مدينة الأفلاق وأمن عليه من بعد الشد والوثاق فقال له المقدم نصير النمر اين سلاحى يا جوان فقدم له سلاحه من محل ما كان ، وقال البس سلاحك وسر بالامان

فقال نصير النمر امدد قرعتك حتى اضيفك وارح الناس منك كما عملتنى اقروري وجاء شيحة وكان عمل بترك وصار يعزم واثبت على أنى حرامى وشغلنى بالقيد حتى ذوب لحمى وعظمى وهاانت ياقران جئت خلصتنى ولم تبلغنى من شيحة القران مرامى مد قرعتك لا يرحم الله اباك ولا ابالحيتك ولا أهلك ولا غزوتك فقال له جوان أبشر فان شيحة محبوس فى قلعة جمع البحرين مع الديابرو عرنوس فسر معى اليهما واقتلهما واشف غليل قلبك منهما ففرح نصير النمر وقال ياجوان سر معى بالعجل حتى أقتل شيحة وأبلغ منه الأمل وسار تحت الليل وجدوا على ظهور الخيل حتى دخلا قلعة مجمع البحرين وهما بذلك فرحانين ودخل جوان ونصير النمر على شيحة والملك عرنوس فنظر شيحة إلى نصير النمر بالعين فاحسن نطقه بالشهادتين وعلم أن نصير النمر لم يق عليه بل أنه يقتله ويعجل عليه فتقدم نصير النمر إلى شيحة وقبض بيده على خناقه وقال له ياقران أى شىء اعمل فيك شاكرية ما تكفينى فيك خنجر مايصح لى أن أضربك به ثم شاله على يده وضربه باليد الثانية على ظهره فكسر اعضاءه وكاد أن يعدمه الحياة وإذا بدخنة بنج نزلت على الجمع فتبنج نصير النمر وعرنوس وشيحة وجوان والبرتقش واطلق دخنة ثانية المقدم محمد السابق ونزل كانه ثعبان وكتف نصير النمر وبعده كتف جوان والبرتقش الخوان وفيق اباه والملك عرنوس وشبح نصير النمر باربع سباحات وربط جوان والبرتقش تحت رجليه وإذا بالمقدم بورد مقبل حامل جدان ووضعه بين أيديهم واطلع من قلبه الملك الرقشوان رفيقه وفيق جوان والبرتقش وأطلع سوط القضبان وكشف عن صدر جوان وقال له افتنا ياعالم الملة ابشر بكل مصيبة وعلة وحق الاله الباقى على الدوام ان نطقت أو تكلمت بكلام لاقطع اعضاءك وأطعمها لك مثل الطعام ثم أنه أفرد السوط ومال على جسمه الناعم حتى كشف الجلد واللحم وبان العظم كل هذا ما يجرى والملك الرقشوان ينظر ويرى وعلم

إنه من جوان يقدمونه ومثل ما أطعموا جوانا يطعموه وبعدما غاب جلد جوان ولا بقى فيه نفس تقدم محمد السابق وجذب البرتقش فقال البرتقش أنا فى عرضك يا سيدى الديار عرنوس يا ملك عرنوس أنا فى عرضك وفى عرض أبيك الشهيد معروف اعتقنى من السوط الغضبان فأنا مالى عليه صبر ولا جلدان وإن كان أبو محمد لم يفوت علقته فخليه يضربها الاستاذى عالم الملة جوان فقال عرنوس صدقت ياعم اضرب علقة البرتقش للشيخ جوان فقال جوان أنا فى عرضك بقيت شيخ فقال عرنوس أنت على كل حال تستحمل يا ملعون ومال شيحة على جوان ثانى مرة حتى أبلاه بالعذاب والمضرة وقال هاتوا الرقشوان فقال الرقشوان ياملك عرنوس انت بقيت زوج بنتى وأنا أبو زوجتك فأكرمنى للنسب فقال شيحة ياملك عرنوس ان كان الرقشوان دخل تحت أمانك فأنا أطلقه من أجلك وإن كان يحصل منه أدنى خلل فأنا أجعله شهرة بين أبناء النصارى فقال الرقشوان أنا فى عرضك ياسيدى شيحة أكون تحت أمركم وإن حصل منى تقصير افعلوا بى ما تشاءون فعندها قدموا نصير النمر وفيقوه ونط المقدم جمال الدين فركب على أكتافه وسحب الكشافية وطرقها على المستحد فطار منها الشرار فنظر المقدم نصير النمر فصاح ياملك عرنوس أنا فى عرضك ودخيلك ودخيل حريمك اجعلنى عبدالك وخادما واحقن دمى واعتقنى ولا تتركنى لشيحة يسلخنى وأنا والاسم الاعظم أخدمك على طول عمرى ولا أقصر فى خدمتك حتى أشرب كاس الحمام فقال الملك عرنوس أنت يا مقدم نصير النمر مالك أمان لانك لما أقمت عندى أولا غدرت وسرقت أولاد وردان والغدر هذا ما هو فعل الكرام فقال نصير النمر صحيح فعلت معك القبيح وأنت من أهل السماح فسامحنى فقال عرنوس اعلم يامقدم أنى أنا كنت عرنوسا ومعروف طيب كان عمى شيحة يكرمنى لاجل أبى وأبى مات وأخاف أن أتشفع فيك فما يقبل منى شفاعتى فقال شيحة ياملك عرنوس أى شيء هو هذا الكلام ان كان المقدم نصير النمر يحتمى فيك ويخدمك فأنا أطلقه كرامة لك على شرط أى محل قابلته فيه من غير تذكرة منك دمه هدر ولكن كان عند الملك الظاهر فقال عرنوس سمعت يامقدم نصير النمر فقال نصير النمر سمعت فقال شيحة ويكون على دين الاسلام فقال نصير وأنا على دين الاسلام والله ياحاج شيحة أنى مؤمن قائل حقا وصدقا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأطلقه شيحة على هذا الشرط وقد قال عرنوس للملك الرقشوان أريد منك ثلاث تخوت واحد لبنتك الملكة الرقطة واثنين لزوجاتى وأما هذا جوان والبرتقش فضعهما فى الحديد ولا تطلقهما منه أبدا الا بأمر المقدم جمال الدين شيحة فقال البرتقش

يا أبا محمد أنا آخذ جوانا وأروح معه إلى بحيرة يغرة ولا لقرب مدينة الرخام أبدا والاسم الاعظم ان كان جوان يطلب طريق مدينة الرخام لاقتله واقول الكلمة التى تعرفونى أقولها فى كتاب اليونان فصدقه شيحة لما يعرف من صدقه وأطلقه وأعطاه جوانا وهو فى حالة العدم فأخذه وقصد بحيرة يغرة فقعد سنة لم يطلع حتى بدأ صلاحه وطابت جراحه . وأما الملك الرقشوان فانه أحضر كلما طلبه الملك عرنوس ووضب ثلاثة تخوت للثلاث حريمات اللاتى للملك عرنوس وقدم للملك عرنوس هدايات وتحفا على قدر مقامه فقال عرنوس يامقدم نصير النمر خذ هؤلاء حريماتى الثلاثة وخذ هذه الهدايا والاموال وكتب كتابا إلى الملك محمد الطن وردونش وأولاد ملوك البر يقال مضمونه ان المقدم نصير النمر ملزوم بمدينة الرخام وحاكم على من فيها من الخاص والعام فمن أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى والسلام على النبي البدر التمام فاستلم المقدم نصير الكتاب من عرنوس واستلم الاموال والهدايا من خيل وجنائب وسيوف وأمتعة كل ذلك حازه نصير النمر فركب على حجرته وقصد الى مدينة الرخام فدخل الوزير على محمد الطن وردونش وأعطاه الكتاب فطلعت الحريم إلى سرايتها وأما الملكة الرقطة فخلوا لها سراية برسمها وتسلم نصير النمر مدينة الرخام والتزم بحفظها فى كل نور وظلام هذا ما جرى لنصير النمر . وأما الملك عرنوس فان المقدم جمال الدين قال له يا ملك عرنوس اعلم أن الملك الظاهر رجل مؤمن مغازى ولا يصعب عليه ما فعلت وأنا أصالحك معه وتزيل الاحقاد وتقيم كما كنت فى بلدك وأنا ضامن لك كلما تريد فطاوعنى وارجع فقال الملك عرنوس والاسم الاعظم لا أعود إلى بلادى ولا يهدأ فؤادى إلا إذا رأيت شيبة أبى المقدم معروف بن جمر قاعدا قصادى وغير ذلك لم يبق لى فى بلاد الاسلام مقام فقال شيحة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فردده شيحة وعاد إلى حال سبيله . وأما الملك عرنوس فانه سار وتبطن البرارى والقفار وقطع السهول والاوعار مدة أيام حتى أبعد عن بلاد الاسلام وقطع بلاد الروم وبلاد الأعجام وهو لا يتهنى بمنام ولا يلتذ بطعام إلى يوم من الأيام وقع فى أراضى منقطعة زائدة الحر والزمهرير ولا فيها وحش يرتع ولا طير يطير فنظر على يمينه فوجد جبلا أصفر وعلى يساره جبلا أسود والارض ترصف باللمعان والشمس أرخت عليها شرارا ونيران والجبال زعرت وسالت وإلى جهة الأرض مالت فنظر عرنوس الى حصانه فرآه قصر ولم يقدر أن ينتقل فنزل عنه فحرقته رجليه فعاد على ظهره ثانيا وعلم أنه هالك لا محال ولا بقى له نجاة إلا اذا أراد الله الملك المتعال فنظر يمينا لم يجد معينا الا الملك الامين

ونظر يسارا لم يجد أنصارا الا الملك القهار ونظر قدام لم يجد مقدام الا الملك العلام ونظر خلفا فلم يجد ألفا فقطع العلائق من الخلائق وبسط يديه الى الملك الخالق وقال حيه يا رب وصار يتضرع ويقول

يا رب يا من له كل الأمور ولا يهوله ما جرى من فعل أزمانى
يا رب ذنبى عظيم اعترفت به وأنت تعلم أحوالى وأحزانى
وقد عدمت أبى والأم مع بلدى وقد تشتت عن أرضى وأوطانى
وليس لى ملجا يا رب يحفظنى الا جنابك ملجا القاصى والدانى
فامنن على يارب وارحمنى وانقذنى وكن لى يا رب ملجا وارعانى

فما تم الملك عرنوس هذا الكلام الا وسمع قعقعة الرعد فى أفق الغمام واسودت الدنيا وصارت ظلام بقدرة من يحيى العظام ونزل المطر وانسكب وصار مثل أفواه القرب فنزل الملك عرنوس الى الأرض والمهاد وشكر الله تعالى الكريم الجواد وعمل حفرة فى الأرض وصبر عليها حتى أن الماء ملأها وشرب حتى ارتوى وسقى جواده وبلغ مقصوده ومراده بعد ذلك ركب على ظهر الجواد وطلب البرارى والوهاد ومادام كذلك حتى رأى البحر المالح عن يمينه وعن يساره وهو سائر فى وسط البحر وكلما مشى ضاق به الطريق حتى صارت وسع باع ودام الأمر حتى صارت ذراع وهى من الحجر فنزل من الحصان وأخذه على يده فى هذه الأرض طول الليل وكانت ليلة مقمرة ولما جن عليه الليل بكى فسمع المنادى من خلفه يقول شد حيلك يا ولدى الله يلطف بك فيما قدر عليك فالتفت فلم يجد أحدا فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولما طلع النهار وجد نفسه خرج على برية مقسمة الجنبات ورأى براوعليه ناس بكثرة كلهم نصارى وهم يلعبون قدام ذلك البحر فلما رأوا الملك عرنوسا هربوا فتعجب الملك عرنوسا من هروبهم وطرد بجواده خلفهم حتى لحق واحدا منهم ومسكه فقال له فى عرضك فقال عرنوس لأى شىء هربتم لما رأيتمونى فقال ولكونك ديابرو فقال عرنوس أنا من الانس ما أنا من الجن فقال ياسيدى عمرنا ماسمعنا ولا أهلنا من قبلنا رأوا واحدا خرج من ذلك الوادى الذى أنت خرجت علينا منه وهذا سبب هروبنا منك فقال عرنوس وأى شىء اسم هذه المدينة ومن ربها مالك فقال له هذه أولا كانت اسمها مدينة الجمجير والبر الطويل وفى هذه الأيام اسمها مدينة التصاوير وأما الملك اسمه عبد الصليب فأطلقه الملك عرنوس وقال له اعلم أصحابك انى أنا من الانس ثم تبطل كيجرى ناعلم الناس أن هذا انسى وما هو جنى فاطمأنوا وأما الملك

عرنوس فانه سار حتى دخل المدينة وسكن فى خان جديد البنيان فسلم حصانه إلى الخانجى وطلب منه أوضة للسكنة فاعطاه أوضة فى قلب الخان فقال له يا معلم خذ هذا الاشكرنى وهات الجواد عليقا وهات لى فرخة دجاج اعملها مسلوقة فاخذ الدينار منه وغاب وأتى ومعه فرخة مسلوقة فى طاسة ورغيف فاخذها عرنوسا وأراد أن ياكل لقمة فرآها كبريت وكذلك المرقة والفرخة فلم يقدر أن ياكل منها شيئا وثقل عليه الضعف حتى أشرف على الموت فدخل الخانجى وقال له هات كراء الخان وعليق الحصان فقال له خذ الكيس فانه ملآن من الذهب ما يكفيك فاخذ جميع ما كان فى الكيس وغاب عنه أياما وقال له هات أجرة الخان وعليق الحصان فقال له خذ من الكيس فقال له الكيس فرغ وحصانك عايز عليق وأنت عايز مصروف فقال عرنوس خذ الحصان بعه فاخذ ذات النسور بعدته ومضى به إلى صاحب الخان فاعلمه أن صاحب هذا الحصان رجل غريب فاعطاه خمسين ألف دينار وقال له إن باع شيئا غير هذا فلا تخليه يروح لغيرى فاقبل الخانجى على عرنوس وقال له ياغندار بعت حصانك بخمسين دينار

فقال عرنوس وأين عدته فقال بعتها معه غير لباده فقال عرنوس بخاطره وإنما هات لى فرخة لعلى آكل شيئا فاتى له بفرخة فلم يقدر ان ياكل وفضل الخانى أياما قلائل وقال له هات أجرة الخان فاعطاه قاسم الحديد فاخذه إلى صاحب الخان وهو وزير الملك فاعطاه عشرة آلاف دينار وغاب قليلا وطلب أجرة الخان فاعطاه مانع السلاح وبعدما أعطاه الشربوش فاخذه وقدمه للوزير فرآه كما ذكرنا باربعة عشر صفا جوهر فقال له يابولص من أين أتى لك هذا فقال غندار ضعيف ويكره يتمنظر ومعه غير هذا كان فاعطاه مائة ألف دينار فاخذها وعاد إلى الملك عرنوس وقال له بعت القلنسوة بخمسة اشكرنى فقال له الملك عرنوس خذها فى أجرة الخان فغاب خمسة أيام وقال له هات أجرة الخان فاعطاه الشلتين الكنوزى فاخذها وأتى إلى الوزير فاخذها وأعطاه مائة ألف دينار وكتب له الخان ملك وعاد فرحان ودخل على الملك عرنوس فقال له بعت شايلتك بخمسة دوقاتة فقال له خذها فى أجرة الخان فغاب عنه خمسة أيام وقال له هات أجرة الخان فقال له ما بقى عندى شىء أعطيك فقال الخانجى وأنا بلا اجرة ما أخليك ثم حمله على يديه وأتى به إلى زربزون الخان ورماه فنزل عرنوس يهوى وكان جماعة تجار واقفين فالتقوه على أيديهم وقالوا له يابولص لم تفعل ذلك بهذا الرجل الغريب فقال لا أحد يتكلم ولا يسكن فى خانى أحد إلا بالاجرة وهذا ما معه شىء كيف أسكنه بلاشىء فاخذه واحد وطلع به إلى قدام الخان ووضعه على مصطبة فقال الخانجى خذ عفشه ورمى لهم الحصيرة التى كان ينام عليها فافردوها ونوموا عرنوسا

عليها وتركوه وحده فبقى سكرانا لم يدر الطول من العرض ولا السماء من الارض إلى وقت الظهر حتى هجر الهجير واشتد الحر والزمهرير وإذ بالدنيا اشرقت بالأنوار وأقبل من سيد الأخيار فنظر إلى عرنوس ويده ممدودة إلى جهة الطريق فظن أنه شحات فاعطاه فى يده دينارا ذهب وسار فانقلبت يد عرنوس إلى الارض وسقط منها الدينار هذا والملك عرنوس سكران ولم يعلم بما جرى وكان وإذا بالفلك نقط فالقى الله النوم على الكفار وأقبل واحد من وسط البلد وهو يقول يا حليم يا ستار

إن فى الناس من نجا فى رضى صاحب النجا
وانكشف عنه الحجاب ونظر كلما ارتجا
ليتنى كنت منهمو كنت معهم معرجا
يا إلهى وسيدى إننى أطلب الرجا
بعد ضيق وشدة يا إلهى تفرجا
وتكون سفرة الهنا واحروا إلى مبوجا

ثم إن ذلك الأستاذ أقبل إلى الملك عرنوس وقال له يا ولدى أنت الجانى على نفسك بمخالفة أبيك قطب الشهداء المقدم معروف بن جمر شهيد باب التدرين وهو باب حلب المسمى باب أنطاكية الذى حمى الباب فى حياته وبعد مماته وهذه من بعض كرامات الشهداء والله يا عرنوس لولا دعاء أبيك لك بالالطاف لحصل لك غير هذا فرميتك على قارعة الطريق ها أنت فيها والصدقة التى لا تنفعك أخذتها ووقعت منك وأخذها غير مسلم يستحقها وأما الصدقة التى تنفعك [illegible] لك لأجل إنفاق دعوة أبيك واعلم إنك ما أخذت الصدقة من رجل دون الناس [illegible] إلا من عبد الله المغاورى شريف علوى وأما الصدقة [illegible] فى الدنيا لأنها ثمرة من ثمار الجنة ثم إنه أعطاه تلك الثمرة وغطس [راح] عرنوس [illegible] بالثمرة فى يده فجذب يده إلى عند فمه وأخذ الثمرة [illegible] فصار [illegible] حتى أن [illegible] ولما استقرت فى جوفه أدرك الاسهال كان آخر النهار ولم [illegible] أن يقوم من مكانه فنجس [illegible] ودام كذلك حتى كان فى ثلث الليل فنزلت حرمة [illegible] على كتفها وطلعت به إلى بيتها وقلعته ثيابه التى عليه وألبسته غيرها وقالت له انت [illegible] الملك عرنوس

فقال لها نعم ولكن كل بصرت [illegible] فقالت له لا تخف فان الله قد [illegible] يا سيدى أنى أنا زوجة ذلك الخارجى الذى كنت عنده وأصلك بعد ما

أخذ ثيابك وسلاحك وشربوشك وحصانك وأنا فى هذه الساعة جاءنى رجل اختيار وقال لى يامريم انت من أهل السعادة اسلمى وقومى فانزلى إلى ولدى الملك عرنوس وارفعى عنه هذه الثياب متى تنجست واغسليها له فانه غريب ولاله من يعوله وضعيف فاسلمت يا سيدى على يديه ونزلت كما أمرنى اليك وهاءنا أجدد إسلامى عليك أشهد ان لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ففرح الملك عرنوس وقال لها بقى يجب عليك أن تمتنعى عن ذلك الكافر فقالت ياسيدى هذا لم يجامع إلا الاولاد الذكور كان أصله من قوم لوط ثم انها قامت وكان عندها فراخ فمسكت اثنين وذبحتهما وسوتهما طعاما وسقته من مرقهما وأطعمته من لحمهما ودامت تمازجه حتى انشق ذيل الدجى وبدى الصباح مبتلجا فحملته ووضعته فى مكانه إلى الليلة الثانية ففعلت معه كذلك وهكذا سبعة أيام حتى أن الملك عرنوسا فى الليلة السابعة أكل فرختين مع رغيفين وبقى يفهم الخطاب ويقدر على رد الجواب

[ولما]كان اليوم الثامن وإذا فى أسواق البلد بمنادى ينادى يامعاشر النصرانية اعلموا أن الملكة مريم بنت الرين خارجة من سرايتها قاصدة للبستان فلا أحد يقف فى السوق حتى تفوت الملكة وكل من وقف لها ورآها ورأته يكون بقطع رقبته وهذا يكون من بكرة أول النهار وكل من ظهر فما جزاؤه إلا المنشار ولما كان ثانى الايام قفلت جميع الاماكن وتوارى جميع الناس ولم يبق فى الاسواق رجل ذكرا بدا بدا وعرنوس راقد على تلك المصطبة ولم يعلم بذلك الحال ولما كان ضحى النهار أقبل الموكب بالملكة مريم يقدمه مقدار أربعين راهبا وبعدهم أربعين راهبة وبعدهن بنات جمالات مثل الاقمار وبعدهن تخت مجرور على أربعة خيول ضمائن وهو من الصاج الهندى مصفح بالواح الذهب ولما وصل التخت إلى قدام الملك عرنوس وهو راقد كما ذكرنا فتقدمت واحدة من العجائز الاربعة اللاتى حول التخت وقالت له ماسمعت المنادية ياكناس حتى اقمت فى مطرحك لتنظر بنت الرين وهى سائرة إلى البستان

ثم ضربته شاحوط ولاد كان فى يدها على صدره فقال عرنوس آه يا ملعونة أنا فى جسمى يلقى هذه الضربة قوى فنظرت الملكة مريم إلى ما فعلت العجوز فنزلت من التخت كانها قضيب بان أو غزال عطشان وتقدمت إلى الملك عرنوس ووضعت يدها عليه وقالت للعجوز مال أخذ من حاجة هذا المسكين حتى ضربتيه وأردتى أن تقتليه ثم انها وضعت يدها على عاتقه امضى من القضاء والقدر وضربت تلك العجوزة فى وسط رأسها فشقتها إلى دكة لباسها فوقعت لقتين وعجل الله بروحها إلى النار وبئس القرار كل هذا يجرى

والملك عرنوس ينظر ويرى وقد شققت فؤاده من لحاظها بنبال وانتقل من حال إلى حال وتمكن منه الهوى والبلبال فنزل من على المصطبة التى كان عليها وسار يزحف على الارض تابعا إلى أثرها وما زال يزحف من مكان إلى مكان حتى وصل إلى باب البستان وقعد ينتظر ما يفعله الملك الديان وكانت الملكة جالسة فى القصر بين خدامها فنظرت الى الملك عرنوس وقد أتى الى عند بستانها فظنت انه جيعان أو آتى يطلب احسان فأمرت بدجاجة رومى تذبح وتشوى ففعلوا لها الخدم ما أمرت به ولما احضروها بين يديها وضعت فى قلبها مائة دينار وامرت جارية أن تأخذها وتعطيها له فاخذها وفتحها ونظر إلى ما فيها فأكل منها ونظر إلى الدنانير فلم يعبأ بها بل تركها فى قلبها ولم يأخذها وبقيت الدجاجة بجنبه باقية فأرسلت الملكة مريم واحضرته إلى عندها وقالت له انت من اى البلاد فقال لها أنا من مدينة البرتقان وكنت بوابا على سراية الملكة شمورس بنت البيب معلوين فقالت له وأنا اريد ازاجملك بوابا لسرايتى وتقيم فى خدمتى فقعد فى الباب ثلاثة ايام الى ليلة سمعته غنى بالرومى فسلب عقلها حبه وقالت ما هذا بواب واحضرته فقالت له اصدقنى فى المقال اى شىء صنعتك عند بنت البيب مغلوين فقال كنت نديما عندها انظم صحبة المدام بين يديها واغنى بالرومى لها فقالت له لا اصدقك حتى انظر صنعتك ثم انها احضرت صحبة المدام فقالت فرجنى كيف تنظمها فصفف الكاسات والكوابى والطاسات كل واحد مكانه وكان الملك عرنوس له فى هذه المرتبة اعمالا فى غاية الاتقان . فلما نظرت الملكة مريم ما فعل الملك عرنوس فى تصفيف الكاسات قالت له ياغدار انت لك علم بحالة البيبار ومجالس العقار ثم انها اجلسته وجلست بجانبه وقالت له دير المدام واسقينى فقال مرحبا وصار يملأ ويسقيها حتى اخذت من الخمرة حظها وقالت له ما اسقيك انا حتى تتعلم ادارة البيبار ثم انها ملأت الكاس وناولت عرنوسا فأيقن ان الزمان اعتدل اليه والشقاوة محيت من عليه ففرح وزاد به الطرب والملكة مريم تملأ الكاس وهو يشرب حتى لعب به الطرب فميل القلنسوة وعلى راسه وصاح دوس نروفى الملك سيف الدين عرنوس فقالت الملكة مريم اخرص ياكناس اى شىء اوصلك ان تذكر اسم محبوبى فقال لها ومن هو محبوبك الذى تذكريه فقالت الديابرو عرنوس فقال لها ومن اين تعرفيه فقالت انا أعرفه وعندى صورته فقال لها ان صدقت اى فانا عرنوس فقالت له انا اقوم واجىء لك بصورته فان كانت مثالك صدقت واسألك ما سبب مجيئك الى هذه البلاد وان كانت غير

صورتك قطعت رقبتك فقال عرنوس لكن قبل ذلك أريد أن ادخل الحمام وألبس ملابس عظام حتى يثبت لك صدق الكلام إذا رأيتنى البرهان فأدخلته الحمام وألبسته أحسن الملابس وأحضرته إلى بين يديها وأحضرت الصورة التى عندها وتأملت فى وجهه وفى الصورة فقالت كأنك أنت الدابرو عرنوس ثم انها رفعت الصورة برجلها وقامت إلى عرنوس وضمته إلى صدرها وسألته عن سبب قدومه لتلك البلاد فانك أنت القصد ومنية الفؤاد فقال لها أنا أحكى لك حتى تحكى لى أنت على سبب تصوير هذه الصورة فقالت له اعلم أنى كنت يوما من الايام فى الحمام فقلت للوزير بتاعى هل تعلم أحدا أجمل منى فسكت فقلت له تكلم فقال لى أما فى النساء ما أعلم احدا اجمل منك وأما فى الرجال يوجد فقلت له من فى الرجال حوى ذلك الجمال فقال غلام أصله من اولاد النصارى والآن صار مسلما وهو الدابرو عرنوس الذى رباه كنيار القيطلانى وبعده أخذه البب مغلوين وبعد ذلك أخذه المسلمون فقالت له وأنا سمعت عنه انه جميل وأريد منك أنك تأخذ معك جلدين أو ثلاثة جلود الغزال وتسير من هنا إلى بلاد المسلمين فاذا وصلت إلى مدينة الرخام فاعمل لى صورته وهو قاعد على كرسيه يتعاطى الاحكام وكذلك تعمل لى صورته إذا قعد على صحبة المدام وتصوره صورته هكذا بالتمام وكذلك لما يركب الحصان تصور لى صورته عيانا ولك على كل صورة الف دينار ولك ايضا مصروفك عشرة آلاف دينار وأنت تسافر على ذلك الحال وجميع ما يلزم بيتك على بالتمام والكمال فأخذ ما قالت له عليه وأخذ الاموال وسافر وغاب سنة كاملة وأتانى بتلك الصورة فأريتها لابوى فتعجبا وأمر أبى أهل البلد انهم يصنعون مثلها يعلقونها فى أماكنهم وكانت بلدنا هذه اسمها مدينة الحجر فسميت مدينة التصاوير وهذا أصل حكايتى فاحك لى أنت على سبب قدومك إلى هذا المكان وما الذى جاء بك إلى هذه الاراضى والبلدان فحكى لها الملك عرنوس على سبب موت أبيه وقدومه إلى جبال الكبريت وعطشه ودخوله الخان والضعف الذى حصل له والمشقة وما قاساه فلما سمعت كلامه تعجبت وقالت له أما المتاع والناموس والسلاح الذى أخذه منك الناجى فانى أخذته من الوزير واعلم ان اباك نصرانى لا يتحول عن الانصاف فقم الآن وامض اليه واحك له عن ظلومتك فانه يخلص لك حقك من الوزير ولا يبالى بكبير ولا صغير وهذا باب السر فادخل منه إلى الديوان ولا تخف من الانسان فقام الملك عرنوس ودخل من باب السر فوجد نفسه فى وسط الديوان صاحب الحكوم والباب فقال له حبيب عبد الصليب من

الذى ظالك باغندار فقال هذا الوزير ظالمنى فقال الوزير قم يا وزير اقف معه حتى أكشف ظلومته فقام الوزير ووقف جنب الملك عرنوس يابب الشربوش الذى لبسه الوزير بتاعى فقال اقلع ياوزير الشربوش حتى أحكم عليه فقلعه الوزير فقال البب عبد الصليب هل لك شىء آخر فقال والشابتين بتاعى وهذا الحسام والترس وذلك الجواد الذى واقف فى الديوان فقال البب عبد الصليب انت من أين اخذتها ياوزير فقال الوزير أتانى بها الخانجى فقال عرنوس وأنا كنت ضيفا عند الخانجى وهو أخذ كل حاجتى وقدمها اليك وأنا أعطيك دلائل وبراهين على حوائجى فقال البب عبد الصليب أى شىء البراهين فقال عرنوس يابب اسأل الوزير هذا الشربوش فيه علائم يعرفها الوزير أى شىء العلائم انا ما اعرفه إلا شربوش فقال عرنوس إذا كان فيه علائم غير ذلك يكون بتاعى فقال البب عبدالصليب نعم فدور لولبه عرنوس فخرج تاج لبس ملوك العجم فقال عبد الصليب هذا بتاعك وفعل بالشابات مثل ما فعل بالشربوش وبعده وضع السيف والترس على ظهر الحصان وقال يابب الحصان يعرف حس صاحبه فاذا نادى عليه وراح له يأخذه وإذا لم يرح عنده أنده على انا فقال الوزير طيب ورضى بذلك الشرط ووقف على سلم الركوب وصاح تعال يا حصان فلم يأته كرر النداء عليه ياحصان يا كحيل يا أحمش فلم يرد الحصان حتى غلب وقال لعرنوس اطلبه انت فصاح عرنوس يا ذات النسور فتمطى فى الشباحات وقطعها وخلص نفسه وأتى إلى عند السلم فاخذ عرنوس قاسم الحديد وتقلد به وكذلك ترسه مانع السلاح وهمز على ظهر الحصان فاغتاظ الوزير فلما أراد ان يسير عرنوس وإذا بالوزير مسكه وقال هذا حصانى دفعت فيه أموالى وهذه ثيابى وسلاحى كلها اشتريتها بمالى فشد فى ديل ذات النسور فضربته برجلها فحكمت الضربة فى جبهته فانفلقت فكته ومات من ساعته ووقته فاراد الملك عرنوس أن ينزل من الديوان فناداه البب عبد الصليب ياغندار الوزير مات وأنا أبقى بلا وزير اقعد عندى أجعلك وزير مملكتى حتى أقاسمك فى نعمتى وأزوجك ابنتى فعاد عرنوس فارسل عبد الصليب إلى بنته وأعلمها أنه يريد أن يزوجها فرضيت بذلك فاحضر البترك كل الاكليل وعمل له البب عبد الصليب فرحا ثلاثة أيام وليلة الدخلة عرنوس وأعلمها أنه مسلم فاسلمت على يديه وزال بكارتها بعد النكاح وأقام الملك عرنوس فى تلك المدينة وهو وزير عبد الصليب فى الديوان بالنهار وبالليل يكون عند الملكة مدة ايام الى يوم وقد ركب مقاربة نحو خمسمائة ويقدمهم فارس جميل الصورة وكان هذا بتمال ابن الوزير

سبع الاندلسي وزير مولانا محمد ملك مدينة مراكش الغرب وكان مولانا محمد هذا له خراج على هذه المدينة فى كل عام فارسل سبع الاندلسى يقبض الخراج اليه ويقدمه بين يديه فلما حضر فى هذه النوبة قعد بعسكره فى البر وأرسل نجابا من طرفه إلى عبد الصليب

فلما وصل إلى عبد الصليب النجاب أخذ الملك عرنوس الكتاب وقراه وإذا فيه من حضرة الوزير سبع الاندلسى إلى عبد الصليب ملك أرض الجهجير ما أنا حضرته من طرف مولانا محمد طالب منك الخراج فاحضر لى الاموال حتى اسير فانى على عجل والسلام على النبى المظلل بالغمام فلما قراه عرنوس كتب اليه يقول كانت هذه البلاد أولا بلا حامى وأما فى هذه الايام جد فى هذه المدينة حامى يحميها وسبع يضرب عليها فامضى من حيث أتيت ولا تكن ممن ظلمت وتعديت وإن أردت أن تأخذ الخراج بالحسام الفصال فدونك والحرب والقتال ثم أعطى الكتاب لحامله فعاد النجاب إلى الوزير سبع الاندلسى وأراه رد الجواب فاغتاظ سبع الاندلسى وركب وقال ميدان يا أولاد الكفار لا يبرز لى إلا السبع الحاميها فما تم كلامه حتى صار الملك عرنوش قدامه وقال له دونك والقتال أن كنت من الابطال فانطبق الاثنان على بعض ودوت اصواتهما مثل الرعد وخرجا من الهزل إلى الجد فنظر الملك عرنوس إلى سبع الاندلسى فلقاه فارسا شديدا والوصول اليه بعيد افخاف على نفسه أن ينظره عبد الصليب بعين النقصان فمال على خصمه بكليته وضايقه فى حاله وقبض على خناقه وعصر عليه حتى أراد أن يخرج مقلة عينيه ورفعه على زنده وقال له أنت وزير وأنا وزير فلا يجوز أن تقتل وأنت خدام فارجع إلى من ارسلك وقل له إن كان لك خراج خلصه بيدك فعاد سبع الاندلسى إلى بلاد الغرب واقام الملك عرنوس فى ملك الجهجير والبر الطويل يقع له كلام [أما] ما كان من أمر الملك الظاهر فانه أتى النجاب من حلب ومعه كتاب يذكر فيه أن يوم تاريخ الكتاب ... إذا أتى علينا من البرفدارى اسمه المقدم اسماعيل أبو السباع ومعه اتباع ... من الفرارس السجمان ومعه الف ومايتين سبع ولبوة قادما ... من البرارى ... بضرب المدافع من على الاسوار ومنعناه على قدر ... حلب مثل الحصار فكل محاصر ماخوذ ومع ذلك انه مؤمن ولكن ... السباع سقط الحبالى ويهلك ... الاولاد الرضع عند السماع فكتبت لك ... ادركنا ... الميمون ... امرك الملك ونحن ... فى ريب ... يدركنا الامر ... والسلام على

النبي البدر التمام فلما سمع السلطان ذلك الكتاب داخله الاعجاب وأمر بتجهيز العساكر وسافر أرضا بعد أرض حتى حط على حلب واخذ الراحة ثلاثة أيام فكتب كتابا وأعطاه إلى المقدم إبراهيم فاخذه وسار وكان المقدم اسماعيل باله مع عرضى السلطان فنظر إلى ابراهيم وهو مقبل فسال رجاله عنه فاعلموه أن هذا ابراهيم بن حسن الحوراني ووصفوا له شجاعته فقام على حيله واحضر مائتى سبع وجعلها فى الطريق على اليمين واليسار مقابلين بعضها وقال إن كان شجاعا يفوت من بينها فلما قدم ابراهيم ونظر إلى تلك الوحوش فصرخ بصوته الجهير وقال طريق يا خلق الله فاندارت الوحوش وأعطوه ظهورها فدخل إبراهيم من وسطها وسار حتى وقف قدام المقدم اسماعيل وصاح قاصد ورسول بالزوج البتول وابن عم الرسول الامام على بن أبي طالب فقال المقدم اسماعيل هات كتابك وخذ رد جوابك فقال إبراهيم لم لا تقوم على حيلك خذ كتاب السلطان بادب واقراه بادب واعطى رد الجواب بادب فقام اسماعيل واخذ الكتاب وقرأه وإذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى واطاع الله الملك العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعده فمن حضرة الملك الظاهر إلى المقدم اسماعيل بن المقدم جراى شىء اغراك حتى جمعت هذه الوحوش واتيت بها تحارب بنى آدم الاسلام مع انك الظاهر لنا اسلامك ولم نعلم انك منافق فان أردت السلامة وإصلاح ما فسدت تاتى حالا إلى عندى أن كنت طالب سلطنة القلاعير اجدك على شحية إن غلبته خذ السلطنة وإن غلبك طمه مثل غيرك وإن كنت طاغى باغى سيف السلطنة طويل وإن كنت اغتررت بهذه الوحوش فالنصر من عند الله وإن خالفت قولى سوف ترى ما يحل بك وبهؤلاء الوحوش الذين معك والسلام على نبى ظللت على راسه الغمام فلما قرأ المقدم اسماعيل ذلك كتب رد الجواب بالحرب وعطاه للمقدم إبراهيم فقال المقدم إبراهيم هات حق الطريق فقال حق الطريق ما تفرقه فقال إبراهيم ولا لابى فاعطاه الف دينار واعتمد أن يخلصها منه بالحرب وقال إلى الذين يخدمون السباع فى هذه الليلة جوعوها حتى إذا اطلقناها بكره تبلغ بها قصدنا فاطاعوه ولما كان عند الصباح وجد واماتى سبع ميتين فتعجبوا فاخبر المقدم اسماعيل بذلك فقال اى شىء جرى عليهم فقالوا ما نعلم فبطل حرب ذلك اليوم ولما كان ثانى الايام اعلموه بان فى هذه الليلة مات مائتى سبع ولبوة فاغتاظ وقال كا [illegible] الثالثة والرابعة كذلك فنظر الى الالف ومائتين فوجد [illegible] اثنين [illegible] الف [illegible] فقال [illegible] كان [illegible] فعل شيحة ما هى مروءة لانى [illegible] أتيت اطلب السلطنة

منه. رأى شيء ذنب اولادى السباع حتى قتلها فان كان شاطر ما يأتى الا لى انا فما تمم كلامه حتى وقع فى العرضى ضجة فسأل اسماعيل ما الخبر فقالوا له ياخوند قدم علينا عدس تابع من أتباع المقدم جمال أبو معروف وزمن فى العمر ولكنه مبروك ويحب العدس فاذا دخل قلعة لا يأكل فيها الا العدس فلما كان ذلك اليوم وعلم اسماعيل ابو السباع قال للرجال لعله يدخل عندنا ويبارك لنا فى أشغالنا وينصرنا على أعدائنا فبقوا منتظرين اليه حتى قدم عليه فالتقاه المقدم اسماعيل وسلم عليه وقبل يده وادخله الى مكانه وامر بطبيخ العدس من أجله فصار كل الطباخين يطبخون العدس والشيخ عدس يقول عدس فقال المقدم اسماعيل خذوه الى المطبخ حتى ينظر العدس فادخلوه فى المطبخ فصار يضع يده فى قلب القزان وهو يغلى ويقلبه حتى قلب جميع القدور التى فى العرضى ولما كان عند المغرب اكلوا الجميع ولم يبق أحد الا وأكل من العدس فأرادوا أن يقوموا لصلاة العشاء فلم يجدوا لهم مقدرة وحمد العرضى من أوله الى آخره وطلع الشيخ عدس الى السلطان وأعلمه بما جرى وذبح بقية السباع وكان هذا المقدم جمال الدين فقام الرجال وقبضوا على اتباع المقدم اسماعيل أبو السباع واحضروه قدام السلطان وفيقوه من نومه فقال اسماعيل أى شيء هذا فقال له شيحة ما تستحق يا مقدم اسماعيل جئت بوحوش تحارب الاسلام أنت مقامك تستكتف مثل الاولاد الجهال أى شيء أغراك على تلك الفعال فقال المقدم اسماعيل ما ظلمت ولا تعديت حتى قتلت أولادى وانت يا حاج شيحة كتفتنى ثم أتيت بى الى قدام ملك الدولة مع انى لا أنا عاصى عليك ولا على الملك الظاهر انا قائل درويش درويشين اى القلاع سلطانين الله ميل قلب سلطاننا ملك الدولة الملك الظاهر وهى طاعة الخوند الى المقدم معروف جمال الدين سلطان القلاعين والحصونين وهاك سلاحى اكتب اسمك فأنا لست بعاص عليك فان المقدم من قدمه الله وانما اذا كان اخى معروف مات فانا وارثه فكيف ان ابراهيم بن حسن يأخذ شاكريته ذو الحيات مع أن أخوه موجود على وجه الارض فقال ابراهيم بن حسن أى شيء هذا الكلام تبقى ركبتك هذه على شاكرية اخيك كنت أول تقول لى هاتها لما أقصر معك خاصم فيها خذ ياخوند هذه الشاكرية فأعطاها له ابراهيم ثم قال له يا مقدم اسماعيل لا تقل انك أخذتها فى مجالس وتقول أنك ترجع تعطيها لى والاسم الاعظم لم أقبلها منك الا اذا سقت على ملك الاسلام والحاج شيحة وتعطينى الف قرص فقال اسماعيل لا أرجعها لك تبقى تفعل معى خلاصك واصطلحا الى ذلك وراح اسماعيل ابو السباع الى عرضيه وبات الملك تلك الليلة وهو فرحان بالصلح وعدم

المشاقفة لان المقدم اسماعيل من الاشراف وحرب الاشراف حرام ولما كان عند الصباح وأراد السلطان ان يأمر العرضى بالرحيل الى مصر واذا بالمقدم اسماعيل أبو السباع مقبل وهو ماشى على قدميه فدخل على السلطان وقبل يديه وقال ياملك الاسلام اناني عرضك تكون سياقا أنت والحاج شيحة الى المقدم ابراهيم بن حسن ان يقبل منى حق الحيات شاكرية أخى معروف فقال ابراهيم السلاح كثير أنا لا اقبلها ولا أريدها الله يملاها لك بركة فقال المقدم اسماعيل كفر يمينك يامقدم ابراهيم وأعطيك الف دينار وقال هذه اجرة بياتها عندى فى هذه الليلة فقبضها ابراهيم وقعد اسماعيل أبو السباع بعد ماأمره السلطان بالجلوس وقال ياملكنا اريد اسألك معروف أخى كان له ولد فقال له السلطان آه فكرتنى يامقدم اسماعيل فى أخيك وفى ابن أخيك ثم حكى له الملك عرنوس وما كان منه ثم قال له السلطان ان كل هذه المدة مارأيت أخيك ولا اولاده فقال المقدم اسماعيل يادولتلى أنا الماغاب أخى اقمت فى الاجم عشرين سنة وعند عودتى حملت شغلى كيس الغابات والاجمات على السباع والبوات حتى جمعت هؤلاء الالف والمائتين من الوحوش وبعده أردت ان ادخل حصن صهيول فعلمت ان أخى على حلب فاتيت اليه لاساعده فرأيته قدمات فاردت ان آخذ الشاكرية فما أمكننى فاخذت الحجرة وعدت الى الحصون وبعد ذلك بلغنى ان المقدم ابراهيم أخذ الشاكرية فاتيت أطلبها وجرى ماجرى وأخذتها فقمت فى هذه الليلة فرأيت أخى المقدم معروف وهو يقول لى يامقدم اسماعيل ياأخى انا شاكريتى الى ابراهيم هدية منى اليه وأنا على دكة المغسل وانت أتيت واخذتها منه بغير حق والاسم الاعظم ان باتت عندك الليلة القابلة لاقطع بها رقبتك بدال ماجمعت الجوع يا كلب الرجال وأنت تقاتل ملك الاسلام دور على ابن أخيك عرنوس الذى غاب فى بلاد الكفر غريب وحيد ماله نصير ولا معين

فلما رأيت ذلك ماصدقت بالصباح حتى اتيت اليك وقضيت هذه الرؤيا عليك وأنا ياملكنا اريد ان اتجرد الى السفر وأفتش على ابن أخى

فقال السلطان والله يامقدم اسماعيل ان أردت ذلك فانا كان ادور معك عليه فانى إما الاقيه واعود به واما ان يفعل الله مايريد

فقال ابراهيم وأنا وسعد كان معكم

فقال السلطان نحن الاربعة فقط لكن نجعل واحدا يتولى مصر وفنا فقال ابراهيم انا ... الى المصرى فعنده أمر السلطان الوزير شاهين ان يسافر بالعساكر الى مصر ... ذلك ... السعيد يكون نائبى عن المملكة فسافر الوزير كما أمره السلطان ورحل

إلى مصر وسلم الكتاب للملك محمد السعيد فأجاب بالسمع والطاعة وأقام على تخت مصر
وأما السلطان فانه أخذ المقدم إبراهيم وسعد وإسماعيل أبو السباع وداروا يفتشون
على الملك عرنوس والتزم المقدم إبراهيم بمصر وفهم كما قدمنا وساروا كلما وقفوا على
بلد يستنشقوا الأخبار على الملك عرنوس ويقومون بها مدة أيام إلى يوم من الأيام
دخلوا مدينة فى أواخر بلاد الروم فراح إبراهيم على جرى العادة يأتيهم بطعام فرأى
كل فيها من الطعام غالى فأخذ على قدر مؤونة ماتلك الليلة فقط وقال لابد فى غداة غد
يكون قدامنا رخصا فى الأكل فى بلد غير هذه البلدة وثانى الأيام ساروا إلى أن أضحى
النهار فلم يجدوا بلادا إلا الخلا والجبال ولما تضاحى النهار قال السلطان اقعدوا بنا
حتى تفطروا وبعده تسافروا فقال إبراهيم والله يا ملكنا ما معنا شىء من الطعام
أبدا فقال السلطان لأى شىء فقال ابراهيم البلد الذى كنا فيها غالية الاسعار وقلت فى
نفسى لابد قدامنا من بلد تكون رخيصة الاسعار فما نحن سافرنا وما لقينا أبدا فقال
الملك كأنك على غلو الطعام أبطلت عنا الأكل فقال إبراهيم يا ملكنا سيروا لعلنا
نجد بلدا فسار السلطان مغتاظ من ابراهيم وقال له والله يا خائن لولا اننا مع بعضنا
فى الغربة لقطعت راسك اذا بلغ ثمن الرغيف الواحد أربع جدد فما يمكن الانسان ان
يقعد بغير أكل وقضوا نهارهم وليلتهم بالجوع وثانى الايام أكلوا من نبات الأرض
هم وخيولهم وثالث يوم قال الملك ياسعد اطلع على هذا الجبل واكشف لنا مدينة
نقصدها قبل أن تعدموا فى هذا البر من الجوع فجرى سعد حتى طلع الجبل العالى
فرأى صومعة وفيها رجل اختيار . فلما رآه سلم عليه وحكى له سعد على السلطان وما
فعل إبراهيم معه من عدم الأكل والجوع الحاصل فقال له إبراهيم ياسعد ياطماع اقعد
لما أغديك ثم ان ذلك الشيخ اطلع قدحا من خشب الجميز وقال له امتلىء بقدرة الله
عيشا مبسوسا بالسمن والعسل النحل فامتلأ ذلك القدح فقال سعد ياسيدى اعمل معنا
جميلا واعطنى هذا القدح حتى أطعم أصحابى منه لأنى اذا أكلت أنا وأصحابى جياعا
حرام على فقال الشيخ خذه يا سعد وكلما تجوعوا اطلبوا منه ما تشتهون ولكن حاذر
من ابراهيم فانه يفسده عليكم فعند ذلك أخذ سعد القدح ونزل به فرحانا حتى أقبل
على السلطان وبيده القدح بالبسيسة ملآن فقال هيا تفضلوا فأكلوا حتى اكتفوا
فقال سعد كان أجىء لكم بالطعام فقال الملك ومن أين تجىء به فحكى للسلطان على
القدح ثم انهم طلبوا الماء وشربوا فقال الملك هيا اركبوا فركبوا وساروا يقطعون
فى يوما كاملا ونزلوا آخر النهار فطلب سعد من القدح بسيسة فأكلوا حتى

اكتفوا فلما أدركهم النوم خطر على المقدم إبراهيم المدام فسرق القدح وطلب منه ذلك فارتفع من بين يديه . ولما كان عند الصباح فتشوا على القدح فلم يجدوه فقال سعد والله ما هرب القدح إلا إبراهيم فقال الملك وسبب بلانا كله ابراهيم فقال إبراهيم أنا أُطلع أدور كما دور سعد ثم ان المقدم ابراهيم طلع الى جبل عالي فرأى خلف الجبل بوارق اسلامية وعساكر بكثرة فراح إلى عندهم وسأل عنهم فاعلموه بأن هذا يا مولانا محمد صاحب مراكش الغرب مسافر للجهاد فقال ابراهيم وأين صيوانه الذى هو مقيم به فدلوه عليه فتقدم ابراهيم اليه وقال له ياملك الجهاد يحتاج الى عساكر بكثرة وأنت ما تكتسب معك عساكر فقال مولاى محمد وأين العساكر فقال أنا ومعي برفقتي ثلاثة فقال هاتهم نكتبهم فقال ابراهيم كم تعطى كل واحد فى الشهر فقال كل واحد مائة دينار ان كانوا مثلك فقال كلهم أحسن منى قال مولاى محمد هاتهم فقال ابراهيم هات عشر مواجب لقدام قال لا يا ولدىّ ما نعطى شيئا لقدام فتحايل عليه ابراهيم حتى خلص منه مواجب لكن بالضامن وعاد ابراهيم الى السلطان فقال يا مولانا اعطينا الامان حتى اعلمك فقال الملك عليك الامان فقال يادولتلى طال علينا المطال وهذه جبال ورمال فرأيت أحد ملوك المغرب متوجها بالجهاد فخدمتكم عنده تأكلون وتشربون ولما نصل الى بلد حمار نتركه فقال السلطان وكيف خدمتنا فقال ابراهيم وقبضت المواجب الكل واحد مائة دينار فقال الملك مواجب انا الله يسامحك فيه فقال اسماعيل وانا كذلك قال سعد هات حقى فقال ابراهيم لاى شيء أنا رابح نشترى به ما تاكلوا وتشربوا لما تريد أن تحلق رأسك فأنا أحلقه لك وان ذابت ثيابك اشترى لك عوضها والدنيا ما ان خالتى فانية ثم انا راهيم اخذهم الى المرضى فسلم عليهم مولاى محمد فسأله السلطان عن سفره فقال ياولدى ان لى على ملك الجهجير خراجا كل عام وفى هذا العام تأخر عن وروده الى فركبت اغزى عليه ثم انهم ساروا أياما قلائل حتى نزلوا على مدينة الجهجير فكتب الملك على لسان مولاى محمد كتابا وختمه منه فقال أكون أنا النجاب فقال ابراهيم هذه مرتبتى فقال الملك وانا اخذتها منك ثم ان السلطان سار حتى دخل على عبد الصليب فأمره أن يقوم فقام وأخذ الكتاب وقرأه واذا فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله العلى الاعلى واللعنة على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة مولاى محمد صاحب مملكة مراكش الغرب الى عبد الصليب صاحب الجهجير اعلمنا بالسبع الذى حمى بلادك منارها اسمعا ودونك القتال فان أردت أن تحمى نفسك فاقبض عليه وشدّ به وسلمه مفاتيح بلدك فان قتلته يكون جزاؤك وان عفوت عنك يكون فضلا منى

وأحاسبك على ما تكلفت به الركبة وأبايعك تقسك بالمال فان امتثلت كان الحظ الأوفر وان خالفت أبشر بفناك وقطع رجاك والسيف أصدق أنباء من الكتب وحامل الأحرف كفاية كل خير والسلام فارسل عبد الصليب رأحضر الملك عرنوس سرا وأخبره وأطلعه على الكتاب فعرف عرنوس خط السلطان فاستحى أن يظهر وكتب له رد الجواب وقال له اعطه الف دينار حق طريقه وبكره أنا أنزل إلى الميدان فطلع عبد الصليب وأعطى السلطان كتابه وأعطاه رد الجواب وأعطاه الف دينار حق الطريق وعاد الملك الظاهر فالتقاه المقدم ابراهيم وقال له يا مولانا حق الطريق لي أنا فاعطاه السلطان الالف دينار وأعطى رد الجواب لمولاى محمد فافرده فوجد فيه إلى حضرة مولاى محمد أما الجزية لك صحيح غير أن فى هذا العام أريد منكم أن تكرموا بها المقيم عندنا فانه من أمثالكم ويلزمكم إكرامه للقرابة وان أبيتم ذلك فالحرب بينكم قريب وان أردت أن تعرف اسمه فأوله عين وآخره ص وهذا ما عندنا وقد أعلمناك وأنت وشأنك أخبر فلما قرأ مولاى رد الجواب انشغل آماله وقال للسلطان ياولدى أى شىء هو هذا الكلام فقال له الملك أما ما قرأت الجواب اعلنى على ما فيه فاطلعه عليه فقرأه السلطان وسمع المقدم ابراهيم الكلام فقال ابراهيم يا سعد انظر :

قال للعزول المستهزىء بكره تواصل من تعشق
صادقت حبى واصلنى جاء الفال يؤكد بالمنطق

والله ياسعد ماحى هذه البلد إلا عرنوسا وسفرتنا هذه مباركة [وأما] مولاى محمد فقال ما هذا الاسم إلا اسمه عرص والعرص ملعون كيف تكرم البلد من أجله وشرمط الكتاب ورماه وأمر بدق الطبول حربى فجاوبته طبول المدينة وأما عرنوس فامر عبد الصليب أن يخرج العرضى إلى خارج البلد حتى يكون الحرب مقابله وماطلع النهار إلا والعساكر قبالة بعضهم صفوفا فاول ما برز إلى الميدان كان الملك الظاهر فصال وجال ولعب بالقنطارية يمينا وشمالا فخرج عرنوس إلى مقابلة القتال فنظر المقدم ابراهيم إلى ذات القسرر فدفع حجرته ونادى تادب يا عرنوس ما قدامك إلا السلطان يا ملك الاسلام هذا الملك عرنوس فعند ذلك ترجل الملك عرنوس من على ظهر الحصان ومشى على قدميه وانكفى على ركاب السلطان يقبله فانحنى له السلطان وقبله فى وجهه وأمره بالركوب فركب جواده فنظر مولاى محمد إلى ذلك الحال فخجل كيف أن الملك الظاهر صحبته من جملة العساكر فقال فى نفسه والله ماغرنى إلا ذلك الرجل السمين فطلع ماشيا على قدميه فتقدم إلى الظاهر وقبل ركابه فانحنى السلطان الظاهر عليه وقبله فى رأسه

وبين عينيه وأمره بالركوب فركب على ظهر حصانه وعادا إلى الصيوان وجلس الملك الظاهر فى الصدر والملك عرنوس على يمينه وأراد مولاى محمد أن يقف فى الخدمة فحلف عليه السلطان وامره بالجلوس فجلس وقال واقه ياملك الاسلام انى معذور فيما سبق منى بعدم معرفة قدرك والذى غرنى هو هذا خادمك المقدم ابراهيم فارجوا من جنابك ان تبسط لى العذر ولا تؤاخذنى فيما بدا منى فقال له السلطان يامولاى محمد انت وانا كنا معذورين سواء لا انا عرفتك ولا انت عرفتنى فقال يا ملك الاسلام اعلم انى انا ابو قار اصلان الذى ارسلته اليك وصار فى حمايتك وانا وبلادى من رعيتك فقال الملك الظاهر ما ولدك إلا سبع الاسلام وهو اعز من اولادى فشكره مولاى محمد على مقالته وبعد ذلك حضر الطعام قدام الملك الظاهر وعرنوس واراد مولاى محمد ان يقف فى الخدمة فمنعه السلطان واجلسه معه الطعام ولما اكتفوا من الطعام وإذا بالبب عبد الصليب صاحب ملك الجهجير مقبل فتقدم إلى السلطان وقبل اذياله وبعده قبل اذيال مولاى محمد وقال ياملك الاسلام انتم تعارفتم مع بعضكم وان الملك عرنوس تزوج بنتى وعلمته انها قد اسلمت على يديه وانا اريد ان اكون مسلما على يد مولانا السلطان علمونى حتى اسلم فقال له السلطان ارفع يدك وقل كما قال فى المناجات يامعيد ويامبدىء من العلم علمنى عسى يرتفع مجدى قال الله ياموسى افضل مايقول عبدى لا إله إلا الله خفيفة على اللسان محمد رسول الله بها يكمل الايمان

صابون القلوب التوحيد يسعد من عليها توفى

كلمة فى الموازين ترجح للالسن عليها خفى

لو لموا جميع الاعمال فى كفة وهى فى كفه

والجبال وثقل الارضين يا قوم ما يرجح إلا هى

وهى لا إله إلا الله محمد رسول الله فعندها اسلم الملك عبد الصليب فقال له السلطان اتمنى

فقال الاسم الحسن واتمنى يا ملك الاسلام المساعدة على اهل بلادى الذى يسلم يكون معى والكافر اما ان يرحل عنى او اقتله فعندها نادى مناد من مولاى محمد إلى اهل ارض الملك عبد الصليب اعلموا ان ملككم اسلم فمن اراد ان يسلم فليقم معه ومن كان كافرا فليرتحل عنه فاسلم اهل البلد جميعا فقال له السلطان انعم اسمك عبدالله حمى بلدك ومن حيث انك اسلمت فاعليك خراج بل تكون متولى على ماحولك من البلاد تجمع اموالها لمولاى محمد فقدم هدايات للسلطان وهدايات لمولاى محمد فقال له الملك عرنوس احفظ بنتك إلى ان ارسل لك باخذها فقال سمعا وطاعة وبعد ذلك حمل لهم

ضيافات ثلاثة أيام فطلب مولاى محمد الرحيل وكذلك السلطان والملك عرنوس قاصدين مدينة مراكش الغرب وسار السلطان معه والملك عرنوس مدة أيام حتى وصلوا إلى مدينة مراكش الغرب فضربت المدافع لقدوم مولاى محمد فامر بزينة البلد لقدوم ملك الاسلام وعمل لهم الضيافات والاقامات وفرح بهم فرحا شديدا إلى يوم من الأيام جالسين على الطعام فنظر الملك عرنوس إلى شباك وفيه صورة آدمية صاغها الله من صلصال وقال لها كونى فكانت فانبهر عرنوس فاخذ اللقمة وغلط فوضعها على صدره فنقد عليه مولاى محمد وقال له يا ملك عرنوس أنت نظرت إلى بنتى عزيزة فاشتغل بالك فابشر ولينشرح صدرك فانا زوجتها لك لتكون لك أهلا وتكون أنت لها بعلا فقال الملك عرنوس إذا كانت بنتك فانا جئتك خاطبا راغبا قابضا لك مهر بنتك التى ذكرتها الست عزيزة فمليك أن تقول وجب وعلى أنا أثاقلها لك بالذهب فقال مولاى محمد اهلا وسهلا نعم من خطب واجل من رغب وفى الحال حضر قاضى المدينة وكتب كتاب الملك عرنوس على الملكة عزيزة اخت الملك قرا اصلان المغربى وعمل مولاى محمد الافراح سبعة ايام وفى الليلة الثامنة دخل الملك عرنوس على زوجته فوجدها درة لم تثقب ومطية لم تركب تملى منها بالحسن والجمال والقد والبهاء والاعتدال وبعد ذلك اقام الملك الظاهر فى تلك المدينة سبعة ايام لاجل خاطر الملك عرنوس وفى ثانى الأيام اوصى الملك عرنوس مولاى محمد على زوجته فقال له ياسيدى إذا كانت زوجتك عندى على كل حال فلا ينقطع المراسلة منك ولا من ولدى وزوج ابنتى وبعد ذلك امر السلطان عرنوسا وعمه اسماعيل أبو السباع والمقدم ابراهيم والمقدم سعد الرحيل فقدم لهم مولاى محمد المماليك والخيول والاسلحة والهدايا شىء يكل عنه الوصف وسافر معهم للوداع يوما كاملا وبعده حلف عليه السلطان وامره بالعود الى بلده وسافر السلطان فساروا يطوى الأرض والاكام حتى وصلوا الى مدينة الرخام فطلع الملك عرنوس الى مدينة الرخام فالتقاه وزيره الملك محمد للطى ورودنش فطلع المقدم نصر الحر وطلع اولاد ملوك البرتقان والقوا الملك الظاهر والملك عرنوس والمقدم اسماعيل ابو السباع وزينت مدينة الرخام لقدوم الحاضرين وضربت لهم المدافع وكان لدخولهم يوم مشهود وحضر المقدم جمال الدين شيحة وهناهم بالسلامة وقال للملك عرنوس اعلم يا ملك عرنوس أنك احلفت ان لا تقيم ببلاد الاسلام الا اذا كانت شيبة ابيك المقدم معروف دهك ثم ها هو المقدم إسماعيل ابو السباع خلقة ابيك بذاته ما فيه اختلاف فقال الملك عرنوس صدقت يا عمى فجعل المقدم اسماعيل على

يمينه والمقدم معروف على يساره [وأما] الملك الظاهر فانه لما استراح من تعب السفر قال الملك عرنوس ياوالدى انا قصدى التوجه إلى مصر وها أنا اطمان قلبي عليك فشكره على حسن وداده وعلم انه صاحب مروءة وكرم وامتلأ قلب عرنوس بمحبة الملك الظاهر وركب لوداعه ثلاثة أيام وبعدها حلف عليه السلطان وأمره بالعود إلى مدينة الرخام فرجع وأما الملك الظاهر فانه سار يقطع الأرض ذات الطول والعرض حتى وصل إلى الاسكندرية فارسل بطاقة إلى مصر فزينت بغير مناداة ودخل إلى البلد فى موكب منعقد مثل العادة حتى وصل إلى قلعة الجبل فجلس على تخت مملكته ودارت به أكابر دولته وقام يتعاطى القصص ويزيل الغصص ويحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف إلى يوم من الايام الملك جالس وإذا بباب الديوان إنفسد وابو على البراج طالع يقول سبحان هادى الطير فقال الملك سبحان عالم الغيب من أى الجهات يابراج قال البراج من الثغر السكندرى وقدم الطير فطلع من تحت جناحه حورة وفيها كتاب فافرده كاتب الديوان وإذا فيه

سلام يهدى وبالمسك يختم   على جمع مابه الذكر يعلم
حوى كل سيد وابن سيد   فصيح لبيب بالاشارة يفهم

من حضرة العبد الاصغر ومحبك الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب إلى بين أيادى سيد ملوك بنى آدم وظل الله فى العالم الذى نعلم به مولانا السلطان ان يوم تاريخ الكتاب ورد علينا غليون من مدينة برشنونة وفيه واحد وزير ومعه كتاب يريد القدوم إلى بين أيادى السيادة الملكية فابقيناه وحفظنا عليه فى المينة وأرسلنا نعلم مولانا السلطان فان أمرتنا بقدومه ارسلناه أو برجوعه رجعناه الامر أمرك أطال المولى عمرك والعمده على الختم حجة فيه والسلام فلما رأى السلطان الكتاب امتزج بالغضب فالتفت الى الوزير وقال له يعنى أى شيء قصد ملك مدينة برشنونة حتى يكاتبنى فقال الوزير يامولانا لايعلم الغيب الاالله فقال السلطان لابدمن الحضور حتى انظر هذا الوزير فعنده أرسل الملك لباشة الاسكندرية ان يرسل ذلك الوزير فاجاب بالسمع والطاعه فطلع ذلك الوزير من البحر المالح فارسله الباشة إلى مصر ودخل على السلطان وقبل الأرض فامره الملك بحضور الكتاب فاطلع الكتاب وقدمه للسلطان واذا فيه أوله صليب وسفليه صليب وعلوانه صليب ونحن وأنتم توحد الملك القريب المجيب أما بعد فمن حضرة البب سيرون الراهب والملك مرتين الابرش الى بين أيادى ملك المسلمين اعلم ان القادم اليكم الوزير مرين تابعنا وصحبته خزنة من المال الف ومائتى كيس كل كيس فيه الف دينار ذهب وذلك فى نظير ان

تأمرلنا بالدخول الى كنيسة مريم التى بالشام ويكون دخولنا يوم الاحد فقيموا فى الكنيسة ثمانية ايام يعنى يكون الدخول يوم الاحد فى الصبح والخروج يوم الاحد الثانى فى العصر فاذا أمرت لنا بذلك دخلنا والخزنة قد أرسلناها اليكم صحبة الوزير واذا لم تأمرنا بالدخول مالنا تحكم على بلادك ولالنا دخول الابرضاك وأمرك وشكر يارب المسيح فعند ذلك أمر السلطان ان يكتب كتابا الى مقدمين الحصون ان يتقاسموا الارض ويصفوا رجالهم على الطريق ويكونون شاكين السلاح ميمنة وميسرة من طرابلس الى الشام وكتب كتابا الى باشة طرابلس لايفوت عليه الا بعدمقدار أربعين نفرا فقط يدخلون بعدد ويخرجون بعدد فان حصل خلاف ذلك فلا تردلهم جوابا وكتب لسيرون الراهب ومرتين الابرش بالقدوم والدخول الى كنيسة الست مريم حكم طلبهم وسلم الكتاب للوزير مرين وأمره بالسفر فلما جرى ذلك قال الوزير شاهين الافرم ياملك الاسلام على مدة مولانا السلطان الصالح جاءنا مثل ذلك الكتاب ورده الملك الصالح وكذلك مدة عيسى المعظم والصالح الصغير والاشراف المظفر وايبك التركمان وكل منهم رد ذلك الكتاب ولم يقبل من الملاعين أموالا ولاأذن لهم بالدخول وها أنت يامولانا أمرت لهم بالدخول فقال السلطان لم تعلمنى فقال يامولانا انا القاطع على السلطان وارد كلامه فقال الملك وأى ضرر فيه ثم ان السلطان ترك كلام الوزير فلما كان فى بعض الليالى رأى السلطان فى المنام ان ثعبانا أتى اليه وأراد أن يتمكن منه فامتنع السلطان منه فظهر رجل أشقر فوقف بين السلطان وبين الثعبان فدار الثعبان حول ذلك الرجل وقطم رأسه بفمه وانفرد فى البر فتبعه السلطان ولحقه فى مكان بعيد فافاق من نومه فلما كان ثانى الايام ظهر وجلس بالديوان واعاد على الوزير ذلك المنام فقال يامولانا السلطان اما الثعبان فهو الاعدو والذى حال بينك وبينه فلاشك انه من أهل الايمان ويكون شهيدا من يد ذلك العدو والله تعالى يعلم الغيب فقال السلطان فى نفسه لا بد لى ان أروح الشام وادخل مع هؤلاء الملاعين وأنظر فعالهم فى الكنيسة ولا ازال حتى أكشف على تلك الفعال فاحضر السعيد وأمره بالجلوس على تخت مصر واوصى عليه ابراهيم وسعد الوزير ولبس الملك فى صفة درويش وركب الفحل الادهم بعد ماغير زيه وركب وسار ليلا ونهارا حتى وصل الى مدينة طرابلس وتوطن فى خان وربط فيه الحصان وأقام ينتظر قدوم سيرون الراهب ومن معه على الميناء مدة يومين فلما كان فى اليوم الثالث أقبل غليون والناس ينظرون اليه فلما قدم على المينة اعلموا به باشة طرابلس فركب ونزل وأمرهم بالنزول والطلوع لاجل ان يعدهم على يده فطلعوا وعدهم الباشا أربعين نفرا أولهم سيرون الراهب ومرتين الابرش وجوان البرتقش

وتمام الاربعين من أكابر دولة برشنونه فلما طلعوا من البحر كانت الرجال كما ذكرنا ماسكين البر بالسلاح ولما طلعوا على مدينة طرابلس أمرهم باشة طرابلس بالسفر على جهة الشام وعدم الاقامة حكم أمر السلطان فسافروا ونظرهم الرجال ومقادم بنى إسماعيل ولما نظرهم السلطان على ذلك الحال ركب حصانه وطلب الشام على أثرهم حتى لحقهم فلما دخلوا الشام ساروا إلى كنيسة مريم وكان الخبر عند حاكم الشام فطلع واستقبلهم وعدهم أربعين بالتمام والكمال وسار معهم إلى باب الكنيسة فأدخلهم وقفل الباب وأمر الامير على بن القيمرى أن يكون محافظا على باب الكنيسة لا أحد يدخل ولا احدا يخرج حتى تتم الثمانية أيام التى عليها الشروط حكم أمر السلطان فأقام على بن القيمرى على باب الكنيسة طول يومه فلما أتى المساء أقبل عليه السلطان وبيده عقد من الجوهر يساوى عشرة آلاف دينار فتقدم إلى على بن القيمرى وقال له يا أمير أنا من الذين دخلوا قلب هذه الكنيسة وهم سبقونى ودخلوا وأنا أتيت فخذ الجوهر وافتح لى الباب فلم يقبل منه فلما ألح عليه فى الكلام وضع يده على الحسام فقال له السلطان تبارك الله عليك من غلام فكشف عن وجهه اللثام فانبهر ابن القيمرى لما رأى السلطان وقال أمان يامالك الزمان فقال السلطان لا بأس عليك وانما انده لى على كل من رأيته قريبا من الرجال فغاب وأتى لى بصقر اللواليبى وصقر الهجان فلما قدموا ونظروا السلطان قبلوا الأذيال وقالوا يادولتلى اى شىء تريد فقال أريد منكم أن تأخذوا حصانى أمارة وهذا جواب منى إلى المقدم إبراهيم بن حسن يأتينى باربعين مقدام أولهم إبراهيم وآخرهم سعد وتلقونى سبقتكم إلى مدينة برشنونة ثم انه أمر على بن القيمرى أن يجتهد فى حفظ ذلك الباب فقال سمعا وطاعة فقال الملك يعنى هؤلاء الملاعين أى شىء انتفاعهم فى هذه الاقامة حكم قولهم ثمانية أيام فقال له يامولانا أظن على مكيدة يكادون بها الاسلام

فقال السلطان أريد الدخول حتى أطلع على أفعالهم فقال له تفضل ثم انه صبر إلى الليل وفتح له باب الكنيسة فدخل السلطان فلم يجد أحدا فى قلب الكنيسة فصار يدور وهو حائر فرأى ضوءا فتبع ذلك الضوء فرآه على محل متسع من داخل طابق والجمع فى قلب ذلك الطابق ووجد نيرانا وبخورات وهم يرتكسون طول ليلته وفى آخر الليل خرج منهم واحد ليقضى حاجته فتبعه السلطان ووضع يده على فمه واتكأ عليه حتى خنقه ولبس ثيابه وتزيا بزيه وانحشر عند ذلك الجمع فوجد الكل واضعين الكاسات والطاسات ومغتنمين اللذات فلم يجد له نفسا أن يقيم معهم فطلع إلى مخدع بعيد عنهم وقعد فلما أمسى المساء أخذه الجوع والعطش فقال لا حول ولا قوة

إلا بالله العلى العظيم ثم انه تيمم وصلى ما عليه من الفرائض وبعد ما صلى العشاء قرأ شيئا من القرآن ونام فلم يجئه نوم من الفكر والجوع والعطش ولما كان عند الصباح فتح الباب فرأى إبريقا ملآن من الماء وصينية عليها أربع صحون طعام وتذكرة مكتوب فيها يا ظاهر وحق الرب المتعال أن الأكل والشرب حلال فلما قرأها الملك قام على حيله وأخذ الابريق وتوضأ وصلى صلاة الصبح وقرأ أوراده وأكل من ذلك الطعام وحمد الله الملك العلام وقعد فى مكانه ولما كان عند الظهر قام على حيله ومشى ينظر فوجد جميع النصارى قاعدين وهم فى هرج وأفراح ودائر عليهم كاسات الراح وعندهم غاية السرور والكاسات عليهم تدور فلم يطق أن يرى رائحة الخمر فعاد إلى مكانه وأقام إلى آخر النهار وعند المساء نظر قدامه الصينية عليها طعام مثل ما رأى فى الصباح ورأى التذكرة فأكل عشاءه وحمد الله تعالى لكنه ندم على دخوله لأنه ما وجد فى دخوله فائدة ويوم الأحد الثانى انفتحت الكنيسة فكان أول العدد سيرون الراهب ومرتين والملك الظاهر الثالث والرابع جوان والخامس البرنقش فاحتاطوا بهم الاسلام يمينا ويسارا فكانوا أربعون لا زيادة ولا نقصان فتعجب الملك الظاهر وقال فى نفسه إذا أراد الله لى بالستر لابد لى من السير معهم إلى بلادهم حتى اطلع على اسرارهم وما زال سائرا معهم حتى اقبلوا على طرابلس فاراد على باشا ابن القيمرى ان يسال السلطان فى إقامته فغمزه بالعين لا تتكلم فسكت وسار معهم الملك إلى مينة طرابلس وكان الغليون حاضرا فنزلوا جميعا والسلطان معهم فتأخر السلطان وقعد على مقدم المركب وسافر الغليون ليلا فبينما السلطان جالس وإذا بغلام أقبل على الملك وقال السلام عليكم فاراد السلطان أن يضع يده على الحسام فقال الغلام لم تقتلنى حرام عبدك يا ملك أنا مؤمن ولى حكاية أذكرها بين يديك وهى

تم الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السادس والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فلما سمع الملك كلامه قال له ما حكايتك قال له يا ملك أنا الوزير مرين وزير الملك مرتين وفى ليلة بتنا فى طرابلس رأيت فى المنام رجلا اختيارا لابسا طليحة من الخوص فقال لى يا مرتين قل لا إله إلا الله محمد رسول الله واعلم يا مرين أن دين الاسلام حق وأما دين الكفر فهو باطل والاسلام نور والكفر ظلام فقم على حيلك وروح إلى ولدى بيبرس ملك الاسلام فانه يدخل معكم الكنيسة بلا رفيق فى معاونته واحمى تخالفه فتكون من أهل النار فقلت له يا سيدى وانت من تكون فقال أنا الفقير إلى الله الصالح ايوب فقلت له علمنى الاسلام فعلمنى وأسلمت على يديه وهذه عبارتى ولما دخلنا الكنيسة جاءنى ليلة البيات وقال لى أنا ارصيتك وانت نسيت ولدى ما هو معكم فى الكنيسة قم اليه وقدم له زادا يأكله فانه ما معه زاد ولا مشروب ولا ماء يتوضأ ويصلى فرضه به فقمت اتبصص فى الكنيسة ووضعت لك الماء للوضوء والشرب والزاد من خوفى عليك ان تقول بتحريم الطعام كتبت لك التذكرة يا ملك الاسلام بانه حلال وحق الملك المتعال فقال الملك يا أخى وانت شكر الله فضلك وبهذا يكون لك الجميل والاحسان فقال يا ملك الاسلام قم معى لما اعمل لك طريقة لأن الملعون جوان يطلب من سيرون الراهب أن يضرب تخت رمل ويكشف عن خبرك فاذا رآك فى هذا المكان يخبر عنك جوانا وجوان عدوك فيبقى يتفكه فيك وإنما افساد الرمل احسن فقام معه الملك إلى عنبر المركب فاحضر له طشتا وملا الطشت دما من خروف ذبحه وكفاه فى وسط الطشت وأوقف الملك عليه وجاء له بغربال ووضعه فوق راسه وقال له كن هكذا حتى آتيك وفى ذاك الوقت قال جوان لسيرون الراهب ياسيرون انت اخذت السيف والطاقية ولكن يا ترى يرين المسلمين يعلم أننا أخذنا الطاقية والسيف من الكنيسة وراحين نطره أم لا يعلم اضرب لنا تخت رمل وانظر الخبر فبعده قام الراهب وأحضر تخت الرمل وفتحه وضرب رايرجة ونظر فى الاشكال فالتفت إلى جوان وقال له يا أبانا

عمرى ما رأيت رملا مثل هذا الرمل أبدا فقال جوان لأى شىء فقال سيرون انى أرى ملك المسلمين واقفا على جبل من النحاس فى وسط بحر من الدماء وسور البحر نحاس وعلى رأسه سماء من الجلد له سور من الخشب فقال له جوان أى شىء هذا الكلام ياسيرون الذى لم تكن فيه ثمرة ولا تبلغ به نفعا ولا مضرة فقال سيرون هذا الذى رأيته ياأبانا وغير هذا ما رأيته وطوى تخت الرمل هذا ما جرى وأما الوزير مرين فانه نزل إلى الملك الظاهر وأخبره بالخبر واطلقه مما كان فيه وأحضر له طعاما وشرابا ووضوءا وقام بواجب خدمته فلما كان عند المساء ثانى ليلة قال له قم ياملك الاسلام حتى أعمل لك عملا يفسد رمل هذا الملعون سيرون الراهب ثم انه اتى له بجلد سمكة ولفه وعلقه فى مقدم الغليون وكان هذا فى أول الليل ولما كان بعد العشاء طلب جوان من سيرون أن يضرب له رملا يكشف به عن خبر الملك الظاهر فضرب التخت وصار يتعجب فقال جوان أى شىء رأيت ياسيرون فقال ان ملك المسلمين ابتلعته سمكة عايشة وهو فى جوفها وهى طائرة بين البحر والسماء فقال جوان ياسيرون انت ضاع فهمك ولم يبق لك إدراك فى علم الرمل أبدا ثم انهم تركوا ذلك وعاد الوزير واطلع السلطان وقعدهو وإياه فى أمان ولما كان فى الليلة الثالثة قام الوزير وجاء بجلد دب ولف على وسط السلطان ذلك الدب من وسطه إلى تحته ومن أعلاه جلد نسر وأفرد أجنحته ووضع وراه جلد رخ ولف على رجل الدب حنش وأوقفه على فرش رمل أصفر ثم وضع على يمين ذلك حجر رخام وعلى يساره حجرا من المرمر فوق سقف عنبر الغليون ديباجة من الحرير الاخضر وعلق فيها فروعا من شجر عنب وتوت ورمان وليمون ومثل ذلك وتركه مكانه وعاد الى عند الملك مرتين الآبرش ورقف ولما جاء الليل طلب جوان من سيرون الراهب أن يعلمه بملك الاسلام فضرب تخت رمل وقال ما اعجب من ذلك لم يكن فقال جوان أى شىء رأيت فقال ان ملك المسلمين بين جبلين واحد رخام والثانى مرمر فى أرض رمل أصفر نصفه التحتانى بالعه ضبع والنصف الفوقانى بالعه نسر طاير به فى الهواء وفرد أجنحته وطارده رخ ومن فوق ذلك جزء من الحرير الأحمر وفيها بستان جدور أشجاره الى فوق وأوراقه وثماره الى تحت وهذا الذى رأيته على الصحيح وحق المسيح فاغتاظ جوان وقام على حيله وأخذ تخت الرمل ورماه فى البحر وقال ياسيرون انت لما بلغت طلوبك بالسيف والطاقية فما بقى لك عقل وبعد ذلك عاد الوزير وأجلس السلطان فى مكانه ودام المركب مسافرا حتى قدم على مدينة برشنونة فطلع السلطان مع الوزير مرين حتى أدخله بيته وأحضر بقرة وذبحها ولف الملك فى جلدها وجاء بثعبان ميت ووضع فمه فى رجل

الجلد وجاء بقصعة خشب وأجلس السلطان فيها وجعل رجله فى طشت ملان ان وتركه ومضى إلى الديوان فلما كان ثانى يوم قال جوان ياسيرون أيام البحر فاتت فاضرب لنا الرمل حتى ننظر رين المسلمين فاحضر التخت وضرب وقال يا أبا الروم أما ملك المسلمين فى برشونة وكان معنا فى الغليون وقد دخل معنا إلى المدينة وهو الآن فى جوف بقرة والبقرة التى هو فى جوفها متعلق بها ثعبان نصفه فى البحر ورين المسلمين فى البقرة التى هو فى جوفها فى مركب والثعبان طابق فيها وفيه والمركب فى بحر ابن وصورة نحاس وهذا شىء ماهو فى برشونة وهذا لم أعلم أى شىء كيفيته فهم فى ذلك وإذا بالوزير من أقبل وقال ان على مينة برشونة غليون اسمه الغراب العظمى وفيه من المسلمين أربعون مقدم والقبطان أبو بكر البطرنى فقال سيرون الراهب لا أحد يعارضهم أنا مى لهم نصطفل هذا ماجرى وأما سبب مجىء الغليون الغراب العظمى فان سقر الوالى وسقر الهجان لما أخذ حصان السلطان سارية إلى مصر وأخبر الملك محمد السيد والمقدم إبراهيم فانفرد المقدم إبراهيم وأخذ من الرجال ثمانية وثلاثين مقدم أولهم حسن النسر ابن عجبور وآخرهم المقدم جبل بن راس الشيخ مشهد وهو وسعد تمام الاربعين وأخذ كل مقدم سلاحه ومايحتاجه وطلع بهم المقدم إبراهيم إلى الاسكندرية ونزل بهم فى الغراب المنصور وسافر البطرنى بهم إلى برشونة فلما وصلوا إلى المينة قال إبراهيم ادخل يابطرنى إلى البر فالتصق الغراب العظمى وتمكن من المينة فطلعت الرجال منه وأياديهم على شراكرهم فوجدوا باب البلد مفتوحا فمازالوا سائرين حتى دخلوا القلعة فوجدوا باب البلد مفتوحا فدخلوا منه إلى دهليز مشوا فيه إلى باب ثانى فرأوه مقفولا فعادوا راجعين إلى الباب الذى دخلوا منه فرأوه مقفولا فقال إبراهيم والله يارجال اننا وقعنا فى غاية المحذور

يا من غربوا حمله وزود فى الدجى نوحه
كان خالص صبح مشبوك ورجع يشتكى روحه

ولكن يارجال الأمر بيد الله والحق علينا نحن الذين أتينا من غير أن يكون معنا سلطاننا الحاج شيحة فهم كذلك وإذا بجوان والبرتقش وسيرون الراهب من أعلى المكان مقيمون ونادوهم يامسلمين انتم أتيتم تفتحوا مدينة برشونة وحدكم من غير عساكر ولا دين المسلمين معكم سلموا أنفسكم حتى نقبض عليكم وإلا منظرنا كم فى هذا المكان ونرمى عليكم من هنا الرمل والتراب ثم انهم رموا عليهم جانبا من الرمل [illegible] فقال إبراهيم ياجوان نحن نسلم انفسنا

ولا ننفذ من هذا المهلك يفعل الله ما يشاء فعند ذلك قال لهم ارموا سلاحكم قال ابراهيم ومينا السلاح هيا خذونا كما تريدون فاحتاطت الكفار حولهم حتى قبضوهم فقال لهم سيرون الراهب يا مسلمين أين ملككم فعلم المقدم ابراهيم أن السلطان لم يقع فى أيديهم فقال له يا كلب ملكنا على ظهر البحر قادم عليكم بعسكر الاسلام ولا بدله من خراب بلادكم ونهب أموالكم وسبى نسائكم واخذ كل ما وراكم فقال سيرون يا ابن الحوراني أنا أخذت الذخائر من كنيسة مريم ومن جملتها السيف الذى أنتظر به ملك المسلمين وبعد منتظار ملك المسلمين أخذ البلاد واحكم جميع الأرض والمهاد فقال ابراهيم فشرت وإنما أنا أول الناس معى بشارة انى لا أموت إلا على فراشى والذى أخبرنى بذلك صادق فى مقاله قال جران منظرهم بلا كثرة كلام قال سيرون وحق دينى ما أنتظرهم إلا بعد ما أنتظر رين المسلمين ثم انه أمر البب مرتين الأبرش أن يضمهم فى السجن فسجنوهم وكانوا كما ذكرنا اربعين مقدم فلما صاروا فى الحبس قال المقدم ابراهيم يا رجال السجن شدة وبعد الشدة يأتى الفرج من عند صاحب الفرج ولما كان المساء أتاهم الوزير ونظر اليهم وعاد إلى ملك الاسلام فقال له يا مولانا أعلمك أن هذا الملعون سيرون الراهب اطلع على بعض الكتب فرأى انه موجود فى كنيسة مريم التى فى الشام سيف اسمه الاخفا وطاقية إذا لبسها انسان ما أحد يراه ويخفى عن العيون ورأى انه إذا ملكها يقتلك على تخت ملكك ويأتى براسك إلى مدينة برشنونة وقد اجتهد هذا الملعون حتى ملك الطاقية والسيف وانت هنا مقيم وها رجالك صاروا فى السجن والقتال فى محل الغلبة من العجز والراى عندى يا ملك الاسلام ان آخذك إلى محل السجن واطلع لك رجالك فتأخذهم وتنزل إلى الغراب العظمى بتاعك وتسافر إلى بلادك فاذا جاء سيرون الراهب إلى عندك تبقى على كل حال فى بلادك والأرض تضرب مع اهلها فقال السلطان وهو كذلك

فعندها اخذه الوزير وسار به إلى السجن وادخله فاعلم الرجال واطلق الجميع من السجن ليلا وفتح لهم باب المينة فطلع الملك والرجال إلى الغراب المنصور وسافر السلطان حتى وصل إلى الاسكندرية وانتقل من المالح إلى الحلو حتى وصل إلى مصر فطلع إلى قلعة الجبل واقام على تخت مملكته واما سيرون الراهب فانه فى ثانى الايام سال عن المسلمين الذين عنده فى سجن برشنونة فراى الحبس خاليا والجميع هربوا فاغتاظ سيرون الراهب غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال إذا كان المسلمون هربوا من حبس البب سيرون الراهب كان يبقى عيب على واما لما هربوا من حبس البب مرتين الابرش صرنا نحن بريئون

فالتفت اليه البب مرتين وقال له ياأبانا أنا ما تاخرت عنك اقت لماقلت لى كاتب ملك المسلمين كاتبته وسافرت معك إلى الشام وبلغتك مقصودك وهاأنا مقيم كل ماقلت لى عليه أفعله فان كان مرادك تسير إلى ملك المسلمين ونركب معك قل لنا ونحن لم نخالفك

فقال جوان أنا كان أكاتب ملوك الروم من بيات وقرانات وأخلى جميع بلاد المسلمين بأيديكم تفعلون فيها كلما أردتم فقال سيرون الراهب هذا لا يكون إلا بعد قتل ملك المسلمين لأنه إذا علم ملوك الروم ان ملك المسلمين لم يبق له أثر قوى ظهرهم فقال جوان صدقت ثم ان الملعون خرج من عند مرتين الأبرش بعدما قال له اتركنى حتى أروح إلى مصر ولا أعود لك إلا برأس رين المسلمين فحضر له مرتين الابرش غليون تجار فنزل فيه ببضائع وتجارة وسافر من برشونة إلى الاسكندرية فنزل من الغليون وطلع إلى الاسكندرية وأما ما كان من أمر السلطان فانه جالس يوما من الايام وإذا بأبى على البراج طالع يقرل سبحان هادى الطير فقال الملك سبحان عالم الغيب من أى العلامة يابراج السلامة فقال من الاسكندرية وقدم كتابا من تحت جناح طير فاخذه وإذا فيه من حضرة العبد الأصغر والمحب الأكبر خادم الركاب كاتب الحروف محمد فارس باشة الاسكندرية إلى بين أيادى ملك الاسلام اعلم بامر لا ما انه ظهر عندنا سيف مخفى ما أحد يراه يكون اثنان ماشيين فى الطريق ما يشعر إلا ورؤسهما طارتا ولا أحد يرى الذى قتلهما فادركنا وإلا أرسل لنا من يدركنا الامر أمرك الله تعالى يديم لنا عزك ويطيل عمرك والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال الوزير ماهو إلا سيرون الراهب ومعه الملعون مرتين الأبرش فقال السلطان لابد لى أن أسير إلى الاسكندرية قال عثمان قم روح كل واحد منا يأخذ حقه وأنا كان أروح معك ياأشقر فقال ابراهيم يا ملكنا أنا لا أقدر أن مولانا السلطان يروح وأنا أقيم فقال سعدو أنا كذلك فعند ذلك تجهز الراهيم وسعدو أرادوا أن يسيروا إلى أرض الاسكندرية وإذا بباب الديوان انسد وأقبل رجل فداوى وزعق نعم ياملك الدولة أمدك الله بالعمر الطويل كما أمد نوحا بعمر نال فيه الشفا فقال الملك أهلا وسهلا فقال يا دولتلى أنا جئت من العجم وأقول هى طاعة الحرفد إلى سلطان القلاع والحصون غائب حاضر فقال له السلطان عجيبة يافداوى أتيت طائعا شبحة من دون الرجال بلا مشاقفة ولا جدال فقال يا دولتلى أنا كنت فى العجم بقى لى مدة سنين متطاولة وكانى مررت بالقسطنطينية كان قصدى أن آخذ من أموال ميخائيل جانبا من باب اللصوصية فلم يقسم لى نصيب ودخلت

مكان بعض تجار الروم ليلا وأنا مجتهد فى سرقة أموال من الكفرة فحكمت ليلة من بعض الليالى فسمعت حرمة ومعها ولد صغير يبكى فقالت له اسكت بالمسيح والبترك والرهبان وحنا ومريم والصليب فلم يسكت فقالت له اسكت وإلا يأتى لك شوبحات المسلمين يسلخ جلدك فسكت الولد ولم يبك بعدها كرامة اشويحة فقلت فى نفسى إذا كانت الاطفال يعرفوا قدر شويحة جمال الدين ويخافون من طريقته يجب على الانسان اطاعته ولله على نذر ان وصلت إلى بلاد الاسلام بالسلامة فاطيعه حاضرا وغائبا وها أنا يا ملك الدولة أتيت وكان قصدى أن أجتمع عليه فما رأيته فقال السلطان وانت من تكون من بنى اسماعيل وما اسمك

فقال يا ملك الدولة أنا أسمع عن شيحة انه دائما يدور فى بلاد الروم وغيرها ولا بد لى أن أدور عليه التقيه وأطيعه واكتب اسمه على شواكرى فقال الملك ولأى شىء يا فداوى أنا سألتك عن اسمك وانت تغالط فى كلامك فقال الفداوى لا يا دولتلى أنت تعرفنى حق المعرفة أنا عمار القد موسى صاحب قلعة القد موسى حضرت معك وقعة سرجويل المهرى فى أرض الشام وانت صغير فى تلك الايام فقال الملك صدقت يا مقدم وانما انا متوجه إلى الاسكندرية أنظر ماجرى فيها من مكايد الكفرة اللئام واطلب النصر والمساعدة من الملك العلام فقال عمار القد موسى يادولتلى خذنى معك وانما توجهت اتبعك لعل الله يجمعنى بالحاج شيحة فاطيعه واعود إلى قلعتى اوضب رجالى واقيم فى خدمتك وان كانت آخرتى وحان الحين رضيت بما قسم الله لى لعلى ان اكون شهيدا :

إذا ما اتتنا المنية بلادنا سعينا وحنا للمنية بلادها

فقال الملك توكل على الله فركب السلطان واخذ فى صحبته المقدم ابراهيم والمقدم سعد والاسطى عثمان سايس السلطان وركب المقدم عمار القد موسى معهم وساروا يقطعون الارض والبلاد حتى وصلوا إلى الاسكندرية فدخلوها ضحى نهار واراد الملك ان يسير إلى الديوان فقال ابراهيم يا ملكنا نرسل سعد يخبر الباشا بقدومك حتى انه يطلع للقياك

فقال السلطان يا مقدم ابراهيم انا شايف البلد خربانة لا احد رايح ولا احد جاى فهم فى هذا الحديث وإذا برواحد كلمهم من خلف باب وكالة

فقال لهم يا ناس ان كنتم غرباء فادخلوا فى مكان لتأمنوا على رؤسكم وإلا تجدوها طارت من على اجسادكم فقال ابراهيم ياملكنا انت تسمع ماقال الرجل فقال الملك ياابراهيم انت جاهل بهذا اما تعلم ان انقضاء المحترم لابد منه فما تم كلامه إلا وصرخة وقائل يقول برايا كناسات وسيف سطع ولمع فراغ عنه السلطان فحكم فى رقبة المقدم عمار

الرجل موته على هذا الحال فدخل فى قلب خان ومعه إبراهيم وسعد وعثمان فلما دخلوا قفل الخانجى الباب وأقاموا طول يومهم

فقال المقدم إبراهيم يا دولتلى أى شىء هذا الحبس فى هذا الخان والله ان الموت أحسن من إقامتنا هنا

فقال سعد تفازى من ما قدامنا أحد حتى تعازيه انت ما رأيت بعينك

فقال إبراهيم صحيح يا سعد واى شىء بقى نعمل

فقال عثمان انتم تتعشوا إيه فأنا جيعان

فقال السلطان إن كنت جيعانا فهذه عشرة ذهب قم اشترى لنا اكلا نأكلوا جميعا

فقال عثمان هات وأنا اقوم وانا متوسل بالمبرقعة ام البيت ثم انه اخذ من السلطان عشرة دنانير وطلع عثمان فلقى رجلا فلاحا مقبلا حاملا خيشة ملآنة من العيش مقدد وبلاصى ملآن مش قديم وزكيبة بصل وقصعة فيها بتاو درة ناشف فقال له عثمان يا شيخ اعطينى كل ما معك وخذ هذه العشرة دنانير فقال الرجل رضيت فأخذه عثمان وادخله الخان واخذ منه ذلك فلما خرج الرجل إلى باب الخان وإذا سيف سطع فحكم فى رقبته فرماها عن جثته فقال عثمان انفصل الحى من الميت وكل واحد يأخذ نصيبه جاء لنا بالعشاء ومات هيا ناكلوا

فقال الملك تاكلوا إيه فقال عثمان الجيعان يتقدم ياكل ثم انه فرغ بلاصى المش فى القصعة وخرط البصل عليه وفت البتاو الدره وقعد ياكل فقال ابراهيم لما اذوق فلما ذاق رآه طيبا وكذلك السلطان والمقدم سعد اكلوا حتى اكتفوا وقيل لم يكن احسن والذ من ذلك الطعام ببركة الاسطى عثمان واقاموا يومين فانقطع القتل من اسكندرية فطلع السلطان الديوان فالتقاه الباشا واعلمه انه لم ينقطع القتل من اسكندرية إلا فى هذا اليوم واما اول كانت الأرض رمما وجيفا من القتلى فقال السلطان الله يفعل مايريد ولا يموت إلا الذى فرغ اجله وبات السلطان تلك الليلة فى سراية اسكندرية وثانى الأيام ورد على السلطان كتاب يذكر فيه انه ظهر فى مصر سيف الاخفاء وصار الذبح على قارعة الطريق ادركنا ياملك الاسلام فقال السلطان هيابنا يا إبراهيم فركب السلطان واخذ إبراهيم وسعد وساروا الى مصر فعند مادخلوا مصر بطل الذبح فى الناس فأقام السلطان ينتظر ما يأتى به الله تعالى وفى ثالث يوم الملك جالس واذا بصرخة من باب الديوان والقائل يقول برا ونظر السلطان الى هفيف السيف فعرف المقصود ثم انه قفز من على الكرسى ودخل تحت الستار فى باب الحريم فحكم الحسام فى الكرسى شقه نصفين وطلع عن باب الديوان على حجاه ـ عد ذلك عاد السلطان الى محله و الديوان

يموج وأولاد اسماعيل ايديهم على الشواكر والامراء ايديهم على قبض السيوف ولكن لم يظهر لهم خصم حتى يحاربوه وصار الديوان فى هرج وكل من كان حاضر يتكلم على قدر عقله حتى الامير علاء الدين قال والله العظيم ان هذا عجيبة واحد يدخل الديوان ويضرب بالسيف ولا احد ينظره والله ان هذا عجيب ثانى الايام كذلك وثالث ورابع سبعة ايام كوامل وبعده قال الوزير ياملك الاسلام بطل نزول الديوان حتى ان الله سبحانه وتعالى ينفذ قضاءه فى أحدنا فان هذا الملعون ماقصد الا أنت وأنت يامولانا عماد الاسلام فامتثل الملك رأيه ولم يطلع فى اليوم الثامن الديوان وطلع سيرون الراهب فلم يلقه يدخل ثلاثة أيام فسار الى دير مصر العتيقة وأقام فيه واعلم بذلك بطريق الدير وقال له انى أريد أن أمكث هنا كام يوم حتى يطمئن بين المسلمين ويقعد فى امان وانزل عليه فاقطع رأسه واسلمها لجوان وأقام فى الدير واما الملك الظاهر فانه مختفى فى قاعة الجلوس مدة أربعة أيام بعد انقطاع سيرون الراهب من طلوع الديوان وبعد ذلك ضاقت حضيرته فدعى بالاغا يحان سرا وقال له أنا مرادى منك ان ترسل لى من يحضر لى عثمان بن الحبلة السايس فانه عنده فهم وادراك فى مثل هـــذه الامور والليل أمسى

[قال الراوى] ان الملك الظاهر لما اشتد عليه الكرب واعياه الحال فقال احضروا لى عثمان ابن الحبلة فلما حضر بين يديه فقال له ياعثمان شد لى الحصان فقال عثمان ياأشقر ان طاوعتنى فاركب حصانك وسر الى المبرقعة ام البيت لان لها رأيا صايبا ركل ماتقول لك عليه افعله لان المبرقعة لها عادات ان تنجد الملهوف وتخلصه من الشدائد والنكبات فقال السلطان صدقت ياعثمان فسار السلطان حتى وصل الى مقام السيدة نفيسة فقال لها ياصاحبة القناع الطاهر أنا بك مستجير ودخل فجلس بجنب المقام وقرأ ماتيسر من القرآن وقام فى ذلك المكان فاخذته سنة الكرى فرأى فى منامه ان الست جاءت له وقالت له ياظاهر قم من هنا وسر الى باب الفتوح تلقى غلاما خياطا اسمه بيبرس على اسمك اصله من طرابلس فاذا وصلت اليه فكل ماأمرك به افعله ولاتخالفه فان قضاء الله نافذ فيه وهذا الذى اعلمك به لاتظن أنه منام تهمله بل كل ماقال لك عليه هذا الغلام امتثله وافعله وعند الصباح قام الملك وتوضأ وصلى صلاة الفجر وركب على حصانه فقال له عثمان رايح للخياط ياأشقر الذى قالت لك عليه ام البيت قال بيبرس نعم ياعثمان وسار السلطان حتى وصل الى باب الفتوح فلقى غلاما خياطا فى دكانه فقال له السلام عليكم فقال الخياط وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته اقعد ياسيدى حتى أقضى حقوق الناس ثم انه

طلب واحدا من جيرانه واطلع الشغل الذى عنده وقال له يا أخى أنا مسافر فى مهم دعيت اليه وانت ياأخى تعمل معروفا وتأخذ منى هذه الأشغال وتسلمها إلى أصحابها هذا لفلان وهذا لفلان وهذا مفتاح الدكان إذا حضرت زوجتى تسلمه لها وخذ هذه التذكرة وقل لزوجتى تطلع بها إلى الملك الظاهر بكرة فى الديوان فان لى عنده أجرة خياطة تبقى تأخذها بموجب هذه التذكرة ثم انه قام صحبة الملك الظاهر وقال له خذنى وادخل بى إلى قاعة الجلوس فقال السلطان وهو كذلك وسار معه حتى دخل قاعة الجلوس السلطان الظاهر وبيبرس الخياط فلما قعد بيبرس الخياط طلب من السلطان مراية فوضعها بين يديه وطلب ملابس السلطان فلبسها هذا وقاعة الجلوس مقفولة ما أحد يدخل فيها وبعدما لبس بيبرس الخياط ملابس الملك الظاهر وضع المراية بين يديه حتى أصلح عمامته وهو ينظر إلى السلطان وينظر فى المراية حتى تصور فى صورته وبعد ذلك قال ياملك الاسلام قم من هذا المكان وانظر لك محلا اختفى فيه بشرط لم يعلم بك أحد ولا حريمك ولا أولادك ولا أغا حتى تتم هذه المحنة وخذ معك ما يكفيك من أكل وشرب شهرين كاملين أو ثلاثة حتى يقضى الله ما هو قاض وبعد ذلك تبقى تطلع وتمشى على حالك والله يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال السلطان وهو كذلك وقام على حيله فاتى إلى اوضة فى قاعة الجلوس وأدخل فيها كل مايحتاجه وتلك الأوضة كاملة المعانى بها مرتفق ومحل للعبادة ومحل للنوم فدخل فيها بعدما ركب لها اقفالا ماكنة لا تفتح إلا من داخلها وأما من خارجها فلم يقدر أحد على فتحها وادخل فيها كل ما يحتاجه من أكل وشرب وملبوس ودخل فيها وأغلقها عليه وكان هذا ليلا ولما كان عند الصباح دخل الأغا جوهر وكان الذى جالس على الفراش فى قاعة الجلوس بيبرس الخياط كما ذكرنا فقدم له البابوج فقام على حيله وهو يقول اللهم انك حليم على عبادك ستار إلهى لم تفضحنى فى هذا المشوار وطهر وجلس ثانيا فالله قد القى عليه الستر ببركة السيدة نفيسة كريمة الدارين ولا أحد من رجال الدولة توهم انه غير الملك الظاهر والقى الله عليه الهيبة والوقار حتى كل من رآه يقول هو الملك الظاهر ولم يشك فى ذلك أحد وعندما جلس على الكرسى وإذا بحرمة قد أقبلت وبيدها تذكرة فأراد الدولة أن يمنعوها

فقال لهم بيبرس لاأحد منكم يسألها اذكرها فرتب لها شهرية على بيت مال المسلمين مائة وخمسين عثمانى وقيدها باسم أم العيال وبعده نزل من على الكرسى وطلب الحصان فركب وسار إلى خط الجمالية وأمر أن يبنى له جامع فى ذلك المكان وأمر شيخ المهندسين

ومهندمى الديوان أن يجتهدوا فى بنائه فكان الامر كذلك فاجتمع فيه مائه وخمسون نحات حجر وخمسون بناء وفى ظرف خمسين يوما تكامل بناؤه وافرش واشترى له أماكن واوقفها عليه ودفع حقها من بيت مال المسلمين وبعد الفراغ من ذلك كله أمر بعمارة الديوان واجتماع الدولة فى غداة غد لانه فى ظرف تلك المدة كان الديوان خاليا مدة ستين يوما وفى اليوم الواحد والستين ظهر وجلس على الكرسى وتكامل الديوان ومال على الميامن فاطرقت وعلى المياسر فاطرقت والصدر والجناحين فقرأ المقرى ودعا الداعى وامنت الدولة ساعة تمام اسمع ما جرى اسبيرون الراهب فانه فى هذه المدة كل يوم ياتى إلى الديوان فيجده خاليا ومثل ما يجىء يعود الا فى ذلك اليوم اقبل فرأى الملك جالسا كما ذكرنا ففرح واطمان خاطره فسار وهو ساكت ومختفى من اعين الناس حتى بقى قدام الكرسى فجذب السيف الذى هو سيف الاخفاء وضرب بيبرس فطار رأسه وأخذها فى يده من أذنها ونزل من الديوان على حية رأى حية فوقع الهرج والصياح بين الدولة وارتج الديوان وما أفاقوا الا والسلطان جثة بلا رأس فكل من الدولة عض على يديه ونزل الملك محمد السعيد وأحمد بدر الدين سلامش واحضر العادل أولاد السلطان وكل منهم باكى العين حزين فعند ذلك قال الوزير يا أولاد السلطان إن اباكم كما ترونه قد قتل والحمد لله انتم ثلاثة والرجل إذا كان له ولد يقول الناس ما مات وانتم ثلاثة فالصواب دفن هذه الجثة وبعد ذلك يكون السعى فى مجىء الرأس من مدينة برشنونة ودفنها بجانب الجثة وأما البكاء يكون للنساء ما هو للرجال فقالوا صدقت يادولتلى ثم انهم احضروا ارباب الشيل وادرجوه فى ثيابه لانه شهيد ودفنوه فى جامع الجمالية الذى بناه بيده

ادفن الجسم فى الثرى ليس فى الجسم منتفع
انما السر فى الذى كان فى الجسم وارتفع
اصله الجوهر النفيس وإلى اصله رجع

وبعد ذلك قعد أولاد السلطان للعزاء سبعة أيام وقال أحمد سلامش والخضر العادل الملك محمد السعيد أنت اكبرنا والموصى لك بالملك من بعد ابيك اجلس يا اخانا واجمع الرجال حتى نسافروا على مدينة برشنونه لاجل أن نخلص راس أبينا من الكفار ونأخذ لابينا بالتار ونقتل قاتله ونعجل له الدمار فقال السعيد صدقتم فدخل على أمه تاج المخت قال لها على ذلك فقالت له هات لى المقدم ابراهيم فنزل واحضره

إلى بين يديها فقالت له يامقدم ابراهيم الملك الظاهر جرى فيه ماجرى على أيديكم وهذا ابن أختك السعيد يا هل ترى يمكنك أن تساعده فى أخذ ثار أبيه فقال نعم فنزل من عندها وكتب الكتب إلى بنى اسماعيل المقيمين بالقلاع والملك محمد السعيد كتب إلى الملك عرنوس والوزير كتب إلى الملك مسعود بك يكون الاجتماع على مدينة الشام وبرز الملك محمد السعيد بالعساكر والعرضى للعادلية وأقام بها ثلاثة أيام حتى تكامل العرضى وضرب مدفع الختم ومدفع التنبيه ومدفع التحميل وقام العرضى طالبا ارض الشام ولما وصل وحط على الشام اجتمع بنو اسماعيل الذين كانوا مقيمين بالقلاع والحصون مثل حسن البشنانى وعماد الدين علقم وسليمان الجاموش ومثل هؤلاء الرجال الذين كانوا معدوين للجهاد دخلوا جميعا على الملك محمد السعيد وعزوه فى أبيه فقال لهم يا مقدم شكر الله فضلكم وفى ثانى الايام أقبل عرضى واسع برجال عندهم الحياة مدمة والموت مغنم يقدمهم الملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع والمقدم نصير النمر وأولاد ملوك البرتقان فقام له الملك محمد السعيد عند قدومه وسلم عليه وسال الملك عرنوس عن هذه القضية فتعجب من موت الظاهر فى وسط الديوان بين الامراء والفداوية وبعده أقبل الملك مسعود بك وصحبته الملك قار اصلان المغربى وعساكرهم تملا الفضاء وتسدا المستوى وبعد ما تكاملت الركبة على الشام أمر الملك محمد السيد بالرحيل طالبا مدينة برشونة ودام سائرا حتى حط قدام البلد فضربت المدافع من الاسوار فامتنع على قدر مى النار هذا ماجرى وأما ما كان من سيرون الراهب فانه لما أخذ الرأس كما ذكرنا سافر إلى الاسكندرية ونزل البحر فى الغليون الذى اتى فيه وفرد القلوع وسار إلى مدينة برشونة فضربت المدافع من الغليون وبلغ خبره إلى مرتين الابرش فطلع إلى لقاه ومعه جوان والبرتقش فعنـــد ذلك التفت جوان للبرتقش وقال له كتاب اليونان بقى مقصود فان الظاهر مات ، لابد أن سيرون الراهب دبر على قتل شوكات ولا يبلغ أحد من جوانى غرضه ولا يقطعه شيحة على عربه ولما طلع سيرون بالرأس ونظرها مرتين الابرش على ذلك الحال فالتفت إلى جوان وقال له أى شىء رأيك ياأبانا فقال له اعلم أن المسلمين بقوا غنما بلا راع فاجتهد حتى تملك بلادهم ولا يبقى أحد يضاهيك فى ملوك النصارى وأنا على أن اجمع لك الامراء والملوك والقرانات من الافرنج والروم كلهم يساعدونك ثم أن الملعون جوان قعد يكتب ومرتين الابرش يختم على الكتب ويرسلها جوان إلى ملوك النصارى فكل من اتاه كتاب العاقل يحفظ الكتاب عنده ويقعد فى بلدة

والجاهل يجمع عسكره ويتوجه إلى برشنونة فيلقاه جوان ويغريه على الكفر والطغيان حتى امتلأت برشنونة بعالم لايحصى بعدد الرمل والحصى فأقبل السعيد بابطال الاسلام ونظر إلى ذلك فاعتمد على الملك المتعال هذا ما جرى

[قال الراوى] واما ما كان من أمر الملك الظاهر فانه لما علم بسفر العرضى طلع ليلا وطلب الآغا ريحان فلما حضر ونظره أراد أن يتكلم فقال له والله ان تكلمت لاقطع رأسك ثم انه غير وبدل فى صفة درويش عجمى وطلع ليلا وهو بآلات الدروشة وما دام حتى وصل الى الاسكندرية ونزل فى مركب وسافر حتى وصل إلى مدينة برشنونة. فرأى خلائق مجتمعة فغير ملابسه ولبس صفة رجل تاجر وصار يتأمل فى البلد ويتداخل على أماكنها وفى كل يوم يتداخل إلى يوم من الايام نظر إلى رجل أسير يقول لواحد أسير مثله أنا مرادى أدخل سراية البب لانه ضاع من تحت يدى أربع خنازير كبار وكلما اسأل عنهم أحدا يقول انهم سرحوا مع خنازير البب مرتين الابرش فسألت رعاة البب فلم يرضوا يعطوهم لى ومرادى أدخل الى دار الخنازير التى تحت السراية وانظر الذى ضاع منى فان كنت القيتهم أسرقهم وأطلع بهم ليلا ولا يعلم بى أحد فقال له الاسير الثانى إذا أردت الدخول الى قصر البب مرتين الابرش اصبر إلى بعد المغرب وتعال على القصر تجد البواب ملتهى فى عسكره ومكفى على الأرض لايعرف الطول من العرض فادخل ولا تخشى من أحد فان أهل القصر جميعا ملتهين بالخمرة ولا أحد صاحى إلا ان كان البترك مرقبون وهو الذى يقعد فى الليل يعلم صفية بنت البب مرتين الابرش وأما أهل القصر فكلهم نيام وكان كلامهم ليعضهم بالعربى ولا أحد من الروم يعرف كلامهم فسمع الملك الظاهر قولهم فعرف كلاما قاله فقال يعطيك الاخبار من لا تسأله وينفعك فى الدهر ما كنت شايله ثم انه تركهما على حالهما ومضى يرتقب باب القصر إلى أن يأتى وقت المغرب فوجد باب القصر حقيقة خالى فدخل بعد ما قرا الفاتحة وأوهبها للرسول صلى الله عليه وسلم فدخل بقلب قوى حتى بقى من داخل القصر وصار يتأمل فسمع بطريقا جالسا وهو يقول قولى يا صفية الله بان يقربوها النصارى ترد عنهم كل غارة القريبصة قرابصها القرابصى رغم قريق قبل ما تلد قريق كان اسمها قويقة وأبو قصاد قبل ما يلد قصادة كان اسمه قصادا حفظنى قالت حفظت يا أبانا فقال البترك يا صفية مرتين الابرش اكبر مقاما فى المدينة والاسيرون الراهب فقالت له يا أبانا مرتين صاحب المملكة وأما سيرون الراهب خادم عنده فقال البترك لكن سيرون الراهب دخل بلاد

المسلمين وجاء بالطاقية والسيف فلبسهما وقتل ملك المسلمين فقالت البنت لا يا أبانا
اعلم أن الذى قتل ما هو ملك المسلمين وانما هو على صفته وأما ملك المسلمين طيب
ومسيره يأتى إلى مدينة برشونة ويسمع من بنت كلاما ويطلع من مدينة برشونة
ويروح الى دير التلاحمة ويدخل على البترك صاحب بيت لحم وهو يدله على بركة
بجانب الدير يطلع منها خاتم الكشف بمعرفة البترك صاحب بيت لحم ويأخذ الخاتم
ويأتى الى هذه البلدة ثانيا ويقتل سيرون الراهب وأبى مرتين الابرش ويأخذ جميع
بلاده ويأخذ كلما كان موجودا فى الدراية من ذخائر وأموال وبالجملة انا يتزوج بى
واحد من أولاد ملوك المسلمين اسمه محمد وأظن يا ابانا أنا حكيت لك هذه الحكاية
ويكون ملك المسلمين سامعا الكلامى فقال البترك أى شىء يجىء بملك المسلمين هنا ثم
ضربها بالكف على وجهها وقال لها اوعى تحكى هذه الحكاية لاحد فسكتت البنت
هذا ما جرى والملك الظاهر واقف يسمع فطلع ساكت ولم يتكلم وطلع من برشونة
ليلا وما دام مسافرا ليلا ونهارا حتى وصل الى جزيرة التلاحمة فطرق باب الدير
فنزل اليه البترك فتامل فيه وقال له أهلا وسهلا بملك الاسلام فقال له السلطان أى شىء
عرفك أنى السلطان فقال يا مولانا الذى أعلمنى بك سيدى الخضر وقال لى يا الفلفون
فى غداة غد يأتيك الملك الظاهر فادخل به الى بيت لحم وقال له هذا ملك الاسلام الذى
يشرك به أستاذك فبلغه مقصوده حتى تكون من الفائزين على يده فاطمان السلطان
بذلك الكلام ودخل مع البترك لفلفون الى البترك الكبير بيت لحم فلما نظر الى السلطان
تلألأ وجهه بالفرح وقال له أهلا وسهلا فقال لفلفون يا أبانا بيت لحم هذا الذى
يشرك به أستاذك فقال نعم ثم انه قال ياولدى خذنى معك وركبنى على حمارة واطلع بى
إلى خارج الدير فقال لفلفون وملك الاسلام يقعد هنا أو يكون معنا فقال ياولدى
وأنا من غيره لم أعرف أطلع شيئا فعنده أحضره لفلفون حمارة ورفع البترك بيت لحم
ووضعه على ظهرها وساروا إلى بركة من خارج الدير وقال يا ملك الاسلام افحت
يدك على شاطىء البركة فى هذا المكان ففحت السلطان فرأى حجرا مدورا فقال له
ارفع الحجر وهات الذى تحته فتعاون الملك على الحجر فرفعه فوجد تحته حورة وفيها
أربعة شقفات محروقات وأربعة بقبر حرق من طين فقال له البترك اتل حزبك واحذف
الاربعة المحرقات واحدة بعد واحدة فحذف السلطان أول واحدة فغارت البركة
فحذف الثانية فماجت فحذف الثالثة فنقص الماء فحذف الرابعة فنشفت البركة
وبان لها باب مغارة فقال البترك ياولدى ادخل من باب المغارة وابسط يديك واقرأ

الفاتحة وأنت داخل تجد الحكيم كانرين نائما على جنبه اليمين فاقرأ الفاتحة وادعى له دعوة خير فانه يعطيك يده اليمنى تجد خاتما فضة فى خنصره فخذه منه واقرأ له الفاتحة واطلع بظهرك حتى تأتى الى عندى فدخل السلطان وفعل ما أمره به البترك بيت لحم وأخذ الخاتم وطلع فقال له البترك أخذت الخاتم قال نعم فقال له توكل على الله وروح الى مصر فاركب حصانك وتوجه الحق عساكرك ورجالك لان النصر مقرون بوجودك فانزل من منية السويدة وتوكل على الواحد الاحد فسار السلطان ولم يدخل الدير ثانيا ودام سائرا الى أن وصل الى السويدة فأقبل على المينة وإذا بسيدى عبد الله المغاورى يقول له تعالى يا ظاهر انزل هنا فجذبه وأنزله فى مركب من الحديد ونزل بصحبته وفى يده قحف جريد فقذف به فى البحر وقال بسم مجريها ومرساها على مينة بولاق ملقاها فما شعر السلطان إلا وهو فى بولاق فقال له اطلع هات حصانك فان الله أقرن النصر بعنانه فطلع السلطان وكان ذلك عند العصر وسار حتى وصل إلى قلعة الجبل فدخل ليلا ونادى على الاغا جوهر وريحان فقال لهما احضروا لى الاوسطى عثمان

فما كان غير ساعة حتى اقبل عثمان فنظر الى سيده وقال له أنا ما قلت لك إنك مثل سقط الفول والنار وهذه بركة المبرقعة فقال السلطان صدقت هيا احضر لى الادهم فقال عثمان حاضر ملجم فركب السلطان ليلا وركب وراءه عثمان على ظهر هجين وتبعا أثر العرضى ليلا ونهارا حتى وصلا الى الشام فاستخبر عن العرضى فاخبرهما اهل الشام ان العرضى توجه إلى برشونة فسار السلطان وصحبته عثمان وكان الملك محمد السعيد لما انتصب العرضى بقى حاسب حسابا إنه اذا أمر العساكر بأمر ياهل ترى يسمعونه أو يخالفونه ومحتار فى شأن ذلك فأقام أول يوم وثانى يوم وكان قصده أن يكتب كتابا بعد ما يأخذ الراحة ثلاثة أيام وكان ابراهيم بن حسن المتولى ففر صيوانه مثل ما كان فى زمن أبيه فبينما المقدم ابراهيم واقف فى اليوم الثالث وقد ضحى النهار واذا بالفحل الادهم مقبل من البركانة طير طائر وعلى ظهره الملك الظاهر قادما على العرضى كانه الاسد الكاسر ومن خلفه عثمان بن الحبلة على ظهر الهجين وهما فرحانين مستبشرين فصاح المقدم ابراهيم حديد نحاس قصدير رصاص توتية فضة ذهب سبع معادن تصدوا أهل الغضب فقال السلطان مالك يا مقدم ابراهيم فقال ابراهيم من انت فقال السلطان نسيتنى أنا الملك الظاهر فقال له الظاهر مات وهذه

وأسه على سور برشونة وها نحن قد أتينا نروح لأخذ الثار وخلاص الرأس من بلاد الكفار فقال الملك انت سر إلى الديوان وشيع هذا الكلام فقال عثمان بالسلامة ياابو حور أنا ماقلت لك هذا مثل سقط القول غالب اليه والنار فدخل إبراهيم وأخبر الملك السعيد فقام على حيله وراح سعد فأخبر الملك عرنوس وأتى وكذلك الملك مسعود بك فضربت المدافع من أربعة أركان العرضى وصاحت الجاريشية ودقت طبل الأفراح فسمع الملعون جوان المدافع تضرب فى عرضى الاسلام فحط يده على قلبه وقال يابرتقش أنا اعلم ان المسلمين حزنانين على ملكهم وأى شىء هذه المدافع وأى شىء هذه الأفراح قم يابرتقش ياابنى اكشف لى الخبر فقام البرتقش وغاب إلى نصف الليل وعاد إلى برشونة فدخل على جوان وقال له ياأبانا هات البشارة فقال له جوان بشرنى فقال له اعلم ياأبانا ان ملك الاسلام قد أتى سالما من مصر وهذه المدافع الذى سمعتها بشرى لقدومه فقال جوان أما سمعنا أنه قتله سيرون الراهب فقال البرتقش إذا كان سيرون الراهب يبقى من يركب فى الموكب ويمشى وراه العربة التى يتطلع عليها شويحات حكم ما رأيت فى كتاب اليونان أنت طاوعنى خلينى أجيء لك بالحارة واطلع من برشونة قبل ما تاكل علقة بسوط شيحة الغضبان مثل كل نوبة يا جوان فقال جوان أسكت يا سيف الروم أما هذه بشارة ملعونة وقام جوان فدخل على سيرون الراهب ومرتين الابرش فقال تعال يا سيرون انت جئت برأس مملوك وتدعى أنها رأس رين المسلمين وهذا رين المسلمين أقبل وكيف يكون العمل فقال سيرون يا أبانا وحق رب المسيح أنا ما اطعمت رأسه إلا فى وسط د وانه من على كرسيه ولا أعلم بعده أى شىء جرى الا إن كان المسيح رد رأسه اليه قال جوان أهى الرأس على السور فذاتها لم يأخذها المسيح ولا غيره فقال سيرون الراهب يا أبانا إن كان ملك المسلمين طيبا والذى جرى حكم غلط وهذه الرأس ماهى رأسه فأنا بكره من أرنى اتيا آتيك برأسه ثم انه بات مهموم فى نفسه حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره كوكبه الوضاح فقام سيرون لبس الطاقية وطلب عرضى الاسلام بعدها تقلد بالسيف المذكور وسار وكان الملك الظاهر جالسا وحوله ارباب دولته وعرنوس والملك مسعود بيك فرحانين برؤيته فهم كذلك وإذا بالملعون سيرين الراهب أقبل فنظره الملك فصاح السلطان امسكوا وحط يده على نمشة ابن الحكيم وطلب الملعون سيرين فعاد سيرون هاربا من قدامه وكان الملعون سريعا فى المشى كأنه الجواد العربى فلما هرب عاد الملك وجلس فى مكانه فسأله الملك عرنوس

عن الخبر فقال الملك سيرون الراهب وحكى له أنه نظره وأما سيرون الراهب فانه عاد إلى جوان وهو ينتفض كالزعفة فى يوم الريح فقال له جوان أى شىء الخبر فقال يا أبانا هو ملك المسلمين كم واحد فقال جوان واحد يا رجل وأما انت لم تعرف شيئا فأحضروا الك واحدا غيره فنترته وها هو جالك طالبا بمنترك وانت على أى شىء مرعوب فقال يا أبانا أظن ان ملك المسلمين جاء بخاتم الكشف وفى حال قدومى عليه قال امسكوا وجذب الشنتيارى وهم على لولا أنى هربت وإلا كان قتلنى فقال له جوان وأنت تدعى فى نفسك انك كاهن زمانك وغلبك رئيس المسلمين ولم يبق لك ادراك فى شىء تفعله فقال يا أبانا أنا ما بقى يمكننى أن اقعد عنه حيث انى بالغت فى عداوته على قدر كذا ثم انه احضر قبطيه ووضعها على رأسه وقال أقسمت عليك بما كتب عليك الأسماء والطلاسم أنا اكون فى صفة شيحة جمال الدين فانقلب الملعون وصار فى صفة شيحة ثم انه توجه ليلا بعد صلاة العشاء ودخل على السلطان فقام له واستقبله كما يفعل بالمقدم جمال الدين وبعد ما جلس سأله السلطان عن غيبته فحدثه بزخاريف محال فحكى له السلطان على ما وقع من سيرون الراهب وما وقع من قتل بيبرس الخياط واخذ الرأس برشنوتة وأنا جئت وتعبت حتى أخذت الخاتم الى للكشف من البركة المرصودة واتيت به ونظرت سيرون الراهب لما حضرت وأردت ان امسكه هرب منى فقال له والآن خاتم الكشف معك قال نعم فقال فرجنى عليه فقال السلطان لا يمكن لى أن اعطيه لأحد فقال له الحق بيدك وأنا كان يا ملك تخاف منى وقام على حيله فقال السلطان أنا ما أخاف منك ولكن أخاف على نفسى فقال له هذا الذى جرى لك وأنا غائب وأما ما حضرت لا يمكنى اقعد عن هذا الملعون فرجنى على الخاتم فقلعه السلطان وأعطاه له فلما بقى فى يده وقف وقال يا ملك إن رأيت وجهى من غير رأس سيرون الراهب فما أنا شيحة بل أنا مخامر على الاسلام وخرج من قدام السلطان وإذا بالمقدم جمال الدين داخل على السلطان فقال له الملك لماذا عدت ثانيا بغير الذى قلت عليه فقال أنا ما قلت لك شيئا فقال السلطان انت لم تكن عندى فى هذه الساعة واخذت الخاتم منى وقلت لا أعود إلا برأس سيرون الراهب فقال شيحة أخبرنى بالقصة فقال السلطان اى شىء أخبرك به هذا هزار أم جد انه ذاتك كنت عندى وطلبت الخاتم فقال شيحة طيب فهمنى على الذى جرى فقال السلطان كأنى أنا فى منام وأعاد على المقدم جمال الدين العبارة ثانيا فخبط كفا على كف وقال له هكذا جرى نقام الملك فى هذه الساعة فعند ذلك طلع شيحة من قدام السلطان وانفرد قبل دخول سيرين الراهب إلى المحل الذى فيه جوان فلقى البرنقش

داخل المرتفق ليزيل الضرورة فالقى عليه دخنة بنج بنجه بها ولبس ملابسه وتزيا بصفته ودخل على جوان فارتعد جوان وقال يا سيف الروم أنا حصل لى منك ارتياب فقال يا أبانا اعلم ان سيرون الراهب جاء بخاتم الكشف من ملك المسلمين فقال جوان بلغنا الارب والامال يابرتقش وإذا سيرون اقبل ودخل على جوان فقال له خذ ياجوان هذا خاتم الكشف فاخذه جوان يتفرج عليه فخطفه البرتقش وقال له بهذا كان يراك رين المسلمين قال نعم فقال وهذا الختم بقى معك ورين المسلمين فى ديوانه قم اقتله ياسيرون خلى النصارى تبلغ مقصودها من المسلمين وأما هذا الختم خليه عند ابينا جوان لما تعد براس رين المسلمين خذه منه فقال أنا لا اسيبه من يدى أبدا فقال البرتقش خذه معك فما أحد يمنعك من أخذه وناوله الخاتم وكان شبحة بدا له وأعطاه خاتما على صفته من الفضة فاخذه وقال لجوان أنا ما بقى يمكنى القعود عن ملك المسلمين وقام وأتى بالسيف فلبسه وطلع على حية فانفرد من ورائه المقدم جمال الدين كما ينفرد الأسد على فريسته حتى أدركه وهو داخل ديوان الاسلام فسبقه المقدم جمال الدين ووقف له على باب الصيوان وأخذ فى يده عشة أمضى من القضاء والقدر وصبر عليه حتى خطى من باب الديوان وقصد مجلس السلطان وإذا بالمقدم جمال الدين حمل عليه وهو ناظر اليه وضربه بالمنشة على وريديه فاطار راسه من على كتفيه وفى الحال أخذ من يده السيف وقلع من راسه الطاقية وتقدم إلى السلطان وقال تفضل ياملك الاسلام هذه الذخائر التى احتوى عليها هذا الملعون فعنده أمر السلطان أن ترفع راسه على رمح عالى لينظروها عصبة الكفرة فتنكسر ظهورهم هذا ماجرى وأما جوان فانه قام ودخل الكنيف لاجل قضاء حاجته فلقى البرتقش مكبوبا على وجهه فى دهليز الكنيف فلما رأى ذلك أيقن بالغلبة والمهالك وأطلع ضد البنج وأتى إلى البرتقش وفيقه وأخذه فسأله عن خاتم الكشف وكيف أنه نزل خلف سيرون الراهب وها أنا أراك مرمى فى الكنيف فقال البرتقش ياأبانا أنا ما رأيت سيرون الراهب مطلقا وإنما كنت اتيت إلى المرتفق فوقعت كما ترانى وهذا فعل الرجل أبو محمد الذى هو منتظر تقطيعك على العربة وحرقك فى الرميلة فقال جوان وسيرون ياسيف الروم راح على عرضى المسلمين لاجل انه يقتل رين المسلمين واظن يابرتقش أن الذى كان قاعدا عندى هو شويحات وقد أخذ ختم الكشف من سيرون الراهب بعد ماجاء به من رين المسلمين قم يابرتقش واكشف لنا على الخبر ياسيف الروم يابنى فانا خائف على سيرون فقام البرتقش وهو مشغول وغير حليته وسار إلى صيوان الملك الظاهر فما حكم

دخوله الا وقت ما قال السلطان ارفعوا راس الملعون على رمح قدام خيمتي حتى ينظرون اليه أولاد الكفرة ويعلموا ان الله ينصر المؤمنين فلما سمع البرتقش ذلك الكلام ونظر إلى سيرون الراهب وهو يخور في دمه ويضطرب في أثره فعاد البرتقش إلى قدام جوان وقال له ياابانا مات البشارة فقال جوان قل لي وبشرني يابرتقش فقال أما من جهة الراس الذي على سور مدينة برشونة فانها ما هي راس رين المسلمين بل انها غيرها وأما رين المسلمين فانه قاعد على كرسيه بين أرباب دولته وصحبيه وسيرون الراهب راح له ليقتله وانا تبعته حتى أنظره فرأيته مقتولا قدام صيوان رين المسلمين وراسه منشاله على رمح وإذا وقفت على سور برشونة نظرتها فان طاوعتني خليني أجيء لك بالحارة فقال جوان ما يدخل عقلي هذا كله فبينماهم كذلك وإذا بضجات هائلات وصرخات عاليات وأصوات مرتفعات وطعنات نافذات وضربات قاطعات وهمهمة أسود ضاريات والمنادي ينادي الله أكبر فتح ونصر واخذل من كفر وكان السبب في ذلك وهو ان المقدم جمال الدين شيحة من بعد موت سيرون الراهب ورفع راسه كما أمر السلطان قال ياملك الاسلام أي فائدة في القعود عن هؤلاء اللئام فقال السلطان دبرنا يامقدم جمال الدين حتى نهلك هؤلاء الملاعين فقال يابني اسماعيل اركبوا وسيروا من خلف عرضي الاعداء كل مقدم منكم بعساكره يكون بينه وبين الآخر مسيرة رمية نشاب وتكونون تحت الندهات وتكون العلامة بينكم التكبير وقول الله أكبر وصلوا على البشير النذير وبعد ذلك قال للملك عرنوس وأنت ياسبع الاسلام تأخذ معك اسماعيل والمقدم نصير النمر واولاد ملوك البرتقال وتاتي الكفرة عن يمينهم وكذلك الملك مسعود بك والملك قاراصلان المغربي وعساكر بورصة ان يكونوا على الميسرة وأما ملك الاسلام والامراء والوزير فانهم يكونون بين أيديهم وبعد ماوضب المقدم جمال الدين ذلك الترضيب دعا أولاده وهم محمد السابق والمقدم نورد والمقدم نوبرد وأمرهم ان يختفوا معه ويدخلون البلد ولما كان أول الليل صاحت أبطال الاسلام فأول ماضرب بالسيف بنو اسماعيل فاراد الكفرة ان يقتلوهم في القتال فزعق عرنوس من اليمين والملك مسعود بك من الشمال وغني الحسام الفصال ونفذ الرمح والسنان في نواعم الأبدان واشتعلت الحروب نيران وسكر الناس من غير خمر الدنان فكم من راس طار ودم فار وجواد بصاحبه غار وغني البتار وقل الاصطبار فما كنت ترى إلا عبابير طايرة وسيوفا ورماحا طايرة والانفس حايرة ومادام الامر كذلك حتى مضى ثلثي الليل وكلت من الحروب الرجال والخيل ودام السيف يعمل والدم يبذل ورؤس

الافرنج والروم تتجندل حتى أذن الله الليل بالارتحال وظهر الفجر بنوره المتلالى تمت جميع الكفرة وانكسروا أشأم كسرة وملكت الاسلام كل ما عندهم من خدام وخيام وخيول وانعام فاراد الملك أن يهجم العرضى وإذا بالمقدم نور دهارضه واعطاه تذكرة من أبيه نقرأها الملك وإذا فيها اعلم يا ملك الاسلام ان أبواب البلد خالية من الخفر والأسوار كذلك وأنا واقف منتظر قدومك حتى افتح لك الباب فلا تنزل عن ظهر جوادك فى هذا النهار حتى نجعلها وقعة الانفصال فانى قبضت على جوان والبرتقش وعلى الملعون مرتين الابرش فلما قرأ السلطان التذكرة ساق الحصان على باب السور وتبعته الأمراء من كل بطل جسور ونادى المنادى معاشر الفرسان الكرام ادخلوا البلد خلف ملك الاسلام وأما السلطان فانه دخل من باب البلد وصاح حسبى الله أكبر

أنا ملك القبلة أنا خادم الحرم	أنا الظاهر المنصور بالبند والعلم
أنا ترس قبر المصطفى أشرف الورى	نبى الهدى من قومه أشرف الامم
وتحتى جواد أدهم شاع ذكره	صبور على الهيجاء قط ما انهزم
وقنطارية ابن أباديس ملكتها	ولى عشر ارطال دمشقى قد احتكم
وخدمت أبطال الحصون لرفعتى	وترك مع ديلم وفرقة من العجم
بسعد وإبراهيم قد نلت رفعة	شواكرهم تبرى الجماجم والقمم
سلطانهم شيحة أنا شاكر له	بلغت به الآمال والفضل والنعم
ومثل جمال الدين ما عاد ينثنى	من الآن حتى نعود إلى الرمم
وصل إلهى بكرة وعشيـــة	على المصطفى من خص بالجود والكرم

وتبعه المقدم إبراهيم والمقدم سعد وأبطال بنى إسماعيل والملك عرنوس وإسماعيل أبو السباع والمقدم نصير النمر وما كان إلا قليل حتى طلع السلطان إلى محل مجلس مرتين الابرش فنظر إلى فرقة تزيد عن خمسمائة رجل لابسين لباس النصارى يضربون السيف فى النصارى ويعاونون الاسلام فتعجب السلطان من ذلك حتى جلس على تخت المدينة وإذا بالوزير مرين مقبل وصحبته المقدم جمال الدين وأولاده فقدموا ثلاث جدالات وأطلعوا جوان والبرتقش ومرتين الابرش فامر السلطان بقطع رأس مرتين الابرش فضربه المقدم إبراهيم فاطار رأسه وبعد ذلك قدموا جوان فاراد الملك قطع رأسه فقام شيحة ضربه الف صوت حتى مزق جلده وبعده البرتقش وأمر السلطان بنهب كل ما فى البلد من نساء وأولاد وبنات وبعد ذلك أمر الطبجية أن يضربوا عليها بالمدافع حتى

يهدموا أسوارها فتقدم مرين وقال يا ملك الاسلام أنا أسلمت على يد الملك الصالح وأعلمتك بذلك هل لى فى جنابك مطمع أن تعطينى هذه المدينة افتحها للاسلام وأقيم فيها

فقال السلطان أى بلد أردتها خذها ياوزير مرين وأما هذه البلد ماتو من إذا قعدت فيها وإنما أنت والذين أسلموا معك تأتى بهم إلى مصر وأنا أجعلك أميرا وتكون مجاهدا فى الاسلام

فقال له رضيت بذلك فضرب الطبجى المدافع على أسوار برشونة حتى هدم الابراج وبعد ذلك أمر باحضار السبايا فكان من جملتهم صافية بنت مرتين الابرش فأمر السلطان بأخذها وفرق الباقى على المجاهدين وأخذوا كل أموال البلد والخيل والمواشى وجميع ما كان تحت يد مرتين الابرش وتوجه السلطان طالبا مصر ولما وصلوا إلى مفرق الطرقات أخذ الملك عرنوسا إجازة من السلطان وتوجه قاصداً مدينة الرخام وكذلك الملك مسعود بك توجه على برصة وأما السلطان سافر قاصدا مصر فلما وصل إلى العادلية تزينت له مصر بغير مناداة وانعقد الموكب للسلطان وسافر إلى مصر وطلع إلى قلعة الجبل وهو فرحان بالنصر والظفر اطلق من فى السجن وأبطل المظالم والمكس ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الأذية وأمر بصفية بنت مرتين الابرش فدخلت إلى السراية وأمر أنها تسلم ويأخذها الملك محمد السعيد فيتزوج بها وتسير أحظى النساء عنده وان الله يمن عليها بدين الاسلام وبعد ذلك أقبل المقدم جمال الدين ودخل إلى السلطان فقام له قائما على قدميه واستقبله وأجلسه إلى جانبه وتباسط معه بالكلام فقال له المقدم جمال الدين ياملك الاسلام هذا السيف والطاقية الذى أخذناها من سبرون الراهب وخاتم الكشف الذى أحضرته لك ما العمل فيها فقال السلطان يا أخى أنا لا أغتر بها ولا لها عندى منفعة فان دين الاسلام محفوف بالنصر من الملك العلام ثم أمر السلطان أن يحضرها المقدم جمال الدين فلما أحضرها مسك الملك الطاقية وقصها سيورا رفاعا وحرقها بالنار وبعد ذلك أحضر السيف وكسره قطعا حتى ما خلا فيه شيئا ينفع وكذلك الخاتم كسره وسلم قطع السيوف وقطع الخاتم إلى عثمان وقال له اعطيهما لحداد يصنعهما نعالا للخيل .

فقال عثمان والله ما فعلت إلا كل الخير وأقام السلطان بعد ذلك يتعاطى الأحكام كما أمر الملك السلام عدة أيام سبحان الدائم الباقى على الدوام الذى لا يغفل ولا ينام إلى يوم من بعض الأيام الملك جالس وأبو على البراج يقول سبحان هادى الطير فقال

السلطان سبحان عالم الغيب، فتقدم البراج ومعه طير فاطلع من تحت إبطه ماسورة واخرج منها كتابا فقدمه للسلطان فأمر مقرى الديوان أن يقرأه واذا مكتوب فيه

سلامى على هذا المقام وذا الحمى مقام به كرسى الخلافة قد نما
إمام أمير المؤمنين وجيشه وقد حفت الكرسى ملائكة السما

من حضرة العبد الأصغر والمحب الأكبر خادم الركاب كاتب الجواب محمد فارس البطريق باشة اسكندرية الى بين أيادى سيد سلاطين بنى آدم وظل الله فى العالم اعلم يا ملك الاسلام أننا يوم تاريخ الكتاب مقيمين إذ أقبل من البحر غليون من بلاد الروم وفيه واحد بطريق اسمه ملبون ويدعى أنه مقبل من جزائر البرتقال ومعه كتاب من عند مغلوين ومعه كلب كبير اسمه بيلمان وقصد أن يحضر الى بين أيادى مولانا السلطان فلما علمنا ذلك كتبنا هذا الجواب حتى نعلم مولانا السلطان بذلك الانسان ونحن منتظرون رد الجواب الامر أمرك أطال المولى فى عمرك والسلام فلما سمع السلطان ذلك الكتاب تعجب وقال اذا كان مغلوين أرسل كتابا وأى شىء قصده أن يرسل الكلاب فقال الوزير لابد لذلك من سبب فأمر الملك بأن يكتب رد الجواب بحضور ذلك النجاب فكتب له بالحضور فأمره الباشا بالطلوع من البحر ووجهه الى السلطان ومادام حتى وصل الى قلعة الجبل وتقدم الى قدام السلطان فقبل الارض مرارا وقدم الكتاب الذى معه وكان هذا الكتاب له سبب عجيب وهو أن الملعون جوان لما طلع من مدينة برشونة راح بحيرة ايغرة وأقام مقدار شهر حتى برىء من الملقة التى ضربها له شيحة وبعد ذلك قال لغلامه ياسيف الروم جوان راح تطلع روحه من الكيد وكيف يكون الرأى ثم أخذه وصار يدخل على ملوك الروم ويطلب منهم الركوب ويغريهم على بلاد الاسلام فلم يقبلوه ولا يسمعوا له كلاما ويطردونه من بلادهم وما دام كذلك حتى دخل على مغلوين ملك جزائر البرتقال فأراد مغلوين أن يضربه ويطرده فقال له ياأب أنا مرادى أقيم فى الكنائس وأتبرك بمكان الديور فقال له البب مغلوين اذا كنت على ذلك مرحبا بك وأما اذا قلت لى اركب على ملك المسلمين ركبة فانى أضربك ولا أسمع كلامك وقيل انى أقتلك فقال ما بقيت أقول لك اركب ولا تركب وأقام على ذلك مدة أيام الى يوم نظر الى كلب واقف قدام البب مغلوين كان قادم به من الصيد فقال جوان ياأب مغلوين هذا الكلب ماله نظير فى الكلاب فقال مغلوين ياأبانا هذا اسمه سلوه وهو متربى عندى وله خمسة أخوات وأمهم السادسة وشم منفعة عندى اذا كنت فى الصيد والقنص فانهم يغفرونى من الوحش فانهم

متمازين عن جميع الحيوان فقال جوان يا ببّ ان هذا الكلب له فوائد كثيرة اذا انت سمعت كلامى تجد فيه الربح من غير خسارة وبه يرتفع الخراج عن بلاد النصارى فقال البب مغلوبين يا أبانا بأى شىء نرفع الخراج عن بلاد النصارى فقال جوان يكون سببه هذا الكلب البيطان وأنا اعلمك يا بب وهو ان ملك المسلمين يقول ان النصارى كلهم كلاب وان المسلمين سباع فنحن نرسل له نقول كما تقول ان المسلمين سباع والنصارى كلاب فها نحن أرسلنا الك كلبا ونريد منك أن تقدم له سبعا يكسره فهات أى سبع أردت واجمعه واياه كان السبع يكسر الكلب فبقى كلامك صحيح ان المسلمين سباع ويفترسون الكلاب فيجب الخراج على الكفار لكون أنهم مغلوبين وان كان هذا الكلب يفترس هذا السبع يبقى السباع أقل من الكلاب مرتبة ولا يلزم الكلاب حينئذ ان تحط الخراج الى السباع وها قد أرسلنا الكلب اليك لاجل ان يكون هذا الشرط على يديك وشكر يارب المسيح

فقال له البب مغلوبين صدقت يا أبانا وأنا أعلم أن ملك المسلمين منصف محب العدل والانصاف ويكره الجور والاسراف فقال جوان انا أعمتك وانت افعل ما تريد فعنده كتب البب مغلوبين كتابا على هذه الكيفية وسلمه الى باشة البطارقة وأعطاه الكلب وخدامين الكلب سار وانى خدمته الى ان وصل الى قدام السلطان كما ذكرنا وأخذ السلطان الكتاب وقرأه المقرىء على هذه الكيفية فسمعه السلطان فقال هذا أمر سهل وكان فى تلك الايام موجود فى دولة الملك الظاهر رجل بامور السباع خبير ولا له شغل الا صيد أشبال السباع وتربيتها تحت يده وله على بساط السلطنة جامكية وعلوفة بسبب ذلك يقال له الحاج حيدر المغربى فقال السلطان احضروا الحاج حيدر بعدما أمر لهذا الكافر ان يقيم فى مستودع السلطنة مثل عادات أمثاله ولما حضر الحاج حيدر بين أيادى السلطان قال له السلطان يا حاج حيدر انظر الى هذا الكلب وهات سبعا يقتله فان فى هذه رفعة لمراتب الاسلام

فقال الحاج حيدر يا مولاى السلطان أنا خادمك ولكن اعلم ان أولادى الذى عندى ما فيهم سبع يغلب هذا الكلب أبدا وان جئت يا ملك الاسلام بسبع من عندى فلم يقدر على هذا الكلب فاجر فقال السلطان وأنت الك مدة فى هذه الخدمة لم يكن عندك سبع يقتل الكلب فقال يا مولاى السلطان ما عندى من السباع للقتل لانهم أشبال وهذا كلب جبار فقال السلطان الكلب يغلب السبع هذا شىء ما سمعته فقال الحاج حيدر ان كنت تظن ان عندى نفاقا ففى خدمتك من هو صاحب فهم وادراك عنى وأقدر منى وهو الفارس

الشجاع والقرن المناع المقدم أبو السباع لانه يأتى بالسباع الكبار الضاريات يقبض عليها ويأتى بها من الغابات فاطلب منه سبعا فان عنده سباعا تملأ الارض والبقاع فقال السلطان صدقت ثم انه كتب كتابا يقول فيه الذى اعلم به ولدى واعز من ولدى الملك محمد سيف الدين عرنوس ان الامر الجأ الى حضور عمك المقدم اسماعيل أبو السباع فكتبت الك هذا الكتاب فلا يكون جوابه الا ارسال المقدم اسماعيل فانه فى أمر مهم والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام وأعطى الكتاب للمقدم سعد وأمره بالمسير فسار المقدم سعد يقطع البرارى والآكام حتى دخل مدينه الرخام فدخل على الملك عرنوس وسلمه الكتاب ففرح بالمقدم سعد وسأله عن الملك الظاهر فقال بخير فالتفت الملك عرنوس الى عمه وقال ان عمى الملك الظاهر طالبك على موجب هذا الكتاب فقال المقدم اسماعيل على الرأس والعين فان طاعة السلطان فرض لازم اسير فقال الملك عرنوس هذا مستعجل فقال حاضر سر قدامى ياسعد وأنا الحق بك فقال سعد ماسابر الامعك فقال المقدم اسماعيل أنا أعرف أنك ماتركب خيلا وأنا راكب على الحامة العطشا فقال سعد سر معى وانا أسير على سيرك فركب المقدم اسماعيل على حجرته فقال له سعد اتبعنى اما ان أسبقك والاسبقتنى فاغتاظ المقدم اسماعيل من كلامه وركب الحجرة وشك جنبها بالركاب فطارت به كأنها العقاب وسارت تمر على الارض كمر السحاب هذا والمقدم سعد يهمز قدامها همزات متتابعات يقطع بها الاراضى والفلوات ونظر المقدم اسماعيل الى سعد فقال سعد خاف على الحجرة ان تهلك من التعب ولم تجد غيرها تركب عليه فصاح على المقدم سعد وقال له أنت جنى ام شيطان مرادك ان تقتل حجرتى بالجريان فقال سعد وأنا مالى انت الذى تجرى وأنا أجرى امشى على مهلك وأنا أفعل كفعلك فعندذلك مشى المقدم اسماعيل بشفقة ومادام على تلك الحية حتى وصلا الى الديار المصرية والقاهرة المعزية فطلعا الى قلعة الجبل وتقدم قدام السلطان فخضع ونصح وترجم وافصح مابه تكلم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم ففرح به السلطان وأمره بالجلوس فجلس وبعد مااستقر به الجلوس أخبره السلطان بالكلب وقال له اريد منك سبعا يقتله فقال يادولتلى حتى انظره فأمر باحضاره فلما حضر قال المقدم اسماعيل يادولتلى هذا الكلب لم يكن فى أولادى سبع يقدر يفترسه ولا من يقدر يجرحه فان هذا كلب بيلمان وله جسارة على افتضاض السباع من الرجال والكتبان فقال السلطان ما هذا الكلام يا مقدم مع أنك فى أول غدورك اتيتنا ومعك جمع من السباع لاتعد وكان قصدك ان يفترسوا أبطال الحصون

وهذا الوقت تدعى العجز وتقول ما فيهم من يقتل هذا الكلب ثم صرخ فى وجهه فقال المقدم اسماعيل يا دولتلى السباع ما هى مثل بعضها فان الذى أقبضهم بيدى لو كان لهم اقتدار على مثل هذا الكلب ما كنت أقدر أطوعهم وإنما أنا منذ ما كنت فى الابجج مررت على غابة سيدى على بن عليم بجانب الشام وكان فيها سبع أحول لكنه كان صغيرا وجاهلا إلا أنه ضارى من السباع الضوارى فاردت أن اقبضه فلم أقدر عليه وضربنى بكفه طبق الدرع على صدرى فكاد أن يخسفه ولا نجانى منه إلا قدرة الله فان كان هذا السبع طيبا وأنصفنى الزمان وقبضته فانه يقتل هذا الكلب ولو كان معه عشرة مثله فان كان مولانا السلطان يأمرنى أن أروح إلى الشام واطلب واحدا من الحدادين يكون ذا فهم يصنع لى شركا من الحديد حتى أصطاده وأقدمه إلى بين أيادى مولانا السلطان فعلى الرأس والعين فان ما يقتل هذا الكلب البيلبان إلا هذا السبع الأحول فقال السلطان يا مقدم اسماعيل إذا كان الأمر كذلك فانا أكتب لك كتابا إلى باشة الشام يعطيك كلما طلبته ولا الزم ذلك السبع إلا منك فان هذا الكلب إذا لم يأته سبع يقتله يكن خفضا لأبطال الاسلام فاجتهد يا مقدم اسماعيل حتى انك تبطل القال والقيل

فقال على الرأس والعين فكتب له الملك كتابا إلى باشة الشام يأمره ولا يخالف له مقالا وركب الفداوى وسار يقطع البر والآكام حتى دخل مدينة الشام فدخل على الباشا وأعطى له الكتاب فقام على حيله ممتثلا الخطاب وقال الرأس والعين فقال له احضر لى الحدادين حتى انى أطلب منهم أن يصنعوا لى فخا لصيد السباع فاحضر طائفة الحدادين فطلب المقدم اسماعيل منهم صناعة الفخ فقالوا لم نعرفه فوصفه لهم فقال رجل احتيار أنا يا مقدم أصنعه لك ولكن يعوز خمس قناطير حديد من الحديد الجامد الثقيل فقال له خذ كلما تريده فاعطى له الباشا خمسمائة دينار وقال له اشترى كلما تريد من حديد وفحم وأجرة رجال حتى تتم شغلك فاخذ ما يكفيه وصار يجتهد فى أشغاله وأما المقدم اسماعيل فانه طلع إلى الأسواق يدور له على رفيق يرافقه وهلى صيد السبع يوافقه [اسمع] ما جرى لرجل حزار بالشام ضاقت حضيرته من كاره ووقف الحال حتى خلص منه الرأسمال ولا بقى يملك شيئا من المال

فاتفق أنه تحدث مع زوجته وقال له البطالة تلفت حالى والدين قد أعلنى وضاع رأس مالى فقالت له أنا أسأل لك جارتنا فلانة فى عشر دراهم تشترى بها رأس غنم وتذبحها ولما تبيعها اعطيها الأصل والباقى مكسبك

فقال لها وهو كذلك فقامت وجاءت له بعشرة دراهم فضة وقالت له قم على بركة الله فقام واشترى خروفا بالدراهم وأتى به إلى الدكان وذبحه وسلخه وعلقه فى الكلاليب ووقف ينتظر من الله الفرج القريب وإذا بصاحب الدكان أتى اليه وقال له عندك اربعة أشهر بأربعة دراهم هات الاجرة فقال له أنا بقى لى زمان ما فتحت فقال له هات رطلين لحم وبكره ان شاء الله اعطيني الباقى فاعطاه رطلين وبعده اتاه الخفير وبعده السقا كل منهم اخذ رطلا وبعده اتاه ديانه اخذ رطلين حتى فرغ ربع الخروف ولا قبض ولا صرف فبينما هو كذلك وإذا بالمقدم اسماعيل مقبل فتأمل فلقى هذا الرجل مذهول العقل فقال له ياشيخ اقطع من هنا نصف رطل فقطع له فقال له واقطع من هنا رطلا فقطع فقال ومن هنا نصف رطل ومادام كذلك حتى قطع كل الخروف وبقى كله قطع فقال يا شيخ هذا ذكر ام انثى فقال له ذكر فقال المقدم اسماعيل انا احسب انه انثى ومن حيث ذكر فما بقيت آخذ منه قال له وانا قطعت اللحم وكيف الحال فقال يا شيخ انت الذى قطعته وانا ما يعجبنى ان آكل منه ولا اريده ثم شخت فيه فبكى الجزار وقال له يا سيدى هل لك ان تفعل معروفا وتقتلنى او تشترينى وتجعلنى عبدا لك وخادما على طول الايام فقال المقدم اسماعيل ياشيخ انا ما اقتل مثلك فان قتل النفس حرام وانا لا اشتريك فالحر لا يباع ولا يشترى فقال له ياسيدى انا كرهت عيشتى فى الدنيا فقال المقدم اسماعيل تبيع نفسك للموت وانا اشتريك قال ابيع نفسى للموت بخمسمائة دينار فقال المقدم اسماعيل سر معى على يد الباشا حتى احضر القاضى واكتب عليك حجة واعطى لك الخمسمائة دينار فسار معه فى الحال حتى بقوا قدام باشة الشام وامره باحضار القاضى وشهود المسلمين واعلمه انه لازم له فى خدمة السلطان فكتبت الحجة عليه فاعطى له الخمسمائة محبوب وقال له ضمها فى بيتك وعدلى سريعا فسار الرجل واعطى الدراهم لزوجته واخبرها بما فعل فبكت على ذلك العمل وعاد الرجل الجزار إلى المقدم اسماعيل فاخذه وسار به إلى الاسواق يشترى غنما حتى اشترى ماية خروف وبعد ذلك تكامل شغل الفخ فارسل الباشا إلى المقدم اسماعيل وفرجه عليه فطلب منه جملين وحصانين وعشر رجال يوصلونه إلى غابة سيدى على بن عليم وخيمة باربع عمدان لاجل الاقامة فى ذلك المكان وجانب تبن وفول للاغنام فاحضر له الباشا كلما طلب وسار المقدم اسماعيل والجزار صحبته حتى وصلوا إلى الغابة المتقدم ذكرها وقد نصب المقدم اسماعيل الخيمة وجعل فى جانبها حوشا وضع فيه الاغنام ووضع مؤنتهم بجانبهم وبعدما استقر به المقام نصب الفخ على باب تلك الغابة بعدما عرف

جرة السبع وطريقه وبعده أمر الجزار بذبح خروفين فذبحهما فقال له اسلخهما وقطعهما أربعا وسوى لنا عشاء ففعل ما أمره وقام المقدم منهما اسماعيل وأخذ ربع خروف ووضعه قبالة الفخ وقعد هو مع الجزار ينتظر الفرج من الكريم الغفار حتى أقبل الليل فأكلا عشاهما وانتظرا اشغالها فاقبل من الغابة سبع وهو يتبختر فى البر الاقفر وعيناه يطير منهما الشرار وله اضافير كانه الكلاليب وانياب أحد من النوايب ومازال سائرا حتى وقف قدام الشرك وصار ينظر اليه ويلتفت إلى نحو الخيمة وبعده مد كفه وجذب اللحم ودخل به الغابة كل هذا يجرى والمقدم إسماعيل ينظر اليه ويرى فالتفت إلى الجزار وقال له يا شيخ هذا الذى اتينا فى طلبه فاذا قبضنا رجعنا إلى الشام وتعود انت إلى بيتك بسلام وينوبك منى الخير الجزيل والانعام فقال له الجزار الأمر بيد الله الواحد القهار ثم انهم باتوا حتى طلع النهار ووقف المقدم اسماعيل وعارض الاسد وهو خارج من الغابة وحدف له فخذ الخروف فاخذها وسار يطلب القفار ولما كان عند المساء فى عودته عارضه المقدم اسماعيل وحدف له ربع الخروف فكان فى ذاك اليومين أكل الجزار والمقدم إسماعل والسبع الاحول الخروفين الذى ذبحهما الجزار وكان آخرهما الربع الذى رماه له المقدم إسماعيل صبيحة اليوم الثالث فاخذه وسار فأمر المقدم اسماعيل الجزار بذبح خروف ثالث فأكلا منه النصف والنصف الثانى أعطاه المقدم اسماعيل للسبع المساء ربعه والصباح الربع الثانى ورابع يوم كذلك وخامس يوم وهكذا إلى تمام اربعين يوما فنظر الجزار الغنم صارت قليلة فقال يامقدم اشترى لنا كان جانب غنم فقال له ياشيخ ما يخصك شىء من هذا أنا عارف شغلى وصبر تسعة أيام بعدها فقال له الجزار ما بقى عندنا سوى خروف واحد فقال المقدم اسماعيل يا شيخ وأين باقى الغنم نحن لنا خمسون يوما بخمسين خروف الذين ذبحناهم من مائة خروف الذين اشتريناهم فقال الجزار والله يا سيدى ما اعلم فقال المقدم اسماعيل حيث الأمر كذلك إذا نحن أعطينا الاحول هذا الخروف الباقى ولم يقع فى الشرك فانا أذبحك بيدى وأرميك له حتى أصطاده فقال له يا سيدى حرام عليك فقال له ياشيخ لاتكثر الكلام فلا بد من ذلك والسلام فقال الجزار يا سيدى إذا كان كذلك اعطينى اللحم حتى أحدفه بيدى فقال له المقدم اسماعيل افعل ما تريد فعنده أخذ الجزار الربع الاول وأرماه إلى السبع فاخذه وسار والصبح كذلك والمساء ولما كان يوم الواحد وخمسين ولم يكن عندهم لحم غير ذلك الربع الفاضل وانهما لم يأكلاه فى اليوم الماضى فتضايق الجزار وأخذ الربع فى يده وأراد أن يرميه فمكشت يده به لكون ما بقى عندهما غيره وصار يحتار كيف يصنع

فاذا أخذها السبع ذبحه المقدم اسماعيل ويقطعه ويعطيه السبع فصار كلما يهم أن يحذفها فلا تهون عليه هذا والسبع شاخص له و باسط الدم يديه ولما طال عليه الحال أراد الاستعجال فبربر وتكبب حتى صار كالقطعة الجلد وأراد أن يوثب على الجزار فتأخر وتحرك فجاءت رجلاه فى الفخ وتخبل وانطبق عليه الشرك فصار كلما يتقلب فيه يضيق على يديه وعلى رجليه حتى تمكن منه الفخ تمكينا وصار من شدة ضيقه لم يقدر يلتوى وكان هذا فى صبيحة النهار فنظر المقدم إسماعيل إلى وقوع السبع الاحول فى الفخ فزاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وقال له وقعت ياأحول ثم انه تقدم اليه ووضع على فمه بمقبض حديد وحط رقبته فى سلسلة بجنزير وخلص يديه ورجليه من الشرك وقال له ياأحول لا يصعب عليك فانك ياولدى ما وقعت فى يد من يفتخر بصيدك فأنا اسماعيل أبو السباع الذى ذكرى فى بنى اسماعيل قد شاع ثور على حيلك حتى أقدمك لملك الاسلام حتى تقتل كلب البيلدان الذى يفتخرون به الكفرة أولاد اللئام فبلغم ذلك السبع وبرك فى الارض ولم يعتن بكلام المقدم اسماعيل فصار يتخضع له فلم يقبل الا ويزوم ويبربر وصارت عيناه كالجمر الاحمر فقال له الفداوى الله يهديك قم فلم قم فهو كذلك إذا باثنين خيالين ورجل مقبلين بين الجبال فأتوا المقدم اسماعيل وبدأوه بالسلام فرد سلامهم فقالوا له يامقدم أى شىء صورة هذا السبع لما عصى عليك بعد قبضه بين يديك فقال ياجماعة والله لولا احتياج مولانا السلطان ما كنت أتيت اليه ولا كنت أتسبب فى صيده وإنما أنا فى صيده مغرور فقالوا له والله اعلم انه حر ولا يقبل المذلة قال نعم وأنا خايف أنه يغتاظ منى ويتنهد فيقتل نفسه ويروح تعبى بطال فعنده نزل اليه واحد منهم وتقدم اليه وهرش فى راسه ووضع فمه على أذنه اليمين وكلمه بكلام خفى وقام من جنبه وقال له قم توكل على رب العالمين فقام السبع على حيله طائعا مستطيعا فقال ذلك الرجل خذه يا مقدم وبعد ما تقضى به شغلك فان أراد الاقامة معك فهو يكون مثل اولادك وإن أراد الاقامة فى مسكنه فرده إلى مكانه فقال المقدم اسماعيل وهو كذلك وركب الثلاثة وساروا إلى حال سبيلهم واما المقدم اسماعيل فانه أمر الجزار أن يأتى بالجمل ويحمله الخيمة التى كانت مضروبة فحملها وسار الى الشام فدخل الديوان وقال للجزار أنت بقيت حر وخذ هذه خمسمائة دينار بشارة سلامتك ومسك السبع الاحول ففرح الرجل ودعا له وراح إلى حاله وأما المقدم اسماعيل فانه رتب للاحول كل يوم كل خروفا مستوى حتى يأنس به مدة ثلاثين يوما وهو يطعمه بيده ويسقيه ويمسح له بدنه ويسرح له شعره حتى ان

السبع الاحول زاد عما كان وانتقل من حال إلى حال وبعد ذلك ركب المقدم اسماعيل من الشام طالب البرارى والاكام أياما قلائل حتى وصل إلى الديار المصريه فى أمن وأمان ودخل فى يوم مشهود إلى قلعة الجبل فطلع إلى قدام السلطان ومعه السبع الأحول فقال السلطان لاى شىء عبت يامقدم اسماعيل فقال يامولانا لما اعانى الله على قبضه فقال له أنت قبضته فى اليوم الفلانى وأنا مررت عليك ومعى سعد وإبراهيم فقال اسماعيل أنت يا مولانا الذى نزلت وكلمته فقال السلطان نعم قال يادولتلى والله ماقام الا ببركتك فقال السلطان ونحن كان شاركنا كم فى الغنم فان سعد بقى كل يوم يأتينا بخروف منهم نأكله فقال المقدم اسماعيل هنيئا وعافية والله يا ملكنا لولا كلامك معه ما كان طاع ولا قام معى ولكن يا ملك الدولة أى شىء الجاك إلى المسير إلى ذلك فقال السلطان خفت من الإطالة أو انك ما تلاقى هذا السبع فتجى بلا شىء يبقى فيه خفض وحطه للاسلام فاخذت المقدم إبرهيم والمقدم سعد وتبعت اثرك على غابة ابن عليم ورايت الجزار معك فاقمنا فوق الجبل ننتظرك حتى أن الله تعالى مكنك من السبع وتركتك وجيت مطمئنا بقدومك ولما غبت بقيت مشغولا عليك والحمد لله الذى حضرت ثم أنه أمره بالجلوس فجلس وطلب كاسات شربات له فشرب ولما استقر به المقام قال له السلطان اطلب الذى معهم الكلب حتى ننظر الحال قال المقدم اسماعيل نعم يادولتلى فأمر السلطان باحضار صلبون بالكلب الذى معه حتى يتقاتل مع السبع الاحول وكل الناس ينظرونه فماكان الاشىء قليل حتى اقبلت الكفار ومعهم ذلك الكلب منقاد فى جنازير من الحديد فلما وصلوا به الى الديوان ونظر السبع الاحول اليه فنام فى الأرض ومد يده ورجليه فنظرت النصارى لفعله لما منهم الامن تقدم اليه واطلق ذلك الكلب من السلاسل وسلطوه عليه فكشر الكلب وعض على انيابه وزام وهجم على السبع الاحول بقوة واهتمام واراد أن يطبق عليه بانيابه وكان السبع نائما فالتقى هجمته بيده وكبش فى صدره ولحقه باليد الثانية فى ظهره ومسكه وتمطى فيه فقطعه نصفين ورمى نصفه شمالا ونصفه يمينا فصاحت عساكر الاسلام الله أكبر ونظر صلبون الى ما جرى والكلب نطعتين على اديم الثرى فطار منه عقله وتخبل فى نفسه ولطم على وجهه ورأسه حتى تعممت ادراسه فقال له السلطان لاى شىء فعلت ذلك ياملعون وصرت مثل المجنون فقال صلبون أنا فى عرضك يا ملك المسلمين انك تعتقنى من مكر جوان ومن أذية البب مغلوبين لانى اذا رحت اليه وقلت له أن ملك المسلمين احضر سبعا قدامى وقتل الكلب ما يصدق كلامى لما يعلم أن هذا الكلب اطلقه

مرارا عديدة على السباع وهو يفترسهم فى الخلا والبقاع وما نظرت عينه السبع الأحول ومع ذلك يكذبنى وأنا أطلب منك يا ملك المسلمين أنك ترسل معى هذا السبع فان عند الملك مغلوين كلابا أربعة أخوات ذلك الكلب فاذا قتل منهم واحدا قدامه يبقى يعلم ويصدق ولا يقول انى نافقت على كلبه وخليت المسلمين قتلوه فالتفت السلطان الى المقدم اسماعيل أبو السباع وقال له أى شىء قلت يا مقدم فى هذا الكلام فقال المقدم أروح يامولانا بلاد الكفرة اللئام حتى يعلو بذلك قدر الاسلام فمنده أراد السلطان أن يمده بالعساكر فقال ما يحتاج يادولتلى إلى ذلك ان هى الا قضاء حاجة وأعود والنصر من عند الملك المعبود فركب المقدم اسماعيل على ظهر حجرته وأمر الملعون صلبون ان يسافر فى صحبته ويكون السفر فى البر ويأخذ ما معه من أعوانه وبطارقته وسار يطوى الأراضى والوديان وينتقل من مكان إلى مكان حتى دخل على مدينة البرتقان ودخل صلبون وهو مقهور يدعو بالويل والثبور وعظائم الامور ولما وقف قدام البب مغلوين بكى وأخبره بما جرى وكان وان ملك المسلمين أحضر لنا سبعا أحول قتل كلبه البيلمان وقسمه نصفين فى وسط الديوان فقال له البب مغلوين ياصلبون أنت تقول ذلك الكلام من خوفك من ملك الاسلام فان كلبى ما قتل إلا بالحسام والا وأين السبع الذى يقدر يقتله فقال صلبون يا بب أنا كان حسبت هذا الحساب وطلبت من دين المسلمين مجىء السبع معى فانعم لى وأجاب وأتيت بالسبع بين يديك حتى تنظره بعينك فقال مغلوين ان كان كلامك صحيح فأنا أحضر له أخاه وانظر كيف يقتله فقال صلبون الذى يخاصمك افعله ولما دخل المقدم اسماعيل إلى عند البب مغلوين قام اليه وتلقاه وأكرم مثواه ونظر السبع الاحول منقادا على يديه فعلم أن هذا الذى قتل كلبه فقال له المقدم اسماعيل يامغلوين قم على حيلك وخذ منى كتاب أمير المؤمنين واعمل بما فيه والا خالف حتى تنظر ما يجرى عليك من سلب نعمتك وأخذ ما بين يديك فقام مغلوين وأخذ الكتاب وفرده وقرأه فوجد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله الملك العلى الأعلى ولعنة الله على من كذب وتولى من حضرة ملك الاسلام الملك الظاهر الى بين أيادى مغلوين ملك مدينة البرتقان ياملعون أى شىء هذا الامتحان لما عجزت عن الطعام والضراب ولم تبق لك قدره على القتال والحراب رجعت تتوسل بالكلاب وتقول ان الكلب يفترس سباع الغاب وها أنا أحضرت له سبعا من الخلا قتله وتظلم خادمك انك لم تصدقه فأرسلت لك السبع بصاحبه لأجل أن تعاينه وتحذر عواقبه فان كان عندك كلب ثانى فقدمه اليه حتى

يقتله بين يديك وأنت تشاهده بعينك وحالا سريعا أرسل جزية العام الماضى والعام المقبل وإلا وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم عددها من حبة ومثقال اركب عليك وأعرف قدرك وأخرب بلادك وأهلك عسكرك وأجنادك وها أنا أعلمتك والسيف أصدق أنباء من الكتب وحامل الاحرف كفاية كل خبر والحمد على الختم حجة والسلام على نبي ظللت على رأسه الغمام . فلما قرأ مغلوين الكتاب صعب عليه فقال المقدم اسماعيل ياغندار يبقى السبع هذا قتل كلبي سلوه قال المقدم اسماعيل نعم فقال البب مغلوين حتى أراه هاتوا ياغنداره دفوه اخوسلوه فأتوه بكلب له شعر على رقبته بصدر مثل صدر الثور وعيناه كأنهم أجاج الدم المهدور على رأى من قال

غابت على روض لقيت كلب يعلب كلب يحرس ثمانين نعجة فلمت ملا كلب
سألت من صاحبه كلك شديد القلب قال بلا غوش دا تربية الجوره
كلب بن كلب بن كلبة من سلالة كلب

فلما أقبل به نظر المقدم اسماعيل اليه والتفت إلى السبع وقال يا أحول دونك وهذا الكلب الثانى فصبر لما أطلقوه من جنازيره وسلطوه على السبع الاحول والمثال يقال

أين الثريا من الثرى وأين الثعالب من أسد الشرا

فلما تقرب الكلب وهو مكشر عن أنيابه فمد يده خطفه من عرقوبه وخبطه فى الارض أخاط عظمه فى لحمه وانظر البب مغلوين إلى فعاله فأمر باحضار كلبين أخوين فلما حضر الاثنان وأطلقوهما وعلى ذلك السبع سلطوهما فهمز عليهما وخطف احدهما وضرب به الثانى فلم يتحرك الاثنان وحان فيهما الحين فقال مغلوين هاتوا أمهم حتى تنظر أولادها وتشفى من هذا السبع فؤادها فأحضروا كلبة عاقرة ملعونة فنظرت إلى أولادها فصارت كأنها مجنونة فهجمت على السبع فمد يده وقبض على رأسها بيده ومسك صدرها بيده الثانية وتمطى عليها فخلع رقبتها وماتت لوقتها وساعتها فكان عنده كلب فاضل وهو أصغرهم فقالوا له نحضره يابب فقال مغلوين يكفى خلوه ينفعنا أولى من قطعهم كلهم فقال له المقدم اسماعيل حق طريقى خزنة مال وأحضر الملك الدواة جزية العام الماضى والعام المقبل حكم ما فى الكتاب فقال على الراس ياسيدى ثم انه أخلى له قصرا فى بستان من خارج البلد لان السبع لا يقبل الاقامة فى الجدار وأيضا رائحة السبع تنفر منها الخيل فنزل المقدم اسماعيل فى ذلك القصر ومعه السبع الاحول ورتب له البب مغلوين كلما يحتاج اليه من مأكول ومشروب حتى يجمع له المال حكم طلب السلطان وصار البب مغلوين يجمع الاموال مدة عشرين يوما

ولما كانَ يوم الواحد والعشرون تكامل المال فأراد مغلوين أن يحضر المقدم اسماعيل ويسلمه الأموال ويأمره بالارتحال وإذا بضجة فى البلد ارتفعت فسأل السبب مغلوين عن الخبر فقالوا له ان عالم ملة الروم قد حضر ففرح مغلوين بقدوم جوان واستبشر وقام اليه وهو فرحان جهدان واستقبله من أبعد مكان وقال له يا أبانا جوان أنت غبت عنى وقد وعدتنى أنك ترفع الخراج عن بلاد النصارى وأنا لما سمعت ذلك منك طاوعتك وأرسلت الكلب سلوه وقلت نبلغ به المقصود فما نابنا الا الخسران

وأما التدبير الذى دبرته ما نفع ولا شمع والكلب مات وامه وأخواته ماتوا أيضا فقال جوان من قال هذا الكلام فقال مغلوين أنا الذى قلته وأنت كلما تخمد النار تزيدها لهيبا وشرارا خربت بلاد النصارى وأوقعت فى بلادنا كل غارة المسيح يسحقك ويمسح الحجارة ماتوا العدة بالغدر قال البرتقش تفضل كلها يا أبا جوان فعند ذلك رمى جوانا ونقمه علقة يرحل اليها [illegible] قال له هالما جمعت المال [illegible] لربن المسلمين اطلع من بلادى يا لعين فقال له جوان يا ابنى هذا عيب عليك أولا ضربتنى ثانيا تدفع للمسلمين مالك ولم تجاهد فى دين المسيح وتحرم من نفسك [illegible] وتحرم النصارى معك فقال مغلوين وكيف العمل فقال جوان وأين السبع الذى قتل الكلاب فقال له فى قصر روض الرحاب فقال صفه احوله الاخشاب وعند الليل أقدروا فيه النار يحترق السبع وصاحبه وإذا سألك أحد عن سبب حرقهم فقل لا أعلم هو المقدم اسماعيل ولع النار ثم انبش السبع فى النار [illegible] عليها الهواء من كل الجهات فاحترق الفداوى و[illegible] كذلك السبع احترق [illegible] ولا [illegible] قتل الكلاب وينفذ من العذاب [illegible] مغلوين [illegible] ذلك [illegible] السبع وصاحبه من النار قال جوان وان [illegible] احضر لهم [illegible] من اليمين واليسار فاطلعوا من النار [illegible] الحسام البتار فقال [illegible] هذا امر كل ذلك كيف يكون الرأى [illegible] الملك [illegible] قال جوان [illegible] خائف قوى لا ينفذ من النار ومن [illegible] الدال هذا شىء [illegible] ولا يدخل عقلى أنت طاوعنى وان نفد اسماعيل والسبع من النار [illegible] العيب عند جوان ان غاب أو حضر . [illegible] الملك أمر السبب مغلوين [illegible] يخرجوا الى الجزيرة ويأتوا بالاحطاب الناشفة اليابسة ليلا ويرصوها حول القصر الذى فى روض الرحاب [illegible] من الكفار [illegible] ساعة أحاطوا حول القصر بالاخشاب مثل الاسوار فى الدائر [illegible] الخشب فوضعوا فى كل الاحيان [illegible] من [illegible] ولهبوها بالنار فلعب

الهواء باذن من على العرش استوى وزفرت الاخشاب وزادت النيران بالالتهاب وكان المقدم إسماعيل نائما ولم يعلم ماقضاه مسبب الاسباب وما تسطر فى أم الكتاب فما شعر إلا والسبع يزوم عليه حتى أيقظه من منامه ولما قام من المنام ونزل من على سرير النوم فوجد ذلك الشرار واللهيب والزفار فاحتار ولحقه الانبهار وقال ياحليم ياستار اللهم انى اسألك بحق سيدنا ابراهيم الخليل الذى نجيته من النار بقدرتك ياغفار أن تنقذنا من كيد هؤلاء الاشرار ياحليم ياستار انك على كل شىء قدير ثم انه التفت إلى السبع وقال له هلكنا ياأحول فاشار له السبع أن اركب على ظهرى ولا تخف وأنا أخلصك من النار والاتلاف فركب الفداوى على ظهر السبع ونظر السبع بعينيه يمينا ويسارا فرأى حيطة من جملة الحيطان هلكتها النيران واكفهرت وامتنع عنها الدخان وخلفها قريب من البستان فسرح السبع عليها بهمته وتمكن منها بوثبته وضربها بكفيه فوقعت قدامه فقفز فوقها وفى نزلتها ردمت الذى تحتها والسبع نزل فوقها فى وسط النار وقفز طالب القفار حتى طلع من بين الاشجار فنظر جوان الى الحيطة لما وقعت والسبع نزل فوقها فظن أن النار تلهمه فما شعر الا وهو خارج من النار والمقدم اسماعيل أبو السباع راكب على ظهره كالهزبر الشجاع وكان بعض لهيب أصاب السبع فى شعره فلم يعبأ به ولا عكره ولما نظر جوان الى المقدم اسماعيل قد خرج من النار وبجاه العزيز الغفار فصاح بملء رأسه دالى يا غنداره دالى ياأبناء الروم دالى يا أمة المسيح انصروا الكرستيان وكونوا من انصار المار حنا المعمدان فانفردت العساكر كانها البحار الزواخر واحتاطوا بالمقدم اسماعيل مثل مايحتاط السواد بالبياض أو النيل بالبلاد أو الخاتم بالاصبع أو السوار بالمعصم ونظر المقدم اسماعيل الى هذه الفعال فقال توكلت على الكريم ذو الجلال الله الكبير المتعال بعنها فى سبيل الله ياكلاب المشركين ان عشت أعيش سعيدا وان مت أموت شهيدا حسبى الله أكبر

أنا اسماعيل أدعى بالسباعى ... وفى يوم الوغا مدين باعى
أخوض الجمع صفا بعد صف ... واكشف فى لظى الهيجا قناعى
أهز الشاكرية وسط كفى ... يلوح لها ضياء مع شعاعى
وأضرب فى صدور الكفر ضربا ... يقد الظهر منهم والضلاعى
ورمحى كلما هزته كفى ... تلوى فى يدى لى الافاعى
ولى حجرة على الهيجا صبورة ... تعلمت الخصايل من طباعى
أجاهد فى سبيل الله حقا ... بقلب مؤمن لله داعى

ولا اخشى الجيوش ولا أبالى ولا يوم هالنى كرب النزاعى
فيلوا يا كلاب الكفر نحوى فعزمى ثابت عند القراعى
سأقطع منكم الهامات قطعا وتصبح فى دياركم النواعى
تعال يا وليدى عن يمينى فذلك فى نهار الحرب باعى
ولا تفزع إذا مال الاسادى يروموا لظى الهيجاء دفاعى
أنا إسماعيل بن جبر مسمى أخى معروف سلطان القلاعى

[قال الراوى] ولما هجم على الميدان ضرب بالشاكرية رأس فارس قتله وهجم أخذ جواده وركبه وترك السبع فى جانبه فصاح السبع الاحول صوتا سمعته الخيول فاقشعرت أبدانها وتخبلت فى ميدانها ولم يبق لها ثبات فى حربها ورمت من على ظهورها ركابها وتباعدت عن السبع كل الخيل ولم تبق ومالوا عنه كل الميل وانصبوا على المقدم إسماعيل مثل انصباب السيل وتلقاهم بقلب متعود خوض الحروب بالنهار وبالليل وصبر على الهول والويل وزحفت عليه الرجال والخيل ونظر السبع الاحول إلى ماجرى على صاحبه فخاف عليه من العدى أن تعجل عطبه فهمز عليهم وأخذ رجلا منهم ومسكه من رجليه وضرب به آخر فقتله وثانى جندله ومادام يضرب به حتى لم يبق فى يده إلا عراقيب رجليه فضرب بهما بطريقا قتله وهجم عليهم وخطف واحدا غيره فصار يضرب به حتى فنى به قالت رواة هذه السيرة العجيبة أن السبع الاحول قتل بنى آدم أكثر من ماقتل المقدم إسماعيل بالشاكرية فى تلك الامم لأن الخيل مالها جسارة تقبل عليه ولا تقبل بين يديه وأما الخيالة فانها تذل من صرخته وتهلك من عظيم هيبته ودام الأمر كذلك إلى آخر النهار هذا وجوان واقف ينظر إلى المقدم اسماعيل فرآه فارسا شديدا والوصول إلى قتله بعيد فنادى على النصارى ورمى القلنسوة فى الارض وصاح يا أولادى جاهدوا فى دين المسيح وكلما سمعت من الروم كلامه يحملوا على المقدم اسماعيل حملات هائلات ويزحفوا عليه زحفات متتابعات وهو يلقاهم بضربات قاطعات ويطعن فيهم طعنات نافذات حتى مضى النهار بضيائه وأقبل الليل بظلامه فاراد الروم أن يمتنعوا ويرتدوا عن الصدام عند ما أظلم الظلام فصاح عليهم جوان ونخاهم بالكلام ودام الحرب والصدام حتى أن المقدم اسماعيل كل ومل وضعف عزمه وقواه واضمحل فنظر إلى الاسد الاحول فوجده يصول ويجول ويهلك فى الكفار ويذهل منهم العقول ولا يبالى بكل ما يأتى له من الفحول وقد أخذ الميدان عرضا وطولا

فقال المقدم اسماعيل اسم الله عليك يا احول والله لقد أشفيت الغليل فملت معى

كل جميل وأرضيت بفضلك الملك الجليل هذا والحرب قائم على ساق وقدم وقد ذبحت الكفار ذبح البقر والغنم وامتلأت الارض بالرمم واندست القتلى بالحوافر والقدم وحكم الصارم المخدم وجار فى حكمه وظلم واسود الليل واظلم واغتم ودام الأمر على ذلك الحال حتى أذن الله تعالى لليل بالارتحال وأقبل النهار بضياء المتلال ونظر المقدم اسماعيل فرأى نفسه عدم وحل به الويل والعمى وتحسر على شربة من بارد الماء فرفع رأسه إلى السماء وسأل العلى الأعلى وقال هيه يارب

يامن يحل بذكره   عقد النوايب والشدايد
يا من اليه المشتكى   واليه أمر الخلق عايد
أنت المنزه يا بديع   الصنع عن ولد ووالد
أنت المعز لمن أطاعك   والمذل لكل جاحد
إنى دعوتك والهموم   جيوشها قلبي تطارد
كن راحمي فلقد أيست   من الاقارب والاباعد
مالى على هذا البلاء صبر   ولا لى من مساعد
يسر لنا فرجا قريبا   يا إلهى لا تباعد
ثم الصلاة على النبي وآله   ما خر للرحمن ساجد
والآل والصحب الذين   أولوا الاشاير والمناقد

فما تم المقدم اسماعيل أبو السباع كلامه ودعاءه حتى ظهر له من البر وغبار علا وثار وانكشف عن ملك الاسلام وقدامه بيرق لنبي المظلل بالغمام ومعه عساكر كأنهم البحار الزواخر يقدمها أبطال بنى اسماعيل من كل فارس نبيل فنظر البرتقش إلى ذلك فالتفت إلى جوان وقال له يا أبانا لقد ظهرت الأمارة وبانت الاشارة وأقبل ملك المسلمين ومعه السرافون والامراء [illegible] النصارى [illegible] أجى لك بالخسارة

فقال جوان اصبر [illegible] الرم [illegible] على [illegible] حتى تجرى [illegible] الارض وتعوم هذا ما جرى وكان السبب فى [illegible] ملك الاسلام [illegible] انه لما سافر المقدم اسماعيل أبو السباع والسبع لاحول [illegible] ملك البرتقان [illegible] ملك الاسلام اعلم أن سفر المقدم اسماعيل [illegible] من غير [illegible] ليس [illegible] فان ملك البرتقان [illegible] جوان [illegible] وكان لم [illegible] فى [illegible] عقيدة فى النصارى [illegible] المسلمين [illegible] الفريقين وارسال المقدم اسماعيل أبو السباع [illegible] والله صدقت يا دولتلى

والرأى الصواب عندى أن أركب على ملك البرتقان لأجل انه تعدى وجعل هذا الكلب مفتاح الامتحان وهو يقول لى فى كتابه ان لم يكن عندك سبع يقتل هذا الكلب ترفع عنا الجزية والخراج فقال المقدم ابراهيم والله يا ملك الدولة ان ركوبك على ملك البرتقان فيه صواب من وجوه عديدة أولها قطع لسان ذلك الملعون والثانى إذا كان المقدم اسماعيل فى تعب وغدر أدركناه وان كان فى حرب خلصناه وان كان قتل خربنا مملكة البرتقان وعرفنا هذا الملعون مقامه فان عنده جوانا يساعده فعنده أمر السلطان بتبريز العساكر إلى العادلية والسفر يكون بعد ثلاثة أيام فكان الأمر كذلك وتكامل العرض فى العادلية وفى اليوم الرابع ضرب مدفع الختم ومدفع التنبيه والتحميل وسافر السلطان بالعسكر يقطع الأرض والوديان حتى قرب من ملك البرتقان فقال السلطان ياسعد سر قدامى واكشف لى خبر المقدم اسماعيل أبو السباع وعن السبع الأحول فانفرد المقدم سعد وأشرف على مدينة مغلوين فرأى عروس المنايا شرعت عن ذراعها ومدت الفرسان الوغا طول باعها ورأى عساكر البرتقان محتاطين بالمقدم اسماعيل أبو السباع كما ذكرنا وهو يدافع عن نفسه ويمانع فعنده رجع المقدم سعد وأخبر السلطان فالتفت الملك للعساكر وقال هذا يوم الحملة ما هو يوم الاتكال ثم ان الملك غير جواده ولبس عدة حربه وجلاده وقفز إلى الميدان ونادى الله أكبر ولله الحمد :

أتيت إلى قوم لئام محاربا	بما أنهم جحدوا قول الكواذبا
فلا خير فى أهل الضلال جميعهم	لقد ضيعون الظن والظن خايبا
هلموا كلاب الكافرين لحاتى	سقيتكموا بالمرهفات الغراضبا
أنا الظاهر المنصور من تعرفونه	وبيبرس اسمى من أعالى المناقبا
وتحتى جواد أدهم اللون حالك	يكر على الميدان كر السحايبا
ولى عشر أرطال دمشقى محكم	يقد الطلا والبيض ما منه حاجبا
ولى نمشة من ابن حاكم ورثتها	مضمخة الجبين بالدم خاضبا
وقنطارية ابن أباديس قد ملكتها	لها من صدور المشركين مشاربا
وخدمت أبطال الحصون لرفعتى	سباع ضوارى للجهاد غوالبا
سلطانهم أنا شاكر له	بلغت لرفعته أعلى المراتبا
وصل إلهى بكرة وعشية	على المصطفى المبعوث من آل غالبا

وبعده زعق المقدم ابراهيم حسبى الله أكبر :

إذا أقبلت جمع اللئام الكواذبا	رجال علينا كل كلب محاربا

فانى ألاقيهم على ظهر حجرتى … بعزم شديد لا يخاف العواقبا
ولست أبالى إن تكاثر جمعهم … فانى بعون الله لا شك غالبا
أكر على الكفار كرات بازل … وأشبعهم ضربا بحد القواضبا
على حجرة منســوبة سخية … نهار الوغا تسل سل الأرانبا
أنا سبع حورانى الذى تعرفونه … وذكرى سرى فى شرقها والمغاربا
اسمى بابراهيم حوران مولدى … أبى حسن المرق لا على مراتبا
أنا خادم السلطان بيبرس طاقتى … وجهدى له حقا وظنا مواظبا
وصل وسلم ربنا كل ســاعة … على المصطفى من خاطب الوحش والظبا

ومن بعده هجم المقدم سعد بن دبل واقتحم القتال وصاح على الكفار وضرب بالحسام الفصال وأنشد وقال

إذا مالت جيوش الكفر ميلا … على الاسلام رجالا وخيلا
أجيهم فوق ظهر الارض ساعى … على الأقدام فى عزم وحيلا
وأضرب بالحسام ولا أبالى … وأمحقهم وأشبعهم عويلا
هلموا يا كلاب الكفر نحوى … فان كثيركم عندى قليلا
أنا سعد الذى فاق المعالى … بسعد صادق وثنا فضيلا
خدمت الظاهر المنصور حقا … بقلب صادق من غير ميلا
أجاهد فى سبيل جهدى … فان سبيله نعم السبيلا
وصلى الله ربى كل وقت … على المصطفى من أعطى التنزيلا

وتصايحت بعد ذلك عصبة الاسلام مثل المقدم حسن النسر بن عجبور وصوان بن الأفعى وجبل بن راس الشيخ مشهد ومن يجرى مجراهم من بنى إسماعيل وتصايحت الامراء والصناجق والوزراء وحملوا حملة صادقة وطحنوا بخيلهم فى الكفار وعمل الحسام البتار والرمح الخطار لا ترى إلا دماغ طائر ودماء فائر وجواد بصاحبه غاير تفرقعت المرائر كانت وقعة يالها من وقعة تجلى علنها الملك القادر القاهر ودام القتال بين الطائفتين وحال على الكفر الحين وزعق على رؤوسهم الغراب البين وانفرجت الغمة على المقدم إسماعيل أبو السباع نظر الكفار عنه تمنع والقتال بقى عنه بعيد فقعد على حيله وسال الدم من جميع بدنه رضربت عليه الجراح فسكر منها كما يسكر شارب الراح وكذلك السبع الاحورانى لما رأى المقدم إسماعيل قعد على حيله فقعد بجانبه احترازا عليه من الاعادى اللئام لان السباع عادتها حفظ الذمم وأما مغلوبن ملك البرتقان فأرأى عساكر الاسلام يبارق السلطان ضاقت حيلته وزاغت فى رأسه عيونه وزاد

جنوته فالتفت إلى جوان وقال له عملتها معي يا أبانا فقال جوان شد حيلك يا بب ولا تخف من المسلمين فانك عاديت بينهم وجاهرته بالعداوة وإذا تأخرت يبقى عيب عليك وينحط قدرك عند ملك الروم والصواب أنك تركب على ظهر حصانك وتقاتل لأجل أن تقاتل معك العساكر وإلا إن أهملت انهزمت النصارى ويأخذ بين المسلمين بلادك ويهلك عساكرك وأجنادك فلما سمع البب معلوبين من جوان هذا المقال صدقه وركب على ظهر الحصان وتبعه الكفار في الميدان ودام الأمر كذلك إلى آخر النهار هذا والمقدم إبراهيم يقاتل جنب أمير المؤمنين وسعد بين يديه يضرب في عصبة المشركين فحار من المقدم إبراهيم التفاته فرأى معلوبين خرج من تحت الشنيار وهو يسوق الكفار ويحرضهم على الحرب والقتال

فقال المقدم إبراهيم ياملك الدولة ان الملعون معلوبين خرج من تحت الشنيار وأنا مرادي أصدمه حتى أعرفه قدره فان ذلك العسكر ماينكسر إلا بقتله أو أسره

فقال السلطان أناله ولأمثاله فقال المقدم إبراهيم ياملك الدولة انت حصن للمؤمنين وإذا غبت من قدامهم تحطمهم الكفار وأما أنا يادولتلي كأحد المجاهدين ثم إن المقدم إبراهيم صاح على ما قدامه من الكفار وضرب بذي الحياة ضربا يقصر الأعمار وطلب البب معلوبين تحت الغبار فقاتله وحاربه وناصله وضاربه ومال عليه بكليته وصدمه بهمته وضايقه ولاصقه وبدعله طرقه وطرايقه [illegible] قام في ركابه وصاح فيه أذهله [illegible] على خناقه فخذله وتعلق في درعه وعصر عليها كاد أن يخرج مقل عينيه وأخرج رجله من ركابه ورفس حصانه في جنبه خسف أضلاعه وقطع نقاعه وبقى البب معلوبين في يد المقدم إبراهيم كالطفل الصغير في يد البطل النحرير وتخلص منه ولا أراد الخلاص فخبط المقدم إبراهيم في الأرض وصاح على الغلام سعد فشده كتاف وقوى منه السواعد والأطراف ونظر جوان إلى ذلك فاقن بحلول المهالك وصاح بهز الشعور فارت الروم أرواحها وعدمت صلاحها وهلك منها خلق لايحصى والبعض منهم طلب الجبال والبعض دخل البلاد والبعض دخل البساتين وسمع حافر [illegible] ان وكلا [illegible] ما بقى لهم على حرب الإسلام طاقة لاحج [illegible] لا استطاقة [illegible] وصاحت الروم الورك [illegible] من سيفك [illegible] نادى منادى [illegible] إلا لمن يرمى سلاحه [illegible] ق [illegible] لكن [illegible] الكفار ماله [illegible] الخسم [illegible] ذلك [illegible] يرق [illegible] يقموا [illegible] ينادى [illegible] الأرواح [illegible]

النصارى فصاح على البرتقش وقال يا سيف الروم الحارة فغاب البرتقش ساعة وعاد بالحارة فركب عليها جوان وطلب البرارى والوديان يتهاربوا على أى وجه كان فلما خرج من عرضى النصارى وبقى فى الخلا وإذا بهم يسمعون المنادى وقائل يقول يا برتقش اقبض على جوان وهاته وارجع إلى العرضى وإلا وحق رافع السماء إن جريت وراكم ولحقتكم فلا بد من سلخكم وكان هذا المتكلم المقدم جمال الدين شيحة فالتفت البرتقش إلى جوان وقال له سمعت يا أبانا بقى ارجع معى أحسن شيحة يسلخنى ثم أنه رجع بالحارة وساقها قدامه وجوان راكب عليها حتى أدخله إلى عرضى الاسلام ثم قال له انزل يا أبانا جوان فأنزله وكتفه وأوقفه حتى يحضر المقدم جمال الدين ويسلمه اليه وأما ملك الاسلام فانه ما زال يضرب بالحسام حتى ما بقى قدامه أحد فنزل على باب البلد وأمر العساكر بلم الخيل الشاردة من الخلا والعدد من على جسد القتلى وافتقد من قتل من عسكر الاسلام فكان نحو من مائتين انسان والجرحى تزيد على خمسمائة ولما جلس السلطان طلب المقدم اسماعيل أبو السباع فأحضروه بين يديه وهو فى غاية الآلام من كثرة الجراح الذى وقعت عليه من ضرب السيوف فى الحرب والصدام فأمر له السلطان بالحكيم فأقبل المقدم جمال الدين شيحة وهو سائق البرتقش والبرتقش حامل جوان فلما قدم به شيحة قام له السلطان وسلم عليه وقال له يا أخى قبل كل شىء انظر المقدم اسماعيل ابو السباع وما به من الجراح والاوجاع فقال شيحة لا تخف عليه والله ما قصر فيما عمل لأنه شفى الغليل وعمل فعلا يرضى الرب الجليل ثم انه تقدم اليه وأراد أن يشتغل فيه ليقطب جراحاته فقال يا حاج شيحة قبل ما تعمل معى شيئا انظر لك حيلة فى ولدى الاحول إن كان يمكنك وإن عجزت عنه فأنا ما أريد منك أن تطيب [illegible] يا حاج شيحة أحذنى [illegible] طوره حامض من حريق النار [illegible] معى فى [illegible] ليلتين ونهار فهذا صار له الجميل وكلما أفعله معه قليل فعند السلطان نعم والله انك صادق يا مقدم اسماعيل لأنه شرف قدر دولة الاسلام [illegible] دولة الكفرة اللئام فقال شيحة وما كان عرفت ذلك يا ملك الاسلام ثم [illegible] ذلك [illegible] الاحول [illegible] حتى [illegible] وبعد ذلك صار يجمع جراحه ويقطبها بالابرة والمرود حتى ترك بدنه مثل [illegible] وبعده أعطاه [illegible] ق [illegible] سمينا مسلوقا فأكله وأ[illegible] إلى قفصه [illegible] المقدم اسماعيل يا حاج شيحة ما رأيت الاحول طاب انا بقيت طيبا بلا تعب ولا عذاب فتقدم المقدم جمال الدين وقطب له جرحه فطاب وبدى صلاحه

وفرح به السلطان وزادت أفراحه فقال السلطان يامقدم اسماعيل ماالخبر فقال المقدم اسماعيل ياملك الدولة ليس الخبر كالعيان أنا أتيت من عندك إلى هذا الكافر حكم الشرط الذى جرى مع الملعون صلبرن فلما حضرت جاء بكلابه الذى عنده متقاتلوا مع السبع الاحول ففعل بهم مافعل وقتلهم وكذلك أمهم وبعد ذلك أعطيته كتابك فوضعه على رأسه ثم أجاب بالسمع والطاعة وقال لى أمهلنى حتى أجمع الاموال وأخلنى فى قصر فى البستان فأقمت به أياما إلى ليلة من الليالى نمت أنا والسبع الاحول وإذا به يفيقنى من النوم فرأيت النار اشتعلت من أربعة اركان المكان ولم أعلم لاى شىء هذه الفعال فلما رأى ولدى الاحول ذلك أشار لى فركبته ونفدنى من النار فرأيت هذه الجموع الذين مسكوا جميع الطرق ويرمونا بالمصائب والبليات فلازمت يادولتلى عن نفسى وذلك الاحول صار يقاتل معى ويساعدنى حتى اشرفت عساكر الاسلام وأدركتنى بسيفك المسنون وجوادك الميمون وأنا فى رب وهذه قصتى فقال السلطان أين البب مغلوين قال إبراهيم هاتوا مغلوين باسعد فغاب سعد وأتى به وهو مصفد فى الحديد والورد النضيد فلما نظر اليه السلطان قال له هكذا شرط الملوك الغدر من بعد الامان والخيانة مقابلة الاحسان ماهذا الفعال الذى مايفعلوها إلا الجهال ياهل ترى ظننت انك بذلك تبلغ الارب وينجح لك الطلب فقال البب مغلوين ياملك الاسلام أنا كنت مقيما على الهدنة ولا أخالف ولا أعصى قط ولا على بالى حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال فلا شعرت إلا وقد أتانى عالم الملة جوان وأغرانى على هذه الفتنة أولا قال لى إن هذا الكلب لا يوجد سبع يغلبه فتحايل به على ملك المسلمين فانه إذا لم يجد سبعا يغلبه نطلب منه منع الخراج عن النصارى فأنا ظننت أنها نصيحة نطاوعته وبعدما جاءنا سيدى اسماعيل أحضرت له الكلاب فقتلهم وبعد قتلهم أعطانى كتاب زين المسلمين فوضعته على رأسى وصرت اجمع له الاموال فأقبل جوان وأغرانى على الخيانة فطاوعته ياملك المسلمين وهذه قصتى فقال له جوان بعنى يامغلوين انت بب كبير ويعنى جوان غضب عليك حتى انك خفت لا يقتلك إذا كنت قلت له لا أحارب ولا أضارب كان جوان يعمل فيك ايه مالك عقل تميز به بين الطيب والردى تعمل أعمالك ولما تقع فى المحذور تتهم جوان لما تخاف من المنتار وجوان مابقى معك فى الحديد فقال السلطان اقطع رأسه يامقدم إبراهيم فقال البب مغلوين يازين المسلمين نعم انى أستحق القتل ولكن هل لك أن تعفو عنى وأدفع لك كلفة ركبتك ودية الذين قتلوا من عسكرك وأدفع لك جزية العام الماضى والعام المقبل وأدفع للذى أسرنى نصف خزنة وأتوب ياملك الدولة عن العصيان وإن حصل منى بعد ذلك اختلاف يكون سيفك ياملك أولى فقال الملك ك رجل منافق فقال المقدم إبراهيم ياملك الدولة ملوك الروم جميعهم مثل المراكب

فى بحرك وأنت لهم خصم منيع فاجعل هذا مغلوبين من جملة من عصى عليك ورجع فطاع فقال المقدم اسماعيل يا ملك الدولة حيث أنه ذل بين يديك نكانا نشفع فيه قال الملك يا مقدم اسماعيل هذا كان قاصدا قتلك فقال يا ملك الدولة لو اجتمعت انا واياه فى الميدان كنت قسمته بالشا كرية نصفين ولكنه لما ذل بين يديك وصار مثل الحرمة فيجب عليك العفو وايضا لكون انه له بنت متزوجة بالملك عرنوس ابن اخى فلأجل ذلك نرجو من مولانا السماح فقال الملك احضر يا ملعون الاموال فقال جوان احضر الاموال والله ما كان غرضك الا المنتار فالتفت السلطان الى جوان وقال له جوان قال جوان نعم مال جوان كم بلاد فتحتوها على يد جوان كم أموال نهبتوها على يد جوان كم أولاد ادعيتم أنهم أولادكم وأخذتموهم على يد جوان كم بنات جمالات من بنات ملوك الروم كل بنت تأخذونها تعملونها جناقات وتفتحوا بين سيقانها طاقات وتولد لكم قلاليين يركبون الخيل ويقاتلون النصارى ويقولون الله أكبر هذا كله من أفعال جوان ولا تقرون له بجميل وجوان دائما عندكم مثل الشعير مأكول ومذموم وهذا جوان وقع فى ايدك انظر ماذا تعمل فى جوان فقال السلطان كاش قال جوان كاس ما هى فينا قال يا ملك الاسلام جوان لم يمت الا مقطع على عربه بعد عمر طويل والساعة الامل بعيد فان كنت تعمل معروفا تعتقه فى هذه النوبة وتبقى جميلة والا أضربه علقة وخلى جوانا يطلع يدور لكم على داهية غير التى مضت فقال شيحة آه يا ملعون ثم انه قام عل حيله وكشف صدر جوان ومسك السوط الغضبان ومال عليه حتى مزق جلد صدره وظهره وبعدها قال هات البرتقش يا ابراهيم فتقدم المقدم ابراهيم بالبرتقش فقال البرتقش أنا فى عرضك يا أبو خليل فى جيبى عقد جوهر بالف دينار خذه منى هدية واعتقنى من هذه القضية فتقدم ابراهيم ووضع يده فى جيب البرتقش فأخذ العقد وقال يا حاج شيحة البرتقش رجل خدام عند جوان فلأجل خاطرى ابقيه بلا ضرب واضرب علقته للشيخ جوان فانه على كل حال خدامه ولا ذنب له فقال شيحة لاجل خاطرك نعتقه يا أبو خليل ونضرب علقته لجوان ثم ضرب جوان علقة البرتقش وحمله له فاخذه وسار

[يا سادة] وكان الملك الظاهر منزعجا بالغضب من فعال هذا الملعون وكان قصده قطع رأسه فتقدم المقدم جمال الدين اليه بعد ان علم قصده وقال له يا مولانا السلطان كل شىء له اوان فصبرك على هذا الملعون حتى يأتى اوان قتله لا دعوة مولانا الملك الصالح جازت فيه رجل المقدم جمال الدين يحدث الملك الظاهر ويقول له يا ملك نحن سمعنا ن الكتب والروايات الصحيحة من فعل ابليس اللعين ما يشبه فعل هذا الملعون فقد

روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ وهو يحدثنا ونحدثه واذا بمناد من قبل الباب ينادى ويقول يا أهل هذا المنزل المبارك افتحوا لى باب ولكم الحاجة فقال رسول الله ﷺ اتدرون من هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال هذا هو ابليس اللعين

فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أتأمرنى يارسول الله ان اخرج اليه فاقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اماعلمت يا عمر انه من المنظرين فلو قتل لم يبق على وجه الارض من يعصى الله طرفة عين وتصير الناس كلهم طائعين لله ولكن افتحوا له الباب فانه مأمور بالمجىء الينا فعند ذلك قام انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ففتح له الباب فاذا هو رجل أعور العين اليمنى وفى لحيته سبع شعرات تشبه شعر الفرس وعيناه مشقوقتان على طول رأسه ووجهه ورأسه كرأس البعير وشفتاه كشفة الثور ومنخراه مفتوحتان كأنهما قرنا حجام فقال السلام عليكم يا أهل النبوة ومعدن الرسالة فلم يرد عليه أحد منا السلام فقال ابليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم يامحمد السلام لله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كما تقول ياملعون يعنى السلام لله وأنت عدو الله ورسوله وعدو لنفسك فلأى شىء جئت الينا اليوم ياملعون فقال ابليس لعنة الله يامحمد أنت معصوم منى ماقربت منك قط فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما تقول فى هؤلاء أصحابى فقال أبو بكر ما كان يطيعنى فى الجاهلية فكيف يطيعنى وهو فى الاسلام واما عمر فانى شارد منه أينما لقيته واما عثمان فانى استحى منه كما استحيت منه ملائكة السماء واما على فليتنى اسلم من رأسه برمحه واما سائر أصحابك فقد فأزوا بالنظر لوجهك والصلاة معك ورأى ... تركتهم حيث علمت سريرتهم ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اذن تصدق فيما تقول ياملعون ثم قال ابليس يامحمد ماجئت الا مضطرا اذ أتانى ملك وقال لى ان الله سبحانه وتعالى يأمرك ان تذهب الى محمد وتنصحه فى كل شىء سالك عنه والا هدمت ركنك وجعلتك رمادا فلذلك جئتك فان كنت اتكلم فى مجلسك بغير النصيحة فالله يحرقنى ويجعلنى رمادا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى انظرك الى يوم القيامة تقول لى من أبغض الخلق فقال يامحمد أنت أبغض الخلق الى لانك حين طهرت ابغضت الخلق الى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فرحا شديدا وتبسم وقال أبغض الناس الى ابليس احبهم الى الله سبحانه وتعالى ثم قال ... تبغضه بعدى ياملعون قال أصحابك ثم قال فمن تبغضه من بعدهم

فقال الشاب التائب الذى يجدد توبته كل يوم ثم قال ومن تبغضه قال السلطان اذا اعدل

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ذلك ياملعون قال لأن عدل يوم واحد يعدل عبادة سبعين سنة ثم قال فمن تبغضه من بعد هذا قال فقير صابر ثم قال وما غاية صبره فقال هو الذى لا يشكو صبره لأحد إلا بعد ثلاثة أيام ثم قال فمن تبغضه من بعد هذا قال غنى شاكر ثم قال وما غاية شكره قال يجمع المال من الحلال وينفقه فى الحلال ثم قال فمن تبغضه بعد هذا قال عالم ورع ثم قال وما غاية ورعه قال قلة الكلام فيما لا يعنيه وغض بصره عن محارم الله سبحانه وتعالى يامحمد لولا العلماء فى أمتك لصاروا فى الجاهلية لأنهم يعقلونهم ويردونهم عن الأمور المنكرات فانهم يتبعونهم فيما يردونهم به ثم قال فمن أبغض الناس اليك من بعدهم قال الرجل المداوم على الطهارة ثم قال ولم ذلك ياملعون قال لانتظاره الصلاة لأنه مادام على طهارة فهو محافظ على الصلاة فى أدائها فى أوقاتها فيغضبنى ذلك غضبا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا جاء وقت الصلاة اجتمعت أمتى فى المسجد وقاموا مع إمامهم إلى الصلاة فى وقتها فكيف يكون حالك ياملعون؟ فقال إذا سمعتهم يقرأون القرآن أذوب كما يذوب الرصاص إذا دخل النار فاذا جاء زمن الحج وزيارة بيته الحرام فكيف يكون ياملعون فقال أكون مقيدا حتى يرجعوا ثم قال فاذا جاء شهر رمضان وصاموه إيمانا واحتسابا فكيف يكون حالك ياملعون فقال أكون ملجما بلجام ثقيل حتى يفطروا ثم قال فاذا جاء وقت الزكاة ودفعوا صدقات أموالهم فكيف يكون حالك يا ملعون فقال فكأنما يأخذ المتصدق المنشار فيضعه على رأسى فيشقنى نصفين فيرى النصف الأول فى السعير ويرى النصف الآخر فى الجحيم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ذلك يا ملعون فقال يامحمد لأن الصدقة فيها خمس خصال: الخصلة الأولى يبارك الله تعالى فى ماله والخصلة الثانية يستجاب له دعاؤه والخصلة الثالثة يبارك الله سبحانه وتعالى له فى عمره والخصلة الرابعة يدفع الله سبحانه وتعالى عنه سبعين بابا من البلاء والخصلة الخامسة يجعل الله سبحانه وتعالى بينه وبين النار حجابا والناس يحشرون يوم القيامة فى ظل صدقاتهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ونصاحته وكيف أنه يعلم كل ذلك وليس له صنعة غير إغراء الناس فيما يوقعهم فى الهلاك ويضحك عليهم فيما بعد ولكن هذا أمر لا يعلمه إلا الله لأن له فى خلقه شؤون وهذا اللعين جوان يامالك مثل إبليس لأنه يعلم أن أهل الاسلام فائزون ويطمع فى هلاكهم ولكن تدبيره يبدله الله لنا بالاصلاح حتى يجىء الميعاد فهذا ما كان منهم .

تم الجزء السادس والعشرون ويليه الجزء السابع والعشرون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء السابع والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] وقعد عندنا يتحسب معه فقال جواز جزاك الله خيرا أخذت اللهو الخفى فقال شيحة وهو كذلك فرمى جوانا ثانيا وضربه على أكتافه وأجنابه حتى غيب صوابه وقال خذه يا برتقش فأخذه البرتقش وقام القيام يقع كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[وأما] ما كان من ملك الاسلام فانه أمر البب مغلوين أن يحضر كلفة الركبة فقال يا ملك الاسلام أنا بلدى انتهبت ادخل معى داخل البلد أقدم بين يديك الموجود فى خزائنى والذى أعجز عليه يكون فى ضمانى على سيدى المقدم جمال الدين شيحة فقال السلطان وهو كذلك فقام السلطان بالعسكر ودخل مدينة البرتقال فاستولى كلفة الركبة وديات الذين قتلوا وخراج العام الماضى ونصف خراج العام المستقبل والنصف الثانى تقرر عليه بضمانة المقدم جمال الدين شيحة وبعد ذلك حلفه شيحة على ايمان دين النصارى أنه ما بقى يغدر ولا يخون وأخذ عليه العهود والمواثيق وبعد ذلك قال السلطان ما بقى لنا إلا الرحيل إلى بلاد الاسلام ثم انه قسم الغنيمة التى أخذت من مال مدينة البرتقال فى الحرب فكان شيء كثير ففرقها السلطان بمعرفته ومعرفة المقدم جمال الدين على المغازيين بعدما أعطى قسما وافرا للمقدم إسماعيل أبو السباع وأعطاه نصف خزانة حق طريقه الذى كان عليها الشرط أول سفرته بالسبع الاحول إلى ملك البرتقال وبعدما أخذ كل ذى حق حقه أمر الملك بتعبية أموال الخراج وكلفة الركبة فى الصناديق والتحميل ففعلوا ما أمرهم به الملك وأمر الملك بقضاء أشغال كل من له أشغال وبعد وبعد ثلاثة أيام يكون السفر

وبعد الثلاثة أيام أمر الملك بالرحيل وشال العرضى عن مملكة البرتقال وطلب البرارى والوديان وما زال سائرا أياما بعد أيام يقطع الربى والآكام حتى وصل الى

العادلية فارسل بطارقة إلى مصر زينت بغير مناداة لقدوم السلطان ولما كان ثانى الأيام أراد السلطان أن يركب فى الموكب مثل عادته فتقدم المقدم اسماعيل إلى بين أياديه وتمنى فقال الملك مالك يامقدم فقال يادولتلى أريدمن فضلك واحسانك أن تنعم لى بان أركب فى طائفة من بنى اسماعيل وحدى وادخل بموكب إلى قلعة الجبل والسبع الاحول قدامى فقال الملك وهو كذلك أنا أدخل مصر فى موكبى هذا النهار وأنت فى غداة غد ثم ان السلطان ركب فى الموكب وسارت قدامه أرباب دولته وركبت جميع الامراء من عادته الركوب ركب ومن عادته المشى مشى وسار السلطان كلما ينتقل قدام يزعقوا سعاة الركاب أكثروا من الصلاة على العربى محمد وطلبت البنات من خباهم والشيوخ خلواتهم يتفرجون على موكب أمير المؤمنين

ولما وصل إلى قلعة الجبل وضربت له المدافع على حسب العادة وأطلق كل من كان فى السجن وأبطل المظالم والمكوس والغبن ونادى المنادى بحفظ الرعية وقلة الأذية هذا ما جرى للسلطان

[وأما] ماكان من اسماعيل أبو السباع فانه فى ثانى الأيام اصطنع جلا من الحرير الاصفر والأحمر والأخضر والأسود وألبسه للسبع الاحول ووضع فى عنقه طوقا من الذهب الأحمر وقلده بقلادة من الجوهر وعقد موكبا بعشرين مقدم من بنى اسماعيل ومن جملتهم المقدم ابراهيم والمقدم سعد وجعل السبع الاحول أول الموكب وسلمه إلى عشرة من الكواخى وأمرهم أن يتحفظوا عليه وركب المقدم اسماعيل خلف السبع الاحول بعدما رتب الموكب وصار الموكب منعقدا وطلعت أولاد البلد يتفرجون على السبع الاحول وموكبه فى البلد أعجب ما وقع واغرب ما اتفق من أحوال الدهر وعجائبه :

لما ظهر شبحة الجبل   على رجاله كتب حجج
وبعد ما طاعت الرجال   ظهر فداوى من اللجج

مقدم على الخير يتقدم بحرام منهدم معه الابرة والمرهم لتقطيب الجرح المعظم فداوى للأسد يقارى كم مسجد تقاوى صدر من صدور بنى اسماعيل الفلك الأخضر اسمه المقدم نجم الدين الغيرر وهو من الابطال والرجال الذين تعودوا قوض الاهوال وكان هذا الفداوى غائبا فى اللجج من مدة ما غاب المقدم معروف بن جمر إلى هذه الايام ثقل ظهره بالمال وشكت اليه رجاله من الغربة وفرقة الاهل والعيال

فسافر بهم من بلاد الروم وقطع الطرقات والرسوم حتى دخل إلى قلعته فسلموا عليه أحبابه ورفقته وتلقته رجاله المقيمون فى القلعة وهنوه بالسلامة والرجعة

وفى ثانى الأيام دخل الحمام وحلق رأسه وسوى لحيته وابرم شنابته وأطلع سلاحه فتفرج عليه ومسك المرآة ونظر إلى صورته ونظر أيضا إلى الرنك الذى عمله المقدم جمال الدين فى القلاع ومن جملتها قلعة

فقال لرجاله يا رجال من أمركم بهذه الذواقات وهذه الاشارات والنقش هذا لأى شيء وضيعتم أموالى فى الفارغ البطال

فقالوا له ياخوند مالك محفوظ ولا عدم منه ولا درهم واحد وأما هذا الذى تراه فان الذى فعله سلطان القلاع والحصون من ماله هو ولا لزمك منه شيء

فقال هو المقدم معروف ظهر

قالوا له نعم ظهر وبعد ظهوره أقام سنوات وبعدها مات وخلف صبيا اسمه الملك عرنوس وهو ابن الملكة مريم التى كانت غربته وفوات مملكته وهى كان ماتت فى باب انطاكية الذى هو باب حلب وكان لهم يوم مشهود وظهرت له كرامات معلومات أحمى باب حلب فى حياته وبعد مماته فقال المقدم نجم الدين الغيور وهذا الوقت ابنه سلطان على القلاع والحصون ومقيم بحصن صهيون فقالوا له لا يا خوند ابنه ملك على مدينة الرخام من يد ملك الاسلام فقال ومن ملك الاسلام فقالوا له الظاهر الذى كان مملوك الملك الصالح أيوب

فقال يستاهل لانه والله شجاع وقرم مناع ومن هو سلطان على القلاع والحصون وصاحب حصن صهيون فقالوا له حصن صهيون مافيه أحد إلا المقدم جمال الدين علقم ابن أخت المقدم معروف وهو كاحد القلاع

وأما الذى سلطان على جميع القلاع والحصون المقدم جمال الدين شيحة فسأل عن شيحة فاخبروه بحيله ومناصفه وما فعل فى الرجال الذين عصوا عليه وكيف اطاعوه قهرا عنهم وهو الآن ملك جميع القلاع وانه ماهو من بنى اسماعيل ولا أدرعى وإنما هو من عرب قطية وقطية واخذ السلطنة بالحيل . حكوا له على كل ما جرى فتعجب من ذلك وقال لهم هذا شيحة معزول والذى لم يرض بعزلته دعورت فرعته

فقالوا له ياخوند ونحن ماذ بنا تعزله توليه اتصل أنت وإياه فقال لهم من يجمعنى به وأين التقيه فقالوا له والله ياخوند هذا حبت ماذكر حضر وان أردت أن تقابله اده عليه فانه مقيم السلطنة دائما فى الطور فعند ذلك قال لا بدلى أن أكشف أخباره فقالوا له اعلم أن المقدم اسماعيل

أبو السباع اخبرونا عنه أنه فى ذلك الرتقال عند البب مقلوبين والملك الظاهر لحقه هنالك بالعسكر ولابد ان يكون المقدم جمال الدين هناك معه فقال لابد لى ان أروح إلى مصر والفرج على مافيها وانظر هذه الافعال وماجرى فيها ثم انه توجه الى مصر وحكم دخوله يوم دخول السلطان بالموكب فحصلت له هيبة من المملكة مبالغة واقام يومه وبات ليلته فى خان من الخانات ولما كان ثانى الايام سأل عن منزل المقدم جمال الدين وهل هو حاضر أوغائب فاعلمه الناس بأنه فى هذا النهار يكون فى موكب السبع الاحول فقعد على باب المتولى حتى يتفرج على الموكب مثل المتفرجين وكان السبع الاحول يكره كل شىء يراه احمر واللباس الذى على المقدم نجم الدين الغيور كله من الجوخ الاحمر فلما أقبل أول الموكب أتى له رجل شاويش وقال له قم يافداوى من الطريق أحسن السبع يهورك فقال لهم كيف اقوم يافررن وأنا أكثر عساى من لحومهم ماهوعيب على أمرقوا لايرحم الله أباكم ولاباالسبع معكم فقالوا له اذالم تقبل النصيحة دونك واياه ثم تقدموا بالسبع الاحول فلمانظر السبع الاحول الى المقدم نجم الدين الغيور وهو جالس فى الطريق وملبوسه أحمر هدر السبع وزمجر وزعق زعقة كأنها الرعد القاصف وهم على الفداوى ان يفترسه بهمته فجاوبه الفداوى بزعقة اشد عن زعقته وتلاقاه عند وثبته وجذب شاكريته وضربه فى وسط جبهته فرافق السلاح بحدته والسبع وهمته والفداوى وشدته فما خرج السلاح الامن آخر حنكه فوقع السبع شطرين وبقى على الارض فلقتين وقال له ياقط البركالك اعجبك هديرك أوظننت أنى أختشى من شخيرك ثم انه خط بالشاكرية فى الارض من اليمين الى اليسار وقال يابنى اسماعيل والاسم الاعظم كل من تبعنى وعدا من على هذا الخط اقطع رأسه ولفت بوجهه وسار الى جهة اليمين فنظر المقدم اسماعيل والفداوية فعاله فقال المقدم اسماعيل اتركوه لا أحدا يقرب هذا نجم الدين الغيور ابن عمها على كل حال ظهر من اللجج يريدأن يأخذ له فخرا بقتله هذا الاحوال ولكن سوف يرى من شيحة مايكفيه فقال نجم الدين هذا كلامك وأنت ابن المقدم جمر سلطان القلاع وصانع الك موكبا لشيل من أولاد السباع فلاشك أن عقلك ضاع وأخذه منك شيحة ثم انه سار كاذكرنا ومازال سائرا حتى وصل الى خط عابدين ودخل الى قهوة وسأل على بيت المقدم جمال الدين فارشدوه عليه فراح اليه فعرفه وتأمل بالنهار وعرف من أين يكون الدخول اليه وصبر حتى نامت كل عين يقظانة وأتى الى المكان الذى عاهده فى النهار ورمى مفرده ودق السكك وأطنب الرباحات وتعلق حتى بقى فى أعلى

مكان ونظر الى تحت فوجد شيحة فوق سرير من الخشب الابنوس وهو نائم على حلو قفاه ولم يعلم بما أتاه فوقف على رأسه وقال ياقران الذى مثلك يجعل نفسه سلطانا ينام هذا النوم وماتعلم ان خلفك مثل نجم الدين الغيور ولكن أنت فى هذه الفعال معذور لكون الاولاد الجهال طاوعوك ولاعصوا عليك ولاخالفوك واذا ما أريد تنازعنى ولاانازعك وساعة أحسن من هذه لم تكن ثم انه جذب الشاكرية فسطعت ولمعت وضرب شيحة على وريديه زاح رأسه عن كتفيه وقال له الله لا يرحمك ياقران ان قدر ما عملت حيلا ومناصف على الرجال وهذا آخر عمرك وتركه ومسك الاكرة وتعلق وهم ان يطلع فانقطع السرياق ونزل المقدم نجم الدين فما شعر الا وهو فى شبكة من البولاد حزمته من كل أعضائه يديه ورجليه ورأسه حتى ضاقت انفاسه وكلما تحرك تضيق عليه حتى عصرته عصر الغسيل فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أما وقعه زى الطين ياليتنى ماقتلت شيحة واذا صحوا أهل المكان ورأوا شيحة مقتولا لايودونى الى السلطان وكل من رآنى يشمت بى ولا أحد من الرجال الاصار عدوى

وبينما هو يهدس فى هذا الكلام واذا به سمع القائل يقول ولموا ياأولاد النار فان المصيدة وقع فيها فار ثم ان المقدم جمال الدين تقدم الى الفداوى وقال له أنت المصيدة يامقدم انت من ومن الذى أوقعك وجئت من أين فقال المقدم نجم الدين كالك ماتعرفنى ومن الذى أوقعنى فى الشبكة أنت من فقال أنا الفقير الى الله جمال الدين شيحة فقال والذى قتلته انا فقال له هى قطعة ضربتها من جهلك كسرتها وربنا يخلص منك ذنبها ونحن استرحنا من تعب كسرها فاننا محتاجون لها للطابخ وكسرتها اما كبر الله خيرك فقال له مليح تبقى تخلصنى فقال له وهو كذلك فتقدم له ولعب فى لوالب الشبكة فطبق يديه على بعضها ومسح وجهه بمنديل فبنجه ووضعه فى محل وتركه ونزل يقع له كلام وأعجب ما تم ان المقدم اسماعيل ابو السباع لما رأى ابن السبع الاحول قتل طلع الى القلعة وحكى للسلطان على ماتعمل نجم الدين الغيور وقال يادوادارى أنا خشيت الفتنة وهذا ما ضرب السبع الا قصد العيب معنا والا تحتاج فانا يا دوادارى رأيته الشرر طالع من عينيه وأنا أعرف أنه جبار فقلت للرجال هذا ابن عمنا على كل حال لاجل خاطر عدم القتال ولكن والله يا دوادارى انه عسر على موت السبع الاحول فقال السلطان ما علينا ما دام المقدم جمال الدين سلطان كل ساعة نسمع أخبارا وجنانا ثم ان السلطان أخذ بخاطر المقدم اسماعيل

وأقام فى مصر ثلاثة أيام واستأذن من السلطان وطلب مدينة الرخام ومادام حتى وصل اليها فرأى الملك عرنوسا غائبا فسأل عنه فقيل له انه طلب ملك البرتقال بسبب انه جاءه تابع من أتباع المقدم موسى بن حسن القصاص واعلمه بما جرى لك عند مغلوين فحلف انه لابد أن يلحقك وأخذ نصير النمر وأتباعه وسافر له مدة أيام وكان الملك عرنوس لما بلغه ما جرى على عمه فما هان عليه فركب فى جماعة من عسكره ومن جملتهم المقدم نصير النمر وسار حتى دخل البرتقان فرأى مغلوينا فى أشد الضنك والضيق مما حصل له من السلطان فطلع اليه وتلقاه واعتذر له مما فعل وقال له يادبابرو ان زوجتك من زمان ماانظرتك ولا انظرتها وهى مشتاقة اليك فعندها طلع الملك عرنوس السراية وكان يعرفها من صغره فتلته الملكة شموس بنت البب مغلوين وأخذته لحضنها وحنت أعضاؤها وجوارحها إلى رؤيته وأحضرت له الطعام والمدام وباسطته ونادمته وأقام عندها أياما حتى أقبل المقدم اسماعيل أبو السباع واجتمع على مغلوين وسلموا على بعض

فقال الملك عرنوس لمغلوين والله يابب مغلوين لو حصل فى عمى أدنى خلل ما كان يهون على أن أخلى جزائر البرتقان عمارا ولكن كان الذى كان

وبعد ذلك أراد الملك عرنوس السفر إلى مدينة الرخام ووصى البب مغلوين على زوجته لانها أسلمت على يد الملك عرنوس ويأتى منها غلام اسمه الملك قطلونج المصفح فى كلام مريم الحقه إذا وصلنا اليه نحكى عليه الماشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة والسلام عليه وأما الملك عرنوس أخذ عمه المقدم اسماعيل ونصير النمر وتوجه إلى مدينة الرخام فى امن وأمان

اسمع ما جرى للسلطان فانه يوم من الايام قاعد فى الديوان فضاق صدره فقام ولبس زى درويش عجمى وفعل كذلك ابراهيم وسعد ونزل يشق البلد فرأى قبالة المرستان رجلا خواجة راكبا على بغلة وماسكا فى خناق رجل فقير

فقال له السلطان يا شيخ ما ذنب هذا الذى أنت ماسكه

فقال الخواجة هذا رجل سمسار وأنا تاجر فأخذ منى بضائع للبيع والشراء وأعطانى وأخذ وما زال مدة إلى ان تأخر فى مبلغ جسيم وغاب عنى زمانا ما رأيته إلا فى هذا الآن فلما لقيته فى هذه النوبة قبضت عليه وهاأنا أطالب حقى منه

فقال الملك ما قدر الذى عليه فقال فى الدفتر حسابه ففتح الدفتر وقال الذى بقى عليه نصف دينار فاعطاه الملك دينارا فاخذه الفقير وقال لاء

شيء تأخذه وأنا أحق به منك فقال الفقير هذا الدرويش أعطاه لى ثوابا وأنت المطلوب لك نصفه

فلما أقضى منه حاجتى أبق أعطيك حقك فقال المقدم اسماعيل صدق الرجل فيما قال فاعطاه الملك دينارا ثانيا فخطفه الرجل الفقير والثالث والرابع وهكذا إلى أن أخذ من السلطان خمسين دينارا والفقير يأخذها ولم يعط التاجر شيئا فعند ذلك قال الملك التاجر ياشيخ اطلقه يروح إلى حال سبيله والذى لك أنا أعطيه لك فقال يا سيدى الدرويش وانا لاجل خاطرك سامحته ولكن أريد منك يامولانا أن تجبر بخاطرى وتسير معى إلى منزلى تأكل ضيافتى فان الله يحب جبر الخواطر فقال السلطان ياشيخ نحن ناس دراويش وشغلنا السياحة فقال لهم ومن جملة سياحتكم السير معى فقال الملك سيروا بنا فانا أضيافك فساروا معه حتى وصلوا إلى الحبيبية فنظر السلطان إلى بيت كبير بباب واسع فدخل السلطان وإبراهيم وسعد والخواجة حتى عبروا فى وسط قاعة مفروشة من خاص الابسطة القطيفة وفيها اسرة من الخشب القمارى مصفح بالفضة والذهب ومماليك روم واقفون فى الخدمة فقال المقدم ابراهيم انظر يا سعد المعرص قدر ما عنده من الأموال ويهتك الرجل على نصف دينار فقال سعد نحن ضيوف والا مفتشين وبعده جلس الملك وأمر الاثنين بالجلوس فجلسا وغاب صاحب البيت وأتاهم بالخبز وفيه سبعة أطباق حلواوالخبز فيه سبعة طيور محشية باللوز والفستق والخبز الثالث فيه خروف مستوى وقال بسم الله يا أسيادى فاكلوا لكن زاغت زاغت عيونهم فى ذلك المكان ومافيه من اختلاف الألوان هذا وصاحب الدار يترحب بهم حتى أكلوا وهو يحييهم على الطعامات وبعده أحضر لهم الشراب وتركهم فى حديثهم وطلع إلى خارج القاعة وبعد ذلك أقبل المقدم جمال الدين عليهم وقال السلام عليكم فقال السلطان أهلا وسهلا وهم أن يقوم فقال المقدم جمال الدين يا مولانا والقيام لاى شيء ما فيه نفع ولا ضرا ما يجب على كل راع ان يسأل عن رعيته قال الملك نعم فقال شيحة وانت ما سألت عنى مع انى فى هذه الليلة طلع على رجل فداوى قطع راسى وانا نائم فقال السلطان وها هى راسك صحيحة على جثتك

فقال نعم كان عندى راس قديمة فوضعتها محل التى انقطعت فقال السلطان ماهذا الكلام انا ما سمعت ان الذى تقطع راسه يلبس غيرها واين الراس التى انقطعت فقال هاهى معى فى الجربندية ثم انه وضع يده تحت باطه فاطلع مخلا وفيها راس مثل راس شيحة بالسواء فتعجب السلطان وقال يا اخى من فعل هذه الفعال

فقال رجل يقال له نجم الدين الغيور دخل على وأنا فى مكانى فرآنى نائما فقطع راسى وأراد أن يطالع فوقع فى المصيدة الحديد وها هو هناك قوموا حتى افرجكم عليه فانه والله فارس جبار من الجبابرة ولكنه ما أعلم ان كان جاهلا أو عاقلا فقال السلطان يا أخى هذا أمس قتل السبع الأحول قدام باب المتولى واين هو يا أخى فقال قم حتى أفرجكم عليه فقال الملك بل هاته إلى الديوان روح يا إبراهيم هاته فراح إبراهيم وسعد وأقبلوا على بيت شيحة فوجدوا المقدم نجم الدين مبنجا فوضعوه على كديش من الخيل وساروا به إلى قدام السلطان فتقدم المقدم جمال الدين وأيقظه ففتح عينيه وقال اشهد ولا اجحد بدين محمد فى أى مكان أنا فقال إبراهيم يا مقدم نجم الدين احصى تغلط فانك بين أيادى اثنين ملوك أحدهما مولانا ملك الاسلام والثانى الحاج شيحة ملح الطعام فقال نجم الدين ولأى شىء بدك منى ياملك الدولة

فقال الملك لاى شىء قتلت السبع الأحول فقال أنا قتلته فداء عنك يادولتلى لأنى كنت قاعدا على قتلك انت

فقال السلطان ولم ذلك فقال له لكونك أعطيت سلطنة القلاع والحصون لشيحة فقال السلطان وها أنت قتلت شيحة وبعدما قتلته قبض عليك وأتى بك إلى عندى بقى منك اصطفل انت وإياه فقال شيحة ما قولك فى الاطاعة يامقدم نجم الدين فقال له أنا ما أطيع مثلك يا شوحة أنا ما أنا من الذين ينطاع بالكلام فقال شيحة احبسوه وأنا فى غداة غد أعرفه مقامه فرفعوه إلى السجن وجلس المقدم جمال الدين يتحدث مع السلطان إلى آخر النهار وانصرف إلى مكانه وثانى الايام اقبل وطلب المقدم نجم الدين الغيور فطلع السجانة وعرفوا أن الفداوى الذى انحبس البارحة صبحنا ندور عليه فما وجدناه بل ان السجن خالى منه فقال شيحة بخاطره أنا أعرف الذى خلصه وكان الذى خلصه اثنان اتباع من أتباعه جاء ينظر أجرته احدهما يسمى المقدم سند والثانى المقدم راشد فلما دخلوا الديوان كان دخولهم وشيحة مقدمه السلطان ونظروه لما انحبس فصبرا إلى الليل ودخلوا عليه وفكوه وأخذوه فقال لهما أنا لا أرجع إلى قلعتى حتى أتخلص من شيحة روحا أنتما وأجعلا بالكما من القلعة فتوجها إلى حال سبيلهما وأما المقدم نجم الدين فانه مشى حتى أقبل إلى محل السمرة والبلستان فالتقاه رجل نصرانى يقال له نقولا الخمار فقال له يافداوى انت نجم الدين الغيور قال نعم فقال له أنا أرسلنى اليك ابن عمك المقدم منصور العقاب وهذه مكاتبة بخطه فاخذها وقرأها وإذا فيها من منصور العقاب إلى المقدم نجم الدين الغيور

أول السؤال ماذا ان على الذى جرى بينك وبين الحاج شيحة فأقدر أمنعه عنك ولا يهون على أن أراه يسلخك وهذا رجل جبار لا يفرك انه قصير والله لو اجتمع مثله أربعة لخربوا الدنيا ولكن هذا نقولا الخمار عميلي تاخذ منه كل ما تحتاج اليه من أموال واقعد عنده فى بيته مدة إقامتك بمصر وإن أردت الرجوع إلى قلعتك فلا مانع فقال المقدم نجم الدين وأين أنت محلك فقال له ياسيدى قريب فى حارة الروم فسار معه إلى بيته فاحضر له كل ما يحتاج وكان هذا الملعون صحيح انه عميل المقدم منصور العقاب ولما أحضروا السجانين قدام السلطان وأعلموه فقال شيحة أنا أعرف الذى خلصه ونزل من قلب الديوان يقتفى أثره هذا ما جرى .

[وأما] المقدم نجم الدين الغيور فانه أقام عند المعلم نقولا ثلاثة أيام وهو لا يخرج من بيته إلى يوم من الأيام طلع نقولا الخمار ليشترى جانب زبيب يخرجه خمرا فالتقاه واحد تابع من أتباع المقدم منصور قال له يا نقولا اعلم الفداوى الذى عندك ان يأخذ الحذر لأن شيحة علم انه عندك ومرامه أن يدخل عليه يقبضه من عندك فقال له نقولا أنا ما أخاف عليه وشيحة ما يعلم بيتى ولا عمره دخله فقال له ها أنا حذرتك والسلام وكان هذا التابع هو المقدم جمال الدين ولما تكلم مع نقولا الخمار كان قصده ان يستجسه فلما صح عنده ذلك صبر إلى ثانى الايام وطلع إلى الديوان وقال يا ملك الدولة ارسل المقدم ابراهيم والمقدم سعد يأتوا بالمقدم نجم الدين الغيور من منزل نقولا الخمار بحارة الروم فقال ابراهيم ان كان هناك انا أجىء به فقال شيحة انى جئت من عنده وإنما دوح قل له كلم السلطان من غير جلبية فان جاء طائعا لا بأس وان عدى على السلطان أنا أجىء به فنزل المقدم ابراهيم وأخذ معه المقدم سعد ونزلوا الى بيت نقولا وقالوا له تفضل كلم ملك الاسلام فقام معهما وسار الى الديوان فوجد شيحة فلم يقل لا سلام ولا كلام وقال يا ملك الدولة على اى شىء أرسلت تطلبنى فقال له الذى طالع ملك القلاعين وهو يريدك أن تطيعه وتكون من أتباعه فقال يا دولتلى اعلم ان المقدم معروف ما أخذ السلطنة الا بالامر على زنده سبعة عشر مقدم رؤس سبعة عشر فرقة الفداوية وهذا ما أمر أحدا ويقال انه أخذها بالحيل والالاعيب فانا أريد العب معه سبعة ملاعيب ان غلبنى أطعته وان غلبته آخذ [illegible] وأحد [illegible] احسن منه

قال شيحة خذ [illegible] سبع [illegible] حتى [illegible] ولا [illegible]
[illegible]

فعند ذلك نزل المقدم جمال الدين الغيور وركب على حجرته وسافر إلى قلعته ولما دخل القلعة قال لرجاله لا أحد منكم يقيم فى القلعة حتى يجىء شيحة والعب أنا معه فانه يتغير ويبقى بينكم ويتشكل على إذا كان فيكم فخرج كل من فى القلعة ولم يبق إلا أبوه فقط ووقف على باب القلعة ونادى بأعلى صوته وقال ياشيحة ما أنا فى قلعتى فان كانت لك مقدرة على أنك تلعب معى فدونك وماتريد والاسم الأعظم إذا وقعت فى يدى لا أكلمك بسره أبدا ولا تصلك منى أذية مادمت فى قلعتى فما تم جوابه حتى أقبل من البر رجل تاجر وهو راكب على بغلة ويتبعه ثلاثة أولاد ومعهم ثلاثة جمال وعليهم أحمال فاقبلوا إلى قدام باب القلعة ووقف ذلك الخواجه وأمر بتبريك الجمال فاراد الجمالة أن يبركوا الجمال فقال المقدم نجم الدين الغيور يا شيخ بالاسم الأعظم ما أنت شيحة وهؤلاء أولادك فقال له صدقت يامقدم فقال له خذهم وحل ماجئت روح هذا واحد السبعة فساق شيحة البغلة ومشى إلى حال سبيله وتبعته الجمال وأما المقدم نجم الدين فانه دخل قلعته وسار إلى أبيه فقال يا أبى شيحة جاءنى فى صورة تاجر وعرفت حيلته

فقال له يا ولدى توق شره الله يهديك إلى طريق الخير فقال له انت كان بأبى بالاسم الاعظم ما أنت شيحة فقال نعم فقال له روح إلى حال سبيلك فانا ماشرطى إلا عدم الغدر فقام شيحة فقال وأين أبى فقال عندك ادخل الفداوى فوجد أباه نائما فأيقظه وحكى له ما وقع بينه وبين شيحة فقال له أبوه ياولدى الله ينصرك عليه وكان رجل مقيم فى القلعة اسمه محمود الخاتانى عادته المداخلة مع ارباب المتاجر لانه يعطى للتجار أموالا بالارباح وسائر ماله فى القلعة فاتى فى هذه النوبة وفتح وكان معه أقمشة وأموال لأجل البيع فدخل على المقدم نجم الدين الغيور وقال له ياخوند أنا معى أقمشة وأموال غزيرة واريد منك أن تكون لى شريكا وأنت لك الأموال وأنا لى القماش فقال له لا أريد مالك ولا أريد أن تقيم عندى بل اطلع من قلعتى انت شيحة وهذا ولدك السابق ولولا انى حلفت ما أغدرك والا كنت قتلتك اطلع من قلعتى

فطلع من بين يديه ثم انه تفكر وعاد إلى القلعة فى صفة كيخية أم حسن الملتقى فعرفه وقال له ياشيحة هذه ثلاث مرات وانا اعرفك فلا تطمع انى مثل من لاعبك من الرجال امض إلى حال سبيلك

فطلع شيحة محتارا وأما المقدم نجم الدين الغيور فانه دخل إلى مكانه ووصل إلى حريمه واتى إلى بنت عمه فتغير شيحة فى صفتها فطلب أن يجامعها فاعترى

شيحة الخجل فقال له يا فداوى أنا هو شيحة فقال له ياشيحة وهذا الرابع ولكن ما هـــذه الملاعيب يا هل ترى بهذا تفتخر على الرجال وتقول إنك عملت نفسك حرمة من اجل أنك تقبضنى وأطيعك فقال له المقدم جمال الدين المناصف يكون فيها مثل هذا وغيره ولكن أنا ما يخلصنى انزل على السلطنة بالساحل وانت لم تطع الخدوندلى بالساحل فالمراد أنى الاعبك مصفا واحدا وهو الذى يقطع القول بينى وبينك ويكون قدام السلطان ان أنت غلبتنى فيه بقى ترك على السلطنة وأنا معزول وإن أنا غلبتك فيه يا تطيع كرما يا تطيع كظما فقال المقدم نجم الدين إن كان على هذا الشرط سر قدامى وانتظرنى فى مصر فسار المقدم جمال الدين وهو يتعجب من نجم الدين الغيور ومن فهمه وإدراكه حتى وصل إلى الديوان فلحقه المقدم نجم الدين الغيور قدام السلطان فحكى له نجم الدين الغيور ان شيحة ماأمكنه ان يقبض على فى قلعتى ولا أن يفترس فى ملاعبى فبأى شىء يستحق أن أطيعه فالتفت السلطان إلى شيحة وقال له ما تقول فقال شيحة ياملك الاسلام انت تعرف أن المناصب غالية ولا يقدر أن يسلم منصبه إلا بعد تعب وأنا أريد هذا الفداوى أن يلاعبنى منصبا برانى فقال السلطان أطلب المطلوب الذى تريده فقال شيحة كل من سافر وراح إلى جزائر الشفق وجاءنا بالقارورة الى فيها الفص الجوهر من قصر الكهين الاسود يكون سلطانا على القلاع والحصون والذى يرجع خائبا يكون له تابعا فقال له المقدم نجم الدين أنا ارسل حرمتى تجىء ثم انه تعاهد هو وشيحة قدام السلطان على انه يسافر الأول وشيحة حلف انه لا يسافر إلا بعدة بثلاثة أيام وسافر المقدم نجم الدين طالبا الجزائر يقع له كلام

(وأما) السلطان فانه لما اختلى باله فى آخر النهار اخذ المقدم جمال الدين شيحة ودخل معه إلى قاعة الجلوس وأكلا مع بعضهما وبعده سأل السلطان المقدم جمال الدين عن هذا الفص الجوهر وما أصله فقال اعلم يا ملك الزمان انه كان فى قديم الزمان كهين اسمه الاسود وهو فى جزائر الشفق وفى يوم نزلت عليه الجان المحرقة فعلم أن هذه الدنيا فيها تعب وراحة وشقاوات وسعادات فضرب زايرجته فرأى أناسا تموت وتفنى ويتوالد امم بعد أمم

فقال أريد أفعل شيئا يكون ذكرى به على طول المدى فعمل سبع جزائر بين الجزيرة والجزيرة سفر يوم وجعل فيها سبع قلاع وجعل فى القلعة الوسطانية قصرا من ذهب بأربع لواوين وكل ليوان فيه عسكر وجوار وكلما يحتاج اليه وعمل للقصر أربعة أبواب بسلالم كل سلم فيه ثمانية وستون ملك غير ملوك القصر وعمل حول

القصر أربعة بساتين فيها جميع الأزهار والأثمار من فضة وذهب وعمل له سرير في صدر الديوان يجلس في رأسه قدرة من ذهب فيها كوكب يتوقد في الليل والنهار وجعل في القلاع السبعة ملوكا وعسكرا كل قلعة لها ملك وعساكرهم لا تعد ولا تحصى وحول القلاع الجزائر وحول الجزائر البحر المالح فان كان نجم الدين الغيور يسلم من البحر لم يسلم من الجزائر وإن سلم من الجزائر لم يسلم من مهالك القصر إن سلم من مهالك القصر لم يعرف الصعود إلى رأس الملك ويأخذ القدرة الذهب وإن أخذها كيف يخلص من السبع ملوك بعساكرهم إلا ان كان يطير بأجنحة حتى ينفذ من بينهم وقيل يرموه بالنبال والله يا ملك الاسلام انه قليل إن كان يبقى أن يعود إلى الشام أو إلى بلاد الاسلام فلما سمع الملك الظاهر هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا وقال يامقدم جمال الدين هذا حرام عليك إذا أرسلت واحدا مثل هذا المقدم في مهلك ويروح فيه غلط فقال يا مولانا السلطان هذا يريد أن يأخذ مني السلطنة وأنا تعبت عليها فكيف انزل عنها لهذا أو لغيره .

فقال السلطان والله في تلفه عيب كبير وأما إذا هلك هذا الفداوي بسبب ذلك يبقى عيب علينا لأنه على كل حال مسافر من طرفنا فقال شيحة يا ملك الاسلام ان شاء ربي مدبر الكائنات الحقة في ذلك المكان ويعود اليك وهو في أمان ثم ان المقدم جمال الدين سافر طالبا جزائر الشفق وأما نجم الدين الغيور فانه سافر ثلاثة أيام وهو يقطع البراري والاكام وفي اليوم الرابع دخل في قلب دير فالتقى فيه بترك اختيار فلما رآه أكرمه وباسطه في الكلام وقال له أنت سائر إلى أين فحكى له على ما اتفق بينه وبين شيحة على أخذ السلطنة وكيف أنه قاصد جزائر الشفق ليأتي بالكوكب الدري

فقال يا ولدي أنت لم تكن لك خبرة بالجزائر وإذا أنت رحت وحدك في أرض مجهولة لم تبلغ المقصود وإنما الرأي عندي أنك تأخذ لك رفيقا قبل الطريق فانا كان كان لي في هذه الجزائر دير وأنا مقيم فيه فقاموا علي وأخذوا ديري مني وبقيت لي أيام اتمنى أن التقى لي من يساعدني وأنا اجيء له بالفص الجوهر واجعله لي سندا على طول المدى لأنها مهالك متعبة ولكن أنا أخاف إن رحت معك تكون خائنا وإن كنت خائنا يقابلك المسيح على خيانتك فقال له المقدم نجم الدين يا بترك إن أنت ساعدتني وأخذت هذا الفص الجوهر وأصير سلطان القلاع والحصون وأعزل شيحة أرتب لك جامكية عندي تاكل منها طول عمرك وتبقى محبتك عندي

مالها نظير فعندها قام البترك وأحضر له الطعام وأكل هو واياه بالسوية وبعده قعد يتسايرمعه وقام من عنده وجعل انه أراد النوم فاضطجع الفداوى للنوم فارمى على وجهه منديلا القى النوم على النوم وشيحة فى وسط الدير وأيقظه ففتح عينيه فرأى روحه مشبوحا والبترك بيده سيف وهو يهدده فقال له يا بترك ما عملت معى كذا فقال له لأنك مسلم ودخلت الدير بنجاسة ولا بقى يطهر الدير الادمك قل كلمتك التى يقولها أهل الاسلام وخلينى أقتلك فصاح نجم الدين الغيور أنت أدركنى ياسلطان القلاع أينما تكون فقال له ومن أعلمك بذلك فقال له اعلم أنه يحضر عند مايذكر فقال له هو أنا لكن أحسب هذا أول ملعوب وأطلقه وقال له سافر من على يمينك فان المسافة عليك بعيدة فطلع المقدم نجم الدين وسافر سبعة أيام فاضربه العطش بينما هو سائر فى الطريق فرأى صومعة وفيهاراهب يتعبد فنظر اليه واذا بجانبه راوية ملآنه من الماء والراهب قاعد وبيده سكين وقدامه جدى غزال سمين وهو يقول ان ذبحته فلا أقدر آكله واذا ماذبحته ماعندى غيره فقال المقدم نجم الدين الغيور يامعلم هل عندك ماء تسقينى فقال له ادخل واشرب فقال لهأخاف منك فقال له ان كنت خائفا منى بخاطرك فقال يبقى لك عندى ملعوبين واسقنى وان غديتنى من هذا الغزال يبقى لك عندى ثلاثة فقال له ادخل كل واشرب ومالكمايسرخاطرك فقال له وأنا يا حاج شيحة طائعك وانما أريد ان تحادينى ولا تفضحنى بين الرجال فقال له مرحبابك يا بطل الزمان فقعد وأكل وشرب وبعدما أكل وشرب فتح له من وسط الصومعة طابقا وقال له انزل من هذا المكان تطلع من جانب الجزيرة الاولى فقال ياحاج شيحة أخاف من المهالك فقال له توكل على الله

فنزل الفداوى وطلع من تحت الجبل الى أول قلعة فصار يدور حولها ثلاثة أيام فلما أعياه الدخول اليها نادى يامقدم جمال الدين فلما أتى اليه قال له من أين يكون الدخول الى هذه القلعة فقال له أى شىء قصدك بالدخول سافر لما تعود وأنت راجع يبقى الدخول قدامك كثير فسافر الفداوى ولم يدخل القلعة الى القلعة الثانية واذا هى على شاطىء البحر بينهما وبين الثلاثة ولم يجد له محلا يسير منه الا القلعة فبقى واقف محتار واذا بمناد يقول اقرأ الذى على العامود فتأمل فرأى عامودا رخام مكتوبا عليه كتابة جديدة بخط عربى فصيح يانجم الدين اتكئ على الباب فاقدامك من يعيقك فضرب الباب وانفتح فرأى قلعة واسعة بناه نكروه ولم يعلم أين يروح فصاح ياحاج شيحة يكفى ماجرى وانا طائعك وهذا الرابع تقدم أو فى الطريق فلما نادى ثم من

أين أمشي فقال له الطريق قدامك سر واطلع من الباب الذى على البحر فسار الفداوى حتى وصل إلى باب البحر فرآه مفتوحا ومكتوبا على بابه هذا السادس فطلع ورأى بحرا ولم يجد شيء يعد عليه وإذا بحجر ارتفع والمقدم جمال الدين طالع منه فقال له انزل يامقدم نجم الدين فنزل ورأى سردابا فسار خلف المقدم جمال الدين طول ذلك اليوم والليلة فما طلعا معا إلا من وسط القلعة أو وسط القلاع الذى فيها الكوكب المطلوب فقال له يامقدم البحر هاأنت عديته وبقيت من داخل القلعة ولم يعلم بذلك أحد فدونك وما تريد فسار الفداوى حتى وصل إلى باب القصر فرآه مقفولا ولم يجد أحدا فقال مال حاله انفرج فلم ير شيئا فصاح ياحاج شيحة أنا سألتك بالله لم تفارقنى فاقبل وقال له يامقدم نجم الدين أنا محتار أنت غلبان فقال نعم خلصنى فدار شيحة لينظر فرأى على الباب قفلا حديدا فأطلع المغناطيس وفتحه ودور الباب فرأى خلف الباب طابقا فنزل شيحة وهو يحبس الأرض حتى طلع من وسط القلعة الرابعة وسار فرأى البحر حائلا بينهما وبين الخامسة فراح المقدم جمال الدين وجاء بشيء من الخشب وركبه على بعضه فوق وجه البحر صفة الفلك ونزلوا فيه للقلعة الخامسة وطلع فتقدم شيحة وفتح له بابها وأخرجه من الباب الثانى للقلعة السادسة وأدخله من مغارة أخرجه من وسطها ونزل معه فى جب عميق وأطلعه فى وسط القلعة السابعة ونزل من وسطها فوجد نهرا جارى فيه الاثنان فرأوا شرطية من الصباح فنزل شيحة وتبعه نجم الدين فاقاما فى ذلك المكان يومين وليلتين حتى بان لهما النور فلم يفيقا إلا وهما فى وسط القصر ثم قال المقدم جمال الدين اورنى بق يا نجم الدين كيف تأخذ القدرة بالفص الجوهر هذا عذرك انقضى وهاهى قدام عينك دونك وإياه ثم انه غطس ما بان فالتفت الفداوى فلم يجد له خبرا

فقال يا شيحة ذلك يا شيحة فطل عليه من السوريتوك وقال له أنعم من يارجل عمال تقول يا شيحة يا شيحة فقال له تعال لما اسألك فقال شيحة ادخل وكلمنى فقال له وهن أين أدخل فقال له من ذلك الطابق ونزل منه فما شعر إلا وهو بين ثلاثة ألواح من الحديد والسقف انطاق عليه

فقال أى شيء هذه الوقعة التى أوقعنى فيها هذا الملعون أنت فى أى مكان ياسلطان القلوع والحصون وإذا بالمقدم جمال الدين نزل عليه وقال له وقعت يافداوى فقال له ياحاج شيحة خلصنى فخلصه وفتح له باب القصر وقال هذا القصر مفتوح ولم يكن لك عائق وهذه القدرة وتعلق المقدم جمال الدين فى السقف بصرافته فاخذ القدرة

ونزل وقال له فرجنى يامقدم جمال الدين كيف تخاص بها وتنفذ إلى بلاد الاسلام

فقال يا شيحة ما أنا ملكتها ومن الذى بقى يقدر أن يأخذها ثم إن شيحة تركه وقال له سافر

فقال له دلنى على الطريق فحرك لوليا على يمينه ونزل من طابق ومن ورائه المقدم نجم الدين وماداموا سائرين حتى طلعا من خارج القلعة فقال له ماانت ملكت رشدك فرجنى بقى فقال اخرجنى أول من هذا البحر فغاب وأتى له الفلك الذى كان اصطنعه له أولا ونزله فيه حتى طلعا على البر

فقال المقدم نجم الدين ياحاج شيحة أنا ما بقيت أنسى جميلك الذى فعلته معى فكيف تفارقنى إنى طائع لك وهذا سلاحى أكتب عليه كما تريد ولا تفارقنى حتى أعود إلى بلاد الاسلام فقال له يا بطل الزمان أنا إذا سرت بصحبتك فلربما أن الطريق فيها مشقة وأما إذا كنت وحدك فانا أحاديك وإذا وقعت فى محذور تنده على آتيك وأخلصك من كل ما يضرك فقال نجم الدين صدقت فسار نجم الدين الغيور وهو فرحان طالبا بلاد الاسلام فاحتاج إلى أكل فقال فى باله قدام ألقى مدينة فبينما هو كذلك إذ لقى صومعة فطلع اليها فوجد صاحبها نائما وفيها قفة ففتحها وإذا فيها خبز وزبيب وتمر فأكل وانقلب وكان هذا الملعون كمينا من جزائر الشفق فلما فاق على نفسه وعلم أن الكوكب أخذه المسلمون سافر حتى وصل إلى هذا المكان وعمل هذه الصومعة القبض عليه وكان اسمه الكاهن كركيس ولما جرى ذلك وبقى نجم الدين مبنج اجتهد أن يحمله على دواب ويعود به إلى الجزائر فهو كذلك وإذا بنبل وقع فى عينيه نفذ من قفاه والضارب له المقدم جمال الدين وقدم على الفداوى وفيقه وقال له يا فداوى أى شىء أرماك فأخبره أنه كان جيعانا فقال له اذا جعت أنا أطعمك حتى تروح الى بلاد الاسلام ثم تركه وسافر نجم الدين فاقبل على نهر ولم يجد طريقا فصاح أنت أين يا سلطان القلاعين واذا بمركب صغيرة أقبلت من البر الثانى فقال له يا معلم عدينى

فقال له هات عشرة دوقاته فقال أعطيك وأضمر أنه يقتله بعد أن يعدى ولما نزل الى وسط البحر طلب الأجرة وقال ما أسير لك الى البر الا بعد ما تعطينى الأجرة فعند ذلك فزع عليه الفداوى فطلب البحر وتركه فى المركب وحده فصاح انت فين ياسلطان الحصون فنزل له من البر يعوم ووصل الى المركب وطلع الى عنده وطلب منه السرياق وربطه فى المركب ونزل وربطه فى البر وصار يشد حتى جاء به الى البر فسافر فرأى مشقة الجوع فصاح على شيحة فأتاه بالطعام والماء وطلب منه شيئا يركب عليه

فاتاه بحجرة من أفخر الخيول وقال له يا نجم الدين هذه القدرة بالفص الجوهر معك
وبلاد الاسلام بقيت قريبة فادخل على السلطان ولا تجعل أنك رأيتنى وإن كان يسألك
السلطان اطلب منه حجة بالسلطنة وها أنا فعلت باصلى مع أنه والله مامنعنى من أذيتك
إلا الملك الظاهر وانت يا نجم الدين إذا وصلت إلى بنى إسماعيل من غير الذى سافرت
فى طلبه يبقى حطة و نقص مقام لك

فقال له شكر الله فضلك يا حاج شيحة ثم ودعه وسافر الى مصر وطلع الى قلعة
الجبل وقبل الأرض قدام السلطان وقدم القدرة وفيها ذلك الفص الجوهر فنظرته
الرجال والأمراء فامر له السلطان بالجلوس وطلب له شربات فشرب وساله السلطان
عن سفرة فاعلمه أن الله ساعده حتى بلغ مايامله وأتى بالقدرة وما بقيت أريد الاسلطنة
القلاع والحصون فقال له السلطان تستاهل ولكن حتى يحضر المقدم جمال الدين
أو يأتى منه خبر فبينما هم كذلك وإذا بالطبول تقرع فدخل المقدم جمال الدين
فاراد السلطان أن يقوم اليه فقال له شيحة لا تقم يا ملك الاسلام ثم التفت الى
نجم الدين وقال سلامات يا مقدم نجم الدين فقال له نجم الدين السلام ماهو بالحنك
السلام يكون بالاحضان وقام على حيله فضم شيحة الى صدره وقبله فى عارضه وأجلسه
فى مرتبته وقال اشهدوا يا رجال إنى أنا مملوك فى الرق للحاج شيحة وهى طاعة الخوند
اليه حتى تعوم الجبال فى البحار والاسم الاعظم وهذه شوا كرى اكتب عليها اسمك
فاخذ شيحة سلاحه وكتب اسمه عليه مثل غيره

فقال السلطان هذا الفص الجوهر لا يصلح الا ان يتعلق على قبر الرسول وامر
بحفظه فى الخزنة حتى يريد السلطان كل من طلب الحج وسافر السلطان الى مكة لحج
وبعده طلب زيارة قبر الرسول وسافر من مكة الى جبال الصفرة واذا بشرار وثار
ورجم بالاحجار واقبل عون فى صفة عبد أسود وهجم على الصندوق الذى فيه القدرة
والفص الجوهر فكسره وأخذ القدرة بالفص وطار بها فى الهواء

فاغتاظ السلطان من ذلك وكان المقدم جمال الدين بصحبته فقال ياملك الاسلام
أنا أعرف من كتاب اليونان ان هذا الكوكب ياخذه واحد كهين اسمه بجرم
ابو العجايب ويبنى مدينة على سن جبل عالى ويضع هذا الكوكب فيها تسمى
مدينة السن والكوكب ولكن انت الذى تاتى به ثانيا وتعلقه بيدك على مقام
الرسول ولكن كل شىء له وقت وهذه البلدة سفر احدى عشرة سنة ولكن
يحصل فيها لطف الله فى الذهاب والاياب فسكت السلطان حتى وصل الى

المدينة وزار وقبل أعتاب الرسول وعاد إلى مصر هذا فى كلام إذا وصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة والسلام عليه

[قال الراوى] وأعجب ما وقع ان الملك جالس وإذا بجواب مع نجاب قاده من حلب فقدم الكتاب الى السلطان ففتحه فوجد مضمونه أن يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمون والغبار غبر وعلا إلى الضفا وتكرر وانكشف عن عسكر وأى عسكر فضرب طبوله ونفر فقمنا إلى الحصار وضربنا عليهم جلل النار ومنعناهم عن سور البلد فأرسلنا الجاسوس يكشف الخبر فرأيناه اصطالود الفلقى صاحب جزائر الفلق ومعه عساكر لا تحصى ولا تعد فأدركنا يا ملك الاسلام بسيفك المسنون وأمرك المكنون فاننا فى ريب المنون والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام

فلما سمع الملك الكتاب أمر بالتبريز من مصر بالعرضى فبرزت العساكر وطلعوا إلى العادلية وبعد تمام العرضى توجه السلطان طالبا حلب وكان السبب فى ركبة اصطالود الفلقى هو أن الملعون جوان دخل على بلده وطلب منه أنه يركب على بلاد الاسلام فقال له يا أبانا أنا طاوعتك سابقا وحبست البطريق فجانى شويحات وخلصه والذى جرى أنت تعرفه فما بقيت أركب على المسلمين أبدا فقال جوان حرام عليك ان كان حرام أو حلال المسيح يعلم ان مالى قدرة على رين المسلمين ولا على حربه فسكت جوان على غيظه

ولما أمسى المساء دخل القصر فوجد عنده خمسة وأربعون كلبا كل كلب منهم كأنه وحش فقال جوان يا بب اصطالود انت تظن أن المسلمين فيهم عزم اكثر منك مع أنك لو أرسلت هذه الكلاب وحدهم إلى عساكر ملك المسلمين اقتلوهم وأنا على ان كان يرجع من المسلمين أحد وتكسب غزة يا نبى فى دين المسيح فقال اصطالود يا أبا الكلاب يحاربون المسلمين قال جوان نعم فقال اصطالود بعد ضمان جوان وفتح خزنته وفرق على عساكره الاموال والسلاح وشاله وسافر معه جوان وهم يقطعون الاراضى والكثبان حتى وصلوا حلب فنظر عماد الدين أبو الجيش فحاصر فى الابراج وكتب للسلطان فركب السلطان وحضر الى حلب

ولما حط السلطان على حلب كتب كتابا وأعطاه إلى ابراهيم ودخل به على اصطالود الفلقى فى صيوانه فأعطاه الكتاب فقرأه بعد التمهيد والوعيد فوجد فيه من حضرة ملك القبلة وخادم الحرمين الشريفين الى اصطالود الفلقى لاى شىء أتيت فى هذا الهم وأحوجتنى أن أركب وآتيك لكن كان الذى كان فان أردت السلامة تأتى الى عندى

ومعك جوان والبرتقش ان عملت هذا كان الحظ الاوفر وإن خالفت سوف ترى من انقطاع عمرك والسلام فالتفت إلى جوان وقال تقرأ الكتاب ياأبانا فقال جوان يعني أنا يتوه عني كلام من المسلمين والحوارى عنبرون أخبرونى به قبل ماتقرأه أنت فقال وكيف العمل ياأبانا قال جوان اكتب له بالحرب فكتب بالحرب رد الجواب وأعطاه للمقدم إبراهيم وأعطاه حق الطريق الف دينار وعاد إبراهيم فأعطى السلطان رد الجواب فلما رآه مزقه وأمر بدق الطبول للحرب ولما كان عند الصباح خرج من عرضى اصطالود الفاقى بطريق وصال وجال وطلب القتال فنزل اليه ايدمر البهلوان فقتله والثانى والثالث قتله والرابع والخامس إلى عشرة فنزل كلب من الخمسة وأربعين وغار على ايدمر البهلوان وقبض بأنيابه فى زور الحصان فقتله فى وقعة الحصان التى به الكلب فخاف ايدمر على نفسه وعاد من الميدان فقال السلطان هذا أى شىء ياأمير ايدمر فقال يا دولتى هذا كلب ما هو مثل الكلاب فنزل علاء الدين فهجم عليه الكلب وتعلق فى درعه وخدشه فى وجهه ولولا ما عليه من الزرد وإلا كان مزق كبده فتضايق السلطان . ولما كان ثانى الايام اندق طبل الحرب وأراد المقدم حسن النسر أن ينزل الميدان والغبار غبر وبان من حجرة دهمة كانها ليلة مظلمة وعليه فداوى كانه طود من الاطواد وساق إلى وسط الميدان وقال بلغ من قدر الكلاب أن تقاتل الفرسان وأراد أن يهجم على الكفار بقوة وقلب فخرج اليه ذلك الكلب

فلما رآه نزل إلى الارض وحط يده على الشاكرية واستقبل الكلب وضربه بين عينيه شطره نصفين فنزل اليه الثانى فألحقه به والثالث واندق طبل الانفصال فقال ياملاعين روح أقابل ملك الدولة وأقول له أنا قتلت كلبا والله ما أنا مقابله وعاد إلى البر من حيث أتى وثانى الايام نزل قتل أربع كلاب فاغتاظ اصطالود من ذلك وأمر الكلاب أن ينزلوا اليه عشرة عشرة فقاتلهم ثلاثة أيام قتل منهم عشرين وفى رابع يوم قتل اربعة وخامس يوم والسادس أفنى جميع الكلاب الباقين

فلما نظر اصطالود اتكأ على ذقنه فمزعها ولطم على وجهه حتى تورمت أصداغه وقال لجوان أنت الذى أغرتنى على هذه الركبة فقال جوان وأى شىء جرى عليك فقال غير هذا يا أبانا قتلوا الكلاب وإن طال الحال يقتلوا البطارقة ولا يبقى عندى من يحمل سيفا ولا طارقة هذا ما جرى [وأما] الفداوى فلم يعلم أن الكلاب انقطع دابرهم فسار الى قدام السلطان وقبل الارض فنظر اليه السلطان واذا به رجل اختيار فقال الملك من أنت يا مقدم من الرجال فقال يادولتى أنا اسمى المقدم

صارم الدين [ياسادة] وكان السبب فى قدوم ذلك الفداوى هو أنه كان من دون بنى اسماعيل لم يطع قط سلطانا ولما كان المقدم معروف بن جمر سلطان جميع الرجال طاعوه إلا هذا المقدم صارم وقال للرجال ان هذا قد أتانى من عند المقدم صارم لم يطعه . فلما علم المقدم معروف هذا وشاعت هذه الاخبار فعلم المقدم صارم بذلك فاستحى وأخذ قصه وسافر على النصارى فأقام مدة سنوات ولما كان فى تلك الايام وحضر فنظروه بنو اسماعيل وأعلموا به السلطان هذا ما جرى

وأما المقدم جمال الدين فانه حضر ونظر إلى هذا الفداوى فتركه ودخل عرضى النصارى فرأى جرانا وهو يتشاجر مع اصطالود الفلقى كما ذكرنا فدخل وتمكن من مكان الشراب ووضع فيه البنج وتركهم واختفى عنهم حتى أمسى المساء وهو دائر فى العرض . ولما كان فى الليل أرادوا أن يتعاطوا الخمرة فأحضروها بينهم وشرب البب اصطالود رجوان وغلامه البرتقش فاحتوى عليهم البنج فاندك شيحة عليهم وكتفهم وقد أخفاهم فى مخدع وكتب تذكرة أعلم السلطان بما وقع بهم فركب بعسكر الاسلام وهجم المسلمون وكبروا وهللوا وبالنبى محمد توسلوا وعلى القتال عولوا وباعوا أنفسهم فى سبيل الملك المتعال وسلوا السيوف الثقال وحملوا فلله درهم ولا أفاقوا الكفار الا ووجدوا كبيرهم مكبوس والسيف يلعب فى أقفيتهم والدبوس وكان ذلك على الكفار يوم منحوس فلله در الامير البهلوان ياما حمل وياما قتل شجعان وكم أباد أقران وكم جندل فرسان ولله در المسلمين فيما حملوا فانهم رفعوا أصواتهم الى خالق الارض والسماء وقالوا ربنا يا إله العالمين أنت قلت وقولك الحق المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فانصرنا على القوم الكافرين اللهم استجب دعاءنا يا خير الناصرين

[قال الراوى] فما أتموا كلامهم حتى بان غبار عن اثنين مقدمين راكبين حجرتهما كأنهما نمورة أحدهما اختيار والثانى شاب . فلما وصلوا الى القتال كبوا رؤوسهما فى قرابيس سروجهما وحملا وعلى الله توكلا ومالا على جيوش الكفار وضربا بالحسام البتار حتى أوردا الكفار مورد الدمار وقد شتتناهم فى البرارى والقفار فجمع السلطان الاسلاب وفرق الغنيمة على المشايخ والشباب وأراد الفداوية أن يسافروا إلى بلادهم

فقال ذلك الغلام وقال يا مقدم صارم أنا مأجور عليك ابرز لى فى الميدان حتى تحقق بدأبى وإلا أنا أقتلك وأبلغ قصدى ومطلبى فقام المقدم صارم وقال له

من أنت ياغلام قال انى أراك شابا شباب فقال له أنا كامل بن الخطاب وقد أتيت اليك حتى أقتلك وهذه حجرة أبى الذهبية فقام صارم الدين وخرج الى المقدم كامل فما أمكنه ان يصول ويجول حتى ان المقدم كامل وقف فى ركابه وضرب صارم الدين بالشاكرية على وريديه أطار رأسه من على كتفيه وجنب الحجرة ونزل ففك طرف عمامته وغمسها فى نحر المقتول وقال اشهدوا يابنى اسماعيل أنا كامل بن المقدم خطاب وهذا صارم الدين النابلسى أبى وأخذ هذه الحجرة فها أنا أخذت تار أبى وقد محوت عارى فاغتاظت الرجال فقام ابراهيم بن حسن وطلبه فاحضره بين يدى السلطان فقال له السلطان كيف تقتل خصمك فى حضرتى يا قليل الأدب

فقال يامالك الدولة وهو أيضا قتل أبى فى حكم المقدم معروف وان كذبتنى فهذا الاختيار كبخية أبى

فقال السلطان أحكىّ ياشيخ فقال يادولتلى هذه الحجرة الذهبية كانت للمقدم خطاب أتى بها من بلاد بعيدة وكان سابقا عاصى على المقدم معروف فلما طاعه قدم له هذه الحجرة هدية فقبلها منه

ولما عاد الى قلعته أرسلها له وأرسل معها هدية وكان صارم هذا عند المقدم معروف فتبع أثر الفداوى ونزل عليه فى قلعته ذبحه وأخذ حجرته وكانت زوجته معها هذا الغلام فربته عند أخوالها فلما كبر اعلمته أمه فأتانى سألى عن قاتل أبيه فقلت له يا ولدى فى اللجج فطلعنا رشقبنا فما رأيناه إلا فى هذه الايام وهذا الذى جرى يا ملك الاسلام وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل على السلطان فسمع العبارة وسأل المقدم كامل فى الاطاعة فطاع وأنعم عليه السلطان وأحضر اصطالود الفاقى وحد عليه الخراج وضمنه شيحة وسافر إلى بلاده وكذلك السلطان سافر إلى مصر وصار المقدم كامل صحبة الفداوية برفقة المقدم إبراهيم بن حسن

ولما وصل السلطان إلى مصر وجلس فى قلعة الجبل وأما المقدم كامل فانه أقام فى القاعة مع الرجال وكان جلوسه فى الديوان بجنب الأمير قراخى الرومى إلى يوم عزمه عنده فراح معه إلى منزله ليأكل ضيافته فرآه يضرب خادمه علشان مرقة الكوارع كبها . فقال الخادم أنا فى عرضك يا مقدم كامل فقال اطلقه يا بيلربكى ففزع على المقدم كامل بالحسام فضربه كامل بالشاكرية فجرحه فى صدره جرحا بالغا وقال والله يا قران لولا أنى فى بيتك لقطعت رأسك تعزمنى ولا تكرمنى وخاص الولد منه غصبا وقال له اقعد عندى وأنا أحميك من هذا المعرص

ولما كان ثانى الايام طلع المقدم كامل إلى الديوان وجلس فطلع الامير يشتكى من المقدم كامل للسلطان فقال كامل جئت تشتكينى يا قليل المروءة تضرب الرجل قدامى ولا تكرمه لما قال أنا فى عرض الامير كامل ولكن أصلك عملوك فاغتاظ الامير فراح الرومى وحط يده على الحسام وقد هجم على المقدم كامل وهو جالس وضربه فراغ الفدا ى بحكم السيف فى شده فرماه فقال له يا قران ترمى فى الديوان شدى الذى ربيته على أبى وجدى ولكن بعد ذلك ما اقدر أن أسكت وحط يده على شاكريته وضربه على وريديه اطار رأسه من على كتفيه فقالت الرجال يسلم يمينك هذا جزاه والله لو قمدت اقتلناك فأراد الامراء أن يجذبوا سيوفهم ويهوش الديوان .

فقال المقدم ابراهيم والاسم الاعظم كل من تحرك منكم قطعت راسه

فقال السلطان ما هو شيء لازم كل الفداوية تنزل قال ابراهيم قوموا يا رجال ونزلوا الفداوية وبينهم كامل فقال إبراهيم نحن ما قتلناك وأنت الذى صالحتنا وسار بهم إبراهيم إلى قلعة حوران قالوا يا رجال اقامتنا ببلادنا خير لنا

[قال الراوى] وأما الملعون جوان لما علم بما جرى بين الفداوية والسلطان قابل حائفا من بحيرة يغرة فدارى اسمه المقدم مطرون وله أربعون من الاتباع فقال له روح أنت ورجالك واقطعوا الطريق على تجار الشام وإذا نهبت قافلة قل أنا كامل بن الخطاب فراح الملعون وفعل ذلك فكتب التجار إلى افش التجيه باشة الشام فأرسل كتابا للسلطان وأعلمه بهذه الاسباب وان الذى نهب التجار كامل بن خطاب فأرسل السلطان يقول لا براهيم هذا عيب عليك فعل القبيح وما كان ظنى أنه تجيء منه قطع الطريق إذا كنت من الرجال كما أعهد فيك فترد ذلك الى التجار على الاسلام وتنفى من طريق الشام

فلما قرأ ابراهيم الكتاب أحضر كاملا وقال له ان كنت تفعل هذه الفعال فأنا ما أرضى لك بذلك الحال فقال كامل والاسم الاعظم ما فعلت ذلك ولكن أنا أروح وانظر لك على الذى فعل ذلك الفعل فركب مع عشرة مقادم من بنى اسماعيل وسار الى الشام ومشى بين يديه عشرة من كاخيه يسمى قرن بغالا عليها أحد لا يرانا خرهو حتى خرج عليه الملعون مطرون ورجاله الاربعين فما نظروا أنهم بدوروا بالبغال حتى أطبقوا بنى اسماعيل عليهم من اليمين والشمال وشالوهم على أسنة الرماح الطوال وهجم المقدم كامل على مطرون وضربه بالشاكرية صفحا فرماه من وراء كتفه

وسار به إلى الشام وسلمه إلى افش النجيبى فلما دخل عنده وضعه فى السجن فارسل جوان البرتقش واطلقه ليلا واصبح افش النجيبى فعزم الامير كامل وبنج له الطعام وقبض عليه وأعلم السلطان بكتاب فارسل له فرمان يامره بقتل كامل فلما حضر المقدم ابراهيم أراه افش النجيبى فرمان السلطان فقال له فشرت يا قران ومزق الفرمان وطرد فش النجيبى وسلطن كاملا على الشام فدرى السلطان فاخذ العساكر وحط على الشام فاقبل شيحة وعاتب إبراهيم على عصيانه فاراه فرمان السلطان فاصلحهم وزوج كاملا بفاطمة بنت افش النجيبى فخلف منها ولدا اسمه خطاب يكون له كلام وسافر السلطان إلى مصر ا و يرجع الفصل الى جزائر أرواد وهو ان السلطان الملك الظاهر أراد أن يختفى وينزل يشق مصر فى التبديل فقال لابراهيم وسعد الحقانى ونزل فى صفة درويش يجد الدنيا فى امن وامان وما زال سائرا حتى نظر شوارع مصر كلها وبعده سار الى بولاق فرأى فى سوق السبتية ازدحاما وعالما بكثرة وخلائق متجمعة فشق بين الناس فرأى رجلا قاعدا فى قفص وهو يذكر الله وعيناه شاخصات للعالم

ولما وقف السلطان قال الرجل ياهؤمنين ساعدونى بقراءة الفاتحة فى صحايف مولانا السلطان الذى شرفنا بوقفته فى هذه الساعة فقال السلطان فى باله فى هذا فى رجل من أهل الكشف ووقف لينظر ما يفعل وإذا به اشار على السلطان وقال له تعال الى عندى يا ترس قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فتقدم الملك الى عنده فقال له خذ هذه الذخيرة من اكل الصالحين ولا تخل أحدا يراك عندما تاكل فمد يده لياخذه فاعطاه منديلا حريرا ملفوفا فانتقل من قدامه وفتح المنديل فرأى فيه رغيفا وحمامتين مستويتين فسار السلطان إلى شاطىء البحر وطلع فى مركب مهجور وفتح المنديل وأراد أن يأكل واذا به يسمع قائلا يقول ارجع اصحى تاكل تعدم نفسك فاغتاظ السلطان ونظر للقائل وإذا به شيحة فتقدم وأخذ قطعة من حمامة فصاح على كلب فاكلها وصرخ وتشرمط بدنه فى الوقت والساعة فقال يا ملك لو اكلت كنت تبقى هكذا

فقال السلطان أعوذ بالله وترك شيحة وراح فقام الملك ورجع إلى ذلك الشيخ رآه الرجل عرف المقصود فترك العالم وجرى على شاطىء البحر فتبعه السلطان وشاع الخبر فى بولاق وقالوا حرامى وهذا بصاص ودام الرجل يجرى والملك خلفه الى بين الغيطان فنط الرجل من على حائط فصار فى داخل الغيط ونط الملك وراءه فاشتبك

ديل السلطان فوقع من على الحائط فاراد الكافران يعود اليه ليقتله وبده على خشتة وإذا برفيف رصاص وقع فى صدره فانقلب على ظهره والضارب له سعد واقبل هو وابراهيم حتى قبضا ذلك الرجل وسارا به إلى القلعة فجلس السلطان وطلب الرجل فقال له أنت من يا ملعون قال حرام عليك يا مولانا السلطان أنا رجل مؤمن فقال ولاى شيء صنعت لى هذه الحامات والعيش بالسم فقال لا أعلم هذا اعطانيه واحد احسان وأنا أعطيتك اياه ولا اعلم فقال له السلطان ولاى شى لما تبعتك هربت فقال من خوفى لانك ملك الاسلام ورجعت إلى مغتاظا فقال ولاى شيء عدت بالسيف وضربتى فقال جهلا منى فقال السلطان اكشف يامقدم إبراهيم عن ثيابه واضربه فضربه حتى أشرف على الموت ولم يقر فا قبل المقدم جمال الدين وحلق قطعة فى وسط راسه ودهن له بدهن الروح النارى فحس أن الدنيا أوهجت فى بدنه نارا فصاح أنا فى عرضكم يا مسلمين قال شيحة أنت ايه قال نصرانى واسمه مقضون وهو الذى فعل هذا الفعال عامدا بأمر البب جمجرين ملك جزائر أرواد وجواد [قال الرواى] وكان السبب فى ذلك أن البب جمجرين صاحب جزائر أرواد أحضر هذا الكافر لما يعرف من مكره وخداعه وقال له طالب منك رين المسلمين قتيلا أو اسيرا فاتى فى تلك الحيلة كان وزير ارواد اعطاه وصنع السلطان وقعد فى بولاق حتى اتاه اتاه السلطان واعطاه المنديل وجرى ماجرى

فقال له المقدم جمال الدين هذه حكايتك سمعناها وما قولك فى دين الاسلام فقال لا يمكن فأمر السلطان بحرقه فحرق فى الرميلة وكتب الملك كتابا لابى بكر البطريق يطلبه إلى مصر

فلما حضر قال يا قبطان الاسلام أنا طالب منك جمجرين صاحب أرواد فقال البطريق أى شيء فعل هذا الكافر فحكى له السلطان على ما وقع منه فقال يامولانا لا تلزم الملعون جمجرين الامنى فى ظرف شهر واحد ثم انه نزل من قدام السلطان وسار إلى الاسكندرية وأراد أن ينزل إلى الغراب المنصور بالسنورة وسيدى عبد الله المغاورى مقبل فقال تعال معى يا بطريق حتى انى اساعدك والله تعالى يساعدنا جميعا فلما نزل البطريق فى السنورة وقذف الاستاذ أول قذفة والثانية على أرواد وقال يا بطريق اعمل نفسك صياد ما طلع البطريق عدة الصيادة وتوكل على صاحب السيادة [ياسادة] ومن اعلمه الله عز وجل وبركة المغاورى اقبل جمجرين ووقف يتفرج على

ذلك الصياد واغراه عقله ان ينزل يتفرج على ذلك الصياد فى السفورة لانه رآه يطلع السمك من جميع الاصناف فنزل فى السفورة وقال البطريق اصطاد حتى افطر صبحك فعند ذلك قذف الاستاذ وقال بسم الله مجراها على الاسكندرية مرساها فما شعر حجرين الا وهو على الاسكندرية وبلاده لم يراها فقال أنتم جن ولا انس فقال البطريق أنت مطلوب للسلطان يا ابن الكافرة وأخذه وطلع به الاسكندرية واعلم الباشا بذلك فارسل بطاقة بطير الى مصر يعلم السلطان فأمر السلطان الامراء ان كل أمير يأخذ الف مملوك من مماليكه ويقفون فى البر حتى يفوت البطريق بذلك الملعون فكان الامر كذلك فطلع البطريق من الاسكندرية ومعه البب حجرين والامراء يتهددوا عليه حتى دخل مصر فلما وقف قدام السلطان قال له يا ملعون لاى شيء أرسلت لى هذا الكاهن بالسم يقتلنى هات رأسه يا ابراهيم فقال له يا ابن المسلمين أنا أذنبت واشترى رقبتى بمائة الف دوقانه فقال السلطان هات المال فقال له ضمانى على القبطان الذى جاء بى يسير معى الى بلادى ويأخذ المال لانى أنا ما معى مال هنا فقال السلطان تضمنه يا بطريق قال نعم يا سيدى فقال حجرين واعتق من بلادى الف أسير فرضى السلطان وسلمه للقبطان وسافر به الاسكندرية ومن يوم نزل به فى الغراب المنصور وسافر به الى أرواد

[قال الراوى] ان حجرين لما أخذه البطريق فى الاول عادوا رفقته الى امه واعلموه بما جرى على أبيه فقعد مكانه الى ان حضر ودخل بلده واطمأن فيها وصار يجمع الاموال وأمر كل من عنده أسير يحضره حتى جمع المطلوب وأراد ان يسلم البطريق ذلك ويسافر واذا بجوان أقبل وأخبر بهذه القضية فلما هاز عليه قال له تكفر يا بب وتخرج عن دين النصارى والا تخسف بلادك ان لم تطارع جوان فقال له أى شيء أعمل فقال جوان اعزم البطريق وحط البنج فى الطعام للمغاربة فاذا أكلوا تبنجوا وضعهم فى السجن فاقتل حجرين رأسه ... بهم ... امره به جوان فلما تبنجوا وضعهم ... السجن ونزل ... ان فاخذوا قلاع الغراب ومدافعه وعدته وصواريه كلها وخسفه فى البحر نصفه وفى البر نصفه وتركه كذلك ففرح جوان بما فعل البب وقام البطريق فى السجن مدة أيام الى يوم خرج الملعون حجرين يتفرج على المينا ورأى الغراب كيفيته

فقال لوزيره ما أحسن هذا الغراب كان فقال الوزير هذا يا بب كان فى البحر مثل القلعة المبنية وله ابراج ولا ... يقدر يعمل مثله فقال حجرين اعمل واحدا مثله

يبقى عندى أغزى عليه بلاد المسلمين ولكن ياهل ترى أى تجار يعرف ان يفصله فقال الوزير ياب مايفصله الاقبطانه وهو الذى كان يسافر به واما اذا كان غيره يمكن ما يعرف شيئا فعنده أحضر أبا بكر البطرنى وقال له اريد منك ان تصنع لى غرابا مثل هذا الغراب فلما نظر البطريق الى الغراب بكى عليه وقال ولكن أنا ورجالى فامر له باطلاق رجاله ومدسلسلة من البر الى البر تمنع المراكب من الخروج من المينة وأمر البطرنى ان يفصل غرابا كما يجب واحضر له أخشابا كفايته ورتب له ولرجاله كلما يلزم من أكل وشرب وملبوس ووعدهم أنهم اذا أتموا له ذلك الغراب يعتقهم من الاسر ويسلمهم الى أبى بكر البطرنى يروح بهم الى بلادهم فاجتهدوا فى مدة من الزمان فى ظرف تسعة أشهر كان الغراب قد تم ووضعوا فيه كل صواريه وقراياته أو قاشاته ومدافعه حتى بقى كأنه مدينة عامرة حربية على البحر

[قال الراوى] ان الغراب الذى تكسر كان طوله مائة وعشرين ذراعا وعرضه ستون ذراعا وسمع الناس يقولون ما أعظم هذا الغراب بسماء العظمى ولما انتهى تمامه عاد أبا بكر البطرنى الى السجن ثانيا وأمر بنزوله الى البحر فما قدروا النصارى ينزلونه فأحضر البطرنى وأخذ بخاطره وأمره ان ينزل الغراب فى البحر فقال له أنت وعدتنى ان تطلقنى أنا ورجالى اين ياابن النصرانى وعدك فقال له لما ينزل الغراب فقال له باب الله أوسع من بابك يجعل الله لنا من كل عسر يسرا ثم انه عمل سقائل ودهنها واحضر رجاله ومسكهم الفتل ودق له السكك عالى وواطى وحط أكتافهم المغاربة وقالوا يالدين محمد فسار الغراب يجرى معهم كالغزال حتى نزل فى البحر فلما فعل ذلك قبض عليه ثانيا وسجنه ونادى قبطانه وأراد ان ينزل يتفرج على مشيه فما أمكنه فأحضر البطرنى ثالثا وقال له اصلح شأنه ومشيه فى البحر من داخل السلسلة فسار القبطان يمشى الى السلسلة ويعود الى المينة الى ان وصل وقت المغرب فرأى البحر ركب على السلسلة

فقال لرجاله ياأولاد عائشة أنا رأيت البحر [illegible] اظ [illegible] فقوموا كل منكم [illegible] قدام [illegible] فتقدموا جميعا قدام وقال [illegible] را [illegible] اوراه فاقام [illegible] الغراب فوق السلسلة [illegible] الرجال [illegible] عاشى [illegible] علا [illegible] يخرج من [illegible] كا [illegible] بقدم الغرب [illegible] جميعا [illegible]

والغراب طائر فى الارياح كانه طير بجناح فقال البب أى شىء هذا يا بطرنى فقال اقعد يا ابن الكافرة ثم أمر المغاربة كتفوه ورموه فى الطارمة وسافر البطرنى إلى الاسكندرية وضرب المدافع وطلع للباشة وأعلمه بالذى جرى وكتب إلى السلطان وقدم البب جمجرين الى بين يديه وأعلمه بما فعل فقال له السلطان يا ملعون إذا كان هذا ضمنك وسافر معك تغدو به وتكسر الغراب فقال يا رين المسلمين أنا ملك وأنت تملكنى بالحيل ولم تأخذنى لا بحرب ولا بقتال فما يكون افتخارك حتى تأخذ الملوك بالحيلة من وسط بلادها فقال السلطان فهمت كلامك وأنا وحق الباقى على الدوام ما أقتلك إلا فى بلادك بعد ما أخربها قدام عينيك ثم أرسل البطرق يخرج عمارة السلطان يقدمها الغراب العظمى والسيار وذات الابراج ويتبعها مائتين غليون من مراكب الإسلام وأخذ الملعون جمجرين مغلول اليدين ونزل من الاسكندرية وسافر إلى أن قرب من جزائر أرواد فعند ما وصل البطريق إلى السلسلة رآها عالية تمنع المراكب من الدخول فأمر المراكب جميعا أن تصفح قلوعها على ظهر البحر فقال السلطان تدخل المينا فقال يا مولانا تمنعنا السلسلة وإذا بالمقدم جمال الدين فتيل وقال ياريس أى شىء يمنعك فقال هذه السلسلة فقال شيحة أنا لك ثم ان شيحة أخذ له جرابا ووضع فيه ثيابه وما يحتاج اليه ونزل البحر وطلع على فكها برج السلسلة وأرمى مرده ودخل البرج فألقى رجلا فداوى

[ياسادة] كان هذا الفداوى اسمه المقدم نصر الدين عون كان فى اللجج وهو على مدينة أرواد فطلع إلى السرايا ليلا فرأى بنت البب جمجرين فعشقها وطلب يتزوجها فقالت له اعلم أبى بذلك فطلع ودخل على البب حبه جمجرين فالتقى ابنه فقال له زوجنى بأختك وأنا أخلص لك أباك من المسلمين فقال اذا أردت ان تاخذ اختى اريد منك ان تكون غفيرا على برج السلسلة تمنع المسلمين من التسور على بلادنا واذا امتنعوا المسلمون وراحوا نبقى نرجع نصالح رين المسلمين ونخلص أبى منه

فقال له انا ضامن هذه السلسلة [illegible] البرج [illegible] شيحة [illegible] الفداوى قال له جئت [illegible] على [illegible] السلسلة [illegible] السلسلة [illegible] يرجع [illegible] شيحة [illegible] السلسلة [illegible] بطرق

واقفا على مقدم الغراب فنظر إلى السلسلة ارتخت فى البحر فدخل بالغراب العظمى وتبعته المراكب وملك السلطان المينة وطلع العسكر على البر وأقبل المقدم جمال الدين حاملا ناصر الدين عون وسلمه للسلطان وقال له لا تقعد فانى ذبحت الغفرا وعطبت المدافع اكبس البلد فركب السلطان وعساكر الاسلام وركبوا على البلد فما طلع النهار إلا والسلطان على تخت أرواد والحقوا النصارى بقوم ثمود وعاد وغنموا أموالها وخربوا أطلالها وأحضر جمجرين وقال له هذه بلدك يا كلب فقال يا زين المسلمين كل الملوك يحاربونك وتعفى عنهم فاجعلنى من جملتهم وما أنا رأيت حالى بايعنى مثل غيرى وإن خنت ثانيا سيفك أولى بى فقال له السلطان ومن يضمنك فقال ضمانى على سيدى شيحة قال شيحة ضمانه على أطلب منه كامة ركبتك وهذا ولده يحضر لك مطلوبك قبل اطلاقه فقال الملك أطلب أربع خزن مال خلاف تحت الغراب المنصور خزنتين وأما الغراب الذى صنع فهو شغل مبطانى فقال جمجرين على رأسى وبعد أربعة أشهر أورد ذلك للديار المصرية قال الملك وعليك الخراج فى كل سنة خزنة العام الماضى والعام القابل خزنتين فقال المقدم نصر الدين عون ياحاج شيحة أنا دخيل عليك وأطيعك وأكون عبدك على طول الزمان وهذه شواكرى أكتب اسمك عليها قبل أن تطلق جمجرين هذا فقال شيحة مالك يا مقدم ناصر الدين قال يا حاج شيحة هذا خدمنى فى السلسلة على أنه يزوجنى ابنته وبعد ذلك يروح تعبى بلا شىء

فقال شيحة تطيعنى فقال والاسم الأعظم إن زوجتنى بهذه البنت أطيعك فأمر شيحة باحضارها وسألوها فى الاسلام فأسلمت فانعقد عقدها على القاضى وأطلقوا جمجرين بضمان المقدم جمال الدين وعاد الملك الظاهر إلى مصر

[ويرجع الفصل] إلى علاء الدين البيسرى تخفى السلطان فرأى رجلا فلاحا وبيده كتاب وقال ياشيخ اقرأ لى هذه الورقة فرآه السلطان متغاشم قال إلى أستاذنا الأمير علاء الدين القائم لك هيكل مصمى علينا البلد ومانع الناس من دفع الخراج فرحنا منه فقال ياشيخنا هذا رجل فاسق والنصرانى أفسق منه كانوا رأوا امرأة راعى تملأ القادورة فجاءت من السقاية فأخذوها وأدخلوها دار النصرانية كان رجالهم يتلدوا عرضى فجاؤنى الخبر فأخذت اخوانى ولحقتهم وخلصتها ثم ضربتهم فقالوا تعال فرسك لأستاذنا بورقة يعطيك أردب قمح تحمله تأتنا بثمن فقال السلطان هذه ورقة وإن أردت فى ذلك أعلمك وقال له هذه ورقة شاهد الشيخ محمود

فأخذها وسار إلى بيت علاء الدين فأعطاه الجواب فاغتاظ وأراد أن يقتله فأعطاه الورقه ورقف على حيله فوجد فيها ختم السلطان انك تنعم عليه ويكون شيخ البلد وترفع القائم مقام فوضعها على رأسه وأنعم على الفلاح وأما السلطان فانه رجع إلى القلعة واقام يتعاطى القصاص كما امر الله تعالى [ورجع الفصل] إلى ظهور ناصر الدين الطيار وذلك أن السلطان جالس فاتاه كتاب من بيسان حامله تابع يذكر فى الكتاب من المقدم دبل اعلم يا ملكنا إن بدلتى غسلتها موقع الشبك فى الارض اتسخ فادركنا قبل أن يشيع توسخ شدودنا فقال سعد يا سلام سلم فقال السلطان وأى شىء يعنى بقد الوسخ فقال إبراهيم لا يا دولتلى هذا شىء يقول الرزية فى معرض والمثل فقال السلطان روح يا إبراهيم انت وسعد وانظر ما الخبر فركب إبراهيم وسار إلى بيسان فالتقاهم المقدم دبل فقال سعد ما الخبر الى فقال ياولدى أحنك اخذت من خدرها وحجرتها اخذت من طوالها وأعظم من هذه المصيبة لا يكون [وكان السبب] انه ظهر غلام فى قلعة زاغورة وهى قلعة جبير والبقنوس وهم اولاد زغرير الذى كان قتله السلطان سابقا لما سرق امرال خان السبيل وسبق هذا الكلام فى اول السيرة ظهر بها غلام اسمه المقدم نصير الطيار لكنه عاتق جبار الى يوم ذكرت بين يديه حجرة المقدم هبل اليسانى إذا لم يكن اجرى منها فى الخيل فقال المقدم جبير يا نصير تقدر على الاتيان بها فقال نصير وحق دينى اجىء بها لو كانت تحت اطباق الثرى فقام من قدامهم على انه يجىء بتلك الحجرة ويبقى له الثلث فى القلعة فدخل على أمه وأعلمها بما حصل فقالت ياولدى إذا اردت أن تاخذ الحجرة فان قلعة بيسان فيها بنت تسمى المقدمة بنت المقدم دبل البيسانى فاذا قدرت على اخذها وأخذ الحجرة معها تفتخر على جميع عياق الروم فقال المقدم نصير وحق رب المسيح لا أنام فى القلعة إلا إذا جئت بالاثنين [قال الراوى] فسار ذلك الغلام حتى وصل الى قلعة بيسان وكان زمان الربيع والخيل كلها فى المرعى فلما وصل المقدم نصير القلعة أرمى مفرده وطلع لا يحكم نزوله إلا على قاعة المقدمة سلمة وهى نائمة لا تعلم ان قلعة أبيها لم يطرقها طارق فارمى عليها بنجا وحطها فى جمدان وطلع من محل ما نزل وأخفاها فى مغارة وعاد يدور على الحجرة فلم يجد خيلا فى القلعة فعلم انها فى الربيع فقصد الجرة ليلا ونزل على الحجرة وأخذها وحمل عليها البنت وطلب قلعته هذا كان السبب ولما اقبل سعد وابراهيم مسكوا الاثر حتى وصلا الى قلعة جبير والبقنوس فحلا القلعة ونظر سعد الحجرة الخطافة وكربة ابيه فنط وركبها وطلع بها الى خارج البلد فنظر نصير نط

وركب خلفه ومسك ادرعته وصاح إلى يا غندارة وكان سعد لم يعرف أن يقاتل راكبا على الخيل وهذا الذى تعلق فى زنده مثل الشيطان ودار به الكفرة واخذوه أسيرا فاخذوه مكتفا ودخل به نصير على أمه فقالت له اربطه فى السرير فقال لها واى شىء يكون السرير فاخذه ووضعه فى السجن وثانى الايام سأل المقدم إبراهيم عن سعد فلم يقف له على خبر فدخل القلعة يكشف من خبره فعلم انه أخذ أسيرا عند زوبع وابنه نصير فاغتاظ المقدم ابراهيم فهو كذلك واذا بعساكر مقبلة كفرة مقدار الف خيال يقدمهم ملك من ملوك الروم يقال له البب سرجويل وكان سرجويل هذا هو الذى اغرى نصيرا على سرقة الحجرة ولما علم أن نصيرا جاء بها أتى ليأخذها فقال نصير لا أعطيها لأحد فانى أريد ان اتزوج ببنت صاحبها ولربما اصالحه واعطيه حجرته واتزوج ببنته فاغتاظ سرجويل واتى بعسكره وحط على قلعة جبير والبقنون فنظر زوبع الى ذلك البب

فقال يا مقدم نصير اعطه حجرتك التى سرقتها لأجل أن يرحل فقال نصير لا اعطيه شعرة منها ونزل عليه ليلا سرقه من خيمته بعدما ذبح من كان حوله من أكابر دولته ونزل ثانى الايام الى الميدان وقاتل من معه من الفرسان وثالث يوم فعل كذلك ورابع يوم شتت باقى عسكره فهربوا منه فى القفار ولم يقدروا على حربه فطلبوا الفرار ففرح نصير واحضر سرجويل وقال له عسكرك هرب وانت عندى اسير قصدى أن امن عليك بروحك واطلقك ولكن وحق رب المسيح ان بقيت تجمع عساكر وتروم محاربتى ثانيا فما يكون لك الا قطع راسك واطلقه وثانى يوم اقبلت عساكر حوران يقدمها المقدم حسن وعساكر بيسان ويقدمها المقدم دبل وحطوا على قلعة جبير والبقنون ووقع الحرب وحاربوا حربا شديدا مدة اربعة ايام والمقدم نصير متولى الحرب وهو يخرج ويسير فى الميدان وآخر خرج له المقدم ابراهيم وتقاتل معه فاراد ان يركب خلفه على الحجرة [illegible] ما فاز بغيره فرأى الغدارى زمير واضعا شاكريته على كفل الحجرة فعلم انه لا وصول اليه فتاخر عنه الى [illegible] بخنجر فجرحه فقال ابراهيم الله يا ابن الملعون ان ملكت ايدى فى يديك فما يخلصك من الاخذ روحك

فقال له زوح دارى جرحك وتعال حاربنى [illegible] حتى احرمك [illegible] النوم

[illegible]

[illegible]

الملك لما أقبل كان معه الامير أيدمر البهلوان وعشرة أمراء فنظر إلى ماجرى فضحك على إبراهيم فقال إبراهيم يامليكنا سعد مأسور فقال الذى يقدر على هذا الفعال فما هو إلا بطل صبور والله تعالى ان يهديه إلى الاسلام فهم فى هذا الكلام والمقدم سعد مقبل فقبل الأرض قدام السلطان وقال يا دولتلى الحمد لله على سلامتك فقال السلطان ومن الذى خلصك ياسعد فقال سعد أنا أمرى عجيب وهو انه دوروا أولا هنا فى الصيوان وماحوله لأن الصبى أتى من قلعته يريد أن يسرق السلطان

فقال السلطان وأى شىء سببك فقال يادولتلى هذا الصبى سرق اختى المقدمة سلمة ومضى بها إلى أمه فقالت لها لا تخافى أنا عائشة البشناقية زوجة اخوك المقدم سعد وحفظتها عندها ولما حضرت أنا أخذت الحجرة ولم أعرف الحرب على الخيل فتعلق فى أزرتى مثل الشيطان وساعدوه الكفرة فقبضونى ولما أدخلنى على امه قالت له اربطه فى السرير فما رضى فانزلنى إلى السجن وفى هذه الليلة ينزل يسرق مولانا السلطان لما علم بقدومه فاتت عائشة إلى عندى وسلمت علىّ وقالت لى الحق ولدك فانه ينزل يسرق السلطان فها أنا أتيت وهذا الولد ابنى

[قال الراوى] إن المقدم نصير نزل فى هذه الليلة مراده أن يقبض على السلطان فما قدر لكون انه رأى المقدم سعد سبقه عند السلطان فعاد إلى القلعة ودخل على أمه وقال لها من الذى اطلق سعد فقالت له أى فان سعد هو أبوك وأنا أمك وهو زوجى وأما هذه المقدمة سلمة فانها عمتك أخت أبيك اذا أراد الله تعالى بهدايتك الى الاسلام فبها ونعمت وإن خالفت فما أنت منقذ من عذاب الله تعالى يوم القيامة فقال لها وزى [illegible] شىء يكون دينى فقالت له هذا كافر مغضوب عليه اى شىء يوصله حتى تمثل بامثاله [illegible] يعد من شكالك فلانت جوارحه للاسلام واخذ امه وعمته ليلا وسار قاصدا الى خيمة السلطان فلما نظره المقدم ابرهيم وسعد صاحا عليه فقال لا بأس عليكم انا نصير وطالب السلطان فنظر الى المقدم سعد وهذا [illegible] زوجته واخته ففرح به ودخل ادلم السلطان جدد سلامه نصير على يد السلطان ففرح به غاية الفرح فقال المقدم نصير يامولاى [illegible] شىء [illegible] رجعة [illegible] زوج [illegible]

[illegible] القلعة [illegible] السلطان [illegible] قدم [illegible] وقال

[illegible] لا [illegible] نفسك [illegible] هذا [illegible] ارض

فاخذوه [illegible] وركبوا [illegible] القلعة [illegible] دوا

القلعة [illegible] فقال نصير [illegible] ركبت

نصرانى ولم يضع عقال بعير فلما صرت مسلما ينتهب مالى فقال السلطان أى شىء تعمل
بهذا المال فقال يا ملك الاسلام ابنى جامعا وتكية فى بيسان فانعم عليه السلطان بمال
القلعتين ورتب له راتب الجامع والتكية وقال له السلطان تمن يا ابن سعد فقال
اتمنى الاسم الحسن منك يا صاحب السعد فقال السلطان اسمك ناصر الدين الطيار
وطهره المقدم جمال الدين وتقيد فى دفتر السلطان مثل أبيه المقدم سعد وشال السلطان
وسافر إلى مصر فى عز وأمان

[ويرجع الفضل] إلى ظهور يعقوب الهدير وهو أن المقدم ابراهيم لما أسلم ناصر
الطيار ورأى أن زوجة المقدم سعد ظهرت ولها ولد ذكر تزوجته نادلة الحصون فضاق
صدره واستأذن السلطان وسار إلى حوران فالتقاه أبوه وهو يقول له يا ولدى الذى
أحضر زوجة سعد قادر أن يرد عليك زوجتك واجتمعت الرجال فطلع ابراهيم يتسلى
بالصيد فرأى نصرانيا قادما إلى حوران فارسل على بن الشباح يكشف عن الخبر فعاد
وقال يا خوند على قلعتنا فقال ابراهيم ائتنى به فاتى به المقدم على بن الشباح إلى المقدم
ابراهيم فسأله المقدم ابراهيم عن حاله وسبب نزوله على قلعة حوران فقال يا خوند أنا اسمى
يعقوب الهدير وأنا كيخية المقدم هدير الرعود ومقيم عنده طول عمرى ورزقت ولدا
لكن جميل الصورة وجبار فيوم من الايام كان سكرانا وفات على بيت الوزير فنظر
بنته فتعشق بها وطلع إلى الديوان وخطبها من أبيها فشتمه وقال له يا كلب كيف أعطيك
بنتى وأنت أقل حدى فاغتاظ ابنى وطلع من الديوان ونزل على البنت وذبحها وركب
حصانه وغاص فى القفار

فلما راح أحضرنى المقدم هدير الرعود وقال لى هات ابنك وإلا أقتلك بدله
فخفت من ذلك [illegible] قد جريت وأتيت إلى [illegible] يلى [illegible]
ما يحميك إلا المقدم ابراهيم فاتيت أخنق إلى حوران [illegible] خليل
فقال له المقدم ابراهيم مرحبا بك وأضافه ثلاثة أيام وسكنه فى قلعة [illegible]
وتركه فيه وعاد المقدم ابراهيم إلى مصر وإذا بالعدوية أتوا إلى مصر وقالوا [illegible]
ما يقيم بيننا فكتب السلطان حجة على ابراهيم [illegible] وتمام [illegible]
الحال مدة ايام فاتى له جوان وقال له يا يعقوب خذ بثارا [illegible] فقبض
عليه فى [illegible] وأرسل [illegible]
الاسلام [illegible]
[illegible] على جوان [illegible] يعقوب الهدير وفرجم [illegible]

وضعهم فى الحديد وأما البرنقش فانه عمل فى صفة خواجة وراح على حلب وادعى أنه خرج عليه يعقوب الهدير نهب ماله فارسل افش الجيي الى السلطان فقال السلطان لابراهيم أنت الذى ضمنت هذا الملعون وهاهو نهب أموال التاجر وبنو اسماعيل يدعو عليه انه عنده ثمانية مقادم أخذهم باللصوصية وأنت المطلوب بكل ما يفعله فركب المقدم ابراهيم وراح إلى حلب وسأل عن التاجر فخاف البرنقش أن يظهر قدام ابراهيم فهرب وسار المقدم ابراهيم إلى يعقوب وسأله فى شان التجار ونهبهم والرجال الذين عدموا فانكر وقال ما أنا محتاج إلى المال حتى أنهبه وأعطى للمقدم ابراهيم عشرة آلاف دينار فعاد ابراهيم إلى السلطان وقال يا دولتلى كلما سمعناه عن المقدم يعقوب كذب وزور فصدقه السلطان وأما يعقوب فانه سار يطعطط فى الطرقات ولم يظهر للناس حاله وسمع أن السلطان لابد أن يطلبه من المقدم ابراهيم

[قال الراوى] ثم ان الفداوية المقيمين بالقلاع أرادوا أنهم يسافرون إلى مصر يشتكوا من ذلك الكافر لكونه أنه قطع الجانب عنهم بعد ما كانوا التجار ترود فانقطعوا عن القلاع وهذا يدل على خوفهم من ذلك الملعون ولولا حماية المقدم ابراهيم كانوا قاموا عليه

فلما سافروا عبروا على حصن العقاب فكان يعقوب الهدير هناك وكانوا اثنى عشر مقدام فضافهم عنده ثلاثة أيام وعندما أرادوا الانصراف أعطاهم كل واحد الف دينار وحجرة وراحوا إلى مصر يتشكروا من يعقوب فاخذوا جماكيهم المقررة لهم وعادوا على يعقوب فى رجوعهم فاضافهم عنده أيضا وبنجهم وحطهم فى الحديد ووضعهم فى سرداب لا أحد يعلمه وطبقه عليهم وأخذ ما كان معهم وبعد ذلك جاءت أتباعهم وسالوه عن مقادمهم فانكرهم فراحوا إلى مصر وشكوا إلى السلطان فقام السلطان إلى عند يعقوب أنت يامقدم ابراهيم الذى أقمت هذا الملعون فى تلك القلعة وأنا لا ألزمه إلا منك

فقال المقدم ابراهيم يا دولتلى أنا أحضره إلى بين يديك ثم انه ركب وسار إلى قلعة جبير فدخل على يعقوب فرآه ضعيفا فعاد ثانيا وقال يا ملكنا يعقوب مشوش فقال سعد يامقدم ابراهيم أنت كنت الأول تشوف ولكن المال أعماك فهم كذلك وإذا كتاب أقبل من حلب من عند باشة حلب يذكر فيه أن بجنبا عقبة تسمى عقبة الصخر وبها قلعة فيها ملك اسمه عبد الصليب وجاء عنده يعقوب الهدير وأقاموا ندبرة العصيان فقال ابراهيم الفداوية يكرنون عندهم فعند ذلك برز الملك بالعساكر حتى نزل على تلك

القلعة ونظر ذلك الملعون عبد الصليب وكان عنده جوان فقال لجوان أنا ما أقدر أقاتل المسلمين فقال جوان أنا أجيء لك بمن يحارب معك وأرسل كتابا إلى مصطرين ابن القش فاتى بعسكره وحط على العقبة فقال عبد الصليب لجوان كل واحد منا يحارب يوما فاول يوم نزل يعقوب إلى الميدان وأسر جماعه من العسكر فركب الملك ونزل إلى الميدان مع جوان الشنيار فاطبقوا الافرنج وقوعت الاسلام فنظر السلطان إلى يعقوب فادركه وضربه باللت فى رأسه فرماه على باب القلعة فجروه النصارى وقفلوا باب القلعة ورجع السلطان فقال لسعد أين كنت لما رميت رأس يعقوب فكنت تكتفه

فقال يا مولانا كنت عمال أقاتل فشتمه السلطان وإذا المقدم جمال الدين أقبل فحكى له السلطان فقال له أنا له ولأمثاله وراح المقدم جمال الدين وكان يعرف سردابا ينفذ إلى تلك القلعة فنزل منه وفك المداريه وقبض على مصطرين وعبد الصليب وجوان والبرتقش وأرسل منصور العقاب إلى السلطان فركب وكبس على القلعة ونهب كل ما فيها وحضر مصطرين فرمى راسه وعبد الصليب صار يبكى قدام السلطان وقال هذا فعل يعقوب الحدير فضربه المقدم إبراهيم بدى الحيات فرماه نصفين وبعده دقهوا فى القتلى فراوا يعقوب الحدير وفيه الروح فأراد سعد ان تم موته

فقال ابرهيم لا يسعد لعله يسلم فرفعوه من وسط القتلى وادخلوه فى خيمة الحبس فراى مناما وقام يقول اشهد ان لا اله الا الله فقال ابراهيم مالك يا مقدم يعقوب

فقال يا خوند انا رايت الخضر واسلمت على يديه فدخل به على السلطان ففرح به وقال تمنى قال اكون مشدود المقدم ابراهيم

فقال السلطان ان الله اعطاك وشال الملك الى حوران فعمل المقدم ابراهيم عزومة حضر فيها السلطان والرجال واشتد يعقوب الحدير للمقدم ابراهيم وسافر السلطان على مصر (ويرجع الفصل) الى ظهور على دريس كرسى الملك جالسا واذا برجل عجمى يقبل الارض فقال السلطان من كان من تورنز و جئت متجرى على ذمة مولانا السلطان ومعى حال قماش عجمى كشمير وشاهى وقدم ذلك قدام السلطان فامر باحضار شمس الدين ثمنه مرتين ففرح العجمى واطلع بقجة وفتحها واخرج منها قماشا نسج السدا من الحرير واللحمة من الذهب البندقى الصافى ممدود مثل الحرير وملحوم به الغباسة ومصور فيها من سائر الاشجار والاطيار والوحوش والحيوانات نقش الملوك فى اللحام فاخذها السلطان وأعطاه للطراشى وقال له خلى الملكة تعملها تفطانا فاخذ الشقة وناولها للملكة

وكان السعيد واقفا فقال أنا احملها فقطانا فقال احد سلامش انا آخذها فقال الخضر الصغير أنا آخذها فتخالف الاولاد الثلاثة وامهم فنزل الطواشي واخبر السلطان فطلع السراية فلقى الأولاد يتخالفون تلك الشقة فقال الملك تتخالفون وأنا وحق من اولانى رقاب العباد لابد أنشى منها انولا بكثرة واجعل جوار مطبخي هذه الشقة يلبسون هذا الجنس ونزل السلطان فاحضر الخواجه وقال له من اين هذه الشقة فقال ياقان الزمان اعلم ان هذه الشقة أعطاهالى قان العجم هلوون بن منكطمر وقال لى وديها لقان العرب فانه لم يكن مثلها فى مملكتى وإذا رأوها دولته يطلبونها فتقع الفتنة فيقتل بعضهم بعضا وإذا بشيحة طالع فقال له أما رأيتك فى الخان وأنا كنت صبي الخواجة ياملك الاسلام هذه فتنة يروم هلوون ان يفنى دولتك بهذه الشقة فقال السلطان أنا اوريه من فينا اقوى مكرا وخداعا ثم أن الملك اكرم الخواجة وصرفه وكتب خمسة وسبعين كتابا ووضعها فى جراب وكتب كتابا واحدا واعطاه للمقدم سعد وقال له حط هذه فى الصناديق ولما تحصل توريزا ادخل على هلوون وقل له أنا عيار وكنت فى مصر فرأيت واحدا خواجة يقول لقيان العرب بيبرس انا بعثوني وزراء هلوون واعطاه كتابا فكتب بيبرس كتبا عديدة واعطاها لواحد تاجر وهو الذى قال له ولا اعلم أى شيء هذه القضية واظن ياقان الزمان ان دولتك منافقين لقان العرب عليك فاخذ الكتاب سعد واعطى الخمسة والسبعين لشيحة ووضعها فى صناديق التاجر وسافر سعد وتبعه الملك وخمسة وسبعون مقدما اولهم ابراهيم وآخرهم منصور العقاب

فوصل سعد واخذ هلوون مسك التاجر وفتش حوله فرأى المكاتيب كل كتاب لوزير فقبض على الستين وزيرا والستين ميرا ورماهم على نطعة الدم وقرأ عليهم الكتب وفيها مكتوب هاأنا قادم برجال كما ذكرتم اقبضوا هلوون فقاموا هلوون واقطعوا راسه واعطيكم بلاده تزنوا الى الخراج فامر هلوون بقطع رؤسهم وكان السلطان واقفا صفة السياف فقطع رؤس الجميع واعطى سعدا كتابا مكتوب قال له علقه على راس هلوون فدخل سعد ليلا وعلق الكتاب على راس هلوون ولما طلع النهار نظروا الكتاب مكتوب فيه هلوون ارسلت الشقة تفنى بها دولتى وها أنا قد أتيت ديوانك وعملت لك فتنة وقطعت راس دولتك بيدى وأرسلت بعض خدامى وعلقوا هذا الكتاب ولو امرته أن يقطع راسك لقطعه حتى ارسل هذه الفتنة خزنة واحدة مشوارى إلى عندك وقتل وزرائك بيدى خزنة وحق طريق الذى علق الكتاب

وتركك بالحياة ولم يقتلك خزنة وأرسل خراج العام الماضى والعام القابل وان لم تعجل بذلك أرسلت المقدم جمال الدين ياتيني برأسك والسلام فلما قرأ الكتاب قال النار غضبان على أشاء العجم ووزن المال وهو فى اشد الكرب وأرسله إلى السلطان فى مصر وأما السلطان فانه بعد ذلك احضر أرباب صناعة الحرير واراهم الشقة فقالوا ما ورد علينا شغل مثلها يكون فى رشيد او فى دمياط أوفى الاسكندرية فأرسل الملك إلى جميع البنادر فلم يجدوا صانعا يقدر على هذه الصنعة فاحضر اخيرا صناع الاسكندرية واراهم الشقة فتقدم شيخهم وقال يا مولانا أنا اشتغل الك مثلها وأخذها ونزل

فقال الملعون نحن مالنا اقتدار على صنعتها فاحتار الشيخ ودخل بيته وكانت له بنت اسمها حسنة فرأى فى يدها شقة مثلها فقال لها يا ابنتى من الذى أعطاك هذه فقالت ابن عمى على ترميش

[قال الراوى] إن هذا الشيخ اسمه محمد ترميس وكان له أخ اسمه حسن ترميس ومحمد هذا خلف بنتا اسمها حسنه وأخوه خلف ولدا اسمه على وكان حسن شيخ على الحريرية وأخوه محمد صانع عنده فات حسن على مال كثير وكان ابنه على صغيرا فاحتوى أخوه على ماله وابنه على لم تكن له قدرة أن يعارض عمه لانه طامع أن يزوجه بنته حسنة فلما كبر وخطب بنته طرده وبقى فقير لا يملك شيئا فمر على الاسكندرية رجل من الهند وكان مقدما فى السن وسكن فى خان وكان على ساكنا فى ذلك الخان فبقى برهة من الزمان وهو يخدم ذلك الهندى فدخل معه يوما اودته فرآه ناصبا نولا ومادا عليه شقة سداها حرير ولحمتها من شريط ذهب بندقى فى اكبر فقال له على اساعدك فقال الهندى اقعد عندى تخدمنى وأنا اعلمك فان الشقة تتكلف بخمسمائة ذهب وتباع بخمسه آلاف ذهب فاذا عملت فى السنة واحدة فمكسبها يكفيك مؤونة السنة فقعد على عنده يخدمه مدة حتى تعلم منه جر الشريط الرفيع من الذهب وشغله على النول والرسم بالمكوك فى لحام القماش وبعده علمه صناعة النول حتى فهم كل الشكل والصناعة وبعده توفى الهندى وكان على جمع فى مدة اقامته معه الف دينار وعند وفاته قال لعلى هل عندك شىء من المال فقال الف دينار فاعطاه الفا ثانية وقال له سامحنى وأرسل إلى تجار الهند فقال لهم إنى وهبت لهذا الغلام النول نظير خدمته لى فخذوا انتم مالى ولا تسألوه عن النول فاقام بعده يومين وتوفى وبعد وفاته قعدت التجار وحولوا الممتلكات وراحوا وبعد جاء بالحرير وصبغه والذهب

وسبحه وابتدع مثل ما رأى الهندى يصنع واشتغل ثلاث شقق أعطى واحدة لبنت عمه بلا شيء والاثنين بقوا عنده فسافر إلى الحجاج وباع واحدة بخمسة آلاف دينار لواحد من العجم والثالثة عنده وأما محمد ترميس لما ضاقت حضيرته ودخل على بنته فلقى عندها شقة مثل تلك الشقة فقال يا بنتى من أين جاءتك هذه الشقة ومن الذى صنعها فقالت له يا أبى أعطاها إلى ابن عمى على من العام الاول لما كنت أنت وعدته أن تزوجنى به فاعطاها لى وهى إلى الآن عندى فاخذها منها وعاد إلى مصر وأعطاها للسلطان وقال يا ملك الاسلام هذه التى أنت طالبها فقال له السلطان عليك نور ثم أخذها فردها وفرد الثانية وقاسهما على بعضهما فوجدهما طولا واحدا فقال للخواجة الاثنين ما كانا وهات الذى صنعها وحدها والأصلية وحدها فالتخم ولم يعرف طيهما ولا يعرف التى جاء بها من الأصلية

فقال السلطان ياشيخ أنت رجل اختيار والذى مثلك يكون صادقا وأنت كثير الكذب فهات الذى صنع تلك المطلية وإلا وحق من أولانى على رقاب العباد أقطع راسك وأعضاءك وأطعمك منها فقال ياملك أجيء به فنزل من قدام السلطان وسافر إلى الاسكندرية وأحضر ابن أخيه على ترميس وقال له ياولدى أنا وقعت فى محذور قدام السلطان وحكى له على الذى جرى فقال له كم أعطاك كلفتها فقال له يا والدى ما قلت له على شيء بل أتيت إلى بنت عمك فاخذت الذى كانت عندها ولما عرف الملك انها ماهى شغلى الزمنى بمجيئك لأنك أنت الذى تعرف شغلها وانا لم أعرف شغلها فقال له سر معى إلى السلطان وأنا أقضى له هذه الاشغال فعنده أخذه وسار به أصل اجتماعه على الهندى وتعليمه هذه الصنعة وكيف صنع بعد موت الهندى الثلاث شقق أحدها أعطاها لبنت عمه هدية والثانية باعها فى عرفات إلى امراة العجمى عيار القان هلوون وهى التى أرسلها لك لأجل الفتنة والثالثة باقية إلى الآن فامره السلطان باحضارها فاحضرها وقال يامولانا هى تتكلف بخمسمائة بندقى يشتغل شريطا رفيعا للحام ورسم التصاوير ومائة بندقى ذهب ثمن كلفة وثمن الحرير واما نولها إذا أردت ان تصنعه جديدا يتكلف الف دينار لأن عدده كلها من الفضة الحجر واحباله من الحرير الصافى النقى وانا فى جيرتك يامولانا تحكم بينى وبين عمى فانه ظالم متعدى على ثم انه حكى له كيف انه اخذ ماله ومال ابيه وجار عليه وكان وعده ان يزوجه بنته وغدر عليه

ولما وقع فى المحذور احضره فالتفت الملك إلى عمه وقال له ياشيخ الكلام الذى

قاله هذا ابن أخيك فقال الشيخ يامالك حق وإنما قصدى شطارته فقال السلطان وأنت لم لا تشطر نفسك ثم قال ارموا هذا المعرص فى نطعة الدم وقم أنت يا على اقطع رأسه بيدك فقال يامولانا هذا فى مقام أبى كيف أقتله وهو عمى أرجو من مولانا السماح وإنما يزوجنى بنت عمى فقال السلطان ومهرها من عندى وفى الحال أحضر محمد ترميس أهله من الاسكندرية وأمر السلطان بفرح على ترميس وأدخله على بنت عمه وبعد ذلك أمره أن يشتغل شققا فاحضر العدد واصطنع فلم يصح لأن هواها التى تصنع عليه بالاسكندرية فسافر إلى الاسكندرية وصنع ثلاثين شقة وقدمها للسلطان وعاد ثانيا قعد سنة كاملة صنع ثلاثة شقة وثالث سنة صنع ثلاثين حتى أفدى السلطان عينه وكسا جوار المطبخ منها وأما على ترميس فانه فى ليلة من الليالى عزمه جاره كانت تلك الليلة مولد الرسول فراح عنده وأقام إلى نصف الليل وعاد فرأى بنت عمه مذبوحة بلا رأس وخنجرا محطوطا بجنبها فصاح واجتمعت الجيران وحضر عمه فقال أنت الذى قتلت بنتى وأحضره قدام باشة الاسكندرية محمد فارس بطريق وقال انه قتل بنتى وجاء ببينة شهدت فقال الباشا هات رأسها حتى ندفنه معها فقال لم اعلم رأسها فى اى جهة فوضعه فى الحبس وطال عليه المطال وهو محبوس إلى ليلة من الليالى [illegible] فى شباك الحبس [illegible] وطلع ليلا فرى مركبا قدام السلطان فقام الشيخ محمد ترميس يا ملك الدولة هذا هو الذى يصنع [illegible] السلطان [illegible] السلطان أنت ياشيخ لم تعرف شيئا فقال يا مولانا هذا [illegible] ما اسمك قال ياسلطان اسمى على [illegible] فقال [illegible] صنع هذه الشقة فقال نعم ولكن ما صنعتها فى هذه الأيام [illegible] فنزل فيه ليلا وخرج من الاسكندرية [illegible] المركب [illegible] على [illegible] خمسين [illegible] على [illegible] ففرقهم على [illegible] أن كل [illegible] قالت [illegible] يا [illegible] انت [illegible] انه إذا [illegible] تعطينى [illegible] ذلك [illegible] الذى يعجبك [illegible] ترميس فاخذه [illegible] خادما فى [illegible] ليلة الأحد رأى بنت عمه [illegible] مع البنات [illegible] فقال له [illegible] بك إلى هذا المكان

فقالت [illegible] وقال [illegible] اليه و[illegible] [illegible] من [illegible] بين يدى [illegible] ورقبته و[illegible] فى الطريق [illegible] كاب [illegible]

لى لاتخافى يا حسنة إذا حضر هنا زوجك أعتقك واسلمك اليه وأنا يا ابن عمى
بكره أقول للرين حنا ان ابن عمى قد حضر فقال لها افعلى ما تريدى وثانى الايام
دخلت حسنة الترميسية على الرين حنا وكانت مقيمة مع بنته فقالت يا رين أنت
وعدتنى أنك تعتقنى وتعطينى لزوجى إذا رأيته فقال لها صحيح قالت وها هو فى
دير البنات فأحضره حالا وانعم عليه وأخلى له بيتا طيبا وسلمه زوجته ورتب له
كلما يحتاج اليه وقال له كل يوم تباشر الدوان فقال حاضر وأقام عنده ستة أشهر وهو
فى أرغد عيش إلى يوم قال له الرين حنا يا على أنا ما أتعبت خاطرك ولو أردت قتلك
ما كان أحد يقدر أن يمنعك وإنما أنا جمعت بينك وبين زوجتك وقمت بواجب
كرامتك وأريد منك حاجة تقضيها لى وهى فى بلدك فقال وما هى يا رين الزمان
فقال أنزلك فى غليون تروح إلى الاسكندرية وتطلع من البوغاز إلى البر وتأخذ على
يسارك تسير مقدار ألف خطوة تلقى عامودا حجرا أسود قصير تضع كفك عليه
وتقول أنا على ترميس بن حسن ترميس بن يوسف بن مصطفى وطالب هذه
الساقية لنفسى ولا أعطيها لاحد فيقع العامود إلى الارض وينفتح باب فى الارض
تنزل أنت منه تجد دهليزا تسير إلى آخره تلتقى مصطبة عليها سريرا من الفضة وعلى
السرير علبة نحاس أصفر ارفع باب العلبة إلى فوق تجد فيها علبة صغيرة خذها
واخرج ولا تأخذ غيرها قط وتنزل فى الغليون وتأتى الى عندى أعطيك زوجتك
ولك عندى غليون موثوق أقمشة حرير وبضائع وخزنة من المال الف ومائتين
كيس كل كيس ألف دينار فنزل على ترميس وقال له الرين حنا وان رحت ولم
ترجع وأعلمت رين المسلمين قتلت زوجتك ولا ينفعك ملك المسلمين ولا غيره
فقال له يا بيك كيف أخونك بعد ما وصل إلى انعامك وسافر حتى وصل إلى
الاسكندرية ومشى حكم ما اعلمه الرين حنا وأخذ العلبة وطلع وصاب العامود كما كان
فالتقاه السلطان والمقدم سعد وأرادوا أن يكلموه فأقبل جمال الدين وقال لا أحد
يسأله ماذا غاب على ما هو جاء فيه يقتل حنا زوجته خليه يروح بها وانا حنا من يا ملك
الاسلام كلما راح من الاسكندرية إلى جنوى فنزل على ترميس إلى البحر وسلم العلبة
للرين حنا فجهز له غليونا كما وعده وأعطاه زوجته وخزنة ألف ومائتين كيس
ورجع إلى الاسكندرية فرآه عمه ورأى بنته فاصطلح معه وأقاموا فى أمان وبينما
هو جالس ودرويش أقبل اليه وكان دقنا شبحة فاختلا معه وعرفه بنفسه وسأله عن
الذى أعطاه له الرين حنا نحكى له على الصحيح فقام من عنده ودخل على البطريق
له احضر اغراب العظمى فنزل المقدم جمال الدين وسافر فيه إلى جنوى فطلع

ليلا على سراية الرين حنا وكان له بنت اسمها مريم أخت مريم الزنارية فاخفاها وتزيا بصفتها ووقف فى خدمة الرين حنا حتى عرف مكان العلبة فرآها علبة من الفضة وفى قلبها ساقية مرصودة على نقل كلما فى الكنز من الاموال وذخائر نقلت منه البعض والبعض باقى فاخذ الساقية وطلع فنزل فى الغراب وسافر ليلا وطاب الهواء [قال الراوى] واصبح الرين حنا افتقد الساقية فلم يجدها ولا بنته مبنجة فطار عقله فبينما هو كذلك وجوان مقبل عليه فحكى له على ما جرى فقال هذه افعال شيحة وأنا اقبضه واردلك حاجتك فاحضر ... فقال ... جوان ابن ... ارمنى وقال له تروح من البر وتكون فى صفة السابق وتقابل شيحه ... طالع من البحر تقبضه وتلقى عبد الصليب القبطان تنزل ... وتعود ... ففعل ذلك وقابل شيحة فى صفة السابق وقبضه وعاد به الى جنوى فاخذه ... ورماه فى السجن وفرح جوان ودخل عليه وقال له كيف يا شيحه ما ... جوان انا اشطر أم أنت فقال شيحة فرج ربنا قريب

[قال الراوى] إن الرين حنا رأى اسيرا فاختارا فاشتراه فقالت بنته يا أبى أعطى ذلك الاسير فاعطاه لها فاعتقته واخذته ونزلت به على شيحة وهو فى السجن فكتب له مكتوبا وكان اسم اليسير صخر المغربى علق له فى الكتاب رتبته وخيطه فى طوق الدلق وانزلته بنت الرين حنا فى مركب مسافر الى الاسكندرية فطلع الى مصر وكان دخوله آخر النهار وطلع على القلعة فالتقى محمد الرومى وكان نازلا من الديوان فظن صخران هذا السلطان فتقدم اليه وأعطاه الكتاب فاخذ المغربى وقتله ليلا واخفى الكتاب وفى ليلة أتى للملك مناما وقال له أنا صخر المغربى أتيت بكتاب من عند شيحة من جنوى وقتلنى محمد الرومى ودفنى فى اصطبل الخيل والكتاب فى جيبه

فلما أصبح السلطان قبض على محمد الرومى وهجم ابراهيم على بيته فاطلع القتيل ودفنه وكشفوا على محمد الرومى فرأوه نصرانيا فامر السلطان بشنقه ونهب بيته واحضر اولاد شيحة فقرأ عليهم الجواب وقال لهم ابوكم فى جنوى وارسل البطريق أن جهز العمارة وسافر الملك حتى حط على جنوى فطلع السابق ونور الدين بردق فقبضوا على الرين حنا واحضروه الى قدام الملك الظاهر وخلص شيحه فطلب السلطان الساقية منه فاحضرها بالرغم عن انفه والزمه بكلفة مركبته خزنة واخذ المال وانزله فى الغراب وشيحة ساقية نقلت فى الغراب العظمى امر الاتكبر حتى طلع على الاسكندرية وطلع الملك من المركب

إلى الاسقالة قاصدا البر فرقعت السافية من جيبه فى البحر فذهبت ولم يبن لها خبر فتركها
وسافر حتى عبر على مصر ويرجع الفصل إلى ظهور عيسى الجاهرى بن إبراهيم وذلك أن
المقدم فلك بن نور الدين نظر إلى خيام سرجويل المهرى غار عليهم وأخذ منهم صيوانا
وكان لسرجويل بنت اسمها افتونة فأرسل المقدم فلك يقول لسرجويل إذا لم ترسل لى
بنتك وإلا والاسم الأعظم أنزل عليك ليلا أدبحك على فراشك فدخل سرجويل على
بنته وأعلمها بذلك فقالت انعم له وارسلنى وأنا أقبض عليه وأحضره بين يديك فأنعم له
وقال له فى رد الجواب أنا رضيت أن تكون زوج ابنتى أنا تحت حمايتك وجهز بنته
وأرسلها له إلى التختروان ومعها ألف بطريق يخفرونها ولما وصلت البطارقة بالبنت
طلع للقباء وعمل لهم سماطا ودخل على البنت وسلم عليها فقامت له وقبلت يده وقالت
له يا حبيبى أنا جئت زوجتك وجاريتك ولكن هذه البطارقة لا تقدرون أن يدخلوا
قلعتك لكونهم نصارى وأنتم مسلمون وإنما تطلع لهم أنت تجالسهم وتأكلوا ضيافتنا
أنت ومن معك من الرجال فقال لها حبا وكرامة فطلع هو ومن معه من الرجال فوضعت
له البنج فى الطعام وقبضت عليه وعلى جماعته وأرسلت إلى أبيها يحضر بعساكره فلك
القلعة [illegible] فلك وراحت إلى المهرى ودخلت على المقدم سليمان نقيب
الرجال فركب وأقبل [illegible] الشقيق وطلب الحرب فركبت البنت وهى مكشوفة
الوجه [illegible] بالخداع والمحالة عشرين بطلا فكتب المقدم سليمان
كتابا [illegible] الميدان فقدم بالعسكر والرجال ونزلت البنت وأسرت من الأمراء
[illegible] ينزل [illegible] لا أنزل أنا كفو لهذا
[illegible] صرخ عليها فارعبها وضربها
[illegible] أخذ عساكره ويهرب فاقبل
[illegible] إلى قلاع الجاهرة ودخل جوان
[illegible] وقال [illegible] فاصبح [illegible] ونزل إلى الميدان
[illegible] فلما أتى جمهور
أرسل [illegible] نزل إلى [illegible] وقال ما ينزل لى
إلا [illegible] الجاهرى مع [illegible]
وقال [illegible] أن أرسل بطلب
منى فى [illegible] لا ترانى
فاخذ [illegible] الذى

قتل جهور واخاه فقالوا إبراهيم بن الحوراني فركب ونزل إلى الميدان وقال ماينزل
لى إلا إبراهيم بن الحوراني فتقاتل معه إلى آخر النهار لكن المقدم إبراهيم كل مايهم
ان يقتله تاخذه عليه الشفقة، فلما فرغ النهار بات إبراهيم يتفكر فى هذه الوسيلة وثانى
الايام نزل عيسى الجاهرى ونزل له يعقوب الهدير فتحارب معه وجرحه فنزل نصر الدين
الطيار فحاربه إلى آخر النهار وعاد فحكى لامه ماجرى فقالت تقدر تسرق إبراهيم بن
الحوراني فقال لها نعم اقدر فنزل ليلا واختلط بعسكر الاسلام ولاجل القضاء ان
ابراهيم اركن الطير وطلع يزيل الضرورة فلقاه عيسى الجاهرى فبنجه واخذه وطلع به
الى امه وايقظه بين يديها وطلع يريق الماء وعاد فرأى امه مع المقدم ابراهيم قاعدة
فقال لها ما هذا فقالت له بقيت أعلمك انني امك واسمي نافلة الحصون وهذا ابوك
اسمه المقدم ابراهيم بن حسن فلما سمع ذلك منها اهداه الله الى الإسلام قال يا ابي
كيف العمل قال ابراهيم اقبض لى هذا الملعون جوان فعاد عيسى الجاهرى [illegible] جوان
وقال يا جوان اصدقني انا ابن ابراهيم فقال جوان [illegible] فسكر [illegible] جوان
وقبض عليه ولما طال غيابه خرج [illegible] فقال جوان اقتلوا لى [illegible] النصارى
فعثر ابراهيم فى قتيل فوقع فقبضوه واقر [illegible] العيسى [illegible] يا ابا
جوان فقال جوان اسكت ما تخشى شيء [illegible]
[illegible] جوان
[illegible]

والاكرام ان الملك الكندفرون له بنت واسمها الملكة ونقيض وكان أصابها مرض وقدرت أنها إن طابت تزور القمامة القدسية وطابت وتريد توفى نذرها بزيارة القمامة وأنا خائف عليها من الديار وعرنوس لأنى سمعت أنه يأكل بنات الملوك فارسلت هذا الكتاب اليك ومعه هدية على قدر مقامى لا على قدر مقامك وهى خزنة وقدرها ألف ومائتى كيس ولا ألزم غفر بنتى إلا منك يا زين المسلمين وشكر يا رب المسيح فلما سمع السلطان الكتاب كتب كتابا وأعطاه للمقدم سعد وأمره يؤديه للملك عرنوس فسافر سعد حتى وصل إلى الملك عرنوس فاعطاه الكتاب فافرده عرنوس فوجد فيه

يا كتابى إذا ترى حبيبى قبل الاقدام قبل أياديه
واستانا ولا تكن عجولا إن روحى وراحتى تفديه

إلى حضرة ولدى وأعز [illegible] ولدى الملك محمد سيف الدين عرنوس الذى أعلمك أنه ورد علينا من الكندفرون [illegible] وفيه كتاب يذكر فيه أن له بنتا يريد أن يزورها القمامة [illegible] ولكن خائف عليها منك ولما قرأت الكتاب [illegible] تعجبت غاية الاعجاب وقلت [illegible] لا عرنوس [illegible] أنا أرسلت اليك هذا الكتاب وأملى منك أن تاخذها [illegible] الا [illegible] كما [illegible] الله [illegible] فقال عرنوس على الراس والعين [illegible] ورجع [illegible] إلى السلطان برد الجواب فقر[illegible] السلطان [illegible] الوزير [illegible] من [illegible] وقال له يرسل بنته تزور [illegible] ...

[illegible] الجزء [illegible] من [illegible]

[illegible]

الجزء الثامن والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المنصورة

[قال الراوى] وأن الملك عرنوس أخذ عمه المقدم اسماعيل ابو [illegible] [illegible] المقام
نصير [illegible] واخذ عشرة من أولاد ملوك البرتقان أتى إلى يافا ينتظر قدوم [illegible] [illegible]
كما أمره السلطان حتى اتت البنت إلى يافا ورأت عرضى الملك [illegible] [illegible]
وزير من عند أبيها يخدمها فارسلت الوزير تقول له انظار غير مقيم [illegible]
فعاد اليها الوزير حتى وصل إلى أرمونية ودخل على الكندفرو [illegible]
ملك الاسلام ففرح بذلك وجهز غليونا من الخشب الصاج الهندى [illegible]
الخشب الفخارى ونزلت البنت فى الغليون ومعها خمسمائة بطريق [illegible]
الكندفرون فنزلت وخرج الغليون وطار الهواء حتى وصلت إلى مدينة [illegible]
فى التختروان وسافرت إلى يافا

فقالت للوزير روح قل للمقدم ان الملكة لا تقدر تقعد [illegible] [illegible]
عندها لئلا يسطو احد عليها فراح الوزير وقال لعرنوس ذلك

فقال له عرنوس قل لها تنام ولا تخشى من جميع الانام [illegible]
الكلام فازدادت عشقا وغراما وقامت ليلا [illegible] [illegible]
الملك عرنوس فدخلت عليه وقالت له انى خائفة على [illegible]
ومن ذلك أتيت اليك حتى استأنس بك [illegible]
جلوسى وحدى وعدم الانيس

فقال لها الملك عرنوس مرحبا [illegible]
الملك عرنوس [illegible] [illegible]
[illegible]

ولما كان عند الصباح اقبل المقدم ابراهيم بن حسن وسلم على الملك عرنوس فسأله عرنوس عن سبب مجيئه

فقال أتيت أساعدك يا ملك عرنوس فى الغفر لأن السلطان افتكر فى عرنوس لانه صاحب هوى فخاف أن يغريه الشيطان

فقال للمقدم ابراهيم روح ساعده فى غفرها ولا تمكنه من المقام معها فسافر معهم بامر السلطان ولكن نظر المقدم ابراهيم أن البنت مائلة إلى حب الملك عرنوس ولانها مقدرة على بعده ولما ركبت فى التختروان قال للملك عرنوس لا تفتر عنى وسر بجنبى دائما

فعمل عرنوس وهو كذلك وداموا على ذلك الحال حتى وصلوا الى القدس وارسل الملك عرنوس فاحضر باشة القدس وقال له اخل سراية تكون واسعة لنا فاخلى له سراية فاطلعوا الملكة رونقيص فى محل عالى والملك عرنوس والمقدم اسماعيل ابو السباع ونصير النمر والمقدم اسماعيل بن حسن فى قصر قريب منها وأما النصارى والخدمة فى حوش السراية الى يوم من الايام قالت الملكة رونقيص للملك عرنوس يا غفيرى أنا قصدى اتفرج لانى ضايقت من الحبس وخاطرى أزور القمامة فقال عرنوس غدا ان شاء الله اوديكى فلما اقبل المقدم ابراهيم حكى له الملك عرنوس على ما قالت الملكة رونقيص من الكلام فقال المقدم ابراهيم الحق بيدها لانها من يوم أتت الى هنا وهى قاعدة فى هذا المكان وعند الصباح أحدروها وساروا بها الى القمامة القدسية وأدخلوها فيها و[illegible] الملك عرنوس والمقدم ابراهيم الى الحرم وقعدا هناك فقال المقدم ابراهيم يا ملك عرنوس ما اطيب هذا الحرم والله انه مليح للنوم وأنا قصدى أنام فقال عرنوس [illegible]

[illegible] ثم [illegible] الملكة رونقيص دخلت الى القمامة القدسية فالتقاها البترك [illegible] قال لها يا ملكة نورتى القمامة بقدومك فيها وحلت عليك [illegible] مرادى اسألك على منام رأيته فى نومى وأنا خائفة منه [illegible] رأيت انى واقفة [illegible] وسط غربان سود وأنا كارهة [illegible] فنظرت الى طيور بيض مثل الحمام وأكبر فدخلت بينهم وأنا خائفة [illegible] بيض مثل العقاب وضمنى الى صدره [illegible] فخرج من فؤادى دخان اسود [illegible] أبيض قطره [illegible] فخطفه غراب [illegible] الغربان

فخرج من فرجى جوهرة فبقيت فى حجرى وأنا بين الغربان مدة من الزمان وبعدها راغت وسارت إلى بعيد فتبعوها جميع الغربان فدخلت بين الطيور البيض فسرت اطلبها فدخلت فى مخزن الجواهر وأنا بقيت بين الطيور واختطفنى ذلك الطير الأبيض ولم يمكن أن يطلقنى من بناته فاقمت فى مكانه وهذا مارأيت ياأبانا البترك ففسر لى منامى لأنه غاية قصدى ومرامى فبهت البترك من كلامها وقال ياملكة إن هذا المنام ماسمعته فى عمرى ابدا فادخلى واشربى من جرن ماء المعمودية واستحمى حرمة هنية تنسى هذه القضية فقالت له يكون ذلك فى غد ان أراد المسيح ثم انها خرجت من القمامة وإذا وزيرها ينتظر قدومها فقالت له أين غفيرى فقال لها غفيرك دخل حرم المسلمين فقالت هاته فأنا محتاجة اليه وإلا سر معى وأرنى الحرم الذى هو فيه فقال لها ما يدخله إلا المسلمين فسارت معه إلى الحرم فرأت رجلا من أشراف البيت المقدس

[قال الراوى] وكان رجلا فقيرا أصله من ناس طيبين وجارته الزمان وفى هذا اليوم وضعت زوجته فقالت له القابلة مبارك ولم يكن معه شىء يعطيها بشارة فطلع قاصدا وجه الله تعالى وقصد الحرم وإذا بالملكة ... فقالت له اندخل إلى الدار ... عرنوس وخذ هذه السبحة أوريها له يعرف انها سبحتى وكانت سبحة لؤلؤ تسوى خمسمائة دينار فأخذها ودخل إلى الملك عرنوس وقال له يا دالى ... باب الحرم افرنجية اعطتنى هذه السبحة أمارة لك انك تكلمها فقام الملك عرنوس ... إلى باب الحرم فالتقى البنت واقفة فقال لها ما الخبر فقالت له قصدى ... فقال لها هذا لايكون إلا بأمر حضرة الاستاذ ... ذلك ... بجانبه فاراد الملك عرنوس أن يردها فقال الاستاذ ... يابترك المسلمين

فقال الاستاذ ما ... فقال له ... فضحكت ... عرنوس ... الإسلام ...

شيء هذا يامولانا هذه بنت ملك من ملوك الروم ونحن أتينا لاجل كفرها ولا تينا لزواجها فقال الشيخ اسكت فكل من عارض كفر فقال ابراهيم كيف يكون العمل فى الملك الظاهر اذا عاتب علينا فقال الشيخ أنا أكتب لكم كتابا للملك الظاهر فكتب جوابا فقال ابراهيم نعطيها الوزير فأخذوا عليه حجة التسليم فقال عرنوس وأنا بعد ذلك أعرف شغلى فطلع ابراهيم وحطها فى التختروان وقال للوزير تسلم الملكة وا كتب لى حجة بالتسليم فتسلمها وكتب له الحجة وسافر ابراهيم والوزير سار مع الملك عرنوس الى يافة وأراد أن يسافر فقال عرنوس لابد ان تروح معى الى بلدى وتأكلون ضيافتى فشاوروا الملكة فأجابت وساروا جميعا الى مدينة الرخام ولما وصلوا ضربت لهم المدافع فأمر الملك عرنوس بالزينة سبعة أيام ودور الملك عرنوس الافراح مدة سبعة أيام وفى الليلة الثامنة دخل الملك عرنوس بالملكة رونقيص وتملا بجمالها وكانت ليلة ما رأى أحسن منها وفى ثامن الايام بطلت الافراح والوزير وجماعته يظنون ان هذه الافراح اكراما لهم فدخل الوزير فى اليوم الثامن على الملك عرنوس وقال له يا رب الديار وكثر الله خيرك [illegible] لنا الملكة [illegible] سراية حتى نأخذها ونسافر بها الى أبيها فقال الملك عرنوس يا وزير الملكة أسلمت وأنا تزوجت بها ولا بقى يمكنها الرجوع الى بلادكم ولا الاقامة عندكم فقال له الوزير أنت عملتها جناقة ولم تخف من الب[illegible] الكفرون اذا كانت [illegible] طاقة [illegible] ان كنت عطيت [illegible] طلعه وسلمها لنا [illegible] كانت [illegible] فقال له عرنوس [illegible] ان كنت أنت تروح سالما [illegible] والا أطير رأسك فلم يسمع كلامه [illegible] الملك عرنوس [illegible] بقاسم [illegible] يريد به أطاح رأسه من [illegible] كتفيه [illegible] جماعته [illegible] الباقى بالحسام [illegible] ثم أخرجهم من مدينة الرخام [illegible] فنزلوا [illegible] المراكب [illegible] ودخلوا على الكفرون واحكوا له [illegible] كيف أنه [illegible] فكتب كتابا يقول [illegible] ولم ترسل [illegible] جاريه [illegible] ركبت [illegible] بلادك واهلكت [illegible] يارب المسيح [illegible] مع وزيره الثانى فسار الى الاسكندرية [illegible] مصر ودخل على السلطان فقدم له الكتاب ولما قرأه طلب ابراهيم [illegible] الى أبيها فقال ابراهيم [illegible] حجة بخط الوزير فقال [illegible] هذا الكتاب

فقال ابراهيم لاأعرف يمكن أنه بعد توجهي الى هنا حصلت الموانسة بين الوزير وبين الملك عرنوس فقال الملك صدقت ثم ان السلطان امر الوزير ان يقيم حتى ينظر الدعوى فارسل المقدم سعد بكتاب منه يطلب الملك عرنوس فلما وصل المقدم سعد الى الملك عرنوس حضر للديوان وسلم على السلطان وجلس فاراه الملك الكتاب وأراد عرنوس ان يقرأ الكتاب واذا بأبي على البراج طالع ومعه كتاب من الاسكندرية فاخذه السلطان فقرأه واذا فيه ان الاسكندرية ملكها الكان وأنا بعسكري رحلت الى رشيد وقد اعلمتك بالخبر أيها الملك السعيد والسلام

[قال الراوي] وكان السبب ان الملك الكندفرون جلس في ديوانه واذا بجوان قادم عليه فلما رآه قام له وفرح بقدومه وبكى بين يديه وحكى له على ابنته الملكة روفيص وكيف أنها راحت تزور الغامة فأخذها الدبابرو عرنوس وعملها جناية فقال جوان هذه أفعال ملك المسلمين وملوك الكريستيان لم يسمعوا قول جوان وكيف تقعد عن بنتك بعدما خذها الدبابروا عرنوس ثم جهز عسكرك واركب على بلاد المسلمين وأنا أملكك بلادهم في أقل من يوم فقال الكندفرون ياأبانا ماأقدر اركب لان بلدي هذه بناها أخي أدمين وهو حكيم ركهين وبناها في جزيرة وصنع لها سبعة أبواب بسبعة أبراج وجعل في دايرها أربع خنادق وبنى له قصرا خارج المدينة من الرخام وجعل فيها تصاوير من الذهب والفضة ونقشه نقشا عجيبا وسكنني في قلب القلعة وأقام في القصر واخاف ياأبانا أسافر بغير اجازته يعطي البلد لغيري ولا أطول بقى ولاأقدر على الرجوع الذي فيهم في الكلام الاوأولاد الملك الكندفرون طالعون وكان أحدهم اسمه قصمة والآخر اسمه قصيمة فاعلمهم جوان بماجرى فقالوا يا أبانا نحن نعلم ذلك ولاأتينا الا لاجل ان نركب على المسلمين ونخلص اختنا بيقين فقال لهم الكندفرون أنا أجهزكم بالعساكر أمدكم فقال جوان وأنا أروح معهم ففرح الكندفرون وأمدهم بأربعمائة مركب وعمرها بالعساكر وسافر الملكان مدة أيام حتى قربوا من الاسكندرية فقال لهم جوان اذا دخلتم المينة فان الغاز يردكم ولم يمكنكم أخذ البلد وانما يتقدم قدامكم أربع مراكب كل مركب يكون فيه الف بطريق وضعوهم في صناديق ويدخل بهم جماعة على صفة التجار فاذا لاقاهم الكمرجي شاغلوه بالكلام حتى يصيروا الكل بالمينة ويكون فتح الصناديق من داخل فاذا تفتحت الصناديق لاينهم بطارق الا ويضرب ... قدامه من المسلمين واذا فتحت أربعة آلاف على البلد شاغلوا أهل البلد حتى تدخل بقية المراكب وتملكوا البلد ولايقدر يقف قدامكم احد فتدخلوا على غفلة بغير ... أربعة آلاف في صناديق

وكانت امارتهم الصفير فلما صفر قصمة سمع النداء من الصناديق وبقى لسيوفهم لميع وبريق فالتهوا الناس بهم فدخلت المراكب وملكوا الاسكندرية بالقتال ونظر فارس البطريق فعلم ان قعاده ما بقى يفيد فأخذ أهل البلد وراح على رشيد هذا كان سبب أخذ الاسكندرية فارسل باشة الاسكندرية المكتوب للسلطان فهم فى الكلام واذا بكتاب أقبل من مدينة الرخام فأخذه عرنوس وقراه فرجده من حريماته يقولون فيه أنا مقيمون واذا بالملك ونقيص انخطفت من بيننا فأرسلنا هذا الكتاب نعلمك والسلام فقال السلطان ياعرنوس سافر أنت واكشف عن خبر زوجتك واما الاسكندرية أنا أسافر اليها فركب الملك عرنوس وطلب مدينة الرخام يقع له كلام اذا وصلنا اليه نحكي عليه والعاشق فى جمال النبي يكثر من الصلاة عليه اما الملك الظاهر فانه برز بعساكره وسافر الى الاسكندرية أرموا عليه المدافع من الاسوار فنصب عرضيه على قدر رمى النار وأقام السلطان نازلا قدام الاسكندرية خمسة وأربعين يوما فلما طال عليه المطال اغتاظ السلطان وقال كل من يأتى لى برأس الملكين اللذين فى الاسكندرية له على تمنية قال ابراهيم انا وسعد قم بنا ياسعد فقام سعد معه ومشوا الاثنان الى الساحل ودارا حول البحر ليلا ونزلا فى مركب من الواقفين ومن المركب الى مركب حتى وصلا الى المينة وطلعا فلقيا باب البلد مفتوحا ولا أحد سألهم وكان النهار طلع فشقوا فى البلد الى الديوان فصاح ابراهيم نجاب وحامل كتاب فقالوا له هات الكتاب فأعطاهم كتابا أبيض فقالوا له هذا أبيض قال أنظروا طيب فامعن الاثنان فى الكتاب فسحب ذو الحيات وضرب الاثنين أرمى رقابهما قال جوان دالى قال ابراهيم غير اليوم حسبي الله أكبر

اذا قام سوق الحرب والجو أظلما	وعادت سيوف الهند تقطر بالدما
وغنى اليمانى عند خوض عجاجها	وبحر المنايا موجه يتلاطما
فلا تجحدوا فى الحرب فالله ناصرى	ومن يعتصم بالله لا شك يسلما
دعونى أوفى الضرب فى الحرب حقه	وأنف الاعادى فى الكريهة مرغما
أنا سبع حوران الذى تعرفونه	وادعى بابراهيم فى الحرب ضيغما
أجاهد فى دين النبي محمد	بعزم شديد البأس لايتألما
ولست أبالى ان تكاثر جمعكم	فما تبلغوا منى سوى الويل والعما
أنا خادم السلطان بيبرس سيدى	مليك على كل الملوك تقدما
وسعد أخى فى الحرب لاتنكرونه	له فى مقامات الحرب تهاجما
وصل على خير الخلائق أحمد	نبى عليه الله صلى وسلما

[قال الراوى] وانطبق الفداوى على أهل الكفر والعناد وضرب بسيفه من سواعد شداد قاتل ما قصر كانه الليث الغضنفر وأما المقدم سعد فانه أخذ الراسين وعلقهما فى كلاليب حزامه وضرب بحسامه حتى أخلى الطريق وسار إلى باب البلد فرآه مقفولا أرى بمفرده وطلع من على السور ونزل فوصل إلى الملك وقال يامولانا إبراهيم يقال وحده فقال السلطان الخيل فركبت الرجال وارادوا الهجوم وإذا بالمدافع تخرج عليهم من الاسوار فبقى الملك محتار وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل وقال لا يمكن المسير بالخيل اتبعونى يا سباع الاسلام فتبعوه حتى نزل بهم من جهة البحر فوجدوا صخرة تعافروا عليها حتى رفعوها وإذا بدهليز فنزلوا فيه وطلعوا من طاقة حاصل فى خان ففتح شيحة الحاصل فنظر الملك فوجد روحه فى وسط البلد فصاح الله أكبر وتبعته الاسلام وغنى بالحسام ففاق الهام وتزلزلت الاقدام ورفرف الطير على القتلى وحام تقسمت الجثث أقسام وولى النهار وأقبل الظلام هلكت الكفرة اللئام طلبوا الهرب والانهزام البعض منهم نزل البحر غرق ما عام ومنهم من راح على حد الحسام هلكوا عن بكرة أبيهم أمر الملك بأموالهم المقدم ابراهيم يعنوا الملكين أما اسلاب العساكر وما فى المراكب غنيمة للاسلام وقال الملك يا سعد اريد منك أن تأخذ هذين الراسين تعلقهما على رأس الكلب الكندفرون قال سعد على الرأس والعين وأخذهما الراسين وراح يقع له كلام وأما الملك عرنوس فانه سار الى مدينة الرخام فالتقى زوجته رونقيص حقيقة انخطفت فقال عرنوس لابد لى من رواح ارمونية ولا أعود إلا بها ولكن حتى أعلم السلطان فأراد أن يرسل خطابا إلى السلطان وإذا بالسلطان وإبراهيم وسعد مقبلون فالتقاه الملك عرنوس وشكره وأخذه وأدخله بالمحل الذى كانت فيه زوجته رونقيص . فقال الملك ياولدى أنا أرسلت سعد إلى أرمونية يعلق رؤوس الملكين اللذين كانا أخذا الاسكندرية على رأس الكندفرون قال أتى سعد لابد أن يعلمنا بزوجتك ان كانت هناك

فقال عرنوس وهو كذلك وأقام الملك فى مدينة الرخام يومين فلما كان صباح ثالث نزل فى الغراب العظمى وإبراهيم معه فلما وصل مصر طلع الى قلعة الجبل وقد عزم على الخروج بالعساكر لانقاذه على بلاد الاسلام وفى الثلث الثالث من الليل أخذ المقدم ابراهيم وطلع من القلعة وسار بهم يتجسس شوارع مصر إلى النحاسين فوصل إلى الركن فالتقى قصرا مبنى عجيب فقال يا إبراهيم من بنى هذا القصر فقال انى لم أر أيته قبل هذه الليلة فداروا حوله فلم يجدوا له بابا فعلموا عليه وراحوا إلى الصباح فنزلوا فرأوا على القصر دكان

رجل خضرى سألوه من القصر فقال كانكم مجانين متى كان هذا القصر فمضوا ثانى ليلة فنزلوا ووجدوا الى القصر فداروا به ولم يجدوا له بابا ولما كان ثالث ليلة نزلوا فرأوا القصر وله باب قاعد عليه غلام أمرد جميل الصورة فقالوا له السلام عليكم فرد السلام وقال أهلا وسهلا بملك القبلة وخادم الحرم ولكن لم يقم من مكانه ولا تحرك مع أنه عرف السلطان فانحمق الملك من عدم قيامه فقال الشاب يامولانا لا تؤاخذنى فمالى طاقة على القيام فانى عاجز فتقدم الملك اليه لينظر عجزه وإذا بنصفه الفوقانى بشر ونصفه التحتانى حجر فقال له السلطان أنت من ومن أين أصابك هذا المصاب فقال ياملك الاسلام أنا ابن خادمك الخواجه شمس الدين الحرتى والسبب فى ذلك أن أبى أمرنى ان أتاجر بعد ما زوجنى وأسكنت زوجتى فى بيت وحدها وأعطانى ألف دينار اشتريت بها كتانا ورحت الى بر الشام بعته واشتريت بثمنه حريرا وصرت أبيع وأشترى وأسافر وفتح على المولى وثالث سفرة وقعت بعجوزة اسمها الكاهنة الفلفلة فاشترت منى الاسباب التى كانت معى وأخذتنى لمنزلها على انها تعطينى حق متجرى

فلما بقيت عندها طلبت منى الزنا فلم أرض بذلك فصلبتنى وضربتنى ضربا شديدا فقال آه لو رآنى السلطان فأطلقتنى الكاهنة وحملنى خادم من أعوانها وجئت فرأيتك وأنا مبرسم ولم أقدر أتكلم وعاودتنى لها فقالت لى أى شىء عمل السلطان فقلت لها أما تخافى من الله والله ان السلطان ما شافنى ولا نظرنى فقالت الليلة أخليه يشوفك وعملت نصفى حجر ونصفى بشر وصورت هذا القصر وقد أقعدتنى كما ترى على بابه حتى حضرتم وحكيت لكم وهذه قصتى حكيتها لكم فلما سمع السلطان ذلك الكلام قلق وهام وقال له وأين هذه الكاهنة فقال يا ملك الاسلام الكاهنة فى القصر تسمع كلامكم فبينما هم كذلك واذا بالكاهنة أقبلت وقالت أى شىء مرادك تعمل فى الكاهنة ثم قالت حديد فصار الملك وابراهيم فى الحديد وجذبت حساما مجوهرا وقالت إيش مرادكم تفعلوا حتى تتعرضوا للكاهنة الفلفلة يا قليلين الادب فقال الملك يا ملعونة امهلى حتى أطلب الفرج من صاحب الفرج، ورفع قامته إلى السماء وقال اللهم يا عظيم العظماء يا رافع هذه السماء وباسط الأرض على وجه الماء اسألك بحق اسمك العظيم الأعظم ان تنقذنا من شر هذه الطاغية الباغية انك على كل شىء قدير فما تم كلامه حتى أقبل المقدم سعد بن دبل وهو يهدر كالقدر الذى على الجمر وضرب تلك الكهينة بالحسام أطار رأسها عن الهام فارتفع

سحرها عن ذلك الغلام وانفك السلطان من الحديد وكذلك المقدم ابراهيم وصاحب أعوان الجان أراحك الله يامقدم سعد كما أرحتنا من خدمة هذه اللعينة [قال الراوى] ثم ان المقدم سعد لما أخذ الراسين حكم ماأمره السلطان وسار قاصدا ارمونية فلما وصل اليها رآها محصنة من جميع الجهات بالابواب والاقفال والخنادق ولم يقدر على الوصول اليها أحد فاختار سعد وسار إلى أن نظر جبلا عالى فطلع الى ذلك الجبل وإذا بقلعة وفيها رجل كبير فلما رآه قال له أهلا وسهلا بالمقدم سعد أنت جئت تعلق رؤوس الاولاد على راس أبيهم فقال نعم ولكن لقيت انه لا وصول لى إلى ذلك فهل لك أن تساعدنى وتغتنم الثواب فقال له نعم خذ هذه الدائرة أقعد فيها وهى ترفعك من فوق الأسوار فاذا وصلت إلى قصر الكندفرون حطهما وتعال حتى أرسلك إلى السلطان فقعد سعد فى الدائرة فطارت به إلى قصر الكندفرون فالتقاه نائما فوضع الراسين فوق رأسه وعاد إلى الاستاذ وقال له سيدى أطلب منك أن تعطينى عهدا أن أكون فى خدمتك فأعطى له عهدا وقال له أنت ولدى بمقام عهد الله انزل ثم انه قدم له زورقا خشب وميزانا وقال له اقعد فى هذا الزورق وامسك هذا الميزان بيدك وقال له يازورق وديه إلى باب النصر فماأفاق سعد إلا وهو بباب النصر فصار يقول اللهالله حتى وصل الركن وكان السلطان يدعو الله كما ذكرنا فأقبل سعد وهو على ذلك الحال وقتل العجوز وأنقذ السلطان وإبراهيم والغلام فقال ابراهيم والله ياسعد لو قسموا لنا الولاية بالقنطار فلم يفتك منها ولا درهم واحد فقال السلطان يا ابراهيم لا تعترض فان الله يعطى من يشاء فقال سعد يا مولانا أنا قابلت شيخا اسمه الشيخ جياد وقد أعطانى زورقا وميزانا وشخصا فخذ ياملك الدولة هذا الشخص فانه مانع للعدو وأمر الملك بطلوع العسكر إلى فأقبلت الفداوية وزعق الشخص فأظلم الحال قال ابراهيم ايش هذه الداهية وضرب الشخص بذو الحيات فأرمى رقبته وسافر السلطان بالعساكر إلى الاسكندرية وأمر البطريق أن يحضر العمارة ولما تجهزت المراكب وضع سعد الزورق فى مقدم الغراب العظمى فثار الريح وأظلم البحر وطلع ابراهيم إلى الزورق وجلس عند الدفة فما مضى ذلك النهار إلا وهم على ارمونية فطلع السلطان بالعساكر وحطوا قدام البلد فضربت عليهم المدافع ونصب الملك الخيام قال سعد أين المقدم جمال الدين شيحة فقال ابراهيم ياسعد شيحة ماهو موجود رأيت ان بقت لك كرامات اظهرها فى هذا اليوم فقال سعد انبعونى وأنا ان شاء الله املككم ارمونية وكان سعد قصد أن ينظر شيحة الذى عاهده فسار قاصدا الجبل وتبعه الملك والمقدم ابراهيم وبنو اسماعيل والامراء فهو سائر وإذا برجل اختيار التقاه وقال لا تتقدم

يا مقدم سعد أنت من المسعدين فسار سعد الى عنده فقال له سعد ياسيدى وأين شيخى الذى كان فى هذه القلعة فقال له شيخك غائب ولكنه اوصانى عليكم اقعدوا وأنا اقضى لكم اشغالكم ثم ان ذلك الاختيار أتى بقدح ملآن من الماء الزلال الرائق فشربوا جميعا فناموا كأنهم موتى وما أفاقوا إلا وهم قدام الكاهن أرميل صاحب ارمونيا وهو الذى كان ارسل خطف الملكة رونقيص وردها إلى ابيها وقال له عذبها اشد العذاب لانها بقيت من المسلمين وبعد ذلك أتى الكندفرون وسحب الحسام ووقف على رأس الملك الظاهر فقال المقدم ابراهيم ياسعد هذه بركة ولايتك ياقران أنا قلت لك ان قصرا لولاية بالفدان مايتوبك منها ولا قيراط ماصدقتنى الله يلعنك ويلعن هذا الشيخ النحس الذى اتى بنا إلى هذا المكان كل هذا وسعد واقف لا يتكلم وبعده تقدم الكندفرون ورفع يده بالحسام وضرب الكاهن ارميل على وريدبه فأطار رأسه من بين كتفيه وقال قم يا ملك الاسلام ياخادم ترس قبر المظلل بالغمام فقال له السلطان ياأخى إيش الخبر وأيش الذى أتى بك إلى هذا المكان وأين الكندفرون فقال له والله ياملك الاسلام إن هذه عبارة متعبة وهو انه لما ارسلت سعد بالرؤوس تبعته انا الى هذه البلدة وأما سعد فانه ساعده الله بالاستاذ الذى لقاه فى القلعة وأنا لم أجد لى سبيلا لدخول البلد فأسعفنى الله تعالى من فضله ومنه بسيدى عبد الله المغاورى أدخلنى البلدة فلما دخلت رأيت الدنيا منقلبة ودخلت السراية على الكندفرون فرأيت رونقيص مربوطة ففكيتها وطلعت مرآة الانقلاب وتصورت فى صفة الكاهن أرميل ودخلت على الكندفرون فقتلته وانقلبت فى صفته ودخلت على الملعون أرميل وتركت على الطبق الجليل وقلت له قصدى أقاطع على المسلمين فأورانى السرداب وأعطانى ذلك الشراب فسرت اليكم وأتيت له بكم فأمرنى برمى رقابكم فضربت رقبته وخلصتكم وهذه حكايتى والسلام فقال المقدم إبراهيم اسم الله عليك وعلى ولايتك ياحاج شيحة انها بيضة وأما ولاية سعد فانها زرقاء فقال سعد ماهو انا الذى اتيت بكم اليه فقال شيحة ما بقى قعاد اضربوا السيف فى رقاب الكفار فضربوا بالحسام وقال الملك الله أكبر وصاحت عصبة الاسلام ونزل شيحة وفتح ابواب البلد وكبست المسلمون على أرمونية فملكوها وأهلكوا من كان فيها وهدموا أبراجها وردموا خنادقها واحتوى الملك على الاموال ونزلوا فى المراكب وأقبل الملك عرنوس وأخـــذ زوجته رونقيص ونزل فى الغراب السيار قاصدا مدينة الرخام بعد ماودع ملك الاسلام وأما السلطان فانه توجه الى الاسكندرية وطلع الى مصر وكذلك عرنوس وصل مدينة الرخام فلما وصل الى المينة طلع له المقدم اسماعيل أبو السباع والمقدم

قصر النمر وأولاد ملوك البرتقان والتقوه أحسن ملتقى وفرحوا بقدومه ودخل فى يوم مشهود وأقام فى عز وتمكين وهو فرحان بالملكة رونقيص [وأعجب ما وقع] أن الكاهن أرميل صاحب أرمونية له أخت مقيمة فى الجزائر المانعة يقال لها روميه فهى مقيمة وإذا بها قد بلغها خبر أخواتها بانهم قتلوا على يد المسلمين بسبب بنت الكندفرون رونقيص فدخلت بيت رصدها وهى باكية على اخواتها واشتغلت بعلوم الاقلام فرأت انها لم تقدر على هلاك الاسلام لأنهم ناصرهم الملك الديان فاحضرت عونا من اعوان الجان وامرته ان ياتيها ببنت اخيها رونقيص فسار ذلك المارد الى مدينة الرخام وكان الملك عرنوس قاعدا فى قصره ورونقيص معه فما شعرت الا والذى خطفها فقالت الملك عرنوس ياسيدى ماتفوتنى ابدا فقال لها وعزة ربى ادور وراك كل الدنيا فقالت له قليل ان بقيت ترانى ورفعها العون ووضعها قدام عمتها فقالت لها يارونقيص اسلمتى فقالت لها نعم وتزوجت بالملك عرنوس وانا حاملة منه فقالت لها اقعدى هنا عندى حتى تلدى فقامت عندها ووضعت بنتا سمتها مريم الحمقة يكون لها كلام اذا وصلنا اليه نحكى عليه

وأما عرنوس فانه نزل فى غليون وراح إلى ارمونية فوجدها خرابا فرجع إلى مدينة الرخام وهو من شان فقد روجته فى كرب وآلام وبعده تسلى عنها بالاحكام هذا ماجرى هنا [قال الراوى] وأما الملك الظاهر فانه راح إلى مصر كما ذكرنا إلى ليلة من الليالى طلع السراية فلقى الملكة مغمومة فقال لها ما الخبر فقالت له السعيد يعشق بنت علاء الدين ومراده أن يتزوج بها فى حياة ابيه فقال لها وهو كذلك والحال امسى يا كرام اقول يا سادة يا ذوى الجاه العظيم اضمر السلطان فى نفسه انه لما يطلع الامير علاء الدين لا بد ان يخطب بنته للملك محمد السعيد وبعد ذلك تفكر السلطان فى هذه القضية واى شىء عرف الملك السعيد ان علاء الدين البيسرى له بنت تصلح للزواج ومن دون الامراء والوزراء وارباب الدولة ما طلب إلا بنت علاء الدين البيسرى مع انه من اكبر اعدائنا ولا هو من اصدقائنا فلما كان ذلك فى بال السلطان الملك الظاهر صبر حتى مضى النهار ونفض المنديل ونزلت الامراء كل الى مكانه وخلا الديوان فقام السلطان من الديوان وطلع الى قاعة الجلوس فصلى صلاة العصر وقعد يقرا فى اوراده حتى صلى المغرب وبعد صلاة المغرب طلب العشاء فحضرت به الفراشين وارخوا السماط قدام السلطان وتقدم الملك لاجل اكل الطعام وامر باحضار اولاده لياكلوا معه العشاء وبعد ما اكلوا الزاد فرح السلطان بما اعطاه الله من الاولاد ... ثم شرع يخاطب اولاده ... ان اعرضه عليكم لانكم على كل حال اولادى وانتم احق

بالشورى على من ورائى واكابر دولتى فاصبروا حتى أصلى صلاة العشاء وأشاور رؤ
فقالوا جميعا سمعا وطاعة ثم ان الملك قام وزال ضرورة وتقدم للوضوء توضأ وبعد
الوضوء صلى به الامام صلاة العشاء وصلى السنن والوتر ودعى الله سبحانه وتعالى كما
يجب وطلب من الله الاجابة وبعد ذلك طلب الملك محمد السعيد وقال له ياسعيد أى شىء
السبب يعنى ما لقيت إلا بنت الامير علاء الدين البيسرى حتى انك احببتها مع انه والله
ياولدى ما يشتهى أن يرانا ولو قدر على هلاكنا ما أقام فقال الملك محمد السعيد أماني
يا بعض شاه الادب مطلوب فقال السلطان احكى لى على أصل ذلك وانا والله الذى
تقدست أسماؤه فالق الحب والنوى الذى رفع السما وبسط الارض بحكمته وإرادته
وعلى العرش استوى إن أنت أعلمتنى بالصحيح من غير كذب ولا تلويح فاننى أقضى
لك مرادك وأخطب لك بنت علاء الدين وأزوجك بها وانعم على أبيها لاجل خاطرك
ولا أغمك ولا أقهرك فقال الملك محمد السعيد أنا أعلمك بالصحيح [قال الراوى] وكان
السبب فى ذلك أن الملك السعيد كان راكبا خلف أبيه وهو فى الموكب قادما من بلاد
ارمرنية بعد موت الملك الكندفرون وراح عرنوس إلى مدينة الرخام فكان السلطان
فائت بالموكب مثل العادة وجميع الخلق يتفرجون على الموكب وبيت الامير علاء الدين
على شارع بين القصرين فطلت الست حسنة البيسرية لاجل الفرجة على موكب السلطان
ولاجل القضاء والقدر رفع الملك محمد السعيد رأسه ونظرها نظرة أعقبته ألف حسرة
فأرسل دايته تكشف له خبرها فأعلمته أن هذه بنت علاء الدين فاعلم أمه وأمه
أعلمت أباه الملك الظاهر فلما أصبح الله بالصباح طلب الامير علاء الدين البيسرى
وأنعم عليه وقال له ياامير علاء الدين بلغنى أنك عندك بنت وأنا جئتك خاطبا لها
لابنى محمد السعيد ماتقول فقال علاء الدين يامالك على الرأس والعين فأمر الملك حسن
شمترى الخزندار أن يعطى له عشرة آلاف دينار وقال له فى غداة غد يكون كتب
الكتاب فقال سمعا وطاعة ونزل فاجتمع بشمتك وسنقر وقال لهما انا ما ارضى أزوج
بنتى للسعيد فعلموه الضلال وطلع فى ثانى الايام للديوان رابطا راسه وقال إن ابنته
ضعيفة فصدقه السلطان وبعد ايام طلب رجلا باسرجى وساله عن جارية فاتاه بجارية
ضعيفة اخذها منه بمائة دينار ودفع له خمسين وامهله بالخمسين الثانية ولما اخذ الجارية
اقامت عنده قليلا وتوفت وقيل انه كتم نفسها حتى ماتت فطلع إلى الديوان رابطا
راسه وادعى ان بنته ماتت فتولى امرها الملك محمد السعيد واخرجها فى مشهد عظيم
ومشى قدامها السلطان ثم إنها دفنت واقام بعدها مدة [قال الراوى] إلى يوم الملك
جالس والامير قلاوون طالع مضروب فقال الملك مالك ياامير قلاوون فقال فداوى

يا بعض شاه نزل علينا واخذ الف عجيرب حق ضربنا وثانى يوم طلع ايدمر البهلوان وطال الحال حتى ضرب من الامراء جماعة إلى يوم الملك جالس وإذا بفداوى وقف بباب الديوان والامراء جميعا ناظرون اليه فقفز علاء الدين البيسرى وقبض الفداوى من خلف ظهره وصاح حرامى خرسيس فاتمرغ الفداوى على صدر علاء الدين وحدفه فى وسط الديوان وحط يده على شاكريته ونزل من الديوان [ياسادة] وكان هذا الفداوى يقال له المقدم صخر بن عقب وله خال اسمه المقدم سعد الدين الرصافى وله حديث عجيب وهو ان المقدم سعد الرصافى لما ظهر من اللجج وراى الدالك فى قلعة رصافة الذى عمله المقدم جمال الدين سأل عن معروف فاخبروه انه ظهر ومات شهيدا بباب انطاكية على حلب فقال رحمة الله عليه ومن الذى صار سلطان الحصون الآن فقالوا له الحاج شيحة واعلموه بافعاله فقال معزول واحضر ابن اخته المقدم صخر بن عقب وقال له يا صخر انا طالب منك انك تروح إلى مصر تسرق الملك الظاهر وتاتينى به حتى انى اطلب منه سلطنة القلاعين والحصونين و إن كان ما يرضى بذلك دعورت قرعته

فقال سمعا وطاعة وطلع من قدامه وسافر إلى مصر ، وصل إلى القلعة وصادف الامير قلاوون نازلا راكبا فى هيئة عظيمة فظن انه السلطان فتبعه لما عرف مكانه ونزل عليه ليلا وبنجه وكتفه وقال له انت الظاهر فقال انا قلاوون فضربه ثمانين شاكرية واخذ منه الفا وبعده امير بعد امير حتى طلع القلعة وكان قصده يقف حتى يعرف مكان السلطان وينزل عليه ليلا يسرقه فرآه علاء الدين وجرى ما جرى وآخر النهار نزل الامير علاء الدين إلى بيته فتبعه الفداوى حتى عرف بيته وصبر الى الليل ونزل الى بيته فارى بمفرده وطلع عليه حتى بقى فوق الاسوار ورمى الاكرة ونزل حكم نزوله فى قاعة تامل فوجد سريرا من الصاج الهندى وفوقه ناموسية من الحرير الملون فرفع الناموسية وكان يظن ان تحتها الامير علاء الدين فالتقى فتة الست حسنة وهى نائمة على ظهرها فلما نظرها تولع بحسنها وجمالها فانتبهت فرأت ذلك الفداوى راقفا فتعجبت من وقفته فقالت له من تكون يا فتى وما الذى أتى بك إلى هذا المكان ومن اين دخلت الى قاعتى ورفعت ناموسيتى ونظرت الى رؤيتى فقال لها يا بديعة الجمال انا ما أتيت الى هذا المكان الا على قتل صاحبه البيلربجى وانت من تكونى له فقالت انا بنته وانت لاى شىء تريد قتله فحكى لها على ما فعل به فى الديوان

فقالت له يا فتى اعف عنه والعفو من شيم الكرام فقال لها انا من اجلك اسامحه إن هو زوجنى بك فقالت وهو يزوجك بى ولكن أنا إذا قلت له أن يزوجنى بك اريد منك مهرى فقال لها مهرك مهما كان انا عاجز فيه انا سلطان الدنيا والمال عندى كثير لكن أريد

أن امسك على ابيك بالقول وانزل اجتهد واحضر المهر فاحضرت البنت اباها فلما نظر علاء الدين الفداوى تخبل غزاله فحكت له بنته على ماوقع بينها وبينه بالتركى فاظهر له علاء الدين المصادقة وقال يافداوى هات المهر وأنا أزوجك ولا أخالف ابدا ففرح الفداوى ونزل من عنده وسار حتى وصل إلى قلعة رصافة ودخل على أمه وحكى لها على ماوقع واخذ صندوقا كان ملآن ذهب وأخذ أمه وسافر بها إلى مصر وأراد أن يدخلها بيت علاء الدين فقال له علاء الدين ادخل وحدك قبض المهر وادخل على زوجتك وبعدها خذها وسافر إلى قلعتك فقال المقدم صخر لامه يالبوه انت روحى الى الجبل وباتى هذه الليلة فى المغائر وغداة غد نسافر سوى فراحت أمه صخر ودخل المقدم صخر الى بيت علاء الدين فكان علاء الدين له مماليك أوصاهم حالا بقلع الفداوى سلاحه ميلوا عليه حتى تقتلوه فلما دخل المقدم صخر قدم الصندوق إلى علاء الدين فاخذه منه وضحك فى وجهه وقدم له الطعام وقعد المقدم صخر على الطعام بعد ما فك حزامه وقلع سلاحه فالوا عليه المماليك حتى شطوه كشطيبة تقارب قضية ابراهيم بن حسن على جسر الانجبار وأحضر البواب وقال له خذ هذا وامض به الى مستوقد الحمام وارميه فى بيت النار فاخذه البواب ومضى به الى الحمام ورماه فى الطريق وعاد الى حال سبيله

[قال الراوى] وكان السلطان فى هذه الليلة انقبض قلبه فنزل يشق البلد فاتى الى خط بين القصرين فقال ابراهيم ياملكنا أنا قلبي يحدثنى أن هنا رميم فسار السلطان الى الخرنفش فرأى ذلك الانسان فتقدم المقدم ابراهيم وقال هذا صخر بن عقب ابن اخت سعد الدين الرصافى ياهل ترى أى شىء أتى به الى هذا المكان ومن الذى شطبه هذا التشطيب وقلبه فرأى فيه الروح فاخذه الى قاعة الحوارية وقال يا سعد هات لنا جراح نفاب سعد وأتى بعفرتى فقال ابراهيم يا حاجى طيبه ولك مائة دينار فتقدم الجراحى وصار يلم الجراحات ويقطبها حتى قطب جميع الجراحات وافاق صخر بن عقب فقال المقدم ابراهيم يامقدم صخر انت اى شىء جاء بك الى هذا المكان ومن الذى فعل بك هذه الفعال فقال يا مقدم اما مجيئى الى هذه البلد فما جئت الا على قتل الحاج شيحة لان خالى ارسلنى الى هذه البلده على انى لا اعود اليه الا براس الملك الظاهر وبراس الحاج شيحة فقال ابراهيم شوحة أى شىء عمل فى خالك حتى يطلب قتله هو والملك الظاهر والله ما قلت ان خالك جاهل على هذا القدر ولو أنصفت ما كنت تتعرض لشيحة فانه واقف عاجز عن ارطاله ولا يعد من اشكاله فان بحر شيحة يغرق الف مثلك ومثل خالك وهو أيضا ينفعه اسماعيل يقدمهم حتى ودفعا

من كل هم وبلاء وعلى مايذكر يحضر وهذه أقل فضيلة فيه فقال المقدم صخر إذا كان وقت مايذكر يحضر انده عليه حتى يأتى لانظره فقال إبراهيم انت فين ياحاج شيحة ياسلطان القلاع والحصون وإذا بالمغربى الذى قطب جراحاته قال نعم يامقدم فقال فقال ابراهيم انت كان طبيب ياحاج شيحة فبهت المقدم صخر وقال له انت شيحة قال نعم فقال له انت طبيتنى وبقى لك على جميل زائد فقال شيحة انت وأصلك ياصخر كلما زرعته تلقاه فقال له ياحاج شيحة أما أنا فاطيعك نظير مادا ويت جراحاتى وأما خالى منك له اصطفل ثم انه تودع من شيحة وإبراهيم وطلع من القاعة فقال إبراهيم أين تر ح يامقدم صخر فقال لى شغل اعمله وطلع من قاعة الحوارنة وطلب بيت علاء الدين وأما أم المقدم صخر بن عقب أصبحت وجاءت إلى بيت علاء الدين البيسرى وسألت عن ولدها فقال لها الأمير علاء الدين ان ولدك بعدما دخل على زوجته أصبح وأردفها خلفه على حجرته وسار طالبا قلعته فقالت هكذا تفعل الناس يبقى أنا قاعدة له ويسافر ولا يعلمنى وساقت حجرتها وطلبت قلعة رصافة فلما وصلت فلم تجد ولدها فاخبرت أخاها فقال لها يكون البيلربى عمل مكيدة على ولدك وركب وجاء معها إلى بيت علاء الدين

[قال الراوى] وأما المقدم صخر بن عقب فانه أتى إلى بيت علاء الدين رأس ونزل على علاء الدين فكتفه وأخذه وطلع إلى سطح البيت ورماه قدامه وفيقه وهو ملتف وقال له كيف حالك ياابن سناقة العماقة وجذب الشاكرية ومال عليه بها صفحا وإذا بامه طالعة فقالت له أى شىء هذا ياولدى هذا رجل اعطاك بنته وبقى نسيبك فكيف تفعل معه هذه الفعال فحكى لها على ماوقع منه فقالت عليه بالضرب والشتم وكذلك المقدم سعد الدين طلع فحكى له على الوقعة فاشفى قلبه من علاء الدين وبعد ذلك نزل وهو قابض على شاكريته وجمع كل ماعند علاء الدين حمل خمسة من الخيل وثلاث فال وركب البنت على حصان علاء الدين وركب هو حجرته وطلب قلعة رصافة [يا سادة] ولما كان ثانى الايام أفاق علاء الدين طلع إلى الديوان وقال مظلوم يا بعض شاه فداوى نزل علينا ونهب أموالنا وأخذ بنتنا وأنا فى عرضك يابعض شاه فقال السلطان ياأمير علاء الدين بنتك ماتت و[illegible] فى [illegible] فقال [illegible]

ياسيدى [illegible] الملك يا أمير علاء [illegible]

وأما إذا كانت ماتت يكون [illegible] أحياها [illegible]

[illegible]

[illegible]

خمسين وباقى خمسين والجارية ماتت ولم يعطنى بقية ثمنها فقال الملك اعطه يا امير
علاء الدين باقى حقه فدفع له الخمسين دينارا وقال السلطان بقى التى ماتت وقلت
انها بنتك هى الجارية قال نعم يا بعض شاه فقال السلطان قم الزم بيتك وان
طلعت إلى الديوان رميت رقبتك وخذ معك سنقر وبشتك وقلاوون فانهم هم
الذين أغروك على الضلال وصاح السلطان فى علاء الدين وسبه ونهره فقام وتبعته
الأمراء المذكورون وكل منهم مقهور وحزين وعلموا أن السلطان لو أراد قتلهم
لقتلهم [وأما] المقدم سعد الدين الرصافى فانه نظر إلى حسنة البيسرية فقال لابن
أخته طلقها يا صخر فقال يا خالى ما تزوجتها الا بعلامة لك بركة وساروا إلى
القلعة فادخل البنت عند أخته وأمه وأقاموا على هذا الحال [وأما] علاء الدين فانه
قد ضاقت به الحيل فدخل على الامير قلاوون وقال له كيف التدبير افوت مالى وبقى
بعد ضربى فقال له قلاوون خذ هدية وروح وادخل على الحاج جمال الدين واجعله وكيلا
على بنتك يزوجها لمن يشاء وقع فى عرضه فانه يخلصها أحسن الفداوى يعملها
خصخص فقام علاء الدين وأخذ هدية ودخل على الحاج شيحة ووقع فى عرضه
وقال ياسيدى أنا خدامك وبنتى جاريتك زوجها كما تحب وتختار فقال شيحة هذا
يفعل الله مايشاء الله وقام المقدم جمال الدين فى ثانى الأيام وطلع به إلى الديوان
وقال ياملك الاسلام بنت علاء الدين التى سرقت ما يمكن لنا تركها فان الذى يفعل
بخدمتك مثل هذا معاند لك وعاصى عليك وهذا يقول أنها خلاف التى ماتت وان كان
كاذبا ما فعل مثل مايفعل معى أحد من الفداوية فيامولانا كن عونا لا تناءك واركب
لاجل خاطرى فانها بقت بنتى فقال السلطان احضروا الركوب وبرزت المراضى
وشال السلطان حتى حط على قلعة رصافة وبات واصبح فنزل الفداوى سعد
الدين الرصافى وطلب الميدان فتقابل المقدم ابراهيم معه [قال الراوى] وكان المقدم
جمال الدين دخل قلعة رصافة وهو فى صفة المقدم سعيد باش الكواخى لسعد الدين
وجعل ابنه محمد السماق صمة سلمة زوجته ونورد عبد الله ابنه وراحمد سلمه فوجهه
المقدم سعيد إلى حريم سعد الدين وقالت لهم هاتوا البنت تقيم عندى بحكم ما أمر المقدم
سعد الدين ... يا لبوة معها ... فيه سرادب ينفذ على قلعة الشقيق ... العدد
على الخوند فخذيكم إلى قلعة الشقيق فطلب اللبوة فرأت سعد باش الكواخى فعرفته
ونزلت والبنت معها إلى بيت المقدم سعيد فأخذ السماق البنت ودخل شيحة ... نحو
على اللبوة وأخذ ... وطلع كان المقدم سعد الدين فى قتال ابراهيم إلى آخر النهار وعاد

فالتقى باشه الكواخي وقال له بالسلامة ياخوند فنظر اليه رصاح فى وجهه أمرق يا قران فدخل بيته فدخل وراه لبيته فرأى زوجته وابنه عبد الله واقفا والزوجة تطبخ ولما دخل سعد الدين كشفت القدر فخرج منه دخنة كرف سعد الدين ووقع الى الارض فقفل الباب وأنزله من السرادب وسار به حتى أوقفه قدام السلطان وشيحة فشممه ضد البنج فأفاق وقال اشهد فقال ابراهيم الحوراني اصحى تغلط ياسعد الدين أنت قدام اثنين ملوك السلطان الظاهر والحاج شيحة فقال سعد الدين أى شيء تريد ياشيحة فقال له الاطاعة والاتحمل ثمانين سوط بهذا القضبان فقال يحتمل أن السوط يكون مسموم ولا يقدر الانسان يحمل السم وهذا ما هو منصف لعب وإنما أنا خصمك فى السلطنة اما أغلبك أتى سلطان أو تغلبنى أبقى أطيعك فقال شيحة رانا رضيت لكن يا بنى اسماعيل كل من اتفق مع هذا الفداوى أكون خصمه فقالت الرجال لانكلمه ولا نرافقه الا اذا اطاعك فأطلقه شيحة من الاعتقال وتركه يروح قلعته ثم قال ياملك الاسلام الرحيل إلى مصر وانت ياعلاء الدين خذ بنتك فقال علاء الدين هذه بنتك انت ياسيدى زوجها لمن تريد فقال السلطان ان انى غنى عنها وسافر السلطان الى مصر فى امان ودخل قلعة الجبل على جرى عادته وقال للسعيد يا ولدى يغنيك الله عن بنت علاء الدين فان العدو لا يناسب فلا تكن اسير شهوتك فقال السعيد صدقت ياملك الاسلام وحياة راسك ان كانت جوهرة ما أدخلها بيتى ومن ساعة ما [illegible] نفاق أبوها كرهتها لأجله وكان الامر كذلك وأما سعد الدين الرصافى فانه لما عاد من قدام المقدم جمال الدين ودخل قلعته اطمأن خاطره وحسب لشيحة الف حساب وعند المساء طلب [illegible] بنت علاء الدين ليطيب خاطرها فالقاها فى أول [illegible] عنها [illegible] اعلمه بما قالت [illegible] وحته سلمة فراح اليهم فلقاهم مبتهجين فطار عقله من راسه ووقع مغشيا [illegible] أفاق يشكو [illegible] وكل أمانه وتيقن بالموت والفناء وطال عليه [illegible] مدة [illegible] فأرسل الى المقدم منصور [illegible] لانه قريبه تحضر له ايلا حكى [illegible] بنت علاء الدين البيسرى [illegible] قال منصور يامقدم سعد [illegible] شيحة [illegible] الرجال وبنو اسماعيل وبنو الادرع [illegible] فقال سعد [illegible] له احمل حالك ميت فاذا علم الرجال بموتك يأتون الى الجنازة [illegible]
[illegible] صاحبك مع شيحة وان طبت من هذا [illegible]
[illegible] شاع الخبر بقلعة رصافة أن سعد الدين [illegible] وجل
[illegible] المقرة [illegible]
[illegible] فقال لهم [illegible] سعد الدين الرصافى [illegible]

فروحوا تمشوا فى مشهده ولكن تخافوا من شيحة فقال منصور العقاب يا رجال هذا
عذر بارد شوحة خرج عليكم وهو طيب ولما مات يبقى الواجب منكم تحضروا جنازته
فعندها ركبت الرجال وساروا الى قلعة رصافة فدخلوا القلعة وسألوا عن الفداوى
فقال لهم مات فدخلوا عليه وقعدوا حواليه فرأوا فيه النفس فعند ذلك احضروا له
شربات وعالجوه فأفاق من غشوته وقال لهم الجيره يا بنو اسماعيل هكذا الناس
تموت قرايبها وأهلها كانى ما أنا فيكم فقالوا له وما الذى تريد منا ياسعد الدين نعادى
شيحة يسلخنا لاجلك فقال أروح معكم الى مصر واقف انا شيحة قدام الظاهر
وتطلب منه الانصاف وتساعدونى على زواج بنت علاء الدين والا عدمت مهجتى
فقالوا قم اركب فركبوا وساروا ولو كانت لهم أجنحة لطاروا حتى دخلوا مع
السلطان وتقدم سعد الدين الرصافى الى قدام السلطان والفداوية واقفون وحضر
المقدم جمال الدين فقال سعد الدين يا أمير علاء الدين سابق عليك ملك الدولة هذا الملك
تزوجنى بنتك وكلما طلبه من المهر أنا أقدمه لك فقال علاء الدين أنا مالى بنت فوى بنته
المقدم جمال الدين اخطبها منه فقال سعد الدين يا حاج شيحة أنا خصمك فى السلطنة
والخطبة والزواج ماهما احتجاج أنا جئتك خاطبا راغبا فى حسنة بنت علاء الدين
عليك ماتقول وعلى ماأورده لك كلما طلبت فقال شيحة يافداوى الذى يخطب البنات
يكون صاحب غرامات وكذلك الذى يطلب السلطنة لا يخاف الموت والفنا وحسنة
لها مهر والسلطنة لها ملاعيب فاشهدوا يا بنو اسماعيل على ما أقول ان سلطنة القلاع
والحصون وحسنة بنت علاء الدين البيسرى كل من سافر الى القسطنطينية وجاء
بالطير الناطق المعلق على رأس الباب ميخائيل والسيف الساحق الذى فى خزنة
سلاحه تكون بنت علاء الدين ضجيعته وزوجته والسلطنة تكون له رمملكته فقال
المقدم ابراهيم يا هل ترى هذا الشرط بينك وبين سعد الدين فقط قال شيحة
دستور مكرم على جميع الرجال اسماعليه وادرعيه طايعين وعاصين كل من جاء
بالطير والسيف تكون السلطنة . وأنا معزول ويأخذ بنت علاء الدين بالكتاب
والسنة ولا أحد له عليه فى ذلك منة . فعند ذلك فرحت الرجال وقال كل منهم أنا
اروح والسلطنة مرقتها من شيحة فقال سعد الدين يمكن يعارضنا فى الطريق
ولا يحصل لنا الا التعويق فقال شيحه والاسم الاعظم انا ما اسافر من مصر الا بعد
ثلاثين يوما واذا رأيتكم فى مهلك وقدرت على خلاصكم لم أتخل عنكم فعندها
أخذوا مكاتبة على المقدم جمال الدين بحكم قوله وطلعوا طالبين بلد القسطنطينية
وبعد توجههم اخذ السلطان يد المقدم جمال الدين ودخل به الى السراية وقعدا

معا فى حديث وكلام فقال السلطان يا مقدم جمال الدين أى يكون هذا السيف وصفته والطير وصورته الذى أوجب أنك ترسل اليهما طائفة بنو اسماعيل فقال المقدم جمال الدين يامولانا أنا أعلمك بهما أما السيف فاصله كان للملك لاوون صاحب القسطنطينية وله ولد اسمه سعد هرقل فطلع للصيد وكان تحته حصان اسمه الخاطف وهو عزيز عنده لانه إذا كان راكبه يطارده خلف الغزال ويصطاده بيده فاتفق له انه ساير فى البر والمهاد راكبا ذلك الجواد وكان سرج الحصان من الحديد الصينى ومطلى بالذهب فوقع من السماء سهم فى قربوص السرج خرقه ونفذ من صدر الحصان وخرق الحجر وغاص مقدار ذراع وأكثر

فلما رأى هرقل ذلك حفر الأرض حتى كشف على ذلك السهم وأطلعه فرآه قدر جوزة الهند وهو أصفر كالذهب فأخذه إلى أبيه وأعلمه بما رأى منه فتعجب وأحضر صناعة السلاح وطلب أن يصنعوه له سيفا فصنعوه سيفا ولما كان أصله صاعقة سماه الساحق وهو حقيق ساحق ضربته لا تردها طارقة ولا خوذة وانتقل من ملك إلى ملك حتى صار فى ملك ميخائيل وأما الطير فان له حديثا عجيبا وهو ان فى بلاد الهند مدينة تسمى سرنديب وكان بها ملك اسمه الهندقار وذلك الملك طلع يوما إلى الصيد وطرد خلف غزاله فنفدت منه وعاد راجعا فلقى ريشة من ريشه طولها ذراع ونصف وهى مشكلة بجميع الألوان وفى آخرها شىء مدور مثل الشمس يضوى فاخذها على كتفه وعاد إلى عسكره والتهى بتلك الريشة عن صيد الغزال وقال لوزيره ياهل ترى هذه لها طير فقال الوزير يا ملك الذى يكون عنده طير فيه ريش مثل هذه الريشة ما يكون إلا يفوق على جميع ملوك الورى فقال الملك يا وزير ألزمتك أن تأتينى بهذا الطير وحق الاله المعبود ان رأيتك مقيما فى بلادى من غير أن تأتينى به لابد من قطع رأسك فقال الوزير سمعا وطاعة ولكن يامولانا أنت لك ثلاثة أولاد وهم أبطال شداد ولابد يا ملك إذا أنت بعد عمر طويل توفيت فكل منهم يطلب السلطنة بعدك فانت تقول لهم كل من أتانى بذلك الطير يكون الملك له من بعدى فاحضرهم وأعلمهم بما قال الوزير فقالوا رضينا بذلك وتجهزوا للمسير وكان أسماؤهم محمد وأحمد وعلى فكان أول من طلع محمد وأحمد لانهما كانا كبار وعلى هو الصغير وأما الكبار فاخذا حملا وعسكرا وأما على فلم يأخذ الاجر بندقيته تحت ابطه وسافر نلحق اخواته أياما قلائل فوصل الى ثلاث طرقات طريق السلامة وطريق الندامة وطريق الذى يروح فيه لا يعود مكتوب على الذى ذا سالكه لا يعود فكان سيره وحده ولا له أنيس إلا الله تعالى

فسار تسعين يوما حتى تعب وضره التعب ولم يبق قدامه عمارة وجاع وعطش فنظر إلى شجرة فراح إلى عندها فلقاها فاشفة فقعد تحتها من شدة تعبه يريد الراحة فاقبل ثعبان أبيض مطرود من ثعبان أسود والثعبان الابيض مال إلى ناحية على مستجيرا والثعبان الأسود تابعا له ولم يرجع عنه فانفرد على وضربه بالحسام فانقطعت راسه فانتفضت الحية كالآدمية وقالت له يا فتى أراحك الله كما ارحتني من هذا العدو فقال وانت إيش تكوني فقالت أنا اسمى مهرانة بنت الملك مهران ملك على جميع اسلام الجن وهذا كافر أتى فى أرضنا وهى أرض الحيجلان وأراد أن يتزوجني فارضيت فلعبت أنا وإياه فى التصاوير فغلبنى وهربت منه فى صفة ثعبان فلم يرجع عنى وتبعنى إلى هذا المكان وأنت قتلته وصنعت معى هذا الجميل وانت ما الذى أتى بك إلى هذا المكان أعلمنى حتى أكافئك على جميلك فاعلمها بما هو فيه من أمر الطير الذى طلبه أبوه فقالت له بينك وبين هذا الطير وبلاده مسيرة خمسمائة سنة وأنا أعلمك باصل هذا الطير وذلك أن آصف بن برخيا وزير سيدنا سليمان عليه السلام صنع بستانا وسماه بستان النزهة خلف الكنوز وكان عنده ذلك الطير فعلقه فيه وعلمه النطق يقول فى كل وقت يا حق انت الحق اظهر الحق واعلى كلمته واخمد الباطل وقل قيمته وهذا الطير فى ذلك المكان إلى الآن خلف كنوز نبى الله سليمان فى قفص من الخشب الصاج الهندى وأما الريشة التى أتى بها أبوك ورأوها اخوتك والوزراء فانه كان نفضها من جناحه بمخلابه ورماها من القفص فكانت سحابة فى الارض فوقعت الريشة عليها وسارت السحابة إلى أرضكم فرماها الهواء فيها وانا يا أخى اقدر اسفرك مسيرة نصف الطريق إلى واحد يقال له الشيخ عبد الحق فهو رجل من اهل خير وأنا تلامذته واسأله أن يوصلك إلى مطلوبك فانه يحكم على تلك الارض فقال لها وفى كم عام توديني فقالت له أنا فى اليوم والليلة اقطع بك مسيرة خمسين عاما فيكون مسيرى بك مدة خمسة أيام ولكن اذا بلغت مطلوبك من الطير وأتيت به فلا تنسانى حتى أخفرك إلى عند أبيك لأن أخوانك يحسدونك ويريدون قتلك فانا بعون الله احفظك منهم ثم انها حملته على كتفها كما تحمل الوالدة ولدها ورفرفت فى الهواء يوم وليلة ونزلت وأتت له بغزالة وأوقدت له النار فذبحها وشواها وأكل وأكلت هى الباقى وحملته ثانيا وثالثا هكذا خمسة أيام فاقبلت به على واد أخضر نضر وأتت به الى صومعة وأقعدته على بابها فطلع له الشيخ عبد الحق وقال له اهلا وسهلا واعطى له بساطا وقال له اقعد على يوديك الى أخى عبد السلام فى خمسة أيام فهو يبلغك المرام واقرئه منى السلام فلما وصل الى الشيخ عبد السلام اعطاه خاتما وقال له ضعه فى يمينك فانه يوديك الى محل مطلوبك عند أخى الشيخ محمد فلما وصل اليه واذا

هو بساب صغير فا على له دائرة من الخوص وقال له اقعد فيها فانها توديك الى البستان فاذا وصلت الى الباب ادخل وامش خمسة عشر قدما واحفر فى الارض تجد قوسا ونبلة معه فاضرب العامود بالنبلة يميل ويقع تجد المقصورة فادخل ولا تمش الشجرة حتى تصل الى جانب البحر افحت تجد مطرقة وسندال دق ثلاث دقات يأتيك غليون مسوق انزل فيه يوديك الى منضرة تجد لها سبع دهاليز وتجد فى أول دهليز عرايس وفى الثانى قانات أعجام وفى الثالث ناس مسلحة وفى الرابع ضباع وفى الخامس نمورة وفى السادس سباع وفى السابع فيه قاعة عجيبة فيها شجرة والقفص معلق فيها اقعد تحت القفص لما يجىء الطير وان كان هناك اقفل عليه القفص تسمع حس صرخات وعيطات فلا تخف واحمل القفص الى خارج الغيط واقعد فى الدائرة والقفص معك تبقى عندى فراح وفعل مثل ما قال له وجاء بالطير ورجع وأخذ الخاتم والبساط ووقف المشايخ وسار الى الشجرة التى بين الطرق والصخرة المكتوبة ونسى اخته فرآه اخوته وهو مقبل الى ناحيتهم والطير معه فقالوا لبعضهم أخونا على جاء بالطير واذا وصل به الى أبينا أخذ السلطنة بعد موته وحكم علينا فقال محمد لاخيه أحمد خذ السجادة وافرشها على حلق هذا البئر لما يقعد عليها فيقع فى البئر فنردمها عليه ونأخذ الطير ونسافر الى ابينا ويكتب لنا السلطنة ثم قاموا يسلموا عليه بعد ما رضعوا السجادة على البئر وبعد السلام اتوا به الى السجادة فلما داس عليها نزل يهوى وقاع البئر فردموا عليه الاحجار وأخذوا الطير ومضوا الى أبيهم فلما رآهم فرح بهم وأخذ الطير وسألهم عن أخيهم فأعلموه أنه مات فحزن عليه وكتب السلطنة لهم شركة كل واحد يكون على الكرسى سنة والآخر سنة وأما على فانه لما وقع فى البئر علم انها مكيدة وتذكر أخته وما قالت له واذا باخته التى كانت حية اقبلت اليه خطفته قبل أن يقع الى قاع البئر وقالت سلامتك لا تخف أنا ما قلت لك لا تنسانى ثم انها أخذته الى بلدها وقالت لها ان ابى يقول لك تمنى على فقل له أعنى عليك ان تطلعنى على شجرة الجلا فلما وصلت الى ابيها أعلمته بما قال ذلك الشاب الانسى وحمى مرضنا فقال له يا انسى تمنى على فقال تمنى عليك ان تطلعنى على شجرة الجلا فقال ياء ربو اطلعه شجره احلا فرفعه الوزير الى شجرة عالية ولكنها ع ه واحد رشاق فى الطول قدر مائة قامة انسان فلما فى الاهارى فيها احد عشر ورقة ولكن الورقة عرضها قدر الترس فقطعه ونزل بها [illegible] ثم [illegible] رصعه ووضعته فى مكحلة ذهب [illegible] قال لها [illegible] ملك [illegible] الى ذى دمشق الى رؤية فأخذ [illegible]

له يا على اعلم أن أباك عمى فاذا دخلت المدينة كن حكيما وهذا الكحل الذى معك يفتح العمى فلما بقي على باب مدينة أبيه سار إلى السوق ودخل إلى دكان مزين وحلق رأسه وإذا برجل أعمى قال يااسطى احلق لى راسى فقال له على ياشيخ تريد أن افتح لك عينيك فقال متى ياسيدى فقال على هذه الساعة ثم أنه وضع له فى عينيه من كحل الجلا ففتح عينيه فى وقته فتعجب المزين قال ياسيدى إذاكانت هذه صنعتك اعلم ان ملك بلادنا أعمى فاذا دخلت عليه وفتحت عينيه ينعم عليك غاية الانعام فانه والله ملك كريم ونسل الملوك الكرام فقال له أمض اليه واعلمه فسار واعلم الملك ودخل على على أبيه وحط له فى عينيه ففتح عينيه ونظر ابنه فقال له أنت على فقال نعم فقال له أنت طبيب ياولدى فقال له نعم ياأبى أنا طبيب وما صدقت ان أراك واحمد الله الذى ارانيك سالما ولكن ياأبى تعبت فى سفرى الى بلاد بعيدة حتى أتيتك بالطير الناطق من خلف كنوز سيدنا سليمان وأخواتى محمد واحمد تعدوا على ورمونى فى بئر ولكن نجانى ربى صاحب المدينة والتدبير فطلب الملك أولاده الكبار وقال لهما من الذى أحضر الطير فقالا نحن الذى جئنا به فقال لهم نسأل الطير فسأل الطير فصدق على كلام على فكتب له أبوه حجة بالسلطنة بعد موته ونفى أخواته لأجل نفاقهما فاغتاظا صبرا إلى الليل وقبضا على أخيهما على واخذ الطير واتيا به إلى جانب البحر وارادوا قتل أخيهما وان يذبحا الطير الذى شهد عليهما فمر عليهم غليون وفيه قبطان فدخلا عليه وقالا له خذنا إلى بلاد الروم فسألهما عن هذا المكتف فحكيا له على ما جرى فاطلقه منهم وقتلهم واخذ الطير وأتى به إلى القسطنطينية فاخذه منهم البب ميخائيل ففرح وتعجب من رؤيته وعلقه فى قصر من داخل سبع دهاليز فى كل دهليز عشر مهالك وكل مهلك يزيد على الآخر وها انا حكيت لك ياملك الدولة حكاية السيف والطير وتعيش راسك ياملك فى الرجال الذين سافروا ولم يبق يأتيك الا خبرهم فقال السلطان كانك ياشيخة مجنون انا والله عندى كل رجل من المجاهدين احسن من الف طير والف سيف وماهى مروءة ان ترمى أبطال الاسلام فى بحر الحمام وانما الحقهم ولا تريني وجهك الا بهم

فقال ياملك وأنا لابد لى ان أقتفى اثرهم بعد تمام الوعد التى حلفت عليها وبعد قضاء الوعدة توجه المقدم جمال الدين يقتفى اثر الرجال له كلام

[قال الراوى]ان الفداوية الذين سافروا كاذكرنا كلا منهم طالب ان يأخذ الطير والسيف لأجل ان ياخذ سلطانة القلاع ولما وصلوا إلى القسطنطينية سكنوا فى خان واقاموا ثلاثة الأيام حتى أخذوا الراحة من تعب السفر وبعد ذلك تشارطوا أن

يكونوا يدا واحدة حتى يأخذون الطير فقام المقدم سعد يا بنو عمى أنتم مساعدون لى
وانما أنا ماقصدى الا بنت علاء الدين وأما السلطنة ماقصدى منها الا الذكر فقطوا اما
ايرادها يكون لكم فقالوا له هذا كلام مانسمعه فان كل منا يطلب ارتفاع مقامه وكل
منا بايع رقبته على بلوغ ارادته فبقى جماعة تتفق جماعة تختلف ودام بينهم الاخذ والعطا
بالكلام واختلفوا مدة أيام الى ان كان يوم من بعض الايام كان البب ميخائيل جالسا
واذا به دخل عليه بترك اختيار وهو يقرأ الانجيل ويفسر ما فيه من التحريم والتحليل
فقام له البب ميخيائيل وقبل يده وقال له يا أبانا من أين أتيت فقال له من دير نجران
و من تلك الاقطار واسمى الحول الطيار فقال ميخائيل أهلا وسهلا وأقام عنده اياما الى
ليلة من الليالى قال البترك يا بب اتانى هذه الليلة أتانى هاتف أعلمنى ان فرقة من المسلمين
يرمون ان ينزلوا على خزنتك بالليل ويسرقوا مالك وخيلك وهم من لصوص المسلمين
لكنهم كثير فقال ميخائيل يا أبانا وكيف العمل فقال له انا اقيم مع الحرس واقبض
لك عليهم فقال له البب مليح واحضر الحرس وامرهم باستماع مايقول هذا البترك
فقعد مع الحرس وصنع لهم شمعة من البنج وولعها وتحمل بضد البنج وفى هذه الليلة
طلعت الفداوية الى السراية كل واحد من ناحية فلما ركبوا على السور رأوا تلك الشمعة
فقصدوها واحدا بعد واحد فكل من قرب منها يتبنج حتى نا وا جميعا واما سعد الرصافى
فانه نزل فى الآخر وكان من حذره على نفسه تحمل بضد البنج وأتى الى ذلك المكان
فرأى الفداوية جميعا قبضوا فأراد ان يتقدم واذا به رأى جارية تقول لاختها ادخلى
حطى للطير الناطق عشاه فقالت سمعا وطاعة فمشت وتبعها المقدم سعد الدين فدخلت
من محل الى محل وتاهت من قدامه فلم يعلم أين مضت وعاد الى محل ما نظر فيه الرجال
فوجد الدنيا ظالمة

فقال فى نفسه لعلهم سبقونى وأخذوا الطير وسار ووقف لهم فى الطريق حتى طلع النهار
فلم يعد منهم أحد فقال سعد الدين أنا كنت واقعا مثلهم والجاريه هى التى منعتنى من
الوقوع وعند الصباح طلع المقدم سعد الدين الرصافى الى الديوان يكشف عن خبر
الرجال فرأى الدنيا منقلبة بقـــدوم جوان وقام ميخائيل وسلم عليه وأجلسه
الى جانبه ونظر شيحة الى جوان وامعن فى البرتقش فقال له بالرموز ان أوقعنى
جوان فى هذه النوبة أنا مسيرى أخلص وأضربك أنا بالسوط الغضبان فقال
البرتقش أنا أعمى عنك عيونه ولما نظر جوان الى شيحة قال ساعدنى يا برتقش
فقال البرتقش أنت يا جوان كل من رأيته تقول عليه شيحة وانما هو يقول

انه طيار امسك عليه وقل له طر فقال له صدقت والتفت إلى البترك وقال له وقمته ياشيحة فقال له البترك كفرت يا جوان تنجس اسم البتاركةوأنا البترك الهول الطيار فقال جوان تعرف تطير قال نعم فقال جوان طير لما نشوف طيرانك فقال انا أطير فى كل شهر مرة وهذا اليوم نصف الشهر فاذا انقضى الشهر أطير فقال جوان احبسه يا بب حتى يتم الشهر وننظر طيرانه كيف يكون فان كلامه كلام المجانين فعندها حبس شيحة وأقام فى الحبس إلى آخر ليلة من الشهر فقال شيحة يا حليم يا ستار وإذا بسيدى عبد الله المغاورى أتى له وقال له لا تخف ياشيحة خذ هذا البشت البسه وطير فان الله لك نعم النصير وأول ما هل الشهر أحضروا البترك الطيار قدام ميخائيل وجوان فطار إلى أعلى مكان فاندهشت القسيسون والرهبان وبعده مال وقال يا أبناء النصرانية ها أنا نازل عليكم اسبكرنى وهذا الذى يدعى انه عالم الملة فانه كذاب فاقبضوا عليه وعلى وفتشونا وكل من رايتم عليه آثار المسلمين افعلوا به ما تريدون ونزل فقال جوان اقبضوه فقبضوا الاثنين وفتشوا جوان فرأوه لابسا تباناو معه كشافية ومسحد ومعه اوراق مكتوب فيها نصر من الله وفتح قريب وفتشوا البترك فرأواله فردتين ما يخرجهما قبان ووجدوا مشكل على عانته اشكال والوان فقالوا غلط يا ابانا أنت بترك وهذا شيحات الذى يدعى انه جوان فقال البرتقش هو شيحة وانا السابق فأركبوهم على ثورين وجرسوهم جرسة لا نظير لها هذا والبرتقش يضحك على جوان ويقول له أنت شيحة وعامل نصرانى على شان الفداوية كان يخاطرهم وآخر النهار حبسوهم فى الحديد كل ذلك جرى والمقدم سعد الدين الرصافى ينظر ويرى وظن أن جوان هو شيحة واتفرج على جرسته ثم انه صبر حتى أقبل الليل ودخل إلى سراية البب ميخائيل فأرمى مفرده ودق السكك ومكن الرياحات وتساق فوق السور ورمى الاكرة ونزل عليها فرأى نفسه فى وسط دهليز رخام فخطا بقدمه فانفرك لوح من تحت رجله وانقلب فوقع الفداوى فى طابق غامق وانطبق عليه الغطا بقى مثل الطير فى القفص فقال سعد الدين والله ان هذه ما هى إلا وقعة قشرة وان ندمت على شيحة فشيحة محبوس وكيف يخلصى ولكن عسى الله انت أين يا سلطان القلاعين وإذا بباب طاقة نور وقائل يقول تعال يا سعد الدين على فنظر إلى رجل بطريق اعور واقفا بشمعة فى يده بجانبه قفص كبير من الخشب الصاج فيه طير مزوق فقال له من تكون أنت فقال له انا خادم الطير الناطق خذه واطلع به من هنا حتى ألحقك بالسيف الساحق فتقدم المقدم سعد الدين واخذ القفص بالطير وسار به إلى الخارج وكان هذا شيحة لانه لما

حبس جوان وأقام مع البب ميخائيل الى الليل كان راود المحل بالنهار ودخل وبيده ماسكة الجس بجس الرخام ولا يضع رجله الا على الصحيح حتى وصل الى مقصورة البب ميخائيل ووضع الحجر على الاقفال ففتحها ودخل يجس الارض وتعلق على الحائط بصناعة حتى وصل الى القفص فقلعه من مكانه وطلع به فرأى المقدم سعد الدين طب فى المطمورة فخلصه وأعطاه القفص وعاد هو الى خزنة السلاح ففتحها وأخذ السيف ولحق الفداوى سلمه السيف وتركه وعاد إلى الحبس أطلق الرجال وأعطى المقدم إبراهيم الف دينار وقال يا أبو خليل الفداوية تصبروا فى الطريق على غير فائدة وسعد الدين الرصافى أخذ الطير الناطق والسيف الساحق وطلب المسير فاتبعه بالرجال حتى إذا لحقه اعداه تكونوا مساعدين له فانكم أصدقاه فقال إبراهيم سمعا وطاعة وقال للفداوية سيروا بنا واستعدوا لمن يتبعنا وعاونوا سعد الدين ابن عمنا ثم أخذهم وطلب السفر [وأما] المقدم جمال الدين فانه دخل على الحبس الذى فيه جوان والبرتقش قبل دقن جوان بعدما بنجه وادخر دقنه فى طيز البرتقش وكتب تذكرة وعلقها فى رقبته وتركه مرمى وسار يقتفى أثر الفداوية وعند الصباح أفاق البب ميخائيل من المنام فلم يجد الطير فسأل عنه الخادم فلم أحد يعلمه بشىء هاتوا المسلمين لما ارمى رقابهم لانهم حرامية فراحوا إلى السجن فلم يجدوهم فقال هاتوا شيحة المحبوس فراحوا فلقوا البرتقش مكفى على وجهه ودقن جوان فى طيزه فضحكوا عليه وأعلموا ميخائيل فقام الى عندهم ورأى التذكرة فقرأها وقال له لما انت جوان وهذا البرتقش ومن وقع لك التبان ومن ألزم البرتقش يقول أنا السابق فقال البرتقش لما رأته طار وأنتم جميعا صدقتموه بقيت انا أكذب جميع الكرستيان وأصدق عالم الملة بعدما كذبتموه جميعا فقال ميخائيل يا بابا كيف كيف الرأى الطير الناطق والسيف الساحق انسرقوا من عندى وأنت الذى كنت السبب فى سرقتهم فقال جوان الخيل تتبعهم فيلحقوهم ويهلكهم ويجىء الطير والسيف وإلا ينقل مقامك عند ملوك الروم فعندها ركبت الخيل وطلبوا البر الاقفر وقطعوا السهل والاوعار

[قال الراوى] وأما المقدم سعد الدين الرصافى والرجال الذين معه فانهم ساروا إلى الصباح وجدوا حتى تضاحى النهار وإذا بغبار ثار من خلفهم وعلا وسد الاقطار فاحدقوا اليه الرجال بالابصار فقال إبراهيم يا رجال ادركتنا الكفار وفى هذا اليوم يبان الفارس الكرار من الجبان الفرار وها نحن ما فينا الا كل بطل جبار وفارس قهار فما تم كلامه حتى تلاحقت بهم الخيل مثل قطاع السبيل فالتقتهم بنو اسماعيل وضربوهم بكل سيف صقيل وغنى الحسام وقل الكلام وانفلق الهام وبطل العتب

والملام وصبرت الكرام وفرت الشام وتصايحت بنو اسماعيل بافسابها وانتخرت بطانها وضرابها وثقل على بني اسماعيل العدد وتزايد العدد وقل منهم الجلد وانجرح المقدم سعد الدين في ثلاث مواضع وهو يضرب بالحسام القاطع ويدافع عن نفسه وعمائم فرنقوه الكفار وكان العسكر كله طالبه لما راوا الطير على كتفه فأراد هلاكه وتلفه ولما راى نفسه هالكا ولم يجد له سلامة فارمى نفسه في البحر وأراد الموت ولم يسلم روحه إلى الاعداء ولا يفوته الطير ويأخذ منه الغير فلما وقع في البحر وإذا بسيدي عبد الله المغاوري أقبل اليه ومد يده فاخذه والطير على كتفه وقال له لا تخف يا بطل الزمان فان الله ناصر أهل الايمان بسم الله مجراها وعلى منة يافا مرساها وقذف به في البحر وإذا به على يافا وقال له اطلع يا ولدي وروح حلب واقم هناك حتى يأتوك الرجال وكانت حجرة الفداوي لما وقع في البحر وقعت معه ولما طلع طلعت معه فركبها وسار الى حلب وأما بنو اسماعيل فانهم قاتلوا الى آخر النهار هذا وميخائيل ملك القسطنطينية غاب صوابه ونزل الى صيوانه وقد فأقبل جوان وقال حاربوهم كان في السيل فقال ميخائيل يا ابانا الذي معه الطير ما رايته واذا بوزير الوب ميخائيل قال له أنا رأيت الذي معه الطير ينزل البحر وطلع من تحت الجبل ودخل في مغارة وهو واقف يعصر ثيابه على الجبل فامعن النظر ميخائيل فرأى بطريقا واقفا على الجبل يعصر ثيابه فاراد أن يطلع فقال جوان اصبر يا ابني لما يدخل الليل فصبر وساروا الى الجبل وطلعوا فرأوا واحدا طالق نار وهو ينشف ثيابه عليها فقال جوان امسكه فكل من وصل الى المغاره ينام جنب النار وكان هذا السابق وأما الوزير فهو شيحة ولما تبنجو اصابه جوان في المغارة وضربه مائة سوط وقال لميخائيل أذوقك يا ملعون طعم السوط الفضان فقال أنا عرضك فقال له إن بات في هذه الارض من عسكرك أحد [illegible] فقال له ياسيدي ولا ساعة واحدة فاطلقه واخذ بعضه ونزل الى [illegible] وأمرهم بركوب الخيل والمسير تحت الليل وعاد بهم الى القسطنطينية وأما شيحة [illegible] لحق الفداوية وأمرهم بالسفر وقال يا سعد الدين أنت أخذت الطير [illegible] سعد الدين كيف [illegible] له وأنا رميت نفسي في البحر لاجله ولا اسلم فيه [illegible] الرجال [illegible] فقال الرجال يا مقدم سعد الدين اذا [illegible] أنت سلطان من يكن باش كراخي عندك فقال لهم صخر بن [illegible] أقبل الليل نزلوا في قرب المعرة وباتوا وعند الصباح عدم الطير [illegible] على وجهه وركب يقتفي أثره واذا بزا حدندوي مقبل وقال له ياشيخ

تعرف تذبح فقال سعد الدين أذبح أيه فقال هذا الطير فتأمل سعد الدين وإذا به هو الطير الناطق فقال من أين يا بدوى جاءك هذا الطير فقال من هذا المذبوح وكان السبب فى ذلك أرجوان فى عودته التقاه عايق من بحيرة بغرة فقال له فريحة البغروى فسلطه على أن يتبع المقدم سعد الدين فتبعه وصار مقارنه حتى بانت له الفرصة ففتح القفص وأخذ الطير وطلع فلقاه البرتقش فلما رآه قال له كيف عملت قال أخذت الطير قال له تعال إلى جوان فمشى قدامه فحط يده على خنجره وطعنه به فى نفذ ظهره من صدره وأخذ الطير وعاد فالتقى سعد الدين فاعطاه له وكان هذا شيحة فقال له يا حاج شيحة أما أنا فقد أطعتك ولا بقيت بعد ذلك أعصى عليك فقال لما تروح الى مصر ولما وصلوا إلى طمرية قام المقدم سعد الدين ونزل فى وسط البركة ونصب المزارق فى وسطها وعلق عليها قفص الطير وقعد هو والرجال على شاطىء البركة طول ليلهم سهارى ولا نام منهم أحد حتى انشق الفجر وطلبوا ازالة الضرورة وكل منهم بقى على حد رأسه واطمأنوا ولما أصبح نور الصباح وجدوا الرمح منصوبا مكانه وقفص الطير لم يكن معلقا عليه فقال سعد الدين كذا يا رجال فقالوا طول الليل ساهرون فقال سعد الدين ايش الفائدة فى سهرنا انت فين يا سلطان القلاعين والحصونين أدركنى وإذا بالمقدم جمال الدين أقبل قائد جوان والبرتقش مكتفين والطير بقفصه على رأس البرتقش ووضعه بين الرجال وقال يا بنو اسماعيل خاصموا احتكم من هذا اللعين فمالوا عليه حتى أهلكوا بدنه بالضرب الشديد قال سعد الدين يا حاج شيحة أخبرنى أيش عمل هذا الكلب قال أنا أعلمكم وهو أن جوان خلع ثيابه ونزل فى البركة وقعد البرتقش ينتظره وسار وهو يسبح حتى وصل إلى القفص وأخذه من على الرمح بفنه وذياقته وكان المقدم جمال الدين [illegible] معه فارى دخنة [illegible] البرتقش وقبضه وقعد محله فلما قدم جوان أخذ الطير منه وقبض [illegible] فذا كان السبب [illegible] شيحة الى جوان وقال له يا ملعون وحق الذى لا اله إلا هو إذا لم ترجع عن [illegible] وإلا ان قبضتك ثانى مرة لابد من صرمك [illegible] البرتقش [illegible] لم الملك أولى ما تاركك بحرقى معك [illegible] عرف أن التعب ما هو نافع فسافر بالرجال وكذلك [illegible] طالبا مصر الى أن وصل الى رأس الوادى وقطعه [illegible] مصر فوجد بركة ملآنة من ماء النيل [illegible] فى تلك البركة [illegible] خاص قال له طير الجبال [illegible] قال له سعد الدين تريد أن تستحمى فقال [illegible] ومسك

من أجنحته وحمى كل جثته وقال له انت ما أنت مرتاح لأنك مكتف والمكتف ما ع
فى الهموم مراده فقال الطير صدقت وأطلق له جناحا فدعى له فاطلق له الثانى فلما علم
الطير أن أجنحته مطلوقة تمطى وقفز وركب الهواء وإلى الجوار ارتفع واستوى وقال
يا آدمى عزى نفسك بيدك تحوى ما بقت تطول ولا لك على أخذى وصول وروح بلادك
واقعد عند أهلك وأولادك فلطم الفداوى على وجهه وبكى كما تبكى الحرمة الثكلى وإذا بولد
عبد حبشى خرج عليه من قلب الغيط وضربه بالكف على وجهه وقال له كذا يا كلب
بعد تعبك سنة أنت والرجال تضيعه بالمحال فقال له فى عرضك تضربنى الف نعال فانى
ما أستاهل إلا ضرب النبال فتركه العبد ومضى إلى الغيط وعاد ومعه حشيش ملون
وصور نتاية الطير ووضعها فى القفص هذا والطير عالى فقال للفداوى روح برات الغيط
وقف فطلع الفداوى وأما الفداوى فقد نزل فى قلب البركة واطلع بوقا وتكلم كلام
الطير من البوق وهو غاطس فى البركة فلما سمع الطير ذلك ظن أنها انثاه فحن من العالى
ثم نزل إلى الواطى فزاد له فى اللغا ذلك العبد حتى نزل الطير على شجرة فزاد له فى
الكلام فنزل على ظهر القفص فقطع العبد الكلام فدخل الطير فى القفص فقفز العبد
اليه وقفل القفص عليه فقال المقدم سعد الدين الرصاق أكثر من هذه الحيلة لا يكون
بعدما انطلق الطير وبقى فى الخلا تحتال عليه حتى يدخل فى القفص ويحبس روحه
ثابا بالله يا عبيد ما أنت شيحة هى طاعة الخوند لك حتى تعوم الأحجار فى مأوات
البحر وعدوا من عاداك وصديق من والاك فقال له المقدم جمال الدين يا فداوى لما
فوروحوا إلى مصر يبقى لله الامر والتدبير فقال ها نحن فى مصر فقال شيحة اسمع يا فداوى
انت داخل قدام السلطان وطالب السلطنة على القلاعين والحصونيين وطالب زواج
بنت الأمير علاء الدين وكان الشرط فى الديوان على مجيء هذا الطير وهذا السيف
والحمد لله حصلا معا وبقيا معك فخذهما وادخل بهما للملك الظاهر واطلب منه حجة
بالسلطنة وإذا حضرت بعدك انا أطلب منى بنت الأمير علاء الدين البيسرى ولا تخش
من شيء أبدا فقال سعد الدين والله يا مقدم جمال الدين لم يكن لك فى الدنيا نظير وأخذ
الطير وسار به حتى دخل به على السلطان ودعى له بالعز والدوام وقال يادولتلى هذا
الطير الناطق والسيف الساحق يش قلتم يابنو اسماعيل فقالوا والله تستاهل فقال ياملك
الدولة اكتب لى حجة بالسلطنة حتى أفرح واعزل شيحه فقال له السلطان حتى يحضر
ويصدق عليها شيحة وإذا بشيحة طالع فقدم السلطان واستقبله
فقال له كتبت حجة لسعد الدين الرصاق بالسلطنة فقال شيحة أكتب له بحضرتك

فقام سعد وضرب الاطاعه وقال اشهدوا يا بنو اسماعيل انى أنا عبد طائع للمقدم جمال الدين وهى طائعة الخوندا لك والاسم الأعظم فكتب اسمه على شوا كرة وقال له جمال الدين شيحة ردمال الأمير علاء الدين الذى نهبته منه وحضر حالك واجمع رجالك وادخل على حسنة بنت علاء الدين فانى زوجتها لك ففعل ما أمره به المقدم جمال الدين واعمل فرحا شريفا واجتمعت المحبون فيه ودخل بها وتملى بجمالها وخلفت منه ولدا اسمه سيف القضاء فى كلام إذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه

[قال الراوى] وأقام السلطان على تخت قلعة الجبل إلى يوم من الأيام طلع الأمير قلاوون مضروب فسأله الملك فقال ضربنى واحد فداوى نصرانى وأخذ منى الف محبوب فقال السلطان دوروا لى على الخصم يا مقدم ابراهيم فنزل المقدم ابراهيم وفتش طول نهاره وعاد بلا فائدة فلما كان ثانى يوم حضر علاء الدين مضروبا وثالث يوم سنقر وطال الحال حتى ان الغريم ضرب جميع الأمراء ولا أحد قدر يعرف طريقه إلى يوم حضر المقدم جمال الدين شيحة فاخبره السلطان وطلب منه الغريم فنزل وصار يدور ستة أيام حتى ضاق صدره فسار إلى مغاير الداخلية وقعد مختفى وإذا بغلام أقبل فالتقى عليه المقدم جمال الدين شيحة البنج حتى قبضه وقال له أنت من اين فقال له أنا ابن يعقوب الغندور فقال له ولأى شىء تؤذى الأمراء بالضرب فقال لكون أبى أسلم وتركنى هكذا يفعل الآباء بأولادهم فقال له الحق بيدك ولكن اما ان أخذتك إلى الديوان أخاف عليك من نقمة السلطان والأمراء وإما روح اقعد فى بيت أبيك حتى أطلبك منه قدام الملك الظاهر واحمى مخالف أحسن ما يبقى لك عذر بعد ذلك وطلع المقدم جمال الدين إلى الديوان وقال يا مقدم يعقوب يا غندور أنت لك ولد قال نعم اسمه عبد الصليب فأخذ نصر الدين الطيار وعيسى الجامرى ونزلوا إلى بيت يعقوب الغندور فالتقوا الغلام فقالوا له قم كلم السلطان فسار معهم إلى الديوان وقال يعقوب ياملك الاسلام هذا ولدى [illegible] فاذا تعديت على الأمراء وأخذت مالهم وضربتهم [illegible] خسارة فيهم أكل عيش السلطان لانهم [illegible] فعل معهم هذه الفعال قال السلطان [illegible] المروءة أنا اليوم أبى الذى [illegible]
[illegible] فقال السلطان [illegible] فيهم

فأخذه الاثنان عندهما مدة أيام الى ليلة جمعة رأى فى منامه سيدنا على بن أبى طالب
كرم الله وجهه وقال له اسلم ياولدى ولاتسمى نفسك عبد الصليب فلايعبد الا الملك
القريب المجيب فأصبح وأعاد مارأى على عيسى الجاهرى ونصر الدين الطيار فقالوا
له أسلم أحسن اليك فان دين الاسلام محبوب ومرغوب فاسلم وأتوا به الى قدام السلطان
واعلموه باسلامه فقال له تمنى على تعطى فقال ياملك اتمنى عليك انشد للمقدم عيسى
الجاهرى وأكون فى خدمتك ساعى فى الميمنة والبس كما لبس بنو اسماعيل الشد والزنط
فالتفت السلطان الى بنو اسماعيل وقال ايش تقولون فى هذا الرجل الذى غرضه ان يكون منكم
ويتخلق بأخلاقكم ويكون تابعا لكم فقالوا ياملكنا هذا لايجوز لاننا نحن ناس أولاد
اسماعيل الفلك وهذا ماهو منا بقى كيف يدخل فينا بلانسب وأيضا نحن أولاد ولنا
ناس اختيارية فى القلاع يحكمون علينا فاذا كان كذلك فاطلبهم بادولتلى واعرض عليهم
هذا القول ونحن مانخالفهم فكتب السلطان كتابا وأرسله مع المقدم سعد للمقدم
سليمان الجاموس يأمره بالحضور وصحبته كبار بنى اسماعيل فسار سعد الى المعرة
وأعطى الكتاب للمقدم سليمان الجاموس فلما قرأه زعقت القارون واجتمعت الرجال
فقال لهم السلطان طالبكم فى مصر فساروا جميعا الى مصر ولما حضروا قدام السلطان
أكرمهم اكراما زائدا وقال لهم اعلموا يامقادم ان هذا الغلام كان نصرانيا وانه والله
فارس وانه أسلم واشتهى ان يكون منكم ويتخلق باخلاقكم ويتشد لعيسى الجاهرى ويلبس
الشد والزنط مثلكم وهذا الذى من أجله طلبتكم فعند ذلك قالوا الرجال ياملك الاسلام
لايبقى منا الا اذا بين لنا بابه وشطارته فاذا فعل ذلك يستحق ونحن نرضى به فقال
السلطان هذ تمنية تمناها له بعد ان أسلم وكان اسمه عبد الصليب فسميته محمدا فقالوا ياملك
لابد ان يريا همته وشجاعته فقال المقدم محمد الغندور ايش ابدى تطلبوه منى حتى
استحق ان أكون منكم وترضوا عنى فقالوا له احضر لنا كلبوش الحكيم لاهوق من
الارض الغواصة والسائبة القلاقة من كنز الدم فقال لهم اذا رحت لتلك الارض
وأتيتكم بذلك الكلبوش ترضوا عنى فقالوا له نعم ويبقى لك مالنا وعليك ما علينا قال
المقدم محمد الغندور والاسم الاعظم لابد لى ان أجيء به فقال المقدم ابراهيم ياولدى
ان أردت أن تسافر خذ معك هذا الكتاب وأعطه الى ابى حسن الحورانى فى قلعة
عوران [illegible] نزل [illegible] على المقدم حسن
وأعطاه الكتاب [illegible] قدرته
فاذا كان فيك [illegible] الاخذه فى [illegible] ذلك واتقى له طاسه بيض

بالسدن حتى يأكل ونرتاح منه فقال المقدم حسن ياولدى اقم عندى هنا ولاتشوف
الرجال ولا الرجال تشوفك فقال له أنا يا خوند حلفت بالاسم الاعظم الا اروح
بقى كيف اقعد بلا رواح من بعد ماحلفت فقال له توكل على الله وسافر والله تعالى
ينصر من يشاء والله يا ولدى ماأحد يقدر أن يحصل الذى انت طالبه أبدا فان الارض
الغواصة تبلع الانسان وأما الساقية القلابة تقلب من جميع الاكوان وترمى سما كسم
الثعبان وأما الكنز فانه مهول وهذا شىء تحتار فيه العقول فقال لابد من سفرى
الى تلك الأرض والوديان وانا بعت نفسى لدين الايمان وتوكلت على العزيز الديان
فلما طلع من قلعة حوران وطلب البرارى والوديان فبينما هو سائر واذا به التقى رجلا مقبلا
عليه من البر وقال له يا محمد ياغندور اين رايح تدور فتقدما اليه وقبل يده وحكى
له على طلبه وقال له انت تعلقت بدين الاسلام فيجب علينا أن نساعدك على ماأنت له
طالب فان حقك علينا واجب وقال خذ هذا البابوج وحط رجليك فيه وسر فان
الارض لا تغوص بك وأنت لابسه وخذ هذه الطاقية وضعها على راسك فانها تخفيك
ولا احد يراك وبهذا تقضى حاجتك وتبلغ مناك وهذه المقرعة اضرب بها الارض تطوى
ويهون عليك السفر فعند ذلك اخذ الجميع وسافر الى أن أتى الى الارض الغواصة
وداس عليها فلم تغص ببركة سيدى على المكى ومادام سائرا حتى وصل الى باب الكنز
وضربه بالمقرعة فانفتح ودخل وهو لابس الطاقية فرأى الحكيم وهو جالس والكلبوش
على راسه فخطفه من على راسه وطلع من باب الكنز وضرب الارض فانطوت حتى
خلص من الارض الغواصة وكان المقدم جمال الدين واقفا له فى الطريق فقال ياسلطان
القلاعين خذ انت هذا الكلبوش احفظه وأنا دعنى على مهلى فلربما تلحقنى الاعداء
فاخذه شيحة وغطس ما ان واذا بالنصارى اقبلوا عليه من كل فج فقال لهم مرحبا
بكم يا كلاب الكفر وقاتل ماقصر كأنه الاسد القسور الى آخر النهار ولما أمسى المساء
تركهم يخبطون فى بعضهم وطلب الارتحال حتى طلع النهار ولحقته الكفار فقاتلهم
فبينما هو كذلك واذا به رأى عسكرا من حوران مقدمهم فاطمة الحورانية اخت المقدم
ابراهيم بنت المقدم حسن الحورانى وانفردوا على عصبة الكفار وكان الذى أحضرها
المقدم جمال الدين لانه لما عطاه محمد الغندور الكلبوش سافر مثل الطير الى حوران
وقال لحسن الحورانى قم خذ و[illegible]
[illegible] فاطمة [illegible]
[illegible]

قلعة الجبل وقال يامالك الاسلام خذ هذا الكلبرش الذى طلبته من بنو اسماعيل فاخذه السلطان وتفرج عليه وإذا به من الحرير الملون وحوله سبعة صفوف من اللؤلؤ الكبير وبينهم سبعة صفوف من الحجر الالماس وفى وسطه فص جوهر يخطف بنوره البصر فلما تفرج عليه السلطان أخذ الوزير وتفرج عليه وبعده تفرج عليه الأمراء ووزراء الديوان واحد بعد واحد وإذا بالأمير جعفر قام وطلع فى باب الديوان وقال فرحنى أنا الآخر عليه فأعطاه له فقال يامالك الاسلام أتأذن لى ان أحطه على راسى فقال السلطان البسه فوضعه على رأسه وقال يامسلمين ماهى مروءة أن يأتى واحد منكم حتى يأخذ الكلبرش وإنما الشطارة انى أخذته أنا من وسط الديوان وأنتم جميعا ناظرون اليه ونزل من الديوان وغطس ما بان فاغتم السلطان وحلف يمينا الا يركب على بلاد ذلك الملعون وأمر العساكر بالركوب وبرز إلى العادلية وسافر إلى مدينة العرقوب فلما وصل اليها أقبل محمد الغندور وقال يا مالك الاسلام حط بالعرضى هنا فان هذه الارض غواصة ونخاف أن تغوص بالعسكر وإذا بالسايق أقبل وقال يا مولانا كلم أبى فى هذا الدير فان البلد لا تملك إلا منه فقام الملك وأكابر العسكر وعبروا إلى الدير فلقوا أرواحهم كلهم فى الحديد قدام ملك البلد وكان اسمه صلبون ملك مدينة العرقوب فلما رآهم أراد قتلهم فقال الملك إيش هذا يا ملعون فقال تأخذوا الكلبوش وتطلبون حربى لما اتيتكم وأخذته منكم فقال للسلطان لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وإذا بسيدى على البكرى اقبل وبيده جريدة خضراء فضرب الملك صلبون بها فى صدره طلعت من ظهره فانطلق الملك ومن معه من الحديد فكبسوا على البلد وقتلوا كل من فيها ونهبوها وأخذوا الكلبرش بعدما قتل صاحبه ورجع الملك إلى مصر وأمر بشد محمد الغندور لعيسى الجاهرى وضبطه من جميع الرجال وجلس السلطان يتعاطى الاحكام على تخت مصر

[قال الراوى] ان الفداوية ظهروا إلى الديوان يطلبون مواجب ثلاثة أشهر فقال السلطان [illegible] تأتى الجزية من بلاد الروم وأنا أصرف لكم فصاروا كل يوم يطلبون [illegible] ينتظرون قدوم الجزية من بلاد الروم إلى يوم من الايام والملك جالس وإذا [illegible] بخط شيحة يقول فيه ان خزنة الافلاق أخذتها [illegible] فى السلطنة فلما تم كلامه بقراءته حتى [illegible] حتى قدم الاثنون كتابا [illegible] فاغتاظ السلطان وإذا بشيحه طالع

فلما رآه الملك قبضه فقال شيحة يارجال اركبوا وروحوا صهيون وخذوا كل مالكم من ابى محمد السابق فركبت الرجال فقال الملك كيف تأخذ الخزن حتى فقال السلطان حقك ياخاين فقال ياجلاد فاقبل الجلاد فاعطاه شيحة وقال اصلبه على باب الديوان فصلبه وبلغ الخبر الى بنى اسماعيل فقالوا لبعضهم اذا كان شيحة اتشق ماتى لما الافتح بلادالروم بسيوفنا ونسلطن واحدا منا علينا ثم انهم ساروا السويدية فقال المقدم ابراهيم انا هذه الشغلة ماهى داخلة عقلى ولا أصدق ان شيحة مات أبدا وانما قبل كل شىء نسير الى بلاد الروم ننظر ان كان شيحة أخذ خراج الملوك صحيح فساروا وطلبوا حصن صهيون حكم ماقال لنا وان كان غير ذلك نطلب نحن الخراج نقبضه ونفرقه على بعضنا وننظر شيحة مات حقا والا كذب فانى انا قتلته وقطعت رأسه فى حران فاتانى براس غيرها والصقها واما أعرف كيف عمل وهذه النوبة لابدلها من شغله كان هم فى الكلام واذا بعسكر قادمة تتلوا بعضها بعضا وهم مقدار ستين الفا ويقدمهم ستة ملوك فلما نظرهم ابراهيم أدفع حجرته ومسك واحدا الطريق وقال هذا مايدلم له العسكر لمن من الملوك وايش سبب ركوبه على بلاد الاسلام فقال له نحن طليعة العسكر القادم واما الركبة قادمة وراءنا فقال المقدم ابراهيم ومن هو الملك الذى هو قائد هذه العسكر هل هو ملك ملوك النصارى واكبر البطارقة والعياق فى هذا الزمان واسمه البب ضابح أبو قرون

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك ان الله خلق بلادا اسمها اسبانيا وفيها من الملوك اثنان واحد اسمه ناطرين والثانى اسمه مطرين وهما شركاء فى المدينة واحدهما خلف له ولد اسمه صلبون والثانى خلف بنتا اسمها صلبونة فزوجوا البنت الولد فخلفا ولدين بعد موت الكبار فسموا ولدا عبد الصليب والثانى صلبون وماتت البنت والولد مقدار ما صيب لصلبون احتار ياأخى المال والمواشى مسم المملكة بينهم وكانا اخوين ستمتين فقال له يا أخى لا تكن بيننا قسمة مطلقا أبدا لا يعرف الناس بيننا شىء المال والسلطنة لك

فقال له ياأخى وانا مثلك المال مالك والمملكة لك واقاموا [illegible]

وحبلت نساؤهم سواء وماتت صلبون وجلس عبد الصليب على الكرسى [illegible]

أخيه فأقامت بعد موت زوجها أياما قلائل وماتت وكانت [illegible]

وأراد الله سبحانه وتعالى أنها رضعت القرود ولدا [illegible]

البنين فصار الولد يرضع حتى كبر وطالت أظفاره [illegible]

[illegible] حتى نفذ الى خارجه وأخذه الله [illegible]

أحد ينزل يقعد بجنب قفص أمه إلى يوم طلع الملك عبد الصليب يزور قبر أخيه وأبيه فنظر هذا الغلام فعارضه فرآه ينزل القبر فتبعه فعلم أن هذا ابن أخيه فاخذه ورباه فطلع طويل القامة مقدار اثنا عشر ذراعا فقام يربيه ويتعجب من طوله حتى بقى عمره عشر سنين إلى أن كان يوم عيد فقال الملك لابنه خذ ابن عمك وروح به إلى خارج البلد تفرج أنت وإياه فاخذه وطلع به وكان اسم ابن الملك صلبون واسم ابن عمه ضانج فقال ضانج يا صلبون كيف أنت ثيابك جدد وأنا ثيابي قدم فقال أنا ابن الملك وأنت يتيم فقال وأنا أبي ما كان ملكا وأنا الملك بعد أبي والملك لي فقال له كذبت المملكة لي أنا بعد أبي فهجم ضانج على صلبون ابن عمه ومسكه من رقبته وعصر عليه خنقه فهجم عليه البطارقة وقبضوه بعد ما قتل منهم احد عشر نفرا ودخلوا على عمه وأعلموه أنه قتل ابنه فقال هو ابن أخي وقتل ابني وأنا ما معي أولاد إلا الذي قتل فاذا قتلت ابن أخي لم يبق لنا أولاد وإنما خذوه وروحوا به إلى جبل الأفيال وارموه هناك فاخذوا ضانج في الحال وراحوا به إلى جبل الأفيال ورجعوا فقعد ضانج في ذلك الجبل فصار يتيمهم ويمشي معهم ويأكل من الأعشاب كما يأكلون ويشرب من المطر حتى مضت أيام الشتاء وطلع الصيف فصار يركب الأفيال ويطردها في الجبال ويتعلم على ظهرها أبواب الحرب والقتال مدة ايام وبعد ذلك اخذ له فيلا وصنع على ظهره مقعدا من الشمس وركبه ونزل به من على الجبل الى واد عميق فصار يتفرج في ذلك الوادي حتى حمي عليه الهجير فاراد ان يستظل من الشمس فاتى الى تحت جبل فراى مغارة فدخل في تلك المغارة وصار يتفرج فيها فراى كنزا فنزل في ذلك الكنز فراى فيه عدة افيال وعدة حصان وسيفا وعامودا من الحديد الصيني فتصور في عقله أن هذا العامود وهذا السيف لا يعدلها الا كل فارس فاخذ العدة وركبها على الفيل فجاءت عليه بالسواء فركب عليه واخذ العامود والسيف وصار قاصدا إلى عمه فدخل عليه وقال له انا ابن ذلك هذه البلاد وانا احق منك بها فقال عمه امسكوه فما تم الكلمة حتى ضربه ضانج بالعامود في راسه كسرها وهد منه اساسه وقتل من كان حوله من اهله وناسه ولما رآه العساكر وهو بسفه قالوا له انت صاحب البلاد والحاكم على جميع العساكر والاجناد فامنهم على انفسهم وبعد ما قتل عمه احتوى على مملكته وبعد ذلك تزوج بزوجته واقام ملكا على مدينة اسبانير ودانت له العباد واطاعته العساكر والاجناد واجتمع عليه أهل الضلال والفساد حتى دانت له رقاب الملوك النصارى وصاروا يهادونه ويتحاذرون من شره وبعد أيام دخل الملعون جوان على مدينة اسبانير فرأى خلاف ما كان يعهده فقال يا برتقش بقي لي زمان ما دخلت اسبانير ولا اعلم من بها بسبب كبر

فقال له البرنقش زمان البلد ماخربت ولا قتل من فيها من الملوك لانك ياجوان ماتحل بلدا الاوتخرب ولاأرى ملكا يجتمع عليه الاويموت فقال جوان وايش يخلصنا اذامات كل النصارى والمسلمين فقال البرنقش ياجوان افعل ماتريد وعظمه فقال جوان ياأب ضابح أبقيت كبير فى النصارى وعندك عسكر بكثرة قم واركب على بلاد المسلمين واكسب لك غزوة لدين المسيح فقال له اركب على المسلمين ايش فعلوا معى من القبيح حتى احاربهم فقال جوان جهاد المسلمين فرضه عليك المارى جعلص وان خالفت يغضب عليك المسيح فقال ما اركب حتى أضرب تخت رمل وأنظر ثم انه ضرب الرمل فرأى أنه مايبلغ من المسلمين غرضا ولا يشفى مرضا ما دام أن شيحة معهم فقال المقدم ضابح شف ياأبانا جوان أناسمعت أن شيحة هذاسراق من المسلمين ولافى الدنيا واحد يعرف حيله وأنا ماأرضى أن واحدا يحتال على ويهلكنى كما هلك غيرى وأما أنا وحق المسيح مادام شيحة غايب على وجه الدنيا ما أركب على بلاد المسلمين ولاأعاديهم أبدا [قال الراوى] وكان المقدم جمال الدين شيحة له كشافون تقتفى أخبار جوان دائما ويوردون له بالاخبار عنه وكذلك جوان كان له ركايز على المقدم جمال الدين شيحة فاتفق ان جوان لما اجتمع مع ضابح ابوقرن كان جاسوس المقدم جمال الدين شيحة حاضرا وسمع ماجرى فاعاد الى شيحة واعلمه لربما اتفق عليه ضابح ابوقرن وانه لايركب على بلاد المسلمين الا بعد موت شيحة فجرت هذه الفتنة بين السلطان وشيحة وامر السلطان بشنق شيحة كما ذكرنا وكان جوان حاضرا فى ذلك اليوم فصبر لما دفن شيحة وحفر القبر وشق بطنه واخذ قلبه ومحاشمه وملح الجميع واخذها وسافر الى اسطنبول ودخل على ضابح ابوقرن واراه محاشم شيحة وقلبه وحلف له انه قطعهم بيده من جثة شيحة فركب الملعون وجمع له جوان ملوك الروم بعساكرهم حتى بقى ضابح فى ثلاثمائة الف مقاتل وقدم ستة ملوك بستين الفا قدام عسكره طليعة وهى التى وصلت الى السويدية ورآها بنو اسماعيل وجاء ابراهيم الى بطريق منهم وحكى له على هذه الحكاية كما ذكرنا فلما سمع ابراهيم ذلك الكلام قال له يا معلم وجوان مع ضابح قال له نعم فقال له ابراهيم روح لحال سبيلك فقال له ياسيدى أنا كنت اظن انكم تقتلونى وها انا حكيت لكم واطلقتمونى فقال له ابراهيم وانت ... فعندها دخل جوان الى قدام ضابح ابو قرن ... وسلم عليه فقام اليه واكرمه وقبل يده وقال ما ذنبك حتى نقتلك نحن لانقتل احدا الا فى الميدان وتحت ... السلطان فهو البطريق وكان اسمه سارح ياسيدى اقول ... ذلك ...

[illegible]

امسكوا العصا من الوسط شنق شيحة حيلة حتى يعمل مكيدة مع ضانج وجماعته وان كان شيحة لم يطلع من هذه الجثة التى انشقت وراح فى جثة غيرها فلا تصلحوا مع الظاهر ولا مع شيحة فانهم مثل البصل والحمص فى طعام اليخنى الله يريحنا من الاثنين وأما المقدم موسى بن حسن القصاص فان أتباعه كانوا فى الصيد والقنص فأتوا بشىء كثير من الصيد وهم فرحانون فقال لا تفرحوا حتى ننظر آخر هذه الداهية وكتب كتابا وأرسله من السويدية مع تبع من أتباعه إلى الملك الظاهر فلما قرأ السلطان هذا الكتاب خاف على بلاد الاسلام وظن أن الفداوية لم تعاونه على الحرب والصدام فأمر بركبة ألفين عام من عرب وأكراد وترك وأعجام وأمر الرعاية أن تصلح للجهاد فامتثلت جميع العباد وأقام يجهز الركبة ستة أشهر وسافر قاصدا السويدية فلم تتم الركبة إلا بعد سنة حتى حط على السويدية فنظر إلى بنى إسماعيل وهم واقفون تجاه العدو فقال ما شاء الله انظر ياوزير الفداوية كيف أنهم واقفون فى وجه الكفار فلاشك أنهم سباع الاسلام آه يا حسرة عليك يا مقدم جمال الدين فانه كان حصن للاسلام والله إن هذه الفتنة التى جرت ما هى إلا امتحان من الله تعالى اللهم أجرنا من الفتن وأقام السلطان حتى أمسى المساء وإذا بالمقدم إبراهيم مقبل فقال السلطان هاتوا إبراهيم فطلع واحد من الأكراد وقال يامقدم إبراهيم كلم السلطان فجاء إبراهيم حتى وقف بأزاء السلطان فقال السلطان يامقدم إبراهيم انت غضبان على أى شىء فقال إبراهيم انا ماغضبت ولاحصل لى شىء أنت يادولتلى طردتنا وبعد ماطردتنا شنقت سلطاننا فطلعنا وقصدنا قلاعنا فرأينا هذا العدو قاصدا بلاد الاسلام فما ساءنا أن نتركه يتمكن من بلاد الاسلام فقال السلطان أنا صحيح شنقت شيحة ومرادى أن أجعلك أنت مكانه فقال ابراهيم ارضى لكن يادولتلى أظن انك خنقت جثة من أربعين جثة له وبكرة يأتى فى جثة غيرها وكل من تعرض للسلطنة سلحه فضحك السلطان وقال له هات لى الفداوية حتى تتم هذه الركبة وانا أصرف لهم مواجبهم فقال ابراهيم هانحن يادولتلى بين يديك ولا نبخل بأرواحنا فان الجهاد فرض لازم علينا فكتب السلطان كتابا وقال له خذ هذا الكتاب واعطيه الى ملك هذه الركبة ضانح أبو قرن فقال ابراهيم سمعا وطاعة وأخذ الكتاب وسار الى ضانج وهدده حتى قام وأخذ الكتاب وقرأه فوجد فيه الصلاة والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى ولعنة الله على من كذب وتولى أما بعد فمن حضرة ملك الاسلام الملك الظاهر الى عدو الأيادى ضانح أبو قرن يا ملعون اعلم أن ركوبك على بلاد الاسلام ما ينويك منه الا الندم فان كنت تريد سلامة نفسك فاقبض على جوان وتأتى به خاضعا

قليلا وأحاسبك على ما تكلفت الركبة وأبايعك نفسك بالمال وأرتب عليك الجزية والخراج فى كل عام فان فعلت ذلك كان لك الحظ الأوفر وإن خالفته سوف ترى هلاكك وهلاك من معك والسيف أصدق من الكتب وحامل الأحرف كفاية كل خبر والسلام على نبى طلعت على رأسه الغمام فلما قرأ الكتاب قال لجوان تأخذ تقرأ كتاب رين المسلمين قال أنا عارف الذى فيه كذا كذا كلام قرقيش لا فيش ولا عليش اكتب له بالحرب فكتب الملعون بالحرب وطلب ابراهيم حق الطريق راعطاه فأعطاه الف دينار ورجع المقدم إبراهيم إلى السلطان الكتاب ورد جوابه فرآه بالحرب شرمطه ورماه وأمر بدق الطبل حربى حتى طلع النهار وبرزت الكفار فنزل أيدمر البهلوان وقاتل فارسا بعد فارس حتى قتل اثنى عشر وأسر تسعة وثانى يوم نزل المقدم حسن النسر بن عجبور فقتل ثلاثين وأسر ستة وعشرين ودام القتال على هذا الحال أياما طوال فضجت النصارى وقالوا يا أب ان المسلمين لم يمت منهم أحدا وأما النصارى ما أحد منهم ونزل يعود وهذا شىء ما لنا فيه فائدة ونحن جئنا نقتل المسلمين وإلا جئنا المسلمين يقتلونا فقال جوان لا تخافوا يا أولادى كل من مات يرجعه جوان ثانى مرة طيبا فقالوا له قم أحيى الذين ماتوا حتى نطمئن فقال جوان لما يتكامل قدر مائة ألف أطبخهم مرة واحدة لأن القليل لا ينطبخ فقالوا علمنا انك كذاب وطعم الموت مر ما يصبر عليه عبد ولا حر فقال جوان يا أب ضابح انت عجزت عن النزول إلى الميدان أرسل أطلب لك نجدة وإعانة من ملوك الكرستيان فقال واش رأيت من عجزى حتى قلت هذا الكلام فقال عادات الملوك وقت الحرب يتقدمون ويكسرون عزم أعدائهم وأنت قعدت وتوكلت على عساكرك مع ان عسكرك لا يبالى بالنصرة ولا بالكسرة قم انزل للمسلمين وعرفهم مقامهم ان كنت شجاعا وإن كنت عاجزا أنا ارسل البرتقش يأتينى بملك من ملوك النصارى يساعدنا على حرب المسلمين فقال له المقدم ضابح ياجوان أنا اقدر وحدى احارب المسلمين جميعا ولا أعود عنهم حتى افنيهم بالحسام ولا أبقى شيخا منهم ولا غلام وبكرة أوريك ياجوان ولما كان ثانى الأيام ركب ضابح أبو قرن ونزل الميدان وطلب الحرب والطعان فنزل اليه منصور العقاب بن كاسر وتقاتل معه ساعة زمانية حتى استوى به ومسك العامود من طرفه وضرب به منصور العقاب وكانت ضربة جبار فحذفه عن السرج إلى الأرض والمهاد وضحك ضابح عليه وقال له قم يا كناس ولا بقيت تعود إلى القتال وإلا أقطع رأسك وأهدم أساسك فقام الفداوى خذلان فقفز اليه المقدم جبل ابن رأس الشيخ مشهد فتقاتل معه ساعة وأزعج رجله من الركاب ونزل الى

الأرض وجرى حتى وصل اليه وضربه بالعامود فأرماه وقال له انت من فرسان المسلمين كلكم فشار فنزل صوان ابن الافعى كذلك هيبه ولو أرادقتله ما كان تركه وإنما الملعون على قدر قوته وطول اقامته نفخ الشيطان فى معاطفه وأوراه ان الخلق كلهم دونه ودام الامر كذلك حتى أركب وأنزل إلى هذا الشيطان فقال الوزير ياملك الاسلام اصبر فان عندنا الرجال واعلم أن المقدم إبراهيم المقدم سعدلم ينزلوا الميدان فقال السلطان أنت يا إبراهيم مكتوب عندى راحات الحرب إذا اشتد الكرب وهذا الكرب قد اشتد وأين عزمانكم ياسبوع الاسلام فقال إبراهيم يا دولتلى كلما اشتد الحرب هان وهاأنا إن شاء الله تعالى لابد ما أنزل إلى الميدان وأتقاتل مع هذا الشيطان مقام الحرب والطعان وأربح منه أهل الايمان وأكسيه من دمه حلة أرجوان وبعد قتله أخوض بحجرتى فى قلب هؤلاء الكفار أهل الطغيان وأشتت شملهم فى البرارى والوديان وأفنيهم بالسيف اليمان

ثم إن المقدم إبراهيم بن حسن صاح على المقدم على ابن الشباح وقال له قدم لى حجرتى فقام وركب حجرته بعد ما لبس عدته وتقلد بشاكريته وأسبل على جسده درعا داودى صنعة نبى الله داود عليه السلام وبرز إلى حومة الميدان وقال لضابح جشنك ياعدو الرحيم الرحمن

فقال ضابح انت من فرسان المسلمين فقال إبراهيم وأيش قصدك بمعرفتى هل أنت رابح تناسبنى دونك والقتال فان الرمح المعتدل القوام وانطبق إبراهيم على البب ضابح أبو قرن انطباق الجبال وأخذا فى الحرب والقتال وطعن الرماح الطوال وغرقوا فى بحور الاهوال وكانت لهم ساعة تقشعر منها الجلود ويشيب من هولها الطفل المولود ويعلم الانسان منها مرارة العدم من حلاوة الوجود ثم انهما انطبقا انطباق جبال الاخدود وافترقا افتراق وادى زرود وهمهما بعضهما على بعض همهمة الاسود فقام الملعون ضابح فى ركابه وهو كأنه قطعة جلود وصفح المقدم إبراهيم بذلك العامود وأراد أن يعدمه نفسه بعد الوجود فأخذها فى الطارقة فنزل العامود كانه صاعقة فكسر الطارقة خط يده إبراهيم فى ذو الحياة وقد أيقن بالممات وصاح على ضابح ومال عليه فضربه بالعامود ثانيا فزاغ إبراهيم عن الضربة وتقاتل معه إلى آخر النهار فضربه ضابح ثالث مرة بالعامود فالتقاه على ذو الحياة فطار ثلثه فضربه بالثلثين اللذان فى يده وجا انزاغ عن الضربة اللعين بمعرفته فمشى الليل واندق طبل الانفصال رجع المقدم إبراهيم بن حسن من الميدان وهو من الغيظ ملآن حتى وقف قدام السلطان لكنه خجلان فقال للسلطان أهلا وسهلا تقبل منك الغزايا

يا سبع الاسلام فتقدم وقبل يده فقال الملك والله يا برخليل ماقصرت فى حرب الملعون وما هو والله الاجبار فقال المقدم ابراهيم ياملك الدولة بركة دين الاسلام تساعدنا على هذا الشيطان وأما ضابح فانه رجع مغتاظ حتى وقف قدام جوان فقال له جوان يا مقدم ضابح هذا المسلم الذى حاربك اليوم اسمه ابن الحورانى فلا تخف منه لانه فشاور ولا يعرف شيئا الا أن كان المطاوباتو إلى ذلك الحال وأماملك الاسلام فانه مقيم بعد العشاء وإذا بالمقدم جمال الدين مقبل فقال إبراهيم حديد قزبر سبع معادن أنا قلت شيحة ما يموت ومولانا السلطان يقول انشق وأنا ضيعته فى حوران بيدى وما أعرف من أين جاء له رأس غير الذى قطعتها تقولون القطط لها سبعة أرواح وشيحة سماته روح فقال الوزير يا مقدم جمال الدين ايش الخبر فى هذه الفتنة فحكى شيحة للوزير كون أن هذا الملعون ضابح حلف ما يركب الا بعد موت شيحة فعملت هذه الحيلة حتى أن السلطان يشنقنى والسابق ابن الجلاد وشاع الخبر بموت شيحة وبلغ أربه جوان وبالليل نزل التربة وأخذ عاشم اليهودى الذى شنقناه مع قلبه وراح إلى ضابح هذا وركبه وأتى به إلى بلاد الاسلام حتى أن الله تعالى يجعل له الحمام وننتقم منه غاية الانتقام فقال السلطان أما حيلك ياشيحة لم يكن سبقك لها أحد لا من هو قبلك ولا من بعدك قال شيحة حتى يرتاح خاطرك يا ملك الاسلام وتغضب على وتشنقنى فضحك السلطان وقال له وهذا الوقت ايش يا أخى يكون العمل فى هذا الملعون ضابح فقال شيحة أنا اروح اليه والامر بيد الله وطلع المقدم جمال الدين فاطلع مرآة الانقلاب وتصور بصورة ولدا مرد جميل عمره خمسة عشر سنة وسار إلى عرضى ضابح ابو قرن بعد ماصنع له طرطورا بجناجل مزوق بالودع والخرز الاخضر والاصفر وفيه من جميع الاشكال ولما دخل على ضابح كان جوان قاعدا بجنبه فنظر اليه وتخابط حاله وقال يابرتقش ساعدنى فى هذا الشابردى المقبل ما هو شيحة قال البرتقش هذا اش تقول شيحة دفن قدامك وأنت نطمت قلبه وبالوصه وكيف طلع ثانيا يكون من اولاده فقال جوان ما هو من أولاده أما أن كان شيحة حبى كنت أقول هذا هو هذا وضابح ابو قرن لما نظر إلى الشابردى ونظرا جوان وهو يبرواد مع البرتقش فقال يا جوان ايش تقول للبرتقش فقال يابب تراولت من هذا الشابردى لا يكون شويحات فقال ضابح والحجة التى أخذتها عليك بموته وقلبه وبالوصه الذى جئت بهم الى عندى حتى ركبت كان عندك مسخرة وحق كانا ميتا أن قلت لى أن شيحة طيب ولا مات اضربك

بهذا العامود فى رأسك وأريح منك المسلمين والنصارى قال البرتقش قل طيب.
شيحة خليه يأخذك عمر لأجل ما يرتاح المسلمين من عشيتك فقال جوان شيحة
مات وانقضى حاله وانفسد كتاب اليونان هذا والشابورى صار يلعب قدام ضابح
أبوقرن حتى أذهله من اللعب وجوان كلما يراه يفعل ذلك يغتاظ وأخبر أخذ المنسوقة
جوان برجله وحذفها فى الهواء والقفها برجله ثم ردها على رأسه ثانيا وجوان ينظر
ذلك ونفسه كادت تخرج من جثته وما دام كذلك إلى أن طلع النهار وكانت هذه الليلة
كلها ضحك ولعب فبطل الحرب ذلك اليوم واجتمعوا على ذلك الشابردى طول النهار
إلى آخر النهار فقال المقدم ضابح ياشابردى أنت نم تحت سريرى فقال مليح وراح
جوان الى مكانه ولما جن الليل قام المقدم جمال الدين شيحة وبيده على خنجر أمضى من
القضاء والقدر وضرب ضابحا فى لبته فاستحس الملعون وهم قبل وصول الخنجر اليه
ومد يده فقبض على شيحة وهو الشابردى فقال له أصدقنى فى الكلام بحق دينك وما
تعبد أنت من المسلمين فقال له أنا المقدم شيحة جمال الدين وها أنا وقعت فى يدك فاقض
ما أنت قاض فقال أخبرنى جوان أن شيحة قد مات فقال كذب جوان وإنما أغراك
على هلاكك وفناك وخراب بلادك وقطع عساكرك وأجنادك فقال ضابح هاتوا
جوان فأسرعت الخدمة وأتوا به فقال ضابح ياجوان انت قلت أن شيحة مات وهذا
شيحة طيب وكذبت لى حجة بالكذب وأغريتنى حتى ركبت على المسلمين فقال جوان
يا بنى اقتله فقال وأنت ما أفعل فيك ثم أمر بحبس شيحة فى الحديد ووكل عليه ثلاثمائة
غفير وقال هاتوا العدة لجوان فقال جوان يا بنى إذا ضربت جوان تكفر فقال ضابح
المسيح عالم بى وبك أنك تستحق القتل فأنا أكرمك بلا قتل ولكن أضربك الف
كرباج وارماه تحت العدة وضربه ألف كرباج وحطه هو والبرتقش فى الحبس ورتب
عليه الغفرا وعند الصباح ركب المقدم ضابح وبرز الى حومة الميدان ونادى بأعلى
صوته وقال يامعاشر المسلمين اعلموا أنى قبضت على شيحة ووضعته فى الحديد وحبست
جوان ولكن أى شىء هذا الطول وسفك الدماء حرام فى كل الاديان أنا طالب ملك
المسلمين وملك المسلمين طالبى وها أنا نزلت الى الميدان ومرادى انفصال الحرب
والطعان فليبرز لى ملك المسلمين ان قتلنى أو أسرنى انفصل القتال وان أنا أسرته
وقتلته امض ما أريد من الفعال ولا تتكلموا فى غيرنا خوفا من الهلاك والوبال
فقال السلطان من هو فليجب هات الحصان ياعثمان فقدم له الحصان وركب
ونزل الى الميدان وقال تلك يا ملعون ها أنا الملك الظاهر فانطبقا الاثنان على بعض
وأدت أصواتهم مثل الرعد وخرجا من الهزل الى الجد واتسع المجال طولا وعرضا

فتمايلا على السروج واندقا كالمروج وتعلمت الفرسان منهما كيف الدخول للحرب
وكيف الخروج ومالا على بعضهما كأنهما جبلين وافترقا كأنهما بحرين وحان عليهما
الحين وزعق على رؤوسهما غراب البين سبق بينهما الهندين قاطعين قاتلين واصلين إلى
إلى البدنين فأما ضربة الملك الظاهر فانها كانت بالت الدمشقى خلا عنها ضابح أبو قرن
فوقعت على قربوص سرجه فانكسر وداخ الحصان من ثقل الضربة وتعتع فنزل
ضابح إلى الارض واسلت حربة من البولاد وحذفها فجاءت فى فخذ الحصان فشكته
فى جنب الحصان فلما حس الحصان بسن الحربة فى جنبه فطار بالسلطان كأنه من بعض
الغار وقصد الى عرضى الكفار والتهى السلطان بنفسه فما شعر الا وهو فى وسط
الكافرين فداروا به شمالا ويمين وأنزلوا من على الحصان وهو غائب عن الوجود
وأما ضابح فانه اراد أن يفتك بالاسلام فاعترضه إبراهيم بن حسن وحاربه إلى
آخر النهار فاندق طبل الانفصال وعاد ضابح إلى خيمته ونظر الى السلطان فرآه
مجروحا فحبسه عند المقدم جمال الدين شيحة هذا ما جرى ونظر الاغاشاهين إلى هذا
الحال فأيقن بالنكال وقال يا بطال الاسلام اعلموا أن مولانا السلطان بقى ميسورا
وكذلك شيحة وهذه أعداؤنا ناس كثير ما هم قليل فالنوم لا يكون إلا بالسهر ولا
أحد قط يتخالف عن رفيقه وينام وحده فان الاعداء محتاطون بنا فهم كذلك واذا
ثلاثة مقبلين قابضين على خناق بعضهم ومتشابكين فقال الوزير ما الخبر وتبينهم
وإذا بهم أولاد شيحة فقال الوزير على أى شىء تتقاتلون فقالوا على اثنين ما لك
السلطان وأبينا المقدم جمال الدين ومرادنا ياوزير أن تكون معنا فى هذا التدبير حتى
نخلصهم وأنت تشهد علينا فقال الوزير أما أنا اذا رحت معكم فلا فائدة فى رواحى لانى
لا أعرف الحيل مثلكم فاذا مسكونى أبقى أنا الثالث والوجه الثانى أنى أنا نائب
السلطان على العرضى فقال صدقت يا دولتلى فقال نور الدين يا خونداث انبعونى
وأنا أدلكم على الطرقات وسار فتبعته السابق ونورد ونوبرد حتى وصلوا مفرق الطرق
وطلع بهم الى الجبل ونزل من خلف عرضى الكفار وقال تفرقوا والاجتماع يكون
عند صيوان ضابح أبو قرن وكل منهم طلب فريقا وداموا حتى اجتمعوا عند ..
الصيوان بتاع ضابح اما السابق فانه جاء من قدام الغفر وشاغلهم حتى ارمى البنج
النار التى بين أيديهم ونورد دخل من خلف الصيوان بعد ما أخلف الصيوان
ما خلع وتدا ونوبرد فعل مثله وخلع وتدا ودخل واحد فلك شيحة .. فلم ..
وأما المقدم نورد فانه لاحت منه التفاتة فرأى العجل الادهم .. ..

مقائم على بابها فتنام جنبه ونحره من أعنه الى أذنه فكان السلطان وشيحة طلعوا الى خارج عرضى الكفار فقال الملك أنا خاصت منهم ولكن لاأقدرأمشى بالليل وإنما كانا خاصتمونى ا سرقوا لى بعض الخيل فقال نور الدين يادرلتلى اركب حصانك فأنا ما كان شغلى فى هذه الليلة الاهو فركب السلطان وسار الى عرضى الاسلام تحت جنح الظلام وبات فلما أصبح جمع الرجال الفداوية والامراء الظاهرية وقال يارب الدولة اعلموا أن هذا الملعون ضابح أبو قرن رجل جبار ولا عليه فى الحرب عيار وكل من سن لى حربه ويحمل طعنه وضربه فله عشرة آلاف دينار ان غلبه فلما سمع المقدم إبراهيم هذا الكلام فقال له اعطى عليك سندا ياملك الاسلام وأنا أضمن لك قتل الملعون ولا أعود من الميدان إلا إن هـدمت أساسه وأعدمه أهله وناسه واعفر بالتراب خده والعن له أباه وجده فـكتب له بذلك حجة فأخذ الحجة ابراهيم ونزل طالبا الميـدان هذا ما جرى

وأما المقدم ضابح فانه لما أصبح ولم يلق لا السلطان ولا شيحة فاغتاظ وصاح على السجانين واحضرهم بين يديه وضرب رقابهم أجمعين وبعدما أحضر جوان وضربه حتى وزق بالضرب جلده ثم انه ركب وطلب الميدان واختلط عقله بالجنان ونادى يامسلمين أنا أاسركم وانتم تهـربوا وللحرب تطلبوا وديني كل من وقع فى يدى ما بقيت أتركه إلا بقطع رأسه وخمد انفاسه فما تم كلامه حتى صار المقدم ابراهيم بن حسن قدامه وقال له لا تفتخر يا ملعون انت اسرت من الحرب والقتال وهرب منك يا ابن الانذال دونك ومقام النزال ان كنت من الابطال فانطبق الاثنان وهاجا على بعضهما كما تهيج فحول الجمال وهمهما همهمة الاسود فى الدحال وطال بينهما المطال وهما فى حرب وقتال وطعن ونزال تارة يكونا فى الميمنة وتارة يكونا فى الميسرة وتارة تجرى بهما الخيل خببا وتارة قهقرة وانعقدت على رؤوسهما الغبرة وكانت لهما ساعة عسرة اذهلت من الشجاع بصره ودام بينهما القتال إلى ان اذن الله تعالى للنهار بالارتحال وأقبل الليل بالانسدال وأذن بالانفصال ورجعا عن القتال ودخل ابراهيم بن حسن على السلطان فهناه بالسلامة وبات وأصبح نزل إلى الميدان وتقاتل مع ضابح أبو قرن كما كان ودام الامر كذلك سبعة عشر يوما فتضايق السلطان فقال سعد بن دبل يامقدم إبراهيم ما أنت قياس هذا الرجل اتركه خلى غيرك ينزل يقاتله أولا تأخذ لك راحة وثانيا تعرف الناس ان الحمل الذى تحمله أنت ثقيل على غيرك فانى أنا أول الناس دخلنى فى قتاله الطمع فقال المقدم ابراهيم يا عفلق أنا لى ثمانية عشر يوما احارب هذا الملعون فان كنت انت طمعان فى

قتاله دونك هذا اليوم فقفز المقدم سعد إلى الميدان ولطم ضابح ابو قرن فالتقاه ولم يعرفه
انه طيار فقاتله وطاوله حتى بانت له منه فرصة فضربه بالعامود فحكم الضرب على قفاه
فوقع إلى الأرض والفلاه وأراد ضابح أن ينزل بالحسام عليه وإذا بعمر الدين صار
بين يديه فقاتله ساعة زمانية فأيقن بالبلاء والرزية ونظر المقدم سعد إلى ولده فأراد
أن يدركه فسبقه المقدم عيسى الجاهرى ونظر إبراهيم ذلك فخاف على ولده من المهالك
وكان ذلك فى نصف النهار فلما خاف على ولده من الرزية صرخ بين آذان السلختية
ولطم ضابحا ابو قرن لطمة مكدرة ممتعة باعا وذراع إلى وورائه وكان ضابح تمكن من
عيسى الجاهرى وأراد أن يقتله ولولا أن أدركه المقدم ابراهيم والا كان ضابح اسقاه
كاس الحمام فقال ضابح لاى شىء منعت منى غريمى يا ابن الجوزاى فقال له هذا صبى
جاهل ما هو معدود من الرجال وأنت طالب حرب الملوك الثقال فدونك والحرب
معى وخلى عنك المحال ثم انه انطبق عليه وقاتل قتال جبار ودام معه على هذا العيار
إلى آخر النهار فضربه ضابح بالعامود وكان باقى ثلثيه فوقف المقدم ابراهيم فى
الركاب وتوكل على رب الارباب فجاء اليه المقدم ابراهيم بقطعة من حجر المنجنيق وله
حفيف وزهيق فاختطفه المقدم ابراهيم من الهواء وأعطاه الله تعالى الحيل والقوى
وصاح يا سيدى غوث يا ساكن حلب وحذفه بالعامود فوقع على رأسه كسر الخودة
وفلق رأسه وهشم رقبته ومات من وقته وساعته وعجل الله بروحه الى النار وبئس
القرار ونظر جوان الى ذلك الحال فهز الشنانين وقال دا لى يا أبناء الندم انية فركبت
الكفرة اللئام فالتقتها ابناء الاسلام وغنا الحسام وانفلق الهام وهشمت العظام وقل
الكلام وبطل العتب والملام ونصر الله الاسلام ونظر جوان الى هذه الاشارة واقى
نصرة الاسلام وهلاك النصارى فصاح ابرتقش داس الحارة [illegible] كبير [illegible] ان وهربه
وضاق فى وجهه كل مذهب فبينما هو طالب الهرب واذا هو بعساكر بر قادمة
مثل الطيور الحائمة فعند ذلك فرح جوان بتقدم القوم وسألهم [illegible] من يكونوا وقدمهم
من يكون فقال له هذا كيخية المقدم ضابح واسمه لتدم صهيون [illegible] أربعون
الف بطريق كل واحد منهم كانه نار الحريق ففرح بهم جوان [illegible] وايقن
بالامان وحكى لهم أن ضابح مات وطلب منهم أن يأخذوا له بالثار [illegible] صهيون
ودينى لم ابق من المسلمين من يمشى على قدم اذبحهم ذبح [illegible] هذا ما جرى [ما] لملك
الاسلام انه اعطى نواب البلاد قسمها فى الغنيمة ثم امرهم أن يروحوا الى اماكنهم
وأعطى الادرسية حتى ارضاهم وامرهم أن يروحوا الى قلاعهم ولم يبق مع السلطان
الا ابن اسماعيل وعزم بعد ذلك على الرحيل واذا بالمقدم صهيون قادم ليهم بعساكر

كالقربان ومعه جوان والبرتقش الخوان فأقام الملك بعد ما كان نوى الرحيل وكتب كتابا وأعطاه إلى المقدم إبراهيم وقال له روح به الى هذا الملعون وهات منه رد الجواب فسار الفداوى بالكتاب حتى دخل إلى ذلك المرضى ودخل على المقدم إصهيون وقال قاصد ورسول فقال هات كتابك وخذ رد جوابك فقال المقدم ابراهيم قم على حيلك وخذ كتاب السلطان واقرأه وهات رد الجواب وحق الطريق بادب وإلا أوريك مقامك بين عساكرك وأقوامك فقام المقدم صهيون وأخذ الكتاب فوجد فيه ياملعون أن ضابح قدمات فان كنت تعتبر بموته ارجع عن العناد وتعال إلى عندى خاضعا أبا عك نفسك بالمال واحد عليك الجزية مثل ملوك الروم فهو خير لك وان خالفت ألحقتك بضابح والسيف أصدق من الكلام والسلام فقال جوان أكتب بالحرب فكتبه فقال ابراهيم هات حق الطريق فقال المقدم صهيون اعطيك حق الطريق ولكن أنت الذى قتلت ضابحا فقال له نعم وألحقك به عن قريب إذا لم تخضع لملك الاسلام وإلا أشربك شرب كاس الحمام ولا ينفعك جوان ولا صابح ولا أحد من جميع الانام والليل أمسى

[قال الراوى] قال المقدم صهيون انت الذى قتلت ضابحا فقال إبراهيم نعم وسوف ألحقك به عن قريب لانا الذى أقتلك واجعلك مرمى فى القفار وآخذ للمقدم ضابح بالثار فقال إبراهيم بن حسن أنت هات حق الطريق وخلينى أروح من قدامك بامان وعندما تنزل إلى الميدان ها أنا حاضر ليس غائب القى اهل ماتريد قال صدقت وكان له خمسة وأربعون مقدما فامرهم كل واحد منهم يعطى للمقدم ابراهيم الف دينار فاخذ ابراهيم الاموال عاد إلى السلطان فاعطاه الكتاب ورد الجواب فالتقاه بالحرب فشرمعه وأمر بدق الطبل الحربى لما كان عند الصباح كان عند المقدم صهيون خمسة وأربعون فداوى نصرانى كل فداوى يتبعه الف بطريق فامر واحدا منهم أن ينزل الى الميدان فنزل وقاتل فاسر خمسة من الامراء وعاد فقال صهيون اى شيء عملت فقال اسرت خمسة قال كل هذه شطارتك يا كلب وضربه بالحسام على وريديه فاطاح رأسه من على كتفيه فقال له المقادم لاى شيء قتلته فقال هذا ماهو نافع وانا ما اريد الا الذى تكون فيه شجاعة زائدة واطلق الخمسة المأسورين فنادى جوان التفت الى البرتقش وقال ياسيف الروم أى شيء هذا الحال فقال البرتقش طاوعنى وخلينى أحوك لك الحركة فلا علاقة من شيحة هذه المدة وان كنت محتاجا الى الملاقاة خليك لما تاكلها فقال جوان اصبر واحضر اثنين كانا من اتباع صهيون قد قدم لكم ونوى على الاسلام الخلوة واقتلوه قبل ما يقتلكم ثم ان جوان قام به شاغله هو والبرتقش حتى ينجوه اعطوا الى الاثنين

وقالوا لهما روحوا به إلى ذلك الجبل واقتلوه فاخذه الاثنان تحت الليل وطلعا به كما أمرهما جوان لما بقيا فوق الجبل فايقظاه فنظر لهما وهو مكتف فقال لهما لأى شىء فعلتما هذه الفعال فقالا له يامقدم صهيون انت صبات إلى المسلمين وقد ظهر لنا الدليل لكونك قتلت الذى حارب المسلمين والاسرى اللذين جاء بهم اطلقتم فعلمنا أنك مسلم والبركة جوان أمرنا ان ناخدك ونقتلك فى هذا المكان فقال لهما المقدم صهيون أما الاسلام لابدلى منه لان المسلمين ماعندهم خيانة مثل الكرستيان وأنا نذرت لله نذرا أن خلصت من أيديكما اروح إلى المسلمين واقيم معهم واجاهد فى النصارى وان قتلتمانى فانى أقول أشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فما تم كلامه الا وفارس مقبل كانه الاسد وقال حاس يا كلاب الكفار وضرب اول واحد بالشاكرية فى وسط قامته فشرطه إلى حد سرته وضرب الثانى على كتفه اليسار فاخذ رقبته وكتفه اليمين طار ونزل إلى الذى فى الارض فتاه له وإذا به المقدم صهيون فقال المقدم إبراهيم أى شىء أتى بك إلى هذا المكان ولك مقادم وديوان فقال له يامقدم ابراهيم هذه افعال جوان وانا فى عرضك خلصنى حتى أكبس هؤلاء تحت الليل فانهم خائنون ففكه المقدم ابراهيم وقام قبل يده وقال أشهد ان لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ثم انه دخل الى عرضيه وجرد شاكريته وقال الله أكبر رصاح المقدم إبراهيم الله أكبر ووقع الجنك فى الظلام سمعت ابطال الاسلام واقبل المقدم سعد بالبياسنة ومعه ولده نصر الدين الطيار وسمع المقدم عيسى الجاهرى فاقبل بالحوارنة وهجموا على خيام الكفرة اللئام وضربوهم بكل سيف صمصام فكانت ليلة مظلمة معتمة فما أصبح الصباح وأضاء بنوره الوضاء الا وجميع الكفرة بين قتيل واسير ولا نجا منهم الا الذى تحته جواد سابق وفى أجله تأخير فاحضروا الاسارى قدام السلطان واعرضوا عليهم الاسلام فاسلم منهم الفان والباقى ضربوا رقابهم فقال السلطان المقدم صهيون تمنى فقال ياملك الاسلام أتمنى على الله وعليك ان تامرنى اعمر لى قلعة وأقيم فيها برجالى وأنشد المقدم ابراهيم فانعم عليه السلطان بما طلب وضمن له المقدم ابراهيم بناء القلعة من ماله وحضر المقدم سليمان الجاموس وأنشد المقدم صهيون المقدم ابراهيم وبنى له القلعة وهى الى الآن بجانب حوران اسمها قلعة صهيون وأما السلطان فانه سافر الى مصر وانعقد له الموكب وصرف إلى الرجال مواجبها بعد قسم الغنيمة وجلس السلطان على تخت مصر بقلعة الجبل يحكم بالعدل والانصاف كما أمر النبى جد الاشراف [قال الراوى] ان جوان لما علم باسلام صهيون ووقع الفناء فى عسكره مالقى له نجاة الا بالهرب ودام فى هزيمته حتى وصل إلى المراحل فقال

له البرتقش يا جوان أنا خايف من المسلمين يلحقونا ويقبضون علينا ويهلكونا ،
فنزلوا فى مركب وسافروا قاصدين جزيرة يفرة من البحر فخرجت عليهم شعله ريح
فمنعتهما عن مطلوبهما وابعدتهما إلى أوسع البحار فما هما كذلك حتى أبعد ونام الهوى
باذن فالق الحب والنوى وأقبل غليون حربى كبير لحارب مركب جوان واوردتهم
الهوان فأخذوهما أسارى وقادوا أهله اذلاء حيارى فقال البرتقش لجوان هذا كمثك
حتى المركب اخذها العدا وانت ماتحل فى مكان إلا ويخرب فلما سمع جوان هذا الكلام
فرد خنجره وقرأ قداس بصوت حنون فامتحن النصارى منه وقالوا للبرتقش ما اسم
هذا البترك فقال لهم هذا عالم ملة الروم والامر المحتوم البرك جوان فقالوا له نحن
لنا مدة تسعة أشهر دائرين عليه ولا نعلم به فى اى مكان وقالوا لنا ملوك الجزاير انه
تارة يكون فى الارض وتارة يكون فى غيرها وماصدقنا اننا نراه فى هذه المكان بقينا
نعود به الى الجزاير السود للملك الصهبج فانه أرسلنا فى طلبه وهانحن دائرون عليه
فقال لهم جوان سيروا وأنا معكم فساروا مدة ايام حتى وصلوا إلى الجزائر السودة
وطلعوا وجوان معهم والبرتقش صحبته فلما قدم جوان قام الملك له واكرمه اكراما
زائدا وقال له ياابانا لولا قدومك والا وقع السيف فى بلادى وفنيت عساكرى
واجنادى فقال جوان على اى شىء هذه الفعال فقال الملك الصهبج يا ابانا جوان كان
لى اخ اسمه البهيج مات لكنه خلف ولدين الكبير اسمه طوانيج والصغير اسمه ميرونش
فطلع ميرونش جبارا اجبر من اخيه وجعل سبحه صيد الوحوش وكبس البرارى
والبقاع ودخوله الاجمات وصيد السباع الى يوم من الايام كان يصطاد فطرد خلف
غزالة وهى هاربة وهو طالبها فدخلت مغارة ودخل ميرونش خلفها فالتقى فى المغارة
باب كنز فنزل فيه فالتقى طيرا وهو من خالص البولاد مجوهر وقبضته ابنوس مصفحة
بالذهب الاحمر فاخذه ميرونش وطلع به من الكنز ثم انه تأمله فرآه باربعة وجوه
على كل وجه مرآة من الجوهر نورها يأخذ البصر فلما ملك ميرونش هذا الطير مابقى
احد يقدر عليه ابدا وعندما طلع عندى يكاد يرى عينه تقدح شرارا وشواربه تقول
وانا اظن انه يقتلنى دام كذلك الى ان حكم طوانيج ثار نبرو هو وار على سرير وبقى اسمها
ميرونة الشمسية فطلع الى فى الديوان وخطبها منى فاعطيته نعم لهما الا و ميروش اخوه
طالبها وخطبها منى

فقال طوانيج انا خطبتها قبله وقال ميرونش انا ما دزعنها الا بالسيف ولا اسمع كلام
بترك ولا راهب ولا شماس ولا حج عزيز اجد ان ارضى احدى قبلته وان ما ارضى
عمى قتلته وما قدرت اخاصه لكنه اذا شاورته يقتلنى او يقتل اخاه فقلت حتى

بهيء عالم الملة والذى يفعله أبونا جوان يمشى علينا وأرسلت طلبك والآن حضرت عندنا فالمطلوب من أبينا جوان أن يفصل هذه القضية فقال جوان احضر البنت لما اشوفها فلما حضرت قال لها جوان أنت تأخذى من قالت آخذ طولبج فهم فى الكلام وإذا بميرونش مقبل من الصيد فلما أقبل طلع الى الديوان ودخل على الملك الصبيح فقال له أنا طلبت منك بنت عمى وانت لم ترض بتزويجى لها لاى شيء وأنالم أرض مخاصمتك لكونك ربيتنى فقال له أنا ماقلت لك أنا وكلت أبانا جوان وهذا أبونا جوان حضر دونك وإياه فعند ذلك تقدم ميرونش إلى جوان وقال له أنا خاطب منك ميرونة الشمسية بنت الملك الصبيح الذى أنت الوكيل عليها فقال جوان مرحبا بك ولكن هات مهرها فقال له وما مهرها فقال جوان مهرها راس ملك المسلمين فإذا قتلته واتيت براسه زوجتك بها ولا لك فيها معارض لا مانع فطلع ميرونش من قدام جوان على هذا الشرط وطلب عسكره وانتقى منهم اربعة آلاف طريقهم كل كافر زنديق ونزل فى المراكب مدة ايام إلى خارج [illegible] يدية وسافر من السويدية الى البر حتى نزل على حلب فنظر باشة حلب إلى هذه العساكر فكتب إلى ملك الاسلام يعلمه بذلك الذى قدم ومن معه الكفار اللئام فأمر السلطان بتجهيز العساكر وتوجه طالبه حلب وارسل إلى الفداوية وإلى الملك عرنوس واجتمعت الطائفتان على حلب يعنى الأمراء والفداوية ونصبت الخيام واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وانفتح باب الحرب من غير حكاية وتزات الأمراء وتمكنوا فى عسكر النصارى ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع قدم عرنوس ومعه جماعته [illegible] [illegible] الرخام [illegible] [illegible]

والآ [illegible] اذ لطمه ميرونش لا سلام ولا كلام [illegible] [illegible] [illegible]

وبايعه وشاراه فقام ميرونش فى ركابه [illegible] [illegible] [illegible] الملك

عرنوس [illegible] السلاح فانزل الطير على الفرس [illegible] [illegible] [illegible]

الملك عرنوس واراد ميرونش أن يثنى عليه [illegible] فى ذات [illegible]

مثل الطير واخذ فى الجريان إلى باب دير كان هناك [illegible] [illegible]

حلب فدخل عرنوس ذلك الدير فالتقاه البترك [illegible] له لا بأس عليك أنا [illegible]

فتقدم له وكشف جرحه [illegible] [illegible]

ميرونش [illegible] لما اخرج عرنوس [illegible]

عليك [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

ساعة من النهار فضرب ميرونش عرنوسا بالطبر فالقاه فى الترس فانشك فيه وأراد ميرونش أن يجذبه فنزع عرنوس قاسم الحديد غلية فسيب الطبر وهرب الى البر الاقفر ونظر جوان إلى هروب ميرونش فهز الشنبار فحملت عساكر ميرونش وتلقتها عساكر الاسلام وعمل الرمح والحسام وقلق الهام وهشمت العظام وقل الكلام ودام الحرب إلى آخر النهار ورجع الملك عرنوس منصور مؤيدا واما ميرونش فانه لما بعد عن العسكر فقال فى باله يمنى لولا ان المسلمين على الحق لما كانوا انتصروا على الكرستيان وعاد راجعا إلى أن كان وقت الصباح رأى عساكره ما بين قتيل وأسير وهاج فى البر والهجير فدخل على السلطان وقبل الارض وقال يا ملك الاسلام ان كان أغرانى على حربك جوان وها أنا بقيت بين يديك فقال السلطان أنت مخير اما انك يرتب عليك الخراج مثل ملوك الروم والا تقتل ان عصيت على وطاوعت جوان فقال وان اسلمت ماذا استوجب فقال الملك الظاهر ان اسلمت يبقى جميع ما عملته ينمحى عنك ولا تؤاخذك عما سبق منك فاسلم قدام السلطان وطلب طبره فاعطاه له الملك عرنوس وفرح باسلامه وبعد كسر النصارى سافر السلطان الى مصر وأخذ معه ميرونش أبو طبر واما الملك عرنوس فانه توجه إلى مدينة الرخام ولما وصل السلطان إلى مصر البس ميرونش صنجق سلطانى أمير الف قدم على جيش الف وصار يطلع يومى من جملة الامراء الى الديوان الى يوم من الايام نزل قاصدا بيته فقابله رجل اختيار وقال له يا أمير أنت من دون الامراء ما تضيف اهل العلم فقال له ياسيدى انا مالى بك معرفة تفضل معى إلى بيتى فسار معه ذلك الاختيار حتى دخل معه الى بيته فقال له الاختيار يا ولدى الملاعبة بالدين [illegible] وصار يذكر له فضائل عيسى المسيح ومريم فقال ميرونش ياشيخ انت سوف [illegible] ميرونش الى دين النصارى ثانيا فقال له وما المانع لك اعلم ان الدق قدامك جوان [illegible] جميع بلاد المسلمين ويبقى لك الفضل على ملوك الروم الذى [illegible] فقال له وكيف يكون العمل فقال له كل يوم تهزم اميرا ولكن [illegible] خفية [illegible] ذا بقى عندك تقبضه واحدا بعد واحد حتى تقبض الا [illegible] ادبر لك على قبض السلطان وتملك بلاده ولا [illegible] ورجع ميرونش على دينه القديم [illegible] صباح [illegible] جوان [illegible] طلع [illegible] المقدم ابراهيم الى [illegible] بالملك الاسلام واقراه [illegible] قال السلطان اتق الله يا مقدم ابراهيم [illegible] ميرونش وقال اقتلو شر ثانى

غريب من دون الامراء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال السلطان يا علماء الاسلام ميرونش هذا يقول عليه المقدم إبراهيم نصرانى وأنتم ماذا تقولون فيه فقالوا نقول انه مسلم فقال السلطان أسكت يا ميرونش وأنت يا مقدم إبراهيم لا تقذف حق المؤمن حرام عليك فسكت إبراهيم وأما ميرونش فانه صار يصاحب الامراء إلى يوم قال لهم أنا قصدى أعمل ليلة لله تعالى لعل الله أن يمحى عنى ايام الكفر وتكون ليلة جمعة فاذا كان يحصل منكم مجابرة تأتوا إلى عندى ليلا تسمعون القرآن والذكر فقالوا له وهو كذلك وصار فى علمهم إلى يوم الجمعة وأحضر الفقهاء وأقعدهم يقرأون القرآن وجاء بأولاد الليالى ودوروا ذكرا وانشادا طول الليل ودخل الامراء وشربوا شربات ومدلهم سماطا وأكلوا وكانت ليلة عظيمة وكذلك ثانى جمعة والثالثة جعل لهم البنج فى الطعام وكانوا خمسة واربعين امير وخمسة عشر فداوى فأكلوا جميعا وتبنجوا فصاح جوان لرهطه ووضعهم جميعا فى الحديد وانزلهم فى مطمور كانت فى بيت ميرونش وكان فى قناطر السباع بناها هذا الملعون ميرونش بتدبير جوان وعند الصباح ظهر الخبر ان الامراء خمسة واربعون والهم فلاوية واخرهم علاء الدين لم يظهر لهم خبر فالتفت السلطان وقال يا مقدم إبراهيم ابن الهريم فقال إبراهيم الغريم ميرونش ولا لنا خلافه غريم فقال السلطان أنت يا إبراهيم ما تطالع فى شرح لم ترجع عنه أبدا فقال يا دولتلى أنا قلت بما نظرت وانت اوسع نظرا والله اعلم بالسرائر فحصل عند الملك اشتغال لما يعلم من صدق نظر المقدم إبراهيم فكتم سره الليل وتزيا بزى درويش ونزل من السراية وحده وسار إلى بيت ميرونش فنظر إلى ناس فقراء داخلين وشحاتين يأكلون ويشربون فقال الملك هذا رجل من أهل الخير ولكن إبراهيم ظالمه ثم انه دخل مع العالم كان جوان قاعدا ... بالباب وعرف الملك هو داخل فوضع له البنج فى الشراب فلما ... قبضه ... الناس واختلى ميرونش جوان واحضروا السلطان فقال جوان وقعت يا رب المسلمين مأتاك السلطان قال لميرونش أنت من فقال له نصرانى ان ... إبراهيم ... لك حتى قصفتك فقال الملك حقيقة خاب من يكذب نظرك يا إبراهيم ... اخطأ منى فقال جوان يكفيك الذى أخذته ... لا فى الا المطار فقال ميرونش لا اقتلك الا فى بلادى حتى افتخر بموته على جميع ملوك الروم والافرنج ثم انه انزل السلطان فى المطمورة عند الفداوية والامراء فقام الملعون جوان وقال له ... اكتب ... الى أخيك ... حتى يأتى بالعساكر فتملكوا بها بلاد المسلمين ... ومعاقل ... بقطع الارض من اماكن لا تعرفها الا الجن وما ... يصل

إلى اسبانير ودخل على الملك الصهيج وأخبره بما فعل ابن أخيه ميرونش وكيف كان أسلم وعاد ثانيا نصرانى بتدبير جوان وهذا كتاب منه يطلب منك ركبة حتى يملك بلاد الاسلام ففيها الافتخار على جميع ملوك الروم فعندها أحضر طوبلنج , امره أن يركب وجهز له خمسة الف بطريق وأمره أن يكون تحت امر جوان فسار كأمره الملك الصهيج حتى وصل إلى حلب فلما نظر باشة حلب إلى هذا العسكر القادم عليه قفل أبواب البلد وقام الحصار وضرب الأعداء بالنار وكتب كتابا وأرسله إلى مصر يعلم السلطان فلما وصل الكتاب وقرأه الوزير فقال يا مؤمنين حلب تحت الحصار فما تقولون فى الركوب فقال المقدم ابراهيم هذه كيدة يا دواتلى وزير والذى فعلها ميرونش هذا وجوان والله تعالى عد بالنصر أهل الايمان فقال ميرونش يا ابو خليل حيث انك اتهمتنى وانا وحياة رأس السلطان ما يروح لهذا العسكر إلا أنا فقال المقدم ابراهيم واجبه عليك وأنا كان أروح معك لاجل ما أبقى مثل بنو عمى فركب ميرونش ومعه جماعته الذين أسلموا معه وركب ابراهيم بألف حورانى فقط وسافروا وكان عدة الركبة ومعه جماعته الذين أسلموا معه وركب ابراهيم بن حسن بالف حورانى والمقدم ميرونش بالفين كلهم مسلمون وساروا إلى حلب بات ميرونش وأصبح نزل إلى الميدان فانحدروا اليه النصارى فقاتل فيهم وقتل منهم وثانى الأيام كذلك فقال ابراهيم ارأيت أحدا يقاتل أهله إلا أنت يا مقدم ميرونش وهذه حيلة ما هى نافعة وعاقبها مذموم فاغتاظ ميرونش من كلامه هذا ما جرى

[وأما] النصارى فانهم شكوا إلى طوبلنج كون أن البب ميرونش يقتل منهم جملة ونحن ما نرضى بالموت لأجل حيلته فقال جوان لطوبلنج انزل اليه وانظر ما قصده فنزل طوبلنج إلى الميدان والتقى أخيه وتحارب معه حتى انعقد عليهم الغبار واخفاهم عن النظر فقال له طوبلنج انت ارسلت إلى أن اجىء أعاونك على قتال المسلمين فلأى شىء صرت تقاتلنا وجوان أعلمنى انك حبست بين المسلمين وحبست قبله جماعة من الأمراء والمداوية فقال له صحيح وأما قصدى انى أقبض عليك لكن يكون نكره وفى حال ما أقول امسك انزع على وخذ طير من يدى واضربنى به صفحا فاهرب من قدامك فخذ الطير وعد وأنا أجيئك الليلة نمثل عالم الله جوان يدبرنا على حيلة فعاد طوبلنج معتدلا على كلام أخيه ميرونش ودخل على جوان وأعلمه بما اتفق عليه مع أخيه فلما كان ثانى الايام ركب ميرونش ونزل إلى الميدان فقاتل أخاه وارسه إلى تمام عسكر الاسلام ومسك فى خناقه وصاح على العسكر فلما تقدموا اليه بعد لأن ابراهيم أعلمهم أنها حيلة فعندهم طوبلنج عليه وقبض فى الطير وخلص ووجه من يده وضربه بالطير صفحا وأراد أن يثنى عليه

أخيه بالحد فانهزم ميرونش إلى عرضي الاسلام وقال للملك لأى شيء ما عاونتموني
فقال ابراهيم هذه حيلة ياميرونش وعرفناها فاغتاظ ميرونش وأما طوبلانج بعدما أخذ
وأراد الرجوع وإذا بالغبار غبر وعلا إلى الصفا وتكدر وانكشف عن عساكر
اسلامية الطير وبيارق محمدية وهم يدفعون الخيول دفعا ويشتاقون الجهاد شوقا منهم ، طمعا
وهم خمسمائة فارس يتقدمهم الليث العبوس والبطل الناموس من حاز الشجاعة والفروس أفرس
من تفخذ على ظهر القربوص وضرب أعداه باللت والطبر والدبوس الملك محمد سيف
الدين عرنوس وكان السبب فى مجيئه انه لما أعطى الطبر لميرونش وعاد إلى مدينة الرخام
صعب عليه أخذ ذلك الطبر فلما وصل إلى محل مملكته أخبر عمه بذلك الطبر فقال المقدم
اسماعيل يا ابن اخي إذا كان صاحبه أسلم فلا يجوز أخذه منه والحق فى يد الملك الظاهر
باعطائه له وأما إذا كان كافرا فانت أولى به منه فصار الملك عرنوس يترقب أخبار
ذلك الملعون وجاعل له عليه عيون حتى أتاه الجاسوس وأعلمه بما جرى فى مصر من
الأمراء والفداوية والسلطان وركوب طوبلانج على حلب وعلم انه خو ميرونش
فقال هذه حيلة وأخذ معه خمسمائة فارس وأتى كما ذكرنا وعند اقباله رأى
طوبلانج وقد عاد من قدام أخيه والطبر فى يده فعارضه الملك عرنوس ولطمه لطمة
جبار قاسى النوائب والأخطار فضربه طوبلانج بالطبر فاخذه فى الترس وضربه الملك
عرنوس بقائم الحديد على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه وأخذ الطبر وعاد إلى
عرضي الاسلام فقام ميرونش على الأقدام والتقى الملك عرنوس وفرح واتهم فقال
له ياميرونش أخوك قتلته وهذا الطبر أخذته منه السيف بعدوه فيصير حقك والاحق
فقال ميرونش الطبر جبا لخاطرك وانا يا دولتلي معتوق سيفك فقال عرنوس ياملعون
هو جبا من عندك وأنا أخذته فى القتال بقى كيف يكون جبا وهو لى حلال فقال المقدم
ابراهيم مرقت هذا ملعون وابوه ملعون قال عرنوس كيف ياابراهيم هذا هو نصرانى
فقال ابراهيم هو نصرانى ابن نصرانى لكن عمك الظاهر لا يصدقنى فقال عرنوس انا
اصدقك امسك هذا الملعون فهم ابراهيم وقبض على ميرونش وإذا بغبار ثار وانكشف
عن بيرق المظلل بالغمام وتحته الملك الظاهر بيبرس بعساكر الاسلام مقبلون وهم كانهم أسود
الآجام وكان السبب فى مجيئهم أن شيحة طلع إلى الديوان فلم يجد لسلطان فسأل عنه
فأعلمه الوزير بعدمه وعدم الأمراء والفداوية فقال شيحة وابراهيم أى شىء قال فقال
له اهم فى ميرونش فقال شيحة صدق ابراهيم ثم أنه نزل إلى بيته [illegible]
[illegible] الكم التقدم ميرونش استقلا فى زى الاوين [illegible]
[illegible] إلى بلاد النصارى يقتلهم هناك و[illegible] [illegible]

شيحة فقالوا له سمعا وعلم وقعد معهم حتى عرف المطمورة ونزلها ليلا وأطلق السلطان ومن معه من الأمراء والفداوية ولما طلع السلطان قبض على كل ما كان فى البيت ونهبه وقطع رؤوس كل من كان فيه من المنافقين وركب السلطان والأمراء والفداوية وسافر بهم حتى وصل إلى حلب صادف حضور السلطان بالقبض على ميرونش وعرنوس وإبراهيم كانوا قبضوا عليه فنظر السلطان اليه وهو فى يد إبراهيم فقال والله يا إبراهيم ما أنت إلا صاحب نظر ومن يكذب نظرك فهو مجنون فقال إبراهيم الكلمة هذه يأخذها الخباز ويعطيني رغيفا فقال الملك مال ميرونش كله لك ولكن علقه على صارى خيمتى وتضربه العساكر بالنبال وإذا بأولاد شيحة وهم السابق ونورد ومعهم جوان والبرتقش الخوان فقال الملك حطوهم فى الحديد ودارت الرجال حول ميرونش يضربونه بالنبال فتركهم الملك عرنوس وسار إلى خيمة جوان الذى هو مسجون فيها وقال له سلامات ياجوان فقال جوان الله يسلمك فقال عرنوس يعنى ياجوان ها أنت وقعت والآن تأكل من الضرب حتى تزعل اى شىء مكسبك من الضرب يا جوان

فقال جوان تقدر تخلصنى وأنا أهاديك بهدية لا نظير لها فقال وما هى الهدية

فقال لما تسيبنى فقال عرنوس والله أسيبك فقال له اعلم يا عرنوس أن أصل مجىء ميرونش كان خطب بنت الصهبج وهى التى كانت سبب موته وموت أخيه ولكن ياديابرو عرنوس لا تصلح إلا اليك فانها والله بديعة الجمال كاملة القد والاعتدال ان ملكتها نسيت كل ماحوته يدك من البنات أرباب البها وتم الجمال فقال عرنوس وما اسمها يا جوان .

فقال اسمها ميروقة الشمسية بنت البب الصهبج صاحب مدينة الصخر فى الجزائر السود فتعلق آمال الملك عرنوس بها فسيبه وأخذه إلى السلطان وقال يا ملك الاسلام هذا الملعون وقف لأجل خاطرى فأطلقه الملك وراح لحاله جوان والسلطان نهب ترغى مثل الثلج والنصارى منهم من قتل ومنهم من هرب وسافر الملك الظاهر إلى مصر وعرنوس قال لعمه المقدم إسماعيل خذ العسكر وسافر به إلى مدينة الرخام وأنا أقعد مع السلطان حتى يتوجه لأجل ما أودده والحقكم عن قريب فسافر المقدم إسماعيل كما أمره الملك عرنوس وأما عرنوس فانه ركب على ظهر جواده ليلا وطلب البرارى والقفار وما دام يقطع السهول والأوعار الليل والنهار حتى وصل إلى الجزائر السود ودخل إلى بستان بجانب مدينة صخر ونزل عن الحصان تركه يرعى رجله إلى فسقية القصر التى فى وسط البستان ونام على جنب الفسقية فكانت الملكة ميرونة الشمسية

فى قلب ذلك القصر قاعدة تتسلى ومعها بعض الجوار فنظرت إلى البستان فرأت حصان الملك عرنوس فقالت للجوار لمن هذا الحصان فقالوا لها صاحبه نائم على الفسقية فقالت واحدة منكم تنزل تحضره إلى عندى حتى أعرف من أى أرض هو وإيش أتى به إلى هذه البلاد فنزلت جارية وأقبلت إلى الملك عرنوس وهو نائم فنظرت اليه وقالت ياغندار قم كلم ستى مرينة فقال وأين هى فقالت فى القصر فقال عرنوس وطلع إلى القصر فقامت الملكة ميرونة اليه وسلمت عليه وأجلسته على الفراش وأحضرت له الطعام وبعدها المدام وباسطته فى الكلام فرأته فصيحا .

فقالت له من أى البلاد أنت

فقال لها أنا من دير نجران وأصل تربيتى فى الغابة ودائر سواح فى البلاد أمرنى المسيح بالسياحة فقالت دستور وإيش اسمك

تم الجزء الثامن والعشرون ويليه الجزء التاسع والعشرون
من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء التاسع والعشرون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فقال لها أنا اسمى عزم المسيح القاطع قالت اسم المسيح يحفظك ولما دار بينهم المدام وأخذ الخمرة فى عقولهم قامت البنت إلى عرنوس وقعدت على حجره ومالت على خده تقبله فاخذ القبلة فى كفه فاغتاظت منه وقالت له أنا يا غندار رجعت بك وأردت ان أقبلك فلم ترض كانك ما حبيتنى مثل ما حبيتك فقال لها أنا حبيتك ولكن ما ارضى إن يجىء فمك على وجهى من خوف النجاسة فقالت وأين النجاسة وأنا كل يوم أدخل الحمام ولا أطلع إلا بعد النظافة التامة بالصابون المسك فقال لها ان الصابون ينظف الجلد ولم يطهر لأن صابون القلوب التوحيد ثم أعاد عليها فعلمت ما هو عليه وقال لها ان أسلمت تكونى نور العيون فاسلمت على يد الملك عرنوس وتولعت بهواه فاعطاها عقد جوهر وعاقدها على نفسها وازال بكارتها وتملى بجمالها وأقام عندها وهو فى هناء وسرور مقام مدة أيام ولم يسئل عن مملكته ولا على مدينة الرخام إلى يوم من الايام وعرنوس جالس فرأى الملك الصبيح راكبا فى جماعة عسكره قاصدا الصيد والقنص فقالت له معروفة هذا أبى كان وأنا نصرانية والآن لا أعده أبى فقال الملك عرنوس وأين راكب أبوكى فقالت راكب يصطاد فنزل الملك عرنوس بعدما قلب شاياته وركب على ظهر حصانه ولحق الملك الصبيح وانحشر بين العساكر وسار معهم إلى محل الصيد فلما بقوا فى محل الصيد اصطاد الملك وعساكره وأما عرنوس فانه سار يضرب الغزال فيصيبه ولم يقبضه فباتوا البطارقة له يأخذونه إلى وقت القيلولة نزل الصبيح فى صيوان وأما العساكر فانهم تفرقوا فى الوديان وإذا بسبع قد خرج عليهم من الوادى كانه الثور الكبير وله زمجرة وهدير ونظر إلى العسكر فقصد نحوهم واغتاظ من اجتماعهم فهال عليهم وزعق فى وجوههم فجفلت الخيل من زعقته وخافت العساكر من هيبته فخطف

رجلا بيده وضرب به الارض فرض أعضاءه طولا وعرضا وخطف ثانى وضرب به اثنين فاتر الثلاثة فى الحين وخطف رجلا آخر وضرب به وهو فى يده حتى قتل تسعة أنفار ورماه من يده فانهزمت الافرنج وقالوا للملك الصبيح قم اهرب والا يقتلك هذا السبع فقام ووقف على باب الصيوان وكان السبع لما هرب البطارقة من بين يديه قعد على ركبتيه فنظر الملك الصبيح اليه من بعيد وقال هذا سبع شديد ولم يبق منكم أحد يقدر عليه هيادرنكم واياه اضربوه بالسهام فرققوا نحوه السهام فلما رأى السهام فوقفت نحوه صاح بصوت عالى اذهل العسكر وهجم عليه كأنه القضاء والقدر وصار يخطفهم مثل لمح البصر وكل من وقع بجعله عبرة وموعظة للبشر فساروا هاربين فاغتاظ الملك الصبيح وقال لهم ماهذه الارزية اقتلوه يا أبناء النصرانية والا فنانا زانزل بنا الرزية فقالوا يا اب ما أحد منا له عليه وصول وكل من قدم عليه جعله مقتولا فقال الصبيح وكيف العمل كل من قتل هذا السبع واسقاه المنية ازوجه بنتى الملكة ميرونة الشمسية فسمع الملك عرنوس كلامه وكان واقفا يتفرج عليهم فنزل عن ظهر جواده وشمر أذياله فى المنطقة وجذب نامم الحديد ن يمينه وترسه فى شماله وخطا الى نحو السبع ونظره السبع وهو قادم عليه فصاح صوتا أ..وى منه السهل والخيل وتسكيب الوثوب عليه فجاوبه الملك عرنوس بزعقة أقوى من زعقته والتقاه فى وثبته وضربه بقاسم الحديد فى وسط جبهته فخرج من وسط سلسلته فانشق نصفين كأنه انقسم بمنشار اوانقسم بيكار فلما رأى الملك الصبيح تلك الضربة اندعر وعلم ان هذا فارس من دون العسكر شجاع لم يوجد مثله فى جميع الاقطاع فاحضره الى بين يديه وسأله من أى البلاد هو فقال يا اب انا من دير بحران وسائح أمر المسيح فى جميع البلدان

فقال له وما اسمك فقال اسمى عرم المسيح القاطع فقال ... ولولا ... ما كنت قتلت هذا السبع وما كنا منه نستريح وبعد ذلك أحضر الطعام و كل ... وعادوا من الصيد الى المدينة وأخذه عنده وجعله من أعز أصدقائه ... الافراح وكان عرنوس قضى وطره سا قا ربعد ذلك البسه وزير ... اقام الملك عرنوس بالنهار فى الديوان وبالليل عند الملكة ميرونة مدة أيام الى يوم وعرنوس جالس ... جوان طالعا الى الديوان فقام الملك الصبيح واستقبله وكذلك عرنوس ... مغيبه من قدام السلطان فلما كان ذلك اليوم أتى جوان فسأله الصبيح وقال ... دبرت على ... حتى ... فقال جوان يا اب ... أخوك كان ... فقال ... أخبرنى ... قال ... الملك الصبيح ...

منهم واما لو عاشوا كانوا يقتلونك فقال الملك عرنوس صدق جوان وفى آخر النهار قام الملك عرنوس وأخذ جوان معه الى قصره وأكرمه وقال ياجوان انا باديتك بالمعروف وخلصتك من حبس السلطان فلا تقطع حظى وخليني أتهنا بهيرونة كام يوم فقال جوان أنا مسافر ياسيدى ما أنا مقيم هنا فتهنى بما يعجبك وركب جوان حمارته وأخذ البرتقش واظهر لعرنوس انه مسافر ودخل على الصهيج ليلا وقال له ياأبت ان الذى قتل اولاد أخيك طويلنج وأخيه ميروش هو الذى عندك واسمه الديابر واعرنوس فقال له ياأبانا وكيف العمل فى قبضه فقال جوان أنا أقبضه لك ثم انه أعطى له قرص بنج وقال له ضعه فى الشراب وخبيني عندك حتى يشرب ويتبنج ودخل جوان فى مخدع وثانى يوم طلع عرنوس الى الديوان فقام اليه الملك الصهيج واستقبله وقدم له كاسات شربات فشربه وانقلب فطلع جوان كتفه ووضعه فى الحديد

[قال الراوى] ثم ان جوان بعد ان وضع عرنوس فى الحديد شممه ضد البنج فعطس وقال أشهد ولا أجحد أما فين فقال جوان أنت عند الصهيج الذى قتلت اولاد أخيه واخذت بنته عملتها جناقة قم يا ب مترة فقال البرتقش تمترة يجىء لك نصير البحر واسماعيل أبو السباع ورين المسلمين بابب لمدك لم تعمل دم الديابر وعرنوس فقال الملك الصهيج احبسوه فوضعوه فى السجن فقام جوان مغتاظ وتخاصم مع البرتقش وقال له ياسيف الروم لاى شىء ما كنا نعمل عرنوس ثم ان جوان سافر الى كاهنة يقال لها الكاهنة السوداء ودخل عليها وقال ياكاهنة ان الديابر وعرنوس أخذ بنت الصهيج عملها جناقة بعد ما قتل أولاد أخيه وهاهو قبضت أنا عليه وكان قصدى قتله فما رضى الصهيج بقتله وها أنا جئت اعلمك فقالت له ما له عندى وأنا جوان اقتله فقال أعطيني كتابا للصهيج انه تسلمه لى فكتبت كتابا وارسلته اليه مع فأتى الى الصهيج فقرأه اذا فيه بلغنى ان الديابر وعرنوس عندك فارسله لى مع جوان تسلمه جوان واخذه ودخل على الكاهنة فلما رأته طلبت منه ان يجامعها فلم يرض بذلك فلمته سلاسله التى عليه وقالت له أنا شفقت عليك بدال موتك احرث فى هذه الارض الظلمة وما بقيت أعذبك وطلع جوان تكشف البر فرأى اسماعيل ونصير البحر قادين غزاع صره دخل على الكاهنة [illegible] فقامت [illegible] رصدها وأمرت رهط [illegible] طالبين خدعهم وأتى بهم الى بين يديها كان السبب فى مجيئهم ان المقدم اسماعيل لما أمره الملك عرنوس أن أخذ عسكر [illegible] الزحام انتظار قدومه فلم يحضرهم

فقال [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لهم على

علمتم أى جهة قصد الملك عرنوس فقالوا جميعا ياخوند لم نعلم له خبرا فقال مملوك من المماليك اسمه عارف وكان واقفا مع الملك عرنوس لما تكلم مع جوان أنا سمعت الملعون جوان يذكر له بنت اسمها ميرونة الشمسية بنت الصهيج صاحب الجزائر السود

فقال المقدم إسماعيل لاشك ابن أخى ماغاب إلا وقد راح اليها لأنه مولع دائما بحب البنات فقال المقدم نصير البر الواجب أننا نلحقه يا مقدم إسماعيل ولا نتراخى عنه

ثم إنهم ركبوا خيولهم وطلبوا طالبين الجزاير السود حتى وصلوها وأخذوا الأخبار فأعلموهم النصارى بالكاهنة السودة فساروا حتى وصلوا إلى ذلك الملك ونظرهم الملعون جوان فأرسلت الأرهاط وأخذوهم الاثنين كما ذكرنا ولما وقفا قدام الكاهنة

فقالت وأنتم من أى بكم هذا المكان يامسلمين فقال المقدم إسماعيل نحن جئنا خلف ملكنا ننظر وأما ما جرى عليه إن كان فى خير نهنيه وإن كان فى شر أرواحنا نفديه

فقالت وأى شىء عملتم ها أنتم وقعتم معه فى الحديد فقالوا الله يفعل ما يريد فانه أوعدنا النصر والتأييد ووضعتهم فى نقطة الدم وأرادت هلاكهم وإذا بموكب بطارقة مقبلون وبينهم غلام أمرد جميل دخل قدام الكاهنة وقال يا أمى ما الذى فعلت ومن هؤلاء الناس الذين عندك فى محل الموت ومن هذا الذى قاعد جنبك ما يكون فقالت له أما الذى قاعد جنبى فهو عالم الملة كلها وهو البركة جوان وهذا غلامه البرتقش سيف الروم وأما الذى تراهم قدامى فانهم مسلمون وأنا قبضت عليهم ومرادى قطع رؤسهم

فقال لها وما ذنبهم الذى أوجب قتلهم فقالت دخلوا بلادى يريدون ملكهم الديابرو عرنوس فقال لها ملك المسلمين قالت أنا ما أعلم وإنما الذى يعرفهم جوان فقال البرتقش هذا يامقدم اسمه الديابرو عرنوس ملك من جملة الملوك الذين تحت يد رين المسلمين وأما ملك المسلمين عنده مثله كثيرا وإنما كان هذا قتل أولاد أخى الملك الصهيج وتحايل على بنته عملها جناقة بعد ما أسلمت وجوان قال للصهيج عليه فبعثه له بالنصح وقال له اقتله فما رضى خوفا من رين المسلمين يبحث عليه فجاء به للكاهنة تقتله وهؤلاء أقاربه أتوا فى طلبه فقبضت عليهم فقال الغلام وكان اسمه مركن وباقى المسلمين فى أى مكان هم فقال البرتقش فى بلادهم فقال تعرف يا برتقش بلادهم قال نعم فقال احبسوا هؤلاء حتى أركب أنا فى عسكرى وأغزى بلاد المسلمين ولا أخلى جنس مسلم على وجه الأرض أبدا حتى تبقى الدنيا كلها نصرانية والملة مسيحية

فقالت الكاهنة المسيح ينصرك ويقوم معك ثم انها فرحت به و لبسته بدلة الملك عرنوس وأعطته سيفا مطلسم وأركبته على حصان بحرى من خيل البحر وقلدته بسيف مطلسم وركبت معه سبع ملوك من ملوك الجزائر ومعهم سبعون ألف بطارق وقالت لهم سيروا مع ولدى مركن وطاوعوه فهو الملك عليكم جميعا وأنتم

تكرنوا له طائعين ولقوله سامعين فامتثلوا كلامها لعلمهم بشرها ومكرها وسحرها وقالت لولدها قبل كل شيء أملك مدينة الرخام وأنا قصدي أقعد فيها لانها كانت للكاهنة مشمشيئة والمسلمون قتلوها وأخذوها منها فأوعدوها مركن ابنها ان يبلغها مقصودها وسافر وسار معه الملعون جو . يغريه على الطغيان هذا ما جرى وأما ما كان من الملك محمد الطن وردونش فانه مقيم وإذا باثنين مقبلين عليه وقالوا له اعلم يا ملك أن الملك عرنوس والمقدمين اسماعيل ونصر النمر أخذوها في الجزائر السود عند كاهنة ساحرة وقام عليكم ابنها المقدم مركن ومعه سبعة ملوك سبعين الف كافر فخذوا الحذر لانفسكم فان الامر جسيم والبلاء عظيم فاستحفظوا على المال والحريم فأعطاهم ألف دينار وقام من ذمن وقته وساعته فركب حريم الملك عرنوس وأولادهم وحريمه وحريم أولاد ملوك البرتقان في تخوت على البغال وأمرهم بالتوجه إلى برصة والاربعون ملك أولاد ملوك البرتقان بصحبتهم وأمرهم بالسير إلى برصة وبعده فتح مطامير يعرفها ونزل بها جميع المتاع والمال وركب في جميع ما عنده من الفرسان وساق الرعايا بين يديه إلى برصة ولم يخلي في مدينة الرخام شيئا ظاهرا مطلقا وسافر إلى برصة ودخل على الملك مسعود بك وحكى له على ما سمع ومافعل وقال أتيت إلى هنا لنكون يدا واحدة وعلى قتال الاعداء مساعدة فقال الملك مسعود مرحبا بك وأهلا وسهلا نعم مافعلت وأما ما كان من المقدم مركن فانه لما سافر يقطع الاراضي والآكام حتى وصل إلى مدينة الرخام فرآها كما قال القائل

ساروا وسار الربع يندبه الورى ... ان قلت بانوا أين مثلك بانوا
فاسأل منازلهم تجيبك يا فتى ... كانوا بها وكأنهم ما كانوا

فالتفت الى جوران وقال له أين المسلمين الذين أتينا لقتالهم يا جوران فقال له جوران خافوا منك وتركوا لك البلد وهربوا فقال المقدم مركن فان كان ينجيهم الهرب فأنا ناخلفهم في الطلب فقال جوران حط في مدينة الرخام ملكا من الملوك الذين معك وسير أنت بالعساكر حتى تملك بهم برصة فعندها أجلس ملكا من الملوك بخمسة آلاف بطريق وسار قاصد مدينة برصة فلما وصل اليها ونزل بالعساكر عليها وتأمل الملك مسعود لك ونظر الى تلك العساكر فطلع عساكره ونصب خيامه وكذلك فار أصلان المغربي طلع ببيارقه وأعلامه والملك الطن وردونش وأولاد لملوك البرتقان واصطفت منهم الصفوف المئات والالوف وركب فار اصلان المغربي في وسط عساكره فنظر إلى بدلة الملك عرنوس على المقدم مركن فطار عقله وقال والله ان هذا الابن الكافر طمع في سباع الاسلام وخرج اليه كانه النمر الحردان وقال له يا ابن الكافرة كيف تلبس بدلة رجل مجاهد في سبيل الله تعالى وأنت ملعون ابن ملعون والله يا ابن الكلب ان هذا النهار مشؤوم عليك فلعن الله والديك فقال له أنت

يامسلم لسانك طويل وما أنت إلا جبان فى الحرب ذليل ثم انه انطبق عليه طبقات العدم والتلف وفزع فيه والضرب بينهم ائتلف وهم المقدم مركن وضرب قار اصلان بالسيف المطلسم فأخذ الضربة قار اصلان على الطارقة فقطعها السيف نصفين وشق الخودة قدها من على جبهته وجرحه فى قامته، قبض على خناقه ورمى رجله من على ظهر جواده وتكاثر عليه الافرنج أوثقوه شداد فنزل أولاد مسعود بك واحد بعد واحد وهو يأسرهم وبعده نزل له الملك محمد الطن ورد ونش فتقاتل معه إلى آخر النهار فالتقاه فارساجبار وفى الحرب ماعليه عيار فانفصلوا على سلامة وعاد المقدم مركن إلى خيامه وهو فرحان مسرور حتى وصل قدام جوان فقام اليه جوان وقال له ياولدى لا تخلى الاسرى هنا عندك ابعثهم عند أمك فقال مركن يا أبا نا أمى قالت لى ان مرادها ان تأخذ مدينة الرخام وأنا قصدى أرسل هذه الاسرى الى عندها تعترهم بيدها ثم كتب كتابا وأعطاه لباشة البطارقة وقال له رح الى الكاهنة فأعطيها هذا الكتاب مع الاسرى وقل لها تأخذ مدينة الرخام تسكن فيها حكم مرغوبها فسار طريق البطارقة من الليل يقطع السهل والجبال حتى وصل الى الجزائر السود فدخل على الكاهنة وأعطاها الكتاب نقرأته وفرحت بما فيه ومافعل ولدها وأنعمت على باشة البطارقة وأكرمته وأجلسته بجنبها فقعد يسامرها ويحكى لها على دخولهم مدينة الرخام وهروب المسلمين منها وكيف لحق ولدها مركن المسلمين على برصة وحارب المسلمين وأسر منهم هذه الاسرى وهى تسمع وتستعيد منه الكلام حتى أدركها المنام فاضطجعت على ظهرها وثقل نومها فلما نظر باشة البطارقة إلى نومها تقدم اليها بقلب أقسى من الحجر بيده خنجر أمضى من القضاء والقدر وتكاها فذبحها وزاح رأسها عن جثتها وقام من على صدرها ودخل الى سرايتها فرأى جارية واقفة فى محراب تصلى فاختفى عنها حتى صلت ورفعت يديها الى السماء وقالت إلهى وسيدى ومولاى رتقى ورجاى أنت الذى أهديتنى لدين الاسلام والايمان وحكمت على بالاسر عند هؤلاء الكافرين والطغاة ورزقتنى هذا المولود بقدرتك يامعبود اللهم اهده الى طرق الاسلام واجمع بينه وبين أبيه يارحيم يا رحمن انك على شيء قدير

فلما سمع باشة البطارقة كلامها تقدم اليها فقالت له أنت من واردت أن تصيح عليه فقال لها لا بأس عليك فأنا مثلك وان شاء الله زال عنك الشر والضرر ونجاك الله تعالى من الخوف والحذر قالت له وأنت من تكون من المسلمين فقال لها أنا المقدم شيحة جمال الدين فقالت يا سيدى أدركنى أنا جارية الملك مسعود بك بن عثمان ووالدى المقدم مركن هو مسلم وأبوه الملك قار اصلان الذى فرح بها المقدم

جمال الدين وقال لها وأين الاسارى فقالت أخاف عليكم من الكاهنة فقال لها ذبحتها فأخذته وأدخلته إلى السجن ففك الاسرى وأعلم قار أصلان المغربى بزوجته واحده إلى عندها وأخرج أولاد الملك مسعود بك وأنزلهم ليلا وأحضرلهم خيولهم وسار قدامهم وفك الملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبوالسباع والمقدم نصير البر وأمرهم أن يضربوا أهل الكاهنة بالحسام ونزل هو وسار إلى برصة ودخل على مركن وأعطاه الكتاب اشارة من امه انها عن قريب قادمة إلى مدينة الرخام وصبر لما جن الليل ونام المقدم مركن فأخذ السيف وكسره ورماه فى البحر وقبض على جوان والبرتقش والمقدم مركن ونزل على باقى الملوك وكتب لكل واحد تذكرة وعلقها فى رقبته مكتوب فيها اعلموا أن الكاهنة قتلت وأما ابنها فقد اخذناه اسيرا لانه مسلم وابن مسلم وها أنتم هذه الليلة نبهتكم وإن قمتم إلى الليلة الثانية ذبحتكم وأنا المقدم جمال الدين شيحة وجوان أخذته عندى هو والبرتقش لما أصبح الملوك لكل منهم قرأ التذكرة نادوا فى عساكرهم بالرحيل فركبت عساكر برصة وعساكر عرنوس من خلفهم وضربوا فيهم بالحسام والتقاهم الملك عرنوس ومن معه من قدام فكانت وقعة يحتار فيها الدليل ساروا بين قتيل وأسير ونجا منهم إلا من كان جواده سابق وعمره طويل وفرغ النهار حتى هلكت الكفار ونصر الله الاسلام ودخل قار أصلان المغربى على ولده وأخذ أمه معه وأعلمته امه بالصحيح وأنه مسلم وهذا أبوه الملك قار أصلان فأهداه الله إلى الايمان ولبس مثل لباس أبيه وخلع بدلة الملك عرنوس وظهرة الملك جمال الدين شيحة وسأل عن السيف فقال له أبوه يا بنى نحن مالنا فى السحر رغبة ولا نتوكل إلا على الله لانه أوعدنا بالنصر على أعداه فقال له صدقت وسافر إلى مدينة الرخام فكان الذين بها علموا بما جرى فركبوا ليلا وطلبوا بلادهم خوفا على أرواحهم ودخل الملك عرنوس ومعه الملكة ميرونة الشمسية التى كانت أصل هذه القضية وكتب الملك مسعود كتابا والملك عرنوس أيضا كتب كتابا وأرسلوهم إلى السلطان بعد ما جمعوا أموال الملوك فأخذوا منه النصف وأرسلوه إلى السلطان وأخذوا الربع الآخر أخذه الملك عرنوس ومن تبعه وسار به الملك عرنوس إلى مصر وسلم على السلطان وحكى له على ما جرى وسلمه جوان فوضعه فى الحبس وعاد الملك عرنوس إلى مدينة الرخام وانفصلت هذه النوبة يا كرام

[قال الراوى] وكان الملك جالس ذات يوم من الايام وإذا قد ورد عليه كتاب من الاسكندرية ذكر فيه ان فى هذه الايام أقبل فى البحر غليون لكنه كبير جدا قدر القلعه وأكبر وذلك الغليون مقدمه من الذهب ومؤخره من الفضة وباقى بدنه من الخشب الصندل لكنه عجيب من العجائب رئيه واحد وزير ولكن لم يطلع على المينة بل انه مقيم فى

البحر فأرسلناله وقلنا له من أى البلاد أنت فقال أنا وزير واحد من الملوك ولم يقل لنا
على اسمه فقلناله ولأى شىء أتيت إلى هذه البلاد فلم يعلمنا بمقصوده ومعه خمسة وأربعون
بطريقا فقط يخدمون فى المركب ويقضون حوائجه فأرسلنا نعلمك بالخبر لتكون على
بصيرة وتأمرنا بما يقتضيه رأيك إما بطرده من المينة أو ابقائه أمرك أطال المولى فى
عمرك والسلام على نبى ظللت على رأسه الغمام فلما سمع السلطان هذا الكتاب تعجب غاية
العجب وقال للوزير اى شىء يكون نظرك فى هذا ياوزير فقال الوزير يامولانا هذه أظن
فتنة للناس والله تعالى ينجى المؤمنين فقال السلطان لا بد لى ما أروح اسكندرية وطالع
على هذه القضية ثم انه ركب وسار إلى اسكندرية وطالع وحده حتى دخل على محمد فارس
باشة اسكندرية فقام اليه وقبل الارض بين يديه وسأله السلطان عن ذلك الغليون فقال
هذا هو قدامنا خارج المينة فنظر السلطان فرآه صحيح وفى وخر الغليون قصر من الفضة
وفى مقدمه قصر من الذهب فاشتاق السلطان للفرجة على ذلك الغليون وطلب صندلا
ونزل فيه وخرج من المينة ووصل إلى ذلك الغليون فنزل اثنين مماليك حملوا الملك
وطلعوه فى قلب الغليون وسار قدامهم وهم يدلونه على الطريق حتى طلع إلى
القصر فقام الوزير على قدميه وأخذ يد الملك وقبلها وسلم عليه فقال له السلطان أنت من
أى البلاد وما الذى أتى بك إلى هذا المكان فقال له انا وزير الكاهن عامر صاحب
جزائر الانكليز وقد ارسلنى اليك لاحضر بك إلى بين يديه وها أنا حضرت ونحن
مسافرون اليه فنظر الملك رأى الغليون مد ودا أقلاعه وهو مسافر فقال أى شىء هذا
ياوزير فقال الوزير يارئيس المسلمين اسكت أحسن لك حتى تروح إلى الذى طالبك وانت
معزوز مكرم وأما أن تكلمت اخذناك مكتفا فسكت السلطان وصبر على قضاء الرحمن
فساروا يخدمونه خدمة كاملة وهو فى غاية الراحة حتى وصل إلى مدينة عظيمة ولكن
بعد ستة أشهر فطلع إلى تلك المدينة وسار إلى ديوان متكامل فطلع صاحب ذلك الديوان
وقبل أيادى السلطان وعمل له ضيافة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عقد للسلطان موكب
وركب فيه الملك الظاهر وسار إلى ديوان اكبر من الاول وفيه ملك احسن من الاول
فعمل له ضيافة ثلاثة أيام وفى رابع يوم أركبه فى موكب وسار فى ركابه إلى ملك ثالث فأقام
فى ضيافته ثلاثة أيام

فقال الملك الظاهر أنت على أى شىء أرسلت الى وأخذتنى

فقال ما هو أنا الذى طالبك وإنما أنا من جملة أتباع الكاهن وهكذا سائر الملوك بعدى
الاهانة أنا وغيرى حتى تصل اليه فركب رابع يوم وهكذا اثنى عشر ملك حتى وصل
إلى الكاهن عامر ولكن بعد مضى مدة فلما دخل الملك الظاهر على ذلك الكاهن

قال له أهلا وسهلا بك يا ملك المسلمين فقال السلطان أنت الذي أرسلت أخذتني من بلادي
قال نعم فقال له السلطان لأي شيء فعلت ذلك الفعال وأنت تدعى أنك ملك كبير والملوك
عادتها الانصاف وهذا الذي فعلته من باب الاسراف فقال يا ملك المسلمين أما أنا ما أرسلت
لك وأخذتك بتلك الفعال إلا من عسكري فان كل منهم يقول ان ملك المسلمين أقوى من كل
الملوك فقلت لهم وأقوى مني أنا فقالوا نعم فقلت وهل عنده مقادم تحضر الحرب مثل ما عندي
فقالوا نعم عنده رجال عندهم الحياة عدم والموت غنم وهم الامراء الجلوس وعنده اثنان
مقادم سعاة ركابه وهم المقدم ابراهيم والمقدم سعد فمن ذلك أرسلت اليك وأحضرتك وما أنت
بقيت عندي وأريد منك حاجة فان عملت لي بها فأنت رفيقي وإن خالفتني فها أنت
رأيت عسكري فان كنت تقدر على حربي أحاربك بعد ما أرسلك ثانيا إلى بلادك وتبقى
بين عساكرك [illegible] فقال له السلطان وما هي الحاجة يا كلهزالرمن قال تعطي ابراهيم
وسعد يخدماني لاني ما أرسلت أحضرتك إلا من أجلهم فقال الملك ان ابراهيم
وسعد [illegible] فانهما [illegible] ابراهيم [illegible] شيحة [illegible] وأنا
ما أحكم على شيحة [illegible] شيحة وأنا [illegible]
ثم انه أشار [illegible] ففتح باب [illegible] شيء هذا فقال الملك فرأى المقدم جمال الدين
شيحة [illegible] السلطان على الباب الدمشقي [illegible] صاح الله أكبر [illegible]
عن [illegible] انت [illegible] عسكري [illegible] وعند شيحة
[illegible] وخاض شيحة [illegible] الملك الظاهر والتهشة
وصار يضرب [illegible] ويقتل في الكفار حتى أجرى [illegible] مثل البحار ولما قرب
من المحل الذي فيه شيحة [illegible] رجله [illegible] قدم [illegible] في
وسط الديوان [illegible] ميمنة وميسرة و [illegible] اليه
[illegible] السلطان [illegible] ابراهيم [illegible] كم يوم [illegible] فقال ادوا الى
[illegible] فقال الملك [illegible] معه
شيئا [illegible] ابراهيم من [illegible] الله يا ملك الاسلام [illegible] شيء جرى
فحكى [illegible] ابراهيم [illegible] هذا [illegible] الله [illegible] من
بلادهم [illegible] ذلك [illegible] الانكليز [illegible] للملك
وقال يا ملك [illegible] الكتاب [illegible] وأخذ الكتاب الملك
يجد فيه يا ملك [illegible] شيحة [illegible] أرسلت
اليك شيحة والا [illegible] شيحة [illegible] قال فجاب وان أرسلته

معك ابراهيم وسعد ترسل لى شيحة فقال له يبقى الأمر بيد الكاهن فحط يده ابراهيم على ذر الحيات وضرب النجاب فقسمه نصفين فاغتاظ السلطان وقال النجاب يقتل

فقال إبراهيم اياك أروح معه عند قشقش ودنهش فقال الملك والله العظيم الا تروح أنت وسعد وابنك عيسى وابن سعد وتوابعكم وكل السعادة اما تهلكون أو تعودون

فقال ابراهيم نعود ان شاء الله تعالى يادولتلى لكن مافى رواحنا الا التعب من غير شيء أما ربنا ان وعدنا النصر ان الله لا يخلف الميعاد سر بنا ياسعد وناصر الدين ابنك وعيسى ابنى وأتباعنا مثل محمد الفندور ويعقوب الهدير فنزلوا جميعا من قدام السلطان

فقال المقدم ابراهيم كيف العمل قال سعد سر بنا الى السويدة حتى ننظر كيف يفعل الله بنا فساروا الى السويدة فرأ ا الغليون والوزير واقف فنزلوا فيه من تلقاء أنفسهم فالتقاهم الوزير وقال لهم أهلا وسهلا وأطلعهم القصر وسار الغليون بهم فقال ابراهيم اصبروا فقال الوزير اقعدوا فى أدبكم والا أكتفكم فسكتوا جميعا وسار بهم الى قدام الكاهن فقال الكاهن يا مقدم ابراهيم انت قتلت نجابى الذى أرسلته لربن المسلمين ولم تخف منى ولكن أنا ما أواخذكم بذنوبكم بل أريد منكم أن تخدمونى فقال ابراهيم يا ملعون كيف أكون مؤمنا مجاهدا وأخدم عندك وأنت كافر وجاحد فقال له ومن الذى يمنعنى عن قتلكم وأنتم فى حكمى فقال ابراهيم لا بد أن الحاج شيحة سلطان الحصونين أن يأتى اليك ويخلصنا من يديك ويلعن أجدادك ووالديك ولا ينفعك قشقش ولا دنهش الذى تستعين بهما على الاسلام وقد تم دعا النصر من الملك العلام

فقال انظر فوق رأسك فرفع رأسه فرأى شيحة فى شبكة بولادو أهل الكفر محتاطون حوله مثل الجراد فقال ابراهيم لولا عفاريتك يا كلب ما بلغت من أحد مقصود ولكن الأمر بيد الله الواحد المعبود فقال له هذا سلاحك معك قاتل ان نفذت من وسط عسكرى أعطيتك شيحة وأرسلتك الى بلادك فحط يده المقدم ابراهيم على قبضة هاكريته وصاح الله أكبر

إذا طمعت جيوش الكفر فيه ... وجاروا فيئة من بعد فيه
توقى التقى كرب المنايا ... بقلب صادق وبصفر نيه
أكر على جيوش الكفر كرا ... على جرة تسمى سلختيه
وحولى من بنى إسماعيل مثلى ... سباع لا يبالون المنيه
إذا ما جردوا بيض المواضى ... يمدوا البيض بالخود الشديه
نخى يا سعد أنت ... تكرن ... قاتل بالسوية

ونصر الدين ذا الطيار يسمى يطير كل جمجمة دنيه
وعيسى فهو لى ولد شفوق تربى فى بلاد الجهوريه
فنحن الغالبون إذا التقينا على ظهر الخيول الأعوجيه
كذا أولادنا مع من صحبنا على يوم القتال لهم شجيه
وصلى الله ربى كل وقت على نور الهدى خير البريه

[قال الراوى] فلما سمع المقدم سعد ذلك النظم أجابه بقوله

فداك الروح والنفس الزكية وأموالى وما تملك يديه
فأنت ذخيرتى ورجا فؤادى لأنك صاحب الهمة العليه
أنا سعد الذى قد زاد سعدى على مثلى ولى فى الحرب غيه
ترى الأبطال تقتحم المنايا على ظهر الخيول الضمريه
وأنا لا ألتقى الهيجاء إلا على ساق وأقدام عتيه
أسوق الخيل سوقا فوق ساق له فى محل الهيجا سجية
فكم ليل قطعت البر فيه وكوكبه تفاديه السريه
خدمت الظاهر المنصور حقا بقلب صادق مع صفو نيه
ونصر الدين ابنى فهو مثلى كصقر يحمل الأعدا رميه
فميلوا ياكلاب الكفر نحوى وذوقوا من شرابات المنيه
وصلى ذو الجلال على محمد نبينا صاحب الهمم العليه

[قال الراوى] وتبعه ناصر الدين وعيسى الجاهرى ومحمد الغندور ومن معهم كل منهم قاتل ماقصر كانه الليث القصرر رموا رؤسا كالاكر وكفوفا كاوراق الشجر رغنى الحسام وقل الكلام وبطل العتاب والملام كان يوما بعد أيام ونظر الكاهن إلى فعالهم فتعجب من قتالهم فقال حقيقة إن الذى وصفهم ماأ صفهم هدا ولو راهم يخترق الصفوف ويبرى بشا كريته الجماجم والكفوف ويلوح القحوف والزبد على أشداقه كانه القطن المندوف كذلك المقدم سعد الفارس الموصوف أفنى المشركين وجاهد فى سبيل رب العالمين وكذلك عيسى الجاهرى ونصر الدين ومن معهم من المؤمنين ومازالوا كذلك إلى عصارى النهار وكل منهم طمع فى هلاك الكفار وخلاص المقدم جمال الدين من الاسر والاضرار فما يشعروا إلا وهم فى قلعة الجبل والدم على دروعهم كانه أكباد الابل وشراكرهم بأيديهم مشهورة وهم فى صورة وأى صورة

فقال السلطان ايش الخبر يامقدم ابراهيم نحن فى أى مكان

فقال السلطان كأنك لم تعرف اى مكان أنت فيه فقال إبراهيم يا دولتلى أنظر حالى وانظر هذه الدماء أما أنا والله ما اعلم ان كنت نائما أو يقظانا ولا أعلم ان كان هذا عقل أوجنان ولكن يادولتلى ماهر كثير على هذا المنوال كيف أنه يوصلنا الى بلادنا بقى لنا ستة أشهر فقال السلطان انت البارحة كنت عندى فقال ابراهيم يا دولتلى هذا شىء بقى مفهوم أمره ان هذا الكافر يلعب بنا وقصده يطير عقولنا فالصواب انك تجهز عساكرك وتروح إلى السويدة وإذا رأينا هذا الفعل وضرب عليه المدافع حتى ننظروا أى شىء يجرى منه فقال الملك وأنا على ذلك دولتلى ثم ان السلطان أجلس السعيد ابنه على تخت مصر وأمر العساكر برزوا إلى الريدانية وضرب مدافع السفر وسافر إلى السويدة وبات وأصبح يلتقى فى الريدانية فاغتاظ السلطان وسافر ثانيا السويدة فما شعر الا وهو فى الريدانية وهكذا سبع مرات فضاق السلطان فرفع يديه إلى مكون الاكوان وقال

يامن عوائده الجميل بفضله   من الذى جلال جدك ما صنع
يا إله العرش يارب السما   يا من عليك العباد قد دلع

إلهى أنت تعلم مافى الضمير وأنت على كل شىء قادر ولا لنا غيرك ممد ولا نصير اللهم أجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا يا من هو بعباده لطيف خبير فلما تم كلامه ودعاءه إذا بالاستاذ سيدى عبد الله المغاورى مقبل وهو ينادى بخفى الطاهر أنت على السويدة ما أنت فى الريدانية

ان لله رجالا   طاهرا الدنيا جاءوا امتحانا
يستقلونها ولا   يعذرها كيف تحوى مقام الحسانا
انما الدنيا كسوق   قد تم بئس سوق قام فى دار الهوانا
كل من لاذ اليها   هالك الا أن يحفظه ربنا

ثم ان الاستاذ نادى وقال تعال إلى هنا يا طريق [illegible] الاصحاب [illegible] تالون العصر من رب الارباب فما شعر السلطان الا والفرسان [illegible] قلعة ذات الابراج والشاهق والسحاب والسور وفى وسطه [illegible] مالة قطعة خشب وطلع أبو بكر البطرنى وقبل يد السلطان [illegible] فقال الملك من أين اتيت قال يا مولاى من الاسكندرية [illegible] فصحت على مراكب الاسلام وقلت [illegible] خرجت من الاسكندرية [illegible] ما أشعر الا وأنا هنا وكذلك المراكب معنا فقال الملك ما شاء الله [illegible] فى ذهب المنورة وقال للبطرنى هات طرف حبل [illegible] عندك [illegible]

وتوكلوا على الذى أفرض علينا الفرض خالق السماء والأرض وانزلوا يامعشر الاسلام وتوكلوا على الملك العلام خالق الضياء والظلام فنزلوا وقطروا المراكب فى بعضهم والسنورة مقدمهم ثم ان الأستاذ قذف وقال بسم الله مجراها وعلى جزيرة الانجليز مرساها فما يشعروا الاسلام إلا وهم على مينة البلد فى مقدم الجزيرة والأستاذ قال البر يامعشر الاسلام وتوكلوا على الملك العلام فطلعوا جميعا ونصبوا الخيام ونظر الكاهن غامرين قال متى جاءنا المسلمين فقال جوان جاءت بهم الحواريون فقال الكاهن مرادى يا عالم ملة الروم ان أزلك قدام المسلمين وأفرجهم عليك حتى تذوب منهم الأكباد ويعلموا انك بلغت المراد لانك يا جوان سيسانى لامسلم ولانصرانى ثم انه ركبه فى تخت وأرخى عليه ستاير وركبه على أرهاط الجان وامرهم أن يدوروا به الجزائر ويفرجوا عليه الانكليز وبعدها يمروا به على المسلمين

[قال الراوى] وبعد ذلك أوقفه على رأس الميدان وبرز الكاهن غامرين وهو وهو راكب على ظهر شيطان فى صفة حصان ونادى يا ملك المسلمين فى هذا النهار انتهت ساعات الهزل لا بقى إلا الجد فما تم كلامه إلا والأستاذ لمغاورى صارى قدامه وقال له يا ابن الكافرة ياكافر يا مغرور يا متكبر على الله العزيز الغفور ها أنا أقل خلق الله حالى ما أنا ملك بل أنا عبد من جملة العبيد لله الملك المجيد ان الله إذا أوهب لخلقه سرا من أسراره قانون للمتصل انفصل ينفصل باذن الله تعالى وضربه فى يده بجريدة خضراء وإذا برأسه قد تدحرج على الغبرا ثم قال لجوان اقف مكانك ياابن الكافرة حتى تنفذ أحكام ربى صاحب القدرة فوقف جوان والبرتقش ولا تتحركون كانهم خشب مسندة ونادى يا مسلمين أنظروا شيحة واقفا فى باب البلد فاهجموا عليه فهجمت الاسلام وضجت بتوحيد الملك العلام وصاحوا الله أكبر والقى الله الرعب فى قلوب الكافرين وانفكت الأسحار وغاب الغليون المصنوع فى البحار ولا تم ذلك النهار إلا وامحى الله عصبة الكفار ونصر الله المسلمين الأبرار ونهبوا الجزائر والمدينة ووضعوا اموالها فى المراكب وفرح السلطان ونال كل الآمال وامر نساكر بالنزول فى البحر وصادم الأستاذ إلى الاسكندرية ومنها إلى مصر وطلع السلطان بالموكب إلى قلعة الجبل وأقام إلى يوم من الأيام والملك جالس وإذا بكتاب مقبل من قلعة حوران للمقدم ابراهيم بن حسن يذكر فيه يوم تاريخ الكتاب نحن مقيمون إذ ورد علينا اربعة ملوك حطوا على حوران وهم الشامخ ويهود والكند فرون الأشقر وهدير الرعد ، فقال ابراهيم كان الكفار ظنوا ان حوران حلب اتوا يملكونها حتى تبقى لهم هيا بنا يا سعد واحد اسمه عيسى ونصر الدين

والغندور ومحمد وقال السلطان يا دولتلي أنا أستأذن فقال السلطان اصبر لما اجهز العساكر وأروح معك فقال يامولانا نحن بسيفك نضرب وبهيبتك نغلب وسافروا طالبين قلعة حوران هذا ماجرى لابراهيم بن حسن [قال الراوي] وكان السبب لذلك هو أن الملك عرنوس كان جالسا في مدينة الرخام فسمع مدفعا ضرب في البحر فقال يامقدم اسماعيل اكشف الخبر فطلع المقدم اسماعيل إلى المينة فالتق مركب نصارى روم وهي قائمة بنديرة الامان فأمر لها بدخول المينة فدخلت فسال القبطان عن الخبر فقال أنا رسول من الملك البب الفاق جار بن الجار سليم صاحب مدينة البشقاط ومعي كتاب وهدية للملك عرنوس والهدية هذه المركب ومافيها فنزل المقدم اسماعيل فالتقى المركب ملآنة جوخ وشقق حرير ونحاس ومعادن وعنبر فاخذ كل مافيها وقدمه للملك عرنوس وقدم له الكتاب ففتحه وقرأه يجد فيه من عند الملك الفاقجار بن الجار سليم صاحب مدينة البشاط إلى بين أيادي الملك عرنوس الملك ان جوان سابقا اغراني حتى ركبت على بلاد الاسلام وجرى لي ما جرى وأسرني ملك المسلمين وأراد قتلي وتشفعت لي انت ياملك عرنوس ودفعت عني خزنة الف ومائتين كيس ذهب وأطلقتني وسافرت إلى بلادي فتولعت أنا بمحبتك مدة ماأنا مقيم حتى اعترني الضعف وبقيت سقيم وأتاني رجل حكيم وعرف دائي وقال لي انت عاشق فقلت له نعم عاشق الديابرو عرنوس فصنع لي صورتك واخذتها معي لا أنام ولا أقوم إلا وهي معي ولا أصبر عليها ولا أسلوها وإذاقعدت في الديوان تكون بجنبي وإذا نمت تكون في حضني فتسليت بها ونسيت عيالي ومعي بنت اسمها عين المسيح سالتني ولامتني بالكلام فاريتها صورتك فتعلقت بمحبتك وقالت أنامابقيت اعطي هذه الصورة لاحد أبدا فقلت لها ان اخذتيها مني تقتليني فقالت وأنا ان اخذتها مني تقتلني فصنعت لنا صورة ثم اني حلفت انها لاتسيبها حتى ترى صورة صاحبها وأقمنا على ذلك أيام حتى أتاني كتاب على غفلة من عند الملك الشامخ صاحب ملك اليشمخ يخطب مني بنتي فاعلمته أن بنتي مخطوبة والملك الديابرو عرنوس ولا يمكني ازوجها لغيره فلم يقتنع بذلك وجهز عساكره وهو قادم على يحاربني وأنا خايف منه لا يملك بلادي ويهلك عساكري وجميع أجنادي فكتبت هذا اليك وأنا في عرضك تنجدني وترده عني وأزوجك بنتي واقاسمك في جميع نعمتي فلما قرأ الملك عرنوس هذا الخطاب سال عمه المقدم اسماعيل فقال له يا ولدي دائما الناس تطلب النجدة من بعضها ولكن أخاف أن تكون مكيدة عملها الملعون

فقال عرنوس لا بد لي من الرواح على كل حال وانجد الفاقجار ولو أعرت واشرب

كأس البرار وقام الملك عرنوس وأخذ هدية ونزل فى غليون وسافر إلى بلاد البشقاط وأما المقدم اسماعيل صبر لما سافر عرنوس وأخذ المقدم نصير النمر وسافر فى البر طالبا بلاد البشقاط هذا ما جرى وأما عرنوس فانه لما وصل إلى مينة ملك البشقاط فطلع له الملك الفلفجار وأخذه بالاحضان وسلم عليه وقبل هديته وعقد له موكبا وأخذه إلى سرايته وعمل له ضيافة سبعة أيام وأجلسه على تخت مدينته وأقام بواجب خدمته وبعد ذلك احضر أكابر دولته وعتق خمسمائة أسير كانوا فى مملكته وأمر بنته بالاسلام باذنه وعمل وليمة الأسارى وفرح ببنته وزفها وأدخل عليها الملك عرنوس والذى عقد العقد بعض الأسارى أهل قرآن وعلم واقام

[قال الراوى] وكان بعض كبراء الديوان بطريق يقال له بولص بن افلفون اغتاظ من تلك الفعال وأرسل كتابا إلى الملك الشامخ وأعلمه بما فعل الفلفجار فاغتاظ الشامخ وقال بقى الفلفجار عنده المسلم أحسن من الشامخ ثم انه برز بخيامه وأراد الركوب على ملك البشقاط فقال له وزيره قبل كل شىء احضر عالم الملة جوان فانه يعرف تدبير الحرب على كل حال فما تم كلامه إلا وجوان مقبل فقال الشامخ هذه من جملة السعادة بحلول قدوم جوان فطلع اليه واستقبله وأخبره بما جرى فقال جوان يا بنى الفلفجار ارتفض من دين النصارى وغضب عليه المسيح والترك زراره وأنت يا ولدى إذا قاتلته ينصرك المسيح عليه حتى تأخذ ما بين يديه لأنه نفى النصارى واحتظى بهذا المسلم الديابرو عرنوس الذى كان نصرانى وارتفض من دين النصارى قم يا بنى اركب واكسب الغزو فيهم فاغتر الشامخ بكلام جوان وركب فى عسكره وسافر وحط على مدينة الفلفجار وهى مدينة البشقاط ونظر الفلفجار إلى ذلك الحال فقال للملك عرنوس كيف الرأى يا ملك قال عرنوس اصبر ولا تخف فان هذا رجل باغى والبغى له مصرع فكتب الملك عرنوس كتابا على لسان الملك الفلفجار وأعطاه لنجاب وقال أعطه للشامخ وهات رد الجواب فأخذه وراح إلى الملك الشامخ وأعطاه الكتاب فقرأه وجد فيه من البب الفلفجار إلى البب الشامخ ما أصل هذه العداوة التى تجددت وسفك الدماء لا شك حرام عند جميع الملل وان كنت طالبا بنتى فقد أسلمت وتزوجها الملك عرنوس الذى تعود بزواج بنات النصارى وأنت وغيرك تعرف حملاته وسطواته فانزل اليه وانت له وبعد قتله تزوج أنت بزوجته وان هو قتلك تكن أنت الباغى وهذا عاقبة البغى فلما قرأ الكتاب أوراه لجوان

فقال له هذا خط الديابرو عرنوس اصحى لروحك منه فبات متكدر ولما أصبح الصباح كتب رد الجواب بالحرب فلما رد الجواب إلى عرنوس بات تلك الليلة فلما اصبح

نزل الملك عرنوس إلى الميدان وقال يا أبناء النصرانية من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فانى خفى أنا الملك عرنوس الديابرو فكتب الافرنج عن نزولها إلى الميدان فأغرام ووبخهم جوان فنزل أول بطريق إلى الميدان وأراد أن يقاتل عرنوس فما خلاه يقتل العنان بل طعنه بالرمح فى صدره طلع من ظهره والثانى ألحقه بما قبله والثالث خبله والرابع فى التراب زمله والخامس عجل من الدنيا مرتحله والسادس عفر فى التراب خده وأما السابع فانه لعن أباه وجده والثامن خرق بالسنان كبده والتاسع قد بالحسام عدمه وجلده والعاشر شرب كاس المنية وحده ودام الامر على هذا العيار إلى آخر النهار فقتل عرنوس سبعين وأسر عشرين واندق طبل الانفصال وثانى يوم كذلك قتل وأسر قدر أول يوم وثالث ورابع مدة عشرة أيام فضجت منه الافرنج ودخلوا على جوان وقالوا له ما دام الديابرو عرنوس كل يوم يحاربنا فما فينا من يقدر عليه فقال جوان يا رب أنت عجزت عن قتال الديابرو عرنوس أقوم أنا أدور لك على ملك يحاربه وإلا تنزل أنت تحاربه وأنا أقرأ لك جبنيوت تتعاون به عليه فقال الشامخ يا أبانا أنا أنزل إلى الميدان وأحاربه على أى وجه كان اما أنى أقتله واسقيه كاس الهوان أو أموت أنا وأروح كامس مضى وكان فقال له جوان قم انزل ولا تخف فقام وركب ونزل إلى مقام الحرب والطعان وصدم الملك عرنوس وتقاتل هو واياه وكان لهم ساعة يشيب لهولها المولود ويذيب لها الحجر الجلمود وداموا كذلك إلى نصف النهار فوقف الشامخ فى ركابه وضرب الملك عرنوس بالحسام اخذه على قاسم الحديد فانكسر السيف فضربه الملك عرنوس بالسيف فلق الخودة والرفادة ولولا كان الضرب بعيدا والا كان فلقه نصفين وغاص طرف الحسام وسط راسه فانجرح جرحا بليغا اشرف منه على الهلاك والدمار ونظر جوان إلى ما جرى فهز الشنيار فخرجت عساكر الشامخ وانعقد الغبار وغنى البتار وقل الانصار وكان يوم مهول هلكت الرجال والخيول وامتلأت الأرض بالقتلى عرضا وطولا وجرت الدماء مثل السيول إلى آخر النهار اندق طبل الانفصال وعاد الملك عرنوس من الميدان وهو مثل شقة الأرجوان مما سال عليه من دماء الفرسان فالتقاه الفلفجار وهناه بالسلامة وقال له يا ملك عرنوس انا مرادى ان اكون مسلما فكيف العمل فى اسلامى قال له عرنوس الله يقبلك وتكون قد سبقت لك السعادة من صاحب المشيئة والارادة

فقال له كيف يكون العمل فى اسلامى فقال اسلم ولا تخف من باس فان الله تعالى قال فى الكتاب المبين كان حقا علينا نصر المؤمنين فاسلم الفلفجار على يد الملك عرنوس وارسل ليلا خاف ارباب دولته فاسلموا وقالوا له اعلم يا بانى المسلمين كلهم ارقعوا واق

محذور يخلصوا ببركة نبيهم واما النصارى إما ان يموتوا والا يحط منهم الاموال حتى
أنهم يخلصوا الاغلال فاسلم تلك الليلة ثلاثون من أكابر عسكر الفلقجار والذى أسلم
احتال على قريبه حتى أسلم مثله ولا طلع النهار حتى اسلم الجميع وبقت المدينة كلها اسلام
يوحدون الملك العلام هذا ماجرى واما الشامخ فانه لما عاد وهو مجروح تلقاه جوان
وسأله عن حاله فقال ياجوان انت شايف ماجرى بقى احكى لك على ايه هذا الديابرو
عرنوس كان منه ملوك الروم وقاسوا منه الهموم والغموم وأنت تقول أنه يغلب من
أحد ملوك الروم فقال جوان يا ابى أنا أعمل الحيلة عليه واقبضه لك وتقتله بيدك
فقال له الشامخ وماهى الحيلة التى تعملها فقال تحفر له حفيرة فى الميدان وبعد حفرها
تغطيها وتنطرد أنت قدام الديابروا عرنوس وهو يتبعك فيقع فيها ثم قام جوان وأخذ
معه جماعة من البطارقة وراح ليلا الى وسط الميدان وحفر حفرة وعمقها وسقفها بمعرفته
وعند الصباح نزل الشامخ وطلب عرنوسا فنزل الملك عرنوس وهو لم يدر ما كتب له
فى عالم الغيب وكان الملعون جوان علمه المكر والخداع فصار يخادع فى الميدان ويتجنب
الحفير حتى ان الملك عرنوس طرد الحصان فطلب فى قلب الحفيرة هنالك هز جوان
الشنيار وأطبقت النصارى على الملك عرنوس ونظر الفلقجار الى ذلك فصاح الله أكبر
وكبس بعسكره ولكن الشامخ أكثر رجالا وأثبت فى الحرب والقتال فقبضوا الملك
عرنوس وأخذوه باليد أسيرا وقاتل الفلقجار حتى فرغ النهار فالتقى العدد عليه كثير
فعاد آخر النهار وهدم خيامه ودخل البلد وغلق الابواب وركب المدافع على الاسوار
ومنع العدو عن بلده يرى النار وقام تحت الحصار فنظر الشامخ الى ذلك فقال لجوان
كيف العمل ياأبانا فقال جوان اعطى الديابرو عرنوس حتى آتيك بعسكر يملأ وجه
الفضاء فسلمه عرنوسا فوضعه فى صندوق وسار به حتى دخل على ملك بنى الاصفر الملك
يوده ابن الشماس وقرأ قدامه قداس وقال له ياابب يوده اعلم ان ابناء المسلمين ملكوا
البلاد وأهلكوا العباد والبب الشامخ ركب على الفلقجار بكونه أسلم وزوج بنته للديابرو
عرنوس وها هو قبضه وسلمه لى وقال لى خليه يقتله البب يوده ويشف منه قلوب النصارى
وبنى الاصفر

فقال له ومن هذا من فى المسلمين فقال له هذا عرنوس وأراد ان يقتله واذا بفرقة عساكر
شباب مقبلون كأنهم زهر البستان وبينهم غلام أمرد جميل وهو كأنه القمر اذا بدر ليلة
أربعة عشر على وجه ذلك الغلام سبع جدريات مثل الملك الظاهر مدة صغره فلما نظر
جوان قال يا برقش ان هذا الغلام فيه روائح المسلمين ثم التفت الى يوده وقال من أين لك

هذا الفليون اعلمنى بالخبر فقال ياجوان هذا ابنى واسمه الطوفرين أبوطبر فقال البرتقش يا جوان نحن جينا حدهنا من بنات المسلمين فقال جوان نعم يا برتقش أنا اعلم ان هنا دورملك اخت رين المسلمين زوجة أيدمر البهلوان فقال البرتقش هذا ابنها وهو يشبه خاله فى الفروسية فقال جوان صبر يا برتقش وأنا أخليه اول مايقتل يقتل اباه وبعدها خاله هذا والطوفرين اقبل وسط الديوان ونظر الى عرنوس ونظر الى جوان وقال ليوده من دول يا اب فقال هذا جوان عالم الملة والبرتقش سيف الروم واما الذى مرادنا نقتله فهو اسمه الديابرو عرنوس فقال وايش عمل هذا حتى تقتله فقال إنه مسلم وحكى له على مافعل فى النصارى فى الحرب وكيف احتال عليه جوان وحفر له حفرة حتى قبضه فقال الطوفرين وايش فيها فخر لمن تعمل لك حيلة على واحد ما تقدر شى تحاربه تحفر له حفرة تمسكه بها من خوفك من المسلمين هربت وأتيت الى هذه البلاد وتريد ان تقتلنى واحدة ولا يراه واحد من جنده ودينى ما أحد يقتله حتى اركب انا وأملك جميع بلاد المسلمين واجعل البب يهوده يملك بلادهم بعد قتل ملوكهم وكبرتهم احبسوا هذا الديابرو عرنوس حتى أغزى بلاد الاسلام فانحبس عرنوس واما الطوفرين فانه ركب فى أربعة آلاف بطريق من الافرنج وسافر طالبا بلاد البشقاط ليعاون الشامخ على أخذها من الفلفجار [قال الراوى] وان الفلفجار بعدما سافر جوان بالملك عرنوس قالت له بنته عين المسيح يا أبى خذ هذه البدلة من بدل الملك عرنوس البسها وانزل قدام عسكرك وقل الله أكبر وان قلت ذلك فان النصارى ينكسرون فعزم على ذلك وجمع دولته وأمرهم ان يظهروا الاسلام ويلبسوا لباس الاسلام ففعلوا ما أمرهم وركبوا خيولهم وركب هو قدامهم وكبسوا على عساكر الشامخ حتى أهلكوا أكثر من نصفهم والقى الله الرعب فى قلب الشامخ فانهزم وطلب البراوى والآكام وتبعه الفلفجار وهو يضرب فى عسكره بالحسام مقدار ثلاثة أيام وعاد الفلفجار الى بلاده وبقى الشامخ فى الخلا بباقى جنده فهو كذلك واذا بجوان مقبل ومعه الطوفرين ابو طبر ومعه العساكر كما ذكرنا فالتقى بالشامخ وحكى له على ماجرى وعاد مع الطوفرين ونزلوا على البلاد ليلا واصلح جوان الحفرة التى كان وقع فيها عرنوس وبات الشامخ وصبح صف عساكره وكذلك الطوفرين صف عساكره وعند الصباح نظر الفلفجار الى هذه الجموع فقال لعسكره اركبوا على خيولكم واوضعوا السيف فى اعدائكم فركبوا وقاتلوا الى ان حمى الحر وانفصل القتال واندقت عسكر الشامخ الى وراهم فطمع الفلفجار فيهم ودعس خلفهم فوقع هو وأكابر عسكره فى الحفرة فطبق عليه الشامخ بعسكره وأخذوهم أسارى وأما الطوفرين فانه كبس مدينة البشقاط بعسكره

وملكها وأخذ زوجة عرنوس وأسر جماعة كثيرة من أهل البلد واسر الفلقجار وزوجة عرنوس وأربعون أسيرا وركب الطوفرين والشامخ وعادوا إلى ملك بنى الاصفر وهو البب يهود فقال الطوفرين احبسوهم جميعا عندعرنوس وأراد الطوفرين أن يحضر ويأخذ الشامخ ويسافر إلى بلاد الاسلام فقال البب يهوده ياطرفرين انت اخذت دورك افعدها لما اركب أنا اكتسب لى غزوة فى المسلمين فقال الطوفرين قبل كل شىء بنت الفلقجار اطلعوها عندأمى فى السراية فانى احببتها فطلعت عند الملكة درملك فقال يهوده أنا لابدلى من السفر إلى بلاد المسلمين وانت هنا بدلى تحمى البلاد وإذ بموكب منعقد ومقبل بطل يقال له الكندفرون الاشقر فلما أقبل وكان اخو يهوده فلما اقبل فى موكبه سال عن الخبر فاعلمه بماجرى وتدبر فقال لهم وأنا وهم اركب معكم واكتسب لى غزوة فى دين المسيح والتقبرا الثلاثة وجوان رابعهم الشامخ ويهوده والكندفرون وسار بهم جوان يقطع بهم البرارى والتلال على رأى من قال

إذا رعق الغراب فقلت خيرا *** متى الخير على فم الغراب

إذا كان الغراب دليل قوم *** يدل بهم على الدور الخراب

[قال الراوى] وسار جوان فرحا بذلك الجمع والعساكر والملوك خلفه متتابعة فر على حصن الغضبان وكان بهم مقدم جبار وفارس كرار يقال له المقدم هدير الرعود ابن لهب فنظر إلى تلك المواكب المتتابعة فارسل من طرفه تباعا يسأل عن الخبر فعاد وأعلمه انهم راكبون على بلاد المسلمين وصحبتهم جوان والبرنقش الخوان فامر المقدم هدير الرعود باحضار جوان فاتى تابع لجوان وقال ان المقدم هدير الرعود طالبك تقوم تروح اليه والا نسوقك بين يديه فقال جوان أقوم فقام معه إلى قدام هدير الرعود فقال له ياجوان أى شىء هذه الركبة فقال يا ابنى بلاد النصارى خربت والذى خربها ببرس وشيحة وكل ماوقع على ملك ملوك الروم وتروح يحارب المسلمين يرتب عليه الجزية والخراج فيمتثل لهم وهذا من عجز النصارى حتى غضب عليهم المسيح ومريم العذرا ولا بقى للنصارى راس تنشال من كثرة ماقاسيت أنا ركبت هؤلاء الثلاثة ملوك وهانحن سائرون وقاصدين بلاد المسلمين فقال المقدم هدير الرعود يا جوان انت مسكين وكل هذا من دزعك وخوفك من المسلمين وأنا وحق دينى ان أردت ان آخذ المسلمين لم أخل لهم علما ينشر ولا ذكرا يذكر لكن انت يا جوان ماأتيت إلى عندى ولا اعتنيت بى فقال جوان يا سيدى أنا فى عرضك أنا يا سيدى اتمناك ان تكون معنا فقال له يا ملعون اذا سرت معك أكون تابعا لهؤلاء

فقال جوان كلهم يكونون تابعين لك وتحت أمرك ونهيك ولا يعدوا الاعلى رضاك فقال اسألهم ان كانوا يرضوا بذلك اسير معكم فنزل جوان وقال يا أولادى اعلموا ان هدير الرعود تعرفوه فقال له يا ابانا اذا كان معنا قاتل كلنا بين يديه ولا نبخلوا بارواحنا عليه فاتى بهم جوان وعقد لهم العهود والايمان وبعده جمع هدير الرعود من توابعه خمسة وأربعين مقدم من كل أسد ضيغم وفارس غضنفر فقال للملوك قبل كل شيء اعلموا ان رين المسلمين أجنحته الفداوية فالرأى عندى أن ناخذهم قبل رئيسك القلاع والحصون يبقى ملك المسلمين مثل طير بلا أجنحة فقال جوان صدقت ولكن أول الأخذ يكون قلعة حوران وبعدها بيسان وبعدها القلاع والحصون حتى ناخذوا حصن صهيون فركب هدير الرعود واخذ فى صحبته الخمسة وأربعين مقدم وخمسة عشر رؤساء كراخيه وهم أبطال شداد معدود بخوض المعامع وحضور الوقائع ثم انه سار من قلاع الغضبان يقطع البرارى والقيعان حتى حط على قلعة حوران فنظر المقدم حسن الحورانى إلى قدومهم فاغلق القلعة وحصن الاسوار وضرب المدافع على الكفار أبعدهم على قدر رمى النار وكتب كتابا إلى مصر يعلم المقدم ابراهيم فركب ابراهيم وأتى معه المقدم عيسى الجاهرى ونصر الدين الطيار ومحمد الغندور والتقمت الجماعة وطلعت ابطال حوران وسباع بيسان فارسل المقدم هدير الرعود إلى المقدم ابراهيم ابن حسن يقول له اعلم انى هدير الرعود وانت اسمك مشهور فى بلاد المسلمين فلا تتكل على غيرك ولا انا اتكل على غيرى فنزل إلى الميدان وكل من أخذ صاحبه نال كلما يطلبه فاجابه المقدم ابراهيم على مايريد وثانى يوم ركب المقدم ابراهيم نزل إلى الميدان فالتقاه المقدم هدير الرعود وكان لقتالهم يوم مشهود فتطبقوا مثل انطباق جبال الأخدود وافترقوا افتراق وادى زرود وداموا فى أخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد وارهاد وابراق وشباط وخناق حتى ضاقت الأخلاق وتضاربوا بالسيوف والرقاق وتطاعنوا بالرماح الدقاق والحرب بينهم على قدم وساق ودام الامر كذلك إلى آخر النهار وعادوا عن بعضهم بعد دق طبل الانفصال هذا والمقدم ابراهيم ينظر الى هدير الرعود شذرا ويرقبه حذرا فراح هدير الرعود الى جوان وأخبره بما رأى من المقدم ابراهيم وباتوا الى ثانى يوم فتقاتلوا وثالث يوم وهكذا خمسة عشر يوما وسادس عشر أقبل الملك الظاهر بالامراء والفداوية وانفصل الحرب بين المقدم هدير الرعود حتى ينزل غيرهم الى الميدان لان الحرب لم يكن الاثنين فقط بل كل مجاهد له حق فى الجهاد ونزل الملك الشامخ فطلبه المقدم حسن القسر بن ... ور ... فتقاتل معه فى الميدان وكان لها يوم عظيم الشان فتضاربا بكل سيف يمانى و...

بكل رمح وسنان إلى أن تضاحى النهار فكل المقدم حسن النسر وملّ وانمحى رسم قواه واضمحل وسطا عليه الملك الشامخ وضايقه وطبقه فى جلباب درعه وأخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا ونزل بعده سيف الساعى وخالد البراعى وسفر الوالى ومقر الهجان وأخذ من الفداوية عشرة وانفصل الحرب وثانى الايام نزل الكندفرون وقاتل فى الأمراء وأسر منهم عشرة أولهم أيدمر البهلوان وآخرهم قلاوون وثالث يوم نزل صدوان بن الافعى فاسره الشامخ وأسر بعده خمسة مقادم ودام الامر كذلك عشرة ايام حتى أسر خمسين أميرا وثلاثين فداوى وتضايق السلطان وكان الملعون جوان كل من أسر يرسله إلى بنى الأصفر عند الملك عرنوس

[قال الراوى] أعجب ما وقع فى هذا الديوان ان عين المسيح بنت الفلقجار لما اطلعها الطوفرين ابو طبر عند أمه وقال لها أنا قصدى اجعلها ضجيعتى فقالت له امه اصبر لما ينفصل القتال فقال لها أنا قتال المسلمين لم يخطر على بالى فقالت له اذا كان ماأنت خائف من المسلمين أريد منك أن تأتينى بواحد منهم وهو الذى أخاف عليك منه فقال لها ومن هو من المسلمين فقالت اسمه الأمير أيدمر البهلوان فلما سمع كلامها قال لها لأى شىء من دون المسلمين ماخصمك إلا هو قالت له ياولدى اعلم انه جرحنى فى أيام الصبا جرحا لم يبرأ إلا بعد الموت فاذا أنت أتيت لى به آخذ منه بالثار وادعى لك بالليل والنهار فركب الطوفرين على ظهر الحصان وطلب البر فالتقى به كافر من بنى الأصفر يقال له المقدم سهيل فلما رآه الطوفرين قال له ماالذى اعلمك فاعلمه أن معه خمسين اميرا وثلاثين فداوى فلما علم بذلك سال عن اسمائهم فكان أيدمر البهلوان منهم فقال له أنت الذى جرحت أمى فى أيام صباها وفى هذا اليوم آخذ منك بالثار فقال أيدمر انا ماأعرف أمك قال له هى تعرفك يامردوس ثم أمر بوضع الجميع فى السجن إلا أيدمر فانه أخذه وطلع به إلى أمه فكانت قاعدة مع الملكة عين المسيح تحدثها فلما رأته قالت له ضعه فى قلب تلك الأوضة وقالت انزل احبس الباقى واحترز عليهم فتركها ونزل فدخلت على أيدمر البهلوان وقالت له هكذا ياأمير تفعل معى وتتركنى هذه المدة الطويلة ولم تسأل عنى

تقطعت الوسائل وانقسينا ... وعدنا مثل زوار القبور
ولا خبر يجى من عند خلى ... ولا أنا طير اطير مع الطيور

فقال الامير ايدمر يا ستى من تكونى فقالت له انا درملك اخت الملك الظاهر وهذا الطوفرين ابو طبر ابنك وانا زوجتك وهو ابنك وتربى فى بلاد اليهود

الكفرة وأنت مقيم فى مصر ولم تعلم بما جرى ثم فكته وعانقها وعانقته وكان لهم ساعة ذاقوا فيها حلاوة التلاق ونسوا أيام الفراق هذا ماجرى وأما الطوفرين فانه بعد ما حبس الأسارى عاد إلى أمه لينظر مافعلت بأيدمر البهلوان فوجده مطوقا من الكتاف وقاعدا فى أعلى مكان فاحمر وجهه وغضب على أمه وسألها عن السبب فقالت له ياطوفرين يا بنى اعلم ان هذا بالصدق أبوك وأنا أمك وأنت مؤمن بن مؤمن وأنا أخت الملك الظاهر وهذا مسارع تخت السلطان فاترك يا ولدى الكفر والطغيان واعلم أن دين الاسلام هو أصدق الأديان فلا يغرنك الشيطان ولا تجحد الايمان واتبع طريق الرشاد وهى طريق السعادة يرضى عليك ربك صاحب المشيئة والارادة [يا سادة] فلما سمع الطوفرين ذلك الكلام من امه زال همه وغمه ولانت جوارحه وحنت لدين الاسلام جوارحه وقال ياأمى لما أنا مسلم لأى شىء هذه المدة ما أعلمتينى مع أنى والله ماأشتهى صورة اليهود ولا بنى الأصفر ولم أعلم بذلك الخبر ولو علمت ذلك من زمان ماأقمت عندهم إلى الآن فقالت له يا ولدى كنت أخاف عليك من أن يقتلوك وأشرب نارك وأبقى تحسر عليك فقال ياأمى علمينى الاسلام فقال أيدمر قل اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال الطوفرين وأحسن الشهادتين وكتبت له السعادة فى الدارين ثم انه قام من عندهما ونزل إلى المحبوسين أطلقهم وأعلمهم أنه مسلم وأبوه ايدمر البهلوان فقال له الملك عرنوس ياطوفرين اعلم أن الملكة عين المسيح زوجتى فقال له بارك الله لك فيها ثم اعلمه فسلم عليها وأرسل الطوفرين وأحضر المقدم .... وقبل كل شىء قطع رأسه وأمر الفداوية والأمراء جميعا أن يحملوا سلاحهم ويستعدوا لخلاصهم أرواحهم وهلاك أعدائهم فقال الملك عرنوس ياطوفرين هذا شىء لاتحسب حسابه فان امرى قريب ثم انه وضع يده على قائم الحديد وتبعوه ثلاثون فداوى وخمسون أميرا والملك افقحا ومائتان من اتباعه والطوفرين أبوطبر ودعوا البلد ليلا وما أصبح الصباح حتى أن الذين بقوا من اليهود رموا سلاحهم وطلبوا الأمان فقال الطوفرين لا أمان ... إلا للمسلمين فمن أسلم سلم ومن لم يسلم عدم وماطلع النهار حتى ملأوا الأرض قتلا ونهبوا البلد وأخذوا أحسن الخيل فركبوها وركبوا الملكة درملك وعين المسيح على ... من أحسن الخيل إلا أن الكحايل وباقى الخيول حملوا عليها الأموال وطلبوا قلعة ... [قال الراوى] ان الملك الظاهر ... الفداوية أسرت منهم ثلاثون والامراء أسرت منهم خمسون ... لما ... وأراد ان يركب هو بنفسه ... ... المقدم

إبراهيم يا ملك الدولة الحرب سجال يوم لنا ويوم علينا فكيف ينزل للحرب قبد م العساكر ويتأخدون الاتباع وأنا يادولتلى أصطلى نار الحروب بنفسى وأبارز هدير الرعود حتى أبلغ منه المقصود والا أموت وأنا مقهور ومكمود وبعده يادولتلى افعل ماتشاء فأكون انا خلصت من الواجب على ثم إن المقدم إبراهيم ركب على ظهر حجرته ونزل إلى حومة الميدان فبرز اليه المقدم هدير الرعود كأنه البحر الحردان وتقاتل معه الى آخر النهار وانفصلوا على سلامة وثانى الايام كذلك وفى اليوم الثالث نزل المقدم هدير الرعود فاراد إبراهيم أن ينزل اليه وإذا بفارس من البر أقبل وبين يديه عشره من الخيول الاصايل وعشرة حجورة كل حجرة أحسن من أختها والجميع بسروج الذهب وقدم الى المقدم إبراهيم وقال حبى يا ابوخليل فنظر المقدم إبراهيم إلى تلك الخيول وعددها وقال مقبول منك يافتى أما لا أرد الجميل فقال له واطلب منك أن تعطينى هدية فقال إبراهيم أطلب ماتشاء فقال أطلب الميدان فى هذا اليوم حتى جرب روحى مع هدير الرعود فقال وانت من تكون أيها الفارس المأمور فقال له أنا ابن خالك عرنوس فقال إبراهيم ياملك عرنوس أنا واقع الشرط بينى وبين هدير الرعود لاينفصل الحرب بيننا الا باتلاف أحدنا فقال عرنوس انا أقول انه تابع من اتباعك فقال إبراهيم إن كان هذا مفيد دونك وما تريد فعند ذلك برز عرنوس إلى الميدان حتى بقى قدام هدير الرعود فقال من تكن أنت من الفرسان فقال من أتباع المقدم إبراهيم صاحب قلعة حوران فقال له وهل أنت لك اقتدار حتى تطلب هذا الشىء البعيد وهو عليك صعب شديد وإنما إذا أتعبتنى وأسرتنى الك عندى تمنى كل ماتريد وإن أنا أسرتك تكن لى من جملة العبيد فقال عرنوس أكتب لى بخطك فكتب له بذلك ورقة وانطبق الاثنان ودوت أصواتهما مثل الرعد ثم خرجا من الهزل الى الجد واوسعا المجال طولا وعرضا كانت لهما ساعة بالها من ساعة كشف الموت فيها قناعه ودام الامر حتى تحكمت الشمس فى قبة الفلك وكل منهما أشرف على الموت والهلاك وهدير الرعود كل وملّ وضعف جسمه خواه واضمحل وأبصر الملك عرنوس منه التقصير وعرف ذلك معرفة الخبير فجذب قاسم الحديد وضرب رأس جواد هدير الرعود فبراها وطبق على جلباب درعه فاخذه أسيرا وساقه إلى قدام الملك الظاهر وقال هذا الذى اسره تابع من اتبع المقدم ابراهيم فلما نظره الملك الظاهر أمر له بالحديد فقال له لاتحكم بالحديد الاعلى الذى يستحق الحديد وأما الفرسان لهم القتل أحسن من الهوان فقال السلطان يعنى يا ملعون تنالك بعيد هات رأسه يا ابراهيم فقال له تامر الذى أسرنى أن يقتلنى بيده لاجل أن يكون الفخر له فهو كذلك وإذا

بالملك عرنوس مقبل فقبل الارض قدام السلطان وقال يادولتلى هذا لايجوز له القتل فانه بطل همام ولو كان على دين الاسلام ماكان له من ماثله فى الحروب والصدام فانه بطل درغام وفارس قمقام وانت كان يامقدم هدير الرعود لا تكن جاهلا وكن عاقلا فان هذا ملكه الله الارض طولها والعرض واما قولك لايحكم عليك الا الذى أسرك فما هو الامن بعض عبيده وفى مملكته ومتشرف بخدمته ومتمتع فى نعمته فقال هدير الرعود ومن هو فقال الذى اسرك ماوقع بينك وبينه الشرط انه يكون له الشامخ بذات الحيات وقعت على فخذه فطعت الزرد وغطست فى اللحم إلى حد العظام فهز جران الشناغير فطبقت الافرنج واليهود على المقدم إبراهيم فقفز بالحجرة دخل خيمة السلطان فعند ذلك حملت عساكر الاسلام ووقع الضرب بالحسام وصيت ابناء الكرام وفرت ا اللئام وكثر العدد على الاسلام وطمعت الكفرة اللئام والسلطان بقى يقاتل ساعة يمين وساعة يسار واقتحم هو ومن معه الغبار [اسمع ماجرى] للمقدم هدير الرعود فانه لما عاد من عند السلطان نظر اليه جوان فرأى على وجهه انوار الايمان فسأله عن سبب خلاصه فقال له اشتريت نفسى من السلطان بخزنة مال فاعطاه كاس المدام وكان ممزوجا بالبنج فلما شربه انقلب فضيقه فعطس وقال اشهد قال جوان قلتها قال نعم ياملعون والله ماقدره الله يكون فقال الستون مقدم اتباعه فاخذه مكتفا ونسير به إلى حصن القضبان ان عاد نصرانى فهو منا والينا والان دام على الاسلام قتلناه واخذوه مكتفا وساروا به فالتقاهم عرنوس و كان راكبا واتى يستعجل الطوفرين والفلقجار فانه كان تركهم وسبق إلى حوران وجرا له مع هدير الرعود ماجرى فاجتمع بالامراء والفداوية ومن معهم والفلقجار وفى عودتهم التقوا هدير الرعود وهو ماخوذ مكتف فصاح عرنوس الله أكبر فجاوبه الفلقجار والفداوية والامراء اطبقوا على الستين مقدم قتلوا خمسة وثلاثين وأسروا خمسة وهربوا عشرين وخلص هدير الرعود واركبه على ظهر الحصان وطلبوا قلعة حوران فلما وصلوا نظر الملك عرنوس السلطان يحوم على الكفرة كانه الصقر الحائم أو كواسر العقبان فصاح جئتك يامولانا السلطان وضرب بالسيف اليمان وفعلوا مثل فعاله ابطال الايمان وأما الطرفرين ابوطير فانه لبس هو والفلقجار ومن معه لباس اليهود وأقبلوا على بنى الاصفر ويهوده الجحود فلما نظرهم يهوده ساق الجواد وقصد نحوهم باجتهاد لينظر من هم من أهل البلاد نرى الطرفرين فى مقدمهم فقال له لاى شيء جئت يا ولدى فقال له ومن أين أنا ولدك ياعدو الرحمن مالى الا ابد مر الجلواز وأمى است دار الملك أخت السلطان ووضع يده على الحسام وضربه على ودبه به اطاح

وأسه بين كتفيه ونادى الله أكبر يالدين محمد القمر أنا الطوفرين ابو طير وتبعه الفلق جار ومن معه من أهل الايمان الابرار وما دام حتى لحق الكندفرون وضربه على زنده اليمين جرحه جرحا مكين فولت اليهود والنصارى وهم منهزمين ونصر الله المؤمنين واجتمع ايدمر البهلوان بزوجته وابنه الملك الطوفرين واخذه ودخل وعلى السلطان فى الحال واعلمه بما كان ففرح بأخته وانزاحت عنه الهموم الثقال وكذلك الملك عرنوس تسلم وجنه عين المسيح وفتشوا فى القتلى فأطلعوا الملك الشامخ مجروحا فبايعه يالملك الظاهر نفسه بالمال واصلح بينه وبين الفلقجار وأخيه الكندفرون وراح إلى بلاده يكون جرحه بالنار ويقيم فى بلاده ويعمر الديار وأما جوان فانه هرب ولم يوجدله آثار وبعده جمعت الاسلام السلب والنهب والخيل الشاردة مع العدد المبددة وقسم السلطان الغنيمة واعطى كل ذى حق حقه واخرج الثلث لبيت مال المسلمين وركب الملك دور ملك فى تخت وطلب الديار المصرية وأما عرنوس فانه كتب حجة لهدير الرعود انه ملك على مدينة الرخام من قبله واقام مع السلطان ثلاثة ايام وتودع منه وطلب مدينة الرخام وصحبته هدير الرعود وزوجته عين المسيح والفلقجار يقع لهم كلام [وأما] السلطان فانه توجه إلى مصر وطلعت أخته المالكة در ملك السراية وفرح باخته وعمل لها الولائم والافراح باجتماع الشمل وايدمر البهلوان افرح كل الناس بولده الطوفرين واحضر له المقدم شيحة جمال الدين فطهره وقطب له محل الطهارة وأقام السلطان يتعاطى الاحكام الشرعية ويزيل القصاص ويحكم بالعدل ولانصاف كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم جد الاشراف [قال الراوى] إلى ليلة من ذات الليالى كان السلطان نائما والمقدم إبراهيم وسعد فى غفره فزعق السلطان فسمع إبراهيم زعقته فقال ياسعد السلطان رأى مناما ودخل إبراهيم فرأى الملك يتململ فى النوم فناداه بلطافة حتى افاق فرأى إبراهيم واقفا على رأسه فقال نوم العافية يادولتلى فقال السلطان يا مقدم إبراهيم أنا رأيت مناما فقال إبراهيم لعله خيرا يادولتلى فقال الملك رأيت نفسى قاعدا فى بستان وذلك البستان فيه أشجار وأثمار واطيار والشجر طارح من جميع الزهورات وأنا قاعد على التخت فانقض على طير أسود أكلح اللون واخــــذ التاج من على رأسى وطلع به سبع درجات واحده ورق فجاءت طيرة تشبه فى الخلقة وقد تسارعت به ذلك الطير فارد الطيران يكسرها فارتجفت منه وارتخت اعضاؤها واذا بســـبع مقبل ضرب الطير فى رأسه ورماه فاخذت التاج ثانيا وصحت فانتبهت فقل ابراهيم يا دولتلى

لما طلع النهار يأتوا العلماء إلى الديوان وتقص الرؤية عليهم والمنام فهم يفسرون لك الاحلام فقعد الملك يقرأ أوراده حتى انشق الفجر وصلى صلاة الافتتاح وتكامل الديوان واجتمعت ارباب الاحكام وحضرت علماء الاسلام فحكى السلطان منامه للعز بن عبد السلام فقال يا ملك الاسلام أما البستان فديوانك والازهار والاشجار عسكرك والاثمار ايراد مملكتك وأما التاج فهو ملكك والطير الذى أخذه فانه يأتيك رجل نصرانى يأخذ مملكتك ويحكمها أما سبع ساعات أو سبعة ايام أو سبعة اشهر أو سبعة أعوام وأما الطيرة التى تاتى تجادله فانها حرمة من نسله ويهديها الله للاسلام وتتعب منه وأما السبع فهو من أولياء الله تعالى يعاونك عليه وتأخذ ملكك من يده ولكن بعد المدة المذكورة فسمع الملك هذا الكلام وسكت عن ذلك المنام واقام يتعاطى الاحكام الى يوم من الايام الملك جالس وإذا بكتاب قادم عليه من مدينة الرخام فاخذه وقراه وإذا هو من حضرة هدير الرعود والطى وردشن يقولون فيه انه من حين أرسلت سابقا وأخذت الملك عرنوس والمقدم نصير النمر والمقدم اسماعيل أبو السباع الى هذا الوقت ماجاءنا عنهم خبر ولا نعلم أن كانوا وصلوا أو ما صلوا وان كان وصلوا الى عندك فلأى شىء اقامتهم الى هذه الايام ان كان لشغل عرفونا لنكون على بصيرة والسلام فقال الملك أنا متى طلبت عرنوصا ومن معه فاراد أن يرد جواب الكتاب واذا بكتاب أتاني من حلب يذكر فيه انه من حين توجه باشة حلب الى مصر ماجاءنا خبر فالمراد الافادة عن سبب طول الاقامة وعدم العودة وكذلك من الشام ومن عسقلان وجميع البلاد الذى لها نواب سافرت منها نوابها الى مصر بن طلب السلطان ولم يعودوا الى الآن فاحتار السلطان واذا بكتاب مقبل من غزة حسان فاخذه الملك وقراه فوجد فيه الذى يعلم به مولانا السلطان انى فى بعض الليالى خرجت من البلد فرأيت قصرا من خارج غزة وهو من الذهب ولكن لا أحد به وأصبحت ولم أرى له اثرا وثانى ليلة نزلت ليه رأيته فنمت على بابه حتى طلع النهار فرأيته شاهدا تربة ولما رأيت ذلك أتيت الليلة الثالثة فرأيت القصر على هيئته من الذهب فقعدت على بابه الى الصبح فوجدت نفسى قاعدا على تربة بين الشواهد وهكذا ثمانية أيام وهو الى الآن يظهر بالليل ويختفى بالنهار فاردت اعلم مولانا السلطان ليكون على بصيرة وان أراد مولانا يأتى يتفرج عليه الامر أمرك اطال المولى فى عمرك هذا ما عندى والسلام فلما قرأ الملك الكتاب قال من ... حتى ننظر هذا القصر فقالت الامراء ... كلنا نروح حتى

تنظر هذا القصر الذى من الذهب فان هذا والله من أعجب العجب فعندها ركب السلطان والمقدم إبراهيم وسعد وباق الفداوية وركب ايدمر البهلوان وعلاء الدين وسنقر وبشتك وباق الامراء وسافروا يقطعون الارض والبلاد حتى عبروا على غزة فدخل السلطان فتلقاه الباشا أحسن ملتقى ودخل بموكب الى الميدان وضربت المدافع لقدوم السلطان وبعد ما أخذوا الراحة سأل عن القصر فقال له الباشا صحيح قصر من الذهب يظهر بالليل ويخفى بالنهار فقال الملك قصدى أشوفه قال بالليل تشوفه

فلما فرغ النهار وأقبل الليل بدياجى الاعتكار طلع السلطان والباشا فقط فرأوا قصرا من الذهب فدار السلطان حواه دائر ما يدور فرآه قطعة واحدة من غير بابه

فلما رآه كذلك علم محله وثانى ليلة أتى بالرجال الفداوية والامارة لقوه مثل ما كان وليس له باب والليلة الثالثة لقوه سبعة أبواب مقفولة فدار كل منهم على أن يفتح الباب فلم يقدروا وأقاموا الى الصباح فرأوا أنفسهم بين التراب على وجه الارض فقال السلطان ان هذا من أعجب العجب

فلما كان فى الليلة الرابعة راح السلطان والفداوية والامراء عن بكرة أبيهم حتى وصلوا الى ذلك القصر فلقوا بابا من الابواب مفتوحا فدخل الملك الظاهر ودخل وراءه ابراهيم وسعد والفداوية والامراء فلما دخلوا وجدوا شموعا موقودة أشكال وألوان وفرشات خاص على اللاواوين وتصاوير ذهب وفضة جنس الحيوانات وبنات جمالات وصبيان كأنهن الحور والولدان وجوان قاعد على مرتبة من ريش النعام والبرتقش بين يديه وسائر الخدم يخدمون عليه وقاعد قدامه كاهن له صورة مقلوبة بوجه كأنه قبة فرن وطوله كالعامود وعيناه كأنهما سراجان يتوقدا نيران يخوف الله بها عباده فقال السلطان انت هنا ياجوان فقال جوان نعم أنا هنا عامل لكم هذه المكيدة حتى أرقعكم فيها لتعرفوا أن جوان يقطعكم ما أنتم تقطعونه فوضع يده السلطان على النمشة وأراد أن يضرب جوان فقال الكاهن امسكوا السلطان ومن معه من الخدمة والغلمان فتزلزل القصر وانهدم وهلك من كان فيه من الخدم وصار السلطان ومن معه جميعا فى الحديد ونظر السلطان فوجد نفسه فى مركب ومعه الفداوية جميعا والباشات ونواب البلاد والملك عرنوس واسماعيل أبو السباع ونصير النمر ومعروف الرعود والطاى بيدونش وجميع من كان متولى خدمة على طرف السلطان فقال الملك يا هل ترى شبحة معنا فقال البرتقش نعم هو معكم ما فيكم أحد تلفه من تحت هذه الشبكة لا كلكم وقعتم فيها وجوان قاعد يتفرج عليكم فقال الملك

يا برتقش ومن أين هذه الداهية فقال البرتقش كلما نراه من جوان فقال الملك أى شىء عمل جوان فقال أما تنظر [أنت أين رايح فطل السلطان فرأى الجميع فى مركب والمركب مسافر فقال الى أين ياترى هذا السفر فقال البرتقش أنا أحكى لك لكن بشرط ان وقعت فى يدك بعد هذه النوبة لم تضربنى مثل ما تضرب جوان فقال له الملك طيب بس اعلمنى

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك أن مدينة تسمى مدينة العروق والنهر الخرار وملكها اسمه الكاهن روميل وصورميل له بنت أراد روميل يتزوج بها مع أنها بنت أخيه وهذا عند النصارى حرام فقال أخوه لايمكن ذلك إلا اذا رضى عالم الملة جوان فان كان جوان يرضى فلامانع فقال الكاهن روميل أنا أجىء لك بجوان ثم انه أحضر رهطا من أرهاط الجان وطلب منه جوان فأحضروه من بحيرة بغره الى بين يديه فلما حضر قال له ياجوان أنا قصدى أتزوج ببنت أخى وهو ممتنع منها ولولا انه أخى كنت أهلكته واقتضى الامر الى حضورك حتى تعمل لنا تحليلا وتقرأ لنا فصلا من فصول الانجيل فقال ياأولادى هذا لايجوز إلا فى كتاب الكنوز ولكن مهرها لايكون الا رؤوس ملوك المسلمين وهم بيبرس وشيحة والدبابر وعرنوس وابراهيم الحورانى وسعد وباقى الامراء والفداوية حتى يصح الجواز فان قدرت على ماقلت لك عليه جازت لك بنت أخيك وإلا لم تجز وتكون محرمة عليك فقال الكاهن روميل ياجوان أنت عليك تعرفنى عنهم بمعرفتك وأنا على أوقفهم فى حضرتك فقال جوان اسميهم لك هنا تعال معى الى بلادهم وأنا أذكرهم بين يديك فاصطنع القصر بالسحر والكهانة ونزل فى مركب من مدينة العروق والنهر الخرار وسافر الى غزة ووضع ذلك القصر قدامها يظهر بالليل للنظار ويخفى بالنهار وهو من علم الاسحار حتى رآه باشة غزة وأعلم السلطان وحضر واتى ثلاث ليالى والليلة الرابعة فتح لهم الباب ودخلوا فنقل الجميع فى المركب ووضعهم فى الحديد كما ذكرنا وهذا الاصل والسبب فلما حكى البرتقش للسلطان قال السلطان نحن اذيتنا ما هى من جوان نحن اذيتنا من المقدم جمال الدين شيحة لانه كلما وقع جوان فى يدى واريد قتله يقول شيحة الوقت ندرى ولم ارض بقتله وطول جوان ما هو طيب كل يوم خبر جديد وانا اقسم بالله الذى لا إله إلا هو التواب الرحيم ان وقع فى يدى هذه النوبة لابد لى من قطعة ولو يجرى ما يجرى فقالت الامراء جميعا والفداوية والله العظيم لم يقطعه شيحة فلابد لنا من قطعة من شحمة اذنه بالشوا كرابش آخر هذه المقال [ياسادة] وسارت بهم المركب حتى وصلوا الى مينة مدينة العروق والنهر الخرار وفى طول الطريق يقعد جوان يسكر ويكتب مافضل فى الكاس على المسلمين حتى حلقوا

كما ذكرنا ولما طلع الكاهن انعقد له موكب والمسلمون بين يديه مكتفين حتى وصل.
إلى ديوانه وجوان يقول يا برتقش فسد كتاب اليونان ها هو ذا الوقت يموت ملك
المسلمين فقال البرتقش كتاب اليونان مايفسد شيء يا جوان والمسلمون يخلصوا من
هذه القضية ويروحون إلى بلادهم كما كانوا على الآخر ويقطعونك ويلعنون أباك وأمك
فاغتاظ جوان من كلام غلامه ولما جلس الكاهن روميل فى ديوانه قال ياجوان أنا
جئت لك بالمسلمين فقال جوان وأنا أعمل بالمسلمين إيش أقتلهم ونريح منهم الكرسيان
فقال الكاهن منتار فقال الملك اصبر ياملعون حتى أطلب الفرج من صاحب هذه
القبة الخضراء الذى ماقصدته عمرى وخيبنى أبدا فقال له اطلب الفرج فرفع قامته إلى
السماء وهى قبلة الدعاء فقال يا رب

الشدة أودت بالمهج يا رب فعجل بالفرج
والأنفس أمست فى حرج وبيدك تفريج الحرج
يا من عودت اللطف أعد عادتك باللطف البهج
الفضل أعم ولكن قد قلت ادعونى فابتهج
ندعوك بقلب مجتهد ولسان بالشكوى لهج
هاجت لدعواك خواطرنا والويل لنا إن لم يهج
يا سيدنا يا خالقنا قد ضاق الحبل على الودج
اغلق ذا الضيق وشدته وافتح ما سد من الفرج
أغثنا من حكم الأعدا وأذقهم البأس السمج
أنت المقصود وأنت رجا القاصد يا نعم المنج

[قال الراوى] فما تم السلطان تلك الاستغاثة وقال يارب أغثنا بالفرج إنك على
كل شيء قدير إلا والأستاذ المغاورى مقبل وهو يتضرع إلى الخالق الأكبر ولسانه
من ذكراقه لايفتر فلما وصل قدام الكاهن أشار يذكر رب العالمين وأنشد يقول

يا من عوائده الجميل بفضله من ذا الذى لجلال مجدك ماطمع
يا إله العرش يا رب السما يا من على كل العباد قد اطلع

[ياسادة] ثم التفت إلى الكاهن روميل وقال ياعدو الله رب العالمين أنت على شان
زواجك بنت أخيك وغرور جوان اللعين تريد هلاك أبطال المؤمنين المجاهدين وكانت
بيده جريدة خضراء فضرب بها الكاهن فى صدره طلعت من ظهره وعجل الله بروحه
إلى النار وبئس القرار فانطلقت الاسلام من الاعتقال وأراد جوان أن يقوم فالتقى
طيزه ملصوقة بالكرسى وكذلك البرتقش ولما خلص الله المؤمنين

قال السلطان الغارة على بلد هذا الكاهن الملعون وأنت يا مقدم جمال الدين التزم بالملعون جوان وهجم عساكر الاسلام وضربوا فى أهل الكفر اللئام حتى أفنوهم عن آخرهم كل هذا والملك الظاهر متعلق كل آماله بجوان حتى خلصوا من النهب والسلب وخربوا البلد عن آخرها وبعدها طلب السلطان جوان وحطه فى الحديد وقال للمقدم إبراهيم ياأبو خليل هذا تسلمك إن كنت باقى على محبى فاحتفظ عليه فقال إبراهيم والاسم الأعظم ما أطلقه إلا بأمرك وسافر السلطان فى البر والمقدم جمال الدين يدل بالرجال على الطريق حتى أنزلهم على الريدانية فقال الملك ياشيحة قطع جوان فقال يامولانا لما تصل إلى محل حكمك ونعمل له عربية ونعلقه عليها ندوره فى البلد وبعده نقطعه فقال السلطان إيش هذا الكلام فقال شيحة الكلام هذا هو الصحيح فسكت السلطان وارسل واحضر عبد العز بن السلام وجمع علماء الاسلام وقال ياسادتنا ماقولكم فى رجل كافر دائما يفتح لى مهالك الاسلام وما قصده إلا إخفاء الملة الأسلامية وإشهار الملة النصرانية هو يغزى مع الكفار فى المسلمين الأبرار ووقع فى أيدينا هل نقنع منه بملقة نضربها له ونتركه يسير فى حاله ويفتح للاسلام مهالك بخبثه ومحاله فاتقولوا ياعلماء الاسلام فقالت العلماء هذا إتلافه صواب وإطلاقه عقاب ولم يرض باطلاقه إلا كل منافق كذاب أو خائن مرتاب فقال السلطان اعلموا المقدم جمال الدين ماقلتموه لعله يستطع لقولكم فقال العلماء يامقدم جمال الدين إيش الفائدة لك فى إطلاق ذلك الملعون فقال شيحة ياأستاذنا أنا مالى فيه فائدة وإنما هو إذا قطعتموه حكم طلب السلطان يظهر ضرر الاسلام ويأتى كافر يقال له قبطاريال الساحر يحكم بلادنا هذه ويأخذ السلطنة من ملكنا ويقع للمجاهدين مشقة فقال العلماء له هذا القول ورد عليك من حديث أو وحى نزل عليك أو اطلعت على الغيب فقال شيحة ورد على كتاب اسمه كتاب اليونان وحكماء الزمان فقال العلماء له كتاب اليونان هذا من جاء به من الأنبياء فقال ماهو من الأنبياء وإنما هو من حكماء الزمان القديم فقال العز بن عبد السلام ياشيحة ماأنت إلا جاهل وساعدوه العلماء فقال شيحة يا أبانا السعيد أنت سلطت على العلماء ولكن يا حسرتى عليك تندم ولا ينفعك الندم وأنا يامالك الدولة جوان ماهو قريبى حتى أمنعك عن تقطيعه ولكن هذا يحتاج عربية فأمر السلطان أن تعمل عربية وقام شيحة وعلق جوان بكلاليب من ابزازه الاثنين وأفخاذه الاثنين ثم انه قال يامولانا السلطان اعقد موكبك واركب حتى أقطع جوان بين يديك وأرسل شيحة الى البترك كرمانيوز فى دير مصر العتيقة وأمره ان يجمع القسيسين والرهبان الأقباط حتى ينظروا ما يجرى على بترك الروم جوان فشهروا فى أهل الخلق وصار البترك يفشد رهم يردون عليه حينما بترك :

يا من جرى لك يا جوان حين قطعوك المسلمان
يا ليتنى كنت الفدا أفديك من السوء والردا
ياما يقاسى فى غدا من مارى حنا المعمدا

وركب السلطان وانجر الموكب من الريدانية حتى دخل مصر من باب النصر وفات من الجمالية وأدام حتى فات من الغورية ووصل إلى السكرية كل هذا وجوان معلق على العربية وشيحة ماشى بجانبه فقال السلطان ياشيحة فى أى مكان [تقطع جوان أنا حلفت عن تقطيعه ياهل ترى مرادك احنث فى يمينى او انزل انا أقطع جوان بيدى وانحمق السلطان فخاف شيحة ونظر إلى جوان وكان له فى يده اليمنى أصبع زائد فقطعه شيحة وقلاه فى الزيت وقال له كل ياملعون فاراد ان لا يأكل فقرصه بالقراصات فأكل القطعة وإذا بشرار ونار ورجم بالاحجار واظلمت الأقطار وبد رعدت على جوان سمعته تسبح الاملاك فى مجارى الافلاك ياؤمن برب سواك وحد من لاينساك [قال الراوى] وكان السبب فى خطفة جوان وهو أن الله خلق مدينة فى بلاد الصعيد اسمها قلوصة وبها كاهن اسمه قبطاويل الساحر وله بنت اسمها تاج ناس فأراد ان يتزوجها فجمع علماء ملة الأقباط من قسيس وراهب وقال لهم كلوا لى اكليل بنتى فقالوا له لا يجوز فقال ان لم تفعلوا ذلك أهلكتكم فقالوا له فى كتاب الأقباط لايجوز وانما فى كتاب الروم عند جوان كتاب اسمه كتاب العنوز فيه البنت لابوها تجوز ولا أخيها تجوز فقال قبطاويل وجوان اين محله فقالوا له فى بلاد الروم فدخل بيت رصده وعزم بكهانته فرأى جوان مشبوحا على عربية عند المسلمين فأرسل ماردا يقال له سحاب المختطف الاسود وأمره أن يأتيه به سريعا فأتى وخطفه مع العربية كما ذكرنا ولما علا به فى الجوافاق جوان على نفسه وقال يامن هو حملنى أنت من تكون فقال انا اسمى سحاب المختطف أرسلنى اليك الكاهن قبطاويل الساحر احضريك إلى بين يديه فقال جوان قبل كل شىء حطنى على سور القلعة حتى أشرب نفسى دانى فى ضيق قريب من الموت ويروح تعبك عليك فانزله على سطح الديوان عند ما جرى

[وأما] الملك الظاهر فانه لما سمع هذه الغارة التى جرت صاح على شيحة وقال له أنت طيب قال طيب ياموﻻنا هذا الذى كنت أحذره حتى وقعت فيه ولكن الحذر لا يمنع القدر الله تعالى يلطف بالاسلام وطلع السلطان إلى القلعة وقعد الملك فى الديوان وقعدت العساكر فى أماكنها واذهم بمياه سخنة نازلة عليهم من سقف الديوان فقالوا ما هذه المياه فقال جوان من الوصى فقال ماله تنجسنا ياملعون فقال جوان هو انتم طاهرون

أنتم نجستم دمي ولحمي وعظمي وأنا جئت لكم في هذه النوبة بداهية لاتسد ما الارؤسكم وأولادكم ثم أنه رفعه كالسحاب المختطف حتى وضعه قدام قبطاويل الساحر فقال له أنت جوان فقال نعم جوان الذي قضى عمره في الجهاد على الكرستيان الى هذا الاوان فقال له وماذنبك عند المسلمين حتى فعلوا بك هذا الفعال وقصدهم هلاكك فقال يا كاهن الزمان لكونه يجاهد على ملة الكرستيان فقال له أنا بلغني ان عندك كتاب يحلل البنت لابيها صحيح فقال له نعم لكن اذا لم يقدر على مهرها قال وايش مهرها قال مهرها حرب المسلمين وأخذ بلادهم وهلاك رجالهم وأولادهم وسبي نسائهم ونهب أموالهم فقال قبطاويل ياجوان أنا كلما أضرب رملا ألقى انى أملك بلاد الاسلام سبع سنين لكن بالسحر والكهانة وعلوم الاقلام فقال جوان وأنا أملكها لك بقية عمرك مائة عام فعند ذلك أحضر الكاهن قبطاويل سريرا وقعد عليه ثم أمر جوان قعد بجنبه وضرب السرير بالمقرعة وقال له الى دير الطين فسار به السرير الى دير الطين ونزل هو وجوان واحضر من صنف العباطي الصرف عشرة وقال لهم سموا لي كبراء الديوان الذين يلوذون بالملك الظاهر فقال السلطان وابراهيم وسعد ونصر الدين وعيسى الجاهري وعثمان والقاضي يحيي الشماع ويعقوب الهدير ومحمد القندور فتصور قبطاويل مثل الملك الظاهر وجوان مثل القاضي والبرتقش مثل سعد وسبعة من الكفرة مثل السبعة المذكورين ونزلوا على بيت علاء الدين فلما نظرهم تلقاهم فطلبوا الاكل فأكلوا . المدام فقال لم يكن عندي فقال السلطان في هذه الخزانة ففتحها فاطلع منها قزايز ملآنة خمر فشربوا وبعده قال السلطان ياعلاء الدين هات حريمك قال امان بعض شاه قال له القاضي وهو جوان يا علاء الدين هات امرأتك واذا بزوجة علاء الدين مقبلة فلما رآها خرج عقله فقالوا له قم اخرج من هنا فقام خرج وهو ذاهل العقل فغاب ساعة وعاد فلم يجد أحدا فدخل حريمه فرآها نائمة فايقظها وقال لها أنت كان لك معهم ميعاد فقالت له من هم فقال لها الذين كانوا هنا فقالت له من هم فقال لها ما أعرف وكتم سره خوفا من السلطان ومن كان معه وفي الليلة الثانية وقع ذلك أيضا في بيت بشتك وكذلك في بيت سنقر والجاولي والخطيري وأيدمر وقلاوون وطال الامر حتى جرى ذلك لجميع الامراء حتى بقي الواحد منهم يقعد في الديوان يتجرع الغصص ويلتفت سرا الى القاضي يحيي الشماع ويقول له آه يامقلة صاحب الزغل ولم يعلم السلطان ولا من معه ذلك ولما أعياهم الامر حكموا الوزير فقال لهم يوم الجمعة تكونوا عندي وقال السلطان عندي ختمة القرآن واريد منك ياملك الدولة ان تحضرها تسمع القرآن يحصل لنا السرور

ولما جلس الملك كانت عنده جارية عجمية فامرها أن تصنع المدام وتسقى السلطان . فلما نظر السلطان ذلك ضرب الجارية فقتلها وقال ياوزير متى كنت معك نشرب الخمر فعملت ذلك معى أو متى اطلعت على مع أن تربتى كانت على يديك من عهد مولانا السلطان الصالح

فقال له أنا مارايت منك ذلك ولا علمت إلا من الأمراء الذين تدخل بيوتهم انت وأتباعك حتى القاضى معك رماهم الامراء يكابرونك تعالوا ياأمراء فخرجوا جميعا وقالوا له صحيح انت والمقدمون إبراهيم وسعد وأولادهم وأتباعهم وعثمان والقاضى يقولون هات امرأتك هذا فى دين الاسلام لا يجوز ووضعوا أيديهم على السيوف وإذا بالمقدم جمال الدين طالع فقال السلطان الحنفى ياأخى فقال شيحة تستاهل لأن الدنيا قرض بوفاء وأنا منعتك عن تقطيع جوان لجمعت العلماء وتركتهم يقولون لى ماأجهلك ياشيحة ماأنت إلا جاهل وإنما يا أمراء مصر ان الذين دخلوا عندكم انا أوريهم لكم حتى يكمل عقلكم اطلعوا جميعا هذه الليلة معى والسلطان والوزير معكم وسيروا معى أوريكم الذى يفعل هذه الفعال وان لم تروحوا فاقتلونى واقتلوا السلطان ان كان فعل هذه الفعال فقالوا إيش ياشيحة يبقى الذى جانا غير السلطان فقال شيحة الليلة تنظروا فقالوا جميعا سر قدامنا فنزل بهم شيحة بعد المغرب من بيت الوزير وسار بهم إلى خط الدرب الأحمر وأوقفهم ميمنة وميسرة فما استقربهم الوقوف إلا وموكب منعقد اوله فداوية بنو إسماعيل فقال الامراء بك ياشيحة فقال لهم شيحة لا يتكلم أحد منكم وبعده فات الملك الظاهر وعلى يمينه وشماله سعاة الركاب إبراهيم وسعد وأولادهم وأتباعهم والقاضى يحيى الشاع راكب خلف السلطان وبعده أقبلت الأمراء أولهم قلاوون الالفى وأيدمر وعلاء الدين وسنقر وبشتك والجاولى والخطيرى وتمام الخمسة وسبعين أميرا راكبين خلف السلطان فالتفت المقدم جمال الدين شيحة وقال يا أمراء مصر انظروا ملككم الذى واقف بينكم والا هذا الذى راكب والأمراء انتم والذين راكبون خلف الملك فقال الامراء أماهذا شىء عجيب فقال السلطان ياأخى ياشيحة إيش الخبر فقال له اخلى القلعة وخذ حريمك وأولادك منها فان هذا سلطان على مصر غيرك اسمه قبطاويل الساحر فبات الملك واصبح احضر ابراهيم وسلمه الملك تاج بخت واولاده السعيد واحمد سلامش والخضر العادل وحريمهم وقال قل يا مقدم ابراهيم خذ اختك وأولادها عندك ورح قلعة حوران فاخذهم إبراهيم وأمر الفداوية بالركوب ليلا إلى قلاعهم بعد ما فرق عليهم السلطان اموالا تكفيهم وقال لعثمان ان

تركت حاجه فى السراية تلزم خلاصك فقال عثمان السراية ما فيها إلا السجادة التى تحتك فانى طرحتها ليلا وعالم بكل ما جرى وبيت غزية يا أسقر يعنى كلما نخاف عليه والمبرقعة تساعد الجدعان فاطمأن السلطان وقال خذ السجادة معك واسبقنى يا عثمان وطلع الملك على قصر يوسف يبكى فما رآه فيه غير الارض والحيطان والسقف فقال هكذا الدنيا :

يعاندنى دهرى ويعلم اننى ... خبير بأن النائبات تزول
أرى الدهر لا يسمع مقاله قائل ... ولا يعتنى من الزمان يقول
وأذهلنى هذا الزمان وجوره ... وانى على جور الزمان حمول
أبات حزينا ثم أصبح ضاحكا ... وأكمد ضحكى حاسداً وعذول
ويمنعنى شكواى للناس اننى ... أرى كل من اشكو اليه عليل
ويمنعنى شكواى لله انه ... عليم بما أشكوه قبل أقول
يرى حركات النمل فى حندس الدجا ... عليم بحال العالمين كفيل

[قال الراوى] ولما قعد الملك يتفكر أخذه النوم فنام وثقل فى النوم فبات نائماً وقام آخر الليل فتوضأ وصلى ما عليه من الفرائض فلما أصبح الصباح نزل ماشيا على أقدامه وحيدا فريدا باكى العين يتجرع فرقة أولاده وزوال الملك من بين يديه حتى وصل إلى مقام الصالح أيوب ودخل فيه وقرأ الفاتحة وهو باسط يديه وقال يا سيدى أنت سبب ولايتى فساعدنى على رزيتى فسمع من البرزخ السلطان الصالح يقول له قم ياولدى هذا قضاء الله تعالى الله يحفظك بألطافه الخفية فطلع إلى خارج الجامع وإذا هو بالعساكر واقفة تنتظر خروجه فى موكب منعقد ورأى عثمان واقفاً بالعجل الادهم وسماه الركاب جميعا واقفون فاحتار فى نفسه فقال له عثمان اركب يا مولانا عدوك يهلك وأنت تمشى على مهلك فركب على ظهر الجواد فسدد الحصان بيديه وعلا وارتفع إلى العلى وسمع تسبيح الاملاك فى مجارى الافلاك فقال إلى أين رايح بى ياهذا الجواد وما اسمك فى الجان فقال أنا السحاب المختطف الاسود أمرنى قبطاويل أن اوديك خلف جبل قاف وهو مسيرة خمسمائة عام فابتدأ السلطان فى قراءة آية الكرسى فقال العون يامولانا تحرقنى و الارض بعيدة عنك تهلك نفسك وهذا اعتراض على الله والامتثال للقضاء خير لك من الجهل فقال له أنا أنتظر لكن أريد منك أن تنزلنى اصلى الفرض الذى على فقال له ذلك أنا انزلك كل وقت تصلى فرضك ثم انه انزله صلى فرضه وشاله وسار به مدة أيام وهو فى كل وقت ينزله يصلى فرضه حتى

تعب السلطان فقال يا أخي هل الذي بقي من الطريق بعيد ام قريب فقال باقي مائتي سنة والذي مضى ثلاثمائة فأنزله على قلية وهو يقول نعم ياسيدي فقال صاحب القلية تمال يامالك الاسلام فتقدم السلطان وسلم عليه وقال له يا سيدي كيف العمل في هذه الرزية فقال له اصبر فان الصبر أجمل ولا ينفعك الجدل فالمولى يفعل مايشاء ليس لأحد أن يمنع ما قضاه الله تعالى فاسئل الله اللطف في قضاه فانه يخلق في قضاه رحمته ولكن لك عندي ذخيرة وهي بدلة تلبسها لم يعلها وسخ ولا صديد ثم قام فتح خزانة وأخرج بدلة من القماش الطائفي فقال له البس وتوكل على الله فلبس السلطان البدلة وقال للشيخ وأنت من تكون يا سيدي فقال له أنا الجمال سافر بمينك الملك الحق المتعال فاحتمله العون وسافر به إلى قبة كيخية القطب ونزل به فاكرمه إكراما زائدا وأقام عنده ثلاثة أيام فقال له انزل استحمى في الماء العذب الفرات فانه من الكوثر فتوضا وصلى وبعده أخده الكود وسافر به ثلاثة أيام فقطع به خمسين عاما ونزل به على قليه سيدي أحمد فعزمه تسعة أيام وقال له لا تخف فملكك مردود اليك فسافر حتى تنفد الاحكام والقضايا وتوكل على رب البرايا ورفعه المارد ثلاثة أيام وإذا شهاب وقع على رأس العون فانزله على التراب ونزل الملك إلى الأرض لكن على كثيب من الرمل فانكبس في بعضه فغمى عليه ساعة وأفاق فاخذ اللت الدمشقي يتوكأ عليه وتارة يمشي وتارة يقعد حتى أمسى المساء وإذا بثعبانين طاردين بعضهما بعضا فالمطرود أنثى فدخل تحت ذيل السلطان والطارد له فيه طمعان فعلم السلطان أن هذا عدو وهذا فضرب الطارد بحد اللت في رقبته قطعها فانتفض الآخر وكانت أنثى وقالت له شكر الله فضلك وخلصك من المهالك كما انك حفظت عرضي وأرحتني من عدوي اعلم اني أنا اسمي بانة بنت الملك الأبيض والذي قتلته اسمه لمع ابن الملك الأسود وهو كافر ولكن افترس بي وانا وحدي وكان قصده ان يتلف عرضي ولولاك والا كان اما افتضني والا قتلني ولكن أخبرني ما قال انك من الانس فاسلمها بحاله وما هو فيه وكيف اخذت بلاده فقالت له سر معي إلى عندي ابي فهو يبلغك مرادك ويردك إلى بلادك فسار معها حتى اوقفته قدام ابيها فقال اهلا وسهلا بملك الانس واكرمه وقال له اعلم ان خصمك هذا العون يحكم على ذلك سبع سنين وقد مضى منها نصف سنة والقضاء ما له إلا انفاذه اقعد عندي حتى تمضي هذه الاحكام الذي قضاها الله الملك العلام فقال السلطان واي شيء فائدة جلوسي عندك وانا ليس من شكلك فقال له علم لي اولادي القرآن واحضرهم قدامه فقال السلطان قل بسم الله الرحمن الرحيم فتكبيرا وراحوا إلى ابيهم صاغرين فقال لهم ما الخبر فقالوا له الانسي اراد ان يحرق جدنا فقال له اقراهم بلا بسملة فقام يقرى

أولاده ثلاث سنين حتى انهم حفظوا غيبا القرآن فلما علم أن أولاده تعلموا القرآن قال له يا انسي تمنى على فقال أتمنى عليك أن توصلني إلى بلادي فقال له مرحبا بك وأحضر عونا من أعوان الجن وقال له ارفع هذا الانسي وبلغه إلى بلاد توريز العجم فحمله العون وسار به إلى توريز وتركه وعاد إلى حاله فقام يتوكأ على اللت الدمشقي حتى دخل البلد وسار إلى أن دخل على القان هلاوون فلما رآه قال له أهلا وسهلا وأجلسه إلى جنبه وأحضر له شربات وأسقاه وسلم عليه وهناه ولما حضر السماط أكل معه ونادمه إلى آخر النهار وأدخله في سراية مفروشة وعاد القان هلاوون إلى قاعة جلوسه وأحضر وزيره رشيد الدولة إلى بين يديه فقال له قان العرب وصل إلى عندي أي شيء اصنع معه فقال يا قان الصواب عندي إكرامه يبقى جميلك عليه إذا قعدتي بملكته ثانيا ما يفسى جميلك اتركه وكلامه وقال له وعلى هذا عولت واصرفه واحضر ثقلون طاز وقال له يا ثقلون طاز قان العرب صار في حكمي أي شيء اصنع معه فقال له يا قان الزمان أنت له نظر ما كلفت ركبات وجهزت عساكر على انك تملكه أو تأسره فلم تقدر عليه وهاهو بقي عندك اقتله واشف منه غليل صدرك فقال صدقت يا وزير فاحضر له اثنين عيارين وأمرهما أن يدخلا على قان العرب في القاعة التي هو فيها ويقتلاه وأمر طومان من طوامينه بخمسمائة خيال يقفون خارج البلد إذا نفذ من العيارين يقتلونه كل هذا والسلطان جالس في القاعة ولم يعلم ما كتب له في علم الغيب وبعد ما صلى العشاء سمع دق الشاكوس على الباب فانتظر نزول السرباق واختفى حتى نزل الأول فقبضه من حلقه وعصر عليه فخنقه ونزل الثاني فضربه بالنمشة جعله نصفين وتعلق على السرباق وطلع خارج القاعة ولم المفرد وطلع به من السور وإذا بالطومان والخمسمائة أتباعه احتاطوا به فقاتلهم وهو على قدميه فثقل عليه العدد وهو فريد فطلب الاعانة من الملك المجيد وقال هيه يارب:

قصدت باب الرجا والناس قد رقدوا ... وبت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت يا أملي في كل نائبة ... يامن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو اليك أمورا أنت تعلمها ... مالي على حملها صبر ولا جلد
وقد بسطت يدي بالذل خاضعة ... اليك يا خير من مدت اليه يد
فلا تردنها يا رب خائبة ... فبحر جودك يروى كل من يرد

فما تم دعواه إلا وما تتى بدوى مقلون كأنهم الأسود على خيول أخف من الطيور ومالوا على العجم وقالوا حاشى عن مادة العرب يا ثلاث العجم ما كانت الا ساعة حتى فقدوهم وقالوا له يسلم عليك رشيد الد[illegible]

الكتاب وقرأه فرأى فيه يامالك الاسلام لو دخلت على كان اولى لك من دخولك على
هذا هلاوون ولكن حاذر منه على قدر انقدر وما أنا أفديك بروحي من كل الضرر
فشكره وأمر العساكران تأخذ سلب القتلى واخذ هو الخيل وسار بهم تحت الليل وبات
مسافرا وقصده ان يروح الى ملك خوارزم بلاد ابيه حتى يقضى الله ما هو قاض واذا
واذا به التقى بين يديه خياما منصوبة وخيولا مجنوبة وأعلاما مركوزة وهم كلهم
لابسين لباس الاسلام ومكتوب على بيارقهم لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رآهم
اطمأن قلبه وتقرب منهم فأتوه جماعة منهم وقالوا له تبيع هذه الخيل فقال لهم أبيعها
فأخذوه الى قدام ملكهم فلما رآه سلم عليه وبكى فقال له لماذا تبكي ياقان فقال له أبكي
على واحد يشابهك فى الذات والصفات وهو ابن قاننا القان شاه جهك صاحب ملك
خوارزم وسيكون أرسلني أدور عليه فانه بلغنا أنه أخذ بلاده رجل كافر وهو تايه
فى الدنيا ما أحد يعلم به والذى يأتى بخبره الى القان شاه جهك له الف ذهب شارته
خلاف الانعام فقال الظاهر طيب قلبك فانا ملك العرب محمود عجم بيبرس عرب فقال
أهلا وسهلا ثم قام له وسلم عليه وفرح به وطلب السماط فأكل معه وبعده الشراب
وغمز الساقى فادغر له البنج فشرب الملك فبنج فقبض عليه وأخذ الخيل منه ورفيقه فلما أفاق
السلطان ونظر بعد الدنيا تغيرت من الاسلام الى المجوس وكان غره الملبوس فقال له
أنت من تكون قال رافضى ابن رافضى أنت قتلت عسكر القان هلاوون فارسل الى
كتابا يأمرنى بالقبض عليك وارسالك اليه ثم انه أحضر قبطان عجمى وسلمه اليه وقال
له يا عبد النار وديه الى توريز ولا تسلمه الا بيد خالى رقن له يسلم عليك ابن اختك كافر
خان وها هو ارسل اليك قال العرب فانزله فى المركب وربطه فى الصارى فضاق صدر
السلطان رلما جن الليل رفع قامته الى من يعلم منقلبه ومثواه وقال الهى أنت اللطيف
الخبير العالم بما فى الضمير الهى اجبر كسر قلبي فمالى سواك نصير وأنت على كل شيء قدير
فما تم دعاه حتى خرج من المشرق ريح اسود ظلمت منه الانظار وتنعمت منه أمواج
البحار وهدر البحر وقد ازداد الليل سوادا على سواد وقوى الهوى باذن من على العرش
استوى باتت تلك الليلة فى أنحس بيت فلما طلع النهار خرجت عليهم مراكب ضروهم
بالمدافع ... وهم ... نهبوهم والملك الظاهر بالجملة معهم وكان هؤلاء
أعجام سفينة ... الاسارى وأوقفوهم قدام قل المدينة وكان اسمه القان عبد الله فلما
وقف الملك الظاهر ... لست من أهل هذه البلاد أنت من أين
فقال له ... فقعد وقرأ له شيئا من القرآن فاعجبته قراءته

وقال له أنت مؤمن وأي شيء أوقعك مع الارفاض فقال له كنت قاصد الحج فاستأثرت
في أيديهم فقال له لا بأس عليك وأجلسه بجنبه فأقام عنده سنة كاملة الى يوم من الايام
أراد القان ان يشق على بلاده فأجلس الملك الظاهر وقال له ياشيخ محمود أنت في مكاني
وخليفتي على دولتي فجلس السلطان مكانه وركب القان عبد الله يشرف على بلاده وسار
الملك يجلس بالديوان بالنهار وبالليل يدخل محله الذي أفرده له القان عبد الله الى ليلة
من الليالي نظرته محظية من الباب وهو داخل فتعلق قلبها بمحبته فنزلت له ليلا فوجدت
باب القاعة مقفولا فطرقت الباب فقال الملك من بالباب فقالت انا أفتح فاني قصدي
اتحدث معك فقال لها عودي الى مكانك وان كانت لك حاجة فتعال نهارا جهارا
فكررت عليه فشتمها وقال ياملعونة ماأنا ممن يكلم النساء ليلا سيما اذا كنت في غير
ملكي فعادت مغضبة وكتبت للقان عبدالله وقالت له ان الذي جعلته نايبك أراد مني
الفاحشة ولاأحتشي صولتك ولولا اني نفرت منه والا كان أخذني غصبا فلما سمع القان
عبدالله هذا الكلام كتمه في سره حتى عاد الى محله ودخل على محظيته وكان الملك عاقلا
ذا ثبات فسألها عن الكتاب التي أرسلته فاعلمته بأن هذا الفقيه الذي هو مقيم عندك
طلب مني الفاحشة ولولا امتناعي والا كان غصبني فقال لها الحق علينا فاني لو تفكرت
لكنت أعطيته جارية يتمتع بها ولكن قومي أنت روحي له فقد أوهبتك له فنهضت
ونزلت بعدما تزينت ولبست وبعد اللبس تطيبت وتكحلت ونزلت الى الملك الظاهر
فقالت له ياسيدي انا جئتك أولا فقلت الحرام لم أفعله ولم أقبله وهاهو سيدي أوهبني
لك لاكون محظيتك فافتح لي الباب وخذني لك ضجيعة وأكون خادمة لك ولامرك
مطيعة فقال لها من الذي أوهبك لي فقالت سيدي شاه عبدالله فقال لها روحي حتى أسمع منه
انه أوهبك فقالت وهو كذلك وعادت الى القان وقالت له لم يرض الا اذا سمع انك
أوهبتني له من فمك فطل الملك القان عبدالله قال له ياملك محمود وهبتك هذه الجارية
هبة مني لك ولا امن بالعطاء عليك فقام الملك وفتح الباب وضمها بالمشة في بيت الحرام
فرقمت تصفير فقال القان عبدالله أحسنت يامحمود شاه وسلم الله عينيك وما فعلت الا الصواب
فانها أرادت ان ترميك معي بالفتنة مع أنك بريء من هذه المحنة وكبر السلطان في عين
القان عبد الله أكثر ما كان وعلم أنه لايفعل ذلك الامن كان صاحب قدر وعفافة وكرم
وحسن شيم وأقام السلطان عند القان عبدالله في مدينة الرقش [قال الراوي] وان القبطان
عبدنار الذي كان أخذ الملك الظاهر يوصله الى القان هلاوون لما أخذ القان عبدالله مركبه
رمى نفسه في البحر وتعلق على لوح من خشب فقذفته الامواج حتى طلع البر وسار الى ملك

توزيرود خل على القان هلاوون وقبل الارض وقال ياقان الزمان النار تحسك وتمسك وتحرق الشعر الذى فى وشك وتكوى عصعوصة فلسك قال آمين فقال النار ترضى عنك يا قان الزمان ودخانها وشرارها يدخل فى عينيك قال آمين ايش الخبر فقال له ان القان كافر خان قبض على قان العرب وارسله معى اليك فتغير علينا البحر فرما نا على مدينة الرقش فطلع القان عبدالله أخذ منا قان العرب ونهبنا فنزلت البحر وتعلقت على لوح وأتيت اليك أعلمك فقال له رها هو قان العرب واقف وراءك فالتفت لينظر وراءه فضربه بالحسام أرمى عنقه كرى الافلام فضحك رشيد الدولة قال نعم ما فعلت ياقان الزمان فصاح هلاوون فى عسكره واخذ عشرة آلاف مقاتل وركب من توزبر حط على مدينة الرقش وأرسل من عنده كتاب مع نجاب الى القان عبدالله يقول له ياقان عبدالله اخرج قان العرب من عندك وسلمه لى حتى أرحل عن بلادك والا أخرب بلادك واحق جميع عساكرك وأجنادك فلما قرأ الكتاب التفت الى النجاب وقال له وأين هو قان العرب الذى عندى فاشار له على السلطان فضربه بالحسام رماه نصفين وقام على حيله وقبل الارض قدام السلطان قال يا ملك الزمان تنكر نفسك منى هذه المدة وانا أجهلك حتى أتى هذا الملعون هلاوون يطلبك وأنا اقسمك بالله ان برحى افديك ولو تطير رؤوسنا أنا وعسكرى بين يديك وهذه مملكتى نزلت لك عنها نزولا شرعيا وأقاتل أعداءك وأكون أنا فداك فقال الملك الظاهر ياقان عبدالله اعلم ان دين الاسلام منصور والله تعالى يدبر الامور اطلع بعسكرك واصطفوا للقتال والنصر من عندالله الملك المتعال فعندها افتح باب البلد وبرزت العساكر واصطفت الصفوف وترتبت المئات والالوف وركب الملك الظاهر على ظهر الحصان وكبته المعروفة ووقف فى صدور الاعجام مثل وقفته الموصوفة تحضرت له طوامير الاعجام فضربهم بحد الحسام أبرى أعناقهم والهام ودام على ذلك الخصام حتى اقبل الظلام فشكت العجم الى القان هلاوون من حربه وماقاسوا من طعنه وضربه فاغتاظ من ذلك تقلون ظاز وصبر الى الليل وقام وطلع الى الميدان وحفر حفرة وغطاها بعدما عمقها وثانى الايام نزل الملك الظاهر فخرج له تقلون ظاز وراوغه بالبراز مع انه ما هو من رجاله ولا يعد من اشكاله وانطرد قدام السلطان وهو يتجنب الحفرة والسلطان لم يعلمها فوقع فيها وانطبقت عليه العجم وقبضوه باليد فنظر القان عبدالله وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعاد بعسكره الى البلد وقفل ابوابها وحاصر الاسوار وركب المدافع وضرب على الاعداء بالنار واما القان هلاوون فانه لما أخذ السلطان أسيرا هدده بالقتل فقال الملك الظاهر ياقان هلاوون افتخر باسرى اذا كنت أخذتنى من سرحى بقوة باعك واما ايش يا كلب افتخارك

تفحت لى نقرة وتقبضنى بها ولكن ان سلمت من يدك ووقعت فى يدى نشرتك بالمنشار من رجليك بعد ما أخرب بلادك واقطع عساكرك وأجنادك فقال القان هلاوون لما آخذ القان عبدالله وأصلبه معك على توريز ثم انه سلمه إلى قبطان وقال له سر به إلى توريز العجم وضعه فى السجن عند رشيد الدولة فقال سمعا وطاعة وسافر به القبطان وأقام هلوون على حصار القان عبد الله يقع له كلام [ياسادة يا كرام] إن القبطان الذى أخذ الملك الظاهر سافر طالبا توريز أقبل على مدينة ختيان غلب عليه الريح فمال على المدينة وكانت تلك المدينة ملكة يقال لها الملكة تيجان فنظرت من من شبابيك قصرها وقالت لقبطانها اسأل من هم الذين أرسوا على مينة بلادى فقالوا لها ياملكة هذا قبطان القان هلوون فقالت هيا اقتلوهم وانهبوا جميع ما معهم ولا تبقوهم فمالت أهل المدينة وقتلوا القبطان وأهلكوا من معه فى الغليون ونهبوا المركب فرأوا الملك الظاهر فقالوا له أنت سنى أم رافضى فقال لو كنت رافضى ما كنت ابقى أسيرا عند الارفاض وما أنا إلا مسلم فسألوا بعض الاسارى عنه فقالوا لهم هذا قان العرب فأخذوه وقالوا له أنت قان العرب قال نعم ففكروه وأخذوه الى قدام الملكة تيجان وقالوا لها يا ملكة هذا قان العرب فقالت انت بيبرس فقال لها نعم فقالت خذوه الى الحمام فادخلوه الحمام فاخرجوا له بدلة تكاد أن تكون سرقت من كنز ولما طلع من الحمام البسته وأحضرت الطعام المفتخر وأكلت معه وقالت لقد شرفت بلادى ياملك الاسلام ثم سألته عن سبب غربته ووقوعه فى يد القان هلاوون فحكى لها على قبطاويل الساحر وما فعل وعلى هلاوون وما فعل فقامت واحضرت الزايرجة وضربت الرمل وقالت له اعلم ياملك الاسلام ان هذا قضاء الملك العلام خالق الضياء والظلام ولكن ما بقى إلا شىء قليل ويحصل لك النصر من الملك الجليل ثم انها قامت على حيلها وقالت اجلس انت يا ملك الاسلام على الكرسى وهذه مملكتى ارهبتها لك ولا أبخل بروحى عليك وان اردت ياملك الاسلام زواجى فها انا بين يديك فقال السلطان ياملكة تيجان اما زواجك بى فما هو انصاف لانك بنت صغيرة وانا حالف ما اتزوج على تاج البخت ولا اغيظها واحتظى بجوار وانما انا عندى لك زوج جميل الصورة حسن الشيم وهو الذى بجماله افتن بنات الروم وبنات العجم وهو الملك عرنوس ملك مدينة الرخام فقالت له وانا ياملك سمعت وصفه وقلبى تعلق بمحبته ولا أطلب زواجى به الا منك فقال لها وهو كذلك ان شاء الله تعالى ولكن يا ملكة انا قلبى مشغول على القان عبد الله والملعون هلاوون لا اعلم ما فعل معه فقالت له انا اجيء لك بهلاوون الى هنا وابلغك منه القصد والاماني ثم انها احضرت عيارا من عندها

وقالت له سر إلى مدينة الرقش وقل للقان هلاوون اعلم ان قان العرب عند الملكة تيجان فان اردت ان تاخذه تعال اليها وخذه منها فراح العيار واعلم هلاوون بذلك الحال فارتحل من مدينة الرقش ونزل على مدينة جتيان وطلب حرب الملك الظاهر يقع له كلام [قال الراوى] واما المقدم ابراهيم بن حسن فانه اقام بخدمة اولاد الملك الظاهر وحريماتهم والملكة تاج بخت واوفى بالواجب فى حقهم هذه المدة الطويلة فاطمة أخته بقت للملكة خادمة ونديمة وكذلك نافلة الحصون يطلوا فى مزاج الملكة ومن المغرب يركب حجرته ويطرف حول القلعة طول الليل ولا اعطى تهاونا فى الخدمة ولا ساعة واحدة واما بنو اسماعيل فانهم كانوا يجلبون اموالا من بلاد الروم ويوردون إلى بلاد الاعمار ويسئوا المقدم ابراهيم على ما يجرى فى الازمان إلى اليوم فقال المقدم ابراهيم يارجال ياهل ترى شيحة كان سلطانا علينا وكان يفتخر بسالخ الرجال اذا حصروا عليه ولاى شىء ما عمل حيلة وسلخ قبطاويل الساحر وكان يفتخر علينا وعلى الملك الظاهر فقال سعد يعنى شيحة لوكان له قدرة على ذلك الشأن لما كان صبر الى الآن فقال ابراهيم يعنى والسر الذى فيه لما يذكر يحضر ياهل ترى باق على عهده والا فرغ انده عليه ياسعد فقال سعد اين انت ياسلطان القلاع والحصون واذا بالبواب الذى على باب القلعة قال نعم فقال ابراهيم انت عامل هنا بواب فقال شيحة أهى كلها خدمة فقالوا له يا حاج شيحة هكذا يخلصك سبع سنين ونحن صابرون بقى كيف التدبير فقال التدبير لله اللطيف الخبير ولكن اشتغل باله وما هاز عليه منصبه فنزل من قدامهم وسار الى خان يونس واذا بشخص نفخ عليه فرجع شيحة هاربا

[قال الراوى] ان قبطاويل كان عاملا فى كل الجهات اشخاصا نحاسا من المسلمين لانه لما طلع السلطان مع العون الذى امره ان يؤديه الى جبل قاف وبعده كجلس على راس قلعة الجبل ثلاثة ايام البس سماة فى صفة ابراهيم وسعد واتباعهم من جنوده واما القاضى جوان فانه لما جلس قبطاويل على تخت مصر قال له يا ابى اعلم ان المسلمين يسكترن عن بلاده فلا تامن جانبهم فقال له ياجوان انا لوكنت احسب حساب المسلمين ماكنت اخذت منهم بلادهم ثم انه اقام ورشق على جميع الاودية حول مصر وجعل على كل طريق شخصا يمنع العابر المؤذى ينفخ عليه نارا والعابر الغريب يصيح ويقول دخل غريب يا قبطاويل ولما حضر شيحة ورأى ذلك الشخص عرف المقصود وامتنع عن الدخول وسار لى بركة ماء وتوضأ وصلى على شاطىء البركة ثم قام وتمشى من محل مجرى المياه الخليج النافذة على بركة حتى بقى فى قلب مصر

فطلع من عند الخليج المرخم فالتقى به قبطاويل الساحر وكان فى موكبه وعرفه معرفة خبير وحط يده على السيف وضربه فتفزبه الحصان وبقى شيحة بعيداعنه وعلم شيحة منه ذلك فأراد أن يزوغ فلم يقدر وصار ماشيا قدام الحصان حتى وصل إلى الديوان فقال قبطاويل سلم على صاحبك يا جوان فلما نظر جوان اليه ارتجف اعضاؤه فقال لقبطاويل من هذا فقال هذا صاحبك شيحة فتغير لون جوان وقال هذا الذى قصده يقطعنى فقال قبطاويل قطعه أنت قبل أن يقطعك ثم انه قال بوضع شيحة فى الحديد وقال الجوان أنت قل الطاقية التى على رأسك أكون شيحة فقال أكون شيحة فصار كانه شيحة وأما البرتقش بقى مثل السابق والبس شيحة قطية بقى مثل جوان وربط عربية وربطه عليها ونادى المنادى من كان يريد الفرجة على تقطيع جوان فليبادر بكرة الفرجة من أول النهار فاجتمع الناس ثانى يوم وركب الكافر قبطاويل مع أن أهل مصر لم يعلموا بما جرى واعتقادهم أن الملك الظاهر هو الذى يحكم بالقلعة وفى مدة قبطاويل حاكما بمصر إذا رأى رجلا يقرأ القرآن يضربه ومن رآه يصلى يؤذيه واذا رأى مسجدا يجعل قدامه خمارة وبرظه ومحششة وكثر الفساد حتى بقت الفساد يقولون لم يبق على وجه الأرض نظير الملك الظاهر الله يديم لنا ملكه وحكمه والناس أهل الايمان يقولون الله تعالى يصلح اهل الايمان ويصلح فساد دولة السلطان والا يفاصلنا فيه على أى وجه كان وما دام كذلك إلى أن كان فى ذلك اليوم وطلع الناس يتفرجون بتقطيع جوان وركب الكاهن فى صفة السلطان ودار فى البلد والناس يتفرجون وجوان لابس بدلة السلخ كما يلبس شيحة وانعقد الموكب حتى بقى على القوم الف قدم إلى باب المتولى فاراد جوان أن يقطع صباع شيحة ويطعمه له كما فعل معه وإذا بيد انحطت فى العربية رفعتها سمع شيحة تسبيح الاملاك فى مجارى الأفلاك فقال شيحة من الذى حملنى فقال له أنا السحاب المختطف الابيض خادم الملكة تاج ناس بنت الملك قبطاويل الساحر وأنت مطلوب الى عندها فى مدينة القرصة فسكت شيحة وما دام العون سائرا به حتى وضعه قدام الملكة تاج ناس بنت قبطاويل فقالت له أنت شيحة فقال نعم خذوه الى الحمام فادخلوه الحمام وقدمت له بدلة ايها والبسته اياها واحضرت الطعام وأكلت معه وقالت له اعلم يا ملك القلاع أن ايام قبطاويل قد مضت وأنا لما اضرب تخت الرمل الاقى أن قتل أبى على يدى واكون من أهل الايمان واتزوج بالمقدم جمال الدين شيحة إلى أن كان فى ذلك اليوم احضرت خادمى السحاب المختطف الابيض وقلت له ابن

شيحة فقال لى ان أباك وضعه على عربية وبريد جوان أن يقطعه فقلت له حضره لى سريعا فأتى بك وها أنا حضرتك وأنت اى شىء تقول فقال لها أنا الك على كل ماتريدى فقالت قبل كل شىء علمنى كيف يكون الاسلام حتى أسلم فعلمها وقالت له قصدى أن تتزوج بى على رؤس الأشهاد فقال لها لابد من اثنين مؤمنين يعقدا لنا العقد فقالت له أجىء لك بقاضى مصر قم يا سحاب فنزل العون [يا سادة] وكان فى تلك الايام قليل الشكاوى عند القاضى فلما كان ذلك اليوم قال القاضى للرسول اطلع فتش لنا على دعوى فطلع الرسول فلقى رجلا مالئا قدرة لبن فأتى إلى القاضى فقال القاضى هات ياشيخ فرأى اللبن سخنا فقال ياشيخ من اى شىء هذا اللبن سخنا فقال ياسيدى غليته على النار فقال القاضى أنت تستحق التعزير هات الجريد يارسول فقال الرسول ياشيخ اعط القاضى حق الرز وفوت اللبن فأعطى له أربعة دراهم فضة فجاء بدرهمين خبز ودرهم سمن ودرهم عسل وطبخوا اللبن وفتتوا الخبز فى قصعة وأفرغوا عليه اللبن وأعطوا القدرة للبان فقال اللبان يارب لا تهنيهم على هذه الأكلة فطلعوا إلى دكة الجامع وقعدوا وأرادوا أن يأكلوا وإذا بالسحاب الخطف الأبيض خلع الدكة ورفعها وعليها القاضى والنايب والكتبة أربعة وأربعة شهود واثنين رسل فنظروا إلى أنفسهم وإذا بالدكة طائرة بهم فقال القاضى نحن تركنا الأرض وارتفعنا إلى السماء وكان القاضى خدت قمده من جنب الدكة ينظر الأرض بعيدة أو قريبة فظن العون أنه يريد أن يضربه بها فتشها منه ورماها فوقعت فى خط المقسم وكان رجلان اشتركا فى حمل فول أخضر كل واحد باع جنبته واحد جمع ستة دراهم والثانى أربعة دراهم

فقال له شريكه ياعجب أنت جمعت أربعة وأنا جمعت ستة فكشف رأسه وقال أسأل الله ان كنت خائنا يرزقنى بداهية من السماء فما تم كلامه إلا والخشت وقع فى وسط مخه فوقع قتيلا فقال الناس يا دافع البلاء السماء فى خشوت كل من حلف باطل يموت وأما العون فانه حط الدكة قدام الملكة تاج ناس فاعلمته بمطلوبها وقالت له يا قاضى مصر أنا بنت قبطاريل الساحر ملك مصر الآن وأريد أن أتزوج بجمال الدين شيحة فكتب لها الكتاب وفرح شيحة بذلك وأنعمت على القاضى وراح إلى مكانه ودخل شيحة على الملكة تاج ناس وثانى الايام دخل الحمام ولما طلع من الحمام قال لها يا ملكة هل تعرفى أين هو الملك الظاهر فضربت تخت الرمل وقالت له انه يقاتل هلاوون على مدينة خيتان وهى بلاد الملكة تيجان فقال لها ودينى عنده فقالت على الرأس والعين ثم انها احضرت السرير وقعدت علية واخذت شيحة

جنبيا وقالت له روح بنا على مدينة خيتان فلما وصلوا ألقوا العجم منطبقين على السلطان فقالت تاج ناس يا اصحاب أرضعنى وزوجى فى قصر المدينة وانزل على هؤلاء الاعجام الارفاص بالاحجار حتى تهلكهم عن آخرهم فأدخلها السراية وفعل ما أمرته فما يشعر ملاوون الا والاحجار نازلة عليه كالمطر فهلكت جميع العسكر وطلع هاربا على وجهه فى البر الاقفر وشتم النار التى لم تنصره على المسلمين الابرار ونظر الملك الظاهر الى ذلك فتعجب من تلك الفعال وطلعت عساكر الملكة تيجان فجمعوا السلب والنهب والخيل الشاردة وطلع المقدم جمال الدين فقابل السلطان وسلم عليه وأعلمه بما جرى من قبطاويل الساحر وبنته فقال السلطان يا أخى حيث انك فعلت ذلك أريد منك الملك عرنوس أن يحضر الى عندى حتى أزوجه بالملكة تيجان كما أوعدتها فحكى لتاج ناس فأركبته على السرير وسارت معه الى الشام فأحضرت عرنوسا وأتباعه وفرقة من بنى اسماعيل ولما قربوا انعقد موكب لعرنوس ودخل على المدينة فنظرت الملكة تيجان اليه وقالت للسلطان من هذا يا ملك الاسلام فقال لها هذا ولدى الملك عرنوس ففرحت به فرحا شديدا وعملت وليمة مدة سبعة أيام وبعدها قام عرنوس وخطب الملكة تيجان من الملك الظاهر فأنعم له بزواجها وكتب كتابها ودخل عليها وبعد ذلك جمعت عساكرها وطلبوا السفر من ذلك اليوم فقعدت تيجان مع الملكة تاج ناس على السرير وساروا والعساكر يتلوا بعضها بعضا الى الشام وأقاموا بها مدة شهر حتى اجتمعت بنو اسماعيل والامراء كلهم كانوا مقيمين هذه المدة بالشام فلما لقوا السلطان قد حضر اجتمعوا وفرحوا بقدومه وبعد ذلك ركب الملك فى ركبة عظيمة وساروا بالعساكر الى ناحية مصر وكان الوزير مقيما فى برصة فعلم بذلك فأتى ومعه مسعود بك وقار أصلان المغربى وعساكر برصة وما وصلوا الى راس حتى ضجت الارض من ركض الخيول تزلزلت طولا وعرضا لانها كانت خمسة وسبعين اميرا يتبعها خمسة وسبعون ألفا وأما الفداوية فكل مقدم يتبعه ثلاثة آلاف والبعض خمسة آلاف فكانوا ثمانين مقدم اسماعيلية وأربعين مقدم أدرعية والملك عرنوس وأتباعه ونصير النمر رجاله والمقدم اسماعيل أبو السباع وأولاد ملوك المرتقان والملك مسعود بك والوزير وأتباعهم فكانت الجملة ستمائة ألف مقاتل وما داموا الى رأس الوادى فزعقت الاشخاص من كل الجهات وقالوا يا قبطاويل دخل غريب وغريب وغريب وغريب فقال جوان الدنيا قد امتلأت بالغربة فقام قبطاويل ودخل محل رصده وعاد وقال يا جوان بنتى سلمت وجمعت المسلمين

وجاءت تريد حرابتي فقال جوان الحق بيدها لانك وعدتها بالزواج وتركتها وطاله عليها الأمر لانت عملتها جناقة ولازوجها لاحد على باكرها ففعلت هذه الافعال والحق عليك فقال البرتقش ياأبانا جوان آتيك بالحارة فقال جوان اصبر يا رتقش لما ننظر الآخر وأما قبطاويل فانه غضب على بنته غضبا شديدا وركب على سريره وأخذ جميع جنوده وطلع إلى راس الوادى فكانت الملكة تاج ناس قتلت الاشخاص الذين كان أبوها صنمهم ورجعت طالبة مصر فالتقاها أبوها وقال لها اسلمى يا تاج ناس وبعى دين الكرستيال وصبوتى إلى الايمان فقالت نعم ياملعون فقال لها انا الذى علمتك السحر فقالت وأنا أحاربك بما علمتنى والنصر من عند الله فمد يده وأخذ شعرة من دقنه وقال لها كونى حربة ادخلى من صدرها وأخرجى من ظهرها ثم إنه حذفها فخرجت من يده كالشهاب فقالت الملكة تاج ناس ارجعى شعرة بحق الاله العظيم صاحب العزة والقدرة فعادت كما كانت ولما رأى قبطاويل ذلك أخذ من الارض رملا وقال يكون شرارا ونارا ويحرق هؤلاء الفجار فقالت تاج نور يرجع لاصله بقدرة الملك الجبار ودام الامر كذلك طول النهار حتى أن قبطاويل اغتاظ وألقى عليها باب السكينة ومسك اللسان فاحتارت فى ذلك ونظر الملك الظاهر ومن كان معه حاضر فرفع قامته إلى عالم السرائر وقال هيا يارب أدركنا بالفرج انك على كل شىء قدير

يارب انى إلى نصرتك محتاجا وأرتجى من جناب الله فراجا
يا فارج الهم فرج ما بليت به مالى سواك لهذا الهم فراجا

[قال الراوى] وإذا بحرمة ساحرة مقبلة بحلة خضراء قالت إلى متى ياعدو الله تفسد بلدى وأنا غفيرتها وجاءت إلى قدامه وضربته على وجهه فانعجم لسانه وقالت ياتاج ناس قولى لاإله إلا الله محمد رسول الله وما النصر إلا من عند الله فنطقت الملكة تاج ناس وأما قبطاويل فانه انعجم لسانه فتقدم اليه وقبض على خناقه وكتفه وضربه بالنشة فى وسط رأسه ضربة مشيمة فشقه إلى حد حزامه وأمر بصلبه وضربه بالنبال ونصر الله الاسلام فأراد جوان أن يقوم فلقى نفسه ملصوقا بالكرسى فقال قومنى ياسيف الروم فقال البرتقش قلت لك من الأول قم مارضيت خليك بقى لما تاكل العلقة واقبل المقدم جمال الدين على جوان وقال له سلامات يابدرة بهجة يا سلاسة ابليس يا عماد الكفر فقال جوان يا أبو محمد اعتقنى النوبة حلاوت رجوعكم بلادكم وأنا أروح بحيرة يغره وأقيم فيها حتى تتم المدة فقال شيحة والله ياجوان ان عداوتك بليغة ولا ارتاح الا بضربك ثم إنه مد يده وأراد أن يضربه فانخطف من بين يديه فقال شيحة

هذه نصبة ثانية وإذا بورقة وقعت على شيحة مكتوبة فافردها فالقى فيها من قبطا أخو قبطاويل الى بين أيادى ملوك المسلمين اعلموا ان اخى قبطاويل اخذ الملك منكم وحكم بلادكم سبع سنين واما انا فلابد لى من قتلكم جميعا واخذ بلادكم طول العمر ولا ابقى على وجه الارض مسلما ابدا فاخذ الورقة شيحة واعرضها على السلطان وعلى تاج ناس فاغتم السلطان غما زائدا وقال يا جمال الدين كيف يكون العمل قال شيحة الامر بيد الله فقالت الملكة تاج ناس يا ملك الاسلام سافر الى بلاده وان شاء الله تعالى الاسلام منصور واما قبطاويل فانه ما اخذ البلاد إلا بقضاء الله تعالى والقضاء يا ملك نفذ ولا يبقى إلا كل الخير فقال الملك توكلنا على الله [قال الراوى] كان السبب فى ذلك ان الملعون قبطاويل له اخ اسمه قبطا لكن عنيد اعند من اخيه فكان يوم جالسا واذا به علم ان اخاه اخذ بلاد الاسلام وحكمها فقال انا ما اريد اخى يتعرض للمسلمين ولكن جهله اغراه ثم ضرب تخت الرمل لينظر ما سبب تعرض اخيه فرآه من بنته تاج ناس لكونه اراد ان يتزوج بها وقال له جوان لا يجوز لك إلا ان ملكت بلاد المسلمين فقال قبطا بنت الرجل لا تجوز له فى كل الاديان ولو قتل كل الدنيا وتركه على جهله هذه المدة حتى مضت السبع سنين فاراد ان يعلم أى شيء جرى على اخيه فضرب تخت الرمل فرأى ان اخاه قتل والذى قتله بنته فقال وحق الصليب وما صلب عليه لا ارجع عن هذه العاهرة حتى احرمها ان تشم نسيم الدنيا فقالوا له بعض الخدمة ان الذى ملك قبطاويل البلاد هو جوان واما من غير جوان فما احد يقدر يفعل شيئا فامر عونا من اعوانه باحضار جوان فجاء وخطفه من قدام شيحة واعطى الورقة له كما ذكرنا ولما صار جوان قدام قبطا قال له يا جوان انت الذى قتلت اخى قبطاويل وحسرتنى عليه يا ملعون فقال جوان حرام عليك هذا الكلام يبقى جوان يقتل انا اعرف شيئا من السحر حتى اقتل واحدا مثل اخيك كاهن ما قتله الا بنته تاج ناس واسلمت وتزوجت بشيحة سلطان القلاع والحصون فان كان قصدك ان تاخذ بثار اخيك خذه من بنته ومن ملوك المسلمين اولهم بيبرس وآخرهم شيحة ان كنت قادرا وان كنت عاجزا ولا لك مقدرة فاقعد فى بلادك تحت الذل والخيبة ولا يبقى لك عند احد قدر ولا هيبة فقال قبطا وحق دينى ما ارجع عن المسلمين حتى اهلكهم اجمعين وبكره اوريك يا جوان ثم انه بات واصبح عازما على المسير الى المسلمين [قال الراوى] فى ذلك اليوم قدم الملك الظاهر على مدينة قلوصنة فرآها بلدا مكينة لها اربعة ابواب محكمة فقال السلطان على نذر ان ملكت هذه البلدة آخذ ابوابها الى مصر لانهم متمكنين وعند الصباح نزل قبطا الى الميدان

وقال يا مسلمين دونكم والميدان فأنا أحاربكم فارسا ولا أستعين عليكم بالسحر بل آخذكم من الميدان بالحرب والطعان فما تم كلامه الا وايدمر البهلوان صار قدامه وقال له دونك والميدان ان كنت من الفرسان فقاتله ساعة وأخذ ايدمر أسيرا وقاده ذليلا حقيرا ونزل بعده علاء الدين وبعده الأمير سنقر وبعده بشتك ونزل الجاولى فأسر الخمسة واندق طبل الانفصال وعاد قبطا وسيفه بيده مشهور فدخل شيحة على زوجته الملكة تاج ناس وقال لها ان عمك باغى وأنا قلبي مشغول على الذين أسرهم لا يقتلهم فقالت له لا تخف ثم انها أمرت خادمها سحاب الخطاف الابيض وقالت له خذ خمسة من الاقباط وضعهم محل الامراء وهات الامراء إلى عندى وبدل ملبوسهم ففعل ما أمرته به وأما قبطا فانه لما نزل من على الحصان قال لجوان اقطع رؤوس الذين أسرتهم وارم بهم الى المسلمين لينكسر عزمهم فاحضرهم حالا وقطع رؤوسهم بيده ورماهم إلى المسلمين فنظر السلطان إلى الرؤوس فبكى وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم واذا بشيحة مقبل فقال السلطان أنظر ياأخى فعل هذا الكافر فى أهل الايمان فقال شيحة يا ملك الدولة لا تتفكر فى ذلك فان الامراء طيبون وهؤلاء المقتولون اقباط من جماعة قبطا وحكى للسلطان على ما فعلت تاج ناس فقال السلطان والله ان هذه الحرمة ايمانها صادق ومساعدة للاسلام وفى ثانى الايام نزل قلاوون الالفى فأخذه قبطا من الميدان أسيرا ومن بعده نزل الخطيرى وبهاء الدين ومن بعدهم الامير حسين والامير خرص قدم واندق طبل الانفصال فكانت تاج ناس مستحضرة على تبديلهم بغيرهم من الاقباط فلما عاد قبطا من الميدان قال جوان متترهم ولا تبقى على مسلم أبدا فقطع رؤوسهم وفى ثالث يوم نزل إلى الميدان فنزل له ايدمر البهلوان فقاتله وأسره وعاد به من الميدان فوضعه قدام جوان فقال جوان اصبر هذا فقتله أنت أول أمس وكيف حاربك ثانيا وأسرته ثانيا وما هذه الا غفلة معك فبطل الحرب وعاد ودخل بيت الارصاد وضرب الزايرجة وصرخ صرخة وقال يا جوان الذين قطعنا رؤوسهم أقباط وأما المسلمون طيبون ولا قتلنا منهم أحد وبنت أخى تاج ناس هى التى خلصت المسلمين فقال جوان كاملك جئت تقتل النصارى فقال قبطا بنت أخى مادمت طيبة الا أبلغ اربا فقال جوان وأنت ماتعرف حيلة عليها قال أعرف الف حيلة ثم انه احضر قبطية ووضعها على رأسه قال أقسمت بما كتب عليك من الطلاسم والاسماء ان أكون فى صفة شيحة فانقلبت صورته فى صورة شيحة وسار حتى دخل على الملكة تاج ناس فقامت مثل ماتفعل مع زوجها ولم تدر ما كتب لها فى علم الغيب فطلب الطعام فوضعته بين يديه فأكل وقدمت له كاس شربات فشرب نصفها

وقال لها اشربى مثل ما شربت أنا فشربت باقى الكاس فشرقت ووقعت مغمى عليها فألماها فى نفسها وأتى عليها باب السكتة ووكل بها عونا من أعوان الجن وأدخلهافى مخدع وصلبها من شعرها وقال للعون عذبها [قال الراوى] ومن بعد اخذ تاج ناس دخل المقدم جمال الدين فلم يجد زوجته فخرج مثل المجنون ودخل على السلطان وأعلمه فقال السلطان الله أقوى وأشد حيلا ينصر من يشاء وهو القوى العزيز فقال شيحة ماأخذ زوجتى إلا هذا الملعون قبطا ثم انه خرج من قدام السلطان ودخل البلد وهو حائر ولهان رفى ذلك قال جوان يا كاهن الزمان أنا قلبى طاب اضرب لى تحت الرمل وانظر شيحة فى أى مكان فضرب الرمل فى الحال وقال شيحة نادم علينا ورفع رأسه وقال شيحة يكون فى الحديد فصار شيحة فى الحديد فقام على حيله جوان ورقص .

فقال البرتقش لم تنتصف يا جوان اعلم أن رب المسلمين يطلب الفرج من الله يأتيه سريعا فقال جوان مابقى شىء لا فرج ولا غيره قم ياكاهن قبطا اطلب الحرب فقام الملعون قبطا وأحضر أعوان الجن وقال لهم كل من كان راكبا على حصان سوقوه الى الميدان فصارت الخيل تنزل بركابها الى قدام قبطا والملعون يخطفهم السحر والكهانة حتى أخذ جميع الأمراء والفداوية والأكراد والوزراء وماتم النهار حتى أسر السلطان وعرنوس ولم يبق الا المشاة الذين لاخيل لهم مثل المقدم سعد وابنه ناصر الدين الطيار وعاد قبطا وصف الجميع بين يديه وجذب الحسام وأراد أن يقطع رؤسهم فقال الملك الظاهر اصبر ياملعون حتى أطلب الفرج من الذى قال فى الكتاب المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ورفع قامته الى قبلة الدعاء وهى سماء الدنيا وقال آه يارب .

يامن له الملك والملكوت قاطبة	وهو الكفيل لجمع الخلق يكفيها
يا من تنزه عن شكل وعن شبه	وعن مثال وجمع الخلق حاصيها
يا من له قدرة فى الخلق نافذه	فى سائر الخلق قاصيها ودانيها
يا من يرانا وليس غائبا عنا	ونرتجيه فى رزايانا ليمحيها
يا ربنا أنت مولانا وسيدنا	وعالم السر والنجوى وما فيها
ضاقت بنا كل أسباب وحسبكا	تعلم أسارى وقادتها أعاديها
ولا لنا ناصر نرجوا الخلاص به	فالخلق لا تنتجى الا لباريها
انى دعوتك يا مولاى مضطرا	من شدة قد أصابتنا مرازيها
بحق خير البرايا الطاهر العربى	محمد سيد الكونين هاديها
عليه منى صلاة الله قاطبة	كذا سلام تحيات نم ديها

[قال الراوى] فلما تم السلطان دعاءه حتى أضاء المكان وتزلزلوا على قبطا الديوان وارتعب كل من كان حاضرا وأقبل سيدى عبد الله المغاورى يذكر الله ويقول

حارت الأفكار فى قدرة من   قد هدانا سبلنا عز وجل

كتب الموت على الخلق فكم   فل من أسر وأفنى من دول

ثم التفت إلى قبطا وقال له يا عدو الرحمن أنت اغتررت بما أوعدك به هذا الملعون جوان فهذا آخر زمانك ومصيرك إلى النار ثم قبض على خناقه بيده وقال قوموا جميعا ياعصبة الاسلام اقتلوا هذا الكافر مقرور الشيطان فانه السحر عن المؤمنين وقاموا أجمعين فأمرهم الاستاذ أن يبذلوا سيوفهم فى الملعون قبطا فضربه المقدم إبراهيم بذو الحيات جعله قسمين وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار وخلصت المملكة تاج ناس وشيحة فأمر السلطان بكبس البلد ونهب مافيها وضرب المدافع على أسوارها وهدم ابراجها وأمر بأخذ الاربعة أبواب لأجل أن يجعلهم على قلعة الجبل فقالت الملكة تاج ناس لا تلزمهم منى إلا فى مصر فركب السلطان وسار إلى مصر فوجد الابواب مركبة حكم مطلوبه ففرح بذلك السلطان وطلع إلى قلعة الجبل وأقام على تخت مصر فى أمان يتعاطى الأحكام [قال الراوى] لهذه الاحكام إلى ليلة من الليالى قلق السلطان من منامه وقام يتسلى فى السراية ليلا فسمع صوت ولده أحمد سلامش وهو يصرخ صرخات عاليات متتابعات وكان الملك طالعا من خلوة الاصابة من عند الملكة فسار إلى خلوة أحمد سلامش فالتقاه ساحب سيفه وهو داير هايج فى المحل ففزع فيه السلطان فرآه منذهل العقل فراوغه مراوغة السراع فقبضه فى حضنه فصار فى يد أبيه يلتوى وهو غائب عن الدنيا وما دام كذلك إلى آخر الليل فقام الملك قضى عذره وصلى الافتتاح وقرأ ورده وطلع إلى الديوان فكان ابنه افاق ولكنه ضعيف البدن فتأسف السلطان على ولده لانه أشجع أولاده وفى الليلة الثانية كذلك فعل مثل الليلة الاولى فقعد الملك عند رأسه طول الليل وفى النهار يتعاطى الاحكام وفى الليلة الثالثة قام بعد العشا فأتاه أبوه وحضنه إلى ميعاده ودام كذلك سبعة أيام إلى أن ضاق صدر السلطان من ذلك إلى اليوم الثامن نظر إبراهيم فى وجه السلطان فقال يادولتلى لابأس عليك ماالخبر فحكى له على ولده أحمد سلامش فقال إبراهيم يا ملك الدولة أنا عندى كتاب أنواع الحكمة كاملة فيه ولابدلى أن أعرف داءه ودواءه فقال السلطان اطلع يا إبراهيم وانظره فأخذ الطواشى قدامه يأخذ له دستور ودخل المقام ابراهيم على الملك أحمد وتامل فيه وقال يا ملك أحمد أنا عرفت حالك وان قلت لأبيك ذلك يغضب عليك فان أفعالك هذه أفعال عشق وان حكيت لى ءأنت فيه والاسم الاعظم أجتهد

فى قضاء حاجتك وابلغك امنيتك وان خالفتنى فانت وشلك اخبر فقال أحمد يا مقدم ابراهيم أما من جهة انى عاشق صدقت فانى بليت بحر نار الهوى وملكنى الشوق والصبابة والجوى وأصابنى الداء الذى ماله قط دواء فقال المقدم ابراهيم ياهل ترى مع بنت من الامراء ومن الفداوية ومن أولاد التجار المسمية فقال واﷲ ياعم ما أعرف أنا عشقت من ولا من هو الذى اذاقنى هذا العذاب المهين وأنا احكيلك على أصل بليتى من قبل أن أموت بحسرتى ولوعتى وهو انى رأيت فى المنام انى ماشى بين أشجار وانهار واثمار وأزهار فى بستان ماله حائط ولا جدار فمشيت فيه سبعة أيام حتى عبرت على باب مدينة وعلى باب المدينة برج من حجر الرخام فدخلت فى تلك المدينة وسكنت فى خان فبت فى الخان إلى الصباح فلما أصبحت لقيت بجنب الخان حماما فدخلت الحمام واستحميت وطلعت من الحمام فلقيت دكان رجل خياط يترقع فى العلو فرفعت عينى إلى فوق فرأيت كشكا فيه انثى وبيدها كوز نحاس أصفر تسقى زراعة خضراء والبلد بلد اسلام فلما نظرت تلك البنت هام بها قلبى وتبلبل خاطرى ولبى فاعترانى هذا الجنون وها أنا حكيت لك ياابو خليل فقال ابراهيم يا احمد إذا كان التى عشقتها لم تعرف أهلها ولا مكانها فكيف تطلب أن تنالها بالجنون فهذا ياولدى شىء لا يكون ان طاوعتنى فانا أجمعك بها ولكن مع العقل والتدبير يسهل كل أمر خطير فقال أحمد أنا أطاوعك على كل ماتريد وأكون لك من العبيد مهما علمتنى على كل ماتقول فانا عن مرادك لا أحول فقال له عندما آتيك بحق ملآن حلاوة تأكل منه وتقوم تلبس ثيابك وتترك هذا الذى أصابك ولما أغيب عنك اشكى بقلبك وإذا سألك ابوك اشلك له من مغص القلب وخل باقى الكلام على أنا فقال له طيب فقام ابراهيم فسأله السلطان ما الخبر فقال طيب وأنا أعمل له دواء فى حق يطيب عليه فأعطاه الملك الف دينار فصنع حقا من النحاس وملاه حلاوة مربية وأعطاه لأحمد فأكل منه قليلا وقام ولبس عمامته وملابسه وانتقل من الجنون إلى العقل والسكون فقال السلطان حقيقة يا مقدم ابراهيم انك حكيم فقام السلطان وطلع السراية فالتقى ابنه راقد فقال له أحمد ما الخبر فقال خير رأسى سلم أما قلبى موجوع فقال السلطان هاتوا ابراهيم فنادى الاغا ريحان يا ابراهيم فلما حضر قال السلطان أحمد يشكى بقلبه فقال ابراهيم يا دولتلى أما عقله صح ما فيه شك ولا ريب وأما وجع القلب هذا له عشب فى الجبل اسمه عشب المعدة فقال السلطان خذ أموالا على قدر الكفاية من الخزنة وروح هات العشب الذى تقول عليه فقال ابراهيم يادولتلى العشب هذا يأكله الآدمى بفمه مثل ما يأكله الاغنام فهذا يبرأ من السقام فقال السلطان إذا كان هذا دواء

خذه معك وسافر به إلى ذلك الجبل وخذ معك عسكر لأجل المحافظة فى الطريق وخذ أموالا على قدر الكفاية فقال إبراهيم أنا ما أريد غفر يخفرنى ولا أريد إلا كتاب لجميع نواب البلاد انى كلما أحتاجه من أموال آخذه فكتب السلطان كما أراد وأخذ الكتاب المقدم إبراهيم وطلع من قدام السلطان وأخذ معه الملك أحمد سلامش على أنه يداريه كما وقع الاتفاق وركب إبراهيم حجرته وركب أحمد سلامش جوادا من أفخر خيول أبيه وجدوا فى المسير ولله المشيئة والتدبير فطافوا بلاد الشام بلدا بلدا وكلما يدخل بلدا يفرجه على أسواقها وعلى خاناتها وحماماتها فيقول له هذه ما هى التى رأيتها فى المنام وبعد ما خلصوا من بلاد الشام دخلوا بلاد الروم وصاروا يدلون بلدا بلدا كما فعلوا بأرض الشام فقال له أحمد يا عمى هذه البلاد كلها نصارى وأما التى رأيتها فى المنام فمدينة السلام.

فقال إبراهيم صدقت ولكن يا ملك أحمد ما يمكن أن أفوت مدينة حتى أدخل بك فيها وأدور بك فى أسواقها ونواحيها حتى تبلغ القصد والأغراض ويقضى الله ما هو قاض وبعد ما طافوا بلاد الأروام دخلوا بلاد الأعجام وطافوا بها مدة أيام حتى وصلوا إلى مدينة ختيان وهى مدينة الملكة تيجان زوجة الملك عرنوس.

فقال المقدم إبراهيم يا ملك أحمد انا اعرف ان هذه المدينة لها ملكة اسمها الملكة تيجان وهى زوجة الملك عرنوس فقال احمد سلامش يا عمى وانا ما لى بها انا قلبى مولع بغيرها والله يا عم ان عقلى ضاع منى ولو علمت بحالى كنت تعذرنى

فقال المقدم ابراهيم لابد يا ولدى من القدوم عليها لأن الله يسبب اسبابا ما احد يعلمها فقال له ادخل بنا لعل الله يسهل لنا ثم انهم دخلوا على الملكة تيجان وكانت تعرف المقدم ابراهيم من نوبة ما كانت مع السلطان فى كلام قبطاويل وكانت لما وصلت الى مدينة الرخام ولقت الملك عرنوس له ازواج فما هان عليها ان تقعد معهم وتترك ملكها فقالت له انا لم اقدر افوت بلادى فأعطاها عقدا من الجوهر ومعضدا من الذهب وكتب لها نسبه فى لوح من الذهب وقال لها ان جاءتك بنت البسيها هذا العقد فى رقبتها وعلقى فيه هذا اللوح وان جاءك ولدا اربطى هذا المعضد على ذراعه فقالت سمعا وطاعة وركبت من مدينة الرخام وجاءت الى مدينتها واقامت بها

[قال الراوى] ولما دخل عليها المقدم ابراهيم بن حسن عرفته ولقيت الملك احمد سلامش بصحبته فرحبت بهم واستقبلتهم احسن استقبال واكرمتهم وقامت بواجب ضيافتهم وبعد ما قضوا ايام الضيافة سألتهم فقال المقدم ابراهيم يا ملكة هل سمعت فى بلاد العجم اوغيرهم مدينة لها سوق فيه خان وجنب الخان حمام وقدام الحمام خياط فى دكان وهى بلاد اسلام وايمان فقالت له اصبر حتى اسال لك من التجار

والسفار ثم إنها أرسلت من عندها أحضرت جميع التجار والسفار الذين فى بلدها وسألتهم فقالوا لها ياملكة هذه صفة بلاد الخرزم دخلناها وإن ملكها يقال له الخرزم وله أخ يقال له محمود والاثنان فى المملكة سواء وأما المدينة اسمها مدينة الخرزم وبيننا وبينها مسيرة أربعة عشر يوما فقامت الملكة تيجان وأحضرت اليه كل مايحتاجون اليه فى الطريق للسفر وركبت وزيرها وقالت له لاتعد إلا بكتاب منهم فقال سمعا وطاعة وسافروا حتى رأوا بستانا فقال أحمد هاهو البستان الذى رأيته فى المنام ومن هنا عرفت الطريق ولا بقينا نحتاج لرفيق فكتب المقدم ابراهيم كتابا للملكة تيجان بالسلام والاطمئنان وعاد الوزير وسار الملك أحمد فى ذلك البستان حتى وصل إلى باب المدينة وقال عم هذا البرج وهذا باب المدينة ثم انه دخل هو وإياه وضحك أحمد وقال هذا السوق الذى رأيته فى المنام وهذا الخان وهذا الحمام وهذا دكان الخياط لا كلام ثم إن أحمد قال يا عمى أنا قصدى أفعل كما فعلت فى المنام أول كل شىء ندخل هذا الخان نبيت فيه وغداة غد ندخل الحمام فقال له المقدم إبراهيم ادخل بنا فدخلوا وباتوا ليلتهم وعند الصباح خرجوا سواء ودخلوا الحمام فاستحموا وتنعموا ثم بعد ذلك خرجوا من الحمام فقعد الاثنان على دكان الخياط فقال أحمد يا عم ارفع رأسك وانظر إلى ذلك القصر فرأى كلامه يضاهى منامه فقال ياملك أحمد لو لا أنها مؤمنة مسلمة والاسم الأعظم ما كنت أبيتك هذه الليلة إلا معها وكنت أذبح كل من كان يحجبها ولو كان من جن سليمان ولكن ياملك أحمد هذه يلزمها طول البال حتى تبلغ الآمال .

فقال أحمد سلامتك صدقت ولكن آه

أمر ما ألقاه من ألم الجوى　　قرب الحبيب وما اليه وصول
كالعيس فى البيداء يقتلها الظما　　والماء فوق ظهورها محمول

تم الجزء التاسع والعشرون ويليه الجزء الثلاثون

من سيرة الظاهر بيبرس

الجزء الثلاثون من

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة

[قال الراوى] فتعجب المقدم إبراهيم من فصاحته وكلامه بالأشعار وقال له يا ملك هذه لا تكون لك زوجة إلا بكتب الكتاب وعقد ومهر وصداق فانها مؤمنة ولا يجوز سرقتها فقال له احمد يا عم أنا تحت رأيك ولا تصريف إلا بمشورتك فصاروا كل يوم يطلعون من الخان ويقعدون على دكان الخياط مدة ثلاثة أيام إلى يوم من الأيام نظر المقدم إبراهيم إلى احمد فرآه مشغولا بالنظر إلى ذلك القصر فصبر عليه حتى خلى باله فبكى احمد فقال له إبراهيم ماأبكاك ياملك فقال يا عمى انظر إلى التى تسقى الزراعة ماهى التى رأيتها فرفع إبراهيم راسه إلى القصر وقال ياملك هذه جاريتها وأنا أقول إن صح نظرى فيكون مثل مارأيت انت هذه البنت تكون رأتك مناما فانشغلت كما أنت مشغول وقد اعتراها السقام من حين رأتك فى المنام والرأى عندى أن تتخذ صنعة الحكمة ونجعلها لنا صناعة لعلنا أن نكسب فى هذه البضاعة ثم انه سأل له الخياط وقال له هل تعرف لنا دكانا نفتحه لنستعين فيها على المعيشة فقال له الخياط إيش صنعتك فقال انا حكيم وهذا ولدى وهو فى الحكمة فهيم فقال الخياط والله أنتم المطلوبون لأن الملك الخرزم له أخ يقال له القان محمود وله بنت اسمها فاطمة فاعتراها فى عقلها انذهال واحتارت الحكماء مما رأوا من هذه الأحوال وآخر ان الحكيم الكبير صنع صورة من الشمع ووضعها عندها فتارة تنظرها وينشرح صدرها وتارة تنظرها فيضيق منها صدرها وضاق صدر الملكين من أجلها فانه مالهم أولاد سواها وهى بديعة الجمال جل من خلقها وسواها [قال الراوى] فلما سمع المقدم إبراهيم هذا الكلام فرح بهذه الأحكام وقال له هل تعلم لنا مكانا نفتحه أو دكانا وإن كان هذا الملك يطلب لبنته دواء فها نحن موجودون ولا يخفى علينا الهوى فقال له الخياط إن الدكان بجوى تحت القصر كان فيها عطار وتوفى وهى الآن خالية من السكنى فخذها واجعلها وطنا فقال المقدم

ابراهيم هذ هو الصواب فعند ذلك قام الخياط واحضر صاحب الدكان وأخذ لهم منه المفتاح وفتحوها وبيضوها ونقشوها فبقيت مثل الروضة المزخرفة واحضر المقدم ابراهيم أحقاقا صيني ومرتبانات ووضع فيها مربات وحلاوات ومعاجين من كل شيء فاخر وقعد احمد سلامش على باب الدكان وهو كانه فريد الغزلان أو بدر كامل في نصف شعبان فانبهرت أهل المدينة وكل من رآه يقول سبحان الله الذى خلقه وسواه وصارت النساء يمرون عليه ويشكون له الآلام فيطعمهم من الحلاوات التى تشفى السقام ودام الأمر كذلك مدة أيام وشاع خبر الحكيم المصرى فى هذه المدينة حتى بلغ الخبر إلى الملك الخرزم وأخيه القان محمود فقال لأخيه يا أخى اطلب هذا الحكيم لعله يكون أهلا فهم لكشف بليتى وعلى يديه تطيب ابنتى فعند ذلك ارسل طلب ابراهيم فلما حضر بين أيادى القان محمود قال له أريد منك أن تداوى بنتى من هذا الانذهال الذى أصابها فقال ابراهيم ياقان الزمان اعلمنى عن اسمها واسم امها احسب نجمها فقال هذا لايجوز ياحكيم ولايمكن بين أياديك ذكر الحريم فقال المقدم ابراهيم اذا لم يمكن ذلك فانا اريد اصنع لها صورة من الشمع المكرر الأبيض حتى اكتب عليها واضعها بين يديها فاعطاه اجازة على ماقال وقال له خذ ما تريد من الاموال فنزل ابراهيم بن حسن واجلس الملك احمد بين يديه وجمع من الشمع الابيض على قدر جثته وصار يتأمل ويصنع صورته حتى تكاملت صفته وبقيت هذه الصورة كل كل من رآها لا تنقص عن الملك احمد الا نطق اللسان وتحريك الاعضاء واليدان وقام المقدم ابراهيم وقال ياقان الزمان ضع هذه الصورة بين يديها بعدما البسها أفخر الملبوس فقال القان محمود لاغا الحريم خذ دستور واطلع قدام الحكيم حتى يضع هذه الصورة فى مكان مستقيم فطلع الفداوى ووضعها فوق أعلى الفراش ثم نزل هذا ماجرى هاهنا

[قال الراوى] إن أصل شكيان فاطمة بنت القان محمود ذلك انها ليلة من الليالى وهى نائمة فرأت فى المنام انها واضعة تحت شبابيك قصرها زراعات ياسمين وبيتران ولما وقفت تسقيها الماء فنظرت إلى تحت القصر فرأت على دكان الخياط شابا جميلا قاعدا ووجهه مرفوع إلى جهة القصر فانشغلت برؤيته وفاقت من المنام فلم تجد لها صبرا على الجوى ونار الغرام وقد اشتد بها الهوى والهيام فانذهل عقلها وتاه فلما وجهت النظر فى ذلك الشباك شغلها واصنعت هــــذه الزراعة وحطتها جنب شباك القصر لأجل أن تسقيها بيدها وجعلت ذلك شغلها وطال عليها المطال وتلف الهوى حالها واعترتها البلبال حتى كان ما كان وطلع المقدم ابراهيم بالصورة معه ووضعها

فى صدر المكان ونزل الى الدكان وبعد ما نزل ابراهيم طلعت البنت الى ذلك المكان ونظرتها فوجدتها هى الى اصل بليتها والتى فى المنام رأتها فمالت عليها ببكائها وانحنت عليها بقامتها واحضنها ضمتها وقد تعلقت بمحبتها وصارت تشاهدها وبرد جواها وعرفت امها واباها ففرح ابوها بذلك الحال واقامت على ذلك الحال فاندعك الشمع من النفس وساح بعضه من الدعس واللمس فصعب عليها وبكت فحصل عندها اشتغال ثانيا فدعا أبوها ابراهيم وقال يا حكيم ان الذى فعلته انفسد فقال ياقان الزمان أنا آتيك بصورة مثلها ونضعها فى صندوق ونجعل لها طاقة من الزجاج لتراه منها فقال افعل ماتريد فاصطنع صندوقا وادخل فيه أحمد سلامش ووضعه محل الصورة فلما انشغلت بالنظر اليه وكان الصندوق ينفتح من داخله فلما جن الليل ونامت ففتح الصندوق وطلع لها ونظر إلى جمالها فاشفى قلبه بالمشاهدة اليها وهكذا ثلاث ليال وفى الليلة الرابعة حست به انه قبل فمها ولما تحركت دخل فى الصندوق فبقت بين المكذبة والمصدقة وفى الليلة الخامسة امتنعت من النوم وجعلت نفسها نائمة وهى مختفيه حتى طلع من الصندوق فقبضته بيدها وقالت له من أنت حتى وصلت إلى هذا المكان ودخلت الى محل أبناء الملوك ياشيطان

فقال لها ما انا شيطان انا الذى ابلانى الله تعالى بالحب والهيمان ونقلنى من ملك أبى الى ذلك المكان فى صفة غريب كئيب ولهان فقالت له وما اسمك بين الفتيان فقال لها أنا اسمى احمد سلامش وأبى الملك الظاهر وسبب مجيىء الى هنا انى رأيتك فى المنام فانذهلت وضاقت بى الدنيا فشكوت الى ساعى ميمنة أبى المقدم ابراهيم بن حسن وعمل لى حيلة حتى اوصلنى الى هذه الاقطار فقالت وأنا رأيتك فى المنام وجرت على هذه المصائب والاحكام فاطلبنى من أبى فأنت على غاية مطلبى فقال لها وكيف أقدر أروح لأبيك واخطبك وانا داخل عندك فى صندوق

فقالت اخرجك من باب السر الى رفيقك الذى معك وتخبره بالقصة فانى لا أطيق عنك الصبر ولا ساعة وفتحت له باب السر فطلع الى المقدم ابرهيم وقد اخبره بما وقع له من الاتفاق فقال له إن أشهرتك فيشق على أبيك ونخاف أن تطمع الأعداء فيك ويقتلوك ولكن اصبر حتى تأتى العرضيات بالأمور المقضيات فان الله يسبب الاسباب بما لم يكن فى الحساب فاقام احمد على مضض وهو صابر ثلاثة أيام فضاق صدر فاطمة وقالت كأنه نسى ولكن أنا أفكره ثم انها تزينت وأخذت بعض طواشيها وصارت طالبة الحمام

بعدما أرسلت إلى الحمامى أن يخليه اليها وأن لا يدخل احدا غيرها وخدماتها فخرجت وقصدت الحمام

[قال الراوى] وبما وقع من الاتفاق أن ملكا فى بلاد العجم يقال له كافرخان وله وزير اسمه عبد نار وكافرخان له على مدينة الخرزم خزنة مال تحمل اليه فى كل عام وكان هذا الوزير عبد نار كافرا فاجرا وهو الذى يتكل عليه كافرخان فى كل شدائده لانه سيف نقمته ويرسله فى سائر مهماته وهو مولع بالبنات فاسق فاسد ملعون ويحب النساء البنات وهو مفتون فاتفق أنه جاء فى هذا العام يطلب الخراج من محمود شاه ملك الخرزم فصادف فاطمة وهى قاصدة الحمام كما ذكرنا فاخذها فى الطريق غصبا ونهبها نهبا وضرب أول طواشى فقتله وهرب الباقون فوقعت ضجة فسأل احمد سلامش الخبر فأعلموه الناس أن فاطمة بنت القان محمود خطفها هذا الوزير فقال احمد ومن أين أتى اليها فأعلموه بخبرته وهو قادم ومعه الف فارس من الاعاجم فعارضه الملك احمد وهو يهدر هدير الاسد

[يا سادة] لم يكن فى أولاد الملك الظاهر اشجع من احمد لان السعيد عالم وأحمد سلامش فارس وأما الخضر العادل فانه ولى قال الناقل لما وقع احمد سلامش قدام العجمى ونظر إلى صورته وكان الملعون يمشى تحت الرايتين فلما نظره تذكر راية اللواط فقال ما الذى تريد فقال اريد أن تطلق البنت من يدك لاجلى فقال انت المطلوب ثم تقدم اليه وهو يظن أنه محبوب فكلمه بكلام الفحش والفجور فضربه الملك احمد بالحسام على وريده طاح رأسه من بين كتفيه فتهاجمت الالف عجمى على الملك احمد فصاح المقدم إبراهيم حاس الله أكبر لقهر اليوم يا انذال العجم وعباد النار

دع التلاهى ولبس الخز والتنعيم إلى الاسنة التى قد طممت تطعيم
كونوا ابرزوا المعامع واتركوا التوهيم ومن تنمرد فما خصمه سوى ابراهيم

[قال الراوى] وجذب المقدم ابراهيم ذات الحيات ومال على الالف عجمى كما يميل الجارح على الجراد وكان له يوم مهول بددهم على الارض عرضا وطول وذاقوا منه الضربات التى منها المهلكات والطعنات النافذات ودام على ذلك إلى آخر النهار فولوا الادبار وركنوا إلى الهرب والفرار وتشتتوا فى فلوات القفار وعاد المقدم ابراهيم وهو يتمختر والدماء من حد شاكريته يتقطر وكان الخبر قد وصل إلى القان محمود شاه فركب وأتى الى المعمعة فرأى الفداوى ابن حسن اجلاها وأوقد نار الحروب واصطلاها واهلك الكفار وأجرى دماها

[قال الراوى] فقال القان محمود شاه لمن حوله ان هذا الحكيم اتانا نافعا لبنتى من كل الجهات أولا حماها وخلصها من العارض الذى كان اعتراها وهذا النهار خلصها من اعداها وأهلك عباد النار وافناها فترجل القان محمود اليه وقبل يده وقال صان الله عرضك كما صنت عرضى وأدخله الى الديوان وأجلسه فنظر الملك احمد ذلك نطلع اليه وكانت البنت دخلت الحمام قعد احمد سلامش على باب الحمام حتى خرجت ودخلت إلى سرايتها وطلع أحمد إلى الديوان ليلحق المقدم ابراهيم فلما طلع قام اليه وصاح وصل ابن ملك الدولة الملك الظاهر فقال القان محمود من هو هذا ياحكيم الزمان فقال هذا احمد سلامش ابن الملك الظاهر ملك مصر والشام وسائر بلاد الاسلام فقام القان محمود وملك الخرزم وسلموا عليه وعملوا له الضيافة فقال ابراهيم نحن جئناك ياقان محمود خاطبين وفى جنابك راغبين فقال أناوبنتى وكل ماتملك يدى لمولانا الظاهر وبنتى حبا للملك احمد فقال ابراهيم والله ما أخذها إلا بالمهر والصداق ولاتدخل إلا فى بلاد السلطان فقال ابوها أولا نعمل فرحها هنا فقال ابراهيم وهو كذلك ثم انهم شرعوا فى الفرح هذا ماكان منهم [وأ اما كان] من الملك الظاهر فانه طال عليه غياب ابنه الملك احمد سلامش فقال سعد ماأخذه ابراهيم إلا يشحت على قبوله فعند ذلك ركب الملك الظاهر وأخذ معه سعاة ركابه سعد وابنه وعيسى وبقى السعاة وسار من مصر كلما ر ببلد يسأل عن ابراهيم فيخبرونه انه اخذ اولاد كداوسافر وما دام على ذلك حتى وصل إلى مدينة شيتان وسأل الملكة نيجان فأعلمته انهم راحوا إلى بلاد الخرزم فسار الملك حتى وصل إلى المدينة ودخل فى خان وأراد أن يشترى طعاما فقال الخانجى ان ابن قان العرب هنا تزوج بنت القان محمود شاه وهى الست فاطمة الخرزمية فقام الملك الظاهر ومشى إلى الديوان فلما رآه المقدم ابراهيم قال يااحمد ابوك حضر ثم انه قام على الاقدام وقال وصل ملك الاسلام فقام كل من كان حاضرا فى ذلك المقام وتلقوا السلطان وقبلوا الارض بين يديه فالتفت إلى ابراهيم وقال له أى شىء تعمل هنا فقال ياد ولتلى أنا ماعملت ضرورة أما لقيت ابنك يتكلم بالاشعار فعلمت انه عاشق محتار ففعلت هذه الفعال حتى ابلغه الآمال والمال الذى أخذته من البلاد فهو من اجل ابنك حتى يبلغ المراد فقال السلطان أما المال سامحتك فيه فقال القان محمود شاه والله يا ملك الاسلام ان ابنك اضرم علينا نارا لا تطفى وهو الملعون كافرخان صاحب مدينة الهوى فانه قتل وزيره وقتل الف عجمى من عساكره وهانحن منتظرون قدوم عساكره فقال السلطان ولأى شىء ننتظر عساكره انا أركب وآخذ لك بلاده واهلك عساكره وأجناده فقال احمد سلامش خل عنك يا مولانا انا اركب عليه وأهلكه والعن والديه ثم انه اخذ سعاة الركاب وهم ابراهيم وسعد ونصر الدين وعيسى الجاهرى

ويعقوب الدبر ومحمد القندور وباقى سعاة الركاب واخذ الفين من مدينة الخرزم من
ارباب الحرب والقتال وركب الملك أحمد مقدم العسكر وعلى يمينه المقدم ابراهيم
ابن حسن وعلى يساره المقدم سعد بن دبل وساروا طالبين قلعة الهوى [وأما
ما كان] من أمر القوم الذين انهزموا من قدام ابراهيم بن حسن فانهم ساروا فى
هزيمتهم حتى دخلوا على القان كافرخان فى قلعة الهوى وهم يدعون بالويل والثبور
وعظائم الامور فسأل القان عن الخبر فحكوا له بقتل عبدنا وزيره فانزعج
وغضب غضبا شديدا وقال بلغ من قدر ملك الخرزم أن يقتل وزيرى ثم انه صاح
فى عساكره وركب فى خمسة آلاف مقاتل وسار يطوى الارض طالبا مدينة
الخرزم فبان غباره للملك أحمد فالتفت إلى المقدم إبراهيم وقال له انظر ياعم هذا
العسكر فقال إبراهيم هذا شىء معلوم أمره وما بقى ينفع الاهمال وانما أنا اتقدم
وسعد ابن خالتى وعيسى ابنى ونصر الدين ونأخذ معنا ستة مقادم أولهم منصور
العقاب وآخرهم حسن النسر ابن عجبور ونقصد الاعلام حتى نصلوا اليها وباقى
الرجال من خلفنا وأنت ياملك أحمد كن من خلف العسكر فقال الملك أحمد ايش هذا
الكلام أنا تأخر إلى وراء العسكر لاى شىء واقه ما اكون إلا اولكم ثم انه ركب
رأسه فى قربوص سرجه وانفرد وتبعه ابراهيم ففعلت الفداوية مثل فعاله ونظر
كافرخان إلى هذه الطائفة القادمة عليه فاراد أن يرتب عساكره فما أحد امهله
لان الملك عرنوس والملك أحمد والمقدم إبرهيم والمقدم سعد ومن معهم صاروا
يبترا الاعجام هبرا وينثروا رؤسهم نثرا وفرقوهم خمسة خمسة وعشرة عشرة
وداموا كذلك يضربوا بكل حسام صمصام حتى وصلوا إلى تحت الاعلام فتقدم
المقدم ابراهيم لحامل العلم فابرى عنقه كبرى القلم وسعد خطف العلم وأما الملك كافرخان فا ه
لما رأى نفسه فريدا أراد أن يولى فقال له الملك احمد إلى اين ياملعون وانكب عليه
بهمته وصرخ فى وجهه وضربه بالحسام فى جبهته فدقه الى حد سرته ونظرت باقى العساكر الى
ملكهم قتيلا وعلى وجه الارض جديلا فصاحوا على بعضهم الهرب الهرب والاجل بالاعجم
العطب ثم انهم ولوا مدبرين والى الفرار طالبين فانفرد المقدم سعد والمقدم نصر
الدين الطيار ومحمد القندور وتبعهم جماعة من الفداوية وطلبوا قلعة الهوى وكان
السابق سعد او ابنه فملكوا الباب وضربوا من البوابين الرقاب وادركتهم الفداوية
على الاعقاب ووقع الضرب خطأ وصواب وجرى الدماء على التراب وبلوا الاعداء
بالعذاب وشكوهم الفداوية بالحراب وكانت وقعة يالها من وقعة شابت منها

الشباب وحام على جثة القتلى اليوم والغراب وهلكت العجم وعادوا على وجه الارض رمم وجرى عليهم ماخط بالقلم وزالت عنه النعم وشربوا كاسات النقم وساروا بعد الوجود عدم فنادوا الامان الامان فقال الملك أحمد لا أمان [إلا لمن يسلم ويدخل في دين الاسلام وأما الكافر ماله غير الضرب بالحسام فمن أسلم سلم والكفرة راحوا على براشق السيوف كالقطن المندوف وملك الملك أحمد قلعة الهوى وعلى الاموال والذخائر قد احتوى ثم انه كتب كتابا بما جرى وأرسله إلى أبيه الملك الظاهر مع المقدم سعد يخبره بما جرى فقال السلطان للملك الخرزم أنت في قلب مدينتك وهذه قلعة الهوى خذها ياقان الزمان هدية من احمد ابنى في نظير مازوجته بنتك فقام الملكان على أقدامهما وقبلوا أيادي السلطان وقالا له ياملك الزمان نحن أخوين على الخير والشر سواء وها نحن من جملة عتقاء سيفك وسيف ابنك الذى حمى أعراضنا من الفساد وصان حريما والاولاد ثم أن القان محمود اجتهد في جهاز ابنته من كل شيء فاخر وقال ياملك الاسلام أنا قصدى الحج إلى بيت الحرام وأسير تحت ركابك الى بلادك ومن هنا أنت تنعم على بالسفر إلى زيرة قبر الرسول فركب الرسول وركب أحمد واحضر العروسة تختروان وركب القان الخرزم لوداع السلطان ووداع أخيه وسار معهم ثلاثة أيام فحلف عليه السلطان ورجعه إلى بلاده وأما القان محمود فانه سار مع السلطان حتى نزلوا على مدينة الملكة تيجان فكانت لها عيون عليهم وهى منتظرة لقدومهم فعزمت السلطان ومن معه ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلب السلطان الرحيل فقدمت له الملكة تيجان الهدايا والتحف وقدمت لفاطمة عمارية من الفضة تمشى على عجل من الخشب الصاج الهندى وأربعة خيول كحايل وأهدت للملك أحمد سيفا ساحة جرابه من الذهب الأحمر وقبضته من خالص الجوهر وودعتهم وسافر السلطان ليالى وأيام حتى وصل إلى أرض الشام وعند النزول نظر أحمد فى العربية فلم يجد زوجته فاطمة فحس أن مفاصله تفصلت وأن روحه من بدنه قد سلبت فصاح آه فقال الملك ما الخبر وقام السلطان على حس ابنه فالتقى فاطمة عدمت فقال ياولدى لا تحزن وحق الاله الأزلى القديم المتجلى لا أنتقل من الشام إلا بزوجتك ثم انه نادى على العرضى بالاقامة وقال يا بنى اسماعيل كل من أتانى بزوجة ولدى له على تمنية يتمناها بكل ما يريد فطلعت الفداوية وطليت الجبال يفتشوا على الست فاطمة الخرزمية وكذلك السلطان وابنه وباقى الخدام أقاموا بالشام

[قال الراوى] وكان الذى سرق فاطمة الملعون جوان ومعه البرتقش والسبب فى ذلك

أن جوان لما ضربة شيحة بعد موت قبطا آخر قبطاويل وأطلقه فصار بفيقه يدور
على من يقوم مقامه من ملوك النصارى وطلب منهم أن يركبوا على بلاد الاسلام
فلم يطعه أحد فصار كالمجنون وقال يا برتقش كيف العمل وملوك الروم عاصين علينا
فقال البرتقش يعنى اذا قعدت فى بحيرة بقرة حتى ينقضى عمرك ويجىء شيحة يقطعك
على العربية ماهو أحسن لك من هذا التعب فقال جوان يابرتقش مايرتاح جوان الا
اذا رأى الدماء تجرى بين الاسلام والنصارى وأما إذا بطل ما يرتاح جوان أبدا
ولكن نروح جهة الشام لعلنا نلتقى داهية نرميها على المسلمين ثم انه سار مسافرا حتى
وصل الى حلب فالتقى تجارا قادمين من بلاد العجم فتزيا بزى العجم وتقدم وسأل عن
البلاد فأخبروه بما جرى فى مدينة الخرزم وقلعة الهوى والملك الظاهر وزواج ابنه
ببنت القان محمود وهو قادم بالبنت وأبوها قاصد الحج الى بيت الله الحرام فعاد للبرتقش
وأعلمه بالذى سمعه وقال يابرتقش مرادى أسرق البنت وأروح بها إلى بلاد النصارى
فقال البرتقش وأى فائدة لك فى سرقتها قال جوان أذية المسلمين فرض على جوان ثم
انهم انتظروا قدوم السلطان واختلطوا بالعساكر الاعجام الاسلام وعند دخولهم
الشام اندك على العمارية وأطلق البنج على جميع الخدمة الذين حولها وبالجملة فاطمة واندك
البرتقش لفها فى ثيابها وحملها وطلع ليلا وكان الحمل حطه على باب الشام آخر الليل وجرى
ما جرى للسلطان والرجال وأما فاطمة فانها لما أفاقت وجدت نفسها قدام جوان
فوق جبل عالى فقالت أنا فى أى مكان فقال جوان أنت عندى لا تخافى من شىء
وإنما فعملك جناقة فقالت جناقة يعنى أى شىء هو جناقة ولم تعلم ما قال فعرفها
البرتقش فقالت للبرتقش أنا فى عرضك ياعم ان كنت من أهل المروءة فقال لها
البرتقش لا تخافى فأراد جوان أن يفتضها فقال له البرتقش أنا الذى جئت بها
امتنع عنها والا والاسم الاعظم ان تعرضت لها أفرى كرشك بالخنجر واطلع أقول
الكلمة التى تعرف انى أقولها فى كتاب اليونان فقال له جوان يا بختك يا برتقش
يختم الك بخاتمة السعادة فقال يا جوان لما تعرف أن دين الاسلام سعادة أسلم أنت
وانا حتى نفوز بالشهادة فقال يابرتقش او عاشه انهم أخذوا البنت وهى باكية الى
دير اسمه دير بطرس قريب من الشام فرأوا فيه فصل من قناصل الافرنج وعلى
رأسه شربوش وهو من صنعة الحكماء وهو منسوج من شرائط ملوك الذهب
له أربع عصائب فى كل عصابة سبعة فصوص من الجوهر كل فص إذا نظروه يرجع
بالله بنى الاصفر وشابات كنوزى بشرائط مرصعة بحجر الالماس نورها

يأخذ البصر ومحتزم بمنطقة مرسومة بقلائد وصلبان من صنعة ملكة القياصرة فتعجب جوان من تلك البدلة ومن ذلك الغلام الذى لابسها وقال يا برنقش أنا عمرى ما رأيت هذا الغلام . لا أعلم من أى البلاد هو فقال يا جوان قدم انحشر فيه لأجل أن يموت أو تخرب بلاده أو يسلم ويدخل عند المسلمين فقال جوان قبل كل شىء أنا أعاديه بهذه البنت لأنه أحسن من ابن دين المسلمين ثم تقدم جوان وقرأ قداس وهو يغلط ويلحن يستأهل اللعنة فى الحياة وبعد الممات فقال له القنصل من أنت فقال أنا عالم ملة الروم فقال عالم الملة كلها والا لما ترك غيرك فقال البترك غير جوان وأما هذا رأس البتاركة فى بلاد الروم فقال له ومن أين أتيت فاخبره انه سرق بنتا مسلمة فقال له نعم ما فعلت هذه من جملة المجاهدة فى دين المسيح ادخلوا فى ذلك المخدع فدخل جوان والبرنقش والبنت معهم فقال القنصل أما البنت هاتوها وأنتم محبوسون ونظر جوان وإذا بالباب مقفول عليهم والحديد فى أعناقهم وارجلهم وأيديهم فقال البرنقش صب يا فرج أنا أقول لك يا جوان ريح نفسك من التعب فما تسمع كلامى خليك لما يجيئك شيحة يشبعك من السوط الغضبان هذه امرأته تاج ناس بنت قبطاويل فقال جوان وكيف العمل يا برنقش فقال البرنقش غير الضرب ما يجرى عليك حاجة

[وأما] الملك الظاهر فانه سار حتى وصل إلى باب الدير وطرق الباب فقال القنصل يفتح الباب وإذا بالباب انفتح ودخل الملك الظاهر فرأى ذلك القنصل قاعدا كما ذكرنا ورأى زوجة ابنه فاطمة الخرزمية قاعدة بجنبه فلما رأى القنصل السلطان قام على حيله إجلالا له وقبل أيادى السلطان وقال أهلا وسهلا بملك القبلة والحرم فقال له السلطان إذا كان عندك على قدر هذا أدب فلأى شىء تجارأت وأخذت زوجة ابنى بالسرقة ووضعتها فى هذا المكان فقال يا ملك الاسلام أنا ما يمكننى ان اتعرض لشىء مثل ذلك أنا جاريتك تاج ناس زوجة المقدم جمال الدين شيحة وأما الذى سرق زوجة ابنك فهو جوان وها هو عندى فى الحديد وأما أنا يا ملك الاسلام فانى جئت اليك أشتكى لك من المقدم جمال الدين لكونه يتركنى فى بلادى ولا اراه مطلقا مع انى انا أقدر على أذيته ولكن حرام على لكونى صرت من أهل الاسلام

فقال السلطان ومن الذى يأتى بشيحة حتى أحكم بينكم فقالت له أنا أقدر آتى به روح يا سحاب هاته فغاب سحاب وأحضره من بيته ووضعه قدام السلطان فقال السلطان يا شيحة أنت ما تستحى اما تعلم أن هذه ملكة بنت ملك وجاهدت معنا فى دين الاسلام فما بقى لها علينا إلا الاكرام ولكن انت يا مقدم جمال الدين قد أخطأت

والحق عليك فقال شيحة يا مولانا مالى بركة إلا هى والحق على فقالت وأنا سامحتك فى الحق لأجل خاطر مولانا السلطان هذه فاطمة خذوها وخذوا هذه الهدية كان من عندى احلوها وهى الملعون جوان والبرنقش فدخل ابراهيم فلق جوان ملان ثيابه من البول والغائط على نفسه لأن الملكة تاج ناس سلطت عليه جانبا البق ومن القاش وسلطت عليه عرقا من الأعوان يخض بطنه مثل خض قربة اللبن فأمر السلطان بحملهم على جمل إلى مصر وسافر السلطان حتى وصل إلى قلعة الجبل بعد انعقاد المركب من العادلية وجلس السلطان وأمر لجوان بالحبس فى العرقانة وشرع فى فرح الملك أحمد سلامش ثلاثين يوما والزينة فى مصر وبعدها دخل أحمد على الست فاطمة الخزرمية وبلغ كل الأمنية وبعد ذلك سارت الملكة تاج ناس بالمقدم جمال الدين إلى مدينة قلوصنة وأما الفان محمد فانه تودع من الملك الظاهر وسافر قاصدا الحجاز على طريق السويس يحج ويعود على بلاد الشام ويقيم فى بلاده عند أخيه الملك الخزرة وأما السلطان فانه جلس يوما فى الديوان فأتوه السجانين وأعلموه أن جوان عدم فقال السلطان إلى حيث القت وقام يتعاطى القصاص ويزيل القصاص إلى يوم من الايام جاءه مكتوب من الطور خذه فقراه يجد فيه من حضرة شيخ عرب الطور إلى بين ايادى ملك الاسلام انه ورد علينا من ناحية بلاد الهند مركب فيها ستون وزيرا كل وزير معه هدية ومقصدهم الوصول إلى ملك الاسلام فامر الملك باحضارهم ورد بذلك الجواب فلما حضروا قدام السلطان وقبلوا الأرض بين يديه وقدموا الهديات اليه فقبلها وهى من قماش هندى وعود قمارى وسكر نبات وقضبان ذهب وفضة وشىء تحير العقول فقال لهم السلطان أنتم جميعا لكم دعوة واحدة أو كل واحد منكم له دعوة فقالوا له يا ملك الاسلام نحن جميعا لنا دعوة واحدة ولم يختلف احد عن احد فقال الملك استخبروا احدكم يحكى لى على تلك الدعوة فاختاروا كبيرهم

فقال اعلم يا ملك الاسلام اننا وزراء لستين ملكا من ملوك بلاد الهند والهند فيها مدينة كبيرة اسمها مدينة السن والكوكب والسبب فى اسمها انه كان ملكها حكيم اسمه لوكيان الحكيم ولم يكن له اولاد بل له تلاميذ وطلبة وفيهم واحد فهيم اسمه بحرم وكان الحكيم جاعلا له رمحا من الفضة وعليه كوكب مثل الشمس فى النهار وفى الليل مثل القمر وسن ذلك الرمح من الجوهر له نور يأخذ البصر فلأجل ذلك سميت مدينة السن والكوكب ولما اتاه مرض الموت ولى على المدينة بحرما وله اخ اسمه نكمدان فاعترى نكمدان هذا داء الورم حارت فيه الأطباء فاتى له حكيم

من بلاد الصين وصنع له طعامات يا كل منها فطاب وسافر الحكيم إلى بلاده وبعد أيام اعتراه الورم ثانيا فأرسل أخوه وأتاه بالحكيم طبيبه وهكذا خمس مرات وبعد ذلك سأله الحكيم بجرم وقال له يا حكيم خذ ما أردت من المال وعلمنا هذا الدواء فاعلمهم أنه لحم الموتى فصار بجرم يحفر القبور ويأتى بلحم الأموات لأخيه حتى صار غولا يا كل فى اليوم والليلة قنطارا من رمم بنى آدم وطال الحال فسموه نكمدان الغول وأرسل يطلب منا عوض الخراج رقيق سرد وبيض فصرنا نشترى له ونرسل وكلما أرسلناه يأكله نكمدان الغول حتى افنى جنس الرقيق ما بقى يأتى إلى بلادنا فامتنعنا فقال لنا اطعمونى بنى آدم منكم فقلنا هذا لا يجوز فصار يركب ويحاربنا فحاربناه ونصرنا الله عليه فاستعمل لنا من أبواب السحر امور الا مثل نار توقد فى بيوتنا وهدم أسوار البلد وتكون فرقا عديين فنجد الدنيا تزلزلات وعجائب مثل هذه فسميناه بجرما أبا العجائب وعمل له ثورا من الذهب يعبده وطلب منا أن نفعل مثله ونصنع لنا ثورا نعبدها فامتنعنا فطلب أولادنا لاجل انه يطعمها لأخيه فلم يهن علينا ذلك فقال لنا الملوك كل من مات فى بلده أحد يرسله اليه فصرنا نفعل ذلك فلم يكفه ذلك أكل أخيه وضاقت بنا الحيل فورد علينا رجل درويش وسأل عن حالنا وألح فى السؤال فحكينا له على هذه الأحوال فقال لنا ان أردتم أن تخلصوا من هذا الظالم الغادر فارسلوا إلى مصر واقصدوا جناب الملك الظاهر فانه فيه الهمة وله غيرة على المؤمنين ويجاهد فى سبيل رب العالمين ونحن يا ملك الاسلام أتينا اليك واعتمدنا على الله ثم عليك فقال الملك خذهم عندك يا وزير حتى أطلبهم منك فاخذهم الوزير وتركهم عن باله ونسى فاقاموا فى بيت الوزير سنة وبعد السنة قالوا للوزير يا دولتلى طال علينا المطال ولم نعلم ماجرى فى بلادنا من الأحوال ماعلم السلطان فاحضرهم إلى بين يديه وطيب خاطرهم وقال لهم سافروا أنتم وأنا الحقكم فسافروا وعلموا أن السلطان ماهو فيهم وإنما هو ملتهى فى قضاء أشغاله [قال الراوى] وترك الملك الظاهر هذه العبارة ولم يذكر لها اشارة وأقام السلطان على ذلك الحال اياما وليالى إلى يوم أتاه واحد عجمى ومعه هدية فقدمها إلى السلطان وقال ياملك الدولة أنا من أرض خوارزم العجم معى متجرا واريد أبيعه فقال له السلطان مرحبا بك فقعد يبيع متجره مدة أيام وبعد ما باع التجارة أقبل على السلطان وقال ياملك الاسلام انا مسافر إلى بلادى فقال الملك مع السلامة بعت تجارتك فقال له نعم بعت ولكن بقى عندى الهدية وهو حصان كحيل صافى أصل امه جات به من خيل البحر عديم المثال وبيعه يا ملك لاناس خسارة لمن لا يعرفه فقال الملك هاته فاتى به وإذا به حصان

أدهم له لانظير له فى الخيل فأمر الركبدار ان يركبه فقال عثمان ياجلاوى هذا ماهو حصان هذه مكيدة من بلاد الهند وهذا جنى فلما سمع المقدم ابراهيم ذلك الكلام حط يده على ذات الحيات وضرب العجمى رمى عنقه فقال السلطان ألا لعنة الله والحصان وغطس مابان كأنه ماكان فقال السلطان هذه مكيدة من ملك الهند فلما تم كلامه الاوابن الرزار يقول أوفى الله الى وزاد فاعطاه السلطان الصرة وانتصب مقطع الخليج ونزل السلطان يتفرج فقدموا له فنجة النيل المزينة وعوموها الى وسط النيل واذا بسمك غليظ رفع رأسه من البحر وهو بجنب المركب وفى فمه كتاب فتعجب الملك من هذه الاسباب ومد يده يأخذ الكتاب فقبض السمك على زند السلطان وجذبه اليه فسقط السلطان فى البحر وغطس مابان فحل بالناس الانذهال وأحضروا صيادين وغطاسين يفتشوا فى البحر على السلطان فلم يجدوا له خبر ولا جابة أثر فانقلبت الافراح باتراح وانزعجت الاقطار بالبكا والنواح هذا والسعيد لاطم على وجهه فقال المقدم ابراهيم ياملك محمد اظن ان هذه مكيدة من واحد سحار لانه عمرى ارأيت السمك يأتى للملوك بكتاب وأرباب الحكمة وأهل التورايخ يخبرون بأن الملك الظاهر وشيحة يقطعون جوان وجوان طيب صحيح فقال السعيد ولله خرق العوائد يبقى يعنى أرباب علم النجوم يعلمون الغيب والمولى ماأعطى سره لاحد وأرباب الفهم قالوا بيتين

قطعتم ياذوات النجم علما على شىء ارق من الهباء
كنوز الارض لم تصلوا اليها فمن أعطا كمو خبر السماء

[قال الراوى]فهم كذلك وأعناق الرجال تمايلت وقد سكت كل منكم انسد باب الديوان وطبله تدق والجاويش يقول ، صل السلطان القلاع الاسماعيلية وملك الحصون القدوسية فقام السعيد يمشى مثل السلطان يلتقى شيحة قال له اقعد مكانك هذه وظيفة ملك الاسلام فقال السعيد ادركنا ياسلطان الحصون فقال شيحة مالك اقعد محل أبيك حتى يعود بالسلامة فان أباك راح بلاد السن والكوكب وهى وسط بلاد الهند فهو راح محمول وانا رايح وراءه ماشى على رجلى والله تعالى يهون العسير فقال ابراهيم صدقت ياعم شيحة فانه كان جاءنا واحد بحصان وانا قتلته فقال الوزير نعم كان جاء من تلك البلاد وزراء ملوكهم يشتكون من ملك اسمه عجرم أبو العجائب وأخوه نكمدان الغول

فقال هذه بلاد بعيدة وانا ان شاء الله لابدلى ان أسافر اليها ولكن أنا أريد وكيلا لى على سلطنة القلاعين والحصونين والمقدم ابراهيم جعلته نائبى ولكن يارجالى اذا علتم

يوقى ابقوا اختاروا الكم سلطانا بمعرفتكم فنزل المقدم جمال الدين وسار الى مدينة قلوصنة ودخل على الملكة تاج ناس زوجته وحكى لها على خطف الملك الظاهر من البحر فقالت له اعلم ان الملك الظاهر خطفه واحد كاهن كافر فى بلاد الهند مقيم بمدينة السن والكوكب وان كنت تريد السفر اليه دونك وما تريد فقال لها هل تقدرى ان تساعدينى على ذلك الكافر فقالت له بشرط انك تحلف بالاسم الاعظم لم تترك على ذمتك زوجة غيرى فقال لها هذا لايكون أبدا فقالت له والله لو تعلم ما يجرى عليك لرضيت فقال انا بعت نفسى فى الجهاد فى طاعة الله تعالى وما أنا أقدر امتنع عن الجهاد ولا امنع نفسى عن خدمة الملك الظاهر وأنا أعلم أن الله يعيننى على نصرة الاسلام فقالت والله يا سلطان القلاعين انا مالى حكم على تلك البلاد فنزل المقدم جمال الدين من قدامها متوكلا على الله تعالى

[قال الراوى] وكان السبب فى خطف الملك الظاهر ان الوزراء لما وصلوا الى بلادهم علم الكاهن بجرم أبو العجائب بقدومهم فارسل اليهم عونا من الاعوان يستمع ماهم عليه فاعلموا الملوك بماجرى وان الملك الظاهر وعدنا بانه قادم علينا فارسل تابعا من طرفه فى صفة عجمى تاجر وركبه على عون وأمره ان يدخل على السلطان بهدية ويدعى أنه تاجر ويهاديه بالحصان وجرى ذلك وقتله ابراهيم وعاد العون واعلم الكاهن بجرما أبا العجائب بقتل الانسى الذى راح معه فأمره ان يتصور هو فى أى صورة كانت والزمه أنه لايأتى الا بالسلطان فعاد وأراد ان يأخذه فلم يقدر لان السلطان دائما يقرأ أوراد فما أمكنه ان يتعرض له الا فى يوم وفاء البحر والسلطان ملهى بالفرجة على البحر فتصور له وأخذه كما ذكرنا ووضعه قدام الكاهن بجرم أبى العجائب فلما صار صار بين يديه قال له انت الظاهر الذى ضمنت للملوك هلاكى أنا واخى نكمدان وتأخذ بلادى وترتب له الخراج الك أنت على الملوك أتباعى كيف تقدر على ذلك وأنا أرسلت خادما من عندى أتى بك الى عندى أسير فقال السلطان مافعلت الا الصواب وهذا يكون سبب هلاكك وأخذ بلادك لانى أنا مامنعنى عن المجىء اليك الا بعد البلاد والمشقة على عساكرى والاجناد وأنا لما بقيت عندك أبشر بخراب بلادك وفناء فرسانك وأجنادك فاغتاظ بجرم أبو العجائب وأراد ان يطعمه لاخيه نكمدان فقال له الوزير يامالك اصبر حتى ننظر من يلحقه ونبقى نقتلوا الجميع سواء

فقال يامالك العرب فى رجالك أحد يقدر ان يأتى الى هذه البلاد فقال الملك كل رجالى يأتون اليكم فقال ومن يدلهم على الطريق فقال اعلم ان شيحة يعرف

طارقات الجان التى لم تعرفوها وسوف يأتى ومعه الفداوية والأمراء وإن شاء الله ينصرهم الله عليكم ويخلصونى من بين أيديكم فقام الكاهن ودخل على بنته وقال هاتى مفتاح الكنز الأعتم فأعطته المفتاح فحبس السلطان فيه وقال له هذا قبرك دفنتك فيه بالحياة حتى تموت كمدا ولا يعلم بك أحدا هذا ما جرى هنا [وأما] المقدم جمال الدين فانه سافر على طريق الحجاز حتى وصل إلى أرض عرب يقال لها سلمى وكفافة أراد أن يستريح فيها لأنه كان قد ضره التعب والظمأ فأقام الى وقت العصر وإذا بجماعة عرب راكبين خيولهم فعملوا حلقة ملعب وساروا يتطاعنون الجريد على ظهور الخيل وفيهم شيخ كبير ولكن عارف أبواب اللعب وخبير على جميع الشباب الذى فى ذلك الملعب فنزل اليه غلام أمرد صغير السن ولاعب مع الاختيار وأتعبه فى اللعب وأكربه وأخيرا ضربه جريدة حكمت فى رأسه فوقعت عمامته فقال له الاختيار هكذا تفعل معى ولكن الحق على أنا الذى لاعبتك ولو كان لك أب معروف بين العرب كان يبقى عليك العتاب فقال ياعمى أنا ما هو ابى شيخ العرب حسن قال له حسن هذا جدك أبو أمك وأما ابوك لم يعلمه أحد فعاد الولد إلى محله باكيا ودخل على أمه وقال لها ياأماه ان كنت ولدتينى من الزنا أعلمينى حتى أقتلك وأقتل نفسى وإن كان لى أب اعلمينى به وأنا أدور عليه حتى أنسب اليه فقالت له ياياسر ياولدى ابوك أشرف الرجال واسمه المقدم عمار القدموسى صاحب قلعة الكهف والقدموس وأنسب من الفداوية والكن سلطان اسمه المقدم جمال الدين شيحة فعند ذلك سمع المقدم جمال الدين هذا الكلام فنادى تعال ياغلام أكتب لك كتابا وخذ أمك معك وسافر إلى قلعة المعرا واعط الكتاب إلى سرميل فانه يفتح لك قلعة أبيك المقدم عمار القدموسى ثم التفت الى البدوية أم الغلام وقال لها انت فاطمة بنت حسن الثلمى فقالت له أنا هى ياسيدى وزوجى المقدم عمار القدموسى سافر مع السلطان ومات فى الاسكندرية وسمعت أن الذى قتله سيرون الراهب فقال لها شيحة زوجك ما أعطاك امارة فقالت له نعم نسيته فيما صوره سلاعة تحت ابط ولده هكذا فكتب له شيحة كتابا وقال سر الى المعره تجد المقدم سليمان الجاموس فاعطه الكتاب يسار بما فيه ففرح الغلام وأخذ امه وطلب بلاد الشام يقع له كلام إذا اتصلنا اليه نحكى عليه

[قال الراوى] وتوجه المقدم جمال الدين وصار يجد المسير حتى اتى جبلا عاليا والطريق على يساره فقال فى نفسه ان هذه الطريق يسلكها الدواب وأنا ما معى دواب فطلع على الجبل وسار طول النهار فما وصل إلى آخره إلا فى الليل فنزل بواد فسمع عوى الذئاب فعلم أن هذا محل ذئاب فكمن حتى مر عليه ذئب فاحتال عليه

وقبضه وذبحه وسلخه ولبس جلدة ليلا وطلع عليه النهار فرأى نفسه فى صفة ديبة أنثى وأقبل عليه من الوادى ديب كبير يريد أن يعلوا عليها فأراد أن يضربه بالكشافة فرآه محاذرا منه على نفسه فقال فى باله هذا ما منه مخاص وفى هذا الوقت كنت احتاج ابنى السابق لأنه أدرى بهذه الامور فضحك الذئب وقال أنت أنثى وانا ذكر ولا بد لى ما أنطلق عليك فى هذا البر الاقفر أنا الذى ذكرته فقال انت السابق قال نعم ثم انهم ساروا إلى شاطئ البحر فرأوا غليون هندى يريد أن يأخذ ميادمى هذه الارض فقال لهم شيحة نحن ناس من الهند خذرنا معكم وها نحن كل واحد منا يعطيكم عشرين ذهبا فأخذوهم وأخذوا منهم المائة دينار فلما بقوا فى المركب خرج عليهم الهواء فردهم إلى بحر جدة فطلعوا حتى برد الهواء وساروا وتاهت بهم المركب فقال البحارة والله ان هذين الشخصين هما أنحس خلق الله تعالى حطوهما المنشر فرموهما فى قرب الطارمة فما يشعروا إلا وأربع هرايش احتاطوا بالمركب فقال اصحاب المركب قبل كل أعطوهم هذين الشخصين الغريبين فأطلعوا شيحة وقالوا له ما اسمك قال انا الشيخ شوزوز وهذا رفيق اسمه عنهاوز فقالوا لهما انظروا الى الهرايش فانهم أرادوا أن يهلكونا فان كنتما تقدران على ردهم بكراماتكما وإلا رميناكما لهما فقال شيحة أنا أردهما واطعمكم منهم ائتونى لى بأربعة أغنام فقالوا له خذ هذه الاغنام فأخذ خروفا وذبحه ووضع فيه نصا من السم وألقمه لواحدة فماتت لوقتها والثانية والثالثة مثلها والرابعة وضع فيها قرص بنج ورماها اليها فاكلته فصارت على وجه البحر لا تتحرك فقال لهم خذوها واجعلوها طعاما فقالوا له انزل واربطها فاخذ كلاليب وشكهم فى مخاشيشها وجذبوها إلى المركب وذبحوها فكانت تغنى عن مائة خروف فقالوا له يا شيخ شوزوز نعم ما فعلت معنا فقال السابق لابيه يا ابى هؤلاء قوم ما هم من جنسنا ولم نجد الراحة معهم وإنما إذا أرسوا فى مرساة اطلع ونسير نحن وحدنا والله تعالى يساعدنا فقال له صدقت ثم انهما صبرا حتى أرسوا تحت جبل فطلع شيحة وابنه فى البر فوجدا نفسهما فى واد القرود فنظر شيحة إلى قرد كبير مقبل عليه يعرج برجله فوقف قدام شيحة ورفع له رجله الذى يعرج بها فنظر شيحة الى رجل القرد فرأى فيها شركة فتقدم اليه وأطلع الشوكة من رجله ودهن له محلها فبردت وطابت ففرح القرد وزعق فاجتمعت القرود وأشار لشيحة أن يركب وركب السابق قردا ثانى وساروا بهما فى الوادى ساعة وغيروا على رفقائهم وهكذا ثلاثة ايام وهم يأكلون من نبات الارض ويشربون من الغدران حتى فرغوا من واد القرود ووصلوا إلى واد الدئاب فقال السابق الى هؤلاء صورهم بنى آدم فقال له شيحة افعل كما افعل انا ثم إن شيحة

يرفع أثوابه ولعب فى القيان وإذا براحدة أقبلت قدر الجاموسة إلى قدام شيحة ونامت على ظهرها ورفعت رجليها باتكماً على صدرها وبعده الكشافية فنزل بها على مقلبها ابراه فراح السابق إلى يعيد وفعل مثل ما فعل أبوه وذبح واحدة وسلخاهما ولبسا جلدهما وسارا فى ذلك الوادى حتى قطعاه ثم وصلا إلى واد الدررة فرميا جلود الذئب وسارا إلى مغارة فوجدا جروان من أولاد النمورة فأخصياهما وأضرما نارا واختفيا من داخل المغارة فاقبلت نمرة ويتبعها نمر فرمى شيحة قرص بنج فى النار فشماه النمران فتنبجا فقاما وذبحاهما ولبسا جلودهما وسارا حتى خرجا من هذا الوادى إلى واد الخرتيت وواد السباع وواد الافيلة فطلعا من تلك الاردية كلها إلى واد الافاعى والسموم فقال شيحة خذ هذه الحبة تحت لسانك وكذلك شيحة وضع تحت لسانه حبة وهما يقرآن آيات واسماء وأقسما لمنع اذية الافاعى حتى خرجا إلى واد خضر نضر فقال شيحة هذه الارض نرتاح فيها ثم انهما مشيا فى بساتين وأكلا من أثمارها ودخلا إلى مدينة واستخبرا على مدينة السن والكوكب فدلهما الناس عليها فقال السابق ياأبى كل منا يمشى وحده والاجتماع فى اليوم الذى يريده الله فتودعوا أما شيحة فانه سار حتى وصل إلى المدينة فدخل اليها فالتقى مدينة كاملة الاوصاف عامرة البناء والاماكن والاسواق والعقارات وجميع الاشكال فيها فقعد بجانب وفرش جلدا وعمل نفسه رمالا فما كان غير ساعة الاوموكب منعقد وكان موكب الملك بحرم أبى العجائب فلما جاء الملك ونظر شيحة فوقف هو من دون الناس ونزل من على ظهر الحصان وقال له يارمال امض معى إلى محل حكمى والا تقدر تقضين حاجتى هنا فقال يا ملك ان أردت هنا وان أردت فى مكانك فما هناك خلاف بيننا فقال أريد منك أن تنظر لى اسما اوله شين وآخره حاء فقال هذا يبقى شيحة فقال ياشيخ تعرفه فقال يامولانا كيف اعرفه أنا رجل رمال فقال صدقت أنت رمال المحال روح إلى الحبس فما شعر شيحة ولاهو عند الملك الظاهر فقال الحمد لله رب العالمين

[قال الراوى] كان السابق واقفا ناظرا فلما رأى ذلك اندفع مع العسكر حتى عرف المحل الذى حبس فيه أبوه فصبر الى الليل واتى ففتح الاقفال بالحجر ولما عرف ابواب فتحت مافى الارض ودخل وهو محبس الارض بالجس حتى وصل إلى أبيه والسلطان فقال السلام عليكم فقالا له أهلا وسهلا فتقدم فكهما وقال اتبعانى . مشى قدامهما وهما خلفه طول الليل حتى طلع النهار فتأملوا فوجدوا أنفسهم فى الحبس كما كانوا فقال السلطان احكى لى ياسابق أنت دخلت علينا من أين فقال من هذا فتأمل فوجد نفسه هو اياهما بين اربعة حيطان بغير باب

فقال السلطان أقعد ياسابق يابنى هذا القضاء والقدر والعبد ماله منه

مهرب ولا مفر فقعد السابق ولكنه ندم كيف انه أوقع نفسه بنفسه فقال له السلطان سلينا بقى انت جئت من مصر الواى وكيف اجتمعت على أبيك وكيف كان أصل وقوعك فقعد محمد السابق يحكي السلطان وهم محبوسون

[قال الراوية] لما أخذ الكتاب ياسر بن عمار القدموسي وأخذ أمه وسار من سلما وكفافة حتى وصل الى المعرة فاعطى الكتاب إلى المقدم سليمان الجاموس فوضعه على راسه وقال له ياولدي ان ملكنا جعل له نائبا على السلطنة مقيما بمصر فالصواب الارسال اليه حتى يحضر ويامر رجال ابيك يكونوا تحت طاعتك ثم انه أرسل اعلم المقدم ابراهيم فركل بخدمة السعيد سعدا وتوجه هو حتى وصل الى قلعة المعرة فطلع المقدم سليمان الجاموس وسلم عليه وحكى له على كتاب شيحة فسار مع سليمان الجاموس إلى قلعة القدموس وفتحوا القلعة وأخرجوا الاموال وزعقت القرون واجتمعت الرجال وأظهروا ذخائر المقدم عمار فسلموها الى ابنه فالتقى ابراهيم هذه الاموال كثيرة فقال إبراهيم لياسر يامقدم ياسر ان أطعتني فيما أقول لك وهو انه نشترى لك بهذه الاموال سلطنة القلاعين لان إيرادها كثير مثل ما ياخذ الملك الظاهر من ملوك الروم ومن ملوك العجم تاخذه أنت فقال ياسر والرجال يطيعوني اذا كنت أنا سلطان فقال المقدم ابراهيم أنا أعلمك كيف تطيعك لما تشترى فاشتراها منه باربعين صندوقا التي كانت في القلعة مخلفات عمار القدموسي فقبضها إبراهيم وعمل جمعية على القدموسي وأحضر المقدم سليمان وأمره بجمع الرجال ووقع الشرط انه ينزل الى الميداى أن يبارز ابراهيم بن حسن وكل من غلب يستحق السلطنة وتطيعه الرجال ونزل الاثنان وكانت لهما ساعة وكان ابراهيم راكبا على حجره محمولة فشكها ياسر بالرمح في جنبها فقتلها وساق المقدم ابراهيم بين يديه فقال المقدم ابراهيم هي طاعة الخوند لك حتى تعوم الجبال فاتبعوني ياني اسماعيل فما أحد الا وأجاب فاول من أطاع سليمان الجاموس بمشورة المقدم ابراهيم وكذلك منصور العقاب وبعدهم جميع الرجال طاعت وانفض الحال وركب ياسر الى مصر وقابل الملك محمد السعيد فقال يا مقدم ياسر اذا جاء المقدم جمال الدين أظن ما أنت من قياسه فقال يا ملكنا يعطي الله السعد لمن يشاء وإذا بنجاب مقبل من حلب يخبر أن اقان هلاوون والدب منويل بن ميخائيل ملك أنطاكية ركبوا وحطوا على حلب طامعين في أخذ بلاد الاسلام لما علموا ان الملك الظاهر غائب ولا خبر له ولا أثر فاغتم الملك السعيد فقال المقدم ياسر ضمان الركبتين على وركب واخذني اسماعيل وسار حتى حط على حلب وكتب كتابين كتابا إلى هلاوون وكتابا الى منويل وارسل واحدا مع المقدم ابراهيم الى هلاوون والثاني مع المقدم سعد الى الملك منويل

مضمون الكتابين من حضرة سلطان القلاع والحصون إلى ملك الروم وملك العجم بلغ من قدركم يا كلاب انكم ركبوا على بلاد الاسلام وطمعتم لما غاب أمير المؤمنين مع أن كل فارس من رجالنا له مقدرة أن يكسر جموعكم ولكن كان الذى كان فاذا أردتم أن تنقذوا اعاجنيتم فيأتى كل منكم إلى عندى معلقا سيفه فى رقبته وأحاسبه على كلفة الركبة ثم أبيعه نفسه بالمال وأضاعف الجزية عليكم طاقتين والا الحرب بينى وبينكم والسلام فكتبوا له رد الجواب ماعندنا الا حرب مد الجبال وطعن يقد النبال وأول الحرب يكون فى غداة غد فاعطوا سعاة الركاب حق طريقهم وعادوا له برد الجواب فأمر المقدم ياسر بدق الطبل حربى فجاوبته طبول الروم والعجم ولما أصبح الله تعالى بالصباح على الناس قام جوان وراح إلى القان هلاوون وقال له ان كنت تتسارى مع النصارى فى الحرب وتأخذوا الاسلام مواسطة فقال هلاوون رضيت بذلك وعرض السؤال على تقلون طاز فقال هذا صواب فقال رشيد الدولة يا قان الزمان أنت تعلم أن الممالك فى كل الدنيا أصلها لجدك القان كسرى أنوشروان فاذا انت اتفقت مع ملك النصارى على السنية وأخذتم البلاد فيرجع ينازعك ويقول أنا الذى أخذتها بسيفى فقال له هلاوون وكيف العمل يا رشيد الدولة فقال تتخلى عن الحرب وتترك النصارى يحاربون أهل السنة فاذا انتصروا السنية على النصارى نرجع نحن نحارب السنية ويكون ضعف قواهم فتملكهم ونبلغ مرادنا منهم وان انتصر ملك الروم كذلك اما يمتثل ويورد لك الخراج كما كان قيصر يورد للملك كسرى والا نحاربه فقال هلاوون صدقت يا رشيد الدولة وكلامك صواب ومنع الحرب هلاوون وارسل يقول أنا لا أحارب العرب إلا إذا عجزتم فأنا بعد ذلك أحاربهم فاغتاظ البب منويل وقال أنا ما أريد من العجم معاونة ثم انه فتح الحرب فأراد رجال بنى اسماعيل أن ينزلوا الى الميدان فقال المقدم ياسر يا رجال لا أحد ينزل أبدا الا بعد ما أعدم انا وأروح مأسورا أو مقتولا وأنا طول أنا ماأمسك العنان فلا أحد غيرى ينزل الى الميدان فقالوا له يا خرند ونحن لا شىء وأتينا معك فقال اذا جاروا وتركوا الاصاب وحملوا فهذا الوقت أنتم احملوا ثم انه نزل إلى الميدان فنزل له أول فارس من النصارى قتله والثانى جندله والثالث زمله والرابع إلى المقابر أرحله ودام إلى آخر النهار قتل خمسين بطريق من الكفار وثانى يوم وثالث يوم ورابع يوم وهكذا سبعة أيام حتى ضجت الكفار فدخلوا على البب منويل وقالوا له يا بب ان المسلمين ما قدرنا نصادمهم والذى يحاربنا واحد فقط وكم بطريق قتل وهو لا يموت ولا ينجرح ولا

يصيبه شيء فقال منويل انا للمسلمين كفاية وأنا الذى أفنيهم ولا أخلى فارسا منهم يحول حتى أصيره على الارض مقتول

[قال الراوى] ان أصل هذا منويل أصل منشاه ان البب ميخائيل كان ركب عليه ملك الجرج وأتى له من بلاده فى عسكر عظيم وتحارب مع الملك ميخائيل مدة أيام حتى هلكوا عساكر شتى وبعدها أرسل ملك الجرج الى البب ميخائيل يقول له ان سفك الدماء فى جميع الأديان حرام وأنا مرادى منك أن تنزل إلى الميدان وتتقاتلا فان أسرتنى افعل بى ما تشاء وإن أسرتك أبايعك نفسك فأجابه الى ما طلب ونزل البب ميخائيل وتقاتل مع ملك الجرج فانتصر ميخائيل على ملك الجرج وأسره من الميدان وأخذه وسار به إلى بلاده ودخل معه مدينته واجلسه على كرسيه وقال له لو كنت انت اسرتنى كنت تبيعنى نفسى بالمال وما أنا اسرتك ولم اطلب منك مالا وإنما اطلب منك انْ تقعد فى بلادك وتعقل وتترك عنك الجهل فان الأمر كما قلعه ان سفك الدماء حرام وانا ما آخذك بجهلك فانخجل ملك الجرج ولم ير شيئا يهاديه به إلا انه اعطاه بنته هدية فدخل بها وتركها وسافر إلى بلاده فظهر على البنت الحمل وأوفت ايامها فوضعت هذا الغلام منويل فطلع نارا موقدة وصاعقة مبرقة ولما بلغ مبلغ الرجال صار يغزى الملوك ورتب الخراج على جميع البلاد الذى حول الجرج فمر جوان عليه واستخبر عنه وعرف ان هذا ابن البب ميخائيل فاغراه على ترك بلاد الجرج واخذه وامه فأوصلهم الى ميخائيل وقال له يا بب الى متى تصبر على مذلة المسلمين اعلم ان ملك المسلمين خطفه كاهن فى بلاد الهند اسمه مجرم ابو العجائب وما بقى يعود ابدا فاركب وخذ بلاد الاسلام فقال ميخائيل ياجوان اغريتنى كم مرة على المسلمين وانا اعود بالخيبة فقال منويل انا اركب فى هذه النوبة ضمان المسلمين على فجهزه فى عشرة آلاف بطريق واتى فى صحبته جوان والبرتقش الحوان هذا كان اصل سبب ركوبه واما ركوب القان هلاوون فانه بلغه ماجرى على ملك الاسلام من مجرم أبى العجائب فاتى طامعا فى اخذ بلاد الاسلام [قال الراوى] ولما اراد البب منويل ان يركب ويحارب المقدم ياسر بن عمار كما ذكرنا واذا بالغبار غبر وعلا الى الصفا وتكدر وانكشف وبان عن ابطال الاسلام ومقادم مدينة الرخام ومقدمهم الملك عرنوس بن معروف وعلى يمينه المقدم اسماعيل ابو السباع وعلى يساره المقدم نصير البرج وخلفهم المقدم هدير الرعود وعلى رؤوسهم الرايات والبنود وخلفهم اولاد ملوك البرتقان كانهم الاغصان وعساكرهم خلفهم مثل ازهار البستان فعندها انقطع الحرب لقدومه وقال جوان يا بب منويل هذا الديابرو عرنوس ما احد من ملوك الروم يقدر

عليه فقال البرتقش اجى. الك الحارة يا جوان فقال جوان أنت يا برتقش دائما تقرأ دفاتر النحوسات على جوان [قال الراوى] وأما المقدم ياسر فانه لم يعرف عرنوس ولا احدا علمه به فقال المقدم ابرهيم قم باخوندا استقبل الملك عرنوس فدخل عليه الغرور وانه سار حتى وصل الغرور وظن فى باله أن الملك عرنوس فداوى مثل الفداوية وأما عرنوس فانه سار حتى وصل إلى صيوان ياسر فلم يطلع ياسر اليه بل جميع الرجال طلعوا الملتقاه فقال لهم من هو الذى متولى أمر الركبة فاخبره منصور العقاب بالقصة التى جرت من اولها الى آخرها فدخل الملك عرنوس الى صدر الصيوان وقال لياسر قم يا كلب أى شىء اوصلك أن تجلس فى مراتب الملوك تثبت ولم يقم فمد يده الملك عرنوس الى خناقه وجذبه من على الكرسى ورماه وحط يده على سيفه قاسم الحديد وضربه حتى شضبة تشضيبه تقارب تشضيبة ابن حسن على جسر الانجبار فتقدم اسماعيل ابو السباع وقال يا ملك عرنوس يكفى ماجرى له ولا تقتله لان قتل المؤمن يا ولدى حرام وانت ومن شرف من سادات الاسلام فقال عرنوس عدم قتله يكون كرامة لو قوفك أنت فقط بشرط انه يروح الى ملمة ابيه ويقم . فيما مثل الكلب وأما والاسم الاعظم وحياة قبر ابى معروف شهيدا بباب أنطاكية أن رأيته مختلطا مع الفداويه من قبل أن يكتب على سلاحه اسم سلطان الحصون لاقطع راسه وأخمد انفاسه هى سلطنة القلاع سائبة حتى يأخذها مثل هذا الكلب من الكلاب من قدامه وهو عادم النفع ووضعوه فى تابوت وارسلوه الى قلعة الكهف والقدموس وتورمت جراحه يقع له كلام [وأما] عرنوس فانه أرسل الى الملك محمد السعيد كتابا يذكر فيه أما تعلم يا سعيد أن الدولة طبعها النفاق حتى تأمر كلما تسلل كلب تولى على تخت القلاع وثانيا ترسله فى وجه العدو وتتكل عليه يحمى بلاد الاسلام واذا كانت هذه اعمالك وابوك طيب واما جرى عليه ومن الله فليس ببعيد إذا مات الملك الظاهر وظهر أحد وجادلك فى تخت السلطنه تسلمه ويصح المثل ان النار لا تخلف الا الرماد وهذا عيب فى حقك اركب وصادر العدو نحن كلنا حواليك وروسنا تطير بين يديك وطوى الكتاب وارسله مع نجاب من طرفه وبات واصبح نزل الى الميدان [قال الراوى] وأما البب منويل فانه لما اعلمه جوان بالملك عرنوس بات مفلولا ولما طلع النهار وتزل الى الميدان فالتقاه الملك عرنوس ووقع بينهم حرب شديد يشيب الطفل الوليد فدخل منويل الطمع ان الملك عرنوس لم يعلم حاله فقاله حتى اختبره فرآه نارا لا تصلى وجبلا كلما قرب منه شمخ وعلا فعلم ان الوصول اليه بعيد وقتاله صعب شديد فندم على نزوله اليه هذا والملك عرنوس ضايقه ولا صدقه وسد عليه طرقه وطرايقه

وقبض على خناقه وهزه واقتلعه من سرجه وجلد به الأرض وإذا بيد انحطت فى منطقه الملك عرنوس اسمعته تسبح الأملاك فى مجارى قبب الافلاك فما صدق منويل بذلك حتى أنه عاد الى عسكره وهو يهنى نفسه بالسلامة فقال جوان يا ابنى أنا بالى معك وقلت للحوارى يخطفون اخطفه ففرح منويل واعتقد أن جوان صاحب كرامة وباتوا تلك الليلة وفى ثانى الايام نزل الى الديوان وقال ياجوان تأليف العمل فقال له انزل الى الميدان وكل من نزل اليك ورأيته جبارا عليك اخلى الحوارى تخطفه ولاتخف أبدا فنزل منويل إلى الميدان فلطمه المقدم اسماعيل فانخطف اسماعيل وكذلك المقدم نصير النمر وهدير الرعود فضاقت صدور الاسلام فبينما كذلك وإذا بالملك محمد السعيد أقبل بعسكر الاسلام والامراء وانتصب العرضىء ووقع الحرب بين الفريقين

[قال الراوى] وكان السبب فى خطف الملك عرنوس وهو أن الملك مجرم أبا العجائب لما حبس شيحة وابنه الساق فى كنز الدم عند الملك الظاهر ضرب تخت الرمل ينظر هل بقى أحد يطلب منه قتالا فرأى انه يأتى واحد اسمه الملك عرنوس يقتله وأنه مقيم فى هذه الوقت على حلب فأرسل اليه عونا خطفه فلما أوقفه قدامه قال له أنت عرنوس الذى تقتلنى فقال له عرنوس أنا متى قتلتك ولا رايتك الا فى هذا اليوم ولكن ان شاء الله أقتلك فقال له بقيت أقتلك أنا قبل ان تقتلنى فقال عرنوس بكره يأتوك رجالى ورجال السلطان أبطال الايمان يهلكونك وأما علم السحر فلا ينفعك يشىء فحلف مجرم أنه ما يقتله الامع رجاله وادخله عند السلطان فى كنز الدم والوكيل على مفتاح الكنز بنته وكانت اسمها نورة ففى ليلة من الليالى سمعت عرنوسا يتشاجر مع المقدم جمال الدين و يقول له كنت عجزت عن سلطنة القلاعين فغيرك احق بها وأولى ولا تعطيها لمن يريدها فقال له أنا وكلت على السلطنة المقدم إبرهيم بن حسن والاسم الأعظم ان كان باعها لايمه فى بلاد النصارى باسم عبد وابيع معه ابن خالته المقدم سعد فقال عرنوس تحنث فى يمينك فقال يمينى أعرفه فدخلت عليهم نوره و فرجت على الملك عرنوس وطاحت ... أبوها اسماعيل أبو السباع ونصير النمر فأنزلتهم عند عرنوس وطلعت ونامت فرأت فى منامها أن القيامة قدقامت وانتصبت الموازين وأمر بها للنيران فخافت من النار فاستجارت فى شخص فأخذها وأدخلها الجنة فقالت ياسيدى ما اسمك فقال معروف بن جمر وأنت زوجة ولدى عرنوس الذى عندك محبوس فاقتلى أباك فانه كافر وانطقى كلمة الاسلام يكن لك فضل واحترام وقرى بالشهادة لتكونى من أهل السعادة فلما افاقت عرفت حق الايمان فنزلت إلى كنز الدم واخبرت السلطان ومن معه واسلمت على أيديهم وقالت علمونى كيف

السبيل فقال شيحة أبوك من يطعمه قالت له انا قال لها خدى هذا الحق وضعيه له فى الطعام فاخذته وصبرت حتى جاء أبوها وطلب منها كاس شربات فناولته الكاس بعدما وضعت فيه السم كما علمها شيحة فاخذ الكاس وقال لها انا علمت الذى فعلتيه وهذا الشراب مسموم فاشربيه أنت فقالت له من أعلمك فقال لها اشربيه يافاجرة فأخذت الكاس فى يدها بقوة واهتمام وصاحت يا بركة دين الاسلام وطرشته بالكاس فى فى وجهه فدخل السم فى عينيه وفمه ومناخيره وسرى فى جثته فمات من وقته وساعته ونزلت الى الملك عرنوس وأحضرته وبما جرى أخبرته وقالت له ياسيدى بقى فاضل عمى نكمدان فأخذته ودخلت على عمها فرأته قاعدا على ركبتيه يأكل فى صدر حصان ميت فأراد الملك عرنوس أن يتقدم عليه فقفز نكمدان الغول وقبض على عرنوس فقالت بنورة أمسكه ياعم هذا هرب منى وأنا خائفة من أبى فقام معها وهو ماسك عرنوس وقال لها يابنورة أنا مرارا عديدة أطلب من أبيك أن يزوجنى بك فلم يرض فقالت له ياعم أنا قلت له لاتزوجنى إلا لعمى ولكن أنا ماأقدر أجادله لانه كان نعلم سحار وأخاف ان يقتلك ويحرمنى منك فقال لها أنا لايقتلنى إلا سيفى هذا وأما بغيره فلا يقطع فى سلاح فضحكت فى وجهه بنورة ودخلت فى صدره ثم قالت له سيفك أثقل والا سيف أبى فقال لها أنا سيفى مرصود على قتل نكمدان الغول فقط والا هو حديد ماضى وإنما هو صنعة أخى بالسحر والكهانة فقالت له ياحبيبى فرجنى عليه فجذبه من من جرابه وناوله لها فلما بقى فى يدها صاحت يا بركة دين الاسلام وضربت عمها بالسيف فى وسط جبهته شقته إلى حد سرته فقال عيديها يابنورة فقالت ما بقيت أقدر أعيدها وكان هذا بعد ما أدخلت عرنوسا الحبس ثانيا ولما دخل عرنوس على السلطان وشيحة وأخبرهم بموت بجرم أبى العجائب وبما جرى له مع أخيه نكمدان بقى السلطان يتفكر وشيحة يحسب ألف حساب يعنى إذا كان نكمدان يروح محل أخيه بجرم فيجده مقتولا كيف العمل والخلاص فى الأمر والتدبير فبينماهم كذلك واذا بالملكة بنورة قادمة عليهم وبيدها شمعة فقالت لهم قوموا ياعصبة الاسلام قتلت نكمدان الغول فطلعوا معها الى السراية فالتقوا الاثنين مقتولين فقال شيحة تمام المطلوب على أنا حتى أملككم البلاد ثم انه أخفى جثة الاثنين ليلا وأطلع مرآة الانقلاب وجعل عرنوسا فى صفة بجرم أبى العجائب والملك فى صفة نكمدان الغول وعند الصباح جلسوا فى تخت الديوان وأحضر السابق وقال له خذ هذا الكتاب ودور على الستين مدينة وعرفوه من حضرة الملك الظاهر الى ملوك الهند اعلموا أنى أنا أرسلتم الى وزرائكم سابقا

فستنجدونى على بجرم ونكمدان أخيه فهاأنا أقبلت وقتلته فكل واحد منكم يأتى إلى مدينة السن والكوكب وكل ملك يكون معه مائتى فارس من أهل القتال والحذر ثم الحذر من المخالفة فدار السابق على الملوك فتعجبوا وسألوا السابق فأعلمهم بموت بجرم وأخيه وحلف لهم فصدقوه ولما وصلوا إلى المدينة أمر الملك بدخولهم مع عساكرهم ولما دخلوا أمرهم أن يضعوا فى دولة بجرم أبى العجائب السيف فما كان غير ساعة حتى صاح السلطان وأظهر للناس أن بجرما أبى العجائب مات وأخوه نكمدان الغول أيضا مات ولم يبق إلا الملك وهو يدعوكم إلى دين الاسلام فما تم النهار حتى صارت المدينة كلها إسلام

وطلع المقدم جمال الدين فك الكواكب وخلع الرمح الحديد وأنزل الكوكب وما حوله من الاسنة الذهب وقال للسلطان هذا عقله إن شاء الله تعالى على قبر النبى ﷺ فقالت الملكة نورة يا ملك الاسلام إن أبى له خادم يقال له السارح مرادى أحضره لكم فينقلكم إلى مدينة النبى ﷺ فان هذه الايام قد قرب أوان الحج فيها فقال شيحة وأنا معى وسيلة من الملكة تاج ناس فما تم كلامه إلا وسحاب المختطف الابيض قال له السلام عليكم فقال شيحة يا سحاب مرادنا تردينا إلى المدينة وقامت الملكة نورة وأحضرت شراير من الصاج الهندى يقعد عليه ستة أنفار وهم الملك عرنوس وإسماعيل ونصير وشيحة والسابق وحمل السرير سحاب وأمر السلطان ملوك الهند أن يكونوا تحت أمر الملكة نورة وأعطاها معضد وقال لها إن وضعت فاجعليه فى عضده وحملهم سحاب إلى المدينة فزاروا قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وعلقوا الكواكب الدرى على المقام الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وبعد ذلك توجهوا إلى مكة وحجوا وعادوا بعد الحج على طريق الشام وفرق السلطان على أهل المدينة وأهل مكة أموالا جسيمة حتى ساوى الفقير بالامير ولما توجهوا على طريق الشام كان شيحة هو الدليل لهم لانهم لم يسافروا مع الحج بل سافروا مع الحج بل سافروا على عجل وقلب السلطان على بلاد الاسلام هذا ما جرى لهؤلاء

[وأما] ما كان من عساكر السلطان فانه لما خطف عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع ونصير الخ تضايقت الاسلام كما ذكرنا وأقبل الملك محمد السعيد واصطفت الاسلام ثم الكفرة اللئام فأول من نزل الملعون منويل وقاتل فى الاهوال وصار يأسر منهم حتى أسر خمسة فاغتاظ السعيد وقال المقدم إبراهيم كأنك خفت يامقدم إبراهيم أفى هذا اليوم يعطى الاهمال فى الجهاد أما تعلم أن الله حق فقال إبراهيم لا ياملكنا نحن مسلمون

أرواحنا القضاء والقدر ولا تتأخر عن قتال كل من كفر ثم ان المقدم إبراهيم نزل إلى الميدان فالتقاه منويل وقاتله ساعة من النهار حتى اختبره وكان المقدم ابراهيم خائفا على نفسه أن يختطف مثل غيره فقام فى ركابه وضرب منويلا بذات الحيات حكمته على كتفه هدلته ولولا كان على بعد إلا كان شطره شطرين وإنما أجله باقى فولى منويل هاربا فهز جوان الشفبار فحملت جميع الكفار على عصبة الاسلام الابرار وحمل الملك محمد السعيد والوزراء والأمراء وكان يوما اسود عكار شاب فيه الغلام وغنى الحسام وقل الكلام وانفلق الهام واستظهرا عصبة الاسلام على الكفرة اللئام وردوهم إلى الخيام وأقبل الليل بالظلام وانفصلوا عن ضرب الحسام وثانى الايام كذلك فنظر منويل لعسكره ولنفسه وقال ياجوان ما كنت قاعد لا اريد حربا ولا لى معرفة بالمسلمين وأنت الذى بلاتنى بهذه البلية ورميتنى بهذه المصيبة والرزية وأنا قصدى أكاتب المسلمين وأصالحهم بالمال فانا مالى طاقة على القتال فقال جوان ان عملت ذلك لم يبق لك حق فى دين النصارى ويغضب عليك البترك ورزارة صاحب الدير و لحاره فقال منويل وكيف العمل فقال جوان كاتب هلاوون وأنا أكون رسولا فقل له يعا ... يجى من خلف المسلمين حتى تفنوهم جميعا وتكون بعد ذلك من تحت إدارته وترد له خراجا ... ى كل سنة خزنة مال فقال رضيت بذلك فكتب للقان هلاوون بذلك وفى ثانى الايام لما حملت الاسلام على الكفرة اللئام ودار بين الفريقين ضرب الحسام فحمل القان هلاوون بعساكر الاعجام وبادروا من خلف عساكر الاسلام فنظر الملك محمد السعيد إلى ذلك فاندهش وأراد أن ينهزم فقالت له الرجال يا ملكنا الثبات أحسن من الهزيمة فهم كذلك وإذا بحجارة نازلة من الهواء على الاعجام وعلى الروم فأظلم النهار وزاد الغم وبان ... ملك الاسلام والملك عرنوس والمقدم اسماعيل أبو السباع والمقدم نصر ... من خلف الاعجام فنظر القان هلاوون إلى ذلك فالتفت إلى رشيد الدولة وقال يا رشيد الدولة أنا اقول لى ان النار غضبانة على أبناء العجم هذا قان العرب قد ... رشيد الدولة قان الزمان اعلم ان قان العرب ... واقفا ومحترز جدا إلى بلاده ... قدم ... ... فى مده يبيعك ويشتريك فالرأى عندى الهرب فقال هلاوون ... يا رشيد ... الحقى عنان جواده ... وصاح كركبات زلازلات ... ماطمهم ... من الدم فنظرت النصارى إلى الاعجام ... لبعضهم ... ما لولا العطب ... وفرقوا فى كل ... تلك ... وانهزم العجم ... النصارى فقال الحقى يا ... بالخيل ...

وطلب الحرب فاشتد فى وجهه كل مذهب وادركه قان قانات الحصون وقال يابرتاشر كتفه فقال سمعا وطاعة فقال جوان ياابا محمد أنافرحت بسلامتكم وقدومكم من بلاد الهند فقال شيحة يا ملعون أى شيء هذا الكلام إن الله الملك الأكبر وعدنا النصر والظفر وملك السلطان خيام القان هلاوون وخيام منويل هذا والبب منويل اعاقه جرحه الذى جرحه المقدم إبراهيم بن حسن فدخل نصر الدين الطيار إلى خيمته فلقاه ملقى على فراشه فصبر عنده حتى قدمت الرجال فقال لهم هذا أمرنى السلطان أن أحفظه بين يديه وكان منويل وقع فى عرضه فضل تلك الفعال ولما قدم السلطان إلى صيوان منويل ورآه على ذلك الحال فقال للمقدم نصر الدين احفظه حتى جلس السلطان وطلبه وأمر المقدم جمال الدين فقطب له جراحاته فقال منويل يابن المسلمين وحق رب المسيح أنا عمرى ما كنت اعرف بلادك ولا اقرانى إلا جوان فقال الملك لا تكثر الكلام يا منويل انت ملعون وجوان ملعون يا كلب انت ركبت على بلادى وغيبتى وكان قصدك خراب مملكتى زوال دولتى ولما وقعت قدمت الاعذار بجوان يعنى ربطك بحل كلامت ركة ولدى خمسة خزاين وحق راسك ومداوة جرحك خزنة ودية مز قتل من عسكرى خزنة تبقى سبع خزنات اكتب لأبيك يعجل بارسالها وإلا وحق النبى المنتخب أركب على بلاده واحرقها السكك والفدان واشنقه فيها واقطع راسه واعلقه تحتك فقال منويل ياملك الاسلام السبع خزن عندى أنا أدفعهم وضمانى على المقدم جمال الدين الذى طيبنى فقال شيحة ضمانه على فأطلقه السلطان وأرسله إلى الاذقية وأعطاه كلما يحتاجه فى السفر فقط وأما جميع عرضيه دخل غنيمة لعساكر الاسلام كذلك عرضى القان هلاوون وسائر الاعجام. بعد ذلك طلب السلطان الرحيل إلى مصر فقال شيحة انى اسماعيل الحاضر منكم يعلم الغائب قسما الله الذى رفع السما بغير عمد وبسط الارض على ماء جمد ان لم يحضر ياسر بن عمار القدموسى إلى مصر خاضعاً ذليلا من دون تكبر لابد لى ان أسلخه وأعلق جلده على قلعة الكهف والقدموس وإن احتمى له أحد منكم يكون مثله وأما إبراهيم بن حسن وسعد بن دبل فلابد لى أن ابيعهما للنصارى بيع العبيد الجلاب وها أنا أعلمتكم وكل من عارضنى فى فعلى فهو خصمى فانصمت من كلامه الرجال وقالوا الله يجيرنا من غضب الحاج شيحة وتفرقت الفداوية إلى قلاعها وأما المقدم ياسر فانه لما بلغه الخبر فاجتمع على الملك عرنوس فى الحال وقال له يا ملك عرنوس أنا فى عرضك وحكى له أصل العبارة وما فعله معه المقدم ابراهيم.

فقال له الملك عرنوس سلطان القلاع بس اسمع ياعايز واسطة روح إلى مصر وادخل على

السلطان وهو يطلب شيحة وتطيعه قدام السلطان فسار ياسر ودخل على السلطان وطاع شيحة غائبا وحاضرا فقال السلطان انده يا إبراهيم على شيحة فقال وأنا إيش عامل حتى انده عليه ينده عليه سعد وإذا بشيحة مقبل فى موكبه فقام السلطان واستقبله مثل العادة فقال المقدم ياسر هى طاعة الخوند لك حتى تعوم الجبال فكتب اسمه على سلاحه وقيد اسمه فى دفتر الرجال وقال له احلك بالصحيح قدام السلطان فحكى ياسر بالذى جرى والمال الذى أخذه منه المقدم إبراهيم فقال شيحة اعطاه يامقدم إبراهيم ماله فقال إبراهيم أنا والله ما أعطى درهم واحد لاحد فقال حاذر على نفسك أنا حلفت ان ابيعك فقال له يا حاج شيحة أنا كان زعلت من عشرتك وإذا بعتنى إلى أحد تفدى عينك ما يطلع بيدك ونزل المقدم إبراهيم منطور من قدام شيحة فقال سعد يبقى ياحاج شيحة نحن فى خدمتك السنين العديدة وأنت علينا سلطان وان خا لتى غلط غلطة واذنب ذنبا فلا يغفر له ذنبه وعلى أقل الشىء تعتمد على الغضب وأنا والله من غير المقدم إبراهيم ما اقيم فى الديوان ولا ساعة فقال الملك الحقه أنت ياشيحة الحقهم ولا تربنى وجهك ولا وجوههم حتى تفدى عينك منهم ولكن ياشيحة أنا ما استغنى عن رجالى فقال شيحة وأنا كيف يهون على سباع الاسلام فاعتمد السلطان على كلامه وأما إبراهيم وسعد فانهما اجتمعا على بعضهما وقالا لا نروح الى قلعة حوران فقال سعد يا اخى نخاف من شيحة يدخل علينا ويحتال وأنا اقول أن قلعتنا احصن وهى قلعة بيسان فقال إبراهيم أنت خايف من حوران وأنا خايف من بيسان والله ياسعد إن القلعتين ما يخفوا على شيحة والقائل قال فى حقهم

لحم الغنم أن طبخوه باليخنى ... اكله يخاف ريح يغشى العينين
اللحم طيب والضرر من غيره ... بصل وحمص يمسخ الله الاثنين

الله يعلن قلعة حوران وقلعة بيسان سواء أنا والله ما اقيم الا فى بلاد بعيده لا يدخلها شيحة ولا الملك الظاهر سر بنا ياسعد فاخذه وانجر على قادة الحوريه وترك إبراهيم حجرته واخذ سعدا فى صحبته وسار الاثنان الى قلعة حوران فلم يقدر ابراهيم ان يدخلها فارسل سعدا احضر اباه وحكى له انه غضبان من شيحة فقال المقدم حسن يا ولدى اخطأت فى كونك تبيع سلطنة القلاعين التى راحت عليها اعناق المقادم فقال إبراهيم والله ما أنا مقيم عند احد القلاع أبدا ثم انه سار الى السويدية فالتقى تجارا وبينهم أحمال زبيب وعسل شامى وكمثرى وتين وجبن فقال لهم لمن هذه الاحمال فقالوا له نحن متسببين نأخذ بضايع من القلاع ونبيعها فى جزاير قبرص وجزاير كريد ونشترى منهم لؤلؤا وقشم ونأتى به فنبيعه بارض الشام فقال ابراهيم وهذه الجزاير

من أين يأتيها اللؤلؤ فقالوا له سكانها ينزلون البحار ويأتون به من أماكن يعرفونها ونحن نشتريها منهم ونعطيهم زبيبا وتينا وعسلا وجبنا فقال لهم وثمن العسل والتين مثل ثمن اللؤلؤ عندهم فقالوا له ماثمن اللؤلؤة فبثمن التين وأما ثمن المرجان فبثمن الزبيب ويوجد عندهم جواهر لكن مايعطوها الا كل جوهرة باردب رز أبيض فقال المقدم ابراهيم واذا اشتريتم بالذهب قالوا ياسيدى مايعرفون الاموال فقال المقدم ابراهيم أنا أعلم ان جزاير جريد وجزاير قبرص عليها اعداد وخراج للملك الظاهر بيبرس كيف انهم يفوتون المال ويأخذون أرزاقا كانقولون فقالوا له ياسيدى المال للسلطان على المدائن واما هؤلاء ناس تجار لايعرفون المدائن ولايدخلونها ولاينتقلون من أماكنهم بجوار البحر فقال ابراهيم ياسعد الله وكيل ان التجارة لنا أحسن من خدمة الظاهر ونبقى حكام أنفسنا ولا لأحد يحكم علينا فقال سعد ونحن لانعرف أمر التجارة ولانعرف الا سرقة الخيل الذى ربينا عليها فقال ياابراهيم ايام الجهل فاتت لاتذكرها أبدا ثم ان الفداوى اشترى زبيبا وتينا وأرزا وعسلا وأتى الى السويدية واستاجر مركبا بخمسمائة دينار من السويدية الى جزائر قبرص وقال للقبطان أنت تعرف محل صيادين اللؤلؤ والمرجان فقال ياسيدى هؤلاء على البحر ولهم مغاير يأوون اليها فى الجبال فقال المقدم ابراهيم لاترسى بنا الا عندهم فقال له سمعا وطاعة وسافر القبطان بالغليون الى جزيرة قبرص وارسى فى بر منقطع فتأمل ابراهيم وسعد يلتقى اثنين أتيا الى البحر فوقف أحدهما على البر والثانى غطس فى البحر غاب شيئا قليلا وطلع وفى يديه اربع محارات فاعطاها للذى على البر فاخذها وفتحها واطلع منها ثلاثة ملآنين حب لؤلؤ والرابعة قال هذه لم تستو ثم رماها فى البحر ثانيا فقال له الذى كان فى البحر انزل هات نوبتك فنزل الثانى وغاب شيئا قليلا وطلع ومعه محارتين ثم أعطاها لصاحبه فلقاها مستويتين فاطلع منهما اللؤلؤ الذى كان فيهما فقال لرفيقه سر بنا الى محل المرجان فقال له يكفى هذا اليوم وسار اهذا يجرى وابراهيم قال ياسعد أنا قلبى يحدثنى ان هؤلاء الاثنين أعداء لنا فقال سعد من أين يعرفونا فقال ابراهيم اطلع انظر هذه جزائر عامرة أو خالية فطلع سعد وتفرج وعاد الى ابراهيم وقال له ياأخى هذه أرض واسعة وأماكن منقطعة فطلع ابراهيم فلقى رجلا من الجزيرة وطلب منه ان يبيع له لؤلؤ فقال له نحن هذا العام لانبيع الا بتين وهذه الايام جمع البضاعة من البحر فعاد ابراهيم الى ريس المركب وأمره بالاقامة ويعطيه كل يوم دينارا وأكل البحارة على ابراهيم فرضوا بذلك وأقاموا يومين ثم ان القبطان قال له لانأكل الا معكم فانكم تأكلون فى بعض الاوقات وتتركونا فقال المقدم

ابراهيم اطبخ لنا ونأكل سواء فقال القبطان سمعا وطاعة وطلع معه الى الجزيرة واصطاد القبطان سمكة كبيرة ووضعها فى المركب وأمر رجاله فقطعوها ووضعوها على النار حتى شووها وأكل الجميع فتبنجوا وطلع القبطان فكتف ابراهيم وسعد ووضعهما فى عنبر الغليون يومين وطل عليهما فى آخر اليوم الثالث وقال لهم أنتم يامسلمين قصدكم تبوغوا علينا تجارتنا وتشتروها من الجزيرة على ذمتكم موتوا بقى فى العنبر ولما تموتوا أرميكم فى البحر للسمك فقال سعد هربنا من الذى يبيعنا أتينا لمن يقتلنا فقال أنا لو عرفت من الاول كنت قتلت هذا المعرص القبطان ولا كنت اصبر حتى وقعت معه هذه الوقعة فقال سعد أنت نطاوعنى اندء على شيحة خليه يقتله ويخلصنا فقال ابراهيم ياسعد البلاء كله من شيحه ثم صاح ابراهيم يامعلم اطعمنا فاتى لهم بسمكة كبيرة مشوية وقعد يطعمهم منها حتى أكلوها فصار الاثنان مثل الغربان وخرجت لهم شفايف مثل شنايف البقر وورمت أعينهما وبقوا عبرة لمن يراهما ومن نظرهما يقول عنهما عبيد والبسهما لباس خيش وتركهما فى العنبر ولما جاعا عطاهما سمكة كبيرة صفرة اكلاها فثقل لسانهما فسأل ابراهيم عن اسمه فقال اسمى بريم وسعد قال سعيد فتركهما فى العنبر ودخل الى مدينة قبرص ومشى فى أسواقها فرأى رجلا حدادا وهو يشغل مراسى المراكب ولكن عنده اربعون صانعا يدقون على السندال وينفخون على الكور فقال له يا معلم أنا عندى اثنان من العبيد يقومان مقام هؤلاء الجميع اللذين عندك واحد للدق وواحد للنفخ فقال له هاتهما أشتريهما فقال له هما جبابرة لايشتغلان الاوهما فى الحديد فقال حتى انظرهما فأخذه وأنزله فى المركب وفرجه عليهما فباعهما له بمائتى دينار بشرط انه ان تهاون عنهما قتلوه فأخذهما الى الدكان وشك القيود فى أرجلهما ومنطقهما بمناطق بولاد بسلاسل قوية بشباحات خارجة من برى الدكان وقال القبطان روح بقى الى حالك فمسك سعد الكير وقال له انفخ واما ابراهيم مسكه مرزبة أربعين وقة وضربه بالشاحوط الحديد وهو حامى بالنار وقال له دق فقال ابراهيم استاهل أنا الذى عاديت رجلا ماأنا من قياسه حتى وقعت فى مكامده فقال سعد هات بقى المال الذى أخذته يشتغل مطرحك ولكن انت بعت السلطنة وانا عملت إيش فقال ابراهيم يا سعد اسمع

من لعب الثعبان فى كفه ... هايت مايأمن من لدغته
من أعلم الناس على سره ... قد زحزحه الناس عن رتبته
من عاشر الجاهل على جهله ... هايت مايقع فى حفرته

من عاند السلطان فى حكمه اضحى نزيع الرأس عن جثته
واذا رأى ذا رحمة شافع هلبت ما ينفذ من نقمته

وأقام ابراهم بن حسن وسعد بن دبل عند ذلك الحداد فى أشد الذل اما سعد فانه امتثل القضاء والقدر واما المقدم ابراهيم فانه بقى فى بعض الاوقات يعصى عند الدق فيعاقبه بالحديد وهو حامى فيرجع الى الدق على غيظ منه واقام على ذلك الحال واذا نظرهما احد لم يعرفهما [قال الراوى] وكان المقدم نصر الدين الطيار والمقدم عيسى الجاهرى ممتزجين مع بعضهما مثل امتزاج ابراهيم وسعد اباهما الى يوم من الايام قال المقدم عيسى يا مقدم نصر الدين ان ابوينا طال عليهما المطال وهما غائبين ونحن مالنا بطش الا بآبائنا وانه طال غضبهما وشيحة لم يصالحهما ولا الظاهر فنحن ايضا نغضب ونلحقهما فقال نصر الدين بكرة الجمعة انا ادعى انى عيان واروح الى حوران واسأل ان كان ابى وابوك يعودان الى خدمة السلطان والا نغضب نحن ايضا على غضبهما فلما كان عند الصباح توجه نصر الدين الى قلعة حوران وسأل عن ابيه وعمه فأخبروه بما جرى أنهما نزلا من السويدية وهذا آخر عهدنا بهم ولا نعرف أى البلاد قصدا ولا أحدا أعلمنا فى أى مدينة رأوهما فى الروم أو فى العجم واشتغل المقدم دبل وقال له يا نصر اعلم يا ولدى ان ما ضيع أبوك الان كان شيحة لان المقدم ابراهيم باع السلطنة لياسر بن عمار القدموسى قال نصر الدين وأى شىء عمل أبى ثم انه عاد الى مصر وهو يتقلى على لظى الجمر ودخل على عيسى الجاهرى واعلمه بما سمع من الاخبار وقال له ان أبى وأباك اما تحت الارض او فوق السماء لان بين الارض والسماء توابع المقدم موسى بن حسن القصاص يقتفون آثار الرجال فلم يعلموا بأخبارهما ولو علموا بهما كان لابد ان يعلمونا فقام عيسى الجاهرى ودخل على السلطان وبكى بين يديه وقال يا ملك الدولة هان عليك أبى وعمى قتلهما الحاج شيحة مع انه لا ذنب لهما يستحقان عليه القتل وان كان اذنبا ذنبا فاحشا فانت يا مولانا يجب عليك العفو لانهما من أتباعك وقطعا شبابهما فى خدمتك فقال السلطان انا لا اعلم ما جرى عليهما ولا لى علم ولا دراية بهما فقال يا دولتلى نحن مالنا خصم الا الحاج شيحة فقال اندم عليه فصاح المقدم نصر الدين أنت فى أى مكان يا سلطان القلاعين واذا بالمقدم جمال الدين طالع فسأله السلطان عن المقدم ابراهيم والمقدم سعد فقال يا ملك الاسلام والله لولا انهما من المجاهدين ماسألت عنهما ولكن أنا لاجلك سامحتهما وخليتهما يعودان الى خدمتك وضمانهما على فقال نصر الدين وهما فى أى مكان فقال له دورح هاتهما من أين ما كانا فانا عفوت عنهما فقال السلطان اذا كنت عفوت عنهما

فواتهما لنا حتى يطمئن خاطرنا ولا تنزل من هنا إلا وأنا معك ولا نعود ان شاء الله تعالى إلا بهم ان كان قلبك صافي عليهم لا تبيع رجالك بجهلهم ولا تعاملهم بعملهم فقال شيحة أنا أدور عليهم فقال السلطان وأنا معك فقال نصر الطيار وعيسى الجاهري وظاهر بن اسماعيل فانتخب شيحة أربعين مقدما وأخذهم وسافر إلى السويدية والسلطان معهم وهو يؤكد على شيحة لابد من البحث عنهم فأخذهم مركبا وعباها بضائعا وأغلالا وسافروا على قبرص وطلعوا على المينة ولبس شيحة في صفة تاجر والملك جعله قبطان ودخلوا البلد حتى وصلوا إلى دكان الحداد فسألوه على مائة مرساة فقال وكان الملعون عنده شيء كثير فاشترى منه مائة مرساة ودفع له الثمن عشرين الف دينار وقال أريد نقلهما إلى المينة فقال له ما عندي أحد ينقلهما فقال هذه الصناعية هم الذين ينقلونها فقال أخاف أن يهربوا فقال أنا الضامن لهم وان هربوا أعطيك أثمانهم وإلا خذ هذا عقد جوهر بعشرة آلاف دينار فان لم يعودوا اليك وإلا فهو قيمتهم عنهم ففكهم وحمل كل واحد مرساة فنزلوهم في المراكب وثاني دور والثالث فنظر ابراهيم بن حسن فعرف السلطان فاراد أن يتقدم اليه فترفيه السلطان لعدم معرفته به فظن ابراهيم أن السلطان غضبان عليه فبكى فقال له شيحة تستاهل يا قليل الأدب لانك ناقص التربية فقال السلطان من هو هذا فقال هذا ابراهيم والثاني سعد يا ملك الاسلام فقال السلطان اطلقهم بقي لأجل خاطري فقال فاضل لنا عشر مراسي لما يجيبوهم فقالت الرجال نحن نجيبهم وطلع منصور العقاب وحسن النسر وتمام الاربعين وساروا إلى مخزن الحداد فنهبوه وأخذوا جميع ما فيه من الذخائر وأتوا به إلى المركب وفردوا القماش وخرجوا من الجزيرة وطلب لهم الهواء وكان مال الحداد شيء كثير فقسمه شيحة بين ابراهيم وسعد وابراهيم وعيسى ابنه أخذ النصف وسعد ونصر الدين أخذ النصف وأما الفداوية أخذ كل واحد الف دينار وقام شيحة وجاء بسمكة شواها وأطعمها لابراهيم وسعد فعادوا كما كانوا فقال ابراهيم يا حاج شيحة نعم ن الملوك تغضب على خدامها ولكن والله ما عكر مزاجي إلا ذلك الحداد فقال شيحة ها هو معنا فاعرض عليه الاسلام اما ان يسلم والا بعته لك بيعا تاما فقال ابراهيم رضيت بذلك ثم فيقوا الحداد وأعرضوا عليه الاسلام فابى فضربه ابراهيم بذي الحيات قسمه نصفين وراح إلى لعنة الله تعالى ثم سافروا إلى الاسكندرية وانتقلوا من المالح إلى الحلو حتى دخلوا مصر وطلع السلطان إلى قلعة الجبل فاطلق من في الحبس ومنع المظالم والمكوس ونادى المنادي بحفظ الرعية وقلة الاذية [قال الراوي] يوم طلع الخواجة شمس الدين السحتري وقال يا ملك الدولة آن أوان السفر وقد حضر فامر السلطان بخزنة مال فأخذ المال الخواجة ونزل بها فشهل حاله واشترى

البضائع التى تصلح للبيع بارض الشام بعد ما تم أشغاله طلع ياخذ خاطر السلطان فاعطى له ايدغمش ابن أخت السلطان عقد من الجوهر يساوى عشره آلاف دينار وقال يا خواجة أريد منك أن تشترى لى جارية بهذا العقد وان احتجت أزيد من ذلك أدفع عنى من عندك واذن أكمل لك فقال له سمعا وطاعة فقال احمد بن أيبك هات لى معك أنا أيضا جارية وعند قدومك أعطيك حقها فقال طيب وسافر الخواجة وعند فوتانه خط الجمالية عارضته حسنة الشريفة ولقبها أم العيال وهى معتادة منه بالصدقة فاعطاها خمسة دنانير فقالت ياسيدى أنظر عيالى أيتام وعريانين فقال لها از أوهبنى الله السلامة فلك عندى طاقة بفتة وطاقة شاش وشقة حرير ومقطع قماش فقالت له بلغك الله السلامة وكفيت شر البؤس والندامة و توجه الخواجة حتى وصل إلى أرض الشام وهو كل ما أرسى على بلد يبيع فيها بضائع ويشترى بضائع وكان آخر مرساته الشام فباع بها مافضل من البضاعة المصرية وأخذ عوضها بضاعة شامية من شقق الحرير والمحازم والعبى ومن أصناف البضائع القادمة من بلاد العجم مثل كشمير ومن مريات وابندار وسيوف محلاة ومثل ذلك حتى تمم المتجر أربع خزنات كوامل كلها بضائع وأبقى جانبا للمصروف وبعد تمام ذلك افتكر العقد الذى أعطاه له ايدغمش ابن أخت السلطان فوضعه فى عبه وركب على بغلته وسار يتفرج فى خانات الشام وقال فى الدور الثانى نشترى الجارية ان أراد الملك العلام وأخذ معه جانبا من الدراهم للصدقة على ماجرت عادته كل مرة وسار فى الطريق فسمع واحدا يقول لرفيقه أنا راحت منى مائة دينار مع انه والله لو كان معى مائة ومائة ومائة دينار لكنت أدفع الجميع فقال لهم الخواجة شمس الدين فى أى شىء تدفع مائة دينار فقال واحد منهم يا خواجة جارية مع سمسار وصاحبها عجمى والذى يتفرج عليها يدفع مائة دينار فقال له الخواجة شمس الدين إذا كان الذى يتفرج على هذه الجارية يدفع مائة دينار فكيف يكون ثمنها بين الجوار ومن هو السمسار الذى هى معه فاعلموه به فقال يا سمسار أنا قصدى أنظر الجارية التى عندك للبيع فقال السمسار يا خواجة هذا واحد بازرجان عجمى مجوسى ومعه جارية ولكن لها طواشيه أربعه ولها جوار نهد أبكار كانهن الاقمار شىء كثير وفراشات وطرازات ومطبخ وكرار إذا رأيت البيت يتهيأ لك ان هذا بيت وزير أو أمير أو مشير والبازرجان يقول الذى يشترى كلما فى البيت وانا مالى إلا بغلتى التى اركبها فقط كما امرنى صاحبها ويقول انا ماتريا مشترى إلا ابن المشترى هذه من جملة ما معها خمسون مملوكا بخيلهم وسلاحهم فما يشترها إلا ملك او وزير وإذا اتى واحد يتفرج يقول لا احد يتفرج

إلا إذا أعطاني مائة محبوب ذهبا وإذا كان مرادك أن تتفرج روح ياخواجة وانظر ترى العجب فقال الخواجة شمس الدين خذ هذه خمسون دينارا لك وأرني التاجر فقال سمعا وطاعة ومشى قدامه إلى محل يجد بابا مقوسا كبيرا بمكتلتين وقاعد على بابه البازرجان فتقدم اليه الخواجة شمس الدين وقال له أنا قصدى أتفرج على الجارية فقال له هات مائه دينار فدفع له مائة محبوب فصاح يا ولد فخرج له كبير الطواشية وقال نعم فقال له خذ هذا التاجر وسر قدامه خليه يتفرج على ستكم فقال سمعا وطاعة ودخل قدام الخواجة فرأى خيلا على مرابطها فى الحوش فقال هذه الخيل للمالك وتوابع الجاريه ثم دخل به إلى قاعة وإذا فيها عشر جوار تسعة واقفات وواحده قاعدة بينهم فقال له هى هذه ستك يا أغا قال يا سيدى هذه وكيلة الخرج وقاعة ثانية وبها عشرة أحسن من الأول والذى بينهم كانها الهلال إذا اكتمل فقال الطواشى هذه الحاضنة وهؤلاء توابعها وقاعة ثالثة بها عشرة فقال الطواشى وهذه الفراشة وتوابعها وقاعه رابعة وبها عشرة وهى الطباخة وتوابعها وقاعة خامسة وفيها عشر جوار فقال الطواشى هذه الشربدارية وتوابعها وقاعة سادسة بها عشرة فقال الطواشى هذه القهوجية والتتنجية وتوابعها وقاعة سابعة على بابها ستارة كشميرطرخان وى كانها مقصورة من مقاصير الجنان وعلى بابها أربعة طواشية وقوف فلما أقبل الخواجة قال الطواشى انى هذا يريد أن ينظر ستنا فسقف الطواشى فطلعت له بنت كانها الشمس الضاحية والسماء الصاحية فنظرت للخواجة شمس الدين وقالت أنت الذى تريد أن تنظر ستى فقال نعم فقالت له وأنا انستحى انك تتجاسر إلى هذا المكان وتريد يا قليل الادب ان تنظر أمثاء ملوك ملوك الزمان فقال لها وأى شىء ضر إذا أنا رأيتها فقالت له والله ما أنت إلا تخين الصدع ولكن اصبر وأنا أستأذن لك فى الدخول عليها حتى تنظرها فراحت الجاريه وعادت وقالت له ادخل فقد أذنت ستى لك فى الدخول فسر الخواجة ملق فى قلب تلك القاعه فراشات من القطيفه الملونه مابين اخضر وأصفر واحمر وصيني وازرق واسود شىء من العجائب وبابات فوق الفرش من الحرير المحلى بشرائط منسوجه من القصب المخيش بالبندق الاحمر والمخدات كذلك من القطيفه لون الفراشات وحشوهم من ريش النعام وشىء من الامتعة تحير فيه الافهام وفى وسط تلك القاعة سرير من الفضة وله قوائم من العود القمارى منقوشات بسلك الذهب وعليه شكه من اللؤلؤ منظوم فى سلك من الذهب وهى اعجب من كل عجب وحوله عشر بنات نهد ابكار كانهن الاقمار وقاعد على ذلك السرير جارية على راسها تاج مرصع بفصوص الالماس وفى وسطه فص جوهر يأخذ بالبصر ونور جبينها من تحت ذلك التاج اضوأ من الشمس

والقمر وهى فريدة فى الجمال عديمة المثال كاملة القد والاعتدال حوت من الغزال لفتاته ومن النمر همزاته ومن النسيم حركاته ومن البدر كماله ومن غصن البان ميله واعتداله الليل شعرها والشهد ثغرها وهى فتنة لكل من ينظرها جل من خلقها وصورها فلما نظرها الخواجة شمس الدين زادت به الفكر وقال جل الخالق الاكبر فان هذه الجارية فتنة الدنيا اللهم احمنا منها ثم انه تقدم منها وبدأها بالسلام فردت سلامه بتحية واكرام ورفعت رأسها فغاب عن الوجود وغشى عليه فلما أفاق على نفسه قال لها يا بديعة الجمال ارخ ستراً على وجهك فانه يسبى عقول الرجال فقالت له انى أراك ذو عقل وإرشاد فاخبرنى أنت من أى البلاد فقال لها أنا من مصر يا بنت الاجواد فقالت له وانت تاجر فقال نعم وشريكى مولانا السلطان الملك الظاهر فقالت وأنت تريد أن تشترينى لنفسك فقال لا يا ملكة وإنما للامير ايدغمش بن اخت السلطان فقالت له وهو فى مصر فقال نعم فقالت هات ثمنى وأنا أبيع لك نفسى فان هذا باذنى فقال لها أما الثمن فما يقوم مقام شىء مما عندى من الحطام وأنا عمرى ما رأيت مثلك فى مدائن ولا فى أمصار لا جوار ولا أحرار فقالت يا شيخ الذى وصاك أن تشترى الجارية ما أعطاك شيئا فقال أعطانى عقدا من الجوهر فقالت أرنى العقد حتى أنظره فاطلع المقدم العقد وأعطاه لها فقالت له إن الجوارى الذى عندى كل جارية منهم لها عقد مثل هذا العقد أنا أقول انه عقدى وأنت أخذته من بعض جوارى فلما سمع شمس الدين كلامه بهت وحار فقالت لا بأس عليك ولكن احلف لى بالله العظيم انك تشترينى لايدغمش بن أخت السلطان فحلف لها فقالت له اطلع خذ من الارض بيدك ترابا وضعه بيد البازرجان وقل له هذا ثمن الجارية وما معها وأنا اشتريتها بكذا فطلع الخواجة إلى باب البيت فرأى البازرجان قاعدا فأخذ التراب ووضعه فى يده وقال له اشتريت الجارية بكذا فقال وأنا معها ذلك البيت بما فيه ماعدا الارض والسقف والحيطان فقال الخواجة اكتب لى بذلك حجة فكتب له حجة الجارية وما تبعها فصارت ملك الخواجة شمس الدين السحاقى والبازرجان أخذ ثمن الجميع وقام البازرجان ولم يأخذ من المحل إلا بغلته التى يركبها فقط وطلع من البيت خالص بعدما دفع أجرة البيت لاصحابه ومضى إلى حال سبيله فقالت الجارية للخواجة انت متى تسافر فقال ياستى حالتى مجهزة لكن أنا بقى مرادى أجرة جمال لك لاجل حمل فراشاتك وأمتعتك وجوارك ففتحت صندوقا من جنبها وأعطته خمسة اكياس فى كل كيس الف دينار وقالت له اشترى جمالا وبغالا ولكن حاذر على جوز بغال يحملون بختى وعكام شاطر فقال لها على الرأس والعين وفى ظرف خمسة أيام قضى الاشغال وحملها الله ذو الجلال وبرز حوله فكانت حملتها أكثر من

حموله وسافر أرضا بعد أرض حتى وصل إلى العادلية وكان دخوله وقت العصر فساق الحمل بعد أثقال الدواب وعلقوا الحملة على الجمال وأمرهم بالمسير لأجل أن يتاوى المال فى المخازن فلما وصل إلى النحاسين فالتقاه أحمد بن أيبك وكان قادما من الأمير سوش قدم فى عزومة فقابلت المشاعل وتأمل أحمد بن أيبك وقال ياخواجة انت جبت لى جارية فقال لا فقال وهذه التى فى التخت لمن هى فقال هذه جارية عجمية للأمير ايدغمش زاخت السلطان فقال له ياخائن ابن اخت السلطان تشترى له جارية وأنا ما أنا ابن الملك ايبك التركمانى ثم انه ساق الحملة بما فيها حملة الخواجة والجارية وتبعها وكان قد نظرها فى تخفيها فتولع بحبها فلما ساق الحمل دخل الخواجة فى المندرة حبسه وأمر بالجارية فطلعت عند أمه فانبهرت أمه منها وقالت سبحان من خلقها [قال الراوى] وكانت حسنة الشريفة التى كان وعدها الخواجة عند عودته أن يكسيها ويعطيها الاحسان تنظره وهو فايت عليها من الجمالية فلما طلع النهار سارت إلى بيته تطلب ما وعدها به فلم تجده فسألت عنه فلم يعلمها أحد بقدومه فقالت جاز على فى هذه الليلة من الجمالية وها أنا اتيت اطلب منه ما وعدنى به فطلبتها حريم الخواجه وسألتها فأعلمتها فنزلت وركبت على حمار مكارى وسارت الى القلعة ودخلت على الملكة تاج بخت وأعلمتها بالذى سمعته عن الخواجة الاعار بحار إلى الملك فقدم له الباوج إشارة إلى انه مطلوب للحريم فقام الملك وطلع فتقدمت زوجة الخواجة وقبلت الايادى وقالت له خادمك شمس الدين السحرتى فات ليلا بحموله ومتاجره من الجمالية وعدم قبل وصوله للنحاسين كان بلعته الأرض ولا أحد يعرف له مكانا وهو خادمك وها أنا جئته أعلمتك وأنت صاحب المال وملك الرجال فعاد الملك إلى الديوان وقال يا امراء الخواجة شمس الدين السحرتى دخل مصر العشاء بعد أن تقدمه الجمال فسرق فى مصر هو ومن معه من الاحمال فقال ابراهيم يامولانا بلعته الارض وماهو حرامى تقول إن له عدوا يقتله وهذا فى مصر كان الأولى فى الجبال فقال السلطان وانت يا ابراهيم صنعتك ايه ما انت صيرفى هذا الديوان هات الخواجة والا انت معزول من الصيرفية :

يا صيرفى عمرك ذهب وانصرف ... أنفقت ما فى الجيب ولا شىء حصل
أصبحت فى مستقبح المعصية ... تمرح لرد الجيد وقص الزغل
قم حرر الباقى وتب واعتبر ... من نصبة الميزان رقح العمل
ومن يكن فى صنعته صيرفى ... ينظر بعين الحق فى منقده
يعلم بأن الله حاكم بصير ... إيش ما يرد يوم الحساب ينقده

يا سادة ثم قال السلطان انزل هات شمس الدين حالا فقال إبراهيم على راسى فتأمل

فى الديوان التى الخواجة فى عين أحمد ايبك فقال إبراهيم اتصبر حرته فنزل لبيت احمد أيبك وفتحه وقال للحريم كذا يفعل ولدك قالت هو ولدى بعاون الحمل وابنك بالمهت وافعل ما أنت أهله فدخل على الخواجة شمس الدين وقال ياخواجة احمد جاهل وحصل منه ذلك أى ذنب جرى بينك وبينه فحكى له على الجارية فأمر ابراهيم بانزالها وركوبها فى تختها وقال ياخواجة سامح احمد من أجل خاطرى أنا وإذا سألك السلطان قل له انا كنت فى عزومه عند بعض الخواجات ولا تعكر مزاج السلطان على احمد ولا توقع فتنة فقال على الرأس والعين ثم انه سار إلى بيت الامير ايدغمش وادخل الجارية بما يتبعها وأما متاجره فأدخلها فى مخازنه وما يليق للبيت ادخله إلى بيته وطلع إلى السلطان وقبل يده وسلم عليه فقال السلطان اين كنت البارحة ياخواجة فقال يامولانا كنت معزوما عند بعض اصحابى فصدقه السلطان فقال الأمير ايدغمش اين الجارية يا خواجة التى طلبتها منك فقال له أنت أعطيتنى عقداً يساوى الفين دينارا اعلم انى أرسلت اليك مالك لها سبعون جارية وخمسون مملوك بخيلهم وسلاحهم وكرار ومطابخ وجملة وزراجرة حملها من الشام إلى هنا الفين دينار ولكن والله ياسيدى غير العقد الذى أخذته منك مادفعت إلا مائة دينار على قبول الفرجة لأن كل من رام أن يتفرج عليها يدفع مائة دينار ثم حكى حكاية الجارية من الاول إلى الآخر فتعجب السلطان غاية العجب وقال لابد أن يكون لهذه الجارية سبب قم ياأمير أيدغمش انظرها فقام ايدغمش فرحانا ووصل إلى بيته ورأى ذلك الملك العظيم فدخل على الجارية فوجدها كما قيل

هيفاء لو خطرت فى جفن ذو رمد لم يستحس له من مشيها ألم
خفيفة الظل لو ماست بقامتها رقصا على الماء لم يبلل لها قدما

[قال الراوى] فتقدم باسها فباسته الاخرى وبكت فلم يلتفت لبكاها ونزل فرحانا فقبل يد السلطان وقال أمان يامالك فى هذه الليلة تكون الدخلة فقال السلطان لما اعمل لك فرحا استاهلن يعنى ماهو عايز فرح فشخط فيه السلطان وقال له لا تدخل عليها الليلة إلا ان كان عندى فى سرايتى فقال وهو كذلك ثم انزل وامرها أن تروح بخدمها ومن يتبعها إلى سراية السلطان فسارت وأخلت المالكة سرايتها برسمها وأوقدت فيها الشموع ومنع السلطان الامراء وبنى اسماعيل من الرواح فى تلك الليلة وأمر بسماط تماط لجميع الخاص والعام وحضرت فى تلك الليلة علماء الاسلام وعتق الجارية الامير ايدغمش بأمر السلطان وعقد له عقدها شيخ الاسلام وتوكل المالك واقبض المهر وأدخلوها الحمام واجلت للدخلة ولا بقى كلام الى ساعة الخلوة طلع الامير أيدغمش بن المالكة ورد قاز وأبوه أقدن عبد الله صاحب المدينة

البيضاء فقال لهم نعم فقالت حيث أنك ابن اخت السلطان اما تعلم ان عادات الملوك اذا تزوج أحدهم عروسة جديدة تتمنى عليه قبل ان يتصل بها فقال لها تمنى فقالت له آتمنى على الله وعليك ان ترنى الملك الظاهر قبل ان تدخل على ينظرنى وانظره فقال لها وهو كذلك فانه خالى ولم يخيب آمالى ثم انه طلع من عندها ودخل على السلطان وقبل الارض فقال الملك ما الخبر فقال ايدغمش يا ملك ان الجارية تمنت على ان تنظر مولانا السلطان وينظرها قبل دخولى عليها فقال السلطان ولاى شيء ذلك فقال المقدم ابراهيم يادولتلى هذه صورتها ماهى صورة جارية والله تعالى ما خلق فى الدنيا أحسن من جبر الخواطر وأنت مسئول عن رعيتك وهذه البنت صارت فى حوزك وتحت سوابغ نعمك فقام السلطان ودخل سراية العروسة فتقدمت له وقبلت يده وبكت وقالت له ياخال يجوز عندك ان تزوجنى لاخى وهذا حرام فى دين الاسلام فقال لها من انت فقالت له أنا اسمى صفاء الود وأمى اسمها الملكة وردقان بنت القان شاه جك فقال أيدغمش وانا ابن الملكة وردقان فأنت حقيقة أختى

[قال الراوى] وكان السبب فى ذلك ان الست ايق أم الملك الظاهر بعدما خلفت الملك الظاهر وكان اسمه محمود وخلفت بعده بنتا اسمها وردقان فلما كبرت كان قريب من خوارزم مدينة اسمها المدينة البيضاء وبها ملك اسمه القان عبد الله خطب وردقان من أبيها وتزوج بها فخلفت منه ايدغدى وايدغمش وكانت الملكة ايق معها طقطمر خلفته بعد وردقان وكبر ونشا ولما كبروا أولاد وردقان صاروا يلوفون على خالهم اكثر من أبيهم فطلب طقطمر ان يروح الى مصر عند أخيه الملك الظاهر فتعلق به أولاد اخته أيدغدى وايدغمش وساروا معه وبقيت أمهم حزينة على فراقهم مدة أيام ووضعت هذه البنت وسمتها صفاء الود لكونه مابقى لها غيرها من الاولاد فلما كبرت طلبت من أبيها ان يجعل لها سراية وحدها فبنى لها سراية وحدها وصار كلما يلتقى جارية جميلة يرسلها عندها حتى بقى عندها سبعون بنتا نهدا أبكارا كأنهن الاقمار فربتهم لخدمتها بمعرفتها وصار يودها فجعل فى حوش سرايتها خمسين غلاما مماليك صغارا وجعل لهم خيولا صافنات من أفخر خيول العجم بأسلحة مثمنة وعدد مزينة وصار يتفرج عليهم وكلما ادخر شيئا يضعه فى سرايتها [قال الراوى] واتفق ان فى بلاد العجم ملك يقال له عبد نار وهو ملك جبار فى قلعة اسمها مدينة الملك فماتت زوجته فغسلوها وكفنوها وحملوها قريبة من نار وحرقوها وأقام بعدها اياما فقال الوزير ياقان الزمان ان ملوك العجم يقولون عنك إنك تطلب المماليك الحسان بعد انفضاض الديوان تعلمهم مرزبان فقال لاوحق النار فقال له الوزير تزوج ياقان الزمان فان الزواج راحة الابدان فقال

أين التى تصلح للزواج حتى أخطبها وأقضى الفريضة فقال الوزير أخطب بنت القان عبد الله صاحب المدينة البيضاء فقال صدقت وان لم يرسلها إلى مكرمة سبيتها سبي الأمة بعد ما أخرب بلاده وأهلك عساكره واجناده فكتب الى القان عبد الله يطلب منه بنته صفاء الود فأرسل يقول له نحن إسلام وأنتم كفرة ولا يجوز ذلك فاغتاظ الملعون عبدنار وركب على المدينة البيضاء فخرج له القان عبد الله وتقاتل معه فاستشهد القان عبد الله على يد ذلك الملعون فلما علمت الملكة وردقان بموت زوجها لبست ملابس الرجال وقالت ان الجهاد حلال ونزلت إلى الميدان ثم قاتلت الملعون عبدنار فضربته بالحسام فقطعت يمينه فعاد من قدامها مهزوما وكان له عبد اسمه المقدم سعيد الهايش لما رأى انهزام القان ثبت العساكر للقتال وحمى الميدان فبرزت الملكة وردقان وقاتلته إلى آخر النهار فجرحتها جرحين بالغين أشرفت منهم على الموت وعادت من قدامه فى أشد الكروب فلما وصلت إلى فراشها انضجعت فماتت فى ليلتها وعند الصباح نزل الملعون سعيد الهايش وطلب الحرب فلم يقدر أحد يبارزه فكبس على العسكر وضرب فيهم ضربا شديدا فذاقوا منه الموت الاحمر فتشتتوا فى البر الأقفر واحتوى سعيد الهايش على جميع المدينة ومافيها وبالجملة قصد صفاء الود فلما دارت يده عليها قالت له ياملعون أنت قتلت والدتى وأكمدتنى بحسرتها فما الذى تريد أن تفعل ان كان قصدك المال فها هو بين يديك واجعلنى معترقة حتى أدخل عند أحد من أهل الايمان ولا أقيم عند عباد النيران فقال لها أنت بنت القان عبد الله فقالت له نعم وسيدك قتل والدى وأنت قتلت والدتى فاستحى عبد نار وخجل كونه بارز حرمة وقتلها لان هذه من عدم المروءة فقال لها وحق النار ذات الشرار لم يتبعنى من مالك ولا من جوارك ولا من كل سرايتك شيء ولا ابيعك إلا فى بلاد الاسلام وتحتك على حرام ثم انه أحضر بازرجان مؤمن وقال له خذ هذه الجارية بما معها من الجوار والمماليك والطواشية وكل ما يحتويه قصرها وسافر بها الى بلاد العرب وبعها عندهم ودعها تقبض ثمنها بيدها ولا تأخذه منها ولا تبيعها الا للذى ترضى به أن يشتريها وأنت خذ هذه الف دينار لجيبك اجرك بشرط لا تتبعك منها لا فضة ولا ذهب ولا تبيعها إلا فى بلاد العرب وان خالفت فلابد من هلاكك والاف مهجتك وخراب ديارك وسلب نعمتك وكان قصد عبد نار بذلك أن يغربها فى بلاد العرب بما لها وما معها لاجل أن لا يعلم بها أحد وأما قصد سعيد الهايش اكرامها حتى يبرأ من قتل أمها وذلك إنعام من الله عز وجل حتى تنفذ بمالها وتجتمع باخواتها وخالها وكان الامر كذلك وجاءت إلى بلاد الشام واشتراها شمس الدين

السحرى وجرى ما سمعتموه يا كرام [ولما] سمع السلطان بذلك الخبر تعجب من هذا السبب وقال لها هذه السراية التى أنت فيها نهى برسمك حتى تتزوجى بمن يكون فيه قسمتك وشاع الخبر بأن هذه الجارية بنت أخت السلطان وسمع أحمد بن ايبك التركمان فقال المقدم إبراهيم أنا فى عرضك يا أبو خليل أتزوج بها ولك حق مساعدتك خمسة آلاف دينار فقال له لا تطلب زواجها الا منى ولما كان ثانى الايام قال المقدم ابراهيم يا أمير أحمد قم أخطب وباقى الكلام على فتقدم أحمد بن ايبك ووقف قدام السلطان وقال يا ملك الاسلام أدام الله عليك جزيل الانعام وخلد الله دولتك طول الايام وأمدك الله بالعمر الطويل كأمد نوحا بعمر قال فيه شفا ثم وضع يده على صدره وقال العبد أتى خاطبا وراغبا فى الست المصونة والدرة المكنونة صفاء الود يكن بجناب مولانا السلطان فان ساعدنى الزمان وقال مولانا وجب فأنا ضامن للمهر كلما طلب فسكت السلطان ولم رد على أحمد جواب فقال المقدم إبراهيم مرحبا بك يا أمير أحمد نعم من خطب وكما رغبت فنحن فيك أرغب فقال السلطان يا مقدم ابراهيم هى بنتك وإلا أنت فضولى حتى تتعرض فيما ليس لك فيه شىء هذه بنت أختى وأنا صاحب أمرها وأنت أى شىء قدمك فقال المقدم إبراهيم صدقت يا ملك الدولة وإنما على ما تعلم أن أحمد بدايتى ومشدودى ويجب على المم أن يساعد بدايته فقال السلطان ان كنت وكيله تقدم قدامى واخطب بطريق التوكيل فقال ابراهيم أنا وكيله واطلب منى ما تشاء وأنا وحياة رأسك يا ملك الاسلام عندى فى حوران أربع مطامير ملانين من الذهب فاطلب مهرها بقدر ما تريد وأنا أورد لك اوفى مزيد فقال السلطان هذا أصله مجموع فى مدتى ولو غضبت عليك ونهبته فما أحد يمنعنى ولكن أنا غنى عنه وإنما انا قصدى الذى يتزوج هذه البنت يأتينى براس عبد نار صاحب قلعة الملك قطعت يده أمها ويأتينى بذلك العبد الذى اسمه سعيد الهايش حتى اسلخ جلده والعن أباه وجده ويفتح قلعة الملك فقال المقدم إبراهيم هذا واجب علينا حقا وصدقا انزل بنا يا أمير أحمد فنزل المقدم ابراهيم وأخذ أحمد ومعه الف مملوك والف من عساكر أبيه ايبك التركمان والمقدم إبراهيم أخذ معه سعدا وعيسى ونصر الدين والف حورانى والف يمانى وطلبوا السفر الى بلاد العجم وبعد سفرهم أمر السلطان بتبريز المرضى الى العادلية وسافر طالبا بلاد العجم ومدينة الملك على أثر المقدم ابراهيم واما ابراهيم فانه سار الى قلعة حوران فارتاح فيها يومين وحكى لابيه المقدم حسن الحورانى فقال المقدم حسن وانا اروح معك بألف حورانى والمقدم دبل الانعم بيمانى وساروا مدة ايام حتى وصلوا الى قلعة الملك فضربت المدافع

ويمنعوهم عن القلعة وثانى الايام نزل المقدم سعيد الهايش وطلب الميدان فنزل المقدم إبراهيم وتقاتل هو وإياه طول النهار وانفصلوا فقال إبراهيم لابيه والله يا أبي إن ذلك الكافر قوى الاوصال خبير بمواضع الحرب والقتال وكان سحارا لانه متى بان لى فيه مقتل وأريد طعنه اوضربه فما يطاوعنى قلبي على قتله ولا لى اليه وصول وما أعلم أى شيء سبب ذلك ولكن النصر من عند الله ثم بات ثانى يوم تحارب إبراهيم وسعيد الهايش وهكذا سبعة أيام وفى اليوم الثامن أشرف ركب السلطان ومعه عساكر الاسلام ومفرود على رأسه يبرق المظال بالغمام وانتصب العرضى فنظر المقدم سعيد إلى عرضى السلطان وزاد غيظه على المقدم ابراهيم ومال عليه بكليته وأراد أن ينجز امره ويعدمه ومهجته فرآه حجرا مائلا وجبلا صائخا وكلما قاربه شمخ وعلا فتاخر عنه إلى بعيد وحذفه بحربة ماضية وقعت فى كتفه جرحته جرحا بالغا فأراد أن يضربه بمثلها نزاغ المقدم إبراهيم فنظر المقدم إبراهيم فما هان عليه فأرادأن يخرج اليه فسبقه المقدم حسن الحورانى ولطم المقدم سعيد الهايش وكان تعبانا من حرب المقدم إبراهيم فزاده تعبا على تعبه وضايقه ولاصقه وسدعليه طرقه وطرايقه ومدله زندا ملآن تقوى وايمان وقبض على خناقه وقرط على أزياقه وهزه فقلعه من سرجه ورجله الى الأرض وهو قابض على خناقه حتى أرقفه قدام السلطان فقال السلطان هذا الذى قتل أخى كاس فرموه فى نطعة الدم وانتدب المقدم سعد على رأسه وطلب الاذن من السلطان فقال الملك اقطع رأسه وإذا بجارية سوداء أقبلت ووقفت على باب صيوان السلطان وقالت مظلومة ياملك الاسلام فقال الملك هاتوا الجارية فشدها حسن الحورانى وقدمها إلى السلطان فقال السلطان من الذى ظلمك قالت ظلمنى المقدم حسن الحورانى هذا لأنى كنت جارية عنده فاتصل بى فحملت منه فباعنى بحملى وهذا ابنه فوضعته فى بلاد العجم وربيته حتى بلغ مبلغ الرجال وبعده أخذه ليقتله عمدا ويحرمنى من ولدى ويحرق عليه كبدى

فقال الملك وأين هو ابنك الذى يريد قتله حسن الحورانى فقالت سعيد الهايش هذا فقال حسن الحورانى من أنت فقالت أنا سعدة الجارية فقال المقدم حسن يامولانا بقيت اخبرك على تلك العبارة [قال الراوى] ان المقدم حسن الحورانى لما تزوج هو والمقدم دبل اخوات المقدم معروف فحملت زوجة المقدم دبل وزجة المقدم حسن لم تحمل فاغتاظت وقالت يا خوند اظن أنك انت بيضك رائق ولكن خذ جاريتى سعدة فانى أوهبتها لك فواصلها فاذا حملت يكون العيب منى أنا فى عدم الحمل

فأخذها وجامعها ففارت زوجته وأتت اليه وأخذته إلى عندها وكمل ليلته معها فبالأمر المقدر حملوا الاثنين فقالت له بع هذه الجارية ولا تخليها عندى فانى لا أقدر أن انظرها فأعطاها الى تاجر عجمى فباعها فى بلاد العجم ووضعت ذلك الغلام هناك وربته فى مدينة الفلك وكانت أم عبد نار وهذا رضعت فسلمته إلى الجارية مع ولدها فأرضعته وطلع الاثنان وكبرا فمات أبو عبد نار وتولى عبد نار على تخت قلعة الفلك وتداولت الأيام حتى جرى ماجرى وأسره حسن الحورانى وما كان حسن الحورانى أفرس من ولده وإنما شهامة الوالد ترخى أعضاء الولد وبسبب هذا أسره لكونه أبوه فحكت الحكاية وسمعها المقدم سعيد الهايش فقال يا أمى ومن حيث أنى أنا مؤمن لأى شىء ما أعلمتينى حتى كنت اجىء من هذه البلاد وأقيم عند أبى وأخى فقالت ياولدى كان الذى كان وآن الاوان فتقدم حسن الحورانى وقبل أيادى السلطان فأمره باطلاق ابنه وأعرض عليه الاسلام فأسلم وفرح به السلطان لأنه يزيد فى الفروسية عن أخيه فقال له الملك إتمنى فقال أتمنى أن تأمرنى أنزل إلى الميدان أفتح هذه البلد وأقتل الملعون عبدنار وبعده أكون خادمك مع أخى المقدم إبراهيم فأنعم عليه السلطان بماطلب وثانى الأيام نزل عبد نار الى الميدان وطلب الحرب والطعان فنزل له المقدم سعيد الهايش وقال له ياقان عبد نار أدخل فى دين الاسلام واعبد الملك العلام فسبه وشتمه فالتقى معه المقدم سعيد وحمل عليه حملة جبار عنيد وضايقه ولاصقه وضربه بالسيف على عاتقه أخرجه يلمع من علائقه ومال على عسكره بالحسام وتبعته عصبة الاسلام وغنا الحسام حتى أظلم الظلام وخفيت مواضع الاقدام وانفصلوا عن ضرب الحسام وعاد الملك إلى الخيام وإذا بتذكرة نزلت قدامه فاخذها السلطان وإذا فيها من المقدم جمال الدين شيحة باب البلد مفتوح والمدافع طلت والغفر ذبحوا أركب وادخل البلد واترك التطبيل فقال الملك الخيل بأربابها فارتفعت على تلك السروج ركابها فكبس الملك البلد فلم يفيقوا العجم إلا والسلطان فى قلب السراية فطلبوا الامان فقال السلطان لأمان إلا لمن يسلم فمن أسلم سلم ومن لم يسلم عدم ولا طلع النهار على السلطان الا والبلد فى يده فنهب كلما بها من الاموال والاجناس ما نائبا من تحت يده من أهلها اسمه عبدالله وطلب السلطان الرحيل الى مصر وامتد الموكب الى قلعة الجبل فاطلق من فى الحبوس وأبطل المظالم والمكوس ونادى بحفظ الرعية وقلة الاذية وبعد ما استقر به القرار تقدم الامير أحمد بن ايبك وطلب الملك صفاء الود وأنعم له السلطان بما طلب وقام بالمهر على قدر مقامه وعمل فرحا ثلاثين يوما وليلة قبة الزفاف دخل عليها فوجدها درة لم تثقب ومطية لم تركب

لم تركب تملامنها بالحسن والجمال وثانى الايام عمل ولائم الصباحية وأقام معها وهو في خدمة السلطان [قال الراوى] ولما مضت السنة وهل شهر رمضان فرق السلطان القفاطين لنواب البلاد والذين يستحقون التبديل أبدله والذين يستحقون العزل أعزله وأرباب الديوان على حالهم بما لهم من الالتزامات وآخر النهار نزل كل أمير قاصدا بيته فكان الامير محمد فارس قطابة بعد ما لبس قفطانه ونزل الديوان قاصدا بيته ففات على بيت الامير حسين وارتبك من الزحمة فنمل عليه ماء فرفع رأسه إلى محل ما نزل منه الماء فرأى بنتا ذات حسن وجمال وقد وبهاء ودلال فلما نظرها نظرة اعقبته الف حسرة فوصل الى بيته وهو على غير الاستوى وتمكنت منه الصبابة والهوى وكانت له داية ربته من صغره فاحضرها الى عنده وقال لها يا أمى أنا بليت بشىء لا أقدر أصبر عليه فقالت له ما هو ياولدى فخبرها بمارأى فقالت له ياولدى وهذا الوقت ما الذى تريد فقال لها تروحى الى بيت الامير حسين وتسألى عن هذه البنت ان كانت خالية من الزواج فانا أخطبها بس انت اعرفى لى هى بنت الامير أم ضيفة عندهم وان كان عندها مثل ما عندى فقالت سمعا وطاعة ونزلت العجوز وسارت الى بيت الامير حسين وهى كانها زائرة فرأت فى البيت ناس داخلين حريمات فسألت عن الخبر فاعلموها أن الست حسنة بنت الامير عيانة فقالت أنا اعرف العيلو أسعى فى مصالح الطب والحكمة لان أبى كان اصله حكيما وعلمنى اداوى كل مريض وسقيم فقالت ادخلى يا ستنا لعل الشفاء يكون على يدك فانى اراك اهل معرفة فدخلت على الست حسنة وصارت تقلب يديها ورأسها وتقرأ الفواتح والمعوذتين والصمدية تارة على رأسها وتارة على صدرها حتى ملكت فرصة منها واستغفلت القاعدين ووضعت فمها على اذنها وقالت لها انا مرسولة اليك من عند الامير محمد ومرادى اختلى معك وأقص عليك فاجعلى نفسك انك شفيتى على يدى وانا اكون الواسطة بينك وبينه ففتحت عينها وقالت لها يا أمى أنا رأيت الراحة على يد هذه الست فلا تفارقنى حتى اطيب فقالت لها الست سمعا وطاعة واقامت عندها الى آخر النهار وهى تتقلا على الرجوع حتى اطمانت عليها امها وتركت العجوز عندها وراحت لقضاء شغلها فلما خلا المكان قالت حسنى يا اماه فى عرضك سلى لى قلبه واخبريه بما انا فيه فقالت لها لا تخافى وانا رائحة الى عنده وراجعة لك اول النهار وخرجت الداية وسارت الى بيت الامير محمد واعلمته بما رأت وعاينت وسمعت فبرد قلبه وبات واصبح طلع الديوان وطلب ان يخطبها فقال كاتخدا العاور وكان اميرا من جملة الامراء والله ان الزواج ما فيه الا التعب فقال الامير حسين

يا امير كلخان انت مرقدك مرقد الكلاب فاغتاظ منه وقال اما تستحي ان تخاطبني
بهذا الخطاب فقال له بما انك عازب لان الزواج يا امير كلخان ثلثي الدين فقال له
صدقت ولكن انا سمعت كلامك فزوجني بينتك فقال مرحبا بك اخطب فقال له
جئتك خاطبا فقال له السلطان اكتب له يا قاضي فقام القاضي يحي الشماع يكتب
الكتاب بحضرة السلطان فصاح الامير آه باقلبي وغشي عليه فقال الملك انظروه فقال
ابراهيم يادولتلي هذا ضعيف فقال السلطان روحوا به الى بيته فلما راحوا به الى بيته
لزم الفراش وزادت به الامراض فجاءت العجوز وقالت له اخبرني بحالك فقال لها
هذا حالي يا امي روحي فاكشفي لي عن الخبر من قبل ان اموت واقبر فراحت
العجوز الى بيت الامير حسين [قال الراوي] واما الامير كلخان فانه ارسل
النشان مع الطواشي من اغوات حرم السلطان ولما دخل النشان الى بيت الامير
حسين وعلمت حسنى ان هذا نشان اتى لها من الامير كلخان غشي عليها ولزمت البكا
والتعداد وفي ثاني الايام جاءت لها العجوز ورأت حالها فاعلمتها بما جرى على قلب
الامير من اجلها وقالت لها لا تخافي فاذا تكاملت المواعيد وليلة الزفاف انا البسه
حرمة واقعده معك في العراية ويكون معك صباحا ومساء ولا تخشي من بؤس
واسى فاطمأنت لكلامها ودام الامر كذلك حتى اتم الفرح الى ليلة الدخلة فانت
العجوز الى الامير محمد والبسته لباس حريم وادخلته الى مكان الخلوة وطلعت تجد
الامير كلخان طالعا . فلما علمت بطلوعه فتحت باب السر وانزلته على البستان فلما
نزل ترك بابوجه في الدرقاعة ونزل لابس الشراب والخف فقط فلما دخل الامير
كلخان يجد بابوجين في الدرقاعة فقال يا بنت اين صاحب هذا البابوج فقالت ما له
صاحب الا انا فقال والبابوج الثاني فقالت لي فقال البسيه فلبسته حتى انظره فلبسته
فوجد واحدة قدها والثاني كبيرا عليها فاخذه ولفه في منديل ودخل فخدعها بات فيه وتركها
ولم يقتنصها ولا دخل بها وطلب جارية من جوارها وكانت اسمها فتنة وهددها
بالكلام وسحب عليها الحسام فقالت ان ستي تحب محمد فارس مزمان وكان عندها
وانزلته من البستان فكتم حاله ونزل الى الامير حسين وقال له خذ بنتك ودفع له مؤخر
صداقها فاغتاظ الامير وارسل اخذ بنته وكشف عليها فوجدها بكرا على حالها
فعاد اليه وقال له لم تعجبك بنتي انا ما قلت لك انك لم تعرف شيئا في الحريم فقال ما اعجبتني
وبات واصبح طالع الى الديوان فقال الملك نهار مبارك فقال طلعناها يا بعض شاه فقال
الملك اذا يا امير طلخان هذا حرام عليك يا طلخان ودخلت البارح وطلقتها اليوم
فقال يا بعض شاه عدم الزواج احسن كيف اتزوج بنت بكر وليلة دخلتي عليها قبلي

ما ابتكرها الا في عندها الأمير محمد فارس قطايا وان كنت ما تصدقني يا ملك هذا بابوجه في منديلي وأخرج المنديل فنظر الامراء البابوج وقالوا نعم هذا بابوج محمد فارس صحيح فقال الملك هذا ضعيف انزل يا مقدم ابراهيم هاته فنزل المقدم ابراهيم واخذ معه الامير قلاوون واخذوا معهم ابو البقت الأمير حسين فلم يجدوا محمد فارس لا في بيته ولا في محلات أحد فعادوا وأعلموا السلطان فقال السلطان يا امراء اعلموا أن الأمير محمد فارس الدين قطايه معزول من ديواني ومقطوع ديوانه وكل من رآه يقبض عليه ويأتي به إلى عندي حتى اقابله بما يستحقه | قال الراوي وبات الملك وأصبح سمع الصراخ في السراية فسأل عن الخبر فقال الجوار محمد السعيد صبحنا بجده جثة بلا رأس فقام الملك وسار الى محل مبيت ابنه فرأى جثته والرأس عدمت وتذكرة مكتوبة ما فعل ذلك الا محمد فارس الدين وشاع الخبر وطلع المقدم ابراهيم بامر السلطان ونظر الجثة فقال يا ملك الاسلام لا تخف فان هذه ما هي جثة السعيد وانما هي جثه كافر نصراني والأمير محمد فارس الدين لم يفعل هذه الفعال وسوف يظهر لك الحق من المحال فقال السلطان يا رجل أنت كذاب محمد فارس قتل ولدي وكل ما رآه يقبض عليه ونادى في مصر كل من خباه يصلبه على بيته وارسل كتابا الى جميع البلاد بهذا الخبر (يا ساده) فعلم الأمير محمد فارس انه مغضوب عليه ومطلوب للقتل وسمع ايضا بخبر السعيد فدخل بيته واخذ جانبا من المال وخرج وسار الى الخانكة فسمع أن الطلب عليه فأخفى نفسه وسار الى بلد غيرها وصار كلما عبر على بلد يسمع الاخبار بالتفتيش عليه فيخفي نفسه ومادام كذلك حتى وصل الى السويدية فدخل خانا وهو مداري نفسه بصفة عجمي فقير وصار يتنشق الاخبار وقلبه خائف محتار لان طعم الموت مر ما يرضاه عبد ولا حر فاجتمع على رجل قبطان رومي فقال أنت قاصد أي البلاد فقال أنا بطال ولا لي شغل في بلادي وانما قصدي محلا اعيش فيه في باب التجارة فقال له القبطان أنت معك مال للتجارة قال نعم فقال انزل معي الى بلاد الروم اشتري منها اقمشة وجوخا وحريرا وبع في بلاد العرب وخذ من هناك دمياطي عن دمياط وتمرا من بلاد الصعيد يكسب الطاق ثلاثة فنزل معه في الغليون واذا بجوان والرتقش الخوان نزلا ومعهما صندوق ففتحا الصندوق وأطلعا منه الملك محمد السعيد فلما نظره محمد فارس قال له يا ملك السعيد أنا طفشت من مصر بسببك فان السلطان اطلع في حقي دورر عمومي كل من رآني يمسكني وها أنا طفشت وتركتني بيتي وعزلني أبوك من الديوان بالظلم والعدوان وان هذا استحق انا من ابيك لاجرم ان الله يعاقبه فيك فقال جوان انت هزلك بين المسلمين ولو وقعت في يده لقتلك

ولا يعلم ان كنت ظالما أو مظلوما هذا جزاء ما نزل قدامه فى الحرب وتقول الله أكبر وتقتل فى النصارى ولو تطاوع جوان كنت أجعلك ملكا أحسن منه وأملكك بلاد. اذا طاوعتنى وان كنت ما تطاوع جوان تبقى بين طريقين اما ان النصارى يأخذونك أسيرا والا اذا رجعت المسلمين قتلك بيبرس فقال محمد فارس أطاوعك يا جوان فقال له اذا طاوعتنى وقبلت كلامى قم واضرب السعيد فقل له رأى شىء ينفع ضرب السعيد لانه ما عمل معى شيئا فقال جوان لاجل أنى أعرف أنك ما بقيت تخاف من أبيه وبقيت من حزب جوان فقام محمد فارس وضرب السعيد وذلك من خوفه لانه يعلم ان جوان فى بلاد النصارى مسموع الكلمة فطاوعه وضرب السعيد ولكن متأسف فى الباطن وفرحان فى الظاهر وسافروا حتى وصلوا الى الجزيرة الصما والعقبة السودا وكان بها كاهنة ساحرة اسمها الكاهنة الزرقة فطلع جوان الى تلك الكاهنة وقال له يا كاهنة أنت صاحبة مملكة على قدر كذا ولم تكفيني لك غزوة فى دين المسيح فقالت له ما عندى من يفتح لى باب الحرب للمسلمين وانت لو تفتح لى باب الحرب كنت أحاربهم فقال جوان اعلمى ان معى غلاما ابن دين المسلمين وهو اكبر أولاده خذيه واقتليه فاذا عرف أبوه أنك قتلت ابنه فلا بد ان يأتى اليك ويحاربك وجوان يساعدك حتى تملكى بلاده ثم انه أعلمها بالامير محمد فارس الدين انه يكون معها وقال لها يا كاهنة اذا أخذت بلاد المسلمين من تحت يدك اجعله نائبا عليها فقالت له وهو كذلك ففرح محمد فارس بذلك الكلام واعتمد على تلك الكافرة أنها تجعله ملكا على بلاد الاسلام واما السعيد فانه قدمته الى بين يديها وأمرت محمد فارس ان يضرب رقبته فعند ذلك احتار محمد فارس وعلم انه ان تأخر تقتله الكاهنة فجذب سيفه وقال للسعيد اين أبوك والله يا سعيد لو تسمع الكاهنة منى ما اقطع الا راس أبيك قبلك حتى تعلم ملوك الروم أنهم عجزوا عنكم وهى التى أهلكتكم فقالت الكاهنة صدقت ولا اقتله الا مع ابيه وأمرت بحبسه فقال للسعيد الحبس ولا القتل واما الكاهنة فانها أحضرت عونا من عوانها وكتبت ورقة وقالت له خذ هذه الورقة وروح الى ملك مصر وأعطيها له فى يده وعندما يأخذها منك أخذته من على كرسيه وهاته الى عندى فطلع العون وجاء الى قاعة السلطان وقدم له الورقة وهو فى صفة بنى آدم فأخذها الملك بيده فخطفه العون من وسط الديوان وعلا به الى الجو فاراد السلطان ان يقرأ ما فيها لماذا قرأت تقتلنى ... فعليك فان وقعت ما ملحق الارض الا راسك تطع

فقال له من أنت وما تريد منى فقال له انا من الكاهنة الزرقة صاحبة العقبة السودة وجزيرة الصخر ان ابنك عندها محبوس وقد ارسلتنى أحضرك لها حتى تقتلك أنت وابنك

لأنه قال لها لم تقدرى على قتلى من اجل ابى فأمرتنى ان احضرك الى عندها فقال الملك وابنى عندها طيب قال نعم ففرح السلطان بخبر ابنه وسكت حتى وصل عند العجوزة الساحرة فلما رأته قالت له أنت بيبرس ربن المسلمين قال لها نعم ياملعونة انا رين المسلمين صاحب السيوف والمزارق احارب بهم الكفار واستعين بقدرة الملك الجبار ولا أعلم علم القلم ولا أسحار والله تعالى وعدنى النصر على الكافرين لقوله تعالى فى كتابه المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فقالت له انا كنت اعلم ان فى الدنيا غير ملة المسيح ومن حيث أنك نيك شهامة على قدر كذا مابقى الك الا الموت فقال جوان والعتاب منفعته لاى شىء اقتليه أحسن من حياته فقال الملك يا ملعون عمال تغريها على قتلى وأنا ورائى ابنى احمد سلامش وعسكر الاسلام فقال جوان فى ساعة واحدة تمتترهم الكاهنة فقالت الكاهنة أنت يارين المسلمين تظن فى بالك انه بقى لك خلاص او تعود الى بلادك وتقعد بين دولتك وانما أهم رجالك قادمون وانا أملى منكم السجن وأقتلكم فى يوم واحد جميعا فقال السلطان ان رحمة الله قريب من المحسنين فوضعته فى الحبس هذا ما جرى هنا [قال الراوى] كان تفريقال له حسن الشمشاطى من أتباع المقدم مرسى بن حسن القصاص مقيما الى ذلك اليوم الذى دخل اليه جوان فى العقبة السودة ومعه السعيد وجرى ماجرى من محمد فارس الدين فمادمس ذلك المكان للمقدم وأعلمه بماجرى وكان فقال له المقدم حسن امض الى مصر واعلم السلطان فسار الى مصر ودخل الديوان فوجد أحمد سلامش بن السلطان فأعلمه بالقصة وان أخاه السعيد محبوس عند الكاهنة الزرقة فقال ابراهيم ولاشك ان السلطان ماخطفته الا تلك الملعونة فجهز أحمد سلامش الركبة وبرز الى العادلية وأصبح فركب بالعساكر وسار طالبا عقبة الصخر حتى وصل الى الشام وجمع بنى اسماعيل وسافر من الشام حتى حط على القلعة السودة فلما علمت الكاهنة بقدومهم احضرت جوانا وقالت له ادلنى أسماء كبار المسلمين حتى أقبضهم فصار يقول لها فلان وفلان وهى ترسل اليهم أعوان الجان حتى أخذت ثمانين أمير وستين فداوى فتضايق أحمد سلامش وخاف على نفسه وعلى أبيه وأخيه وباقى الاسلام فرفع قامته الى العلى ونظر الى قبة السماء وقال

يامن عوائده الجميل بفضله من ذا الذى لجلال مجدك ما خضع
ياإله العرش يارب السماء يامن على كل العباد قد اطلع
يارب مالى غير بابك ملجا ولك الارادة والانابة والصنع

اللهم بحرمة النبى المنتخب اسعد جميع العرب أن تسبب لاهل الايمان الفرج

وأقدم من يد أهل الكفر والطغيان انك أنت الحنان المنان وإذا بغبرة انعقدت وعجاجة قد ارتفعت وبان عن هدير أعوان وصراخ جان والملكة تاج ناس على سريرها حتى أقبلت إلى صيوان السلطان فلما قدمت فرح بها أحمد سلامش وطلع على سريرها وقد أعلمها بما جرى على أبيه وأخيه وكيف انه أتى بالعساكر فعاملتنا الملعونة بالسحر والكهانة فقالت له والله يا ملك أنا ضربت تخت الرمل فرأيت ماجرى عليكم وأتيت اليكم لأن هذه الكاهنة أعرف أنها جبارة فلاجل ذلك قدمت عليكم من خوفي عليكم لكن اين المقدم جمال الدين ماهو معكم فقال الملك أحمد سلامش والله يا أختي مانعلم له مكانا فأمرت خادمها أن يحضر به حالا وكان المقدم جمال الدين في هذه الساعة طالع إلى الديوان يسئل عن السلطان فالتقاه الخضر العادل ابن الملك الظاهر وأخبره بما جرى على أخيه السعيد وكيف انه قتل على فراشه وابوه السلطان انخطف من وسط الديوان فقال شيحة وهل تعلم أي مكان راح اليه السلطان فقال جاء لأخي أحمد تابع وأخبره انه رأى أخي محمد السعيد عنده كاهنة اسمها الورقاء في مدينة العقبة السوداء وتوجه أخي أحمد بالعساكر والأمراء والفداوية فقال شيحه وأنا لابد ما ألحقهم فهو كذلك إلا وسحاب انختطف قال له ياسيدي أنت مطلوب لستي في عقبة السودا فقال احملني وسر فحمله وسار به حتى ضمه قدام الملكة تاج ناس فقامت وقبلت يده وقالت له ما هي عادتك يا ملك القلاعين أن تتخلا عن الاسلام فقال ان الاسلام لهم رب يحميهم وأنا ما بيدي شيء أفعله لأن الله يسبب الأسباب فقالت له واجب على كل مؤمن يجتهد وأنا أيضا أجتهد ثم انها أحضرت قطعة جلد وقصتها في الداير وصورتها سيفا وقالت ياسلطان الحصون خذ هذا في يدك اليمين وخذ هذه الورقة في يدك الشمال وسر من هاهنا وادخل على الكاهنة الزرقاء واعطيها هذه الورقة فاذا فتحتها لتقرأها فاضربها بهذا السيف على عنقها فتموت من وقتها فاخذ شيحة السيف الجلد والورقة ودخل على الكاهنة الزرقاء يجدها جالسة فلما رأته بهتت في رؤيته ولم تكلم فناولها الورقة فاخذتها وفتحتها ونظرت فيها فضربها بالسيف الجلد وإذا رأسها طارت فتقدم شيحة قبض على الملعون جوان فنظر الامير محمد فارس الدين قطايا فقام يجري إلى السجن الذي فيه السلطان وانكب على رجليه قبلها وفكه هو والسعيد وقبل يده وحكى له على فعل جوان وأخبره أن الكاهنة قتلت على يد شيحة جمال الدين وسأله السماح فسامحه السلطان وأحضر له محمد فارس جواده العجل الادهم فركب وصاح في البلد الله أكبر :

إذا كان الاله لنا معينا   على الكفار في يوم القتال

ومالت نحونا الاعدا جيوشا ... كما طنش الجراد فلا أبالى
فان الله أوعدنى بنصر ... وتأييد على أهل الضلال
ألا يا معشر الاسلام ميلوا ... على الكفار بالسمر العوال
فانى الظاهر المنصور حقا ... أنا بيبرس محمود الفعال
اجاهد فى سبيل الله جهدى ... كما فرض المهيمن ذو الجلال
وأبطال الحصون خلف ظهرى ... سباع الملتقى يوم المجال
كذا الاكراد والامرا جميعا ... شداد العزم فى ضرب النصال
ولى فى الميمنة بطل همام ... إبراهيم وسعد عن شمال
وصلى ذو الجلال على محمد ... رسول الله من حاز الكمال

ومال السلطان على أهل الطغيان وغنى السيف اليمان فما كنت ترى إلا دماغ طائر ودماء فراعنة الكفر فائر وصاحت كل الأمراء والفداوية وكان شيحة قابضا على جوان فأراد جوان أن يصيح على النصارى يخلصوه من شيحة فقال له البرنقش إن كانت النصارى لهم همة كانوا يخلصون أنفسهم فنظر أهل العقبة فلقوا الدنيا مطرت عليهم شرار ونار ورجم بالاحجار ولا فرغ النهار حتى هلكت جميع الكفار وبعدها تقدم محمد فارس الدين وقبل يد السلطان وطلب منه أن يعود إلى محل رتبته فانعم له السلطان وصالحه مع الامير طلحان فقال الامير حسين ياأمير محمد فارس أى شىء كان أصل دخولك على بنتنا فانكر وقال ياأمير محمد أنا مع ازدحام الفرح قمت أزيل ضرورة فتهت وأنا كنت مريضا وعيان فدخلت القاعة وجاء فى بالى أنها قاعة الرجال وكنت قلعت البابوج فمدت حالى حقيقى واستحيت أن أرجع آخذ بابوجى فتركته فاصبح الامير طلحان يتكلم ودخل عنده الشك وطلق بنتك ولم يدخل عليها ووافق إعدام السعيد واتهمنى به فما قدرت أواجه مولانا السلطان وها أنا ياأمير حسين جئتك خاطبا راغبا قابضا ماهرا عليك ماتقول وجب وعلى ماثقلها بالذهب ثم إنه تقدم إلى السلطان وقال ياملك الاسلام انا كنت رايح اقتل بسببها وانا احق بها فقال إبراهيم تستاهل يا امير محمد فارس فقالوا جميعا تستاهل وكانوا جميعا حبوه من عهد ما بشرهم بقتل الكاهنة وفكهم من القيود وصفت منهم القلوب ولا ركب من على الجزيرة حتى ان الامير حسين عقد لبنته على الامير محمد فارس قطايا والملكة تاج ناس قالت للمقدم جمال الدين اشف قلبك من جوان بقى واطلقه فقام ضربه علقة واطلقه وسافر السلطان إلى مصر وعمل فرحا على بنت الامير حسين لمحمد فارس الدين وليلة الزفاف دخل بها وبلغ مقصوده واقام الملك على تخت مصر فى خير وإنعام

[قال الراوى] إلى يوم من الايام قال السلطان أنا قلبى قبوض فتحق ونزل وكذلك إبراهيم وسعد نزلوا من قلعة الجبل إلى الرميلة فلقوا ازدحاما والناس واقفون وواحد مغربى يقول أنا ما افرج أحد إلا بخمسة دراهم فضة فى العجيبة التى معى لم يوجد مثلها تحت قبة السما فتقدم السلطان ودفع له خمسة دراهم فضة فرفع الغطا وقال حط عينيك على القزازة فنظر السلطان فلقى نفسه ماشيا فى قيسرية ودكاكين إلى سوق وفيه حمام فدخل فى ذلك الحمام وقلع ثيابه على المشلح ودخل إلى داخل فتلقوه الاسطاوات كيسوه وصبنوه ودعكوه وبعد ما طلع الى خارج الحمام الى الليوان حكوا له رجليه ومرسوه والبسوه ملابسه فأراد أن يدفع الاجرة فقال المعلم نحن لم نأخذ دراهم وكشفوا له عن محل فرأى صورة الملك الظاهر على كرسى قلعة الجبل وقالوا له اضرب هذه الصورة بهذه الناسومة فاغتاظ السلطان وأراد أن ينزع فلقى نفسه جنب الصندوق فقال يا إبراهيم طالب منك المغربى بصندوقه فى الديوان فقال سمعا وطاعة فقبض على خناق المغربى وقال يا سعد خذ الصندوق وساروا به الى الديوان فكان السلطان سبق وقلع ثياب التبديل ولبس ثياب الاحكام

تم الجزء الثلاثون ويليه الجزء الحادى والثلاثون
من سيرة الظاهر بيبرس
وبه ينتهى المجلد الثالث